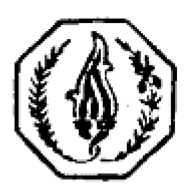




الحفل الماسي للمجمع

بمناسبة انقضاء خمس وسبعين سنة على إنشائه

(عدد خاص)

شعبان ١٤١٦ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٦م

تقديم

بمناسبة انقضاء خمسة وسبعين عاماً على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق أقام المجمع برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية حفلاً تذكارياً في المدة الواقعة بين ٢٦و١٩٩٥/١١/٢٩ دعا إليه نخبة من العلماء والمفكرين من مجامع اللغة العربية والجامعات والهيئات العلمية من شتى الأقطار العربية، وكذلك دعا طائفة من الباحثين من داخل القطرالعربي السوري .

افتتح الحفل في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد صباح يوم الأحد ١٩٩٥/١١/٢٦ بحضور الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، والسيدة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي، وعدد من السادة الوزراء والمسؤولين في الجمهورية العربية السورية، وعدد من السفراء العرب وأعضاء السلك الدبلوماسي، والسادة رئيس وأعضاء المجمع وجمع غفيرمن العلماء والباحثين.

وقد ألقيت في هذا الحفل محاضرات وبحوث تناول بعضها نشاط المجامع العربية وتاريخها وماتنهض به من أعمال في خدمة العربية، ولاسيما مجمع اللغة العربية بدمشق ومجلته وتاريخه، وكذلك ألقيت بحوث في موضوعات أخرى.

وفي نهاية الاحتفال أبرق الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية حافظ الأسد، رافعاً إلى مقامه الكريم باسم السادة المشاركين أصدق آيات الولاء والشكر لرعايته السامية للعيد الماسي. وهذا نص البرقية :

سيادة الرئيس حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

إن رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، وجميع العلماء المشاركين في العيد الماسي لمجمع اللغة العربية من الدول العربية الشقيقة، ومن سورية الأسد، وكذلك جمهور المشاركين في هذا الحفل التاريخي.

يرفعون إلى مقامكم الكريم أصدق آيات التهنئة بحلول العيد الفضي للحركة التصحيحة المجيدة التي هي رمز مجدنا، وفخر أمتنا.

كما يرفعون إليكم أسمى آيات الولاء والشكر لرعايتكم السامية للعيد الماسي للمجمع.

وهم يقدرون أعظم التقدير ماتولونه للعلم والعلماء من وافر العناية وكريم الرعاية.

ويعتزون الاعتزاز كله بموقفكم المشرف في حماية العروبة، والتمسك بالحقوق العربية.

ويشيدون بكل ماقمتم وتقومون به للذود عن اللغة العربية التي هي عنوان الهوية والشخصية العربية، والتي أوليتموها دائماً عنايتكم واهتمامكم وأحللتموها المحل الأرفع الذي يليق بها.

حفظكم الله ذخراً للوطن والعروبة والعربية.

رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور شاكر الفحام

المشاركون في الحفل

أولاً ـ المدعوون من خارج القطر العربي السوري:

شارك في هذا الحفل السادة:

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف	نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الأستاذ الدكتور عبد القادر القط	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور حسن حنفي	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور وديع فلسطين	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور إبراهيم شبوح	أمين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – الأردن
الأستاذ الدكتور يحيى جبر	رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني
الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	الجمهورية الجزائرية
الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب	رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم
الأستاذ الدكتور دفع الله الترابي	رئيس الهيئة العليا للتعريب بالسودان
الأستاذ الدكتور أحمد محمد الضبيب	المملكة العربية السعودية
الأستاذ الدكتور محمد رشاد حمزاوي	الجمهورية التونسية
الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة	المملكة المغربية
الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيم	رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية
الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد	الجمهورية العربية السورية

ثانياً: المشاركون من داخل القطر

آ – أعضاء مجمع اللغة العربية:

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام	رئيس مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور إحسان النص	نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد	أمين مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور مروان محاسني	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور بديع الكسم	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور زهير البابا	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عادل العوا	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ جورج صدقني	عضو مجمع اللغة العربية

ب – المشاركون من دمشق

الأستاذ الدكتور إبراهيم الكيلاني

الأستاذ الدكتور بديع حقي

الأستاذ الدكتور نور الدين حاطوم

الأستاذ الدكتور جودة الركابي

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو

الأستاذ الدكتور أدهم السمان

الأستاذ الدكتور غدير زيزفون
الأستاذ الدكتور أحمد عمر يوسف
الأستاذ أديب لجمي

جـ المشاركون من المحافظات السورية:

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر
الأستاذ الدكتور خالد الماغوط
الأستاذ الدكتور محمود فاخوري
الأستاذ الدكتور عبد السلام العجيلي
الأستاذ الدكتور سامي عوض
الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان
الأستاذ الدكتور صلاح كزّارة

البحوث والكلمات:

(جلسة الافتتاح)

كلمة راعي الحفل للأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية
كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي
كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع
كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس مجمع القاهرة، ممثل الوفود المشاركة في الحفل

(البحوث)

الرموز العلمية في اللغة العربية وأثرها في التعريب الدكتور دفع الله الترابي
من تاريخ المجمع — الأستاذ رياض مراد
من اللغة إلى الفكر — الدكتور حسن حنفي
خطط دمشق عند الحافظ ابن عساكر — الدكتور صلاح الدين المنجد
اتحاد المجامع اللغوية — الدكتور شوقي ضيف
النشأة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الدكتور ناصر الدين الأسد
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — الدكتور إحسان النص
قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم في نظر مصطفى الشهابي
الدكتور محمد رشاد الحمزاوي
اللغة والأصالة — الدكتور مروان محاسني
خواطر حول لغة العلم — الدكتور وديع فلسطين
مستقبل العمل المجمعي العربي — الدكتور يحيى جبر
المكتبة الظاهرية بدمشق — الدكتور زهير البابا
الرثاء في شعر شوقي — الدكتور عبد الله الطيب
دعوة إلى تيسير النحو — الدكتور عبد الوهاب حومد

(جلسة الختام)

جلسة الافتتاح

كلمة

الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة ممثل راعي الحفل نائب رئيس الجمهورية

ياأيها الرفاق

ياأيها الاخوة

أحييكم أحسن تحية، وأنا ألتقيكم في هذه المناسبة الكريمة، مناسبة الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية في دمشق، بعد أن أمضى هذا المجمع العتيد خمسة وسبعين عاماً ونيفاً، وهويعنى بالنظر في اللغة العربية ومسائلها. من وضع مصطلحات للمستجدات في مختلف ميادين العلم والمعرفة، ووضع مصطلحات للمخترعات والمبتكرات الحديثة. ودأبٍ على إصلاح لغة الكتاب والباحثين، وتقويم الاعوجاج في لغة الدواوين والصحفيين ومن في حكمهم، وتنقيح للكتب، وإحياءٍ للمهم من تراث الأسلاف وما إلى ذلك.

وقد استطاع هذا المجمع، وهو المجمع الرائد على امتداد الوطن العربي، بنشاطه ودراساته، وسائر أعماله، أن يكون القدوة والحافز للبلدان العربية الأخرى، على أن يكون لبعضها مجامعها، كمصر والعراق والأردن والسودان. وأن يكون لهذه المجامع اتحاد، تمّ تأسيسه عام ١٩٧١، ينظم الاتصال بينها، وينسق أعمالها، لما فيه صلاح اللغة العربية، وصلاح الثقافة العربية والتراث الثقافي العربي.

ويسعدني في هذه المناسبة الطيبة، وأنا أنوب عن السيد الرئيس حافظ الأسد في رعاية احتفالكم هذا، أن أنقل اليكم تحياته القلبية، وتقديره للجهود الكبيرة، التي بذلها المجمع في سبيل اللغة العربية، وفي سبيل العلم والمعرفة، على مدى خمسة وسبعين عاماً، وأمانيه الطيبة، في أن يستمر المجمع في حمل الرسالة، وأداء الأمانة، لما فيه مصلحة اللغة العربية، والثقافة العربية، والأمة العربية.

وإذا كان مجمع اللغة العربية في دمشق، قد أنجز الكثير، وحقق الكثير فهو لايزال يطمح إلى تحقيق المزيد، خدمة للغة الضاد. سواء أكان ذلك في ميدان وضع المصطلح والعمل على توحيده ونشره في البلاد العربية، بالتعاون مع المجامع الأخرى، أم كان في مجال تأليف معاجم عربية حديثة شاملة ومتخصصة تلبي رغبات الدارسين والباحثين.

ولقد لقي هذا المجمع من رعاية السيد الرئيس واهتمامه ودعمه الشيء الكثير، من أجل أن تبقى اللغة العربية لغة العلم والمعرفة، لغة البيان والثقافة في حاضرنا، كما كان عليه حالها في ماضينا الزاهر. والحقيقة التي لامراء فيها، هي أن اللغة العربية هي المقوم الأساسي لقوميتنا العربية. وقد جاء في الأثر عن الرسول الكريم (ﷺ) قوله: «ليست العربية من أحدكم بأم ولا أب إنما العربية لسان». وهي في الوقت ذاته، صلة الوصل بين حاضرنا وماضينا، فبوساطتها انتقل إلينا تراث ثقافي عظيم من الأجداد، وإرث حضاري رائع، وهي صلة الوصل، بين العربي وأخيه العربي على امتداد الأرض العربية. وإذا كانت هذه اللغة، قد تعرضت لما تعرضت له من قبل الخصوم، فإنما كان ذلك منهم، لتقطيع أوصال الأمة العربية في الوقت الحاضر من جهة، وقطع صلة هذه الأمة بماضيها، وتراثها الحضاري والثقافي من جهة أخرى.

وقد تنوعت الوسائل والأساليب، التي حاول بها الخصوم النيل من

اللغة العربية لغة القرآن الكريم. فمن ادعاء بصعوبتها وصعوبة تعلمها، إلى ادعاء بتعقيد نحوها وصرفها، وتعذر الإلمام بهما، إلى القول بعسر كتابتها وتشابك قواعدها الإملائية. ثم من دعوة مشبوهة إلى احلال العامية محلها، لإقامة حواجز دائمة بين أبناء الأمة الواحدة، وتمزيق أوصالها. إلى أخرى تقضي باستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، لقطع الصلة نهائياً بين الحاضر والماضي. إلى الادعاء بأنها لاتتماشى ومقتضيات العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة. إلى آخر ماهنالك من ادعاءات وتخرصات، ودعوات مغرضة، لاتثبت أمام النقد والتمحيص، وبيِّناتِ العلم والمنطق، وتدحضها أية دراسة لغوية مقارنة، بين العربية وأيٍّ من اللغات العالمية المعاصرة الواسعة الانتشار. ولعله من نافل القول، إنه مامن لغة منذ نشأتها، أحاطت إحاطة تامة بمصطلحات علوم الأولين والآخرين، ماظهر منها وما سيظهر بعد مئات السنين. وإنما لكل لغة قواعد تسير عليها، وتلبي الحاجات الحيوية للناطقين بها، وتتمايز اللغات بغنى مفرداتها، وتعدد مترادفاتها، وكثرة مصادرها، وسعة القدرة على الاشتقاق فيها، وخصائصها الأخرى، وللغتنا العربية في هذا المجال القِدْحُ المعلّى، بشهادة علماء اللغة من عرب ومستشرقين منصفين.

وقد صمدت لغتنا العربية، أمام كل المحاولات المشبوهة، التي حاولت النيل منها، وسوف تبقى عنواناً لقوميتنا، ورمزاً لوحدتنا، وينبوعاً ثرّاً لثقافتنا وحضارتنا، بفضل المخلصين من أبنائها، المنافحين عنها، والمتفانين في إعلاء شأنها والعاملين على تعزيزها، بما يجعل منها لغة الثقافة والحضارة في عصرنا، كما كانت لغة الثقافة والحضارة في العصور الذهبية لأمتنا العربية.

ياأيها الرفاق

ياأيهاالاخوة

وإنها لمناسبة طيبة أيضاً، أن يتم الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة

العربية وجماهير شعبنا، تعيش فرحتها الوطنية الكبرى، وهي تحتفل بالعيد الفضي للحركة التصحيحية المباركة، التي قادها الرئيس المناضل حافظ الأسد، في السادسَ عشرَ من تِشرينَ الثاني عام ١٩٧٠، فقد كان التصحيح المجيد نقلة نوعية هامة، ومنعطفاً تاريخياً حاسماً في حياة شعبنا، هلَّلت له الجماهير والتفت حول السيد الرئيس، تمحضه المحبة والوفاء، وتؤكد له الثقة والولاء. وبايعته بيعة صادقة، على أن تتابع بقيادته الحكيمة والشجاعة مسيرة التحرير والبناء، فلقد نعمت الجماهير في ظل التصحيح المجيد، بالاستقرار والأمن والطمأنينة. فتعززت الوحدة الوطنية، وازدادت عرى العلاقة وثوقاً بين قواعد الحزب وجماهير الشعب. كما ازدادت اللحمة بين مختلف فئات الشعب قوة ومتانة. وكانت الجبهة الوطنية التقدمية، من أبرز انجازات الحركة التصحيحية المباركة في إطار تعزيز الوحدة الوطنية. حققت بها سورية سبقا على الصعيدين العربي والدولي في مجال التعددية السياسية والحزبية. وكانت التجربةالجبهوية في سورية، تجربة حيوية مَرِنَةً تزداد غنى وعمقاً باستمرار. وأما الحرية التي أخذت جماهير الشعب، تنعم بها بعد تبلج فجر التصحيح المجيد، فقد غدت سمة للحياة العامة في سورية في عصر حافظ الأسد. وكذلك الديموقراطية فقد أصبحت ممارسة وتقنيناً، واقعاً حياً تمارسه الجماهير، في المؤسسات التي شهدت النور في ظل التصحيح، من مجالس إدارة محلية، ومجلس شعب، ومنظمات شعبية. وتكرست بالدستور الدائم الذي صانت أحكامُهُ، حريةَ المواطن وحقوقَهُ. وأما في نطاق عملية البناء الداخلي، فإن الجهود الكبيرة بذلت لتحقيق تطور الوطن وتقدمه، في مجالات الزراعة والصناعة والمرافق والخدمات وما إليها، ولقد تحقق خلال ربع القرن الماضي، كثير من الانجازات في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي، وأخذ المواطنون يشهدون بناء سورية الحديثة، يسمو سامقاً في

عهد بانيها الرئيس القائد حافظ الأسد.

وكانت حرب تشرين التحريرية المجيدة في ١٩٧٣/١٠/٦، التي قادها السيد الرئيس حافظ الأسد، القائد العام للجيش والقوات المسلحة، خطوة ثابتة على طريق تحرير الأراضي العربية المحتلة، واسترجاع الحقوق القومية المغتصبة. وفي مقدمتها الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني في العودة، وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني. فقد سجلت فيها قواتنا المسلحة الباسلة، صفحة ناصعة في سجل المجد العربي. وضربت أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والفداء، وهي تتصدى للقوات الاسرائيلية براً وبحراً وجواً. وقد أعادت تلك الحرب الثقة إلى النفوس، ثقة المواطن العربي بقدرة الجندي العربي، على استيعاب تقنيات الحرب الحديثة، والقتال بكفاءة عالية، وتحقيق النصر. وأحدثت في قلب الكيان الصهيوني زلزالاً هزه من الأعماق، وأثبتت للجميع أن الحق العربي لايمكن أن يموت أبداً. وتابعت سورية نضالها في سبيل استرداد الأرض واسترجاع الحقوق، وتحقيق، السلام الشامل والعادل، الذي هو هدف استراتيجي لسورية، تسعى إلى بلوغه، وفق صيغة مدريد، وقرارات الشرعية الدولية ذوات العلاقة، وبخاصة قرارات مجلس الأمن الدولي، ذوات الأرقام/٢٤٢- ٣٣٨- ٤٢٥/. ومبدأِ الأرض مقابل السلام، ومقولةِ السلام الكامل مقابل الانسحاب الشامل إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ من جميع الأراضي العربية المحتلة ومن جنوب لبنان. بما يكفل الأمن والاستقرار للجميع في المنطقة. وإذا ماكان ثمة حاجة لترتيبات أمنية فيجب أن تكون على جانبي خطوط الرابع من حزيران، وينبغي أن تكون متوازية ومتقابلة ومتكافئة ومتساوية. ولكن إذا كانت عملية السلام بالرغم من مضي مايزيد على أربع سنوات على بدئها، لم تحقق أي تقدم. فهذا يعود إلى مراوغة اسرائيل

ومماطلتها، وعدم جديتها، ووضعها العوائق المصطنعة في طريق العملية السلمية، لتحول دون بلوغها أهدافها. يدفعها إلى ذلك شعور بالصلف والغطرسة، قائم على ماتمتلكه من أسلحة نووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، وماتلقاه من دعم خارجي غير محدود. كما أن لدى اسرائيل رغبة قوية في الهيمنة والتسلط، والاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة. وهي ماضية في سياسة تهويد الأراضي العربية المحتلة، بإقامة المزيد من المستوطنات عليها وتوسيع القائم منها، واستقدام المزيد من المستوطنين. ويصرح قادتها بين حين وآخر، بأن لاعودة إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، وبأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. وتسعى اسرائيل سعياً حثيثاً للتحكم بمقدرات المنطقة العربية، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، والهيمنة عليها حتى حين، في ضوء صياغة جديدة لها بمسميات جديدة هي الشرق أوسطية، تحاول من خلالها طمس الهوية القومية للمنطقة العربية، ودفع المصير العربي في متاهات الضياع.

هذا ولمواجهة الأخطار التي تستهدف الأمة العربية، والتحديات التي تتعرض لها، كان العمل الوحدوي شغل سورية الشاغل، لأن في الوحدة قوة للأمة العربية، وهي قدرها الذي لامناص منه في النهاية. وإذا كانت المحاولات التي تمت خلال الحقبة الماضية لم تنته إلى تحقيق ماتصبو إليه الجماهير العربية، فإن ذلك لن يثبط من عزيمتنا، وستبقى سورية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد، ترفع لواء الوحدة وتقود النضال الوحدوي، حتى ترفرف أعلام الوحدة العربية على امتداد الأرض العربية من المحيط إلى الخليج.

وكذلك كان سعي سورية الدؤوب، لتحقيق التضامن العربي، الذي يمكّن الأمة العربية، من مواجهة التحديات، والتصدي للأخطار التي تتهدد الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها. وكم من مرة قرع فيها السيد الرئيس

ناقوس الخطر، مبيناً مايمكن أن ينجم عن الفرقة والتنافر من آثار سلبية، تنعكس على حاضر الأمة ومستقبلها، ولا يزال التضامن العربي في أي مستوى من مستوياته هدفاً لسورية تسعى إلى بلوغه، وتعمل على تحقيقه، صوناً للمصير المشترك للأمة العربية .

يا أيها الرفاق

يا أيها الاخوة

إن سورية بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد، أصبحت قوة إقليمية كبرى، يحسب لها كل حساب في أي شأن من شؤون المنطقة، أو أية قضية من قضاياها، واحتلت مكانة اقليمية ودولية هامة، بفضل القيادة الحكيمة والشجاعة للرئيس القائد، ونظرته الاستراتيجية الموضوعية البعيدة المدى لمختلف الشؤون. وسوف تواصل جماهير الشعب، مسيرتها الظافرة، مسيرة التقدم والاشتراكية، مسيرة الحرية والديموقراطية، بقيادة قائد المسيرة السيد الرئيس حافظ الأسد، أمل الأمة، ورمز عزتها وكبريائها، حتى تتحقق تطلعاتها الوطنية وأهدافها القومية الكبرى.

وفي الختام أتمنى لمجمعكم تحقيق مزيد من التقدم في حمل الرسالة وأداء الأمانة، وهو يواصل بذل جهوده الكبيرة في خدمة اللسان العربي والأمة العربية، كما أتمنى لكم اطّراد النجاح والتوفيق.

والسلام عليكم .

كلمة

الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

الرفيق الدكتور محمد زهير مشارقة

نائب رئيس الجمهورية- ممثل راعي المهرجان السيد الرئيس حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، رئيس الجمهورية العربية السورية

الرفاق أعضاء القيادة القومية والقطرية

الرفاق أعضاء الجبهة المركزية

أيها الحفل الكريم :

انها لسعادة غامرة أن نحتفل بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية، أول مجمع أنشئ في الوطن العربي بعد زوال الهيمنة التركية وأن يكون مقره في سورية البلد العربي الذي ضرب المثل الصحيح في التعريب في جميع مراحل التعليم والتي ماتزال النموذج والقدوة للبلاد العربية الأخرى في هذا المضمار، وأن يتزامن هذا الاحتفال مع أفراح شعبنا بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام الحركة التصحيحية التي قادها السيد الرئيس راعي العلم والعلماء والذي أولى مسيرة التعليم عامة وتعليم اللغة العربية خاصة كل اهتمام حيث يقول سيادته (لغتنا هي عنوان هويتنا) .

ان هذا التوافق بين العيدين يحمل في طياته التعبير المفصح عما يكنه السيد الرئيس حافظ الأسد من تقدير وحب للغة العربية وتكريم لعلمائها

لأنهم بصبرهم وإخلاصهم وجهدهم الدؤوب يحققون التواصل مع الحياة المعاصرة والمتطلبات الجديدة .

أيها الحفل الكريم :

لقد اتخذ السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية العلم ظهيراً ونصيراً وتعليم الإنسان منطلقاً وركيزة في سورية فجاءت الحركة التصحيحية تطويراً للعلم وتوسعاً فيه وتصويباً لمساره ونقلة نوعية في محتواه .

وانها لسعادة لنا أن يشاركنا في احتفالنا هذا رؤساء وأعضاء مجامع اللغة العرب وخبراء لغويون وعلماء باحثون إلى جانب اخوتهم من المجمعيين السوريين .

أهلاً بكم باحثين وعلماء لغة في سورية الأسد التي أضحت في أيامه الغر حاضنة الفكر ورجال العلم ومعقل البطولة .

أهلاً بكم وأنتم تعززون العربية ، أهم معالم الشخصية القومية لغة الضاد وتحافظون عليها وتظهرون خصائصها النادرة، في الاشتقاق والتصريف وتنويع الدلالات ومرونة الاستجابة وجمال الايقاع، وانكم تبرهنون من خلال أنشطتكم أننا لسنا أمة تستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون وإنما نتمرس علوم العصر ونواجه الغزو الثقافي والقيم المتضاربة والتحديات العلمية التي أضحت من خصائص العصر ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين .

بوركت ثمرات عقولكم الخصبة وأنتم تصونون العربية وتستثمرون طاقاتها وتحملون رسالة العربية في ضمائركم وأقلامكم وتتعهدونها لتبقى لغة الحياة، لغة الثقافة والمعرفة، لغة الأدب والعلم .

أيها الجمع الكريم :

ماكان لطلبتنا أن ينعموا بما تحقق لهم من منشآت جامعية وسكن طلابي وقروض مصرفية، وأن يتاح لهم التدريب العلمي لاكتساب المهارات اللازمة وأن يعيشوا صدق الانتماء وعمق الالتزام لولا إيمان السيد الرئيس حافظ الأسد بديمقراطية التعليم مبدأ ومجانيته أساساً وعروبته انتماء، وماكان للجامعات والمعاهد والمؤسسات في سورية أن تعتمد العربية لغة التعليم فيها لولا إيمان السيد الرئيس بأن اللغة هي السبيل لتخليص الأمة العربية من التبعية العلمية والسياسية واسترداد مكانتها في تاريخ العلم والحضارة إذ يقول (إن الحرص على سلامة اللغة يجب أن يبدأ من الصفوف الابتدائية وأن يزداد مع ارتفاع مستوى التعليم) وما المرسوم /٧٥٩/ سبع مائة وتسعة وخمسون القاضي بتدريس اللغة العربية في جميع سنوات الدراسة الجامعية إلا دليل حي على إيمان سيادته بما للغتنا من دور قومي في توحيد كيان الأمة ورفعة شأنها وتأصيل هويتها وتأكيد انتمائها وتوثيق الروابط والوشائج بين دولها وأن تكون اللغة العربية لغة العلم والبحث والحياة اليومية بحيث أضحت جامعاتنا رائدة في التعريب، تعريب اللسان والتفكير والممارسات في أدق تفاصيل حياتنا اليومية .

وما كان لسورية أن يتوفر لها هذا العدد من المجمعيين والاختصاصيين اللغويين والباحثين لولا نظرة السيد الرئيس حافظ الأسد القومية ونهجه الوطني الصادق وقراءته الواعية لحقائق العصر وحرصه على أن تكون سورية حاضنة الفكر ومنارة العلم وموئل العلماء .

ويكفي من خلال المعطيات والأرقام التي قطعتها مسيرة مجمع اللغة العربية في الخمسة والعشرين عاما من عمر الحركة التصحيحية المباركة أن نبين الانجازات والمناشط، فما تحقق من بناء صرح حضاري كبير للمجمع

وأنشطة علمية من أبحاث وندوات وتعريب المصطلحات ومحاضرات واحياء وتحقيق ونشر لكتب التراث وإقامة معارض، وإعداد المشروعات والمعجمات وغيرها يبلغ أضعاف ماتحقق للمجمع في الخمسين عاما قبل التصحيح .

أيها الإخوة الحضور

ونحن نحتفل بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية لابد أن نذكر بكل إجلال وإكبار العلماء أعضاء المجمع الذين أحبوا اللغة العربية وجهدوا في تبيان خصائصها وكشف أسرارها وكانوا قدوة الباحثين في الحيوية والنشاط والهمة العالية والانتاج العلمي الجاد والأصيل فالى من بقيت جذوة الحياة متقدة في اعمارهم إلى آخر يوم من حياتهم كل التجلة والاحترام وإلى رئيس المجمع وأعضائه الحاليين التقدير الكبير وهم يكرمون العلماء ويعملون لتحقيق الرابطة العلمية وتعزيزها قوة ومكانة وترسيخ القيم الايجابية والسلوك الأخلاقي لما فيه المزيد من العطاء والرفعة للوطن .

أيها السادة

لقد وجه سيادة الرئيس حافظ الأسد إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية والاهتمام بالبحث العلمي الذي هو المدخل الحقيقي إلى علوم العصر والسبيل إلى تحقيق أهدافنا القومية واستئناف دورنا الحضاري حيث قال :

(اننا جميعاً مسؤولون عن الحفاظ على اللغة العربية وعلى قواعدها لأن رابطة اللغة من أهم الروابط) .

وأكد ضرورة التحلي بالصبر وتجنب اليأس وأن لانسمح لأحد باللعب بمقدساتنا وطمس مشاعرنا العربية وهويتنا القومية، فالحفاظ على هويتنا العربية ضورة لمواجهة محاولات التغريب والاستلاب، ويجب أن

تكون لنا وقفة تجاه الأمور الأساسية التي تشكل خطراً على الشعب أو على المصلحة القومية .

الشكر لكل من ساهم وشارك بجهد علمي أو تنظيمي في التحضير لهذا الافتتاح ليكون لائقاً ودليلاً على المستوى العلمي والحضاري الذي وصلت إليه سورية الأسد في مسيرة البناء والتقدم والازدهار .

وباسم وزارة التعليم العالي نرفع إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد حامي حمى اللغة العربية ذروة الفصاحة قولاً وتوجيهاً وأصالة بطل السيف والعلم مطوق العلماء بعطاءاته ، وقائد مسيرتنا المظفرة الذي يواجه الأحداث بالحكمة والشجاعة ليبقى الإنسان العربي عزيزاً كريماً وليبقى الوطن حراً مصونا، أسمى آيات الولاء والوفاء .

ونضع بين يديه الكريمتين باقة خضلة عطرة من مشاعر المحبة والفخر والاعتزاز وهو يخط للأمة سطر البقاء والصمود .

وعهداً أن نكون مخلصين للعربية التي تحبون وأوفياء لنهجكم السديد نسعى للأفضل ونصبو للأمثل، تحدونا العزيمة ويشحذنا التصميم عملاً بتوجيهاتكم حيث قلتم :

(لنرتقي بعطاءاتنا إلى مستوى تحقيق الأهداف)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

ممثل راعي الحفل السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

السادةُ أعضاء القيادة ـ السادة أعضاء اللجنة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية ـ السادة الوزراء ـ السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي ـ السادة العلماء ـ السادة الضيوف

أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن تحية، وأرحب بكم أجمل الترحيب وأخلصه، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور، وأُثني الثناء العطر على السادة الأساتذة المشاركين الوافدين الذين تجشموا وَعْثاء السفر، ومشقة الانتقال. فأهلاً بكم في بلدكم دمشق، على الرحب والسعة. قَدِمتم خير مقدم.

لقد جمعتنا اليوم مناسبة هامة، عزيزة على قلوبنا، أثيرة لدينا، تلك هي الاحتفاء بذكرى مرور خمسة وسبعين عاماً على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق، المجمعِ الرائدِ في البلاد العربية، والذي كان ، بنشاطه الدائب، وجناه الطيب، القدوةَ الحسنة لتأسيس مجامع في البلدان العربية الشقيقة، بلغت، بحمد الله، ثمانية مجامع، ونأمل أن تتلوَها مجامع أخرى.

وحين أستعيد ذكرى تأسيس المجمع تمر أمام عيني طيوفُ الماضي، يوم رفرفت الرايةُ العربية في سماء دمشق في مطلع تشرين الأول سنة ١٩١٨م، بعد

غياب طويل، فعمت البهجةُ بلاد الشام بانزياح الهيمنة العثمانية، وتولّت الحكومةُ العربية زمام الأمور، فألتفّت حولها القلوب، وتطلع أبناء الوطن، والشوق يهزّهم، والحماسة تملأ نفوسهم، إلى عودة المجد العربي، وقيام الدولة العربية التي تجمع شمل العرب في شتى ديارهم، ليستأنفوا مسيرة النهضة، ويصنعوا حاضراً يليق بماضيهم المجيد.

وواجهت الحكومةُ العربية فيما واجهته من قضايا ومشكلات أن اللغة التركية كانت لغةَ الدولة الرسمية، فلم يكن بُدٌّ من تعريب لسان الدولة، وإحلال اللغة العربية محل التركية في مؤسسات الدولة، وفي مدارسها وجامعتها.

وبدأت الحكومة خطوتها الأولى، فوكلت هذه المهمة إلى شعبة الترجمة والتأليف، ثم إلى ديوان المعارف، فكانت الأعباءُ والمهمات أثقل من أن ينهضا بها على ما بذلا من جهد، وما قدّما من عمل جليل، مما دعا الحكومة إلى إنشاء المجمع العلمي العربي في ٨ / ٦ / ١٩١٩م، وكان الأعضاء المؤسسون ثمانية (وهم الأستاذ محمد كرد علي، والشيخ أمين سويد، والأستاذ أنيس سلوم، والشيخ سعيد الكرمي، والشيخ عبد القادر المغربي، والأستاذعز الدين علم الدين التنوخي، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف، والأستاذ متري قندلفت). ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية في تشرين الأول١٩١٩م[1] . وتولى الأستاذ محمد كرد علي رياسة المجمع.

---

(١) مجلة المجمع، مج ١، ج١ /ص ٢، ٦، مج ٢، ج ١٢/ص ٣٥٥ - ٣٥٦، مج ٤٤، ج ١ -٢ / ص ١٥٧، تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح: ٧- ٨،

وكانت مدة عضوية الشيخ طاهر الجزائري في المجمع قصيرة، فقد عاد من مصر إلى دمشق في تشرين الأول ١٩١٩، فأجمع أعضاء المجمع على ضمه إليهم. ولكن المجمع توقف في أول كانون الأول ١٩١٩م لضائقة مالية، ولم يعد إلى نشاطه إلا في ٧ أيلول ١٩٢٠م. وكان الشيخ طاهر قد توفاه الله في الخامس من كانون الثاني ١٩٢٠م. (مجلة المجمع، مج١، ج١ / ص٥، ١٧، مج٢، ج١٢ / ص ٣٥٥ - ٣٥٦، مج٨، ج١ / ص١، ج ١٠/ ص ٥٨٥، تاريخ المجمع العلمي العربي: ٢٣٥).

وكانت دائرة عمل المجمع في مرحلته الأولى واسعة:

فإلى جانب اهتمامه بوضع المصطلحات للمستحدثات العصرية، وإصلاح لغة الكتب، ونشر التراث، وتهذيب لغة الدواوين، وتصحيح الأغلاط الشائعة، والنظر في تيسير طرق تعليم اللغة، والارتقاء بالأساليب، والخروجِ بها من مضايق الركاكة والتصنع إلى باحة الفصاحة وحسن الأداء والبيان ،

فقد كان من مهامّه أيضاً العنايةُ بالآثار والتنقيبُ عنها، وجمعُها والمحافظةُ عليها. وكان يتولى الإشراف على الكتب المؤلفة للمدارس، ويصحح لغتها.

وأخذ نفسه بإلقاء المحاضرات العامة في الموضوعات المختلفة لتثقيف الجمهور والارتفاع بمستواه.

ونجح المجمعُ في مسعاه القريب في التعريب، وفي تقويم الأساليب، بفضل مالقيه من حماسة الناس واندفاعهم، ومن تعاون أساتذة الجامعة الذين نهضوا بمهمة التعليم والتأليف بالعربية في الجامعة.

وهكذا استطاعت بلادُ الشام في مدة وجيزة أن تحقق مايشبه المعجزة، فغدت مؤسساتها ودواوينها تستعمل العربية، وأصبحت المدارس والجامعة تعلّم بالعربية ، واستعادت العربية نضارتها وإشراقها، واستردت جمالها ورونقها بعد شحوب.

ـ وأصدر المجمع في مطلع عام ١٩٢١م مجلته لتكون مرآة أعماله ونشاطه. فكانت تنشر الدراسات التي تتناول قضايا اللغة، وطرق تطويرها، لتستجيب لمتطلبات العصر، وتعرضُ لبحث الأساليب المفضلة في وضع المصطلح والتدقيق في اختياره. ويتراءى على صفحاتها جملة من مختار المحاضرات التي كانت تُلقى في رحاب المجمع، إلى جانب دراسات مختلفة في

تيسير تعليم العربية واصلاح الخط. وأولت المخطوطات العربية النفيسة اهتماماً بالغاً، فعرّفت بها، وبادرت إلى نشر طائفة منها.

ونالت المجلة شهرة واسعة في الأوساط العلمية، وكانت وسيلة المجمع الأولى لتوثيق صلاته بالمؤسسات اللغوية والعلمية والجامعات والمكتبات في البلاد العربية، وفي بلدان كثيرة في آسيا وافريقيا وأوربا. وشارك في تحرير مقالاتها علماء أجلاء في الوطن العربي وخارجه.

وأصبحت مجلةُ المجمع السجلَّ الصادق والشاهد الحي للحياة الفكرية والثقافية التي كانت تمور بحواراتها ومناقشاتها لتستثير في النفوس الظمأَ إلى المعرفة، والارتواء من ينابيعها، ولتؤصّل قاعدة أساسية مؤداها أن لغة الأمة هي وسيلتُها المثلى لإرساء نهضتها العلمية، وقاعدتُها الصلبة لازدهار حضارتها.

وها هي ذي مجلة المجمع، ما تزال ماضية في طريقها منارةً هادية تتابع أداء رسالتها في تبيان مزايا العربية، والكشف عن خصائصها، والدعوة إلى تطويرها، ونشر الدراسات والبحوث التي تتناول أصولها، أو تؤدي إلى تقدمها.

وقد بلغت عِدّةُ مجلداتها هذا العام سبعين مجلداً، فيها الكثير الطيب المفيد.

ولقد أفاد المجمع من تجربته وممارسته العمل في سنواته التسع الأولى، وكان صدور القرار رقم ١٣٥ في ٨ / ٥ / ١٩٢٨م الذي تضمن القانون الأساسي للمجمع[٢]، مفتتح صفحة جديدة في حياته، فقد رفع أعضاءَ المجمع العاملين إلى عشرين عضوا، وجعل المحور الأساسي لنشاطه: حفظ اللغة العربية **وترقيتها**.

ودأب المجمع جاهداً يعمل دون كلال للمحافظة على سلامة اللغة

---

(٢) مجلة المجمع، مج ١٢ ج ١١- ١٢/ ص ٧٦٥- ٧٦٨.

وتنميتها، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة. ويتخذ من الوسائل ما يسعفه في طَلِبته.

ومما يندرج في نشاط المجمع حرصه على إقامة حفلات التكريم والتأبين للعلماء والأدباء والشعراء العرب.

وكان من أبرز من كرّمهم: أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، ومحمد الهراوي.

وكان من أبرز من أبّنهم: الشيخ طاهر الجزائري، وأحمد كمال باشا المصري، ومحمود شكري الألوسي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، ومحمد رشيد رضا.

ثم أقام مهرجانين كبيرين هما مهرجان المتنبي (١٩٣٦م)، ومهرجان المعري (١٩٤٤م) فكانا ذروة الاحتفالات الهامة التي ضمت أدباء العربية وشعراءها وكبار مفكريها.

ومضى المجمع على سَنَنه يوالي نشاطه في خدمة العربية، وإحياء التراث، وإلقاء المحاضرات ووضع المصطلحات، فنشر طائفة من كتب التراث، وصنع فهارس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، وأصدر جملة من المعجمات والمؤلفات التي تتصل بأهداف المجمع، وتُعين على تحقيق أغراضه، وشارك في الندوات والمؤتمرات العربية والدولية.

وكان للأواصر التي انعقدت بينه وبين البلدان العربية بمؤسساتها اللغوية والثقافية الشأن الكبير في توجهها لإنشاء مجامعها. فأنشأت مصر مجمعها (سنة ١٩٣٢م)، وتبعها العراق الذي أسس مجمعه (سنة ١٩٤٧م). وقامت المجامع الثلاثة تؤدي مهماتها في العناية باللغة والعمل على تطويرها، وتابعت جهودها في وضع المصطلحات التي تقابل المستحدثات العصرية، كي تظل العربيةُ المبينة مواكبة لركب الحضارة، نترجم بها علوم

الغرب الحديثة، ونعلّم بها ونؤلّف. كما قدّمت هذه المجامع دراساتها وبحوثها في تطوير العربية، وإيجاد الوسائل التي تساعد على تنميتها وتيسير تعلمها.

ولم يكن بدٌّ من إقامة تعاون بين المجامع الثلاثة ينسّق جهودها في العمل «على ترقية اللغة، والمحافظة على سلامتها، مع مسايرتها للحياة». فتمّ عقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق (٢٩ / ٩ - ٤ / ١٠ / ١٩٥٦م) بدعوة من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وكان من أبرز توصياته تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية لينظم الاتصال بينها وينسّق أعمالها، ويكون المرجع في توحيد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية، ونشرها [٣].

ثم قامت الوحدة بين مصر وسورية، فصدر قرار وزاري (رقم ٥٤٠ تاريخ ١١ / ٦ / ١٩٥٨م) ينسق العمل المشترك بين المجمعين. ومهّد هذا التنسيقُ للخطوة التالية، وهي توحيد المجمعين بقرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة (رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠م). وكان لتجربة المجمعين الغنية أثرها المفيد في صوغ القرار الناظم لأمور المجمع الموحّد، ليكون الاستجابة الصادقة لمطالب المرحلة ومستجداتها، ولتظل العربية لغة العصر المطواع تلبي مايراد منها.

واختير للمجمع الموحد اسم مجمع اللغة العربية. واحتفظ مجمع دمشق بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ، بدل اسمه الأول: المجمع العلمي العربي.

وظلّ مجمع دمشق وفياً لفكرة تأسيس اتحاد المجامع يطالب بها ويدافع عنها لإيمانه بضرورة التنسيق بين المجامع، وتوحيد المصطلحات. فلما

---

(٣) مجلة المجمع، مج ٣١، ج٤ / ص ٦٨٧ - ٦٨٨، مج ٣٢، ج ١ / ص ٣ - ٢٢٦، ج٢/ ص ٣٩٥ - ٣٩٩، ج ٣ / ص ٥٥٣ - ٥٥٦ .

تضافرت الدواعي ليتم تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية في عام ١٩٧١م كان من شهود جلسة التأسيس. وتتلخص أهداف الاتحاد في تنظيم الاتصال بين المجامع، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها(٤).

ضمَّ الاتحاد في بدء تأسيسه مجامع القاهرة ودمشق وبغداد، فلما أُسس مجمع اللغة العربية الأردني (عام ١٩٧٦م) انضم إلى الاتحاد عام ١٩٧٧م. ثم أُسس مجمعا تونس والخرطوم عام ١٩٩٣م، وأُسس بعدهما مجمعا طرابلس (الجماهيرية الليبية) والقدس عام ١٩٩٤م، فأصبحت المجامع ثمانية، ونأمل أنْ تسارع الدول العربية الأخرى لإنشاء مجامعها اللغوية.

وقد عقد الاتحاد حتى الآن تسع ندوات، ودرج على أن يكون لمعجمات المصطلح التي تُعدّها المجامع والمؤسسات العلمية جانب كبير من عنايته واهتمامه في تلك الندوات، لما لذلك من شأن في تيسير تعريب التعليم العالي. وقد صدرت عن هذه الندوات توصيات هامة. منها مايساعد على تيسير تعليم اللغة العربية، وبيان الطرق المسعفة لنشر اللغة الصحيحة بين الطلاب والجماهير، والتخفف من العامية. ومنها ما يدعو إلى العناية بوضع المعجمات التعليمية المدرسية، والمعجمات المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية والحضارية، على أن تكون ثلاثية اللغة، بالعربية والانكليزية والفرنسية، والتوسع في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها واشاعتها، والاهتمام بترجمة الكتب العلمية، واستخدام الحاسوب لجمع كل ما صدر من مصطلحات في العصر الحديث توطئة لتوحيد المصطلح، وتأليف

(٤) مجلة المجمع، مج ٤٦، ج٢/ ص ٤٤١- ٤٤٢، ج٣/ ص ٥٩٣- ٥٩٨، مج ٤٧، ج٢/ ص ٤٦١ .

المعجم الموسوعي الشامل.

وإننا لنرجو لاتحاد المجامع أن يكون غده خيراً من يومه، فيغدوَ أقوى على النهوض بمهمة توحيد المصطلح ونشره، وهي أولى مهماته وأغلاها . وسنبذل جميعاً قصارى جهدنا، ونقدم أفضل ما نقوى عليه، لنبلغ الهدف الذي ننشده من نهوض الاتحاد بمهماته على خير وجه.

وبعدُ

فإن الحديث عن مجمع دمشق حديث يطول، فهذا المجمع الرائد قد نضا خمساً وسبعين سنة من سنوات عمره، وهو يعمل دائباً في الحفاظ على العربية المبينة، وإنه ليأمل أن يكون في سنواته المقبلة أكثر عطاء، وأعظم نفعاً، وأن يزداد تعاونه مع المجامع الشقيقة ومع اتحاد المجامع (نرمي جميعاً ونرامي معاً) لتغدو العربية لغة العلم والبحث في كل أرجاء الوطن العربي، نعلّم بها في كل مراحل التعليم، ونؤلف، ونترجم، ونعمل بصبر وتفانٍ لإنبات العلم في أرضنا العربية.

وإننا لنلمح في جوانب الأفق بوارق أمل تشف عن مستقبل واعد.

ويقتضينا الوفاءُ ونحن نتحدث عن مجمع دمشق أن نذكر بالتجلة والتقدير جهودَ رئيس المجمع المؤسِّس محمد كرد علي (١٨٧٦ - ١٩٥٣م) الذي وقف حياته يذود عن المجمع، ويُرسي من دعائمه، حتى علا بنيانه سامقاً. تولّى رئاسته عام ١٩١٩م، وظل في رئاسته يواكب مسيرته ويرعاه باهتمامه حتى وافته منيته عام ١٩٥٣م. وكان من تمام الاعتراف بما أسداه إلى المجمع احتفالُ المجمعيين عام ١٩٧٦م بالذكرى المئوية لولادته.

وتتالى على رئاسة المجمع الأساتذة: خليل مردم بك (١٩٥٣ - ١٩٥٩م)، والأمير مصطفى الشهابي (١٩٥٩ - ١٩٦٨م)، والدكتور حسني سبح (١٩٦٨ - ١٩٨٦م). وقدّم كلٌّ منهم أفضل ما لديه ليتابع

المجمع مسيـرته، وينهض بمهامه على خـير وجه. فلهم جميعاً ولإخوانهم من المجمعيين الذين كانوا عضداً لهم وعوناً في أعمالهم كلُّ تقديرنا وإكبارنا.

* * *

وإنه لمن يمن الطالع أن يكون احتفالنا بالعيد الماسي للمجمع، والشعبُ في أوج أفراحه وابتـهاجه احتفاءً بالـعيد الفضي للحـركة التصحيحـية المجيدة التي قادهـا الرئيس المناضل حافـظ الأسد، والتي حققت بـتوجيهاتـه السديدة الانجازات الكبيرة، وأهابت بالجماهير أن تلتف حول قائدها المظفر في معركة البناء والتحرير والسلام.

إن الحركة التصحيحية المجيدة قـد افتتحت صفحة جديدة في تاريخنا، وتناولت بالتصحيح كـل جوانب حياتنا السياسية والاقتصـادية والاجتماعية، وحقـقت المنجـزات الباهرة في كـل المجالات، ورفعـت راية القومـية العربـية عاليـاً، وشيدت لسـورية العربيـة مجدها البـاذخ، وبناءها السـامق بين الدو ل حتى غدت رمز الشموخ والصمود والتمسك بالحقوق.

فلا عـجب أن ينـال مجـمع اللغـة العـربية مـن عطاءات القـائد المظـفر القسطَ الأوفـى. لقد عُرف السيـد الرئيس بحبه لـلعربية وإعزازه لهـا ودعوته إلى التمـسك بها، والحفـاظ عليها، فهـي عنوان هويتنا، وتجسـيد شخصـيتنا، وسجل مآثرنـا، ومستودع ذخائرنا، وعـماد وحدتنا، والعاصم لنـا من التفرق والشتـات. وما أكثـر أيادي السيـد الرئيس علـى العربيـة. لقد أولاها الرعـاية والاهتمام، وأحـلَّها المحلَّ الأرفع، ووجّه لمزيد من الـعناية بها، واتقان تعـلمها. ثم أصـدر التشـريعات بزيادة سـاعات تدريـس اللغتـين العربيـة والأجنبيـة في الجامعات، ليكون الطلاب أقدر على التعبير بالعربية، وأقوى على فهم اللغات الأجنبية ومطالعة كتبها.

وما أنس لا أنس مالقيه مجمع اللغة العربية من رعاية السيد الرئيس الذي تفضل فاستقبل رئيس المجمع والمجمعيين في التاسع عشر من شهر أيار سنة ١٩٧٣[٥]، وتحدّث إليهم عن مكانة اللغة العربية وتراثها في حفظ وحدة الأمة العربية واتصال حاضرها بماضيها المشرق. وأكّد لهم تصميم القطر العربي السوري على الالتزام بالعربية في التدريس في كل مراحل التعليم، لأنها المقوم الأساسي في قيام النهضة العربية وإرساء دعائمها. وأبدى السيد الرئيس تقديره لرسالة المجمع وعمل المجمعيين في حماية اللغة وتنميتها وإحياء تراثها. واستمع إلى ما عرضه رئيس المجمع من شؤون المجمع، فأمر بدعم ميزانيته، وتوسيع ملاكه، وبناء مقرّ له جديد، يوازي مكانته العلمية، ليأتي عمله في مستوى المهام المنوطة به.

لقد عزّز السيد الرئيس مكانة المجمع، وفتح أمامه آفاقاً ليكون أقدر على القيام بمهماته، وتأدية أغراضه. وبفضله تمّ تشييد بناء المجمع الجديد الشامخ، ففسح لنا في توسيع عملنا وتنظيمه.

فللسيد الرئيس راعي العلم والعلماء، وراعي العروبة والعربية نرفع آيات الحمد والثناء.

* * *

إننا، ونحن نحتفل بعيد المجمع الماسي، لنتطلعُ إلى غدٍ أكثر إشراقاً، ونتوق إلى تحقيق أمور تقتضيها طبيعة المرحلة المقبلة.

لقد فتحت لنا الحركة التصحيحية المجيدة الأبواب العريضة، فلنتقدم بخطاً ثابتة، يظلّلنا الأمل الأخضر، نخطط لما نريد أن ننهض به، كي نواجه مطالب المرحلة. وإننا لواثقون بأن النجاح سيكون حليفنا.

---

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية : مج ٥٠، ج ٤، ص ٩٢٨.

إن من وسائل ترقية العربية وتيسير السبل لمعرفتها وإتقانها:

تأليفَ معجمات عربية حديثة، تلبّي رغبات القراء: طلاباً ومثقفين وعلماء، وتأليفَ المعجمات المتخصصة في المصطلح، على أن تكون ثلاثية اللغات (عربي - انكليزي - فرنسي)، ومشفوعة بشرح صغير يفسر دلالة الألفاظ والمراد بها.

ومن مهمات المجمع أن ينهض بتحقيق معجم أو أكثر من أمهات المعجمات العربية التي لم تنشر، أو لم تحظَ بعدُ بطبعة محققة.

ومن مهماته أن يُعدَّ العدة لتأليف المعجم العربي الشامل

ثم لا بدّ من رسم خطة محكمة للتعاون مع مختلف المجامع تعاوناً فعالاً مجدياً، ولرفع مستوى أداء اتحاد المجامع كي يكون أكثر فاعلية وجدوى. وكذلك الاتصال بالمؤسسات العلمية واللغوية الأخرى التي تُعنى بوضع المصطلح لرسم الخطوات الدقيقة والناجحة لتوحيد المصطلح ونشره في أقطار الوطن العربي.

إن الخطر الكامن هو في تعدد المصطلح العربي إزاء مقابله الأجنبي مما يؤدي إلى الفوضى والارتباك. وينبغي أن تقوم صلة وثيقة بين الجهات التي تتولى وضع المصطلح لتنسيق العمل، والاتفاق على مرجعية واحدة تتولى توحيده ونشره.

وتبقى بعد ذلك أمور أخرى كان قد سبق بحثها ولم يُتَّخذ شيء حاسم بشأنها، فلا بد من معاودة النظر واستكمال الدراسة على هدي ما تم، وتبين الأسباب التي حالت دون المتابعة والإنجاز.

ويأتي في مقدمة تلك الأمور التي تحتاج إلى الدراسة والمتابعة:

العناية بتيسير تعليم النحو والصرف، والاهتمام بإصلاح الخط (الإملاء)، والتوسع في الإفادة من التقنيات الحديثة في تعليم العربية.

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

نائب رئيس مجمع القاهرة، ممثل الوفود المشاركة في الحفل

السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

السيدة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ـ السيدات والسادة

إنه ليشرفني ويسعدني أن أهنئ باسمي وباسم الوفود العربية مجمع اللغة العربية الدمشقي بعيده الماسي وبما قدم للأمة والفصحى من أعمال قيمة لغوية وعلمية وأدبية. وإنه لمجمع عظيم تأسس سنة ١٩١٩ أيام كان الاستعمار مطبقا على بلداننا العربية ناصباً حَبائله الماكرة الخبيثة على الأمة ولسانها العربي محاولاً بكل جهده أن تطغى لغته على الفصحى في التعليم أو أن تطغى عليها العامية، إذ كان يعرف أن الفصحى هي العروة الوثقى التي تشدُّ أبناء الشعوب العربية برباط يصل حاضر الأمة جميعِها بماضيها ومستقبلها كما يصل مشرقها بمغربها، وهو يريد لتلك الأمة أن تتمزَّق وأن تصبح الفصحى فيها غريبة على أبنائها.

وفي هذه الأثناء تطلعت الفصحى إلى دمشق التي طالما ازدهرت على ألسنة أبنائها والتي حَمتْها أيام غارات التتار والصليبيين، ومَدَّتْ إليها دمشق يدها فأسست لها هذا المجمع اللغوي المبارك الشاغل لمكانة الصدارة من مجامعنا اللغوية التي نَذَرت أنفسها للنهوض بلغة الضاد وجعلها وافية

بمطالب العلوم والفنون والحضارة الحديثة، مع العمل على صيانة التراث العربي وتحقيق كنوزه وتقديمها إلى شباب الأمة ليطلعوا على ابتكارات أسلافهم وفلسفتهم وأفكارهم العلمية السَّدِيدة التي أضاءت لأوربا مسالكها إلى حضارتها الغربية الحديثة.

وأنا ـ بكل تجلَّة ـ أحيِّي باسمي واسم مجمع اللغة العربية في القاهرة ذكرى مؤسسي هذا المجمع الأصيل، وفي مقدمتهم رئيسه خالد الذكر المرحوم الأستاذ محمد كرد علي، وقد عاونه في تأسيسه ثمانية أعضاء من سورية ولبنان، وضُمَّ إليهم الشيخ طاهر الجزائري، فاكتمل للمجمع عشرة أفذاذ راسخون. ولم ينشأ المجمع وليداً، بل نشأ شابًّا ناضجاً مكتظاً بحيوية علمية دافقة، وضَمَّ إليه أعضاء مراسلين من صفوة العلماء في البلدان العربية والمستشرقين في البلدان الغربية، واتخذ لنفسه شعاراً سيظل يرفرف دائماً فوقه وفوق دمشق وسورية وهو شعار الحفاظ على الفصحى ومقوماتها وأوضاعها في العلوم وغيرها، وبادر بتعريب لغة الدواوين التركية في سورية. وكان المعهد الطبي العربي قد تأسس معه في نفس السنة فاتخذ العربية لغة للتعليم فيه، وضُمَّ إليه في سنة ١٩٢٣ معهد الحقوق، وقامت ـ منذ هذا التاريخ ـ الجامعة السورية. وأصدر المجمع مجلة له تحمل بحوث أعضائه ودراساتهم ودراسات الأعضاء المراسلين منذ سنة ١٩٢١. وبالمثل أصدرت الكلية الطبية العربية مجلة لها سنة ١٩٢٤ وأخذ المجمع والجامعة السورية جادِّين في تعريب التعليم الثانوي والجامعي. وتَمَّ ذلك ـ بعون الله ـ منذ العشرينيات في القرن الحاضر. وبذلك أتاح المجمع والجامعة لسورية أن تكون السابقة لكل البلدان العربية في تعريب التعليم الجامعي، وهي مفخرة لا تماثلها مفخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(البحوث)

الرموز العلمية في اللغة العربية
وأثرها في التعريب

الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

السيد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجلسة ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

السادة العلماء أعضاء المجمع

السادة الزملاء أعضاء الوفود إلى هذا الملتقى الحافل

السلام عليكم أيها الجمع الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد فإنه لَيُسعدني أن نلبيَ الدعوةَ الكريمةَ التي تلقيناها من مجمع اللغة العربية بدمشق لنكون من شهود احتفاله بمضي خمسٍ وسبعين سنةً على تأسيسه في السنة التاسعة عشرة لهذا القرن العشرين الميلادي.

فالتحيةُ مقرونةً بالتهنئةِ الحارةِ نزفُّها إلى هذا المجمع العتيق على دأبه المتصل في خدمة اللسان العربي وإحياء علوم العربية وآدابها وبث مكنوناتها

على مدى هذه العقودِ المتتالية من الزمان.

وليس بخافٍ أن هذه الفترة الماضية من أوائل القرن العشرين الميلادي اتسمت بتدافع القوى الأجنبية لاستكمال سلطانها وبسط نفوذها على غالب أقطار الوطن العربي ولما أن وقعت المنطقةُ بأسرها تحت هذا النفوذ عاشت الأمةُ العربيةُ حقبةً طويلةً ابتليت فيها بأشد أنواع الابتلاء وأعمقِها أثراً.

ولعل من أبلغ الأذى الذي أصاب الأمة من عهود الاستعمار وطول مُكْثِه ومن أثرِ سياساته في التعليم أن اهتزت الثقةُ في بعضِ مرتكزاتِ الأمةِ الفكريةِ والحضارية. فلم يكن ذهابُ الاستقلال السياسي وانفرادُ قوى الاحتلالِ بسلطة الحكم المباشر إلا الوجهَ الظاهرَ من محنةِ الاستعمار.

اللغة العربيةُ هي إحدى هذه المرتكزات المضيعة بالإهمال أو بالسكوت عنها في عهود الاحتلال حتى كادت أن تصبح اللغة الثانية في عدد من البلاد العربية.

فما كان يسمح في السودان على عهد الاحتلال، لأستاذ اللغة العربية أن يتبوأ رئاسةَ المدرسة التي يعمل بها مهما يكن حظُّه من العلمِ والتجربةِ. مدرسُ اللغة الأجنبية أو أيٌّ من معلمي الحساب أو المواد الأخرى هم أولى بالرئاسة في نظر السلطة آنذاك من مشايخ اللغة العربية الذين غالباً ماكانوا يأتون من المعاهد الدينية، ذلك فضلاً عن هيمنة اللغة الأجنبيةقبل الاستقلال على دواوين الدولة ودور التعليم وكثيرٍ من أنواع التعامل الأخرى في المجتمع.

ولكن حتى بعد زوال السلطة الأجنبية المُباشِرَة عن معظم البلدانِ العربية لا تزال هنالك بقيةٌ مما ترك الاستعمار من حالةٍ ذهنية متمثلةٍ في اهتزاز الثقة بالنفس وشعور داخلي بعدمِ القدرة على مواكبة العصر.

غير أن الأمة العربية لم تكن لتغفل جميعاً أو في كلٍ مستوياتها عن مناهضةِ آثار الغزو الأجنبي على الثقافة العامة أو على محتوى التعليم وأنماط السلوك. ولقد أخذت هذه المُدافعة أشكالاً شتى ليس هنا مجالُ تفصيلها ومالبث بعد حين أن زادت في هذا الإطار العنايةُ باللغة العربية. وانحسر بقدر ملحوظ الجدلُ العقيم المطوّلُ الذي امتد إلى أربعينَ سنةً حول اللغة العربية ـ تصلح وسيلة لتدريس العلوم الحديثة بالجامعات أو لا تصلح ـ وغدا الآن المثقفون العلميون جلُّهم لا يعارضون مبدأ التعريب وإن ظل بعضهم يلوذ بمعاذير يختلقها لإرجاء تطبيقه.

مهما يكن ففي ما تم كسبٌ نَحمَدُ الله عليه، حيث قامت منابر عديدة على امتداد الوطن العربي لدعم اللغة. ونشأت مؤسساتٌ متخصصةٌ لأعمال الترجمة والتعريب ولوضع المصطلحات العلمية وتوحيدها ونشرها.

ولكن بالرغم من العبارات القوية التي يصوغها المؤتمرون والمجتمعون في ندوات التعريب وملتقيات المجامع تعبيراً عن قناعتهم بأن اللغة هي أداةٌ للتفكير بقدر ما هي أداةٌ لتعبير، وأن التعويل عليها في تدريس العلوم الطبيعية فيه منطلق لعقول واستقلالها. وتمكينها من الإبداع والاختراع. فإنك لا تجدُ انعكاسَ ذلك على الواقع إلا في القليل.

لذلك لك أن تُعْجَب أيَّما إعجاب برواد التعليم في هذا القطر الشقيق سورية ولأهل الشأن فيه الذين أنفذوا في وقت باكر من أوائل هذا القرن أمرَهم بالتعريب وثبتوا عليه ثم لم يرتابوا ولم يغيروا.

تلك كانت وقفةً كبرى مع مقتضى العقيدة والعروبة، بقيت مثلاًحياً للدعوة للتعريب وتجميع الخبرات انتفعت بها من بعدُ جامعاتٌ كثيرةٌ خارجَ حدودِ القطرِ السوري.

ولقد تطورت في إثر ذلك الدراساتُ حول الاصطلاحات العلمية

وأُسِسٍ وَضعها. وشارك في هذا العمل خلق كثير من سائر البلاد العربية وصدرت بفضل هذه الجهود مجتمعةً معاجمُ للمصطلحات شملت معظم التخصصاتِ العلمية كما طبعت كتبٌ عربيةٌ كثيرة في الفنون والعلوم بحيث لم نعد بعد اليوم نخشى على الجامعات المعرَّبة من الردة إلى اللغة الأجنبية.

وفي الذاكرة ماحدث للتجربة الرائدة في القرن الماضي لمّا تحولت لغةُ التدريس إلى اللغة الإنجليزية في كليتي الطب بالقاهرة وبيروت - في أواخر القرن بعد أن كانت الدراسةُ فيهما باللغة العربية لعشرات السنين، والراجح أن ذلك تم بتحريضٍ من السلطة الأجنبية المستترة أو الظاهرة.

التعريب في السودان:

كان السودان - كما تعلمون - إلى قبل ستٍّ سنوات يعول على اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم الحديثة كلها بالجامعات - إلا أن اللغة العربية استردت بعد الاستقلال الأرض التي فقدتها وحلّت مكان اللغة الإنجليزية فيما سوى التعليم العالي.

ثم صدر قرار سياسي في الشهر الثاني من عام ١٩٩٠م بإلزام مؤسسات التعليم العالي جميعها بالتعريب. ولم يستثن.

ورغم أن القرار اتُّخِذَ بعد موازنةٍ دقيقة ووعيٍ كاملٍ بكل تبعاته فإن صدورَه أحدث دوياً واسعاً وبدا من أشق التكاليف على الأساتذة وإدارات الجامعات.

ولو لا الثقة الكبيرة لدى الداعين إليه وتوخي الحكمة والتدرج في إنزاله على الواقع لعصفت المعوقاتُ والصعوبات العلمية بهذه التجربة في مهدها.

ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً...

أذكر أنني تحدثت إلى ندوة تعريب المصطلح العلمي وسبل توحيده وإشاعته التي انعقدت بعمّان في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني في غضون عام ١٩٩٣م للميلاد وألحتُ في حديثي إلى تعاليم المنهج الذي اتبعناه لإنفاذ هذا السياسة وكان الأمر حينئذ في أوائله، وبقدر ما كان التفاؤل يدفعنا كنا في قرارة أنفسنا مشفقين من ارتداد التجربة لا سيما وأن الطبول دقت من حولنا تهويلاً للمشكلات والعقبات والمخاطر التي تبين لنا من بعد أنها جميعها دون ما أذاعوا به بكثير.

يسعدني أن أقول إلى جمعكم الكريم في هذه المناسبةالتي تمثل مَوسِماً من مواسم اللغة العربية بينما هي عيد فرح وابتهاج بهذا المجمع ومنجزاته: (أقول) إن التعريب قد بلغ في السودان السنوات النهائية في المنهاج الجامعي وتخرجت الأفواجُ الأولى من الذين تلقّوا تعليمهم بكامله باللغة العربية في جامعات السودان على اختلاف تخصصاتهم وتنوعها.

حدث هذا دون خفض للمستويات. ورغمَ انشغال الأساتذة وإداراتِ الجامعات في هذه الأثناء بتدابير مقتضيات الطفرة الكبيرة في أعداد الطلبة المقبولين بالتعليم العالي وزيادة جامعات السودان إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه ولعل مما ساعد على هذا الانجاز أن الله وفق كلاً لأن يقوم بدوره في هذا التحول خير قيام.

فلم يقصر الأساتذةُ في أداء واجباتهم...

ولم تقتر علينا الدولة في دعم مطلوبات التعريب...

ولم يبخل علينا الزملاء في الجامعات العربية التي لها سابقة في هذا الأمر بمدنا بنتائج تجاربهم وبدعمنا بالكتب أحياناً وبانتداب الأساتذة.

وهكذا تكاد تجربةُ التعريب بالسودان أن تكون قد بلغت إحدى غاياتها. على أن مقاصد التعريب تتعدى مجردَ مخاطبة الطلاب باللغة العربية في قاعات الدراسة إلى توطين العلوم وتأليفها لتكون بعضاً من النسيج العلمي للبيئة العربية.

واسمحوا لي الآن أن أشير إلى بعض متممات مسيرة التعريب كما تراءت لنا من مراقبة التجربة.

يبدو كأن التعريب يرتكز على شعبتين من حيث البناء اللغوي - الحديث هنا ليس عن مطلوبات التعريب ولا عن غاياته أو وسائلِ تنفيذه.

أما الشعبة الأولى وتمثل الأفق الأول فهي تعريبُ المصطلح وتوحيدُه بما يمكّن من استخدام اللغة في نقل المعاني والفكر وإيصال المعلومة لطالبها - وقد ذكرنا آنفا أن العمل في مجال توحيد المصطلح قد بلغ مبلغاً لا نخشى به عليه متى تواصلت الجهود في مراجعة المعاجم واستيعاب الجديد من المصطلحات وترك المفضول لما هو أمثل منه.

فمن المعلوم أن وضع المصطلحات صناعةٌ مستمرةٌ لا تنقطع، وذلك من طبيعة هذه العلوم المتطورة أبداً مع حركة الإنسان في طلب الرزق وتقلبه في الأرض - ومعلوم أيضاً أن الإجادة والإتقان لا يتأتيان إلا من خلال الممارسة والتجريب. ومن طلبهما من دون ذلك أضاع الوقت والجهد.

أما الشعبة الثانية فهي في صياغة الرموز والمختصرات في اللغة العربية وهي الأفق الثاني للتعريب. ذلك أن علوم التقانة كالهندسة وعلوم الرياضيات والفيزياء وجاراتها مثل الكيمياء يستحيل تعلمها دون أن تستخدم الرموز والمختصرات.

والناظر لأحوال التعريب الآن يجد معظم التجارب القائمة تنحو إلى

الإبقاء على الصيغ الرياضية وأشكال الرموز على هيئاتها في اللغات الأجنبية.

وهذا وضع اقتضته الضرورة للتيسير في نقل هذه المعارف أو لعلَّ ذلك أيضاً من عدم الرغبة للسياحة بعيداً عن مرافئ هذه العلوم وشطآنها في اللغات الأجنبية.

سألني سائل في ندوةٍ حولَ التعريب انعقدت بجامعةِ الخرطوم منذ وقت قريب. قال إنه نظر في كراسةِ ابنه الذي يدرس الهندسة بجامعة الخرطوم قال وجدت كراسته مزجاً مستغرباً بين شروحٍ وتقريراتٍ مكتوبةٍ باللغة العربية وصيغٍ ورموزٍ شتى محررةٍ باللغة الإنجليزية بحيث صارت صفحات الكراسة في تشابك بين هاتين اللغتين. كأنما هما في تنازع على استحواذ مساحة الصفحة.

وتساءل إن كان هذا هو مبتغى التعريب ومنتهى طموح أهله فيما يدعون الناس إليه. والسائل محقٌ في ما ذهب إليه نسبة للتشويش الذي يُحدثُه مثلُ هذا التداخل بين اللغتين.

ولقد سبق لي أن أشرتُ إلى مثل هذا في ورقةٍ منشورةٍ في مجلة اللسان العربي من قبل عشرين عاماً في محاولةٍ مني لمعالجة بعض هذه الرموز في اللغة العربية.

ثم لقد وَرَدَنا من قبل بضع سنوات توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين التي بعث بها إلينا الدكتور شوقي ضيف متضمنة توصية (هي السادسة) بضرورة التخلص من هذا التداخل بحيث « لا تكون كُتبنا العلميةُ من جزأين ـ جزء عربي وجزء أجنبي ».

وقد جاء مثل ذلك في ورقة حديثة للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ألقاها على مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الأخيرة. حيث قال

« بضرورة وضع قائمةٍ تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية ـ وطرقَ ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية ـ وهو باب ـ على حدِ قوله ـ تَمسُّ الحاجةُ إليه في هذه المرحلة ».

أدعو إلى ضرورة الالتفات إلى معالجة موضوع الرموز والمختصرات بحيث تتم صياغتها في أشكال مقبولة في الكتابة العربية مع مراعاة المحافظة على الشبه في أشكال الرموز العربية مع مقابلاتها في اللغات الأجنبية المشهورة ـ متى تيسَّر ذلك والحقيقة هنالك من الكتب المطبوعة ما صيغت جميعُ رموزِه باللغة العربية مع وضع الصيغ الأجنبية بجوارها.

إلا أن أوسع دراسةٍ في هذا الشأن هي الكتابُ الذي أعدّ له مجمعُ اللغة العربية الأردني وأجازه اتحادُ مجامعِ اللغة العربية في عام ١٩٨٧م ثم قدمه الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة في مؤتمر التعريب السابع الذي انعقد بالخرطوم في أول عام ١٩٩٤م.

ولّما كانت تجاربُ التعريبِ القائمة لاتزال تستخدمُ الرموزَ في أشكالها الأجنبية وأن كثيراً من الجامعات العربية غيرُ ملتزمةٍ بالتعريب إبتداءً، فإن كتابَ الرموز والمختصرات المشارَ إليه لم يجد حظَّه من التعليقِ والتعقيبِ ولم تستخدم رموزُه استخداماً واسعاً.

ولقد أولت الهيئة العليا للتعريب بالسودان أمر الرموز اهتماماً كبيراً وعناية فائقةً من غير أن تكون في عجلة إلى تطبيقها فما زلنا في السودان حديثي عهدٍ بالتعريب ونريد أولاً أن تستقرَّ اللغةُ العلميةُ العربية لدى الأساتذة ويكونَ بينهم وبينها المودةُ والألفةُ والوئام .

ولكن مصدرَ اهتمامنا بأمر الرموز في هذا الحين جاء من أن الكتابة العربية العلمية لايستقيم أمرها إلا أن يعرَّب نهج كتابة الرموز. وأن التعريب من دونِ ذلك يظل عملاً ناقصاً مبتوراً .

مما تجدر الاشارة إليه أن كتبَ التراث العلمية حوت صياغات في هذا الجانب تسترعي الانتباه بل يجوز الاقتباسُ منها لتمثيل كميات ومقاديرَ علميةٍ حديثة .

كتاب الجامع بين العلم والعمل لأبي العز اسماعيل الجزري حوى ثلاثة وستين رمزاً منها أحد وعشرون حرفاً من حروف المعجم وأبدالها مثلها وأحد وعشرون حرفاً أخرى منقلبةٌ عنها . وجميع كتب التراث العلمي تزخر بأنواع الرموز والمختصرات.

وممن اشتهر باستخدام الرموز في الماضين أبو الحُسْين علي القلصادي (المتوفى سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م) نُسب إليه رمز الجذر (وهو ج ← $\sqrt{\ }$)، ورمز الشيء المجهول في المعادلة (وهو ش ← س = ×)، واستخدام القلصادي الحرف الأول من كلمة مال وهو «م» لتربيع الشيء والحرف الأول من كلمة كعب وهو (ك) للمجهول المرفوع للقوة الثالثة (ولاشك عندي أن كلمة Cube الانجليزية مأخوذة من كلمة كعب العربية).

واستعمل القلصادي للجمع الحرف (إلى) وللفرق (أو الطرح) أداة الاستثناء «إلا» وكنا في السودان نستخدم الاستثناء للطرح إلى وقت قريب يقول الرجل لابنه وهو يعلمه مثلاً ثمانيةُ إلا خمسة كم يبقى ؟

ويقول ابن خلدون أن ابن البناء المراكشي وضع رموزاً في الجبر في القرن الثالث عشر.

إلا أن كتبَ تاريخ العلوم تنسبُ معظمَ الرموز الجبرية إلى العالم الأوربي فيتا (Vieta) الذي جاء متأخراً عن ابن البناء وعن القلصادي، ولابد أن العالم فيتا قد نظر في كتب السابقين له.

يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (الجامع في تاريخ

العلوم عند العرب) أن عدم تطور الرموز عند العرب كان نقصاً خطيراً وكان سبباً مباشراً في عدم تسارع الحركة العلمية عند العرب والمسلمين.

مهما يكن فقد بذلنا في الهيئة العليا للتعريب جهداً كبيراً في مراجعة كتاب الرموز والمختصرات الذي بين أيدينا. وبعد طول مُكثٍ مع هذا الكتاب تطابقت آراؤنا مع كثير مما جاء فيه كما ظهرت مقترحات بالإضافة والتعديل على بعض الصيغ وأشكال الرموز فيه - وفي الأمر فسحة وسعةٌ لإجالة النظر.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الدعوة إلى إبقاء الرموز على أشكالها الأجنبية بحجة التوسعة في اختيار الرمز من جملة الحروف الرومانية مضافاً إليها الحروف الإغريقية في صورهما الكبيرة والصغيرة إنما هي دعوة مردود عليها.

فإنك تستطيع في اللغة العربية أن تجمع بين حرفين من حروف المعجم إلى ثلاثة أحرف لترمز إلى مقدارٍ واحد. وهذا يعطيك إمكاناتٍ واسعة للتخير بقدر التباديل المتأتية من ذلك كما هو معلوم من علم الحساب. وليس لأي لغةٍ أجنبية مثل هذه المرونة والتوسعة في تخير الرموز.

ولكن يشترط في هذه الحالة أن تكون الحروف الممثِّلة للرمز الواحد متصلة في كتابتها. تحاشياً للالتباس

«مثلا: جا، قا، سا، تصلح رموزاً أمّا أج، را، وا ، فلا يرمز بها».

هذا وهنالك زيادة في سعة الاختيار بما يتيحه تعدُّد رسم الحرف العربي في الخطوط المختلفة.

كذلك فإن الرموز العلمية التي اعتيد على كتابتها في اللغة الأجنبية بالحروف الكبيرة يمكننا الرمز لها في اللغة العربية بالحروف الممدودة.

ويُفضّلُ المدُّ بالألف. فهو أطوع ويتيح مجالا أرحب لوضع اللواحق الفوقية والسفلية عليه «مثال ذلك: K,G,F مثيلاتها كا، جا، فا»

ولا يتّسع لي الوقت للتوغل في تفاصيل المنهج الذي تشكلت بدايته من معالجاتنا لمسألة الرموز . تلك كانت بعض إشارات تلوح من خلالها معالمُ للمنهج الشامل لوضع الرموز

لقد أجملت القول حول الرموز ولكنني تجاوزت المختصرات لسبب أبديه فيما يلي ولخشية الإطالة:

فالمختصرات ضرب من الاختزال للعبارة الطويلة أو للعناوين المتكوّنة من كلمات متعددة وهي لاتدخل عادة في صميم الصيغ الرياضية ومن هذا المنحى فأهميتها دون الرموز.

ولقد يجد المتأمل في صياغات بعض المختصرات الحديثة شيئاً من مظاهر العجمة وذلك منذ أن جعل الناس ينحتون هذه المختصرات من جمع الحروف الأولى من كلمات العبارة أو العنوان المرجوّ اختصاره.

فإذا ماقرأت بعدئذٍ الكلمات المولّدة بهذه الطريقة لأسماء الشركات أو المؤسسات أو الهيئات قلت إنها لاتمتُّ إلى كلام العرب في شيء.

ولقد استثقل بعض العلميين الاختصارات من بعض أنواع التركيب المزجي مثل «كهرمغناطيسية» ، وفضلوا عليها كهربية مغناطيسية.

واستساغوا نحو برمائي. ولامائي. ولامقرر واللامركزية ومثيلاتها وذلك لخفتها.

موضوع المختصرات يحتاج إلى عناية خاصة من مجامعنا لإصلاح أمرها غير أن أثرها في التعريب غير كبير.

وخلاصةُ الرأي أن يدعى إلى جولةٍ أخرى من التداول حول موضوع

الرموز والمختصرات يستكتبُ لها أهلُ الاختصاص إما تعليقا على ماتضمنه كتابُ الرموز أو بتقديم إضافات أو مقترحات أخرى، توطئةً لعرض ذلك كله على ندوة أو في ملتقى علمي بحيث لايكون بمشيئة الله خلاف كبير في المستقبل بين الجامعات فيما تأخذ به من أشكال هذه الرموز والمختصرات.

وبما أن الرموز الأساسية محدودةُ العدد ويمكن جمعُها مع شروحها في كتاب واحد من الحجم المتوسط نجد أنه في الإمكان الوصول إلى درجة عالية من الوفاق حولها.

وفي الختام أرجو ألا أكون أطلت وأثقلت، وأعود لأعرب عن تقديرنا وإعجابنا بالدور المبدع الذي يضطلع به مجمع اللغة العربية بدمشق في خدمة العلوم العربية والوقوف خلف مبادرات التعريب أينما تكون ولاغرو فاللغة العربية هي آصرة العروبة وعُروتُها وهي خزانة الموروث الحضاري كله للأمة ووعاءُ أصول الدين ومنبعُ ثقافتنا المشتركة.

نسأل الله أن يوفق مجمع اللغة العربية بدمشق لصالح الأعمال وأن يبارك لعلمائه فيما يقدمون للأمة من علم نافع وأن يجزيهم عليه خيرا كثيرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثبت المراجع

١/ محمد عبد الرحمن مرحبا

الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ـ ط٢ـ مزيدة ومنقحة بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢.

٢/ الجزري، أبو العز بن إسماعيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل ـ تحقيق أحمد يوسف الحسن ـ جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي ١٩٧٩.

٣/ الملا كاتب الجلبي، مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ٣ ص ١٤٨٨ ـ بيروت: دار الفكر ١٩٩٠.

٤/ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

الموسوعة الثقافية حـ ١/ جـ٣ ص ٧٦٧، القاهرة- نيويورك مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

٥/ ناصر محمد السويدان

مداخل المؤلفين والأعلام العرب/ محمد ناصر السويدان العريني. - الرياض: جامعة الرياض- عمادة المكتبات، ١٩٨٠.

٦/ دفع الله عبد الله الترابي

مجلة اللسان العربي- المجلد الرابع عشر- جـ ١/ ١٩٧٦ صفحات ٧٧ حتى ٨٩، مكتب تنسيق التعريب- المغرب.

٧/ اتحاد مجامع اللغة العربية

الرموز العلمية وطريقة ادائها باللغة العربية. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.

٨/ حكمت نجيب عبد الله

دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٧٦.

٩/ مجمع اللغة العربية (بالقاهرة)

توصيات الدورة السابعة والخمسين: التوصية السادسة.

١٠/ مجمع اللغة العربية (بالقاهرة)

ورقة الدكتور/ محمد هيثم الخياط «في دورة المجمع للعام ١٩٩٥م».

من تاريخ المجمع

الأستاذ رياض مراد

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فيطيب لي أن أحدثكم اليوم عن مجمعنا الحبيب الذي ضم نخبة من علماء العربية منذ خمسة وسبعين عاماً إلى الآن... إنه مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١)

تسمية المجمع

سمَّى الغربيون المجمع العلمي Academia وهي لفظة يونانية نسبة إلى البطل أكاديميوس الأثيني الذي اقتنى حديقة كان الفلاسفة اليونان يجتمعون فيها فنسبت إليه واشتهرت به. وكان الفيلسوف سقراط يلقي فيها خطباً على طلبته ومريديه، وكذلك كان أفلاطون يعلّم طلبته في غاباتها. فلهذا سمي كل مجتمع للتعليم والمناقشة والخطابة (أكاديمية) وهو باللاتينية Academia وبالفرنسية Académie وبالانكليزية Academy

وعرّبه المتأخرون باسم (المجمع العلمي) وهو اسم مكان على وزن مَفْعَل من فعل (جمعَ يجمع) ومعناه مكان اجتماع العلماء قصد إصلاح العلوم والآداب والفنون.

* * *

(٢)

إنشاء المجمع

لما قامت الثورة العربية عام ١٩١٦ وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية في ربوع الشام في الخامس من شهر تشرين الأول من عام ١٩١٨ م واجهت فيما واجهت من الصعوبات قضية اللغة العربية، ذلك لأن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية في البلاد، ولأن الموظفين الأتراك كانوا يتولون معظم الدوائر الحكومية، والموظفون العرب كانوا يجهلون العربية والتعبير بها ولايعرفون إلا المصطلحات التركية فكان على الحكومة العربية أن تغيّر هذه الحالة، وتحول اللغة الرسمية من اللغة التركية إلى العربية في جميع الدوائر والمدارس والدواوين. وقد تم ذلك بسرعة فائقة، فتألفت لذلك لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها.

وكانت شعبة الترجمة والتأليف أول هذه اللجان، وقد أنشئت في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وكانت مهمتها تدبر أمر اللغة العربية الرسمية، ونشر الثقافة بين الموظفين واستبدال المصطلحات العربية بالتركية. وقد استعانت بأساتذة اللغة العربية وأدبائها من مثل سليم الجندي وأنيس سلوم وخليل مردم بك وعبد القادر المغربي وفارس الخوري ورشيد بقدونس وعبد الرحمن الشهبندر وأديب التقي وحبيب اصطفان وعجاج نويهض ونخلة زريق.

ثم رأت الحكومة العربية أن تجمع فروع الثقافة في دائرة واحدة، فضمت أمور المعارف العامة إلى أعمال شعبة الترجمة والتأليف وجعلتها كلها في (ديوان المعارف) في ١٢ شباط ١٩١٩ وأسندت رئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله.

وكانت مهمة هذا الديوان النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس

دار للآثار والعناية بالمكاتب ولاسيما دار الكتب الظاهرية.

وفي الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ استقل المجمع العلمي عن ديوان المعارف بأمر من حاكم سورية العسكري العام علي رضا ركابي دفعاً للالتباس الذي يمكن أن يقع بين المعارف العامة وأمور اللغة والمكتبات والآثار، وعهد برئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله.

وأول من سمي من أعضائه أمين سويد (توفي سنة ١٩٣٦م) وأنيس سلوم (توفي سنة ١٩٣١م) وسعيد الكرمي (توفي سنة ١٩٣٥م) وعبد القادر المغربي (توفي سنة ١٩٥٦م) وعيسى إسكندر المعلوف (توفي سنة ١٩٥٦م) ومتري قندلفت (توفي سنة ١٩٣٤م) وعز الدين علم الدين (توفي سنة ١٩٦٦م)، ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري (توفي ١٩٢٠م) بعد عودته من الديار المصرية في تشرين الأول ١٩١٩م.

(٣)
مقرّ المجمع

كان أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم في إحدى الغرف العلوية من دار الحكومة، ثم صدرت أوامر الحكومة العربية بتسليم المجمع بناء المدرسة العادلية التي قامت برعاية الفقه والعربية قديماً ومالنقطع عنها العلم وتدريسه منذ أنشئت في سنة ٦١٩هـ حتى الآن. قال كرد علي: (وكأن المولى تعلقت إرادته فقضى أن لايخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر وأدب يذكر فاختارهما مباءة للمجمع العلمي يقيم فيها سوق العلم والأدب بعد الكساد على النحو الذي كانت عليه).

وأخذ المجمع بترميم المدرسة وأنفق عليها أموالاً طائلة لإعادتها إلى طرزها العربي القديم. وكان للمهندس الرسام السيد توفيق طارق فضل عظيم في إعادة البناء إلى بهجته وزخرفته ودقة صنعه، وكان للمهندس الفرنسي

(آمي) الفضل في إعادة البركة القديمة وتبليطها وتبليط الساحة ١٩٤٤م.

وعقد المجمع أولى جلساته بمقره الجديد في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ (٣٠ تموز ١٩١٩) .

ثم انتقل المجمع بعد ذلك إلى بنائه الجديد في حي المالكي سنة ١٩٨١

(٤)

أهداف المجمع

قال محمد كرد علي رحمه الله في منشوره في مجلة المجمع المجلد ٦/١ والذي بين فيه أهم أهداف المجمع:

«تألف مجمعنا العلمي العربي في أول الأمر من ثمانية أعضاء ورئيس وقد وكل إليه النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ماينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ماتحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد.

وعني أيضاً بجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات وماشاكل ذلك ولاسيما ماكان منها عربياً.

كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها....

وسيصدر قريباً مجلة باسم مجلة المجمع العلمي شهرية مصورة ينشر فيها أعماله وأفكاره....»

ومن هذا المنشور يتبيّن لنا أن أهداف المجمع هي:

١- النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية.

٢- جمع المخطوطات والمطبوعات.

٣- تأسيس دار كتب عامة.

٤- جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية.

٥- تأسيس متحف لهذه الآثار.

٦- إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أعماله وأفكاره.

٧- طبع أهم الكتب التي تساعده في تحقيق أهدافه.

٨- وضع المصطلحات العلمية العربية.

وسأتحدث إن شاء الله تعالى عن ثلاثة من هذه الأهداف تاركاً الأهداف الباقية للسادة العلماء ليتحدثوا عنها في هذا المهرجان.

١- النظر في اللغة العربية

عمل المجمع في سنواته الأولى عملاً شاقاً ودؤوباً، خدم اللغة العربية بصمت وإخلاص، وتركز معظم نشاطه اللغوي في مجالين:

- المجال الرسمي .
- المجال الشعبي .

في المجال الرسمي

واجه المجمع في بداياته مشكلة المصطلحات الإدارية وترجمتها إلى اللغة العربية، فطلب من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس الجامعية والثانوية والابتدائية أن تنبئه بما تحتاج من الألفاظ وضعاً وتعريباً، على أن ترسل إليه من جانبها ممثلاً اختصاصياً يشترك في أبحاث المجمع، ويوضح مفهوم الألفاظ في جوها الفني الخاص بها.

وحين تجمعت لديه قوائم بهذه الألفاظ بدأ بالنظر فيها فأبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته وبدّل بعضها كل التبديل وعدّل الآخر تعديلاً

قليلاً أو كثيراً حتى اجتمع لديه من ذلك قوائم جديدة تمثل لغة الدواوين العربية. لذلك جاءت الكلمات المعربة في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كلمات عربت أو حوّلت عن أصلها مثل تعريب الطابو إلى ديوان التمليك، والبوليس: الشحنة أو الشرطة، والنوبتجي: الآذن أو البواب، والرابور: التقرير، والبول: الطابع.... وهكذا.

والقسم الثاني كلمات عدلت بعض التعديل كدائرة العدلية التي غيّرت إلى دار العدل، ومأمور السجن: السجان، ومأمور الإطفائية: الإطفائي، وأوراق موروده: واردة، وأوراق مرسولة: صادرة.

والقسم الثالث كلمات مختلفة مثل ماصة عربت إلى مكتب، وقاصة: خزانة، وقولتق: متكأ ، ودوسيه: إضبارة أو ملف، وروزنامة: تقويم، وصوبا: مدفأة... وهكذا.

وقد اعتمد أعضاء المجمع في تعريبهم على كتب اللغة المعروفة والتي أسْمَوْها (المراجع الموثوقة) كتاج العروس والمخصص والصحاح وأساس البلاغة وتهذيب الألفاظ وفقه اللغة والنهاية في غريب الحديث والأثر، والمزهر، وغريب الحديث لابن قتيبة.

واعتمدوا أيضاً على جهود الذين سبقوهم في العالم العربي في هذا المجال من أمثال أحمد تيمور باشا الذي جرت بينه وبين المجمع مكاتبات بشأن الكتب والرسائل التي نشرت في مصر باللغة العربية عن تعريب ألفاظ المصطلحات العلمية والفنية وماألف في تصحيح الألفاظ العامية.

* * *

في المجال الشعبي

وأما في المجال الشعبي فقد عمل المجمع في اتجاهات عدة منها:

١- محاضرات المجمع

٢ - حفلات ومهرجانات

٣- عثرات الأقلام.

٤- عثرات الأفمام.

وأعد المجمع قاعة للمحاضرات افتتحها في يوم الأحد ١٧ من نيسان ١٩٢١، وكانت المحاضرة الأولى في اليوم ذاته، واستمر إلقاء المحاضرات مرة كل أسبوعين، فلما زاد إقبال الناس على هذه المحاضرات جعلها المجمع مرة كل أسبوع. وقد بلغ عدد الحاضرين يومها أربع مئة، وهذا عدد كبير زاد عن أمكنة القاعة حتى اضطر كثير منهم أن يقفوا على الأبواب والنوافذ ليتابعوا هذه المحاضرات.

ثم ارتأى المجمع بعد ذلك أن يخصص بعض هذه المحاضرات للسيدات وأن تقوم بتنظيمها بعض المعلمات الفاضلات.

وأما المحاضرون فهم أعضاء المجمع أو من يكلفهم المجمع إلقاء المحاضرات من الرجال والنساء وقد يقترح المجمع موضوع المحاضرة أو يقترحها المحاضر.

وجرت العادة أن يلقي أحد الشعراء بعد المحاضرة قصيدة في الحماسة أو في موضوع يناسب المقام.

وبلغ عدد المحاضرات التي ألقاها أعضاء المجمع وغيرهم مايقرب من أربع مئة محاضرة أُلقيت مابين ١٩٢١/٤/١٧ و ١٩٤٦/٤/١٢ مع انقطاع حدث من كانون الأول ١٩٣٢ وأيار ١٩٤١

وكانت المحاضرة الأولى والمحاضرة الأخيرة للشيخ عبد القادر المغربي، وهو من غريب المصادفات، فأما الأولى فكانت بعنوان (طرفة بن العبد)

وألقيت في ١٩٢١/٤/١٧ والأخيرة بعنوان (سياسة تمخضت بلغة) في ١٩٤٦/٤/١٢

ونشرت بعض هذه المحاضرات في كتاب بعنوان (محاضرات المجمع).

- ظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٥ وفيه ١٧ محاضرة
- وظهر الجزء الثاني منه سنة ١٩٥٤ وفيه ٢٦ محاضرة
- وظهر الجزء الثالث منه سنة ١٩٥٥ وهو قسمان:

القسم الأول للمتوفين من أعضاء المجمع وفيه ثلاث عشرة محاضرة

والقسم الثاني يحتوي على أربع عشرة محاضرة.

* * *

وأما الحفلات فقد كانت على النحو التالي:

١- حفلة تأبين الشيخ طاهر الجزائري في ١٩٢٠/١٢/٥

٢- حفلة تأبين أحمد كمال باشا المصري في ١٩٢٣/١٠/٩

٣- حفلة تأبين محمود شكري الآلوسي ومصطفى لطفي المنفلوطي في ١٩٢٤/٨/٢١

٤- حفلة تكريم أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٩٢٥/٨/١٠

٥- حفلة تنشيط الشعراء الشباب في ١٩٢٧/١١/٤ وهم زكي المحاسني وجميل سلطان وأنور العطار وعبد الكريم الكرمي

٦- حفلة تكريم حافظ إبراهيم في ١٩٢٩/٦/١٧

٧- حفلة تأبين حافظ إبراهيم في ١٩٣٢/١٠/٥

٨- حفلة تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٩٣٢/١١/٢٣

٩ - حفلة تكريم محمد الهِرّاوي بك الشاعر المصري في

١٩٣٣/٨/٢٨

١٠- تأبين السيد محمد رشيد رضا في ١٩٣٥/١٠/٣١

ويضاف إليها حفلات استقبال الأعضاء وحفلات تأبين من يتوفى منهم وهي كثيرة .

وفي مجال المهرجانات أقيم منها مايلي:

١- مهرجان المتنبي الألفي بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على وفاته في ١٩٣٦/٧/٢٣

٢- المهرجان الألفي لأبي العلاء بمناسبة مرور ألف سنة على ولادة أبي العلاء في ١٩٤٤/٩/٢٥

٣- مهرجان الاستاذ محمد كرد علي في ١٥- ١٩/ ١١/ ١٩٧٦م، بمناسبة مرور مئة عام على ولادته.

ويضاف إليها مهرجان العيد الفضي ومهرجان العيد الذهبي ومهرجاننا الماسي هذا

وبدأ المجمع ينشر في مجلته عثرات الأقلام باستخراجها من بعض الجرائد اليومية وتصحيحها بعد التَّثُّبت منها بالمراجعة والمذاكرة.

وكانت ترد على المجمع أسئلة واستفتاءات عن بعض الكلمات العربية والاصطلاحات الفنية، فكان يجيب عليها، وينشر بعض الأجوبة في مجلة المجمع والصحف العامة ليستفيد الناس منها، ومن أمثلة ذلك: (السيكارة: اللفيفة أو اللفافة والتتن: التبغ والدخان والبسكويت: الفرنيّة والهَشَّة) وأجاز إبقاءها على حالها (بُسْكوت على وزن فُعلول كعصفور) وتقاس عليها لفظة الشكولات على وزن فعولات كفتوحات. وأجاز استخدام لفظة (مُقْهى) المضمومة الأول للمكان الذي يداوم فيه على شرب قهوة البن.

وأما عثرات الأفمام وهي الأخطاء التي لاتظهر إذا كتبت وإنما يظهر الخطأ حين النطق من مثل (أزْمة) بمعنى الضيق والشدة فالأقلام لاتغلط إذا كتبتها حتى إذا تناولتها الأفمام بالنطق غلطت بها فقالت أزمّة بالتشديد ومثال ذلك جَوْعان والناس يخطئون فيقولون جُوعان، وكذلك حَنْجرةَ والناس يخطئون فيقولون حُنجرة، ودير الزّوْر والناس يخطئون فيقولون دَيْر الزُّور، وأهرام والناس يخطئون فيقولون إهرام، والرَّصاص والناس يخطئون فيقولون الرصاص بكسر الراء، وهي مفتوحة.

٢- اهتمام المجمع بالآثار

اهتم الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله بالآثار فأقنع الحكومة العربية آنئذ بضرورة تأسيس متحف للآثار العربية وغيرها فأنشئ (المتحف الملوكي) في دمشق عام ١٩١٩ وأُلحق بالمجمع العلمي العربي، وخصص له أربع غرف في المدرسة العادلية.

وبدأ المجمع بجمع الآثار المبعثرة في المدارس وفي بعض الدوائر الرسمية والمساجد، ونقل إلى المتحف ثوب المحمل الشريف والسنجق.

وشكّل لجنة مهمتها أن تسأل عن أمكنة الآثار وتشتريها أو تستهديها، وأرسل بعض أعضاء المجمع إلى أنحاء البلاد لجمع الآثار، فذهب الأستاذ عز الدين علم الدين والسيد عبده كحيل مدير المتحف إلى تدمر والقريتين، كما أرسل السيد نوري المسوتي إلى السلمية، والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف صاحب مجلة الآثار إلى البقاع وهكذا.

وبقيت دار الآثار في المجمع حتى عام ١٩٣٧ حيث أنشئ المتحف الحديث ونقلت إليه الآثار وأصبحت دار الآثار (مديرية الآثار العامة) مؤسسة مستقلة مالياً وإدارياً

٣ - مطبوعات المجمع

عمل المجمع منذ نشوئه ومايزال يعمل على نشر أهم الكتب المخطوطة بعد تحقيقها، ولقد تمكن حتى الآن من نشر ما يقرب من ثلاث مئة كتاب.

وكانت محاضرات المجمع أول مطبوعاته، والكتاب الثاني هو الجزء الثامن من جامع التواريخ المسمى بـ « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » لأبي علي التنوخي المتوفى ٣٨٤ هـ بتحقيق المستشرق الانجليزي مرغليوث (عام ١٩٣٠م)، ومن مطبوعاته الأولى: كتابُ بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ هـ وطبع سنة ١٩٣٧ بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي ثم ديوان الوليد بن يزيد جمعه ورتبه المستشرق الايطالي ف. غبريبلي وطبع سنة ١٩٣٧. ثم رسالة الملائكة للمعري عني بتحقيقه وشرحه وضبطه ومعارضته الأستاذ محمد سليم الجندي وطبع سنة ١٩٤٤م، ثم كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء يشتمل على وصف المهرجان الذي أقامه المجمع العلمي العربي لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وما قيل فيه من القصائد والخطب (طبع ١٩٤٥)... وهكذا.

وضمت مطبوعات المجمع فهارس مخطوطات الظاهرية مصنفةً حسب العلوم وقد طبعت في أوقات مختلفة وأزمنة متباينة.

وكان أولها كتاب الأستاذ يوسف العش مدير دار الكتب الظاهرية وهو يتعلق بمخطوطات التاريخ وملحقاته وطبع سنة ١٩٤٧، ثم فهرس علوم القرآن الكريم للدكتور عزة حسن ١٩٦٢ ثم الشعر أيضاً للدكتور عزة حسن ١٩٦٤ ثم الفقه الشافعي للشيخ عبد الغني الدقر ١٩٦٣ ثم الطب والصيدلة للدكتور سامي حمارنة سنة ١٩٦٩، ثم علم الهيئة وملحقاته لإبراهيم الخوري سنة ١٩٦٩، ثم المنتخب من مخطوطات الحديث للشيخ ناصر الدين الألباني سنة ١٩٧٠، ثم مخطوطات الجغرافية وملحقاتها لإبراهيم

الخوري سنة ١٩٦٩ ثم مخطوطات الفلسفة والمنطق لعبد الحميد حسن سنة ١٩٧٠ ثم مخطوطات الرياضيات للعائدي سنة ١٩٧٣ ثم التاريخ وملحقاته الجزء الثاني للأستاذ خالد الريان ١٩٧٣ ثم مخطوطات النحو واللغة للأستاذة أسماء الحمصي سنة ١٩٧٣ ثم فهرس التصوف لرياض المالح في ثلاثة أجزاء بين عام ١٩٧٨ وعام ١٩٨٣ ثم الفقه الحنفي للأستاذ مطيع الحافظ الجزء الأول والثاني ١٩٨٠ و ١٩٨١ ثم مخطوطات العلوم والفنون للأستاذ الصباغ سنة ١٩٨٠ ثم مخطوطات الطب والصيدلة الجزء الثاني للأستاذ صلاح الخيمي ١٩٨١، ثم فهرس مخطوطات الأدب الجزء الأول والثاني لرياض مراد وياسين السواس ثم مخطوطات علوم القرآن الجزء الأول والثاني ١٩٨٣ و ١٩٨٤ للأستاذ الخيمي ومخطوطات المجاميع الأول والثاني ١٩٨٤ والمنتخب من مخطوطات المدينة المنورة لعمر رضا كحالة ١٩٧٣، ثم الفهرس العام لمخطوطات الظاهرية (١٩٨٧م).

ومن الفهارس الأخرى التي اهتم المجمع بطبعها: فهارس مجلة المجمع التي أعدها الأستاذ عمررضا كحالة بدىء بطبعها سنة ١٩٥٦ في أربعة أجزاء، ثم طبع الخامس للأستاذ محمد خير محمد سنة ١٩٨٧ ثم الجزء السادس وضعته غزوة بدير سنة ١٩٨٧.

ومن الفهارس أيضاً فهارس مجلة المقتبس التي أصدرها محمدكرد علي رحمه الله وضعه رياض مراد سنة ١٩٧٧.

ومن الفهارس أيضاً تصنيف العلوم والمعارف وضعه الأستاذ يوسف العش ووسعته السيدة سماء المحاسني سنة ١٩٧٩.

واتجه المجمع اتجاهاً آخر حين بدأ بطبع المصطلحات العلمية فطبع المصطلحات الحديثية للدكتور نور الدين العتر، والمصطلحات الأثرية للأستاذ يحيى الشهابي وكذلك المصطلحات الحراجية للأمير مصطفى

الشهابي، ومصطلحات الفنون للدكتور عفيف بهنسي، هذا بالإضافة إلى مشاركته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام كمعجم الكيمياء ومعجم مصطلحات الجيولوجيا ومعجم النبات سنة ١٩٧٧.

ولعل أهم مشروع أشرف عليه المجمع هو مشروع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر. وقد كان اهتمامه به مبكراً وذلك حين أعطى الأستاذ محمد كرد علي بعض أجزائه إلى العلماء ليحققوها ثم يتولى المجمع طبعها، وكان الجزءان اللذان حققهما الأستاذ صلاح الدين المنجد هما باكورة إنتاج المجمع من هذا الكتاب الضخم، سنة ١٩٥١ و ١٩٥٤ ثم جاء بعدهما الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ الشيخ أحمد محمد دهمان رحمه الله وطبع سنة ١٩٦٣.

وتابع المجمع الاشراف على تحقيق تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وتقوم الاستاذة سكينة الشهابي بالتحقيق وقد صدر من التاريخ عشرون مجلداً .

(٥)

أعضاء المجمع

يتألف المجمع من عشرين عضواً عاملاً ومن عدد غير محدود من الأعضاء المراسلين وينتخب من بين أعضائه العاملين رئيساً ونائب رئيس وأمينا للمجمع.

وقد تولى رئاسة المجمع خلال الخمس والسبعين سنة الماضية من العلماء خمسة هم:

١ ـ الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من

سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٥٣ .

٢ ـ الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٥٩.

٣ ـ ثم الأمير مصطفى الشهابي رحمه الله وقد تولى رئاسة المجمع من سنة١٩٥٩ إلى سنة ١٩٦٨.

٤ ـ ثم الأستاذ الدكتور حسني سبح رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من سنة ١٩٦٨إلى سنة ١٩٨٦.

٥ ـ ثم الدكتور شاكر الفحام الذي تولى رئاسة المجمع سنة ١٩٩٣م، فسح الله في أجله وسدد خطاه.

وأما بقية الأعضاء العاملين فالمتوفَّوْن منهم بلغ عددهم ستة وأربعين عالماً وأما الأعضاء الحاليون لهذه الدورة فسح الله في مدتهم فهم:

الأساتذة:	بدء العضوية
١ ـ الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١.
٢ ـ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع	١٩٧١.
٣ ـ الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥.
٤ ـ الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦.
٥ ـ الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦.
٦ ـ الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩.
٧ الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩.
٨ ـ الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣.

الأساتذة	بدء العضوية
٩ ـ الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨.
١٠ ـ الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨.
١١ ـ الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨.
١٢ ـ الدكتور محمدزهير البابا	١٩٨٨.
١٣ ـ الدكتور عادل العوا	١٩٩١.
١٤ ـ الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١.
١٥ ـ الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١.
١٦ ـ الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من اللغة إلى الفكر

د. حسن حنفي

عادة مايظن الناس أن اللغة مجموعة من الألفاظ والتراكيب، تصح أو تشذ، تحسن أو تقبح، تنقى أو تختلط وكأن اللفظ غاية في ذاته، وأن اللغة مجرد أصوات. وقد يقوّي ذلك علم اللسانيات الحديث بتحليل اللغة إلى مقاطع صوتية أو بنيات يتم تركيبها أو تفكيكها، لافرق بين لغة ولغة. فالكل يخضع لقوانين علم اللغة العام. وغُلّب علم فقه اللغة القديم على فروع علم اللغة الحديث: علم نفس اللغة، علم اجتماع اللغة، علم انتروبولوجيا اللغة، علم تاريخ اللغة... الخ.

أصبحت اللغة شكلاً بلا مضمون، لفظا بلا معنى ، صوتا بلا إشارة إلى عالم خارجي أو وقائع مادية وكأن الإشارة مجرد شفرة من شخص إلى آخر لإيصال معان دون أن تشير إلى وقائع، وإن كانت توحي بحقائق. وأصبح الكلام يؤدي وظيفة ملء الفراغ بين الإنسان ونفسه أو بين الإنسان والآخرين، مجرد صراخ للتعبير عن النفس وإثبات الوجود الذي لايلتفت إليه أحد، أو تخفيفاً للتوتر أثناء حدة الانفعالات في الفرح أو الحزن، والعالم الخارجي لاوجود له ومُسقطٌ من الحساب.

ليست قضية اللغة قضية مصطلحات وكيفية نقلها من لغة إلى لغة عن طريق الترجمة، تحويل المعنى إلى لفظ أصيل أو التعريب، النقل الصوتي للفظ. وينشأ التفاخر والتناحر بين الطريقين إلى حد السخرية . ويتبارى علماء اللغة في اختيار هذا الطريق أو ذاك. وتتنافس المجامع اللغوية في تفضيل

البعض النقاء اللغوي على العجمة، وأخرى في تفضيل الاستعمال على الأصالة اللغوية العتيقة. كما أن قضية الترجمة أو التعريب تجعل مهمة اللغة مجرد نقل حضارة وافدة إلى حضارة موروثة، تجعل الوافد هو الأصل، والموروث هو الفرع. المعنى من الخارج واللفظ من الداخل، الإبداع من الآخر والنقل للأنا. فتلهث اللغة وراء المعاني الجديدة، وتتبع الحضارة الناقلة الحضارة المبدعة، ويُصبح دور اللغة العربية كحائك الثياب، الجسم من الخارج والثوب الفضفاض أو الضيق من الداخل.

وتجتهد مجامع اللغة العربية في وضع القواميس والمعاجم حرصاً على نقاء اللغة، والتمييز الدقيق بين الألفاظ، واستخراج ألفاظ قديمة لاستعمالات جديدة أو قبول الألفاظ الجديدة الوافدة بعد أن تعربت بالاستعمال في هذا القرن. وهو توتر في كل معجم بين الأصيل والدخيل. ويتم تحديد معاني الألفاظ والكلمات، كل منها مستقل عن الآخر، في وحدات متفرقة، وجزئيات متجاورة. ويغيب السياق الذي قد يعطي اللفظ المفرد معناه. كما يغيب تطور معنى اللفظ في التاريخ وتغير استعماله من مجتمع إلى آخر. فندرت القواميس التاريخية للغة العربية، وعزت معاجم اللغة للاستعمال، وتباين معاني الألفاظ من قطر عربي إلى آخر.

واللفظ عرفي في أحد جوانبه. واللغة للاستعمال. وهي لغة الحياة اليومية التي يتم بها التفاهم والاتصال. والألفاظ لها حياة كما قيل «حياة الكلمات». اللغة بطبيعتها ضد التقنين والتعقيد والتنميط. فهذه عمليات منطقية خالصة يتم بها تجميع الجزئيات والمفردات في كليات وقوانين عامة. ومايند عن التقعيد يظل شاهدا وقاعدة بمفرده كما هو الحال في وضع الشواذ في اللغة. ومادام العربي البدوي الصحراوي قد نطق بها فانها تصبح قاعدة على العربي الحضري المدني في البصرة أو بغداد قديماً أو في دمشق أو

القاهرة حديثاً. فالقاعدة استثناء، والاستثناء قاعدة. وهي قضية القياس في اللغة بين الاثبات والنفي. وهي أيضاً قضية القياس في الشرع بين الوجوب والاستحالة.

وبدأت ازدواجية اللغة بين الفصحى والعامية. وانشغلت المجامع بالدفاع عن الفصحى، وانبرى الزجالون للدفاع عن العامية. وتتسع الشقةبين العلماء والشعراء الشعبيين، بين الفقهاء والزجالين. وتتسع المسافة بين لغة الكتابة والقراءة من ناحية ولغة الحديث والتخاطب من ناحية أخرى. وبدأ اللحن في الفصحى عند الأساتذة والمثقفين، وفي خطب الرؤساء والسياسيين لأنهم يقرؤون نصاً لايتحدثون به، وينطقون لغة لايتكلمون بها. واستقرت الفصحى على البرامج الدينية والترتيلات الإذاعية المسموعة والمرئية عن الاسلام والعروبة. أما التمثيليات والأعمال الفنية الشعبية فهي باللغة العامية. وأصبح المتكلم بالفصحى رجل دين أو أزهري أو درعميّ أو من الجماعة الإسلامية أو إخواني أو متحذلق. ونشأت دعوات في الغرب لتقنين اللغة العربية الحديثة، لغات الصحافة والكتابة النثرية الشائعة كبديل عن العربية الفصحى وكحل وسط بين الفصحى والعامية. ودون تأييد لهذه الدعوة فإنها تمارس بالفعل، وواقعة عند كل المتحدثين والمتخاطبين.

واقتصر دور مجامع اللغة العربية على حماية الفصحى ضد طغيان العامية. فانغلقت على نفسها تبحث في أمهات الكتب القديمة عن حلول المشاكل المعاصرة أو تؤبن الراحلين الذين أفنوا عمرهم في خدمة اللغة، وتصوّت على الأحياء الداخلين إلى مجمع الخالدين. وأصبحت صورة المجامع في الذهن الشعبي، العلماء الكبار، أصحاب العمم الملفوفة أو أصحاب الطرابيش الحمراء، عربا وعجما، مواطنين وأجانب، أعضاء ومراسلين.

وانضمت إلى الجمعيات العلمية لسائر العلوم الطبيعية الكيمياء

والطبيعة والأحياء..الخ. وهي جمعيات علمية متخصصة لايدخلها إلا المتخصصون فأصبحت اللغة صنعة، وأصبح الكلام حرفة، وتحولت اللغة من السوق إلى القاعة، ومن الطبيعة إلى الصنعة، يسري عليها مايسري على الشعر من قانون للتطور «طبيعة فصناعة فصنعة فتصنع».

والحقيقة أن اللغة ليست مجرد شكل كما يقول المحدثون بل هي مضمون كما يقول القدماء. لفظ ومعنى، معنى وشيء يشير إليه اللفظ وكما قال هوسرل مؤسس الظاهريات في تعريف فعل «يفكر» بثلاثة أشياء: يتكلم وهو اللفظ، يفكر وهو المعنى، والشيء موضوع التفكير. فاللغة عالم من المعاني كما هو الحال في «علم الدلالة». وهو عالم من الاشارات كما هو الحال في «علم الإشارة». وإذا كانت الدلالة معنى فإن الإشارة توحي بفعل من أجل الاتيان بشيء دون استعمال صيغة الأمر بالضرورة فاللغة عالم مركب من الأصوات والدلالات والأفعال.

وفي كل لغة عنصر ثابت وعنصر متحول. الثابت يضمن لها البقاء في التاريخ والاستمرارية عبر الأجيال. والمتحول يضمن لها التجدد المستمر والتكيف طبقا لمعطيات الواقع المتغير. الثابت أشبه بجذع الشجرة والمتحول أشبه بالأوراق والثمار التي تسقط في الفصول والمواسم كي تعود من جديد كل عام. واختلف فقهاء اللغة أي عنصر من عناصر اللغة الثلاث هو الثابت وأيها المتحول. هل يثبت اللفظ فيتغير المعنى أم يثبت المعنى ويتغير اللفظ؟ هل يثبت الشيء، فالطبيعة لاتتغير، الأرض أرض، والسماء سماء، والماء ماء، والهواء هواء، وتتغير الألفاظ طبقاً للغات وحياة الكلمات وتتغير المعاني طبقا للتصورات والنظريات وتقدم المعارف والعلوم؟

وقد تعرض القدماء للثابت والمتحول في نظرية المعاني الثلاثة للفظ. فكل لفظ له معنى اشتقاقي يبين نشأة اللغة من تقليد أصوات الطبيعة عواء

القط ونباح الكلب وزقزقة العصافير. وله معنى عرفي في الاستعمال اليومي، فالعادة هي التي تعطي المعنى. وتشمل العادة الاتفاق والمواضعة والعرف والتقاليد. وله المعنى الاصطلاحي وهو المعنى الجديد الذي يرتبط بالاشتقاق والعرف مع تثبيت أحد جوانب المعنى نحو معيار دائم. فالمعنى الاشتقاقي مرتبط بجذر اللفظ في الطبيعة وهو أقرب إلى الثبات منه إلى التحول. والمعنى الاصطلاحي أيضاً هو المعنى الثابت المعياري الذي لايتغير. والمعنى العرفي هو المتغير طبقاً للاستعمال من عصر إلى عصر وإن لم يكن من فرد إلى فرد أو من جيل إلى جيل.

ويبدو أن مجامع اللغة العربية أقرب إلى تغليب الثابت على المتحول نظرا لحرصها على تطابق اللفظ مع المعنى المعياري، وتطابق اللفظ مع الشيء أو بالأحرى تطابق الشيء مع اللفظ إذا كان الشيء جديداً فاللفظ هو الثابت والمعنى هو المتغير في تصور مجامع اللغة العربية الأمينة على بقاء الألفاظ واستمرارها في التاريخ حرصاً على نقاء اللغة وحياة الألفاظ في المعاجم والقواميس باسم «لسان العرب». ويُزاح الاستعمال جانباً لأنه ينال من ثبات اللفظ خاصة في مجتمع عربي متعدد الأعراف والتقاليد، من المحيط إلى الخليج، وفي إطار من الوحدة العربية التي تجسدها اللغة، وبباعث القومية العربية التي أحاطت بها الأخطار حتى توارت عن الأنظار في الخطاب السياسي وفي الواقع العملي. أما المعنى فإنه أقرب إلى ثبات اللفظ. فهو الوحيد الباقي كطرف للمعنى بعد استبعاد الاستعمال.

والحجة في ذلك أن تغليب المتحرك على الثابت فيه ضياع لثبات اللغة التي هي حامل الوحي، لغة الضاد، لغة القرآن الكريم، أداة التعبير عن الوحي الإلهي القديم المدون في اللوح المحفوظ، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. كما أن بقاء اللغة ثابتةً في التاريخ يحمي الأمة من الضياع

والاغتراب. فاللغة هي الهوية الثابتة في الوعي التاريخي وان تغيرت الثقافات وتعددت الحضارات. والحقيقة أن هذا افتراض نظري صرف، وحجة إنشائية. فالوحي مقروء ومكتوب ومحفوظ ومفهوم ومُفسر ومؤول. وأنزل في مكان وزمان معينين لشعب بعينه بلغة محددة وفي ثقافة خاصة هي الثقافة العربية قبل الإسلام. وكانت اللغة العربية، ليست فقط لغة القرآن، بل لغة مستعملة بين الأعراب، تنطق بها القبائل، وتوحي بأعراف وعادات ومعانٍ يعرفها العرب . فلغة القرآن أيضاً للاستعمال في بيئة ثقافية محددة. وللخطاب القرآني مستويات عدة بين الثبات في العلم الإلهي والتحول في الفهم الإنساني بل ان الخطاب القرآني ذاته في العلم الإلهي إحدى مراحل الوحي الذي بدأ لآدم حتى محمد على فترات من الزمن. ولكن شدة الإيمان وضياع العرب المعاصرين جعلهم يتمسكون بالثبات حرصاً على وجودهم في التاريخ ووقاية لهم من تحولات الزمن. وإذا كانت الثقافة الغربية قد غلّبت المتحول على الثابت، وهي تمثل تحديا لنا، وتعزز آثاراً سلبيةً على ثقافتنا وسلوكنا، فالأولى كرد فعل أن تكون لنا خصوصيتنا وثقافتنا التي تغلّب الثابت على المتحول. ﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

والحقيقة أن التراث اللغوي القديم كله قد حاول الجمع بين الثابت والمتحول في اللغة. ففي علم أصول الفقه، لنقرآن معانٍ أولية هي المعاني الثابتة التي يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى غير العربية. أما المعاني الثانوية للألفاظ فهذه خاصية اللغة العربية وحدها ولايمكن ترجمتها، وهي الخاصة بالوجدان العربي، وبالجمال العربي، وبالتصور العربي. كما بين علم الأصول في مبحث الألفاظ ثبات المعنى وحركته في ثنائيات الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المقيد والمطلق، المبين والمجمل.... الخ. وعلى

الفقيه أن يقوم بالانتقال من المحكم إلى المتشابه لاعطائه مزيدا من حرية الفكر والقدرة على الاستنباط لصالح الزمن الجديد. واستعمل الفلاسفة والمتكلمون خاصة المعتزلة التأويل من أجل تحريك المعنى الحرفي بعيدا عن اللفظ الثابت الأول إلى معنى آخر يتفق مع العقل عند المتكلم والفيلسوف، ومع المصلحة عند الأصولي والفقيه. أما الصوفية فإنهم رفعوا اللفظ كلية باعتباره سجنا للمعنى، وقيداً للحقيقة، وآثروا لغة الصمت أو لغة الإشارة الرمزية الأكثر اتساعا والتي هي أقرب إلى الحركة منها إلى الثبات. فالتصوف حركة، والطريق إلى الله تحرك. بل ان الله نفسه حركة في القلب، وسيلان دائم في الشعور.

الكلام إذن أكثر اتساعا من اللفظ، وأكثر رحابة من الحرف والكلمة والأداة. الكلام إيحاء وإيماء وإشارة وعلامة مثل حركات الوجه، وغمز العين، وهز الرأس، ومط الشفتين، وتحريك الحواجب، وإخراج اللسان، والتنهد بالرئتين، وتحريك اليدين والقدمين بل والجسد كله كما هو الحال في التمثيل الصامت (البانتوميم) والرقص الإيقاعي أو الباليه. والصورة الفنية أبلغ من العبارات التقريرية الوصفية. لذلك اعتمد القرآن على التصوير الفني أكثر من اعتماده على الخطاب الأمري، فالصورة الفنية تُقنع، والخطاب الأمري ثقيل على النفس. والقصص القرآني أبلغ من العظات المباشرة التي لاتؤثر في النفس، وتُنسى بمجرد سماعها.

وفي الثقافة الغربية، الكلمة شخص، وهو السيد المسيح «كلمة الله». والكلمة وجود كما هو الحال في معنى Logos عند فيلون ويوحنا. واللغة عند هيدجر «منزل الوجود»، يسكن فيها الوجود ويخرج منها. وفعل الكينونة ليس مجرد فعل بل هو الوجود المتضمن فيه. يظهر في اللغات الأجنبية ولايظهر في اللغة العربية لأن الوجود متضمن في الكلام ولايحتاج

إلى إثبات كما لاحظ الفارابي من قبل في «كتاب الحروف».

فإذا كانت اللغة بمثل هذا الاتساع فماهو برنامج مجامع اللغة العربية للتحول من اللغة إلى الفكر، ومن الفكر إلى العالم؟

١ ـ تحليل الخطاب العربي المعاصر السياسي، والديني، والفلسفي، والاجتماعي، والإداري، والقانوني، والتاريخي من أجل معرفة إلى أي حد يدل على شيء أو يفيد معنى أم أنه مجموعة من الألفاظ المنغلقة على ذاتها يتحول فيها اللفظ إلى معنى وإلى شيء، فاللفظ هو كل شيء أو على أقصى تقدير يُحمّل بأكبر قدر ممكن من الانفعالات في أقصى درجات حدتها لملء الفراغ اللغوي في اللفظ، فيصبح إنشاءاً وخطابة وصخبا وصراخاً. فالخطاب السياسي العربي المعاصر يعد ويتوعد، يُمنّي ويتمنّى، يرهّب ويرغّب، يكشف على السطح ويتستر في العمق. يخاطب الوجدان البطولي وكأنه خطاب عنترة بن شداد أو طارق بن زياد. الانفعال فيه فعل، والإنشاء إخبار، والتمني تقرير. لافرق في ذلك بين الخطاب السياسي أو الخطاب الديني أو الخطاب الإداري. وأحياناً ينغلق الخطاب على نفسه في مجموعة من الألفاظ وكأنها توحي بذاتها كما هو الحال في الايديولوجيات القطعية والمذاهب المغلقة دينية أو سياسية، سلفية أو ماركسية أو قومية أو حتى ليبرالية. ثم توجيه هذا الخطاب إلى عالم الأشياء والوقائع لإعادة قياسه عليه حتى لايصبح فضفاضا أكثر منه أو ضيقا عليه أقل منه. وبدلا من أن يمتلئ بالانشائيات أو بالصراخ، حتى لقد وصف البعض العرب بأنهم ظاهرة صوتية، فإنه يتأسس على واقع احصائي دقيق حتى تستطيع الكلمات أن تصبح وقائع ، ويتحد اللفظ بالشيء، والكلام بالعالم. ويقترب الخطاب الأدبي من الخطاب العلمي بدلا من هذه الهوة الشاسعة في الفكر العربي المعاصر بين الإنشاء والخبر.

٢ ـ التحول من تحليل الخطاب المدون إلى تحليل الخطاب الشفاهي في ثقافة بدأت شفاهية وكان التدوين فيها متأخراً. ومازال مركزها يحفظ شفاهياً، ومازال علمها في شعب تبلغ الأمية فيه ٦٥ ٪، ينقل شفاهياً، وكما أن للخطاب المدون قواعده وتراكيبه اللغوية فإن للخطاب الشفاهي آلياته وأساليبه.

وهنا تظهر أهمية الأمثال العامية وسير الأبطال الشعبيين المختلطة بسير الصحابة كملَوّن رئيسي للوجدان الشعبي، يستمد منها قيمه ومثله، ويستشهد بها في أحزانه ومصائبه أكثر مما يلجأ إليها في أفراحه وانتصاراته. فالنصر لا يحتاج إلى تبرير مثل الهزيمة. النص الديني والمثل الشعبي يؤديان نفس الوظيفة، الأول كثقافة عامة والثاني كثقافة شعبية، الأول من الله، والثاني من تجارب البشر وحكمة الشعوب. الوحي والطبيعة نظام واحد، التنزيل والتأويل كما قال القدماء. تحيا اللغة في الذاكرة الجمعية ويستدعيها الناس كمجموعة من الأقوال المأثورة، اللغة ما يتحدث به الناس، وما تثير في ماضيهم من نخوة إذا ما تعثر الحاضر، وضاق الحال.

٣ ـ إن مهمة مجامع اللغة العربية ليست فقط إقرار ماهو موجود وصفاً وتحليلاً من استعمالات اللغة وحديث الناس، اللغة كما تتخلق في الأسواق والطرقات بالإضافة إلى لغة المعاجم والقواميس ولكن أيضاً توجيه اللغة واستبدال الألفاظ. فعالم اللغة مصلح اجتماعي يساهم بدوره مثل السياسي والمصلح الديني والمثقف الثوري في التغير الاجتماعي عن طريق فك رموزه وإعادة توجيه المسار اللغوي. فالألفاظ تهرم وتشيخ وتعجز أحياناً عن التعبير عن المعاني المستجدة والوقائع المتغيرة وتبدل مستوى الثقافات. مثلاً، الحلال والحرام لفظان تشريعيان في الفقه القديم. ولهما مصادرهما في الأدلة الشرعية الأولى. ولما كان الإسلام دين الفطرة، وكانت صبغة الله

أحسن صبغة، وأصبح التصور الشعبي لهذين اللفظين الموروثين يعنيان غير المقصود منهما، ومترادفين للأمر والنهي في مجتمع مقهور يئن من الأوامر والنواهي ويتوق إلى الحرية ويسعى إلى التحرر فإنه يمكنه أيضاً القيام بعملية استبدال لغوي مثل طبيعي وغير طبيعي ، فطري وغير فطري. فالحلال سلوك طبيعي فطري والحرام سلوك غير طبيعي وغير فطري. يساعد اللفظان الجديدان على عملية التحرر ويساهمان في التخلص من نفسية الإنسان المقهور. ولا يصبح اللفظان القديمان في يد الحاكم القاهر، يستعملهما للإيحاء بالطاعة العمياء له. فلا فرق بين الأوامر والنواهي الإلهية والأوامر والنواهي السياسية. فيتوحد في ضمير الناس الله والسلطان.

مثال آخر لفظ «الدين» الموروث القديم بالرغم من وجوده في الأدلة الشرعية الأولى فإنه أصبح محملا بمعان تخالف القصد منه. فأصبح الدين في الموروث الثقافي يعادل العقائد والقطعية، والشعائر والشعائرية، فالدين عقيدة وشريعة. وأصبحت العقائد مقدسات وليست اجتهادات بشرية في فهمها، وتحولت الشريعة إلى مظاهر خارجية «طقوس» كما هو الحال في الديانات السابقة. وانفصلت العقيدة عن الفكر، كما انفصلت الطقوس عن العمل الصالح. وهنا يأتي عالم اللغة من أجل المساهمة في عملية الاستبدال اللغوي ليحل «الايديولوجية» أو المذهب السياسي ليعبر عن مضمون التوحيد وهو أنه تصور عام نظري وعملي للكون والمجتمع والفرد في السياسة والاقتصاد والأخلاق والقانون والاجتماع والجمال. وبهذه الطريقة قد يخف الصراع الحاد بين السلفيين أنصار اللغة القديمة وبين العلمانيين أنصار اللغة الجديدة، ويصبح عالم اللغة هو الأمين على تجديد اللغة والمسؤول عن وحدة الثقافة.

٤ ـ وهناك مجموعة أخرى من الألفاظ فرضتها حياتنا المعاصرة وكثر

استعمالها إبان حركة التحرر العربي وإن خفتت الآن في الخطاب السياسي السائد. مثل الأرض والوطن، الحرية والاستقلال، الديموقراطية والتعددية، العدالة والمساواة، النضال والمقاومة، حقوق الإنسان. ونظراً لأنها في أصلها وافدة في المائتي عام الأخيرة منذ فجر النهضة العربية فإنها لم تستطع أن تحفر طريقها في الثقافة لأن الألفاظ الموروثة تمثل سداً منيعاً في الوجدان القومي تمنع من اختراقه مثل الأمة والجماعة، والشورى والجهاد، والرزق، والصحابة، والطاعة لأولي الأمر... إلخ.[١] وهنا يظهر عالم اللغة ليجدد من معاني الألفاظ الموروثة حتى يجعلها أكثر قدرة على قبول الألفاظ الحديثة. فالحرية لفظ قديم تقال في مقابل العبودية في مجتمع مازال الرق فيه سائداً ولكنها تفيد الآن حرية الأفراد من القهر وحرية الشعوب من الاستغلال الداخلي والاستعمار الخارجي. كما أن مفاهيم العدالة والمساواة تعبر عن حاجات الناس ومطالبهم وتصطدم بمفاهيم موروثة من الدين أو من الثقافة الشعبية مثل الرزق، والقسمة والنصيب والرزق المقدر وجعل الناس طبقات. فتمنع الألفاظ القديمة من التغير الاجتماعي وتُحاصر الألفاظ الجديدة على أنها وافدة مادية إلحاديّة. هنا يأتي عالم اللغة ليقوم بتقليل المسافة بين اللغتين الموروثة والوافدة، ويظهر المعاني الجديدة المتضمنة في الألفاظ القديمة قدر الإمكان. كما يبين مدى تعبير الألفاظ الجديدة عن متطلبات العصر ومطابقتها للمعاني المتجددة للألفاظ القديمة حتى يُرفع الحصار عنها، ويبدأ غرسها في الثقافة الشعبية أسوة بالألفاظ القديمة، وحتى يقوم الزرع الجديد النامي مقام الزرع القديم اليابس. وكذلك الأمر في ألفاظ الوطن والشعب، واستثارة الذاكرة الجمعية لاستعمالات لفظ الوطن وتراثه مثل رسالة أبي

---

(١) حسن حنفي: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، الطبعة الأولى، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨٠، منطق التجديد اللغوي ص ١٢٣ ـ ١٥١.

حيان التوحيدي في الحنين إلى الأوطان والأقوال المأثورة مثل ـ حب الوطن من الإيمان ـ حتى تقل المسافة بين المفاهيم الموروثة عن الأمة والجماعة والديار وبين المفاهيم المعاصرة التي ذاعت ومازالت محاصرة من الجذور مثل الوطن والأرض والهوية والثقافة. ويقوم عالم اللغة أيضاً باستخراج أدبيات مصر والشام وفلسطين والقدس عن فضائل الأماكن والشعوب مثل «فضائل مصر» للكندي من أجل إقالتها من عثرتها، ونهضتها من كبوتها وحتى تظل الشام وفلسطين والعراق حية في وجدان الأمة من خلال استعمال الألفاظ.

٥ ـ وإذا كنا نحاول منذ فجر النهضة العربية إثارة الفكر وبداية حركة تنوير جديد فإن دور اللغة هنا يكون رئيسيًا في إثارة معاني الألفاظ ونشر الغبار التاريخي عنها أو استعمال ألفاظ جديدة لتحريك المياه الراكدة، وبعث الناس على التساؤل حول صحة الأفكار الشائعة والمسلمات الاجتماعية وذلك مثل ألفاظ الطبيعة، المادة، الالحاد، الجنس، الدين، السلطة، وهي أقرب إلى المحرمات في الثقافة الشعبية، لا يجوز الاقتراب منها أو تحليلها مثل «التابو». وفي مقابل ذلك تقبل ألفاظ أخرى مسموح الحديث عنها مثل الله، والروح، والإيمان، وألقاب الزعماء. فالطبيعة في الذهن الشعبي لا قوام لها من ذاتها، ولا قانون ضابط لها، فانية، أتت من لا شيء وتنتهي إلى لا شيء، تأتي من عدم وتنتهي إلى عدم. وبهذا المفهوم لا يمكن السيطرة عليها أو معرفة قوانينها أو تعميرها. وقد اتُّهم الطبائعيون قديماً بالالحاد لأنهم حاولوا جعلها باقية، منظمة، عاقلة، فاعلة. أما لفظ المادة فمازال لفظاً مداناً بنوع من التطهر الفردي والاجتماعي لأنه غير مقرون بالروح، ويؤدي إلى إنكار وجود الله كما قال الأفغاني في الرد على الدهريين « وكما يفعل بعض الدعاة في الرد على مادية القرن العشرين وإلحاده. والطبيعة خاضعة لقانون ينتظم حوادثها، وموضوع للتأمل والتفكر لادراك دلالتها وجمالها كما فعل

ابن رشد فـي فلسفته واقبـال في شعره. والمادة لـيست قبـحا، ولـيست ضد الروح بـالضرورة وقـديماً عـرّف النظام الـروح بالجـسم المتـحرك، والإنسـان بالبدن المرئي.

وحديـثاً حـاول البعض رد الاعـتبـار إلى النزعـات المادية في الـفلسـفة العربـية الاسلامـية. وقد حلـل الأصوليون الـعلل المؤثرة أي الماديـة في سلوك البشر لمعرفتها والقياس عليها. وحاول التيار العلمي العلماني في الفكر العربي المعـاصـر الدعـوة للـعلم الـطبـيعـي والمجتـمع المـدني، وتبـريـر نظريـة النشـوء والارتقـاء، وتبريـر المادة الغـربية ولـكنه ظل مـحاصـراً مطرودا لأنـه لم ينفـذ بالجذور. أما الالحاد فإنه تيار في الفكر الغـربي يدعو إلى التنزيه ضد التجسيم والتـشبيه، ويرفـعه أن يجـعل الله متـجسـداً، حالا فـي التاريخ، أو مـتكلـما لشعب خاص دون غـيره أو أن يقام له تمثال أو ترسـم له صورة، أو أن يكون أداة للقـهر في يد رجـال الدين. أما الجنـس والدين والسلطـة فهي المقـدسات المحرمات في الـثقـافة الشـعبية بـالرغم من الـتفكـير فـيهـا في الأعمـاق دون الافصاح، وبالـرغم من أنها بواعث للسلوك الـفردي والجماعي. مهـمة عالم اللغة تحلـيل مثل هذه الألفاظ من أجل خلـق حركة تنوير ابتداء مـن الحفر في اللغة.

٦ ـ اللغـة في النهـاية ليست فـقط مجـرد أداة لتوصيل المعرفـة بل هي «اقتضاء فعل» بمصـطلح الأصوليين القدماء. بل ان الاخبار نفسـه فعل معرفي لتغيير الذهن. اللغة باعث عـلى الفعل، ودافع على السلـوك، وإلا كان القول طائراً في الهواء، مـجرد أصوات وملء فراغ. وفي عام المجاعة كـتب عمر بن الخطـاب إلى عمـرو بن الـعاص « الغـوث، الغـوث. النجـاة النـجاة » لفـظان مكرران لا يعطيان خـبراً بل يقتضيان فـعلاً. وكلما كثر القـول قل الاقتضاء، وكلما زاد الكلام نقص الفعل. لذلك كان الرسول يـتهجد ويتعبد ليلاً تأويلاً

للقرآن. وعازف الآلة الموسيقية مفسر للنوتة الموسيقية بعزفه.

والآيات القرآنية التي تبدأ بأفعال القول مثل « قل » أو « قولوا » إنما هي اقتضاء فعل. ومن ثم يتحقق ما نادى به محمد عبده من قبل «ماأكثر القول وأقل العمل». ويدخل عالم اللغة في معارك الثقافة، ويحول مسارها من القول إلى الفعل، ومن الكلام إلى العمل عن طريق حفره في اللغة وتحليل الألفاظ وليس كداعية سياسي أو مصلح ديني. فالفعل إحدى مقولات اللغة فيما يسميه علماء اللغة المعاصرون « جمل الاقتضاء » Performante statements.

قد يقال إن الانتقال « من اللغة إلى الفكر » تحويل لعالم اللغة إلى ميدان السياسة وإخراج لمجامع اللغة العربية من قاعاتها العلمية وعملها الأكاديمي إلى ميدان خارج عن اختصاصها. والحقيقة أن ذلك اختيار. فإما أن يظل البحث العلمي مجرداً عن سياقه الاجتماعي والتاريخي وإما أن يكون جزءاً من نهضة أمة وتطور اجتماعي وتحليل لثقافة الناس واستعمالاتهم اليومية للغة للقضاء على موانع التقدم والمساهمة في إرساء قواعد التقدم ومنها اللغة. فاللغة قد تكون ستراً أو كشفاً، حجاباً أو استنارة، ضيقاً أو اتساعاً.

وقد يقال أيضاً ان هذه المهمة خارج إطار علم اللغة بل أدخل في علم اجتماع الثقافة أو انتروبولوجيا الثقافة. والحقيقة أن الثقافة لغة. وأن اللغة أصبحت علماً شاملاً بل هو العلم الإنساني بالأصالة. فهناك علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الانتروبولوجي، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة الأخلاقي، وعلم اللغة السياسي، وعلم اللغة القانوني. فلماذا يقتصر دور المجامع على علم فقه اللغة وحده ؟

إن دور المجامع يتطور بتطور العلوم وإلا توقفت المجامع على فقه اللغة،

وتطورت علوم اللغة، فتزداد المسافة اتساعاً بينهما، ويضيع الناس، وتصبح لغة التداول متأرجحة بين الخاصة والعامة.

وقد يقال أخيراً إن هذا الدور الجديد للمجامع يمارسه البعض وان لم يكن على نطاق واسع. وقد يحتاج ذلك تصديقاً للحكم إلى دراسة مجلات المجامع عن طريق تحليل المضمون لمعرفة مدى تعبيرها عن دور المجامع القديم أو دورها الجديد. ومعرفة النفس خير وسيلة لمعرفة العالم. ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾. ﴿وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

خطط دمشق

عند الحافظ ابن عساكر في تاريخه

الدكتور صلاح الدين المنجد

قلّ من العلماء المسلمين من أوتي فيما ألفه مالا حدّ له من الثناء الواسع والتقدير الكبير مثل الحافظ (ابن عساكر) صاحب (تاريخ دمشق) الثمانين مجلدة.

لقد كتب ولده ترجمة أبيه فقال: ولد في المحرّم أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمئة (٤٩٩) وهو علي بن الحسن بن هبة الله. وعساكر لقب واحد من أجداده وسمع الحديث من كبار المحدثين وطاف البلاد ليسمع الحديث. فأقام في بغداد خمسة أعوام يحصل العلم ويستمع إلى كبار المحدثين. وكذلك سمع الحديث في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأصبهان، ونيسابور، ومرو، وهراة، والكوفة. وطاف في مدن العالم الاسلامي يومذاك يحدث حديث رسول الله. فحدّث في بغداد والحجاز وأصبهان ونيسابور، ووضع معجماً لشيوخه الذين أخذ عنهم، فبلغ عددهم ألفاً وثلاث مئة شيخ بالسماع، وبضعاً وثمانين امرأة، جعل لهنّ معجماً صغيراً سمعه الحافظ الذهبي.

وقد وصفه من كتب الحديث عنه فقالوا: كان فهماً، حافظاً، ذكياً، متقناً، بصيراً بشأن الحديث. لايشق شأوه، ولا كان له نظير في زمانه. واشتهر اسمه في الأرض.

وعمل أربعين حديثاً بلدانية.

وإلى هذا فقد اهتم بالتأليف، فألف كتباً ثمينة نادرة ذكرناها في ترجمته في الجزء الأول من التاريخ الذي حققناه. وأعظم هذه المؤلفات:

١ ـ تاريخ مدينة دمشق في ثمان مئة جزء في ثمانين مجلداً كل جزء عشرون ورقة، فيكون ستة عشر ألف ورقة، لم يؤلف لأي مدينة في العالم الاسلامي مثله، وما كتب أحد عن تاريخ دمشق، ومن أنجبته من العلماء، ومن دخل إليها منهم، إلا رجع إليه . ومن مؤلفاته أيضاً:

معجم شيوخه اثنا عشرا جزءاً.

فضائل أصحاب الحديث، أحد عشر جزءاً.

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، مجلدة.

عوالي الأوزاعي.

من نزل من المحدثين غوطة دمشق، المزّة، والربوة، والنيرب، وكفر سوسية، وفذايا، وبيت سوا، وجسرين، وزملكا، وجوبر، وبيت لهيا، وبرزة، ومنين، ويعقوبا، وبعلبك.

ووضع مسنداً لأبي حنيفة.

وأملى أربع مئة مجلس وثمانية في الحديث. وله مؤلفات كثيرة غيرها.

وكان له شعر حسن، يمليه عقب كثير من مجالسه.

وكان له انجماع عن الناس، لا يخالطهم.

وتوفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وصلى عليه القطب النيسابوري شيخ العلماء، وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير، شرق الحجرة التي دفن فيها معاوية.

هذا موجز من سيرته، وبالجملة فقد كان من أعظم العلماء الذين أنجبتهم دمشق.

وأثنى عليه العلماء الكبار. فقال ابن كثير المؤرخ الدمشقي الكبير: صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة، فهي باقية بعده خالدة. وقد برّز على من تقدمه من المؤرخين، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين. فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله حكم بأنه فريد دهره في التواريخ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ.

ثم قال: أكثر من طلب الحديث في الترحال والاسفار، وجاب المدن والأقاليم والأمصار، وجمع مالم يجمعه أحد من الحفاظ، نسخاً واستنساخاً ومقابلة وتصحيح ألفاظ (ابن كثير ١٣/ ٢٩٤).

وقال ولده القاسم: سمع أبي من ألف شيخ وثلاث مئة شيخ، وبضع وثمانين امرأة. وكانوا يفضلونه على الخطيب البغدادي.

وأنا أضيف إلى ما قاله الحافظ المؤرخ ابن كثير، أن تاريخ دمشق هو أعظم كتاب في تراثنا العربي أُلف عن بلدة من البلدان وهي دمشق.

فقد تكلم على فضائل الشام وفتوحها، وخططها، ومساجدها وأبوابها، ودورها، وكنائسها، وأنهارها، وقنيّها، وترجم لكلّ من دخل دمشق ومدن الشام عامة، من الجاهلية إلى القرن السادس الهجري، أيام نور الدين. فأتى بأضخم معجم للتراجم والمدن أُلف بعد تاريخ بغداد.

ولعلكم تتساءلون كيف اهتديت إلى تاريخ دمشق ؟

لقد كنت في شبابي مولعاً بالأدب، وكنت من كتاب مجلة (الرسالة) للأستاذ الزيات، في مصر، ومجلة (المكشوف) للأستاذ حبيش في بيروت. وكلتاهما من أعظم المجلات الأدبية. وكنت أتردد على أستاذنا الجليل محمد كرد علي في داره وأطلعه على ما أكتب. ففي ذات يوم زرته، وإذا به يفاجئني بقوله: إلى متى تضيع وقتك بهذه المقالات ؟

فقلت: وماذا أفعل ؟

قال: هذا تاريخ دمشق لابن عساكر، أعظم تاريخ أُلف عن مدينة من المدن الاسلامية، مايزال مخطوطاً. لم يهتم به أحد. فابدأ أنتَ بتحقيقه، فتخدم بلدك ووطنك ولا يضيع وقتك سُدى.

منذ ذلك اليوم انصرفت إلى ما طلبه مني، وهيأت نفسي لمعرفة أصول التحقيق. ومضيت. فأنجزت تحقيق المجلد الأول، والقسم الأول من المجلدة الثانية المختصة بخطط دمشق. فكان وحيداً فرداً بين المؤرخين الذين ألفوا عن المدن الاسلامية، وأكثرهم توسعاً في الكلام عن خطط دمشق.

وقد فصلنا في كتابنا «مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين» كيف اعتنى ابن عساكر بذكر خططها عناية عظيمة لا نجد مثلها عند أي مؤرخ آخر.

١ ـ لقد بدأ بالمسجد الجامع الأموي الذي كان بيت القصيد فعقد له ستة أبواب، وذكر فيها شرفه وفضله، وقسمة الكنيسة، ثم بناء الجامع.

٢ ـ ثم ثنى بتعداد مساجد البلد حسب مواقعها في داخل المدينة وخارجها.

٣ ـ ثم عدد المساجد والمواضع المقصودة بالزيارة، وبين أماكنها.

٤ ـ ثم انتقل إلى الكنائس، فعدّد ما عرفه منها.

٥ ـ ثم انتقل إلى الدور التي كانت داخل السور، والمنازل التي كانت خارجه.

٦ ـ ثم ذكر الأنهار المحتفرة للشرب وسقي الزرع، والقني، والحمامات ومواضعها.

٧ ـ ثم ذكر أبواب المدينة ومقابرها، فبدأ بباب الجابية، وسجل

ما وجده من مساجد وقني وحمامات، شاطراً المدينة شطرين يحدهما (الشارع المستقيم) وهاذان البابان في الكتاب هما من أصح ما في هذا القسم، لأن الحافظ شاهد ما ذكره فيهما بنفسه ولم ينقل عن غيره.

وقد عني بمسجد دمشق عناية كبرى، وذكر أخبار كنيسة مريحنا التي هدم الوليد ابن عبد الملك بقيتها وأدخله في المسجد. وذكر ما كان بجانب المسجد: الخضراء، قصر الإمارة، وقصر معاوية. وقد بنى معاوية الخضراء بالطوب أولاً، ثم بالحجارة.

ثم انتقل إلى ذكر أماكن الدور التي لها ذكر ولأصحابها قدر ومكانة.

وبعد ذلك اهتم بذكر المساجد في داخل دمشق. فذكر أسماء اثنين وأربعين ومئتي مسجد حسب حاراتها، وخمسة وعشرين مسجداً في أرباض دمشق من ناحية القبلة، وأحد عشر مسجداً في شرقها، وسبعة وثمانين مسجداً في شمالها، وخمسة وخمسين مسجداً في غربها، مع ذكر موقع كلّ مسجد واسمه.

ثم انتقل إلى ذكر الأبنية خارج السور، وما كان فيه من منازل وقصور.

فذكر منازل دمشق القبلية: مكان الراهب، ومحلة السفليّين، والشماسية، وعالية وعويلة قبلة مسجد القدم، والقطائع قبلي الشاغور.

وفي الشمال: سطرا، والفراديس، والأوزاع، والصدف، ومرج الأشعريين.

ومن الغرب: لؤلؤة الكبيرة، ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء الحميريين، ومنازل بني رعين.

ومن الشرق: قرى الغوطة، والمرج.

ولم ينسَ ذكر حمامات دمشق وعددها سبعة وخمسون حماماً. ومن خلال ذلك لا ينسى ابن عساكر أن يتحدث عن أنهار دمشق ومجاريها: نهر بردى، ونهر يزيد، ونهر ثورة، ونهر باناس، ونهر مجدول، ونهر داعية، ونهر النونة، ونهر الزابون.

وكذلك عدد أسماء القني التي لها أوقات معينة يجري منها الماء خارج البلد وشماله وغربه.

وعدد أبواب المدينة وهي أحد عشر باباً. وهي:

١ ـ الباب الصغير، وهو القبلي.

٢ ـ باب كيسان، يلي الأول، من القبلة بشرق. ينسب إلى كيسان بن معاوية.

٣ ـ الباب الشرقي، كان ثلاثة أبواب: باب كبير في الوسط، وبابان صغيران من جانبيه.

٤ ـ باب توما، ينسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما. كانت على بابه كنيسة، جعلت فيما بعد مسجداً.

٥ ـ باب الجينيق، من الشمال أيضاً. منسوب إلى محلة الجينيق، محلة كبيرة كان بها كنيسة جعلت مسجداً.

٦ ـ باب السلامة. شمال البلد سمي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته، لما دونه من الأشجار والأنهار.

٧ ـ باب الفراديس. في شماله أيضاً.

٨ ـ باب الفرج. من شآمه. أحدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه.

٩ ـ باب الحديد. من شآمه. خاص بالقلعة.

١٠ ـ باب الجنان، غربي البلد.

١١ ـ باب الجابية. غربي البلد.

* * *

ثم انتقل إلى ذكر المقابر وبيان أمكنتها:

١ ـ مقبرة باب توما. أول مقبرة بدمشق للمسلمين.

٢ ـ أماكن قبور الصحابة، بظاهر دمشق، بباب الصغير وفيهم: معاوية، فضالة بن عبيد، واثلة بن الأسقع، أوس بن أوس، أبو الدرداء، أم الدرداء، أُبي بن كعب، أم حبيبة زوج رسول الله، بلال بن رباح مؤذن رسول الله، الوليد بن عبد الملك.

وتكلم على قبر معاوية. فبين أن هناك اختلافاً في موضعه. فهناك من قال أنه خلف حائط المسجد الجامع، والأصح أن قبره خارج باب الصغير.

ونلاحظ مما ذكرنا أن ابن عساكرقد وصف دمشق الرومانية ثم دمشق العربية. بحيث أن مخطط المدينة البيزنطية قد عاش ضمن المدينة الاسلامية.

فالطريق المستقيم الذي ورد ذكره في أعمال الرسل (من أسفار العهد الجديد) ظلّ الشريان الرئيسي، كما أن الطرق التي كانت تتعامد معه من جهة الشمال مازالت حتى اليوم. فتظهر المدينة على شكل مستطيلات متلاصقة ومنتظمة إلى حد كبير. وهناك حارات وأزقة تفصل ما بين زوايا المستطيلات السكنية في المدينة الرومانية.

ويخترق هذه المنطقة من الغرب إلى الشرق شارعان متوازيان الأول: الطريق المستقيم الذي يصل ما بين الباب الشرقي وباب الجابية (الباب الغربي). ويطلق على الجزء الغربي اليوم سوق مدحت باشا.

الثاني أصبح يدعى حديثاً جادة سوق ساروجة، طريق الطاحون. ويلتقي مع طريق (بين الحواصل) القادم من ساحة الشهداء (أي المرجة).

ونجمل الآن الخطط التي ذكرها ابن عساكر وبين مواقعها:

١ ـ الأماكن داخل السور:

السور والخندق ـ الأبواب والباشورات ـ الرحبات والمربعات ـ الأسواق والسويقات والسقائف ـ القناطر والأصنام والعمد ـ الدروب والأزقة ـ المساجد والكنائس ـ دور الحكومة والدور العامة ـ المدارس والرباطات ـ البيمارستانات ـ الفنادق والقياسر ـ المسالك والمعاصر ـ والمسالخ والطواحين ـ الحمامات ـ القني والسقايات ـ والعيون ـ الدور الخاصة.

٢ ـ الأماكن خارج السور في الأرباض:

القرى والمنازل ـ البساتين والمروج والميادين ـ المحالّ والحارات والأزقة ـ المقابر والقباب والقبور ـ الجبال ومواضع الزيارة.

وأختم كلامي بالإشارة إلى أن الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ قد تكلم في تاريخه على خطط بغداد. لكننا إذا قارنا ماكتبه، بما هو موجود عن خطط دمشق في تاريخ ابن عساكر تبين لنا أن ما كتبه ابن عساكر هو أضعاف ماسجله الخطيب.

ولكن نعتقد أن المقريزي قد تأثر بنهج ابن عساكر فيما كتبه عن خطط مصر والقاهرة، وتوسع في ذلك جداً.

أيها الأخوة الكرام

أعتذر إليكم عن تطويلي في الكلام، وآمل أن لا أكون أثقلت عليكم بهذا العرض الطويل، لكني أردت أن أظهر ما بذله ابن عساكر من جهد واستقصاء في تقديم ما قد نسميه اليوم « الموسوعة الجغرافية الطبوغرافية

السياحية لمدينة دمشق وضواحيها » بأسلوب واضح لا يصعب فهمه وقد وضعنا مخططاً لدمشق القديمة بالاستناد إلى خطط ابن عساكر، من رجع إليه سهل عليه معرفة دمشق أيام ذلك المؤرخ الكبير وتمكن من الوصول إلى معظم الأماكن في أيامنا هذه.

ولا بدّ أن أختم كلمتي بالشكر الجزيل لمجمع اللغة العربية بدمشق بشخص رئيسه الألمعي الدكتور شاكر الفحام الذي أقام بجهوده هذا الاحتفال الرائع، وأحيا ما كان للمجمع العلمي العربي من تألق ولمعان.

ولكم جميعاً أخلص الشكر والامتنان.

مراجع البحث

١ ـ ابن عساكر (علي بن الحسن) ـ ٥٧١ هـ.
تاريخ مدينة دمشق.
المجلدة الأولى، والمجلدة الثانية (القسم الأول).
كلتاهما تحقيق صلاح الدين المنجد.
(مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٣ و ١٩٥٤).
٢ ـ الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ـ ٤٦٣ هـ .
تاريخ بغداد.
٣ ـ ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ).
البداية والنهاية.
٤ ـ ابن طولون الصالحي، محمد بن علي (٩٥٣ هـ)
قرة العيون في أخبار باب جيرون.
تحقيق صلاح الدين المنجد.
(مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٦٤م).
٥ ـ صلاح الدين المنجد.
المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة.من القرن الثالث الهجري إلى العاشر.
(ط ٢ ـ بيروت ـ دار الكتاب الجديد).
٦ ـ صلاح الدين المنجد.
مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين.
(بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٦٧).
٧ ـ صلاح الدين المنجد
مخطط دمشق القديمة من الأمويين إلى المماليك

أسوارها، أبوابها، مدارسها، مساجدها، دروبها، مقابرها، وأماكن أثرية أخرى.
(دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢/ ١٩٧٧).

اتحاد المجامع اللغوية

أ . د . شوقي ضيف

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع– الزملاء المجمعيون ـ السيدات والسادة

أهنئ ـ في بدء كلمتي ـ باسمي واسم مجمع اللغة العربية القاهري ـ مجمع اللغة العربية الدمشقي بعيده الماسي وبما قدم للعربية من أعمال جليلة رائعة والموضوع الذي أردت أن أشرف بإلقائه على مسامع حضراتكم هو تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وأعماله ومستقبله، وأول دعوة لقيامه صدرت عن مؤتمر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الذي انعقد بدمشق سنة ١٩٥٦ وأصدرت الجامعة العربية مشروعاً للاتحاد سنة ١٩٥٧ ولم يلق قبولاً لدى مجامع اللغة العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد لعدم مشاركة مجمع منها في إعداده. ومضت فترة من السنوات، وفي العيد الخمسيني لمجمع دمشق سنة ١٩٦٩ طرح رئيسه الدكتور حسني سبح ضرورة تأسيس اتحاد المجامع: دمشق والقاهرة وبغداد، وعُرض اقتراحه على مجمعي القاهرة وبغداد، ووافقا عليه. وفي سنة ١٩٧٠ اقتُرح تشكيل لجنة لوضع نظام هذا الاتحاد تتألف من عضوين عن كل مجمع. واجتمعت اللجنة بالدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة في أبريل من نفس السنة، وتم في هذا الاجتماع وضع مشروع النظام الأساسي والداخلي للاتحاد، كما تم انتخاب الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة رئيساً للاتحاد، والدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع القاهرة أميناً عاماً للاتحاد والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع دمشق والدكتور أحمد عبد الستار الجواري عن مجمع

بغداد أمينين عامين مساعدين.

وأهم مواد النظامين الأساسي والداخلي للاتحاد ألخصها فيما يلي:

أن ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة، ويكون مقره مدينة القاهرة، ويتألف من المجامع الثلاثة في دمشق وبغداد والقاهرة وكلّ مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة. وللاتحاد هدفان أساسيان:

أولهما تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في كل ما يتصل باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

وثانيهما العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها. ويدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى: «مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية» يؤلف من عضوين عن كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو لمدة أربع سنوات. ويَنتخب أعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد.

ويجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية. ويحدَّد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس، ويجوز أن يجتمع بدعوة من الأمين العام للاتحاد بناء على طلب مجمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة وتَصْدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين، وفي حالة تساوى الأصوات يرجح الجانب الذي ينضم إليه الرئيس.

ويختص المجلس بالنظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد وإقرارها وكذلك بالنظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية وإقرارها وفي تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية وتنسيق جهودها، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها المجامع المختلفة واتخاذ

الوسائل اللازمة لذلك، ووضع المشروعات التي تحقق أهداف الاتحاد، والنظر في الاقتراحات المتصلة بأهدافه التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية، وفي تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد، تشترك فيها المجامع الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين.

ويعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد المجامع الأعضاء. وتدعى الجامعة العربية لإرسال مندوب يحضر اجتماعات المجلس. وللاتحاد أن يستعين بمن تدعو الحاجة إليهم من الموظفين. وعلى الأمانة العامة تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية، وتقديم تقرير سنوي عن أعمال الاتحاد وإعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس، وتحديد مدة انعقاده، وتحضير ميزانيته وعرضها وتسلم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة، وينوب الأمينان العامان المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد كل في مجمعه. ومالية الاتحاد تتكون من اشتراكات المجامع الأعضاء فيه. وتوضع أمواله في مصارف عربية يعينها مجلسه.

وهذا فيما يختص بتأسيس الاتحاد ونظامه أما أعماله فقد عقد تسع ندوات، كانت أولادها في دمشق سنة ١٩٧٢ وكان موضوعها مصطلحات قانونية أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ونوقشت في تلك الندوة، وأقِرّ منها ١٥٢١ مصطلحاً في القانون المدني والتجاري والبحري والإداري، وطبعها المجمع العلمي العراقي ونشرها سنة ١٩٧٤. وتلتها ندوة ثانية بمدينة بغداد سنة ١٩٧٣ ناقشت أكثر من ألف مصطلح نفطي وأُقِر منها ٩٦٠ مصطلحاً في جيولوجيا البترول وكيميائه، ولم يزد ما اختلفت فيه اللجنة عن نحو ١٠٪ وطَبَع اتحاد المجامع اللغوية هذه المصطلحات ونشرها سنة ١٩٧٣.

وفي يونيه سنة ١٩٧٦ انعقدت في الجزائر ندوة ثالثة عن تيسير تعليم

اللغة العربية، وأوصت اللجنة باستعمال الكلمات والاصطلاحات التي أقرتها المجامع في كتب القراءة، وأن تدرس الكليات والمعاهد التي يتخرج فيها مدرسو اللغة العربية ما تقره المجامع من ألفاظ وأساليب ومصطلحات والاهتمام بمكتبة الطفل وتزويدها بقدر صالح من الثروة اللغوية، وتُلْزَم الحكومة والمؤسسات والشركات باستخدام العربية وبحظر استخدام العامية حظرٌ تاماً في مختلف وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة، ويُعَدّ المذيعون والإعلاميون إعداداً لغوياً وأدبياً خاصاً. وتعمل المجامع على تيسير تعليم النحو العربي. ونشر اتحاد المجامع اللغوية أعمال هذه الندوة وتوصياتها سنة ١٩٧٧.

وعقد الاتحاد ندوة رابعة في أكتوبر سنة ١٩٧٨ بعمَّان في مجمع اللغة العربية الأردني حول تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير، ومن توصياتها المهمة التوسع في ترجمة الكتب العلمية المختلفة ذات الصلة بالدراسات الجامعية. وقد عمل مجمع اللغة العربية الأردني بهذه التوصية إلى أقصى حد، إذ ترجم نحو عشرين كتاباً من أمهات الكتب العلمية الجامعية، ليحقق تعريب التعليم الجامعي: الأمنية التي طالما استشرفت لها الأمة العربية، ولباه أساتذة الكليات العلمية سنة واحدة درسوا فيها علومهم بالعربية، غير أنهم عدلوا عن ذلك وهو عدول يأسى فيه المجمعيون لأمتهم وللغتها العلمية. وَطَبع اتحاد المجامع اللغوية أعمال هذه الندوة وتوصياتها ونشرها في السنة نفسها.

وانعقدت الندوة الخامسة لاتحاد المجامع بالرباط سنة ١٩٨٤ في ضيافة وزارة الثقافة المغربية وكان موضوعها تعريب التعليم العالي والجامعي، وقُدِّمت فيها بحوث مختلفة عن المصطلحات العلمية والترجمة والتعريب، ومن أهم توصياتها تعريب الكتاب العلمي الغربي مع العناية باللغات الأجنبية ودراساتها للطلاب، ودعوة المجلس الأعلى للجامعات لمواجهة قضية التعريب

والعمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي، وترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية مع ضرورة التفكير في إنشاء مركز قومي للترجمة، وأن تسعى أمانة الاتحاد إلى اتخاذ الأقطار العربية قراراً سياسياً ملزماً بتعريب التعليم الجامعي والعالي.

وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٧ عُقدت الندوة السادسة للاتحاد في مجمع اللغة العربية الأردني وكانت حول توحيد الرموز العلمية وطريقة أدائها، ونوقشت فيها بالتفصيل الآراء التي تذهب إلى أن تظل هذه الرموز في صورتها الأجنبية، ورُدَّ على أصحابها بأن هذا يصم العربية بعجزها عن أدائها لتلك الرموز، فضلاً عن أنه يجعل لغتنا العلمية خليطاً مشوشاً من العربية واللغات الأجنبية، ووضعت الندوة معجماً عربياً للرموز العلمية في الرياضيات والكيمياء والفيزيقا وطريقة أدائها في العربية. ونشر الاتحاد هذا المعجم في القاهرة سنة ١٩٨٧.

وانعقدت الندوة السابعة للاتحاد في بيت الحكمة بتونس من الثالث إلى الخامس من مايو سنة ١٩٩٢ وكان موضوعها توحيد تعريب المصطلح الطبي، وقُدِّم إلى الندوة الجزآن الأول والثاني من معجم المصطلحات الطبية لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وناقشته الندوة مناقشة واسعة وأوصت باتباع منهجه في وضع تعريف علمي دقيق لكل مصطلح طبي عربي، وباستخدام الحاسب في إحصاء كل ما نشر من مصطلحات طبية في العصر الحديث لتكوين معجم طبي موسوعي شامل وبضرورة أن تكون مصطلحات المعجم الطبي بالعربية والفرنسية والإنجليزية، وأن ترتب مداخله حسب حروف الهجاء الأجنبية. وطبع الاتحاد بحوث هذه الندوة ومناقشاتها وقراراتها وتوصياتها في القاهرة سنة ١٩٩٢.

وفي التاسع إلى الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٩٤ عقد

الاتحاد ندوته الثامنة في مجمع اللغة العربية بدمشق، وكان موضوعها معجم النفط الذي أنجزه مجمع القاهرة، ونوقش مناقشة مفصلة وانتهت الندوة إلى توصيات أهمها:

أن تصدر مصطلحات هذا المعجم بالعربية والانجليزية والفرنسية، وأن تضبط ألفاظ المعجم بالشكل، وأن يستفاد فيه من كتب التراث على أن لا تتعارض مع الكشوف العلمية الحديثة، وأن تخزن مواد المعجم في الحاسب (الحاسوب) ثم تدخل التعديلات التي يتم التوصل إليها تمهيداً لاستخراج نسخة معدلة تكون أساساً لطباعة المعجم النهائية، وعرض ممثل مجمع اللغة العربية الأردني تزويد اتحاد المجامع بنسخة معدلة لهذا المعجم توضع فيها التعديلات التي تم إقرارها، ويطبع المعجم بعد الخطوة السابقة وبعد اعتماده في صورته النهائية بمجمع القاهرة. وأكدت الندوة هدف اتحاد المجامع اللغوية في العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها. وانعقدت الندوة التاسعة للاتحاد في تونس بدار الحكمة في اكتوبر سنة ١٩٩٤ وكان موضوعها المعجم الجيولوجي الذي أنجزه المجمع القاهري، ومن أهم توصياتها أن تكون مصطلحات المعجم عربية وفرنسية وانجليزية مع اعتماد المشروعين التونسي والسوري وكتابة الرموز الرياضية والعلمية بأصولها اللاتينية، وضبط الكلمات العربية في الطباعة بالشكل حرصاً على النطق الصحيح وبخاصة في المصطلحات والعمل على وضع معاجم جيولوجية متخصصة لازدياد المصطلحات التي لا يستوعبها معجم واحد. تلك هي أعمال الاتحاد في سنواته الماضية وقد أسسته ثلاثة مجامع: مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجمع بغداد وانضم إليه في سنة ١٩٧٧ مجمع عمان، وفي الدورة الماضية انضم إليه مجمع السودان ومجمع فلسطين .

أيها السادة:

كان الغرض - ولا يزال - من قيام اتحاد المجامع اللغوية القضاء على البلبلة العلمية الشائعة في البلدان العربية بسبب ما يدور على ألسنة علمائنا المعاصرين في مؤلفاتهم وترجماتهم العلمية من مقابلات عربية متعددة للمصطلحات العلمية الغربية. وتعلمون - حضراتكم - أن أمتنا العربية استطاعت أن تنهض نهضة علمية عالمية امتدت قروناً من القرن الثاني الهجري / السابع الميلادي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وهي نهضة توطدت أركانها على وحدة علمية كانت تعم بلداننا العربية من أواسط آسيا إلى مشارف المحيط الإطلنطي بحيث كانت مصطلحات علم مثل الطب واحدة في كتابات الرازي وابن سينا في إيران ومهذب الدين الدخوار وابن القف في دمشق وابن رضوان وابن النفيس في القاهرة وأحمد الجزار في تونس والزهراوي في قرطبة. وبذالك نهض علم الطب العربي - ومثله العلوم الأخرى - نهضة علمية عظيمة.

وقد أراد من فكروا في قيام اتحاد المجامع اللغوية المعاصرة أن تكون لنا نهضة علمية عربية في عصرنا يتعاون فيها علماؤنا المعاصرون الأفذاذ من الخليج إلى المحيط بحيث ينمو العلم العربي في أقطارنا نمواً جماعياً وتكون له لغة علمية واحدة ومصطلحات واحدة في كل علم. واتحاد المجامع اللغوية العلمية يدأب - منذ تأسيسه - على الدعوة إلى هذه الوحدة العلمية بين بلداننا العربية، وأقام من أجلها الندوات التسع التي وصفتها لحضراتكم.

وفي تقديري أن الاتحاد ينبغي أن يسرع الخطا لتصبح وحدتنا العلمية - في عصرنا - حقيقة واقعة، فلا يكتفي بعقد ندوات من سنة إلى أخرى، بل يعمل على وصل المجامع بعضها ببعض وصلا علمياً، وتنسيق العمل بينها **بحيث تكون لكل علم لجنة مشتركة، بها ممثلون لكل مجمع، ينظرون في**

المنهجية الموضوعة له وفيما تنتجه المجامع من مصطلحات علمية فيه. وإذا كان مجمع قد وضع معجماً في أحد العلوم يرسله إلى المجامع الأخرى لتبدي عليه ملحوظاتها بعد مراجعته مراجعة علمية دقيقة، وترسل بها إلى اتحاد المجامع. وفي تقديري أن معاجم المجامع ينبغي أن يطبعها الاتحاد بعد دراسة لجان المجامع لها وموافقتها عليها، كما ينبغي أن يعمل الاتحاد على طبع كتب علمية مترجمة ومؤلفة تحمل المصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع، حتى لا تظل توضع وتتجمع حبيسة على الرفوف دون استعمال حيوي لها يجعلها تدور في ألسنة علماء الأمة والمشتغلين بالعلوم. وكلي أمل في أن يرسم الاتحاد هذا التنسيق المقترح في اجتماعه السنوي المقبل. وبدون ريب يتطلب هذا التنسيق الاتساع بميزانيته. والله يوفق القائمين عليه إلى توحيد المصطلحات العلمية في وطننا العربي وأن لا تظل أملاً مرجواً بل تصبح عملاً واقعياً مرموقاً.

والله ولي التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

النشأة الأولى
لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الدكتور ناصر الدين الأسد

سقى الله تلك الأيام الستة في ربوع الفيحاء من التاسع والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) إلى الرابع من شهر تشرين الأول (اكتوبر) من عام ستةٍ وخمسين وتسعمِئة وألفٍ للميلاد، حين اجتمع أشهرُ علماءِ العربية وأدبائها في تلك الأيام الزواهر، ومعهم عشّاق هذه اللغة الشريفة من مختلف التخصصات العلمية، ومن أقطار مشرِقنا العربي ومغرِبه، للمشاركة في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية. فكأنما عنانا الشاعر بقوله:

وكانت في دمشقَ لنا ليالٍ ... سَرَقْناهنَّ من رَيْبِ الزَّمانِ
جعلْناهنَّ تاريخَ الليالي ... وعنوانَ المسرَّة والأمانِ

حينئذ التقى كلٌّ من: طه حسين، وكان رئيساً للجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية، والأمير رئيف أبو اللمع، وكان الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية بالجامعة، وصلاح الدين المنجّد مدير معهد المخطوطات فيها، وأعضاءٌ يمثلون المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد، من أمثال الأعلام: منصور فهمي، وإبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، ومحمد بهجت الأثري، وجواد علي، ومصطفى جواد، وخليل مردم بك، والأمير مصطفى الشهابي، وفارس الخوري، ومرشد خاطر، وشفيق جبري، وعارف النكدي، ومحمد بهجة البيطار، وحسني سَبَح، وجميل صليبا، وعز الدين التنوخي، وحكمة هاشم، وسامي الدهان. ومعهم مراقبون ممثلون للأقطار

العربية التي لم تكن فيها مجامع من أمثال: قدري حافظ طوقان، وخير الدين الزركلي، وعبد الله العلايلي، وأحمد عبد السلام. وكنتُ حينئذ مندوبَ الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إلى المؤتمر والسكرتير الفنيَّ له وعضو مكتبه، وقد تولّيتُ مع غيري الإعدادَ للمؤتمر وتنظيمَه ومتابعةَ أعماله، ثم توليت جمع وثائقه ووقائِعه وأصدرتها في كتاب أصبح سجلاً للمؤتمر.

وورد في مطالع هذا الكتاب حديث مفصل عن المراحل التمهيدية السابقة التي انتهت إلى عقده. ويبدو من هذا الحديث أن السبب الأساسي الذي دعا إلى تنظيم المؤتمر إنما هو: توحيدُ المجامع اللغوية العربية القائمة أو التنسيقُ بينها. فقد ذُكر عن «الفكرة والهدف» مايلي:

«حين عقد مؤتمر وزراء المعارف العرب بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٣ قدم إليه اقتراح «بإنشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء، ويحل محل المجامع الإقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد، ويكون من مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية». وقد قرر مؤتمر وزراء المعارف في جلسته الثالثة في ١٩٥٣/١٢/١٠ إحالة هذا الاقتراح إلى المكتب الدائم للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لدراسته والتقدم بنتيجة بحثه إلى اللجنة الثقافية في دورتها الثالثة. ثم وافق مجلس الجامعة على هذا القرار في دورته العشرين بتاريخ ١٩٥٤/١/٢٦.

وقد عرضت الإدارة الثقافية هذا الاقتراح على المكتب الدائم للجنة الثقافية في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٥٤/٢/٢٠ فقرر:

«صرف النظر عن هذا الاقتراح نظراً لأن المجامع العلمية الموجودة في القاهرة ودمشق وبغداد متعاونة مع بعضها، ولأن بعض أعضائها يشترك في أكثر من مجمع واحد منها، كما أن الجامعة العربية بصدد إنشاء اتحادعلمي عربي يهدف إلى جمع شنمل العلماء والهيئات العلمية في البلاد العربية بما

يؤدي إلى تنشيط الحركة العلمية فيها».

«وقد تداولت الإدارة الثقافية في الموضوع مع بعض ذوي الرأي من أعضاءالمجامع العلمية العربية، فكان الرأي المفضل هو تعدد هذه المجامع، وتشجيع البلاد العربية التي لا يوجد فيها مجمع علمي - على إنشائه في أقرب وقت مستطاع، ويكون عمل هذه المجامع بحث ما يتصل باختصاصها من موضوعات محلية، على أن تعقد مؤتمرات دورية للمجامع اللغوية العلمية العربية لتستطيع تنسيق أعمالها فيما بينها منعاً لازدواج العمل من غير طائل، ولتنظر في الموضوعات العربية المشتركة وتتخذ فيها قرارات موحدة.

«ثم عُرِض الأمر كله على اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها التاسعة التي عقدت في جدة في يناير ١٩٥٥، فاتخذت التوصيات التالية:

أ – نظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية العربية منذ نشأتها قد أظهرت حرصاً محموداً على تمثيل الأكفياء من جميع البلاد العربية فيها فتوصي اللجنة بمزيد من العناية بهذا التمثيل بحيث يضم كل مجمع منها فئة صالحة من هؤلاء الأكفياء في جميع البلاد العربية.

ب – ونظراً لأن من الخير أن تتعاون المجامع اللغوية والعلمية العربية تعاوناً منتظماً على ترقية اللغة والمحافظة على سلامتها مع مسايرتها للحياة فتوصي اللجنة بأن تعمل الجامعة العربية على عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع للتداول وتبادل الرأي في نشاط كل منها والتقريب بين نتائج هذا النشاط.

ج – ونظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية القائمة الآن تختار من بين الأكفياء العرب أعضاء مراسلين وأن من الخير أن يشارك هؤلاء الأعضاء في أعمال تلك المجامع بقدر الإمكان، وفيما تعقده هذه المجامع من المؤتمرات كالمؤتمر السنوي للمجمع اللغوي المصري فتطلب اللجنة إلى الجامعة العربية

أن توصي الحكومات العربية بمعاونة الأعضاء المراسلين، وتيسير أسفارهم وإقامتهم ليشاركوا في هذه المؤتمرات.

«وقد وافق على هذه التوصية مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في مارس سنة ١٩٥٥ (قرار رقم ٩٥٩).

«وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – تنفيذاً لهذه التوصيات والقرارات، وتحقيقاً للفكرة المنشودة – بدعوة المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد إلى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع، وبدعوة الدول العربية – التي لا يوجد فيها مجمع – إلى تأسيس مجمع في أقرب وقت مستطاع، على أن توفد كل دولة منها مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية الذي يعقد في ٢٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق».

* * *

وكان المؤتمر فرصة مناسبة للجمهور الدمشقي، ومن تأشّب إليهم من بعض البلاد السورية، للاستماع لبعض هؤلاء الأعلام في محاضرات ثلاث عامة، كان أهمَّها محاضرةُ الدكتور طه حسين عن «اللغة الفصحى وتعليم الشعب». وهي في كتاب المؤتمرمع غيرها من المحاضرات. وكذلك ألقى هؤلاء الأعلام بحوثاً في موضوعات المؤتمر، فاز فيها النحوي المشهور الأستاذ إبراهيم مصطفى بالنصيب الأوفر فقدّم ثلاثة أبحاث، عن «التعاون بين المجامع العربية على عمل المعاجم اللغوية» و «كتابة الهمزة والألف اللينة» و «تيسير قواعد اللغة العربية».

ومن البحوث التي قُدِّمت إلى المؤتمر: أربعة عن الفصحى والعامية،

وثلاثة عن المصطلحات العلمية والفلسفية وبلغت عِدَّة البحوث جميعها خمسة عشر بحثاً، تضمنها كلُّها كتابُ المؤتمر.

* * *

وقد أصدر أعضاء المؤتمر إحدى وثلاثين توصية عن موضوعات متعددة هي: وسائل ترقية اللغة العربية، والتأليف والترجمة، والمصطلحات العلمية، وتحقيق المخطوطات ونشرها. وكان العنوانَ الأول في الترتيب: «تأسيسُ اتحاد للمجامع اللغوية العلمية» وأُدرجتْ في هذا العنوان خمس توصيات هي:

«١- يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ينظّم الاتصال بين المجامع العربية وينسق أعمالها.

٢- يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، ويضاف إليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع، تعينه حكومته ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الاتحاد.

٣- تدعو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد إلى الاجتماع في أوقات دورية وتقوم بدفع نفقات أعضائه وإقامتهم واجتماعاتهم.

٤- يضع الاتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة.

٥- ينظم الاتحاد الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية».

وفي مطالع العام التالي أقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية -

وهي التي دعت إلى هذا المؤتمر- حفلاً دعت إليه عدداً من المسؤولين ومن علماء العربية وأدبائها، أعلن فيه الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد عبد الخالق حسّونة، قيامَ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وتحقُّقَ الكيان الفعلي الواقعي له بعد أن تحقَّقَ له الكيان القانوني بتوصية المؤتمر وموافقة مجلس الجامعة.

غير أن هذا الاتحاد لم يقم في الواقع حينئذ، وطوي الموضوع كله في العام التالي: عام الوحدة بين مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الجنوبي والشمالي، فقد انضمّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق في مجمع واحد، وأعلن الدكتور طه حسين أنّ هذا المجمع الموحَّد يُغني عن الاتحاد وينهض بأعماله.

* * *

ومرَّت الأعوام، ونُسِيت المراحل السابقة كلُّها وأفكارها وأهدافها. وفي عام واحد وسبعين وتسعمئة وألف تأسس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية بمنزل الدكتور طه حسين وحضور ممثلين للمجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد، والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وصدرت نشرة في نحو عام ستة وثمانين وتسعمئة وألف عنوانها «اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في خمس عشرة سنة». جاء في الكلمة الافتتاحية للنشرة مايلي: « ترجع فكرة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية إلى العقد الرابع من هذا القرن. فقد دعت إليها الإدارة العامة للثقافة بالجامعة العربية في لقاء نظم بدمشق، ولكنها لم توضع موضع التنفيذ إلا في أوائل العقد الثامن. وبدأ الاتحاد حياته في نشاط كنا نود أن ينمو ويمتد على مر الزمن. ونأسف لأن ظروفاً خارجة عن إرادة المجمعيين، اعترضت سير الاتحاد

في أداء مهمته، فلم يعقد في الخمس عشرة سنة الماضية إلا خمسة لقاءات».

وفي العبارة الأولى ما يدّل على نسيان الماضي وتاريخ النشأة الأولى لاتحاد المجامع، وهو ما فصّلت القول فيه، وفي العبارة الأخيرة أسفٌ لضعف الاتحاد، وتبرئة المجمعيين مما آلت إليه حاله، ولعل المقصود قلة الموارد المالية.

ولا أعرف المرجعية القانونية لوجود الاتحاد الحالي واستمراره إذ ليس في النشرة التي ذكرتُها مايشير إلى ذلك. أما المرجعية القانونية للاتحاد الأول فقد كانت قراراً من مجلس جامعة الدول العربية وهو المرجع الأعلى المخوّل إصدار مثل هذا القرار.

وبعد ؛

فهذا جانبٌ من تأريخ ما كاد يُغْفله التاريخ، عن النشأة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، اقتصرتُ عليه. وما كان لي أن أكتب هذه السطور لولا تلك النشرة التي أغفلتْ ذكر النشأة الأولى للاتحاد، ووقع فيها ما وقع مما ذكرت ومما لم أذكر، فخشيت أن يستقرّ في الأذهان ما ورد في النشرة وحدَه، وأن يَطْوِيَ النسيانُ ماضياً قريباً كان أولَى بالذكر والتسجيل ليكون ركيزة لهذا الحاضر القائم.

وعسى الله أن يوفق اتحاد مجامعنا لتحقيق أهدافه. والحمد لله ربِّ العالمين.

مجلة مجمع اللغة العربية

الدكتور إحسان النص

بلغ مجمعنا من السنّ في هذا العام ستّاً وسبعين سنة، وهو أطول مجامع الوطن العربي عمراً، وفي مسيرته الطويلة هذه كان له رفيق لازمه ولم يفترق عنه إلاّ حقبة قصيرة، ذاك هو مجلة المجمع. كانت المجلّة طوال هذه المدة مجتلى إبداع الأدباء والمفكّرين والعلماء، تتغيّر أسماؤهم بتغيّر الزمن، يذهب جيلٌ من أصحاب الأقلام المبدعة ويحلّ محلّه جيل آخر، وتتابع المجلة مسيرتها تحمل إلى أبناء العروبة في شتّى أقطارها المتعطّشين إلى الارتواء من معين المعارف التراثية والأدبية واللغوية والعلمية ماينقع غُلّتَهم ويروي ظمأهم.

بدأ التفكير في إصدار مجلة لمجمع اللغة العربية منذ أن خطا المجمع خطواته الأولى، فقد وجد أعضاء المجمع المؤسسون أنه لاغنى لهم عن إصدار مجلة تكون مثابة لنتاجهم ونتاج العلماء والمفكرين في ميدان الأدب والفكر واللغة والعلم ومرآة تنعكس فيها أفكارهم ونظراتهم وثمار قرائحهم، ومن طريقها يتّصلون بالأدباء والمفكّرين ويحملون ثمرات أقلامهم إلى القرّاء في مختلف أقطار العالم العربي، فيُعرف ماللمجمع من نشاط وإبداع وإسهام في الحركة الفكرية والأدبية.

ولهذه الدواعي كلها قرّر أعضاء المجمع في اجتماعه السادس والعشرين المنعقد بتاريخ السابع عشر من أيلول عام تسعة عشر وتسعمئة

وألف طلب الترخيص بإصدار هذه المجلة من الحاكم العسكري رضا باشا الركابي، وذُكر في الكتاب المرفوع إليه الموضوعات التي ستتناولها المجلة وهي: «بحث في أعمال المجمع والمحاضرات التي تُلقى في ردهته ومايتعلق بالمتحف العربي ودار الكتب العامة، مسترسلة إلى طرق التدريس والتأليف والترجمة والأوضاع، ومايتعلق بذلك من إحياء اللغة وآدابها وغير ذلك من الفوائد العلمية والأخلاقية والاجتماعية. وستكون شهرية ذات ثمان وأربعين صفحة، على ورق جيد صقيل، مصورةً عند الحاجة».

على أن الأحوال لم تتح للمجمع إصدار مجلته إلاّ بعد سنة ونيف، ولم تتحقق الخطة بإصدارها في ثمان وأربعين صفحة فصدرت في اثنتين وثلاثين صفحة.

رأى العدد الأول من المجلة النور في مستهلّ عام واحد وعشرين وتسعمئة وألف للميلاد الموافق للواحد والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة وألف للهجرة، أي بعد قرابة سنتين من إنشاء المجمع، ولم يتجاوز عدد صفحات هذا الجزء اثنتين وثلاثين صفحة.

بدأت المجلة بداية متواضعة واكتفى القائمون على تحريرها يومئذ بكلمة تصدير غاية في الإيجاز جاء فيها مايأتي تحت عنوان: فاتحة المقال: «جرت عادة المجامع العلمية في البلاد المتمدنة أن يكون لها مجلاّت خاصّة بها، تصدر في أوقات معينة، يُنشر فيها مايكتبه أعضاؤها ومراسلوها في مواضيع العلوم والفنون المختلفة، وما يُلقى في المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت إلى آخر، ومايتجدد في عالم العلم من الآراء والأفكار وضروب الاكتشاف والاختراع وخلاصةُ الأعمال التي قام بها المجمع أو هو في صدد القيام بها، وغير ذلك من الأخبار والشؤون التي تلتحم بخطته، ولاتخرج عن حدود وظيفته.

وقد رأينا أن مجمعنا العلمي العربي في حاجة إلى مثل هذه المجلّة فأصدرناها بهذا الشكل، وعلى هذا النمط الذي له من طبيعة الوقت وفقد العُدد والوسائل شفيع في تقصيره، وعذر في الاكتفاء بقليله عن كثيره، وان لنا من مؤازرة الفضلاء والعلماء مايذلّل الصعاب أمام هذه المجلة، ويرقى بها إلى ذروة كمالها واستتمام هلالها، إن شاء الله تعالى.

أما الأبواب أو الأقسام التي يتركَب منها كيان هذه المجلة فهي أربعة:

الأول: في المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والفنية.

الثاني: في المراسلات التي ترد إلى إدارة المجلة من المراسلين والعلماء وأهل الفضل، ولاتقبل مالم تكن من موضوعات المجلة.

الثالث: في الأخبار والشؤون العلمية عامة.

الرابع: في أعمال المجمع ومساعيه الداخلية الخاصة به.

ولم تذيّل هذه الافتتاحية باسم كاتبها.

وقد حوى الجزء الأول من المجلة، إضافة إلى هذه الكلمة الافتتاحية، نبذة عن نشأة المجمع العلمي العربي، وهو الاسم الذي عرف به المجمع لدى إنشائه في الثامن من حزيران عام تسعة عشر وتسعمئة وألف، وكان قبلُ مرتبطاً بديوان المعارف، وكذلك لم يذكر في ذيل هذه الكلمة اسم كاتبها، وتلاها منشور المجمع، وهو المنشور الذي يتحدث عن نشأة المجمع ومقرّه والخطة التي سيسير عليها، ودعوةٍ إلى الكُتّاب في العالم العربي لموافاة المجلة بمقالاتهم وبحوثهم، وقد ذُيّل المنشور باسم رئيس المجمع يومئذ وهو الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي، تغمدّه الله بشآبيب رحمته، وإليه يرجع الفضل الأول في إنشاء المجمع، وكان أعضاء المجمع لدى تأسيسه لايتجاوز عددهم الثمانية وهم: الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع، والأساتذة: أمين سويد،

أنيس سلّوم، سعيد الكرمي، عبد القادر المغربي، عيسى اسكندر المعلوف، متري قندلفت وعز الدين التنوخي، ثم انضم إليهم فيما بعد الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية، وعلى عاتق هؤلاء الأعضاء المؤسسين كان تحرير المجلة في المراحل الأولى. ونجد في هذا الجزء كذلك مقالة بقلم الأستاذ سعيد الكرمي حول دور الكتب وفائدتها وحول دار الكتب الظاهرية في دمشق خاصة، وتلا هذه المقالة كلمة بقلم الأستاذ متري قندلفت في وصف بعض العاديات في دار الآثار العربية، ثم مقالةٌ للأستاذ كرد علي حول الشيخ طاهر الجزائري وكلمة أخرى له عرّف فيها بالمستشرق ماسّينيون الذي قدم دمشق أواخر عام عشرين وتسعمئة وألِف، وقد طلب إليه إلقاء محاضرة، فألقى محاضرة في مدرسة الحقوق العربية عنوانها: ملتقى الأدبين الشرقي والغربي، فنشرت المحاضرة في هذا الجزء. وختم السفر الأول بنبذة حول بعض أعمال المجمع ذكر فيها أسماء من اختارهم المجمع من الباحثين المستشرقين ليكونوا أعضاء فيه، وكلهم من أعلام الباحثين في التراث العربي الإسلامي، ومنهم الأساتذة بروكلمان، ومرغوليوث، وماسينيون وكايتاني وغويدي.

بعد هذه الخطوة المتواضعة الخجول توالى ظهور أعداد المجلة مرة كل شهر، وظل عدد صفحاتها قليلاً لايكاد يجاوز الثلاثين صفحة، وكان جُلّ كُتّابها في تلك الحقبة من أعضاء المجمع، ولا نجد في نهاية كل جزء فهرساً للمقالات الواردة فيه وإنما ترك ذلك للجزء الأخير من المجلد، وهو الجزء الثاني عشر، ففي كل عام كان يصدر اثنا عشر جزءاً يضمها مجلد واحد. وفي الجزء الأخير من المجلد أثبت فهرس للمقالات منسوقةً على أحرف المعجم، وفهرس آخر لكُتّاب المقالات والأعلام من المراسلين على حروف المعجم كذلك. وقبل هذا الفهرس خلاصة عن أعمال المجمع في تلك السنة،

وقد جعلت أرقام صفحات الأجزاء متتابعة فبلغت في نهاية المجلد الأول زهاء أربعمئة صفحة.

ومن النظر في خلاصة أعمال المجمع سنتئذٍ نتبين أن أعضاء المجمع، على قلّتهم في ذلك الحين، كانوا يتولّون كتابة أكثر بحوث المجلة، وكذلك يلاحظ أنه كان للمجمع نشاط جدير بالتقدير في إلقاء المحاضرات، ففي كل أسبوعين كانت تلقى محاضرة في بهو المجمع، وكان المحاضرون من أعضاء المجمع ومن غيرهم من العلماء والأدباء.

ويلفت النظر المنزلةُ الرفيعة التي كان يتبوؤها المجمع لدى المسؤولين في ذلك الحين، ومن ذلك مثلاً الإنعام على الأستاذ سعيد الكرمي، نائب رئيس المجمع في تلك الحقبة، بوسام جوقة الشرف من رتبة فارس، وكان ذلك في أيلول من عام واحد وعشرين وتسعمئة وألف للميلاد.

وبدءاً من الجزء السابع أضيف إلى أبواب المجلة الثابتة باب يعنى بما طبع حديثاً من الكتب مع التعريف بها ونقدها وبيان مانشر من كتب التراث.

لقد كان لصدور مجلة المجمع صدى عظيم في العالمين العربي والغربي، وأقبل المثقفون في مختلف الأقطار على مطالعتها، وأخذ عدد المشتركين فيها يتزايد من سنة إلى أخرى، وشارك في كتابة بحوثها جهابذة العلماء والأدباء من مختلف الأقطار، وكانت المجلة ترسل إلى مختلف المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية في جميع أنحاء العالم، وكانت هذه المؤسسات تُرسل بدورها بحوثها ونشراتها إلى المجمع. وقد بلغ عدد المؤسسات التي يتم التبادل بينها وبين المجمع خمساً وثمانين مؤسسةً علمية في السنة الثانية من إنشاء المجلة، وأصبح أعضاء المجمع من طريقها يدعون إلى المؤتمرات العلمية. ومنها على سبيل المثال العيد المئوي للجمعية الآسيوية في باريس، وعيد المجمع الملوكي في بروكسل وكذلك مؤتمرات المستشرقين

الدورية. وبلغ في ذلك الحين عدد أعضاء المجمع المؤازرين والمراسلين زهاء خمسة وسبعين، وهم من جِلّة العلماء والباحثين، ومنهم الأساتذة دوسّو وماسّينيون وكليمان هوار وغويدي وكايتاني ونلّينو وبروكلمان ومرغوليوث وبيڤان وكوفالسكي وموسّيل وباسّيه، وكان كثير منهم يسهم في كتابة بحوث المجلّة. وقد لقيت المجلة ترحيباً حاراً من العلماء في الشرق والغرب وأرسلوا رسائل يثنون فيها على المجلة، ومن ذلك مثلاً رسالة للعلاّمة أحمد تيمور يقول فيها: «قرأت المجلة بشغف زائد وإني أحمد الله على أنها صارت بهمّة أعضائها الكرام من أرقى مجلاّت العالم».

عانت المجلة في بدء صدورها مصاعب مالية لقلة عدد المشتركين فيها، وكانت تضطر لذلك إلى الاستنجاد بالدولة لرفدها بالمال، وبعد سنتين من صدورها كانت تطبع خمسمئة نسخة يهدى منها قرابة النصف، وكانت قيمة الاشتراك فيها زهيدة لاتتجاوز ليرتين سوريتين، وقد أخذ عدد المشتركين فيها يزداد تدريجياً ويزداد معه عدد مؤازريها، ممّا أدّى إلى تحسن وضعها المالي.

ظلت المجلة طوال أعوام ثلاثة تسير على النهج الذي سارت عليه منذ إنشائها فكانت صفحات الجزء لاتتجاوز اثنتين وثلاثين صفحة، ثم كثر عدد الكُتاب فيها وتوافر لدى إدارتها مقالات وبحوث كثيرة فزاد عدد صفحات الجزء منذ عام أربع وعشرين وتسعمئة فبلغت صفحاته زهاء ثمان وأربعين.

وبدءاً من السنة الثامنة أي منذ ١٩٢٨ لإصدار المجلة وثب عدد صفحات الجزء وثبة أخرى فبلغ أربعاً وستين صفحة، وبلغ عدد كتابها زهاء ثلاثين من العلماء والأدباء والباحثين. ويعلّق الأستاذ كرد علي على تزايد عدد كُتّابها فيقول في التقرير الذي أعدّه عن أعمال المجمع للسنوات ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧ إن هذا ندر مثله حتى في المجلاّت الكبرى في الغرب، وإنّ

علماء المشرقيات أعجبوا بالبحوث التي تنشر في المجلة فعدّوها حجّة في الأدب واللغة والتاريخ. وممّا قاله الباحثون المستعربون في شأنها قول البحاثّة سنوك هروغرون من جامعة ليدن ونصه: «أطلعتُ طُلاب العلم من أهل بلادي على أعداد المجلة، وبينت لهم أنها علامة إحياء العلوم الشرقية، ومعجزة في جنسها. مفحمة لمن ينكر استمرار التمدّن العربي، وأوضحت لهم عدم قدرة أحدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب.».

ومنذ عام واحد وثلاثين وتسعمئة وألف طرأ تغيير في نهج المجلة فأصبحت تصدر كل شهرين مرّة وكل عدد منها يحوي جزأين، وعلى هذا فقد ظلت المجلة تصدر اثني عشر جزءاً في العام ولكن يَصدر في كل شهرين عدد يحوي جزأين، وزاد عدد صفحات المجلة تبعاً لهذا. ثم طرأ تحول آخر منذ عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف بدءاً من المجلد الرابع والعشرين، فأصبحت تصدر فصلية مرة كلّ أربعة أشهر، والمجلّد السنوي أصبح يحتوي على أربعة أجزاء، والمجلة ماضية على هذا النهج حتى يومنا هذا.

لم يكن صدور المجلّة متَصلاً طوال مدة مسيرتها الطويلة، فقد قضت الظروف بتوقفها عن الصدور مرتين، أولاهما في مستهلّ شهر أيار عام ثلاثة وثلاثين وتسعمئة وألف واستمر توقفها حتى نهاية شهر نيسان من سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف، أي أن احتجابها استمر سنتين، وسبب هذا التوقف أوضاع المجمع الإدارية، وكان قد صدر قبل احتجابها أربعة أجزاء من المجلد الثالث عشر. ولمّا استأنفت مسيرتها في مطلع شهر أيار من عام خمسة وثلاثين وتسعمئة وألف صدرت الأجزاء الثمانية المتممة للمجلد الثالث عشر.

وقد ورد في مقدمة الجزء الخامس من هذا المجلد كلمة تحت عنوان:

«استئناف العمل» جاء فيها: «بسم الله، نستأنف العمل في هذه المجلة بعدما اضطررنا إلى وقفها أربعة وعشرين شهراً، من أول أيار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف حتى آخر نيسان سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف. فالأعداد الثمانية التي سنصدرها في هذه السنة تقع متممة لأربعة الأجزاء التي سبق إصدارها في أول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف. فباعتبار عنوان المجلّد يكون مجلّد هذه السنة موسوماً بالثالث عشر، على نسق المجلدات التي قبله، وباعتبار تاريخ السنين تكون أربعة أجزائه الأولى مؤرّخة في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف، وثمانية أجزائه التالية مؤرخة في سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف».

وقد استمرت المجلة في الصدور بعد ذلك مدة سنتين ظهر فيهما المجلدان الرابع عشر والخامس عشر.

والتوقف الثاني للمجلة وقع في مستهلّ عام ثمانية وثلاثين وتسعمئة وألف واستمر حتى مطلع عام واحد وأربعين وتسعمئة وألف، وسبب التوقف الثاني نضوب الموارد المالية. ولما استأنفت صدورها بعد ثلاث سنوات جاء في مقدمة الجزء الأول من المجلد السادس عشر مايأتي:

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها. ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها على ماكانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها.

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة، ،كله أمل أن يُظلَّ السلامُ العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم.

يحتاج العلم إلى الهدوء والاستقرار فإذا متع حَفَدته بذَرو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له. ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم، ما ثناهم هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم، ووجدوا في العمل سلوى، وفي بث الفكر واجباً يوفونه. والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاءً تاماً.

ولقد اطرد صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسياوية الباريزية يوم كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة.

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المثبطات، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المنشطات. فما وهى في الأولى ولازها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ما انقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده، شاكراً لهم مناصرتهم. والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً، والله الملهم والمسدد».

استمرت المجلة شهرية منذ ذلك الحين يصدر منها جزآن كل شهرين حتى عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف. فقد أصبحت المجلة منذ المجلد الرابع والعشرين فصلية تصدر أربع مرات في السنة ومازالت حتى اليوم تسير على هذا النهج. وقد زاد عدد صفحات الجزء إلى ما يناهز المئتين. وكذلك طرأ في مسيرتها الطويلة بعض التغيير في أبوابها، فقد غُيّر باب آراء وأفكار فأصبح : آراء وأخبار، ثم بُدّل بعد ذلك فأصبح آراء وأنباء، وهذا الباب ثابت

في المجلة إلى يومنا هذا. وكذلك غُيِّر باب: كتب حديثة فأصبح عنوانه: مخطوطات ومطبوعات ثم ألغي هذا الباب فيما بعد وأصبح يذكر في نهاية كل جزء مطبوعات المجمع. وبدءاً من المجلد الرابع والعشرين لعام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف أصبحت الأبواب الثابتة هي: المقالات والبحوث، التعريف والنقد، آراء وأنباء، وهو يشتمل على ماجدّ من أحداث تتصل بالمجامع العربية والمؤسسات الثقافية، ويلي هذه الأبواب ذكر لما أهدي إلى المجمع من كتب ومجلات وفهرس للمقالات وكُتّابها.

وبدءاً من الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين لعام واحد وستين وتسعمئة وألف أصبح اسم المجلة: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وذلك اثر توحيد مجمعي القاهرة ودمشق في مجمع واحد إبان الوحدة بين القطرين السوري والمصري. وبعد الانفصال عاد الاسم القديم: مجلة المجمع العلمي العربي في المجلدات ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠. ثم استقر الرأي على صدورها باسم «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق» بدءاً من المجلد ٤١ حتى اليوم ونحن الآن في المجلد السبعين وقد صدر منه حتى اليوم ثلاثة أجزاء.

وإذا تقصّينا كُتّاب المجلة نجد أن تبعة كتابة المقالات والبحوث فيها كانت تقع على أعضاء المجمع في المرتبة الأولى إبَان الحقبة الأولى من صدورها فكان يكتب جلّ بحوثها الأساتذة محمد كرد علي وسعيد الكرمي وعبد القادر المغربي وعيسى اسكندر المعلوف وأنيس سلَوم وعزالدين التنوخي وشفيق جبري يضاف إليهم طائفة من الباحثين من خارج سورية منهم الأب أنستاس الكرملي وأحمد رضا ثم أسهم في الكتابة فيها كُتّاب آخرون وأعضاء المجمع الجدد ومنهم الأساتذة: بهجة البيطار وعبد القادر المبارك وخليل مردم، وكانت أسماء الباحثين تتغير من حين إلى آخر، تتوارى أسماء وتظهر أسماء جديدة. ومن العسير إحصاء أسماء كُتّاب المجلة

جميعاً فعددهم يقارب المئة، يكتب كلٌّ منهم في مجال تخصصه.

موضوعاتها وآفاقها

كان اسم المجمع في بدء تأسيسه: المجمع العلمي العربي، ولذلك كانت تنشر في مجلة المجمع بحوث أدبية ولغوية وتاريخية وعلمية، وجل الأبحاث العلمية كان مداره على الطب، ولكن كان حظ البحوث الأدبية واللغوية والتاريخية أوفى بكثير من حظ الأبحاث العلمية لأن جل كتاب المجلة كان من الأدباء والمؤرخين وعلماء اللغة. وقد استمر هذا النهج حين تحول المجمع العلمي إلى مجمع لغوي. فالمجلة تفتح صدرها لمختلف الموضوعات، ولكنها تدور في فلك تلك الأغراض، والبحوث العلمية التي تنشرها المجلة في الحقبة الحاضرة تتصل بالتراث العلمي العربي، أما المقالات العلمية التي تخرج عن هذا الإطار فمجلتنا لا تعنى بها ولا تنشرها.

وإذا استعرضنا موضوعات المجلة بوجه عام نجد أنها تصنف على النحو الآتي:

أ ـ دراسات في اللغة العربية.

ب ـ تراجم الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب والأعلام البارزين من العرب في مختلف المجالات، وتراجم العلماء العرب القدامى المشهورين من أطباء وكيميائيين ورياضيين وغيرهم.

جـ ـ دراسات تتصل بتاريخ الأمة العربية وقبائلها وأنسابها.

د ـ دراسة لطائفة من كتب التراث المخطوطة أو المنشورة.

هـ ـ بحوث تتناول المصطلحات العربية

و ـ بحوث تتناول الأخطاء الشائعة في اللغة وتصحيح ما شاع منها.

ز - بحوث تتصل بالقرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الشرعية والفقهية.

ح - تحقيق طائفة من الكتب والرسائل التراثية التي يمكن استيعابها في المجلة.

وتشرف على شؤون المجلة في الوقت الحاضر لجنة من أعضاء المجمع يترأسها الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع.

وفي النية دراسة إمكان تطوير المجلة سواء من حيث الشكل أو من حيث المحتوى، فقد يضاف إلى أبوابها الثابتة أبواب أخرى وقد يطرأ بعض التغيير على شكلها لتبدو في حلة جديدة إن شاء الله

والمجلة تفتح صدرها لأي اقتراح مفيد يتناول جانباً من جوانبها وتدعو الباحثين من شتى الأقطار العربية إلى رفد المجلة ببحوثهم ودراساتهم. والسلام عليكم.

قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم
في نظر مصطفى الشهابي

د. محمد رشاد الحمزاوي[1]

١- ١° إن الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاماً على نشأة المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً[2] ومجمع اللغة العربية بدمشق حاضراً[3] وبما أنجز من أعمال وبما طرأ عليه من تغيير وتطوير، يستوجب أن نحيي مجمعنا العربي تحية إجلال وتقدير من خلال ثلاثة أعلام من أعضائه الخالدين ممن وضعوا أسسه، وأصلوا لمناهجه، ودعموا مشاريعه وإنجازاته وأقاموه صرحاً علمياً عربياً عصرياً رائداً، ونعني بهم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي[4] والشيخ عبد القادر المغربي[5] والأمير مصطفى الشهابي[6] رحمهم رحمة واسعة وطيب ثراهم وأفادنا بآثارهم العلمية. ولقد تميز كل واحد منهم برؤى وأساليب اشتهر بها في الميادين الفكرية والعلمية واللغوية في المحافل العربية والدولية.

١-٢ ولقد رأينا من المفيد في هذه المناسبة الكريمة أن نسلط الأضواء على الأمير مصطفى الشهابي وذلك لأسباب عدة منها أنه:

١- كان عالماً من العلماء العرب الذين وفقوا إلى المصالحة بين التراث والحداثة وربطوا في دنيانا المتعجلة بين الثابت والمتحول. وأسسوا لطمأنينة علمية عربية دولية متحركة نحن في أمس الحاجة إليها في زمن الحيرة الفكرية والعلمية والحضارية المستبدة بنا اليوم.

٢- اعتنى اعتناء مشهوداً بقضية أساسية شغلتنا جميعا وتتعلق بنقل العلوم والتكنولوجيا لتتبوأ العربية منزلة متقدمة من المعارف والفنون المعاصرة.

٣- تميز بسعيه الحثيث إلى الإسهام في بناء أسس المصطلح والمصطلحية والمعجمية العربية المعاصرة في مستوى التنظير والتطبيق، وبلغنا كثيراً من رؤى الفكر المصطلحي الدولي في شأنها.

١- ٣° وذلك ماعسانا أن نسعى إلى التعبير عنه من خلال عملين من أعماله ونعني بذلك كتابه: «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»[٧]، و «معجم الألفاظ الزراعية»[٨]، ولاشك في أن له من الأعمال والإسهامات في المجامع والمؤسسات العلمية العربية والدولية، ومنها مجمع اللغة العربية بدمشق وبالقاهرة[٩]، مايشهد بأن الكلام على مصطفى الشهابي وأعماله كلام في نهاية الأمر على تلك المؤسسات وإنجازاتها ومشاريعها ومواقفنا منها. فكيف طرح قضايا العربية وصلاتها بالعلوم الحديثة ومصطلحاتها ومعاجمها ومكانزها؟ وما عسانا أن نفيد منها اليوم وغدا.

لابد أن نلاحظ من خلال دراستنا للكتابين السابقين أننا لانروم عرض آراء صاحبنا فحسب بل نطمح إلى تصنيفها وإلى مقارنتها بما جد من جديد اليوم في الميادين التي تعنينا في هذه المحاولة، لاسيما وأن ماعرضه علينا الشهابي في كتابه الأول جاء موزعاً على محاضرات ودراسات رأينا من المفيد أن نربط بينها برباط يوحد بينها ويمكن من عرضها حسب المفاهيم الأساسية التي تصورها الشهابي.

١-٤° فمن تلك المفاهيم نذكر:

أولاً: مفهوم اللغة : وتحته أدرج حقولاً لغوية مختلفة منها تعريف اللغة عموماً واللغات وطوائفها، واللغة العربية وأصلها ونشوؤها. وقد عرضها في

ومضات ولمحات مركزة جامعة مترابطة.. فعرف اللغة تعريفاً نفسانياً «اللغة نطق يعبر عن فكرة أو عن عاطفة» وتعريفاً صوتياً «اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» وقد أخذ هذا التعريف من المعجمات وهو لأبي الفتح بن جني في الخصائص. وعرفها كذلك اجتماعياً «وجميع اللغات إشارات لتفاهم البشر.» فضلاً عن أنه نسبها إلى علم الإشارات فقال: «لغة العلم ولغة العين، ولغة الإشارة»(١٠).

المهم هو أنه اعتمد قوانين عامة تطلق على جميع اللغات بدون استثناء بما في ذلك العربية، وتدرجها في نطاق تعريفات اللسانيات المعاصرة التي تعرف اللغة من زوايا مختلفة شريطة أن يكون التعريف المعتمد قانوناً علمياً موضوعياً وكلياً. ولقد أضاف إلى اللغة لغة الإشارات كأنه يريد أن يميز بين التعريفات الثلاثة الأولى التي تطلق على اللغة الطبيعية الإنسانية، وهي من خصائص علم اللسانيات، والتعريف الرابع الذي يطلق على اللغات غير الطبيعية أو الاصطناعية(١١)، وهو من خصائص علم العلامات (السميولوجية). ولاشك في أننا معنيون في ميدان المصطلح العلمي باللغة الإنسانية الطبيعية بقدر مانحن معنيون باللغات غير الطبيعية ورموزها مثل رموز الكيمياء والفيزياء والرياضيات... إلخ التي نعاني الكثير منها في سبيل توحيدها وتقييسها في العالم العربي المعاصر. فلقد كان الشهابي واعياً بهذه الخصائص وما إليها من قضايا وقد جاءت متداخلة في نصه. وأعتقد أنّه كان متمكناً من ذلك تمكناً واضحاً زوده به إدراكه اللغوي وتجربته العلمية المخبرية. ويؤكد ذلك امتناعه عن تعريف اللغة تعريفاً موسوعياً، واقتصاره على العلمي الأساسي منها.

ويظهر ذلك أيضاً في تدرجه من الأعم إلى العام. فلقد تطرق بعد اللغة إلى اللغات وفصائلها المختلفة وأكد خصائصها المتقاربة والمتباعدة وفي

ذهنه قضية الأخذ والعطاء والمصطلح المعرب والدخيل في جميع اللغات وفي العربية بالخصوص. ففتح الباب لعلم اللغة المقارن الذي كانت سوقه رائجة عند أهل جيله وعنده، لأنه كان عالماً بتداخل اللغات وتفاعلها لاسيما وأنه كان يحسن الفرنسية والتركية فضلاً عن تضلعه في العربية. وآل به المطاف في مرحلة ثالثة إلى العناية بأصل اللغة العربية وتطورها وثرائها، وبخاصة ببنيتها الأساسية التي تعتبر ركيزة المصطلح المنشود. فلقد وسمها بالبنية الثنائية. وهنا تظهر صلته بابن جني وبمعاصريه الأب أنستناس ماري الكرملي، والأب مرمرجي الدومنيكي[١٢] اللذين روجا في عصره وفي المجامع اللغوية العربية مفهوم الثنائية اللغوية المتولدة من نظرية داروين في النشوء والتطور[١٣]، وقد دعا إليها أحمد فارس الشدياق من قبل في مقدمة معجمه «سر الليال في القلب والإبدال» وفي مداخله ومحتواه.

إن هذا الرأي يخالف رأي الخليل وسيبويه وابن عباد الذين يقولون بأن الثلاثي متمكن في العربية باعتبار أن الكلمة العربية متكونة من ابتداء وحشو ووقف[١٤]. وذلك مايؤيده القرآن الكريم الذي لم يرد فيه إلا ١٥ كلمة ثنائية[١٥]. ويبدو لنا أن الشهابي كان مشغولا بالثنائية لارتباطها بقضية النحت وباحتمال اعتماده في الكيمياء التي تكاثرت فيها المنحوتات واستعصى حلها، وإن كان ابن فارس قد سعى في مقاييسه إلى الإحاطة بها وحلها حلاً عربياً يستحق الاعتبار كما سنرى ذلك فيما يلي.

١-٥* ولقد كان هم الشهابي من كل ماسبق، ورغم ماخالفه من آراء، أن يؤسس لمفهوم اللغة الذي يعتبر مفتاحاً جوهرياً لطرح مفهوم يشغل بالنا وهو:

ثانياً: مفهوم المصطلح : فلقد عرفه لغوياً واشتقه من جذر: «صلُح» وميزه بالمواصفات التالية:

أ – ينشأ من عملية لغوية مجازية تعتمد على المناسبة أو المشاركة أو المشابهة.

ب ـ يتكون شكلاً من لفظ واحد للدلالة على معنى واحد.

ج ـ يختار عن قصد ولايوضع ارتجالاً لأنه ناتج عن «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص».[١٦]. فهو مختلف أساساً عن ألفاظ اللغة العامة التي كثيراً ماتكون اعتباطية مثلما أشار إلى ذلك دي سوسير باعتبار أنه ليس من الضرورة أن تكون صلة بين الدال والمدلول. فيبدو أن الشهابي كان متعلقاً بهذه السمات المعتمدة في المصطلحية الحديثة بقدر ماكان متعلقاً بإدراج كل مصطلح في منظومة تفرض مثلاً أن تصنف مصطلحات الحيوان والنبات بحسب الشعبة والطائفة والرتبة والفصيلة والقبيلة والجنس والنوع والسلالة والضرب والفرد[١٧]. على أن ذلك لايمنعنا من أن نلاحظ أن آراء الشهابي تساعدنا على أن نضيف: أن المصطلح.

١– يستخلص عادة من الرصيد اللغوي العام الفصيح والشعبي والاجتماعي منه.

٢– يمكن أن يشتق من اسم علم مثل Logarithmes من الخوارزمي في الرياضيات وكوبرنيكية من (Copcrnicus) ودروينية من (Darwin) في النبات و (Kilo watt) من (Watt) في الفيزياء، وبسترة من (Pasteur) في الطب.... إلخ، كما يمكن أن يكون مرتجلاً مثلما ارتجل الشعراء والأدباء ألفاظاً خاصة بهم[١٨].

٣– يوضع مفهوم المصطلح أي مدلوله قبل داله أو شكله خلافاً للفظ العام. فتكون معادلته كما يلي:

المصطلح = مدلول (١) / دال(٢) = مفهوم / اسم = مف / سم

وذلك مايضمن دقته وفصاحته الكامنة في توحيده المتفق عليه مسبقاً.

٤- المصطلح العلمي ولاسيما التكنولوجي لايتقيد بلفظ واحد للتعبير عن معنى واحد. فيمكن أن يكون ثنائي اللفظ أو ثلاثيه مثل أكسيد الحديد أو ثنائي أكسيد المنغنيس، كما يمكن أن يكون قالباً كاملاً[١٩] مثل: «مقياس فلط للضوضاء المغيرة دولياً»[٢٠] أو «شبكة مقارنات أحادية النبضات»[٢١] ولا يمكن فصل عنصر منه عن البقية وإلا اختل المعنى المقصود به. وتطرح هذه المصطلحات قضية ترتيبها بالمعجم.

٥ - في كثير من الحالات يكون شكل المصطلح العلمي ومحتواه مختلفين عن اسمه العام الاجتماعي والثقافي فان دال «الماء» في الاستعمال العام يختلف عنه في الكيمياء التي تعبر عنه به «H^2O». وهو من الرمز الذي يمثل مشكلاً قائماً في اللغة العربية التي مازالت تبحث له عن مقابل عربي يؤديه.

٢-١° وللمصطلح مواصفات كثيرة أخرى لها صلة بعلوم المنطق والفلسفة والدلالة[٢٢]، ولقد خصص له علم لساني جديد يدعى علم المصطلح[٢٣] الذي ينظر في قضاياه وفي توحيده وتقييسه في نطاق العلوم المعاصرة التي تكون في حد ذاتها مفهوماً ثالثاً قد اعتنى به مصطفى الشهابي.

ثالثاً: مفهوم العلوم وسعته : وقد اهتم به الشهابي اهتماماً خاصاً وتوسع في قضاياه النظرية والمطبقة باعتبار أنه مربوط ربطاً بالمصطلح نفسه وبنيته وكمه وكيفيته. فلاحظنا أنه حصره في العلوم التجريبية المعاصرة مثل الفيزياء والكيمياء والطب والنباتات والعلوم الزراعية والعلوم الهندسية

والعسكرية والرياضيات والصناعات وأشار عرضاً إلى الفلسفة والشرائع المدنية. وغابت العلوم الأدبية والإنسانية والدينية ومااليها. فما الداعي لهذا الاقتصار على علوم دون أخرى؟ وهل كان له هدف مقصود؟ لقد بين أن العلم التراثي سواء العربي أم اليوناني أم اللاتيني قد تجاوزه الزمن من حيث محتواه، وبالتالي من حيث مصطلحاته، وإن كان قد استعان به، فيما يبدو، في وضع معجمه في «الألفاظ الزراعية». وذلك ماسنعود إليه.

المهم أنه قد اعتنى بالعلم من حيث نوعيته وحداثته وكمه باعتبار اتساع العلوم الحديثة مقارنة بالعلوم القديمة. فهو معني بالهوة العلمية المصطلحية القائمة بينهما وبما عسى أن يملأها من المصطلحات والمفاهيم الجديدة فقال: «هذه العلوم قد حملت علماء الغرب عبء إيجاد آلاف مؤلفة من المصطلحات الجديدة ضموها إلى لغاتهم على حين أن لغتنا هي خلو منها أو من معظمها»[٢٤] فهل وفقت مجامعنا ومؤسساتنا المتخصصة من عهد الشهابي إلى اليوم إلى ملء تلك الهوة؟ فالسؤال مازال مطروحاً لأنه لم يوضع مايكفي من المصطلحات والمفاهيم العلمية والفنية العربية مايغير نظرة الشهابي النقدية للإنتاج المصطلحي العلمي العربي.

٢-٢* وذلك مادعاه إلى تصور آلية لغوية لتنمية ذلك الانتاج بالاعتماد على وسائل متنوعة من الوضع ستثري المعجم العربي العلمي وتنهض به، بقطع النظر عما تحتاج إليه تلك الوسائل من دعم علمي ومعرفي عربي رائد ومتوافر.

رابعاً: مفهوم التوليد اللغوي : فهو عند الشهابي وعند الكثيرين من أمثاله آلية نظرية وتطبيقية يمكن أن تحقق مبادرة حضارية جديرة بالاعتبار. ومفاد ذلك أن حضارتنا ستكون على قدر ماتولد من المفاهيم والتصورات والمصطلحات التي ستفتح لنا أبواب العلوم، وبالتالي أبواب الحضارة الرائدة.

ولعل ذلك مايفسر اهتمامه بالمبادئ التي وضعها النقلة القدماء لوضع المصطلح[٢٥] دون أن يضرب لها أمثلة ودو أن يفصل في مصادرها ومراجعها. وسبب ذلك أن يفسح المجال إلى مفهوم التوليد المصطلحي العلمي في نظره وفي العصور الحديثة.

فللتوليد في نظره إجرائيات أولية، ومن شروطها أن يكون لنا نظام لنقل الأسماء والمصطلحات المعربة والدخيلة نقلا صوتيا علميا – وهو ماندعوه بالنقصوة[٢٦] – يحافظ على أصولها في لغاتها المنقول عنها، وعلى دقتها اللغوية والمصطلحية والعلمية التي كثيراً ماستبد بها الارتجال والتداخل. ولقد شهد الشهابي على تضارب المقترحات العربية المتعددة في هذا الشأن وعلى قلة جدواها وعلى إشكالاتها اللغوية[٢٧]، وآل به الأمر إلى تعديل قرارات أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في هذا الصدد فقال: «جاء في المادة الثالثة أن الحرف (V). يرمز إليه بفاء فوقها ثلاث نقاط (ڤ). فمن المفيد إضافة أنه قد يرمز إليه أيضاً بالواو أحياناً ولاسيما إذا جاء الحرف في أول الكلمة الأعجمية مثل ونيلية أو وَنِلّة»[٢٨]، ويعنى ذلك أن هذا النظام الصوتي المنتظر يحتاج إلى تجربة ثقافية وعلمية تراثية وحديثة للإلمام به. فالقضية لن تأخذ حظها من التطبيق العلمي الصحيح مالم تعتمد على الأقل على شرطين أساسيين.

١ – استقراء طرق ومنهج القدامى في هذا الشأن ويشهد على ذلك مثال الشهابي السابق الذكر. وقد سعى إبراهيم بن مراد إلى أن يحيط بهذه القضية في دراستين أساسيتين[٢٩] نرجو أن تأخذهما المؤسسات المتخصصة بعين الاعتبار.

ب – استقراء طرق المحدثين وفي مقدمتهم طريقة الشهابي لاستجلاء موقفهم من الموضوع المطروح.

ج ـ استخلاص نظام صوتي علمي عربي مما سبق يؤالف بين مقتضيات التراث ومستلزمات الحداثة، يضعه إخصائيون في الأصوات والمعربات المقارنة والحاسوبيات....... والواضح عند أهل الصنعة أن وسائل التوليد المعتمدة في العربية أربع. وهي: الاشتقاق والمجاز، والنحت والتعريب كما جاء عند الشهابي نفسه(٣٠). ويهمنا ترتيبه لها وآراؤه النظرية فيها. فلقد سبّق الاشتقاق واعتبره أساس التوليد العربي انطلاقاً من الجذر المشترك. وخص المجاز بالمرتبة الثانية لأنه يفترض أرضية اشتقاقية ينقل منها المعنى المعجمي الأصلي إلى معناه السياقي المتجوز فيه. أما النحت فهو عنده إيجاز أو اختصار كلمتين أو جملة لتوليد كلمة فذة تأخذ منها بنصيب لايحتج له بقاعدة ثابتة. ولذلك ظل يتأرجح بين السماع والقياس حتى أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسيلة قياسية(٣١) بالاعتماد على نصوص تحتاج إلى نظر، لأنها غبنت نظرية ابن فارس في شأنه(٣٢) كما سنرى ذلك فيما يلي. وتعتبر الوسائل الثلاث السابقة من ذات العربية وشجاعتها. لاسيما وأن الشهابي يورد الرأي الذي يقر النحت ضرباً من الاشتقاق. أما التعريب فهو آلية خارجية يؤخذ بها عند الضرورة فضلاً عما يتطلب من معايير تتعلق بكيفية نقله من لغته الأصل وبالتصرف فيه، وقد جاءت متناثرة في كتاب الشهابي الذي أشار إلى وسيلة خامسة متصلة به. وتتمثل في استرجاع المصطلحات العربية التي استعارتها اللغات الأخرى، دون الاحتجاج لها بالباطل(٣٣)، فلا يمكن أن نعتبر أن Acheter من اشترى ولا Agreer من أغرى. وركز على وسيلة سادسة تتمثل في استعمال الكلمات العامية في علم النبات والحيوان «فنحن نتساءل لماذا ذكرت كلمة سنديان في القاموس المحيط... ولم تذكر كلمة «ملّول» (التي) لاتقل شهرة عن الأولى في أحراج الشام»(٣٤). وذلك مافعله العشابون العرب من أمثال ابن البيطار. ولايمكن أن ننسى إشارته في

مقدمة معجمه «الألفاظ الزراعية» إلى وسيلة سابعة وهي تتعلق بإحياء المصطلحات العربية واستعمالها استعمالاً حديثاً من ذلك السيارة والذرة والقطار.. المولدة مجازا.

إن وسائل التوليد تحتاج كما أشار إلى ذلك الشهابي إلى رؤية تنظيرية توضحها بالاعتماد على التجربة والاستعمال القديمين والحديثين وعلى قوانين اللسانيات العامة. من ذلك أن الاشتقاق لايهمنا منه إلا مظهران(٣٥): الاشتقاق الكبير أو التقليب الخليلي والاشتقاق الصغير ومايلحق بهما اعتباراً لطاقتيهما التوليديتين، سواء في مستوى القدرة المحض أو في مستوى الأداء. وذلك مايستوجب مشروعا حاسوبيا يوفر للمعجمي أو للمصطلحي كل الصيغ الممكنة والمحتملة التي تساعده على أن يتعامل مع آلية منتظمة وجاهزة توفر له صيغاً وأشكالاً ونماذج آلية «يصطلح عليها» لأداء مفاهيم تتجاوز معارك السماع والقياس مثلا حول صيغة مُفَعْلَلة للدلالة على أسماء الأعيان التي تجاوزت ثلاثة أحرف(٣٦)، أو حول النحت وعروبته... الخ.

ويمكن أن نتطرق إلى المسألة من خلال مانسميه باليعربيات(٣٧) ونعني بها وسائل الوضع اللغوية التي من ذات العربية وشجاعتها في مستواها الفصيح أو الاجتماعي الشعبي. فمن ذلك:

١- الاشتقاق الصغير التقليدي الذي يحتاج إلى ضبط كل صيغة ووضعها لبناء منظومة منه خاضعة للتصنيف والاستعمال.

٢- الاشتقاق التقليبي الخليلي انطلاقا من الصيغ الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية وماتوفره من صيغ مهملة ومستعملة تتجاوز الإبدال المحدود الصور من نوع جذب وجبذ اللذين ذكرهما الشهابي. فالمصطلحي مدعو إلى نظمنة(٣٨) تلك التقليبات الخليلية الآلاف واستثمارها لأداء مفاهيم متنوعة.

٣- النحت باعتباره أساسا من أسس الاشتقاق الصغير بالاعتماد على عنصرين استخلصناهما من مقاييس ابن فارس[٣٩] الذي سمي العنصر الأول منه «النحت المشتق» والعنصر الثاني «النحت القياسي». وهما مصطلحان من وضعه ومن نظريته العربية في النحت. ويصاغ الأول بزيادة حرف في أول الثلاثي أو وسطه أو آخره[٣٩] خلافا لما اقترحه الشهابي الذي صاغ نوعا من هذا القبيل بزيادة حرف في الأول أو الوسط أو الآخر على الثنائي (رم — ترم — رتم) و (نب — نبس — نبر)[٤٠]. أما الاشتقاق القياسي فانه يتولد من مزج كلمتين فأكثر لإنشاء كلمة فذة. وهو يخضع لقواعد تكاد تكون رياضية[٤١] تضبط ما يسقط من الصيغتين العميقتين ومايبقي في الصيغة السطحية الجديدة المنحوتة منهما والتي يمكن أن تخضع بدورها للاشتقاق الرياضي الخليلي.

٤- النحت المختصر: وهو نوع لم يتعرض له ابن فارس ويتمثل في الجمل المختصرة التالية: بسمل، وحمدل ودمعز.. الخ وهذا النحت أقل الأنواع خضوعا للنظمنة والتقعيد لأن أمثلته الاعتباطية القليلة لاتخضع لقوانين عامة تحيط به. ويمكن إخضاعه لقوانين الاشتقاق الخليلي عند إقرار منحوته المختصر.

٥- المجاز: بابه مفتوح واسع يهمنا منه أنه يشتق من المعنى الأصلي ومايتفرع عنه من المعاني السياقية. فهو نوع من الاشتقاق الدلالي المعنوي الذي يطرح مشاكل في مستوى المصطلح وتوحيده إن اعتبرنا مظهر المشترك منه والمترادف. وفي هذا المجاز يدخل إحياء المصطلح التراثي وتطوير معانيه وتغير مفاهيمه. وهو يحتاج إلى نظمنة صعبة المنال[٤٢].

٦- الرصيد الاجتماعي والشعبي: إن وسائل توليده اللغوية لاتختلف عن وسائل الرصيد الفصيح في عناصرها الأساسية. ويمكن أن تستمد منه

المصطلحية الشعبية والاجتماعية والنفسية وذلك بالاستفادة من مناهج وقوانين علم اللغة الاجتماعي والأنتربولوجي والجغرافي (الأطالس اللغوية) للم شتات معجمه الذي عزل عن الفكر والثقافة والحضارة العربية على مافيه من مفاهيم ثرية يمكن الاستعانة بها في ميادين الزراعة والجيولوجية والأحياء والطب والعمارة.. الخ. ولقد استبعد تلك الثروة تصورنا لمفهوم الفصاحة التقليدية[٤٣] التي استبدت بالفصاحة اللغوية والحضارية ومنها التعريب.

٤- التعريب: وسيلة من وسائل نقل المصطلح العلمي لأنه يعتمد على مبدأ الأخذ والعطاء الذي يمثل تحاور الثقافات ولغاتها. ومنها لغات مصدر ولغات هدف، مما يعني أنه ظاهرة كونية لاتسلم منها لغة مهما كانت. وهو يعتمد لسد ثغرات معينة قائمة ملحة تكون شاهدة على ثغرات مصطلحية عامة أو متخصصة في اللغة المستهدفة وعلومها وحضارتها. والموقف منه كثيراً ماكان عقديا سلبيا أكثر منه لغويا أو علميا لأن اللغة المستهدفة محتاجة إلى التآلف مع مصطلحية دولية لاغنى لها عنها مثلما هو الشأن في مصطلحات الكيمياء التي تكاد تكون واحدة في جميع اللغات.

الملاحظ أن قضية التعريب كثيراً ماطرحت طرحاً لم يسلم من الارتجالية والتسرع والعاطفة. ولم تحظ بعد الجواليفي بدراسة شاملة وصفية هادئة تستند إلى مقاييس الدراسات اللسانية المعاصرة للإحاطة بقضاياها ومنها:

١- ضبط الفئات الاجتماعية والثقافية التي تستفيد منه، ويعنينا منها الفئات العلمية بالخصوص.

٢- القنوات التي تستورده. وللاعلام[٤٤] وخاصة الإعلانات والإشهارات الصحافية التجارية[٤٥] تأثير بالغ في هذا الشأن على بنية اللغة المستهدفة وخصائصها.

٣- النسب المستعملة منه. فهو يحدد في صيغته الاعتيادية بنسبة ٤ في المائة ويمكن أن يبلغ ١٥ في المائة، كما يمكن أن يتجاوز ذلك بكثير. فما هي الحدود التي يصبح فيها خطرا على اللغة الهدف حتى نتصدى له علميا وحضاريا؟

٤- المستويات التي يتكاثر فيها. فهل هو غالب في الفصيح أو في الكلام الشعبي؟ وهل هو مقتصر على المفردات والمصطلحات أو على الأساليب(٤٦)؟

٥- كيفية تبليغه. ومنها اللغة المصدر التي يفضل الأخذ منها والوجه الذي يدخل به إلى اللغة المستهدفة. فمنا من يرتضيه معربا متآلفا مع قواعد لغتنا، ومنا من يفضله دخيلا شاهدا على أصله ومنا من يدركه مولدا عاما له وظيفة علمية وحضارية ضرورية. ولقد تفرقت السبل في ترشيد ذلك التبليغ.

والملاحظ أن الخلاف لاينتهي عند هذه المفاهيم الثلاثة بل يتجاوزها إلى تصور معجم علمي يشمله ويسد الفراغات التي حصلت بعد الجواليقي وغيره، شريطة أن يكون مقيدا بمعايير المعجمية المعاصرة. ورأينا أن لنا من المصادر والمراجع والوثائق والنصوص مايدعونا إلى وضع معجم عربي في المعربات ومواصفاتها ووجوهها التي قننت في بعض اللغات تقنينا يكاد يكون رياضيا. إن المصطلح المعرب يحتاج مثل المصطلح العلمي إلى تقنين وإلى توحيد.

٢- ٤ خامساً: مفهوم التوحيد : قدم الشهابي أمثلة عنه كثيرة منها أن: Amibe مثلاً سميتها النغاضة في معجمي وسماها الأب انستاس المُتَمَوِّرة وقبل مجمع مصر الكلمة الأخيرة. فإذا بي أقرأ رأيا لأحد الأساتيذ يقول فيه إن: اصطلاح المتمورة مخالف للذوق اللغوي، ومن الوحشي، والأمية

تفضله[٤٧]. فهل يعني ذلك أننا نستطيع أن نيسر قضية التوحيد المصطلحي بالاعتماد على مبدأ الذوق؟ وذلك مادعا الشهابي إلى التساؤل «ماهي شروط التحلي بهذا الذوق؟ وهل يكفي الذوق وحده للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية.»[٤٨]

فما هو الحل عندئذ لمواجهة هذه القضية المتفجرة التي أصبحت قضية بين العربي والأعجمي؟ الحلول التي قدمها الشهابي إجرائية أكثر منها لغوية أو فنية[٤٩] ومنها: إشراف الجامعة العربية على الموضوع، ووضع معجم فرنسي عربي وانكليزي عربي في شتى العلوم يعرف فيهما المصطلح تعريفاً عربياً مختصراً كما هو في معجم الألفاظ الزراعية، والتزام الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فضلاً عن تجميع الأموال وتكليف لجنة من الإخصائيين لوضع معجم علمي عربي لاحق.

والملاحظ أننا محتاجون قبل الوصول إلى الإنجاز المادي لهذه المعاجم أن نطرح قضايا لغوية ومنهجية عديدة منها تجاوز موقفنا السلبي من الاشتراك اللفظي والترادف والأضداد بتجاوز الخلافات القديمة في شأنها باعتبار أنها عند الكثيرين السبب الأساسي في غياب المصطلح العلمي الموحد. فلا بد أن نقر مايلي:

١- إن تلك الظواهر اللغوية عناصر طبيعية تحتاج إليها كل لغة مهما كانت مكانتها العلمية، بل إنها عنوان عن ثراء فكرها وحضارتها، لها أسبابها ومبرراتها الخاصة لاسيما إذا تعددت المشارب الفكرية والمناهج العلمية وحتى العقدية. فلا غرابة أن يختلف اثنان من مشرب واحد في تسمية شيء ما بمصطلحين اثنين مختلفين في الصوت أو في الصيغة أو في المعنى. مما يدعونا في نطاق توحيد المصطلح إلى أن نجمع كل مايتصل بمفهوم معين وأن نثبت

كل ما اقترح في شأنه من مصطلحات، مهما كانَ مستواها، دون الحكم عليها مسبقا باسم مبدأ من المبادئ التي لاتلتزم بما تفترضه القوانين العلمية من موضوعية وشمولية. فالخطأ ليس في كثرة المترادفات بل في الدعوة إلى وحدانية مصطلحية(٥٠) يخشى منها أن تؤول بنا إلى عرقلة نمو اللغة والمصطلح. إن الاستعمال مثلا كفيل بأن يقر المصطلح المناسب والأصلح إلا أنه لايكفي مادمنا نرى أن المصطلح العلمي هو قبل كل شيء قضية اصطلاح وتصالح(٥١) كما قال الشهابي، يمكن أن نمهد لهما بطرق كثيرة ومنها:

٢- وضع منهجية في التوحيد والتقييس اللغوي، يكون هدفها تقييس المصطلحات المترادفة مثلاً وتوحيدها حسب مقاييس متفق عليها لغويا وعلميا وتسمى قوانين التقييس، قدوة بقوانين التقييس المصطلحية الدولية التي تبنتها المنظمة الدولية للتقييس. ولقد اقترحنا نظاما تقييسيا عربيا(٥٢) يتكون من أربعة قوانين، ماانفككنا نعرضها على المؤسسات والندوات والمؤتمرات العربية حتى وافقت عليه سنة ١٩٩٤ ندوة عمان المخصصة للمصطلح العلمي العربي وتوحيده ونشره وذلك باشراف مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب. ونعني بتلك القوانين:

١- الاطراد والشيوع.

٢- يسر التداول.

٣- الملاءمة.

٤- الاشتقاق والتوليد.

ولقد طبقنا لها على مشروع ترجمة مصطلحات الاتصالات وتوحيدها. وهو مشروع باشراف الاتحاد الدولي للاتصالات بجنيف والاتحاد العربي للاتصالات. واعتمدت تلك القوانين في معجم الاتصالات الدولي العربي الموحد(٥٣) الذي أشرفنا على أعماله وإنجازه.

ويقاس شيوع المصطلح المقترح باعتبار المصادر والمراجع التي تؤيد المصطلح الواحد الأكثر ورودا فيها. أما يسر التداول فإنه يقاس على أساس الحروف الأصول العربية التي تتركب منها المصطلحات، فيختار المصطلح الأقل حروفا أصلية لأن قانون «زيف» يفيد أن شيوع اللفظ على عكس طوله. وتضبط الملاءمة بحسب الميادين التي يستعمل فيها المصطلح. فهي تخضع لمبدأ رياضي مفاده أن قوة المصطلح على عكس توسعه إلى ميادين عديدة. ويرتكز التوليد على المشتقات التي تتولد من المصطلح الواحد، فيختار المصطلح الذي تشتق منه صيغ أكثر من غيره. وتسند لكل قانون درجات تقارن وتقابل حتى يختار منها المصطلح المتحصل على أعلى درجة، لأن النظام المعتمد نظام لغوي رياضي دقيق(٥٤) قابل للتحسين والتطوير، لاغنى عنه لتوحيد المصطلح باعتبار أن مااقترح من نظم سابقة له ترتكز على مقاربات تخلط بين وسائل الوضع ومناهج التقييس التي نحتاج إليها في تنظيم مداخل المعجم الاصطلاحي العربي وتوحيدها.

٢- ٥ * سادسا: مفهوم المعجم : المعجم عند الشهابي مصدر المصطلح ومكنزه. ولقد اهتم بقضاياه في القديم والحديث. فسلط الأضواء على المعجم التراثي العام طمعا في اعتماد مادته السلبية لبناء المعجم العلمي الاصطلاحي العربي الذي طبق له بوضع معجمه «معجم الألفاظ الزراعية»(٥٥). إن نظرته النقدية للمعجم العربي العام قد سعت إلى أن تنزله منزلته من العلوم المعاصرة. وهي نظرة فذة لم يسبقه إليها غيره باعتبار دقتها وموضوعيتها التي جسمت عيوب المعجم العربي في تسع نقاط(٥٦) أساسية قد حصرها في عينات من أسماء المواليد، لاسيما في النبات والحشرات. فمن عيوب معاجمنا أنها خلت من أسماء أعيان النبات والحيوان في البلدان التي لم تصلها الفتوحات الإسلامية(٥٧)، وخلطت بين أعيان أسماء المواليد(٥٨)

وفسرت الألفاظ تفسيرا لاينتسب إلي العلم(٥٩) وحلت أعيان النباتات تحلية سطحية(٦٠)، وأخطأت في توصيف بعض الأسماء(٦١)، وكثر فيها التصحيف(٦٢)، وغاب منها أسماء الأعيان التي تغيرت(٦٣) وفسرت كلمات عربية بكلمات أعجمية(٦٤) وخلت من أسماء عامية رائجة(٦٥). ولقد استخلص الشهابي من ذلك أن معاجمنا «لاتصلح لهذا الزمن»(٦٦). وذلك شأن المعاجم العامة الحديثة كذلك لأنها «ليست إلا صورة صغيرة مشذبة للمعاجم القديمة»(٦٧) باستثناء المعجم الوسيط الذي خصه عدنان الخطيب(٦٨) بدراسة نقدية تستحق الاعتبار.

واعتنى الشهابي بالمعجم الاصطلاحي العربي المعاصر من خلال ماقدمه من ملاحظات عاجلة حول معاجم متنوعة(٦٩) تعنى بالمصطلحات العسكرية والحرجية والفنية والهندسية والحشرات والحيوان والرياضة والتربية وعلم النفس والدبلوماسية، والسياسية الدولية. وصناعة النفط...الخ. مما يشهد بواسع علمه وبعنايته بالمصطلح بمختلف أنواعه بحثا عن قوانينه العامة بقطع النظر عن تنوعه. ولقد عالج تلك المعاجم مثل سابقاتها مركزا على عينات منها، نخص منها ظاهرة الترادف والتنافر وغياب معايير تنسيقية توحد بينها. وختم نظرته في هذا الميدان بوضع معجمه: «معجم الألفاظ الزراعية» ليكون نموذجاً لها من حيث الجمع والوضع.

فنحن مدينون للشهابي بنظرة نقدية نافذة وبناءة ناجعة في ميدان المعجم، وإن لم يكن من المتخصصين فيه. فلقد زود أدبياته بآراء ورؤى ساعدت على تطويره كما وكيفا. ويحسن بنا هنا أن نلاحظ أن الشهابي كان يطلب من المعجم العام ماليس قادرا على أن يوفره له من معلومات دقيقة أو من معايير ومقاييس معجمية هي من خصائص المعجم العلمي العربي التراثي المتخصص. وهو أقرب إليه وإلى مشاغله المصطلحية ومنه كتاب

جامع العلوم للقاضي الأحمد كثيري وكشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي ومخصص ابن سيده الأندلسي الذي أشار إليه في مقدمة معجم الألفاظ الزراعية، وقد ضمنها أغلب آرائه في المصطلح والمصطلحية الواردة في كتابه «المصطلحات العلمية» السابق الذكر. وقد لاحظنا أن الشهابي لم يعتمد من ابن سيده على تعلقه به مبدئيا(٧٠) أكثر من ١٩ مصطلحا مما يقرب من ٩٩٩٦ مصطلحا في معجمه(٧١)، وذلك مايطرح قضية الاستفادة من مصادر التراث العلمية. وهي قضية تستحق العناية حتى نقف على أثر هذا الرصيد العلمي في أعمال العلميين والاصطلاحيين والمعجميين العرب المعاصرين(٧٢). لقد وضع الشهابي معجما متخصصا في الألفاظ الزراعية. وهو معجم ثنائي في الحقيقة فرنسي عربي قد سعي إلى أن يحيط بكل الألفاظ الزراعية المعتمدة في اللغة الفرنسية(٧٣) مما استوجب من المؤلف عملا جبارا من حيث جمعه ووضعه، وهما عمليتان قل أن وفق إليهما معجمي واحد كما أشار إلى ذلك ابن منظور، (٧٤)فضلا عن عمليتي الترجمة والمؤالفة سواء بوضع مالم يوجد من مصطلحات عربية مقابلة للفرنسية، أم باعتماد مصطلح قديم بمعنى حديث. أم باشتقاق صيغة جديدة من الرصيد العربي المعياري لأداء مفاهيم جديدة(٧٥)... الخ مع تصنيف كل مصطلح حسب شعبته وطائفته ورتبته وفصيلته وقبيلته وجنسه حسب التصنيف العلمي الذي نادى به في كتابه السابق. (٧٦)فأضاف الكثير من ألفاظ الزراعة لمعجم العربية المتخصص دون أن يطلق فيها الرأي «لاأدعي العصمة، ولاأدري ماسيعيش وماسيموت من مئات الألفاظ التي أضفتها إلى لغتنا العربية»(٧٧) وقد أكد أن معجمه «معجم ألفاظ زراعية لامعجم علوم زراعية ولا دائرة معارف زراعية.»(٧٨) واعتنى فيه بتعريف معظم الألفاظ بالعربية أو بشرحها شرحاً علميا موجزا. (٧٩)وفي كلّ ماسبق مايدلنا على

مفهوم المعجم المتخصص عند الشهابي. فهو يرتكز على العناصر التالية:

١- الجمع وهو ثلاثي المصادر إذ جمع مادته من المؤلفات القديمة - وهي قليلة - أو الحديثة بما في ذلك مصطلحات المجامع اللغوية. ومن مترجماته وتعريباته التي كثيراً ماانتحلها غيره دون الرجوع إليه(٨٠).

٢- في الوضع اعتمد النظام الالفبائي الفرنسي ووضع مسردا عربيا(٨١) ألفبائيا يسمح بالرجوع إلى مصطلحاته في صفحات الالفبائية الفرنسية.

٣- عرف مصطلحاته تعريفاً وصفياً وهو تعريف سائد في المعاجم المتخصصة العلمية. فزودنا بمعجم من أهم المعاجم العربية المتخصصة المعاصرة. وهو يعتبر رافدا من الروافد التي ستساعدنا على تصور المعجم عموما والمعجم العربي المتخصص، فضلا عن تصور معجم علمي اصطلاحي موسوعي. فيكون قد ربط بين مفهوم المصطلحية وقضاياها والمعجم ووظيفته.

ولاشك في أن معجم الشهابي يطرح مقاربات وإشكالات مهمة باعتبار ماجد من جديد في ظاهرة المُعْجَمِيَّة التي أصبحت علما لسانيا مستقلا إلى قسمين: المُعْجَمِيّة(٨٢) وهي تعني بالقضايا النظرية الخاصة بالمعجم، والمَعْجَمِيَّة(٨٣) وغايتها بناء المعجم بناء عمليا تطبيقيا. وتكونان عنصرين مترابطين متلازمين لابد من الأخذ بهما وبمقاييسهما(٨٤) الكثيرة المتنوعة التي سنقتصر على مفهوم المعجم ومفهوم التعريف منها. فالمفروض هنا أن نميز بين الرصيد اللغوي (Lexique) والمعجم (Dictionnaire) وقائمة الألفاظ (Glossaire) ومخصص الألفاظ (Vocabulaire) وما وراءها من قضايا نظرية وتطبيقية كثيرة كما تشهد بذلك أسماؤها الأعجمية، مما يستوجب بناءها على معايير ومحتويات تختلف من صنف إلى

آخر منها. «فالمعجم» مثلا يختلف في محتواه «عن الرصيد اللغوي» الذي يعتبر أوسع منه وأشمل، كما يختلف عن «قائمة الألفاظ» التي تأتي خالية من كل تعريف. وهو يقرب من «مخصص الألفاظ» الذي يتميز عنه في مستوى التعريف أو مايمكن أن نسميه النص المعجمي، وهو مفهوم يعتبر ضالة المعجمي باعتبار أن تاريخ المعجم هو تاريخ نصه ومااليه من قضايا. فإلى أي صنف من هذه الأصناف ينتسب معجم الألفاظ الزراعية للشهابي؟ نعتقد أنه ينسب إلى صنف «مخصص الألفاظ» الذي يركز على ميدان مخصص كما أشار إلى ذلك الشهابي نفسه[٨٥]. أما نصه المعجمي فهو مبني على العموم على التعريف «المنطقي» الذي يعتمد عند المعجميين على تعريف الشيء بطبيعته ووظيفته وتصنيفه. وذلك مانجده مطبقا في أغلب تعريفات الألفاظ الزراعية عند الشهابي. وهي تختلف عن تعريفات نص المعجم العام الذي تندرج فيه ثمانية تعريفات: الصوتي. والصرفي والنحوي، والدلالي والبلاغي والأسلوبي، وبالشاهد وبالصورة ويتفرع كل نوع منها إلى تعريفات ثانوية كثيرة[٨٦]. وتعتبر الصورة جزءا هاما من مخصص الألفاظ. ولقد غابت في معجم الشهابي لأسباب يبدو أنها اقتصادية أكثر منها علمية. ويطرح هذا المعجم كذلك قضايا تتعلق بالتعريف الصوتي الذي تستوجبه الكلمات المعربة أو الدخيلة الواردة فيه[٨٧] وبتعريفاته «المنطقية» التي لاتلتزم دائماً بالثلاثية الأساسية (طبيعية - وظيفة - تصنيف)[٨٨]، فضلا عن أنها تصبح تعريفات موسوعية تنتسب إلى الموسوعات أو الرصيد اللغوي[٨٩] أكثر منها إلى «مخصص الألفاظ» إذن فالنص المعجمي المتخصص يتطلب الاصطلاح على معايير تعريفية ثابتة يختص بها كل معجم متخصص أو كل «مخصص ألفاظ» ومنها الاعتناء بالتعريف بالإحالة للذي استوجبه معجم الشهابي الثنائي اللغة. فلقد احترم المبدأ في أغلب الألفاظ المحالة عنده[٩٠] إلا

أنه لم يطبقه على المترادفات التي أدرجها تحت مدخل ألفبائي رئيسي معين لاشتراكها معه في المعنى، وإن اختلفت في الشكل[٩١]. وبالتالي اعتمد الترادف والمطلوب تجنبه في المصطلح وبالخصوص في مستوى النص المعجمي العلمي. والمفروض أن تحال تلك المترادفات على مداخلها الألفبائية وترتب ترتيبا بالاشتراك أو بالتجنيس[٩٢] اللذين اختلف في شأنهما المعجميون واللسانيون. ولقد سعى الشهابي إلى اعتماد الترتيب بالتجنيس، ومفاده تخصيص مدخل مستقل لكل معنى وذلك بتكرار نفس المدخل كلما تغير معناه، باعتبار أن وحدة الشكل تختلف عن وحدة السياق. وتجنب في معجمه، الترتيب بالاشتراك عموما، ومفاده ترتيب دلالات كثيرة تحت مدخل واحد وبالأحرى تحت شكل موحد باعتبار أن كل المعاني المذكورة تعود إلى جذر معنوي مشترك مهما تباعدت وتغيرت. وعلى هذا الأساس فان مدخل «سيارة» واحد في الترتيب بالاشتراك مهما تغيرت معانيه. وهو رباعي[٩٣] في الترتيب بالتجنيس. وذلك شأن «الإمساك» في معانيه العامة والفقهية والطبية، وشأن «الكريك» الواردة في المعجم الوسيط الذي رتبها ترتيبا بالاشتراك، وإن كانت تعبر عن ثلاث دلالات تفيد ثلاث آلات مأخوذة من ثلاث لغات – تركية وفارسية وأوربية – مختلفة كأنها من أصل واحد وهو «كرك» الذي لانعرف له صلة بنظيره العربي. فلو رتب ترتيبا بالتجنيس لكان أجدى وأقرب إلى أصوله اللغوية. ولا شك في أن الشهابي قد بذل جهودا موفقة للإيفاء بشروط المصطلح العلمي في حد ذاته وفي نطاق المعجم الاصطلاحي العلمي وبما يتطلبه «مخصص الألفاظ» الذي أثرى به العلوم الزراعية العربية المعاصرة مزودا إياها بمفاهيم ودلالات تستحق التقدير. ولقد دأب على هذه الروح العلمية الخلاقة في جميع أعماله ولا سيما في ميدان المصطلح والمصطلحية العربية الحديثة. فوضع أصولها وأسس

لمقاييسها ومعاييرها النظرية، وطبق لها في شتى العلوم وبالخصوص في ميدان اختصاصه الذي برّز فيه. فترك لنا تراثا منهجيا وعلميا نحن مدعوون إلى دعمه والاقتباس منه واستلهامه لمزيد من البذل والعطاء في سبيل ترقية اللغة العربية وجعلها وافية بالفنون والعلوم والريادة الفكرية والحضارية. والفضل يعود إلى مجمع اللغة العربية بدمشق الذي اصطفاه لعلمه، ووفر له المناخ العلمي والفكري وذلك بانتخابه عضوا من أعضائه الخالدين، ورئيسا علميا له ليسهم في أداء الرسالة الحضارية العلمية التي دعا إليها المجمع من سورية العربية. وكان المنارة العربية الحضارية الأولى في العصور الحديثة التي دعت علماء الأمة العربية ومثقفيها - ومنهم مصطفى الشهابي واتباعه - إلى وثبة علمية ولغوية تجدد عهد المعرفة العلمية وتفتح لنا أبواب السماوات. فهنيئاً لمجمعنا بعيده الخامس والسبعين وبرجاله العاملين وبرسالته العلمية الرائدة.

الحواشي

١- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق، أستاذ بجامعة تونس الأولى - تونس - وبجامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان.

٢- محمد رشاد الحمزاوي: المجمع العلمي العربي وترقية اللغة (بالفرنسية) بريل ليدن ١٩٦٥ م.

٣- محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض باللغة (بالعربية) تونس ١٩٨٨.

٤- سامي الدهان: أ - مجلة مجمع دمشق ج ٣٠ / ٢١١ - ٢٥٢ (١٩٥٥).

ب - محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - تونس - بيروت ١٩٧٢، ١٩٨٨م ص ٨٨-٨٩

٥- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة، ص ٨٦-٨٧ .

٦- المصدر نفسه ص ٦١٩ .

٧- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث القاهرة ١٩٥٥، ودمشق ١٩٦٥، ٢١٩ صفحة.

٨- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية. مكتبة لبنان ط ثالثة ١٩٨٦، ٩٤

صفحة+ ٩٨ صفحة .

٩- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص٦١٩ .

١٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٥ حيث توجد كل التعريفات المذكورة أعلاه.

١١- اللغات غير الطبيعية كثيرة منها لغة الصم البكم، ولغة العميان، ولغة إشارات المرور والمورس، والموسيقى، والكيمياء. والرسم والرياضيات والحاسوب... الخ.

١٢- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٧-٨ .

١٣- انظر أوغست شلايشر: نظرية دروين وعلم اللغة - ١٨٦٣ (بالألمانية) وجبر ضومط: فلسفة اللغة العربية وتطورها - القاهرة ١٩٢٩م.

١٤- جاء ذلك صريحا في مقدمة كتاب العين للخليل. وقد دعمه ابن عباد بالاحصاء في مقدمة معجمه المحيط. [قال في العين ١: ٤٩ «الاسم لايكون أقلّ من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه» / المجلة] .

١٥-- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة. ص ٢٩٧-٣٠٣ حيث تعرض للدراسات والمداولات والمناقشات الحادة التي دارت في رحاب مجمع القاهرة حول الأصول الثنائية والثلاثية في اللغة العربية.

١٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٥ .

١٧- المصدر نفسه ص ٩٦- ١٠١ .

١٨- المصدر نفسه ص ٨٦، إبراهيم أنيس: الارتجال في ألفاظ اللغة: مجلة مجمع القاهرة ٣٠٦/٨ - ٣١٤ . وقد نفى فيه كل دور للارتجال.

١٩- ويعبر عن ذلك بـ Syntagme في اللسانيات الحديثة.

٢٠- الاتحاد الدولي للاتصالات Glossary, Geneva 1987 P. 382.

ويعنى به INTERNATIONAL STANDARD NOISE VOLMETER.

٢١- المصدر نفسه ص ٤٦٢ ويعنى به MONOPULSE COMPARATOR NET WORK

٢٢- انظر في هذا الشأن H. Felber: A Manual of Terminology. Paris 1985

٢٣ - انظر - Guy Rondeau: introduction à la terminologie Paris 1984

٢٤- مصطفى الشهابي: المصطلحات ص ٣٢ .

٢٥-- المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢٦- كلمة منحوتة من «نقل الصوت» تعبيراً عن TRANSCRIPTION التي تعتمد نظاما ينقل الأصوات من لغة إلى أخرى حسب نطقها في لغاتها الأصلية. وهي تختلف عن النقحرة من «نقل الحرف» تعبيراً على Translitteration التي تعتمد نظاما ينقل أصوات اللغة المنقول عنها حسب أصوات اللغة المنقول إليها.

٢٧- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية ص ١١٧- ١٢٧- ١٤٩- ١٥١- ١٦٥- ١٧٤ حيث عرض لكل المشاريع التي اقترحت لبناء نظام صوتي علمي عربي مثل نظام كوبنهاغن المتفق عليه سنة ١٩٢٥، ولقد عدل سنة ١٩٨٩ .

٢٨- المصدر نفسه ص ١٧٠ .

٢٩- إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة - تونس ١٩٧٨، والمصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية - بيروت١٩٨٥ .

٣٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٣- ٢٠ .

٣١- المصدر نفسه ص ٢٠ .

٣٢- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي: اشكلات ومقاربات، تونس ١٩٩١ ص ٢٤٧-٢٦٤ .

٣٣- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١١٢- ١١٣ .

٣٤- المصدر نفسه ص ٤٠- انظر كذلك ص ١٦٢ كيف تأخذ الفرنسية من تراثها الشعبي.

٣٥- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص ٢٩٧- ٣٠٣ حيث الحديث عن أنواع كثيرة من الاشتقاق التي تتحفنا بها الدراسات الموسوعية دون أن نستخلص منها فائدة تنظيرية أو تطبيقية.

٣٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٢٠١ .

٣٧- ونعني به كل مايشتق من ذات العربية ويختص بها. وذلك على غرار «Gallicisme» المعبر عن كل ماتختص به الفرنسية مثل استعمال C'EST.

٣٨- وهي ترجمتنا لـ: Systematisation والمراد منها الاصطلاح على صيغ مولدة رياضيا لأداء مفاهيم معينة أداءآليا. انظر كتابنا: المعجم العربي السابق الذكر ص ٢٢١- ٢٢٥ حيث نعرض للمظهر الرياضي في نظرية الخليل المعجمية.

٣٩- انظر الملحق رقم (١) من هذا البحث وقد أخذ من دراستنا المخطوطة المخصصة لنظرية ابن فارس في النحت، الواردة في معجمه «المقاييس».

٤٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٤-١٥ .

٤١- انظر الملحق رقم (٢) من دراستنا المخطوطة المخصصة لابن فارس ومقاييسه.

٤٢- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي. انظر: مكانة معجم ابن سيده في المعجمية العربية ص ١١٣ ومابعدها حيث بَينا صعوبة الاستفادة من التراث في ميدان المصطلحية. ويدخل في هذا الإطار استعادة الألفاظ العربية التي استعارتها من العربية اللغات الأخرى. فكثيراً ماتكون الاستعادة مخالفة للأصل: فمخزن أصبحت Magasin بالفرنسية وعادت مغازة بالعربية التونسية ولايمكن أن يعود مفهوم مخزن القديم الذي يفيد مخزن الحبوب أو السلع.

٤٣- محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - تونس - بيروت ١٩٨٢- ١٩٨٦م.

٤٤- إبراهيم اليازجي: لغة الجرائد (د.ت) حيث تنبه إلى لغة الجرائد والصحف وأثرها في تطوير العربية الذي أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كثيرا من وجوهه.

٤٥- يقر أصحاب الجرائد أن النص الاشهاري المنشور بصحفهم خارج عن نطاق سلطتهم يفرضه صاحب الإعلان كما هو.

٤٦- انظر: الشيخ عبد القادر المغربي: تعريب الأساليب، مجلة مجمع القاهرة ١ / ٣٣٢ - ٣٤٩

٤٧- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٤٢ .

٤٨- المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

٤٩- المصدر نفسه ص ١٤٢- ١٤٧

٥٠- وتتمثل في وضع مصطلح واحد مطلق لمفهوم علمي واحد. ويعبر عن هذه النزعة بـ Monisme في الفرنسية والانكليزية.

٥١- اللغة الانكليزية البريطانية والأمريكية لهما مترادفات عدة للتعبير عن نفس المفهوم. انظر Elevator, Lift, Acrial, Antenna ....الخ.

٥٢- محمد رشاد الحمزاوي: منهجية تنميط مداخل المعجم: أسسها ومقاييسها، مجلة المعجمية عدد ١ ص ١٧-٢٧ تونس ١٩٨٥ .

٥٣- الاتحاد الدولي للاتصالات: Glossay of Telecommunication Terms: English, Arabic, French, Spanish; 1 Ist Edition- Geneva 1987

٥٤- انظر الملحق رقم ٣ من هذا البحث.

٥٥- ارتكز هذا المعجم علي المصطلح الفرنسي مترجما أو معربا، يلي أغلب مداخله تعريف المدخل بطبيعته ووظيفته.

٥٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٣٣- ٤٢ .

٥٧- مثل البرتقال والأناناس.

٥٨- لم تفرق بين الأُرز والعرعر.

٥٩- الجراد والزنابير من الطير.

٦٠- قالت: السعتر معروف.

٦١- قالت: الدلب لانَوْرَ له.

٦٢- جاء فيها: العبرب والعنزب والعترب.

٦٣- الشيلم يعني اليوم Seigle .

٦٤- قالت: البندق الجلوز.

٦٥- منها الملول وهو يطلق في سوريا على نوع من البلوط.

٦٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٤٠ .

٦٧- المصدر نفسه.

٦٨- عدنان الخطيب: المعجم الوسيط - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٧ - مقالات نقدية جدية متتابعة.

٦٩- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٧٤- ١٨٨ .

٧٠- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ ص (ج) حيث قال «المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي، فأخرجت منهما عدداً كبيراً من الكلمات التي تتصل بالعلوم الزراعية».

٧١- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي ص ١١٦- ١١٩ انظر مكانة معجم ابن سيده.

٧٢- المصدر نفسه حيث لاحظنا أن أحمد عيسى لم يستعمل إلا تسعة مصطلحات من مخصص ابن سيده في كتابه معجم النبات وفيه ٥٨٥٢ مصطلحا، وأن أمين المعلوف لم يورد منه إلا ٣٥ مصطلحا في كتابه «معجم الحيوان» وفيه ١٤٢٨ مصطلحا.

٧٣- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية ص (ج).

٧٤- ابن منظور: مقدمة لسان العرب حيث بين أن حسن الجمع لايمنع من سوء الوضع وأن إجادة الوضع لاتعني بالضرورة حسن الجمع.

٧٥- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية: المقدمة ص (ب- ج).

٧٦- المصدر نفسه ص (ع).

٧٧- المصدر نفسه ص (ت).

٧٨- المصدر نفسه ص (ش).

٧٩- المصدر نفسه ص (ب).

٨٠- المصدر نفسه ص (ت).

٨١- المصدر نفسه ص (ت) وقد دعا إلى معجم فرنسي - انكليزي - عربي شامل؛ و ص ١- ٩٨ .

٨٢- وهي تقابل عندنا Lexicologie من أعْجَم.

٨٣- وهي تقابل عندنا Lexicographie من مَعْجَم - ويجوز أن نقول المَعْجَمة كذلك.

٨٤ - محمد رشاد الحمزاوي المعجم العربي ص ١٦٧ - ١٨٩ حيث نعرض أهم المقاييس المعنية.

٨٥- انظر حاشية ٧٨ من هذا البحث.

٨٦- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي..... ص ١٨٥- ١٨٩ .

٨٧- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية ص ٤٢٧، ٤٩٢، ٥٤٥ .

٨٨- المصدر نفسه ص ٢٧٣، ٥٠٩، ٥١١، ٥٦٦، ٥٦٧ حيث ينقلب المعجم إلى قائمة ألفاظ بحت خالية من كل تعريف.

٨٩- المصدر نفسه ص ٥٣٩ و ٥٦٦ .

٩٠- المصدر نفسه ١٠٥، ١١٣، ١٧٧، ١٨٣,

٩١- المصدر نفسه ص ٦٥، ٢١٠، ٤٩٢ في ألفاظ: باذنجان، وأصبعية ودخن المترجمة عن الفرنسية حيث يذكر المصطلح الفرنسي كما يذكر مترادفاته دون ذكرها في مداخلها الألفبائية حتى يتسير اعتمادها.

٩٢- محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي... ص ١٨٢- ١٨٣ .

٩٣- فتكون مداخلها أربعة في المعجم: سيارة (١): القافلة؛ سيارة(٢): نجم؛ سيارة(٣) مشاة؛ سيارة (٤): عربة ميكانيكية.

الملحق رقم١: النحت المشتق في مقاييس ابن فارس الثلاثي المنحوت بزيادة حرف (X)

حرف المعجم	المدخل المزيد	الحرف المزيد	في الأول	في الوسط	في الآخر
العين	علجوم	م			X
	عطبول	ط		X	
	عمرس	ع	X		
	عنتريس	ت		X	
	عنتر	ن		X	
	عنبس	ن		X	
	عملس	ل		X	
	عرمس	م		X	
	عربس	ب		X	
	عبسورة	س		X	
	عمروس	م		X	
	عملص	ع	X		
	عصفور	ع	X		
	عرصاف	ع	X		
	عرصم	م			X
	عنصر	ن		X	
	عنفص	ن		X	
	عميثل	م		X	
	عرندد	ن		X	
	يعفور	ي	X (١٤)		
	عمرط	م		X	
	عفنأة	ن / ا / ة		X	X
	عنقفير	ف / ي / ر		X	X

– العلامة (X) تدل على الحرف المزيد على الثلاثي وموقعه منه، ولقد لاحظنا أن الحروف المزيدة أغل حروف ذلاقة (فر من لب). وقد اعتمدها الخليل للتمييز بين الفصيح والدخيل.

الملحق رقم ٢: النحت القياسي في مقاييس ابن فارس

النحت من كلمتين فأكثر

حرف المعجم	الكلمة المنحوتة المدخل	المكونات الاساسية في المقاييس	المكونات المختلفة	المكونات المشتركة	مواطن الإسقاط	ملاحظات
س	(٧٢) سحبل	سحل + سبل = ٦	ح + ب	سل + سل	سل	
	(٧٣) سرحُوب	سرح + سرب = ٦	ح + ب	سر + سر	سر	
	(٧٤) أسمهد	مهد + سهد = ٦	م + س	هد + هد	هد	
ش	(٧٥) شميذر	شمذ + شمر = ٦	ذ + ر	شم + شم	شم	
	(٧٦) شناعيف	شعف + نعف = ٦	ش + ن	عف + عف	عف	
ص	(٧٧) أصمقر	صقر + مقر = ٦	ص + م	قر + قر	قر	انظر الملاحظة أسفله
	(٧٨) صلقم	صلق + لقم = ٦	ص + م	لق +لق	لق	
	(٧٩) صهصلق	صهل + صلق = ٦	هـ + ق	صل + صل	صل	
	(٨٠) صمعري	صمر + معر = ٦	ص + ع	مر + مر	مر	
	(٨١) صلدمة	صلد + صدم ٦	ل + د	صد + صد	صد	
	(٨٢) صعقب	صقب + صعب = ٦	ق + ع	صب + صب	صب	
ض	(٨٣) ضرغام	ضغم + ضرم = ٦	غ + ر	ضم + ضم	ضم	
	(٨٤) ضبطر	ضبط + ضطر = ٦	ب + ر	ضط + ضط	ضط	
ط	(٨٥) طملس	طلس + طمس = ٦	ل + م	طس + طس	طس	
ع	(٨٦) عسلق	عسق + سلق = ٦	ع + ل	سق + سق	سق	
	(٨٧) عشنق	عنق + شنق = ٦	ع + ش	نق + نق	نق	
	(٨٨) عفلق	عفق + فلق = ٦	ع + ل	فق + فق	فق	
	(٨٩) عركس	عكس + عرك = ٦	س + ر	عك + عك	عك	

الملاحظ: دقة فنون النحت الذي استخرجناه من نظرية ابن فارس: (١) النحت يكون بين ثلاثيين (٢) تبقى في المنحوت المكونات المختلفة من الثلاثيين - (٣) يسقط من المنحوت عنصر من العنصرين المتشابهين من الثلاثيين.

الملحق رقم (٣): التقييس والتوحيد

التقييس المطبق:

يجد القارئ في اللوحة التالية مثالا مطبقا على العربية. فلقد قيسنا ووحدنا ترجمات كلمة Telephone إلى العربية وذلك بتطبيق القوانين الأربعة: الاطراد ويسر المعالجة والتوليد والملاءة. فتبين أن الكلمة الغالبة هي هاتف (٣٤درجة) وتليها تليفون (٢٨درجة)، مما يدعو إلى إسقاط المصطلحات الأخرى والاحتفاظ باثنين منها. والاستعمال محكم للاختبار بين المصطلحين الباقيين.

الرقم	الترجمات الواردة في المصادر العربية	الاطراد	يسر التداول	الاشتقاق (التوليد)	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	4	6	9	28
2	هاتف	9	8	8	9	34
3	مِسَرَّة	1	6	6	1	14
4	مِقْوَل	1	6	6	1	14
5	إرزيز	1	4	4	1	10
6	سماعة كبريت	1	1	1	1	4
7	سماعة حديث بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1	1	1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

اللغة والأصالة

الدكتور مروان المحاسني

يعيش عالمنا العربي عصراً يتميز ببروز تداخل ثقافي متشابك يحاول أن يقلب هذا الكوكب المليء بالتناقضات والحاوي على ألوان من الثقافات والحضارات أثبتت وجودها خلال الحقب التاريخية السالفة، أن يقلبه إلى قرية كبيرة تسيطر على الحياة فيها ثقافة وحيدة اللون والمشارب وهي ثقافة العالم الغربي الحاملة لأسس الحداثة والمتسلطة على منابع التطورات المستقبلية أي تلك المستويات العليا من العلوم وتطبيقاتها التقنية.

وتستكين المجتمعات التي لم تتح لها الفرص للمشاركة في تطوير هذه الحداثة وفي اقتباس الأساليب التقنية اللازمة لذلك فتحشر في صنف مبتذل من المجتمعات وهي مايطلق عليه اسم العالم الثالث، إنها المجتمعات التي تشكو من الغزو الثقافي الذي يستند إلى الوسائل الحديثة المتسارعة في فعالياتها في الميادين المختلفة وخاصة في مجال الاتصالات والمعلوماتية بحيث لايبقى لها أي دور في بناء عالم الغد وتكتفي بدور المتلقي لكل مايصدر عن الثقافة الغازية من إنتاج فكري ومادي وهي مجتمعات تتسابق إلى الاكتساء بالمظاهر التي تقربها مما تبديه المجتمعات الغازية من بريق ولمعان قبل أن تكتشف أنها إنما تتحلى بالقشور دون أن تدرك اللب. وهكذا فهي لاتكتفي بتقليد ماتراه سائداً في مجال الملبس والمأكل والمشرب بل تسعى بإصرار إلى نبذ عمد ثقافتها ومقومات حضارتها لتلتزم باقتباس ماتعتمده المجتمعات

الغازية من مؤسسات تحكم جميع مناحي حياتها الاجتماعية. وهذا كفيل بإيجاد الاختلال العميق في المجتمعات المغزوة إذ تفقد التوازن الذي كان يحمي مؤسساتها من الاضمحلال وتدخل في حالة من الاضطراب فتكثر فيها التناقضات بما يجبر مفكريها على وقفة لابد منها يتساءلون فيها عما يدور حولهم من تبديلات صحيحة في مجتمعهم. إنها مشكلة التحديث الذي تلهث وراءه جميع المجتمعات على الرغم من أنها لم تساهم في إشادة ذلك الصرح الشامخ من الإنجازات المادية والفكرية التي نطلق عليها اسم الحداثة والتي أصبحت عماد حياتنا العصرية.

إن الحداثة لاتعني الاستفادة مما هيأه العالم الغربي من وسائل وتجهيزات تخفف عنا أعباء الحياة فحسب، بل إنها الاعتراف بتفوق المجتمعات الغربية في جميع الميادين سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم تعليمية، وهذا مايدعونا إلى الأخذ بأساليب الحياة السائدة لديهم واعتبارها مثالاً يحتذى ومنارة تشع على الدنيا بأنوارها المبهرة، فلا رقي ولاتقدم إلا بالسير على خطاهم والالتحاق بركبهم وإقامة المؤسسات المماثلة لمؤسساتهم.

إن هذا الواقع الذي يلزم المفكرين بتلك الوقفة للتساؤل هو واقع فرض نفسه على جميع مناحي الحياة سواء في الأمور الحياتية اليومية أو في نظرتنا إلى العالم بل نظرتنا إلى أنفسنا. ولذلك فإن مثل تلك الوقفة إنما تمثل الخط الأول في الدفاع عن الهوية الثقافية، أي أن على مفكرينا أن ينشطوا في ساحة الدفاع الثقافي أمام الهجوم الثقافي الذي يتعرض له الشعب العربي.

لاشك بأننا بحاجة ماسة إلى التحديث في مختلف المجالات في مجتمعاتنا لكي نكسر العزلة التي فرضتها علينا ظروف تاريخية جائرة جعلتنا من التابعين بعد أن كنا في طليعة الخلاقين والمفكرين، إلا أنه لايجوز أن يؤدي هذا التحديث إلى تبعية تتناول ذاتيتنا الثقافية وتطغى على هويتنا الصميمة.

وإننا حين نبحث في ماهية تلك الذاتية الثقافية نجد أن المستشرقين قد سبقونا إلى ذلك ووصفوا مايعتقدون أنه السمات الأساسية للمجتمع العربي من منظورهم. وقد تمكن أدوار سعيد من فضح المواقف العنصرية التي اتخذها الاستشراق منذ نشأته إذ إنه استخلص من تلك المواقف أن المستشرقين قد أقاموا نوعاً «من الميتافيزيقا تزعم بوجود نظام نعرفي خاص يلائم كلاً «من جوهري الطبيعة الغربية والطبيعة الشرقية على حدة، وأنهم تمسكوا بأسطورة الطبائع الثابتة للشعوب ولجأوا إلى تفسيرات اختزالية لواقع الشعوب المشرقية دون الإقرار بوجود صيرورات تاريخية متبدلة.

وقد ذهب بعض الكتاب إلى أبعد من ذلك في تأكيدهم على وجود ماهية عربية تتمتع بخصائص مطلقة هي التأليهية والروحانية والمثالية والإنسانية والحضارية[1] أو في إصرارهم على إرجاع كل ظاهرة من ظواهر إبداع في الغرب إلى أصولها الشرقية إذ أن الشرق هو الذي يتميز بالإبداع بينما يتميز الغرب بالتقنية[2].

ولذلك كان لابد لنا من إعادة النظر في كيفية الإجابة على التساؤلات الذاتية المطروحة في عالمنا المعاصر. فإذا كنا اليوم نقف حائرين أمام الخيارات الثقافية المتاحة لنا فإن الحيرة مردها إلى ضرورة تحديد هويتنا ليتسنى لنا اختيار المسارات التي تناسب هويتنا.

فإما أن نكون منفعلين في علاقاتنا مع العالم الحديث، أي أننا نعتبر أن المعاصرة هي اتخاذ مسلك المتلقي لكل جديد يطلع به علينا العالم الغربي مادام هو رائد التطور في عصرنا الحاضر، فنحاول استيعابه والاستفادة منه بهدف الوصول إلى المستوى الأعلى من الرفاهة والمتعة أو أن نكون انتقائيين

---

(١) إسماعيل عرفي كتاب العرب القومي ص ٧٠ (وزارة الثقافة ١٩٧٧).

(٢) أدونيس ـ مواقف ـ العدد ٣٦ ص ١٥٠.

أي أننا نختار ماينا سبنا مما هو معروض، ونسقط مالا نستسيغه ونعتقد أن ذلك الانتقاء فيه الحماية لذاتيتنا والتأكيد على حريتنا والمنطلق المناسب لارتقاء حضاري نرسم حدوده بأنفسنا، وأما الخيار الثالث المطروح فهو أن نكون رافضين لكل جديد، متزمتين في تصورنا لواقعنا الفكري والثقافي، مصرين على خصوصية تأبى إلا أن تبعد عن مجتمعاتنا تأثيرات الحداثة والمادية التي ترافقها، لما يمكن أن تجره من الضياع في حقل القيم والعلاقات الاجتماعية.

ولنا أن نتساءل كيف يكون تحديد هويتنا الثقافية وماهي الأسس التي يمكن أن نعتمدها في ذلك التحديد، وماهي العناصر التي تتركب منها الهوية، جميعها أسئلة قد تطرق لها العديد من المؤلفين ومعظمهم من المستشرقين الذين درسوا مجتمعاتنا دراسة تستند إلى أسس أثنولوجية ليحاولوا ربط ذلك بعناصر معينة كشفوها في تراثنا الذي أشبعوه درساً وتحليلاً.

إلا أننا نرفض تصنيف الآخرين لنا على هذه الأسس ولابد لنا من مواجهة واقعنا بالاعتماد على تاريخنا والرجوع إلى الثوابت في تراثنا لنستطيع توضيح الملامح الأساسية لهويتنا الثقافية.

إن حوارنا مع مصادر الحداثة يعود دوماً إلى موقفين متقابلين: نحن وهم. فمن نحن وكيف نختلف عن الآخر الذي يطل علينا بجبروت علمه وتناثر تقنياته في جميع مجالات حياتنا اليومية؟ وكيف يمكننا ونحن شركاء في عالم سريع التطور أن نتعرف على الآخر قبل أن نتعرف على أنفسنا؟

إن ثقافتنا كأي ثقافة أخرى تحتاج إلى تأسيس جديد أو على الأقل إلى تعريف جديد يخرجها ناصعة مما تراكم عليها من رواسب دراسات الاستشراق وتحليلات سيطرت عليها عقليات غربية درست تراثنا من خلال

نظرة مهما تكن متعمقة إلا أنها تبقي نظرة خارجية تشوبها مسلمات نابعة من ثقافة أخرى وينقصها الحس العميق الذي لايمتلكه إلا من نشأ في تلك الثقافة وتمثل مقوماتها في صميم فؤاده.

لقد أسعفني الحظ منذ أكثر من عشرين عاماً أن طلب إلي صديق عزيز هو الأستاذ / ظافر القاسمي رحمه الله أن أشاركه في مراجعة ترجمة إلى الفرنسية لمعلقة امرئ القيس كان قد حاولها المستشرق الكبير جاك برك وذلك بناء على طلبه. فجلسنا شهوراً ننظر إلى تلك القصيدة ونحاول أن نجد في النص الفرنسي تلك الشاعرية الفياضة التي تميز بها امرؤ القيس. فلقد كانت ترجمة عالية المستوى تحاول أن تعطي لكل لفظ مقابلاً فرنسياً في الحقل الدلالي المناسب للمعنى المقصود، كما أنها تحاول الحفاظ على رنين شعري وقد اختيرت الكلمات الفرنسية بدقة فائقة لتنقل القارئ الفرنسي إلى جو غريب عليه هو جو الشعر الجاهلي الذي ينعكس في القصيدة متجاوباً مع مشاعر وأحاسيس لانظير لها في حياة القارئ العصري. وهذا مادعانا إلى اقتراح بعض البدائل في كل مرة شعرنا أن النقل إلى الفرنسية، على دقة اختيار ألفاظه، لم يكن ليثير في أذهاننا مايتطابق مع حسنا أو يولد الأصداء التي تثيرها تلك الأبيات عادة في الأذن العربية، والاهتزاز والترنم اللذين ينعم بهما المستمع إليها. إنها كانت مجرد مقترحات لم نطمح من خلالها إلى إدخال أي تغيير على النص الفرنسي الذي وضعه أحد كبار المستعربين في العصر الحديث وهو من أساتذة اللغة الفرنسية، بل كنا نود لفت نظره إلى وجود حس آخر وفهم آخر لما ورد في المعلقة لعل نقلها إلى الفرنسية يصل إلى تعبير أقرب إلى انطباعاتنا. وقد نشر الأستاذ/ برك ترجمته للمعلقة وهي بالفعل رفيعة المستوى وتتخللها مقاطع فيها الكثير من الشاعرية المحركة للخيال.

ثم إني عدت فتذكرت محاضرة كان قد ألقاها الأستاذ/ جاك برك في جامعة دمشق في الستينات وكانت المحاضرة باللغة الفرنسية عن الثقافة العربية.

وتذكرت كيف أنه حين تطرق المحاضر إلى مفهوم الأصالة أقر بأنه لم يجد مقابلاً فرنسياً لما نعبر عنه بالأصالة في لغتنا العربية وقال سوف أستعمل لفظ الأصالة كما هو وارد في اللغة العربية.

لقد درج المستشرقون على إحاطة لغات الشعوب التي يدرسونها بنوع من التقديس وكانت جهودهم تنصب على الاشتقاق والفيلولوجيا واللسانيات المقارنة لعلهم يجدون من خلالها المفتاح الذي يدخلهم إلى الواقع الاجتماعي والثقافي لتلك الشعوب ومنه يستطيعون النفوذ إلى الشخصية المميزة لتلك الشعوب وإننا مع احترامنا لمجهودات أولئك المستشرقين في محاولاتهم نقل تراثنا إلى لغاتهم وتعريف العالم بكنوزنا لانستطيع إلا أن نأسف أن حركة الترجمة هذه إلى اللغات الأجنبية لم تقم على أيد عربية.

ذلك أن أساس حوارنا مع الثقافات الأخرى هو الوصول إلى فهمها قبل كل شيء، ومن ثم إيضاح كنه ثقافتنا لمن لايتكلم بلغتنا، حتى يستقر تبادل ثقافي متوازن فنعرف ماهية مانأخذه ويعرفون ماهو موقفنا مما يعرضون، مادمنا في مصاف المتلقين للثقافات الأخرى، وهذا يعني أن المنطلق في أي تبادل بيننا وبين الغرب لابد أن يرتكز إلى تفهم الغربيين للخصوصية العربية.

وهنا ندخل إلى صميم الإشكالية التي تعتري كل تصنيف للخصوصية الثقافية التي تتميز بها الشعوب. أي أنه لابد لنامن تحديد أسس الهوية الثقافية وهي التي تجسد القوالب الفكرية التي يتم تفهم الأمور من خلالها. فكأن هناك عدسات مكبرة لابد أن تمر منها المعروضات لتصل إلى إدراكنا وقد

توضحت معالمها وانجلت خصائصها فنستطيع الحكم في قبولها كما هي أو إحكام التعديل في تفصيلاتها بحيث تتطابق مع معطياتنا ومعاييرنا وإلا فإننا نرفضها لتعارضها مع تلك المعطيات.

إننا حين نعبر عن أفكارنا في أي مجال ثقافي، وبأي لغة كانت، فإننا نغترف المفهومات من مخزننا الثقافي اللغوي وهو في الوقت ذاته المستوى المعياري المعتمد حين اختيارنا لأي لفظة أجنبية حيث نقوم بربطها بلفظة عربية. وهذا ينطبق كذلك بصورة خاصة على أي نقل نقوم به من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية نظراً لما تمتاز به لغتنا من ثروة لفظية تفوق ماهو معروف في اللغات الأخرى.

إن هذا المختزن اللغوي هو الذي يشكل لب أصالتنا الثقافية إذ إنه يطبع كل تبادل بيننا وبين الآخر وكأنه المصفاة التي ترشح من خلالها المفهومات فتكتسب الطابع العربي حين التلقي، كما يتحدد عن طريقها الانتقاء اللفظي حين النطق باللغة الأجنبية. وهذا مايجعل اللغة العربية هي المهيكلة لإطاراتنا الفكرية وهي المرجعية العليا في جميع تبادلاتنا الثقافية.

باستطاعتنا إذن أن نقول إن أصالتنا كامنة في لغتنا أي في وعينا لما نعتبره خاصية ثقافية مستقرة في كياننا الفكري، تلك الخاصية التي تستقبل روافد مختلفة تلتقي في خواطرنا لتكون مفهومنا الخاص للقيم السائدة في مجتمعنا، أي أن الهوية الحضارية العربية تتمثل في المعاني التي تجسدها الألفاظ المنطوقة إذ إن كل لفظ يستخلص معناه من دائرة تحتوي على مجموع من الدلالات بحيث يسبغ على كل لفظ مااصطلحت عليه المجموعة نتيجة لتجربتها الحضارية وتطورها التاريخي.

فإذا حاولنا تحليل مفهوم الأصالة نرى أنه يمكن اختصاره في أن نكون مانحن. أي أن نظرتنا إلى الحياة تستند إلى أسس ودعائم خاصة بنا وبالتالي

فإن مسلكنا وتفاعلاتنا وخياراتنا تبقى خاضعة لمرجعيتنا الثقافية وهي لغتنا العربية، تلك اللغة التي حملت إلينا خلاصة لتاريخ أجدادنا ولمنطلقاتهم وقيمهم وحساسيتهم. فنحن اليوم نتخير من بين الطروحات المتوفرة في أمور مجتمعنا وفي تقرير مصيره واتجاهاته مايناسب تاريخنا أي ماتستسيغه أصالتنا وهي مفتاح إداراكنا للحقائق الحضارية، وتمثلها فيما يحدد مسار مجتمعنا. وبذلك يكون من أهم أسس هويتنا الثقافية أساس شعوري وعقلاني في آن واحد إذ إن حسن تلقي الحقائق الحضارية يرتبط قبل كل شيء بمشاعرنا تجاهها بحيث نقبلها أو نميل إلى رفضها، ويتقرر مصيرها بعد ذلك من خلال محاكمة عقلانية تروزها وتسبر أغوارها وهي محاكمة لايمكن أن تستغني عن المدلولات اللغوية لتستطيع الوصول إلى القرار المناسب.

لذا يمكننا القول إن هذه الأصالة الكامنة في مخزوننا اللغوي تعمل حسب آليات يمكن تفكيكها. فهناك مآخذ ومدخرات شحنها تاريخنا وغذتها خبرات مجتمعنا وهي تشكل المصافي التي تلتقط من التيارات المارة بها ما يسمح تركيبها ودعائمها من الاحتفاظ به، وهناك المختبر التجريبي اللاشعوري الذي يتم الفرز والانتقاء وهناك في نهاية المطاف الحرز الذي تختزن فيه الجواهر المقبولة بعد أن نبذت العناصر المرفوضة. وهكذا تتشكل الرواسب الحضارية النفسية التي تسود الفكر الجمعي للمجتمع وتهيمن على تصرفات أفراده.

وإننا حين نعتمد اللغة تجسيداً للأصالة لا نريد أن نصل إلى تقديس اللغة كما فرضه المستشرقون بل إننا نؤكد رفضنا لمنطلقاتهم وأخصها أسطورة الطبائع الثابتة وإصرارهم على التأكيد بوجود فروق جوهرية بين الطبيعة الشرقية والطبيعة الغربية. إننا على العكس نقول إن أصالتنا تميزنا عن الشعوب الأخرى لابجمودها وتحجرها ولا لاحتفاظها برفعة أصلية مفترضة

بل لأنها نتاج صيرورات تاريخية ووعاء مازال يستوعب المزيد من الروافد الحضارية. نحن لا نؤمن بوجود خصائص بشرية طبيعية وأولية وثابتة تميز أصحابها عن باقي البشروتعطيهم مكانة ورفعة لا ينالها غيرهم.

إن هذا ما يبعدنا عن المنطلقات الشوفينية التي التزم بها مارتن هايدغر بتمجيده للغة الألمانية قائلاً: «انه لايصلح للفلسفة سوى الألمانية والإغريقية». كما يبعدنا عن محاولة أرنست رونان اختزال اللغة إلى أساسياتها لربطها بالروح أو العرق بما يثبت له تفوق العقلية الغربية الأصلية وقصور العقلية السامية الشرقية الأصلية. وبذلك نكون قد أسقطنا مفهوم وجود أنماط من العقلية تكفي للتمييز بين الشعوب ، لنقر بوجود مجموعةحية من المعايير المختزنة في لغتنا وهي نتاج تاريخنا وتجاربنا وهي التي تشكل أصالتنا. وهذا ما يبعدنا كذلك عن أسطورة وجود خصائص تندرج تحت راية خصوصية ثقافية يفترض فيها الثبات وهي خصوصية يعزى إليها نقاء أيديولوجي فريد وسمو فكري لا يبارى.

وإننا بتحديدنا للحيز اللغوي عماداً للأصالة نؤكد عدم قبولنا لتصنيف أمتنا بالاستناد إلى الأمجاد التاريخية كالفتوحات والكشوف العلمية فحسب إذ إن ذلك ينفي عن الأمة اكتسابها لخبرات على مر الزمن ويحصر شخصيتها في وصف ماضيها كما أنه يمثل نظرة ارتدادية تتعامى عن مجريات الأمور التي أوصلتنا إلى الحداثة، فهي محاولات تغطي الشمس براحتها وتؤثر القوقعة على التطور.

إن مفهومنا للأصالة هو أنها تشكل الأطر المرجعية النظرية والمنهجية التي تقود عملية التحديث وتوجه العلاقات في داخل المجتمع وخارجه بما يفضي إلى استخلاص الوجه الحضاري المرغوب عن طريق الاستيعاب والتمثل والدمج والحوار الفكري وهذا مايضمن وصول المجتمع إلى حداثة

تستوعب القديم من الأشكال والموضوعات دون إحداث أي شرخ في المسلسل الحضاري الخاص بمجتمعنا.

كما أننا حين نقول بأن أصالة الشعب العربي تتركز في لغته فإن ذلك لا يعني أنه يمكن استخلاص جميع مقومات المجتمع العربي من تحليل مفردات وتراكيب لغته. فقد حاول بعض الدارسين الغور في أعماق اللغة باحثين عن «كلمات أساسية في اللغة العربية لمعرفة بعض ملامح العقلية العربية الكامنة خلفها»، إلا أننا لا نعتقد أنه يمكننا أن نهتدي عن طريق ذلك التحليل إلى إقرار وجود نظام معرفي خاص بكل ثقافة بحيث نصل إلى تحديد جوهر الطبيعة العربية معتمدين على أن تلك الكلمات الأساسية تدل على مكنونات في العقلية العربية الأصلية مازالت فعالة في ثقافتنا اليوم.

كما أننا لا نقر بجدوى دراسات أخرى اعتمدت على كشف خصائص صوت كل حرف من الحروف العربية وتطبيق إيحاءاته الحسية أو الشعورية على معاني الألفاظ، وذلك لاستخلاص مايؤكد أن اللغة العربية «لغة معجزة» تثبت بداءة الإنسان العربي وحروفه، وأن الحروف العربية خلاصة للإنسان العربي عصبية وروحية وأنها خلاصة لمقوماته القومية.

إن جل ما نقوله هو أن لغتنا تعكس تاريخنا وفيها يتركز مجموع تجاربنا القومية بحيث أصبحت الحارس الأمين على ذاتيتنا، وهذا مايجعلنا نؤكد أن مفهوم الإسلام يتمم مفهوم العربية ولكنه لا يمكن أن يطغى عليه، وما ذلك إلا لأن الحضارات الإسلامية المعاصرة لا تتركز على اللغة العربية بينما ينطق باللغة العربية غير المسلمين من العرب ويعتمدونها أساساً لأصالتهم.

من المعروف أن الموجة الحضارية العارمة التي حمل لواءها المسلمون إلى عالم غارق في التخلف والجهل، والتي تشكل أساس الحضارة الغربية،

قد كانت عربية خالصة إذ إنها أخرجت في حلة عربية ناصعة، هي لغة القرآن، ولو أن عدداً كبيراً من علمائها المسلمين لم يكونوا عرباً. وقد نتج عن الحوار الثقافي الذي فرضته الفتوحات الإسلامية أن تصدت اللغة العربية لسيل من المعاني والمفهومات الجديدة في الميادين التابعة لمختلف العلوم والمعارف في ذلك الزمن وأدخلتها في مجالاتها التعبيرية بحيث أصبح تراثنا العربي يمتلك لغة مطواعة تسمح لنا بالتعامل مع أعقد الحقول الفكرية، في التاريخ أو الفلسفة أو غيرها. وهذا ما يجعل الذاتية العربية واضحة المعالم في البحر الواسع الذي نسميه الحضارة الإسلامية وذلك إلى جانب ذاتية فارسية وذاتية تركية وغيرهما.

إنه يتوجب علينا اليوم أن نقوم بمجهود كبير للتعريف بثقافتنا أمام مانراه من تساؤلات من قبل الغرب ومن غطرسة منبعها تقانة عارمة دخلت جميع بيوتنا وهي تحاول أن تحدد لنا مسارات جديدة في مواجهتنا لعالم متطور مازال يحمل أحقاداً عميقة وضغائن واضحة ترتبط بتاريخ فتوحاتنا وبتحطم الهجمات الفكرية والعسكرية على صخرة صمود شخصيتنا.

إن العالم مازال يقبل وجود التعددية ولا يجوز لنا أن نقبل الانسياق في حداثة جارفة تضيع فيها مقومات شخصيتنا. إلا أن هذا التعريف عن ثقافتنا عبر اللغات الغربية يصطدم بعقبات حقيقية حين نحاول نقلَ بعض الألفاظ العربية إلى اللغة الأجنبية وخاصة حين يكون معظم هذه الألفاظ ينتمي إلى الحقل القيمي الوجداني.

صحيح أن المثل الشائع يقول إن في كل ترجمة خيانة Traduttore Traditore إلا أن ذلك ينطبق بصورة خاصة على لغتنا حين نحاول نقل بعض المفهومات العربية ونبحث عن الكلمة الأجنبية التي تقابل كل واحد منها. ذلك أن أي كلمة عندنا لا تختص بالضرورة بمعنى واحد أو بمفهوم

واحد بل هي المحراق الذي تجمعت فيه مقاربات وتحديدات ومؤثرات زمنية، وهي إنما تعكس خلاصة لكل ذلك حين ننطق بها. وما ذلك إلا لأن لغتنا العربية كما ثبتتها المعاجم هي لغة استنبطت عناصر ثقافية عديدة في القرن الثاني للهجرة، من المنابع الهلنستية والهندية والفارسية دون أن يختل نظامها أو تفسد أصولها. إنها لغة القرآن الكريم الذي أُنزل بلسان عربي مبين، وبفضله تثبتت اللغة وحُفظت وأصبحت جاهزة لتلقي تلك الروافد الثقافية التي أوصلتها لأن تكون مصدر إشعاع ثقافي وعلمي على مدى قرون طويلة.

وإنه من الصعوبة بمكان أن ننجح حين ننقل نصاً عربياً إلى لغة أجنبية في إيصال ما نشعر به من فروق بين كلمات متقاربة في المعنى. فنأخذ على سبيل المثال كلمة من أكثر الكلمات تداولاً وهي الحب وندخل في الحيز الدلالي الذي تنتمي إليه. فكيف نشرح الفروق بين الحب والعشق والغرام والود والغواية والهيام والهوى والشغف؟

إنها فروق نحس بها ولكنه يصعب علينا التعبيرعنها بلغات أخرى وإيجاد الألفاظ المقابلة لها في تلك اللغة وذلك حتى بعد الاستعانة بكتبنا الأصلية التي تخصصت في توضيح تلك الفروق بالاستناد إلى ما نطق به العرب.

وإن من مفاخر تراثنا وجود تلك المعاجم الموضوعية الجامعة المعجزة التي تتقدم فيها العربية على كل اللغات الأخرى زمنياً وسعة، فهي كتب اختصت بتوضيح الفروق الدلالية بين الكلمات ككتاب الألفاظ لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ومتخير الألفاظ لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) وفقه اللغة للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) والمخصص لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) وقد ألف جميعها قبل نهاية القرن الخامس الهجري.

وهي المؤلفات التي تثبت أن معظم ما قد يعتقده البعض من باب الترادف إنما هو من باب التفريق وفي ذلك إشارة إلى تفصيل في المعنى يميز كلمة عن أخرى في الحيز الدلالي الواحد. فهكذا يُنبِئُنا الثعالبي بأن العشق هو ما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب وأن اللوعة هي حرقة الهوى وأن المتيم هو من استعبده الحب والمتبول هو من أسقمه الهوى وهكذا متدرجاً حتى نصل إلى الهيام الذي يقضي على المحب بأن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه.

وكذلك كيف نفرق بين الكرم الذي اشتهر به العربي وبين السخاء والإغداق والجود والإسراف والمنة وغيرها. هذا ما نجد شرح بعضه في كتاب أبي هلال العسكري (الفروق في اللغة) حيث نجد أن تعريف السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ولذلك لا يقال بأن الله سخي وأما الجود فهو كثرة العطاء من غير سؤال ولذا يمكن القول بأن الله جواد وأما الكرم فله عدة وجوه، فهو تارة بمعنى العزة ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ وتارة هو التفضيل ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وهو بصورة عامة إعطاء الشيء عن طيب النفس. ولكن أين ينتهي الكرم ويبدأ الإسراف والتبذير بل السفه؟ وكذلك كيف نجد مقابلاً للفظة المعروفة المكررة في آيات عديدة من القرآن الكريم وكيف نعرف عن العرض وعن الشهامة؟ لا شك بأن العربي أقدر من غيره على نقل تلك المعاني إلى لغة أجنبية مستنداً إلى حسه وإلى مقتضيات النص. فهو حين ينقل شعر عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لن يكتفي بالقول بأن الجهل هو ضد العلم بل سيعود إلى مفهوم الحلم العربي ليقول بأن الجهل هو ضد الحلم والحلم من الشيم العربية الأصيلة.

لقد واجه المستعربون صعوبات جمة في نقل الكثير من تراثنا وبصورة

خاصة تلك العبارات والألفاظ التي ترتبط بتراث حضاري عريق يستند إلى قيم ومشاعر سامية تأصلت في بحور لغتنا، آخذين بعين الاعتبار ما يعطيه خطابنا من قيمة عالية جداً للفصاحة وكذلك لمفهوم البلاغة وهما من شروط البيان السليم الذي يفترض عرض الأفكار بما يتناسب مع مقتضى الحال.

ولذلك فإن جميع الألفاظ الخاصة بالمجالات القيمية والتي ترتبط بالعمليات الفكرية وبالسجايا كالطهارة والعفة أو كالوجد والشطح عند الصوفية أو الدهر والزمان والأجل ﴿لكل أجل كتاب﴾ أو الستر والفضيحة تشكل صعوبات خاصة لارتباطها بعناصر مشاعرية قد استبطنتها لغتنا وأضفت عليها هالة معنوية يصعب على غير العربي إدراكها. ناهيك عن صعوبات إضافية حين يتطرق الغربي إلى نقل الألفاظ المرتبطة بالدين الإسلامي والتي بقيت فعالة وبارزة في أساليب التخاطب حيث يحتل الدعاء موقعاً مركزياً (حفظك الله، أدام الله نعمتك، سامحك الله، الله يعينك) وبرز وعينا للإرادة الإلهية في خضوعنا إلى مشيئة الله (إن شاء الله) وحين نقف وقفة تعجب وإقرار بعظمة الخالق (سبحان الله).

ولذلك يترتب على العرب أن يقوموا بأنفسهم بالتعريف بثقافتهم ولا يجوز أن يترك ذلك لمن لا يملك حس اللغة طالما أنه لا يعيشها أي لا يعيش القيم التي تحملها ولم يتمثل تلك الرواسب الحضارية النفسية التي تسود الفكر الجمعي لمجتمعاتنا.

وإن نجاحنا في حوارنا مع الآخر لا يتركز في فهمنا لثقافته فحسب ولا في تنبهنا لما يغرقنا به من إنجازات حضارية يحاول من خلالها صهر المجتمعات الأخرى في بوتقة تخرج منها متماثلة في شكلها وارتكاساتها وتفاعلها وتطورها بما يمحو شخصيتها ليضمها إلى الحضارة الغالبة كحضارات تابعة.

وإن الخط الأساسي في دفاعنا عن ذاتيتنا الثقافية عماده الإيمان بلغتنا التي تشكل الوعاء الذي تنصب فيه أحاسيسنا والذي يحتوي على خلاصة

تاريخنا ويمثل المدخل الحقيقي إلى فهم العالم الذي نعيش فيه.

إن اللغة العربية مفتاح إلى ثقافة عالمية وقد أثبتت عظم طاقتها في العصور الإسلامية الأولى وهي اليوم ماتزال قادرة على الوفاء بجميع احتياجاتنا في سعينا الحثيث نحو الحداثة، وهي الحارس الأمين على خصوصيتنا الثقافية لأنها معقل أصالتنا. ولا بد لخطنا الدفاعي أن يكون سداً منيعاً قادراً على منع أي اختراق. والاختراق هنا هو تقديم البديل اللفظي الذي يتجاوز العربية بحيث تبدأ لغتنا بالانكماش أمام هذه الاختراقات ويتوالى اختزالها حتى تستقر على مستوى الخطاب اليومي تاركة الساحة خالية تسيطر عليها ثقافات أخرى بلغات أخرى لا تقيم وزناً لأصالتنا التي نكون قد بددناها بإهمالنا لمرتكزها الأساسي وهو اللغة العربية.

وإننا حين نقول بأن اللغة العربية هي أصالتنا لا نحاول إثبات خصائص ينفرد بها العربي لمجرد انتمائه للعروبة أو لأنه مشرقي إذ إن هذا الأمر مرفوض ليس له أي مستند علمي. بل إن هدفنا هو التأكيد على أنّ لغتنا العربية ما زالت حية وما زالت تستوعب كل جديد في عالمنا المعاصر وتستطيع أن تحملنا في جهدنا للحاق بالركب العلمي العالمي. فالأصالة التي نحن بصددها ليست أصالة جامدة لا تعكس سوى ما دخل إليها في القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بل هي ذلك المرجع الدائم التطور الذي تزيده تجاربنا ثراء وعمقاً وهو الذي يستطيع إصدار الأحكام في مجال انتقاء ما يناسب ثقافتنا من بين ما هو معروض علينا في هذا العصر الذي يتميز بما نراه من سرعة فائقة في الاتصالات بين أرجاء المعمورة.

إنها الأصالة التي تدعم استمرارنا في السير نحو الحداثة بل تفتح لنا أبواب المشاركة في صنعها وتطويرها وتضمن لنا بقاء الاتساق بيننا وبين تاريخنا وتحمي شخصيتنا من التسلط الذي يؤدي إلى ذوبانها.

خواطر حول لغة العلم

الدكتور وديع فلسطين

يطيب لي في هذه السانحة السعيدة أن أهنّئ مجمعكم الموقّر - ومجمعنا - بانقضاء خمس وسبعين سنة على نشأته، وأن أُشيد بالدور الرياديّ الذي اضطلع به في خدمة الضاد وتراثها سابقاً على جميع المجامع العربية الأخرى، وأن أعرب عن ثقتي الكاملة في أن المجمع سيواصلُ أداء رسالته السامية في عقودٍ وعقودٍ كثيرة مُقبلة، فاتحاً أمام أمّة الضاد والثقافة العربية آفاقاً جديدة رحيبة، ومسهماً في الرقي الحضاري المأمول لوطننا العربيّ، وحاملاً رايات العلم والفكر جيلاً بعد جيل، وشاقّاً طريقه مهما توعّرت السبل، وآخذاً نفسه بأسباب الجدّ الجاد، وحاشداً جهود أعلام الضاد من سورية ومن البلدان العربية الأخرى ومن محافل الاستشراق كيما تتأدّى على يديه كبارُ الأمنيات التي تاق إلى تحقيقها سدنةُ الضاد من أعضائه برئاسة العلماء الأجلاء: محمد كرد علي وخليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي والدكتور حسني سبح رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة، ورئيسنا المبجّل العلامّة الدكتور شاكر الفحام، أطال الله بقاءه.

ولئن أزجيت إلى المجمع الجليل أعمق آيات الشكران والعرفان على دعوتي إلي المشاركة في هذا العيد، وإلى زيارة الشام وهي - واخجلي - أوّل زيارة لي، فقد مضى زمنٌ - لا أعاده الله - كانت زيارة سورية موضع مساءلةٍ وتحرٍّ، فأرجو أن يتسع صدركم لهذا الحديث الموجز.

كان معنى «العلم» ينصرفُ في الكتابات القديمة إلى المعرفة بصورة عامّة، دون تحديدٍ لأبوابها المختلفة. فاللغة علم، والتاريخ علم، والبحث علم، والتحقيق علم، وهلمّ جرا. ومازال هذا المعنى العام سائداً إلى يومنا هذا. فيقال مثلاً «علماء الأزهر» أو «علماء النجف» أو « علماء الزيتونة»، وطَبيعيّ أن العالِم في هذا السياق هو المقابل للفظة scholar لا scientist. فقد باتت اللفظة الأخيرة تقتصر على وصف المشتغلين بالعلوم التطبيقية كالطب والرياضيات والصيدلة والكيمياء والفلك والفيزياء والتكنولوجيا والهندسة وما إليها، في حين يُشار إلى فروع المعرفة الأخرى بلفظة «الإنسانيات».

وتشترك العلوم والإنسانيات في كونهما تحتاجان إلى اللغة للتعبير عنهما، لأن اللغة هي سبيلُ التواصل بين المشتغلين بفروع المعرفة جميعاً، وهي التي تُحيل ما يجري في مختبرات العلماء ومعاملهم ومصانعهم إلى كلام مسطور يفيد منه الباحثون في جهات العالم الأربع. فاللغة هي الناقل للعلوم التجريبية التي ازدادت أهميتها في العالم المعاصر نتيجةً للطغيان التكنولوجي على جميع مرافق الحياة.

ونحن الآن على مشارف قرن جديد، تتأهب له الدنيا بتسخير العلوم بمستحدثاتها ومخترعاتها وتطبيقاتها في خدمة الجماعة. وسواء أأطلق على عقدنا الحالي عقد الألكترون أم عقد التكنولوجيا (التقن)، فإن الفتوحات التي تحققت أو التي تُؤذن بأن تتحقق في هذين الميدانين في القرن المقبل تتجاوز كلّ مايرجم به الراجمون أو يتكهن به المتكهنون، بعدما دخلت ثورة الإلكترون في كل بيت، واستحال العالم إلى قريةٍ صغيرة مكشوفة الأستار.

ولكي يتأتّى للغة أن تؤدي رسالتها في نقل العلوم، فلا بدّ من أن

تسعفها حصيلتُها اللغوية وتصريفاتها وقواعدها على التعبير عن الكشوف والمستحدثات العلمية و «تنسيق ألفاظ المخترعات» بتعبير الشاعر حافظ إبراهيم. ولابدّ للغة من أن تكون مطواعة لصوغ المصطلحات الجديدة والتي تستجدّ، والتي بات تكاثرها أكبر من أن يلاحقه واضعو المعاجم العلمية وأعضاء المجامع اللغوية.

ومازال عالمنا العربي، برغم كل ما طرأ عليه من تقدم، يُعتبر مستقبلاً للعلوم لا مُنشئاً لها أو مُضيفاً إليها، ناهيك عن أن يكون مُصدِّراً لها. فنحن نتلقى من العالم المتقدّم «تكنولوجيا معلّبة» لا يَدَ لنا في صُنعها ولا قِبَلَ لنا بتطويرها أو حتى محاكاتها. ومادام هذا هو وضعنا الراهن، فلا بديل للعرب إلاّ أن يوطّنوا أنفسهم على النقل، نقل العلوم والمكتشفات والمستجدّات، لأن هذا هو سبيلنا الوحيد إلى استيعاب التطورات الهادرة في عالمنا، ومحاولة ملاحقتها. ومن شأن هذا أن يُلقي بعبءٍ ثقيلٍ يرقى إلى مرتبة التحدّي على المشتغلين بنقل العلوم وسكّ المصطلحات وتيسير أسباب الفهم الدقيق لكل وافدٍ من المخترعات وفنون الصناعة. وبغير المصطلحات المفهومة السائغة التي تجري على السليقة العربية، يستعصي على القارئ فهم العمليات الصناعية والتكنولوجية التي تتمّ في المختبرات والحقول ودور الصناعة.

والصحافة هي أوّلُ مَنْ يستقبل الكشوف الجديدة عند وقوعها، بفضل السرعة الهادرة التي تنتقل بها الأخبار عَبْرَ القارّات، ممّا يفرض على الصحفيين ترجمة المصطلحات المتعلقة بهذه الكشوف في سرعة وارتجال، على خلاف أعضاء المجامع ومُصنِّفي القواميس الذين يعملون في تؤدةٍ بطيئة، ويتحرّون دقّةً صارمة في سكّ المصطلحات وصياغتها، حتى إذا خرجت المصطلحات القاموسية والمجمعية إلى التداول، كانت المصطلحات الصحفية قد سبقتها إلى الاستقرار والشيوع والتقبّل العام.

صحيح أن كثرةً كاثرة من المصطلحات العلمية الحديثة لا عهد للغة العربية بها، ولكن القيام بعملية نَخْلٍ للتراث العلمي العربي القديم الزاخر بمصطلحاتٍ وتعبيراتٍ مأنوسة كفيل باستخراجها من بطون المدونات إلى التداول العام إذا اتفق لها تأدية المعاني الوافدة مع التكنولوجيا الحديثة.

ويحضرنا في هذا المقام مثالان يصحّ الاستشهاد بهما. أولهما أن مجلة «المقتطف»، وهي رائدة المجلات العلمية التي عمرّت ٧٧ عاماً بين عامي ١٨٧٦ و ١٩٥٢ نشرت في عددها الصادر في تموّز/يوليو ١٩١٢ تحت عنوان «المصطلحات الهندسية» مانصّه:

«جرى العلماء في كل لغةٍ على التعبير عن المعاني العلمية التي ليس لها أوضاع لغوية بكلماتٍ اصطلحوا عليها... ومتى اتفقت جماعة منهم على كلمة اصطلاحية، لم يبق مُوجبٌ لتغييرها. والذي يُنعم نظره في المصطلحات الهندسية التي جرى عليها الدكتور فان ديك[1] في كتابه «الأصول الهندسية» يجد أنها نفس المصطلحات التي جرى عليها نصير الدين الطوسي في كتاب «تحرير الأصول لأقليدس» كالزاوية الحادة والقائمة والمنفرجة والسطح المستوي والمحدّب والمقعّر والدائرة والقطر ونصف القطر والمثلث المتساوي الساقين والمتساوي الأضلاع والمختلف الأضلاع والقائم الزاوية والمربع والمعيَّن والمستطيل والشبيه بالمعيَّن والمعيَّن المنحرف والشبيه بالمنحرف، وهلم جرّا. فلا داعي للعدول عن هذه المصطلحات إلى غيرها لأنها قديمة مألوفة.»

(١) الدكتور كرنيليوس فان ديك أمريكي كان أستاذاً للعلوم في الكليّة السوريّة الإنجيلية جامعة بيروت الأمريكية اليوم) وقد تعلّم العربية وأجادها وألّف فيها في الفلك والكيمياء المثلثات والنبات والباثولوجيا والعروض، ووضع سلسلة «النقش في الحجر» لتبسيط العلوم.

أما المثال الثاني، فهو مارواه الأمير مصطفى الشهابي الرئيس الأسبق لهذا المجمع متحدِّثاً عن تجربته الخاصة في صُنع معجمه الزراعي، حيث قال:

«كنت قبل الحرب الكبرى تلميذاً في مدرسة غرينيون الزراعية العليا في فرنسة، وكان من جملة التلاميذ نفرٌ من المصريين ومن الشاميين. ففي ذات يوم، فوجئنا بزيارة الزعيم الشامي الكبير صديقنا الدكتور شهبندر، فجعلنا نطوف به في مخابر المدرسة وحقولها وحدائقها ورياضها وسقائف آلاتها وحظائر حيواناتها. وكنّا نسمي بعض الأشياء التي نريه إيّاها بأسماء فرنسية، لأننا كنّا نجهل ألفاظها العربية. فكان الدكتور يلفت نظرنا برفق إلى وجوب تحرّي ألفاظ عربية لتلك المسمّيات. وممّا قاله لنا إن في أبحاث (المقتطف) الزراعية جملةً صالحة من المصطلحات العربية تُفيد مراجعتها كلّ تلميذ زراعي وكل كاتب في العلوم الزراعية. فصرت منذ ذلك الحين أراجع الأبحاث المذكورة في مجلدات «المقتطف» وأستخرج منها تلك المصطلحات حتى اجتمع لديَّ منها زبدةٌ أغرتني بمتابعة هذه الدروس اللغوية، فتابعتها إلى أن وضعت منذ سنتين «معجم الألفاظ العربية للمعاني الزراعية)».[٢].

والذي يراجع الأعداد القديمة لمجلة «المقتطف» يلاحظ أنها بذلت جهداً محموداً في سكّ مصطلحات عربية لألفاظ علمية أعجمية مثل «الجوهر الفرد» للدلالة على الذرّة و «اليحمور» للدلالة على المادة الحمراء في الدم (الهيموغلوبين)، و «اليخضور» للدلالة على المادة الخضراء في النبات (الكلوروفيل) و «الحثالة» للدلالة على المواد الخردة، و «اللدائن» للدلالة على

(٢) مجلة المقتطف، عدد أيار/مايو ١٩٣٦.

البلاستيك، و «المخمَّر» للدلالة على السباخ، و «كُلَف الشمس » للدلالة على بقع الشمس، و «ركاز المعادن» للدلالة على خام المعادن، و «استفراد العناصر» بدلاً من عزل العناصر، وهلمّ جراً. وهي مصطلحات سائغة واضحة تؤدّي المعنى المطلوب بما يقرب من البداهة، ولكنها مع ذلك هُجِرَتْ وبطل استخدامها اكتفاءً بما درج على الألسنة من ألفاظٍ تقابلها.

والذي يطالع الصحف اليومية يقع على مصطلحات مستحدثة يحار في فهم كنهها القارئ، اللهّم إلاّ إن استطاع ردَّها إلى أصلها الفرنجي. ومن هذه المصطلحات وأغلبها من وضع الأمم المتحدة ـ «الآليات» مقابل mech-anisms و «التأيين» مقابل ionization و «الخصخصة» مقابل privatization و«السواتل» وهي تعريب للفظة Satellite التي يطلق عليها أحياناً اسم الأقمار أو التوابع الصناعية أو الاصطناعية، و «الأتمتة» وهي تعريب للفظة automation مقابل environmeutliazation، و «التكيّف الهيكلي» مقابل Adjustment Structural و«الدولدة» مقابل dollarization، وما إلى ذلك. وهي مصطلحات تبدو في معظمها آثار العجمة، كما أنها تحمل طابع القلق وعدم الاستقرار، فضلاً عن أن الإجماع على ارتضائها وتداولها مشكوك فيه. وهي إنْ حلت مشكلةً تعبيريةً في فترة مرحلية، فقد لا تحلّ المشكلة متى تواضع العلماء العرب على مصطلحات موحّدة لها. فبغير توحيد المصطلحات، وهي في الصميم من مهام المجامع، سيظل العلماء العرب يتحدّثون في ميادين تخصصهم وكأنَّهم في برج بابل.

ولا ريب في أن المصطلحات هي محور الكتابة العلمية التي تدور حول الصناعات أو المهن المختلفة، مما يسم هذه الكتابات بشدّة الجفاف والخشونة. ولكن الحياة الفكرية المعاصرة تمدّنا بشواهد على أن الموضوعات

العلمية يستطاع كتابتها بأسلوب بالغ الروعة باللغة العربية، فتخرج وكأنها قطعة من الأدب المصفى.

والتاريخ الفكري المعاصر حافل برجال قبضوا على ناصية العلوم وناصية الأدب في آن، مثل الطبيب الشاعر أحمد زكي أبي شادي ، وحسبُك كتابه الضخم «الطبيب والمعمل» ومؤلفاتُه عن تربية النحل والدواجن ، ومثل الطبيب الشاعر إبراهيم ناجي الذي استطاع أن يبسّط علم النفس في كتبه وفصوله، ومثل الدكتور حسين فوزي المختص بعلوم البحار وقد ساق تجاربه الماتعة بأسلوب رائق في «سندبادياته»، ومثل سلامة موسى الذي بسّط العلوم واقتحم دنيا المصطلحات بتعبيراته القريبة المأتى، ومثل اسماعيل مظهر الذي لم يقنع بتقريبه لنظرية دارون بل وضع معجماً ضخماً في جزأين لمصطلحات العلوم، ومثل الطبيب الأديب محمد كامل حسين صاحب رواية «قرية ظالمة» ومؤلفاته عن المتنبي والشعر، ومثل المهندس الشاعر علي محمود طه الذي لم تنهزم رومانسيته الخصبة تحت وطأة النظريات الهندسية، ومثل الدكتور أمير بقطر الذي وضع وترجم كتباً في تبسيط علم النفس، وجاراه في هذا الميدان الدكتور يوسف مراد هو ومدرسته المعروفة «بجماعة علم النفس التكاملي».

وحسب المرء أن يطالع الكتابات العلمية لأحمد زكي أو فؤاد صرّوف أو أحمد شفيق الخطيب أو الأمير مصطفى الشهابي (وقد تقدم عرض نموذج من أسلوبه) ليدرك أن الجمع بين اللغة العربية الناصعة المشرقة والأسلوب البياني الرفيع والمادة العلمية الرصينة ليس بمستعصٍ على أفذاذ من هذه الشاكلة.

تأمّل مثلاً حديث الدكتور أحمد زكي عن «الخلية» حيث يقول:

«إن الأجسام دول، تتألف من أفراد هي الخلايا. وتنضمّ الخلايا

المتشابهة بعضها إلى بعض فتكوّن الأنسجة. والعضلة مثلاً تتألف من خلايا عضلية تخصصت في عمل واحد هو التقبض والانبساط اللذان يسبّبان الحركة. والعضلة نسيج من الأنسجة، بما تضمنّته من خلايا متشابهة. ويجتمع النسيج من نوعٍ بنسيج من نوع آخر ثم بثالث، وهلمَّ جراًّ، فينتج عن ذلك العضو. فالقلب عضو، والكبد عضو، وهلمّ جرا. وكل نسيج يتألف منه العضو له عملٌ مختلف، ولكن مجموع أعمال هذه الأنسجة يؤلف شيئاً واحداً، وله هدف واحد يحتاج الوصول إليه إلى كل هذه الأعمال متعاونةً. والعضو قد ينضم إلى العضو الآخر وإلى الثالث والرابع، فيتألف الجهاز، ومن أمثلة ذلك الجهاز الهضمي. فالفم والأسنان والحلق والمريء والمعدة والمِعَاء وما يتصل بالهضم من بنكرياس وكبد وغير ذلك، من هذه يتألف الجهاز الهضمي لينجز عملاً معروفاً كثير الخطوات كبير الخطورة. ومن هذه الأجهزة يتألّف الكائن الحي»(٣).

ثم تأمَّل وصف فؤاد صروف لمغامرة أول طيار عبر المحيط من أمريكا إلى أوربا بطائرة صغيرة تضرب بجناحيها في الأجواء، حيث يقول في فصلٍ عنوانه «صدمة الجناح الفضيّ»:

«في هدأة الليل، أستيقظُ في الحين بعد الحين على طائرة تمرق في الجوّ فوق الدار، ولمروقها هدير وصفير، فهي ـ على ماقيل لي ـ الطائرة النفاثة التي تنقل الركاب من لندن إلى بيروت. وقد مرقت أمس، فلم يزعجني هديرها وصفيرها، ولكنها نبشت في هدأة الليل من دفائن الماضي ذكرى أيام قضيتُها في مصر مع جماعة من الصحب، مضى عليها اليوم خمسٌ وعشرون سنة أو تزيد، ولكن مرور الأيام لم ينل من صفائها.

(٣) مجلة العربي ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣.

كان ذلك في شهر أيار/مايو ١٩٢٧ وقد جلسنا إلى الشاي، تستبدُّ بنا لهفة على طيار مغامر روت أنباء البرق أنه استقل طائرة ذات محرك واحد من مطار روزفلت في جوار نيويورك، ثم امتطى بها متن الرياح، ومضى على وجهه قاصداً إلى باريس... تحته عباب مترامٍ، ومن حوله فضاء لا يعرف له حدوداً، وأمامه ساعات وساعات من بياض النهار وسواد الليل قد يغلبه في خلالها الملل أو يغلبه النعاس أو تلهبه العاصفة بسياطها أو تجرفه الرياح كريشةٍ في مهابّها، فيضلّ الطريق»(٤).

بهذا الأسلوب الشاعريّ صوّر فؤاد صرّوف مغامرة الطيار تشارلز لندبرغ الذي دخل التاريخ بوصفه أول طيار عبر المحيط الأطلسي بمفرده على متن الهواء في رحلة واحدة دون توقف.

وتأمل أسلوب أحمد شفيق الخطيب صاحب المعاجم العلمية النفيسة حيث يقول:

«اللغة العربية لا تنقصها خصائص اللغة العلمية، ولا مقوّماتها. والذين يتّهمون العربية بالعجز عن مجاراة التطورات الحضارية العلمية إنّما يعبّرون عن عجزهم هم، وعجزنا نحن، أو غالبيتنا في دنيا العرب.

أيام صدقت النية، وشمخت المعنويات عامرةً بالثقة والإيمان ، لم يجبن السلف أمام تيارات الحضارة اليونانية والفارسية والهندية، فأخذوا وأعطوا وعرّبوا وترجموا وألفوا وأبدعوا وانطاعت لهم العربية، فكان لهم جامعاتهم في بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة ودمشق وتونس»(٥).

---

(٤) «على الطريق» لفؤاد صروف ـ مطبعة قلفاط، بيروت، ١٩٥٤.

(٥) «تعريب العلوم ـ القضية» لأحمد شفيق الخطيب ـ مكتبة لبنان ١٩٩٤.

وهذه النماذج تسوق أكبر البراهين على أن العلوم الصعبة المرتقى لا تتنافر مع لغة الأدب بكل جمالياتها وإشراقها، بل إن في وسع العالم المتمكن أن يعبّر عما يريد من المعاني بأسلوب أدبي رفيع يرقق الذوق، ويرهف الحسّ، ويُكسب المادة العلمية طلاوةً بعد جفاف، ورونقاً آخذاً بالألباب، فيحبّب طلاب العلوم في اللغة العربية وذخائرها من التعبيرات والمفردات.

والحقيقة المؤكَّدة هي أن اللغة لا تقوم أبداً عقبة أمام التعبير العلمي مهما استغلق، مادام الباحث جاداً في تطويعها للمعاني التي يريدها، ومادام ينبعث من رغبة أصيلة في إغناء الضاد «بالأدب العلمي» الذي دانت له مقاديره.

ومُرادنا أن تكون لغة العلم في ألفةٍ كريمة مع لغة الأدب، وأن تزول الجفوة بينهما، تلك الجفوة التي مازالت تغري بتدريس العلوم باللغات الأعجمية في كثير من الجامعات العربية دون أي محاولة جادّة للعدول عن هذا العرف.

خلاصة

إن القرن الحادي والعشرين الذي بتنا على مشارفه يمثل تحدّياً ضخماً بالنسبة للدنيا بأسرها، ومنها عالمنا العربي، لأن الحضارة العلمية تسير بخطواتٍ متعاظمة يتعذّر التكهن بآمادها، ولأن العلوم الحديثة تنطلق بسرعة الصاروخ وتحطّم جميع حواجز المستحيلات.

ولن يتسنّى للعرب أن يلاحقوا مواكب العلوم الهادرة إلاّ إنْ فهموها واستوعبوها ودانت لهم مقاديرُها. وإذا كان المستقبل هو للعلم، فإن اللغة هي وسيلة متابعة العلم ونشره والتمكن منه والوقوف على أسراره واكتناه دنياه. وحتمٌ على اللغة العربية أن تنتضي جميع أسلحتها لخضد شوكة العلم وإخضاعه لسلطانها وتطويعه لقواعدها، وذلك بالتوسّع في سكّ

المصطلحات ونقل العلوم ومتابعة كل جديد من الفتوحات وتجديد المعاجم العلمية المتداولة بحيث تواكب مسيرة العلم.

ولئن كان هناك كثيرون من «المجتهدين» في سكّ المصطلحات وهم عادةً المشتغلون بالصحافة والترجمة والتأليف العلمي، فإن توحيد المصطلحات وإجراءها على السليقة العربية والعمل على إشاعتها هي في الصميم من أعمال المجامع. وحبذا استخراج المصطلحات من تراث العرب، إنْ كان هذا ميسوراً، فإنْ تعذّر ذلك ففي الترجمة والتعريب ملاذ. والعلمُ، مهما استعصت مادته، لا يؤود العالم الأديب، الذي يحرص على السلاسة اللغوية قدر حرصه على الأمانة العلمية، فهو يسوق عباراته بأسلوب مشرق وبيان جميل وإنْ تناولت موضوعات علميةً شديدة الجفاف. فليس بين الأدب والعلم تنافر أو خصومة أو جفوة، ولكنَّ بينهما أُلفة وتجانساً لأنّهما يصبّان في وعاء المعرفة المشترك.

فإن زالت هذه الجفوة المصطنعة بين لغة العلم ولغة الأدب ـ أعني اللغة العربية ـ انتفت حُجة الداعين إلى قصور اللغة العربية عن التعبير الصحيح عن العلم، وهي الحجة التي يتذرّعُ بها القائلون بتدريس العلوم باللغات الأعجمية في الجامعات.

مستقبل العمل المجمعي العربي

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

أيها الحفل الكريم

يشرفني أن أقف أمامكم ممثلا لمجمع بيت المقدس، مجمع فلسطين، سورية الجنوبية، الجرح النازف. وإنّا لنأمل هناك أن ننجح في نصرة العربية في الصراع الذي فرض عليها أن تخوضه في عقر دارها، ليس مع اللغات الأوروبية وحسب، ولكن مع العبرية أيضاً، مما يجعل العبء ثقيلاً ثقيلاً، غير أنّا يحدونا الأمل في النهوض به، راجين أن نسهم معكم في رفع شأن العربية وأهلها، مستنيرين بجهودكم، وجهود الراحلين من المجمعيين الفلسطينيين: الكرمي وزعيتر وطوقان ودروزة والنشاشيبي والحسيني وغيرهم، الذين قدم بعضهم إلى الشام ممثلا لبلده في المؤتمر السوري العربي الذي انعقد بدمشق سنة عشرين من هذا القرن.

أيها الأخوة:

ان أمتنا تعيش ظروفاً غير عادية، ولابد للتعامل معها من مناهج وأساليب غير عادية... وهذه ضرورة يقتضيها المنطق... ولا أدري لماذا يصر

بعضنا على وضع الجديد في وجه القديم على أنه ند له وبديل منه، بينما يصح أن يكون الجديد وليداً للقديم، يتخلّق في رحمه، فيأتي ابناً له، وامتداداً. ودون أن يكون ثمّ عداء، بل تناغم وصفاء.

ان الواقع الذي تحياه الأمةُ، والعالمُ من حولها، وقد غدا صغيراً، لواقع جديد يتطور ويتغير على شكل متوالية هندسية تفوق التصور، وان علينا أن نرتقي إلى مستوى المتغيرات، وأن نقيسها بما تقتضيه من أقيسة ومعايير.... دون المساس بثوابت الأمة بحال.

فهل نبادر إلى إرساء المشروع الحضاري العربي...

توطئة :

يقتضي الحديث عن العمل المجمعي العربي أن يعرج المتحدث مضطراً على العمل العربي بعامة، ذلك لأن هذا جزء من ذلك، يتأثر به، ويؤثر فيه، ونأمل أن تجيب هذه الورقة عن كثير من المسائل المتعلقة به، ولو بشكل غير مباشر، لأن العمل المجمعي المشترك يصب في معينه، ويسهم في إغنائه، غير أن مايشهده الواقع من تعثر العمل العربي المشترك انعكس على نتائج العمل المجمعي فحال دون تحقيق التنسيق الكامل، ودون شيوع الاصطلاحات وتوحيدها على الرغم مما يؤلف بين أعضاء المجامع من روابط وعلاقات متينة وصداقات أكيدة. يسمح لهم أن يلتقوا ويقترحوا، دون أن تكون لهم فرصة المتابعة والتنفيذ في الوقت الذي نجد فيه الجهات الموازية في بعض الدول الأوروبية (إيطالية وفرنسة على سبيل المثال) تملك الحق في رصد المخالفات وتصحيح الأخطاء ومنع المخالف من الاستمرار في مخالفته بكل وسيلة ممكنة.

وفي هذه الورقة نرجو أن نقدم تصورا لما ينبغي أن يكون عليه مستقبل

العمل المجمعي العربي، والتحديات التي تعترض سبيل الأمة إلى التقدم والترقي، هذه التحديات التي تترك بصماتها على كل منتجات الحضارة المادية المعاصرة شاهداً يؤذّن صبحاً ومساء أن على العرب أن يعيدوا النظر في كل ماهم عليه ابتداء من مفهومهم للدين والتديّن إلى ضرورة التعامل مع التقنيات المستحدثة في تطورها المتلاحق على شكل متوالية عددية بما تقتضيه من تفتّح لايفرط بالأصول، والأخذ بأسباب النهضة الشاملة في كل مجال، على طريق تحقيق ثورة عارمة تشمل كل عناصر الحياة وتحديداً في مجالي البنيان الاجتماعي والحصالة الثقافية.

مغالطة منطقية:

لكل كلمة معنى تختص به، ويكتسب اللفظ مكانته الاجتماعية من معناه، وهو الذي يحببه إلى الناس أو يسخطهم عليه. فللمفردتين جامعة «الدول العربية» واتحاد «المجامع» مكانة أكيدة في العرف الاجتماعي لأن في «الاتحاد» قوة... ولأن التجمع غالبا مايكون لرحمة، هو قريب من الاتحاد، ونحن نحرص على بقاء الجامعة العربية واتحاد المجامع العربية، وعلى أن تنهض هاتان المؤسستان بالأعباء الملقاة على كاهلهما لتلبي المطامح العربية وتطلعات الشعوب العربية في أرجاء الوطن العربي كافة .

ونضيف هنا، بكل مرارة وأسف أن «العربية» التي تضاف إليها المجامع هي عربية واحدة ألفاظاً ومعاني وتراثاً، ولكنها لم تعد واحدة متكلما واتصالا بالتراث ومنطلقات، فالعربية في المناطق المحتلة عامي ٤٨ و ٦٧، وتحديداً على ألسنة الطبقة العاملة والتجار، وفي أرجاء الوطن الكبير على ألسنة أهل بعض أشكال الفن والتجارة ـ تختلف وظيفتها عن الوظيفة المعروفة للغة، إذ يدخل فيها توجيه التفكير والإسهام في بلورة الرأي العام بما ينسجم مع المصلحة العليا للأمة... وكثير من العرب مازالوا على اتصال

وثيق بتراث أمتهم، ويستمدون منه مايحوكون به مستقبلهم، غير أن كثيراً منهم أيضاً قطعوا الصلة بالتراث، أو وجدوا أنفسهم يرضعون لبنا مزورا مجهول المصدر أو معلومه، مما انعكس على الواقع اللغوي بوجه عام، وأخذ يتغلغل في بنية الذات بما فيها اللغة بإجمال. إن الأمة العربية اليوم تخضع لعملية تهجين رهيبة، بعد أن دجنت تدجيناً، فما هذه بأمة محمد، وماهذه بأمة خالد ولا ابن نصير ولا صلاح ولا الظاهر، انها تتعرض لزرع جينات وراثية ليست مما ورثه الآباء. لو كان يصحو المبنج.

أعمال المجامع :

يقف المطالع في منشورات المجامع اللغوية على طبيعة النشاطات التي تنهض بها، وهي مختلفة متنوعة إلى حد كبير، ولعلها كانت أمثل مايمكن أن تؤديه المجامع في العقود السابقة، غير أن في الانفجار المعرفي وثورة التقنية اللذين باتا يكتنفان العالم من حولنا ويمتدان إلينا بآثارهما مايحدونا إلى إعادة النظر في طبيعة العمل المجمعي، وضرورة نقله إلى آفاق أرحب، والامتداد به إلى أبعاد جديدة «نووية إن صح التعبير».

ويمكن إجمال نشاطات المجامع في العقود السابقة في إقامة الندوات والمؤتمرات ونشر أعمالها، وإعداد الدراسات والأبحاث، وتوليد الاصطلاحات وترجمة بعض مصادر المعلومات، إضافة إلى تحقيق بعض المخطوطات وفهرستها وتأليف بعض الكتب المدرسية المقررة. وتراوح الأبحاث مابين السير الذاتية والدراسات العميقة مما يجده الدارس منشورا في مجلات المجامع المختلفة.

ونعتقد أنه لتحصين أهل اللغة من عوامل الحضارة المادية وانعكاساتها على الإنسان واللغة، لاسيما في ضوء ضعف أثر التراث فيهما ـ لابد من العمل على إعادة تعريب المواطن ووصله بتراثه، وهذه عملية شاقة لابد

لنجاحها من تضافر جهود كثيرة، ونرى أنها يجب أن تقوم على عاملين رئيسين هما:

١ ـ التعامل مع مقتضيات ثورة المعرفة والتقنية، والعمل على تطويعها، لتنسجم مع مقتضيات تحقيق الهوية ومواصفات الذات، اقتداء بما كان عليه السلف عندما ترجموا عن الإغريق والرومان والفرس والهنود، وبما انتهجه اليابانيون وسكان شرق آسيا في تعاملهم مع افرازات الحضارة الغربية. بعبارة أخرى: على الأمة أن تبادر إلى توطين العلم وتوليد المعرفة محليا.

٢ ـ فتق العربية عن طاقاتها الكامنة، ومانرى العربية بل اللغة بوجه عام الا كالذرة، لم يكن أحد يدري بمكنونها من الطاقة حتى كان علم الذرة الحديث، ففجرت الذرة عن طاقتها الهائلة بغض النظر عما استخدمت فيه من أغراض... والشيء نفسه نقوله في اللغة، إذ هي إطار ينطوي على علوم جمة، وطاقات ضخمة فأين الصاعق؟

ميادين جديدة للعمل المجمعي :

نسوق في مايأتي جملة من الاقتراحات من شأنها أن تؤدي إلى الانتقال بالعمل المجمعي إلى ميادين جديدة وتمده بطاقات خلاقة، وهي:

١ ـ تفريغ معاجم الألفاظ في معاجم متخصصة على غرار فقه اللغة وسر العربية للثعالبي والمخصص لابن سيده، وكتب خلق الانسان للأصمعي وابن أبي ثابت والربعي وغيرهم، وكتب الأضداد للأصمعي وأبي الطيب وابن الدهان ومن بينهم، ونحو ذلك من الكتب.

ان الأهداف التي كانت من أجلها معاجم الألفاظ غدت وراء مطلب العصر، وتجاوزها الباحثون أو ينبغي أن يتجاوزوها، ولابد من إعادة توظيف المعلومات التي تتضمنها بما ينسجم مع سمة التخصص ـ هذه الآلة التي باتت

تسهم بطابعها جل مناشط العصر.

٢ ـ تطوير منهج ابن فارس والصاغاني، وتفجير فلسفة الأصل والتركيب على طريق توليد أبعاد لغوية جديدة، واستخراج «برمجات» دماغية قادرة على التعامل مع مستجدات العصر.

ان تحليل اللفظ إلى الأصوات التي يتألف منها أمر ميسور، ولكن علينا أن نجتهد في تحليل المعنى المفرد، مم يتكون، عندئذ نبدأ في جدلية تقوم على استخراج الطاقة بتجزئة الخلية ـ الذرة ـ المعنى المفرد، ولابد نتيجة لذلك من الطاقة (س) وماعلينا إلا أن نحسن استخدامها بتحويلها إلى ضوء أو صوت أو حركة أو جاذبية... أو غير ذلك، أعني بتحويلها إلى قدرات لغوية تسعفنا في مجابهة العصر. فاللغة هي مادة العلوم، واتقان اللغة والدراية بفلسفتها يعنيان اتقان العلوم ولو إلى حد، والقدرة على التعامل معها.

٣ ـ تلمس الفصيح في اللهجات الدارجة، وماأكثره، ومنه فصيح لم يرد في المعاجم ولا في شواهد اللغة، ذلك أن هذه لم تشتمل على كل ماكان لدى العرب من ألفاظ ومعان، لو كانت هذه الأخيرة مما يحصى، ونعتقد أن في الأدب الشعبي العربي، وتحديداً ماكان منه في البوادي على امتدادها شرقاً وغرباً، ذخيرة من الألفاظ يمكن أن تسعفنا في توفير بعض مانحتاج إليه في العصر الحديث، وقد ننبه هنا إلى أن الأعراب أصدق حسا وأقدر على التعامل مع ألفاظ الحضارة الوافدة، إذ لايلبثون حتى يعربوها لعلاقة في شكل ماتطلق عليه أو لونه أو غير ذلك.

٤ ـ توطين العلم وتوليد المعرفة والتقنيات على طريق تحصين المجتمع وسد حاجاته، وهذا يستدعي إعادة النظر في الخطة الشاملة لتطوير الوطن العربي في كل مجال، وتحديد مفهوم العروبة، ففي نظرنا أن العرب كانوا أمة عندما كان الإسلام منطلقهم وصائغ وجودهم، ومن هنا فإن العروبة

والإسلام جسد واحد، والحرص على هذه يجب أن يكون حرصا على ذاك.

ولابد من العمل على بلورة الذات في ضوء مقتضى هذين العاملين، أعني الدين والقومية، حتى إذا ماتبلورت ذات متميزة أمكن للحمية الوطنية بمفهومها الشامل أن تستيقظ وتستشري محدثة شعورا بالغيرة والحرص والأخذ بأسباب الوقاية والتحصين الحضاري والتحسس ضد الأفعال المعادية ومقاومتها بردود الفعل المناسبة، بل تتجاوز ذلك إلى ممارسة الفعل، ويبدأ المجتمع بذلك مسيرة جديدة فاعلة، ودورة حياة تستعر فتوة وتحفزا كنامية اللوز بعد خروجها من سجن القشرة.

عندئذ، يكون في وسع المجتمع العربي أن يتعامل مع معطيات الحضارة الحديثة وهو آمن مطمئن، فلن يطغى لونها على لونه، بل أن في لونه من التركز مايكفي لإضفائه عليها، فنغدو تماما كاليابانيين، أو أشد، في محافظتهم على إبراز الذات اليابانية في كل جديد وافد، فلا يلبث حتى يبدو يابانيا أصيلا. إن توطيد العلم وتوليد المعرفة لايتحققان دون وطنٍ حي محدّد المفهوم والأهداف والمنطلقات، يحترم نفسه، ويحافظ على جوهره وهويته معتدا بهما، عاملا على صيانتهما ليظلا صقيلين فاعلين. فمن هو العربي؟ أهو من يجيد العربية؟ أم هو المنتمي إلى أحد الأقطار المنتسبة لجامعة الدول العربية؟ سؤال ينبغي أن لايترك المجمعيون الإجابة عنه، وينبغي أن نسعى لبلورة مفهوم جديد أو تأصيل المفهوم الذي كان سائدا في أوائل هذا القرن الميلادي حول الشرق والشرقيين، والجامعة الإسلامية، وهو أن العروبة والإسلام جسد وروح، والعربية قوام العروبة، وهذا ماسلك الحديث في مجراه الذي رأيتم. ويقودنا ماتقدم إلى طرح التساؤل التالي:

ـ هل تستطيع المجامع اللغوية أن تتجاوز موقعها إلى موقع متقدم، تستطيع منه التعامل مع مستحدثات العصر ومقتضياته بما يمكّن المجتمع من تجاوز ماهو فيه؟ فتقوده بذلك بدلا من الكتاب والأدباء إلى مواقع متقدمة على طريق التحضر والترقي؟

ولتحقيق ذلك فانه لابد من القيام بخطوتين على الأقل هما:

أولا: الاعلان عن توحيد المجامع تحت اسم «المجمع العربي الموحّد للغة العربية» وتسمية ماهو قائم منها فروعا تحمل أسماء العواصم.

ثانياً: تحديد قيمة عليا يسعى المجمع العربي لتحقيقها، وخطة بعيدة المدى تستند إلى فلسفة تنبع عن الذات، وتؤسس على قاعدة صريحة من احساس بالخطر الداهم، وبضرورة الأخذ بأسباب العلم، والتعامل مع المتغيرات المتوالية على كل صعيد بما تقتضيه دون مساس بالهوية.

وأخيراً أرجو بهذه المناسبة، أن يوفق مجمع دمشق، ونحن نحتفل به في عيده الخامس والسبعين، وممثلو المجامع اللغوية العربية إلى جعل هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ العمل المجمعي العربي، تعلن فيه وحدتها في مجمع واحد. يسعى إلى قمم أعلى، وقيم عليا، ليخطو باللغة والمجتمع العربي نحو آفاق أرحب، وأبعاد جديدة تحقق للأمة مكانتها اللائقة.

المدرسة الظاهرية ومكتبتها

الدكتور محمد زهير البابا

في وسط مدينة دمشق، وبالقرب من باب البريد، يرى الزائر في الوقت الحاضر بناءين جميلين متشابهين، يفصل بينهما طريق ضيّق. وهما المدرسة العادلية وفيها قبر الملك العادل أبي بكر بن أيوب، المتوفى سنة٦١٥هـ، ويقابلها المدرسة الظاهرية، وفيها قبر الملك الظاهر ركن الدين أبي الفتوح بيبرس التركي البندقداري، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، وقبر ابنه الملك السعيد محمد بركة خان المتوفى سنة ٦٧٨ هـ.

يُعّد ابن شداد ، واسمه عز الدين محمد بن علي، أشهر من وضع كتاباً تحدّث فيه عن حياة الملك الظاهر وفتوحاته وأعماله. وهو مؤرخ وجغرافي سوري، ولد بمدينة حلب سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م. وحينما بدأ غزو المغول لمدينته سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١م لجأ مع أهله إلى مصر. ثم انخرط في خدمة الملك الظاهر، فحصل على مكانة مرموقة، نظراً لفضله ومزاياه. لقد بيّن ابن شداد، في كتابه تاريخ الملك الظاهر، الطرق التي سار عليها في توطيد دعائم حكمه، واكتساب محبة رعيته واحترامها.

قام الظاهر بطرد الصليبيين من الساحل السوري، وأحيا الخلافة العباسية بالقاهرة، بعد سقوطها على يد هولاكو في بغداد، وحرّم الخمور وتدخين الحشيش، وعاقب بشدة كل من كان يخالف أحكام الشريعة

الإسلامية . أمّ مكة حاجاً، وأمر بكسوة الكعبة الشريفة. أنشأ عدداً كبيراً من المدارس والمساجد والبيمارستانات والحمامات العامة. كما أمر بترميم القلاع التي خرّبها الأعداء في مصر والشام. وتراجع عن فرض الضرائب التي كان ضربها، حينما شعر بتذمر الشعب.

كان الملك الظاهر، كما يقول ابن شداد، جبّاراً في الأسفار والحروب، شديد الوطأة على الأعداء من التتار والفرنج وغيرهم. وفي سنة ٦٧٦ هـ دخل دمشق، ونزل بالجوسق، المعروف بالقصر الأبلق، بجوار الميدان الأخضر. ولما سمع بوصول أبْغا(*) بن هولاكو إلى الموصل، قاصداً بلاد الشام، استعدّ للقائه. وفي أثناء هذا العزم وصل إلى أبوابه رجل من التركمان، أخبره أن أبغا أوغل في الهرب. فحمله شدة السرور والفرح على أن ازداد على نفسه (بالطعام واللذات). وكان قد شرب قمزاً (وهو شراب مخمر يصنع من لبن الفرس أو البقر). ولما أحسّ بوعكة، واشتكى حرارةً باطنة، أمر باحضار الأطباء. وقد اختلفت طرق معالجتهم، مما سبب له الإفراط في الإسهال، مع نزف الدم. وهذا ما أدّى لوفاته يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر محرم سنة٦٧٦ هـ .

كان الملك الظاهر قد أوصى أن يدفن في جهة عيّنها لأمرائه، قريبة من قرية داريا، على الطريق العام، بالقرب من دمشق، وأن يُبنى على قبره بناءٌ يبقى أثره على مر الزمان. ولما توفي رأى ابنه الملك السعيد أن يُدفن داخل أسوار دمشق، أسوة بغيره من الملوك المدفونين فيها. فكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر، نائب سلطنة دمشق، يأمره أن يختار مكاناً إلى جوار الجامع الأموي.

لقد اتفق الأمراء عند موت الملك الظاهر، على إخفاء ذلك. فحُمل إلى

(*) جاء في كتاب العالم الاسلامي في العصر المغولي أن ابن هولاكو يدعى (أباقا) وهذا الكتاب من تأليف برتولد شبولر وترجمة خالد أسعد عيسى.

القلعة بدمشق ليلاً حيث تولّى تغسيله وتحنيطه وتكفينه المهتار شجاع الدين عنبر، والفقيه كمال الدين المؤذن الاسكندراني، والمعروف باسم المبنجي. ثم جُعل في تابوت، وأُغلق عليه في بيت من بيوت البحرية بالقلعة.

كان بيليك بدر الدين الخازندار نائباً للسلطان بدمشق. فخرج إلى مصر بمحفّةٍ ليوهم الناس أن السلطان فيها مريض. وهناك عمل على تولّي الملك السعيد الحكم، وكان عمره ثمانية عشر عاماً.

ويروي النعيمي، في كتابه الدارس في تاريخ المدارس، نقلاً عن ابن كثير، أنه في يوم الأربعاء، الثالث عشر من شهر صفر ٦٧٧ هـ ، شُرع في بناء الدار التي تُعرف بدار العقيقي، تجاه العادلية، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر. وفي ليلة الجمعة، الخامس من شهر رجب، حُمل نعش الملك الظاهر من القلعة إلى تربته. وفي شهر ذي القعدة من عام ٦٧٨ هـ توفي الملك السعيد فجأة، وهو في قلعة الكرك، بعد أن خلع نفسه، فنُقل إلى جوار والده في تربته بالظاهرية .

إن تحول قصر العقيقي إلى تربة ومصلّى ومدرسة قد أدى لتغيير شكل البناء الأصلي. إذ ارتفع حوله جداران من الحجر المنحوت، أحدهما غربي، وفيه الباب الرئيسي المقابل للمدرسة العادلية، وعلى يمينه نافذتان على الطريق. والآخر جنوبي يطل على الطريق المؤدي لضريح السلطان صلاح الدين. أما الحمام الموجود إلى يسار المدرسة الظاهرية، وكذلك الإيوان الشمالي، الموجود داخلها، فهما البقية الباقية من دار العقيقي.

لقد ذكر المرحوم الأستاذ محمد كرد علي، الرئيس الأول للمجمع العلمي العربي بدمشق، في مقال له نشر في العدد الأول من مجلة المجمع، والصادر في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢١م، عن المدرستين العادلية والظاهرية فقال: «وأجملُ مارُسم على الرتاج (فوق باب الظاهرية) جملةٌ

نقشت في الزاوية الشمالية (عمل إبراهيم بن غانم المهندس رحمه الله) كما ذكر ابن شداد، في كتابه تاريخ الملك الظاهر، إن إبراهيم بن غانم هو الذي قام بترميم القصر الأبلق الواقع بجوار الميدان الأخضر. وإنه سُمّي بالأبلق لأن جدرانه بنيت من حجر أسود جلب من حوران، وحجر أصفر جلب من حلب. وظل هذا القصر قائماً حتى هدمه تيمورلنك عام ٨٠٣ هـ/١٤٠١م.

وأضاف ابن شداد إلى قوله السابق: «إن المهندس إبراهيم بن غانم عُني ببناء قبة التربة، فاستعان بالعمال الذين قاموا بتزيين الجامع الأموي وترميمه. فطلوا جدران المدفن الداخلية برسوم من أحجار الفسيفساء، كما زيّنوا أطراف المحراب والنوافذ بقطع من الرخام الملون، وأحاطو النوافذ بإطار من الأحجار الصفراء، المنقوشة برسوم هندسية دقيقة ومتقنة».

وتقول السيدة أسماء الحمصي، المديرة سابقاً للمكتبة الظاهرية: «لقد استوحى المهندس إبراهيم بن غانم تقاليد الفن الأيوبي، والتي كانت ماثلة في بناء المدرسة العادلية. ولعلّه أراد أن يجعل هذين البناءين المتقابلين منسجمين، فألّف منهما وحدة عمرانية رائعة»

كان بناء المدرسة الظاهرية يشمل أربعة أمكنة رئيسة وهي:

١ - تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد : وهي قاعة مربعة الشكل، يقع بابها على يمين الداخل من الباب الكبير الذي تعلوه المقرنصات. ويعلو التربة قبة تستند على دعامتين، بارتفاع ثلاثين متراً. وفي منتصف الجدار القبلي منها يوجد محراب مزخرف، وعلى كل طرف منه نافذة يعلوها قوس مزخرف أيضاً.

٢ - الإيوان القبلي : وهو يقع بمحاذاة التربة. وهو مصلّى في صدره محراب يماثل بشكله محراب التربة. وكان مخصصاً لتدريس طلاب العلم على المذهب الحنفي، ويستعمل حالياً مستودعاً لكتب المكتبة الظاهرية.

٣ ـ الإيوان الشرقي : وهو الركن الذي كان يجري فيه التدريس على المذهب الشافعي. وقد دثر ولم يبق من قوسه سوى ثلاثة أحجار تدل عليه، وعلى شكله المشابه للإيوان القبلي.

٤ ـ دار الحديث : وكانت تقع في الزاوية الكائنة بين الإيوانين، ولم يبق من تلك الدار سوى الباب.

وتقول السيدة الحمصي: « ويستفاد من تراجم بعض من درَّس أو دَرَس في الظاهرية، ولا سيما في دار الحديث، إنه كان هناك غرف لهم يعيشون فيها. وكان ذلك شرطاً على كل من يُعين شيخاً لدار الحديث على الأقل، ولكن في أية جهة منها ؟ وهل هي أرضية أم علوية؟ فكلها أمور لم تزل مجهولة».

الدراسة والمدرِّسون في المدرسة الظاهرية:

كان ملوك وأمراء المماليك بأشد الحاجة إلى المال، وذلك لإنفاقه على تجهيز الجيوش، واسترضاء الجنود وأعيان البلاد، وإقامة المآدب في المناسبات والأعياد، وإقامة المنشآت الدينية والعلمية والصحية، إظهاراً لتدينهم ومحبتهم للعلم. لذلك أثقلوا كاهل الشعب، في القطرين المصري والسوري، بفرضهم الضرائب، ومصادرتهم للأراضي والأموال والأرزاق. وقد ظهرت أهمية العلماء في الدعم السياسي والنفسي للنظام المملوكي في جمع الضرائب وتهدئة الأحوال. فقامت الدولة بتعيين موظفين من العلماء المشهورين، وجعلتهم قضاة أوقضاة قضاة، أو محتسبين أو مدرسين، أو وعاظاً في المدارس و المساجد. وقد حذا المماليك حذو نور الدين والملوك الأيوبيين، برعايتهم لمدارس الفقه على مذاهب السنّة الأربعة، وذلك بتعيينهم أربعة قضاة للمحاكم، وأربعة أئمة للمساجد، وأربعة مدرسين للمدارس.

كان قضاة القضاة هم المسؤولين، بشكل رئيسي، عن تنظيم مدارس الفقه، من وجهة نظر الدولة. وكان مقرهم ومسكنهم غالباً في المدرسة

العادلية. وكان القضاةُ مديرين للمدارس ولأوقافها أحياناً. وكان لمعظم القضاة، وكبار الموظفين الدينيين، رواتب شهرية من الأوقاف، كما كانوا يتقاضون أجوراً من المتقاضين. أما أصحاب الوظائف التعليمية، وطلاب العلم، فكانت رواتبهم ضئيلة نسبياً، فاعتمدوا غالباً على الإحسان، والتماس الهبات.

ولكن واردات المدرسة الظاهرية كانت وافرة. ويكفي إلقاء نظرة على أسماء الأملاك التي أوقفت عليها، والتي نقشت على حجرٍ فوق بابها، للتأكد من ذلك. وكانت تلك الواردات كافية لتمد المدرسة والقائمين عليها ومن يتعلم فيها بالخير العميم.

روى ابن كثير، في كتابه البداية والنهاية في التاريخ: إنه في يوم الأربعاء، الثالث عشر من شهر صفر عام ٦٧٧هـ ، بدأ التدريس في الظاهرية، بحضور نائب السلطنة أيدمر الظاهري. وكان درساً حافلاً حضره القضاة، ألقاه مدرّس الشافعية، الشيخ رشيد الدين الفارقي، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان، المعروف بابن أبي العز الأذْرعي، ولم يكن بناء المدرسة قد اكتمل، فأمر بإكمالها الملك المنصور قلاوون.

إن أكثر العلماء والفقهاء ، الذي درّسوا في المدرسة الظاهرية، قد وردت أسماؤهم، مع لمحة عن حياتهم ومركزهم وآثارهم، في عدة مؤلفات منها:

كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي* - شذرات الذهب في

---

* كان النُعيمي أحد نواب القضاة في دمشق خلال القرن التاسع الهجري. ألف أوسع كتاب عن دور العلم التي كانت منتشرة في دمشق مستفيداً من مؤلفات من سبقه. وقد أحصيت تلك المدارس فبلغ عددها (١٣٢) داراً : دور للقرآن والحديث وعددها ١٦. المدارس الشافعية وعددها ٦٣. المدارس الحنفية وعددها ٥٣.

أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي - البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي - حسن المحاضرة للسيوطي وغيرها ..

لم تذكر كتب التراجم أسماء من قام بالتدريس في المدرسة الظاهرية في القرن الثالث عشر للهجرة. وهذا يدل على تضاؤل شأنها ومكانتها العلمية والدينية. ويمكن أن يعزى ذلك لعدة أسباب منها:

١ً - تدنّي موارد أوقاف المدرسة، بسبب سوء تصرف بعض من تولى القيام عليها وإدارة أوقافها.

٢ً - تنافس المدرسين على احتلال مناصب القضاء والإفتاء، وسعيهم لتنصيب أولادهم وأقاربهم من بعدهم.

٣ً - ظهور مدارس رسمية أو خاصة، تدرّس فيها العلوم العصرية والدينية.

تحويل المدرسة الظاهرية لمكتبة عامة :

كانت أكثر المدارس والمساجد والزوايا والبيمارستانات في دمشق تحوي في خزائنها عدداً كبيراً من المخطوطات والمطبوعات، المهداة إليها من أهل البر والإحسان. كما كان بعض علماء دمشق ووجهائها يحفظون في منازلهم نسخاً نادرة من أمهات كتب التراث العلمي والديني. ولما ازداد الطلب على شراء تلك الذخائر، من البلاد وخارجها، وازداد عدد سماسرة الكتب ولصوصها، تقدم رئيس الجمعية الخيرية في دمشق ، وهو الشيخ علاء الدين بن العلامة محمد عابدين، بعريضة إلى الوالي العثماني مدحت باشا، يقول فيها مع زملائه : إن دمشق تملك الكثير من خزائن الكتب، الموقوفة على روّاد العلم، والتي فرغت من كنوزها أو كادت، بنتيجة الاختلاس والسرقة. وإنهم يخشون أن يضيع هذا النزر اليسير المتبقي.

وفي عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧م استطاع الوالي مدحت باشا الحصول على موافقة الباب العالي بجمع الكتب من بعض المكتبات الوقفية بدمشق، وأن يكون مقرّها في التربة الظاهرية.

ولما صدر الأمر بعزل مدحت باشا وتعيين حمدي باشا، قام الوالي الجديد بتحويل الجمعية الخيرية بدمشق إلى مجلس معارف، يترأسه العلامة محمود حمزة، وكان من أعضائه: علاء الدين عابدين، والشيخ سليم العطار، والسيد محمد المنيني، كما أصدر في ذلك العام قراراً بتأسيس دارٍ للكتب في المدرسة الظاهرية، لكي يستطيع رواد العلم المطالعة فيها. وأن يشرف على تلك الدار بعض علماء دمشق، باسم جمعية المكتبة العمومية.

لقد استطاع المرحوم الشيخ طاهر الجزائري، بمعونة زملائه أعضاء هذه الجمعية، القيام بجمع عدد كبير من المخطوطات والكتب، الموقوفة في بعض مكتبات دمشق، وأن يودعوها المكتبة العمومية، تحت قبة الظاهرية. وقد بلغ عددها (٣٣٥٣) مرجعاً، ثم قام بعض أعضاء الجمعية بتسجيلها، بموجب محضر وقع عليه المحافظان، اللذان جرى تعيينهما لاستلام الكتب، والإشراف على المكتبة، وذلك في شهرشعبان عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٧٩م.

المكتبة الظاهرية بين الأوقاف ومديرية المعارف :

بعد أن استلم المحافظان عملهما في المكتبة العمومية، رُبطت هذه المكتبةبدائرة الأوقاف، التي أسند إليها الاشراف على عمل الجمعية الخيرية، والتي تشرف بدورها على المكتبة.

وفي شهر آذار (مارس) عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩م قامت الحكومة العربية السورية بإلحاق المكتبة العمومية بديوان المعارف، وحوّلت اسمها إلى دار الكتب العربية.

لقد اتسع عمل هذا الديوان، وأصبح يشرف على التأليف والترجمة والنشر، وإيجاد المصطلحات العلمية،وحفظ التراث والآثار، والإشراف على دور الكتب. لذلك أصدر حاكم سورية العسكري، في شهر حزيران (يونيو) ١٩١٩م قراراً بتسمية ديوان المعارف بالمجمع العلمي العربي.

المكتبة الظاهرية في ظل المجمع :

بقيت دار الكتب العربية مقتصرة على قبة الظاهرية، والتي تحولت لمستودع للكتب وقاعة للمطالعة. وأصبحت مرتبطة مع المجمع العلمي العربي بالجامعة السورية ، التي تم إنشاؤها عام ١٩١٩ ، في أمورها المالية دون الإدارية.

ولما كثر عدد المطالعين في المكتبة، وازداد عدد خزائن الكتب، اضطرت إدارة المجمع إلى جعل القاعة الكبرى، القائمة في إيوان العادلية الشمالي، قاعة للمطالعة. كما أصبحت خزائنُ الكتب موزعةً بين قبة الظاهرية والمدرسة العادلية. لذلك سعى رئيس وأعضاء المجمع لفصل المجمع عن الجامعة السورية، كما سعوا لإخلاء دار الكتب العربية من المدرسة الابتدائية الرسمية، التي أنشئت أواخر العصر العثماني (عام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٦ م) على النمط الحديث.

لقد تحقق انفصال المجمع عن الجامعة عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٦م، وأجليت عنه المدرسة الابتدائية بعد ذلك بعام. وبهذه الصورة تحولت مدرسة الظاهر بيبرس، التي أنشأها ابنه الملك السعيد، إلى أول مكتبة رسمية عامة في مدينة دمشق.

وحينما تم للمجمع استلام كامل بناءي العادلية والظاهرية، سعى لتحقيق الأمور الآتية:

١ً ـ إجراء الإصلاح والترميم فيهما، بحيث يعود لهما الشكل

الهندسي القديم. وتخصيص ساحة المدرسة العادلية وإيوانيها الشرقي والجنوبي لحفظ الآثار، التي بدأت ترد إلى المجمع من المدن والمحافظات السورية.

٢ً - بذل الجهد لتزويد المكتبة بالمخطوطات والمطبوعات، الباقية في حوزة بعض علماء ووجهاء مدينة دمشق، أو السعي لاستنساخ بعض المخطوطات الموجودة لديهم.

٣ً - مراسلة بعض المؤسسات الثقافية، من عربية وأجنبية، والطلب منها تزويد المكتبة بمالديها من مخطوطات أو مطبوعات، عن طريق الإهداء أو الشراء.

٤ً - ارتأى مجلس المجمع إرسال معتمد من قبله، ليجوب بعض الأقطار العربية، بحثاً عما يفيد المكتبة من كتب ومخطوطات لشرائها أو استهدائها أو استنساخها. ووقع الاختيار على السيد حسني الكسم، مدير المكتبة، فذهب إلى مصر عام ١٩٢٤ م، حيث اطلع على الطريقة الحديثة في تنظيم المكتبات. كما استطاع الحصول على ألف وستمئة مجلد، في مختلف العلوم والآداب، وكانت جميعها هدية من بعض المؤلفين والناشرين. ويعود الفضل للعلامة أحمد تيمور باهداء عدد لا يستهان به من المخطوطات العربية المحفوظة لديه أو المنسوخة من مكتبته.

وبهذه الصورة ارتفع عدد المخطوطات والمطبوعات، الموجودة في المكتبة الظاهرية عام ١٩٢٨م إلى مايزيد على أربعة آلاف مخطوط وعشرة آلاف كتاب مطبوع تقريباً.

النظام الداخلي لدار الكتب العربية :

قام مجلس المجمع العلمي العربي، منذ ما استقل عن ديوان المعارف ١٩١٩م ، بوضع نظام حدد فيه أعمال الموظفين وعددهم في المكتبة، وساعات الدوام فيها. كما بين الطريقة الواجب اتباعها عند استعارة الكتاب

للمطالعة داخل الدار أو خارجها. وكلف الأساتذة: سعيد الكرمي وعيسى اسكندر معلوف وحسني الكسم، وضعَ فهارس للكتب، والاشراف على ترقيمها وترتيبها في خزائن المكتبة. وقد بقي القائمون على أمر المكتبة يسيرون على ذلك النظام حتى أوائل شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٣٥م.

وفي تلك الحقبة عاد الأستاذ يوسف العش من باريس، بعد أن حصل على شهادة المكتبات من مدرسة الشروط أو الوثائق Ecole des chartes ، والتي أوفد إليها فاستلم إدارة المكتبة، وسعى لتعديل نظامها الداخلي. وكان من جملة اقتراحاته التي وافق عليها مجلس المجمع:

١ ـ تخصيص قاعة عامة للمطالعة، يرتادها من يريد القراءة والاطلاع.

٢ ـ تخصيص قاعة للباحثين والمؤلفين ،

ووضع فهارس حديثة في كل من القاعتين، بحيث تتفق مع غاية المطالع ومستوى علمه.

٣ ـ تنظيم فهرس جديد لكتب المكتبة، بطريقة تلائم العلوم العربية الاسلامية، ذات الصبغة الخاصة في التصنيف والتطور والهدف.

وفي عام ١٩٦٧ أعدّ مجمع اللغة العربية بدمشق مشروعاً جديداً للنظام الداخلي في المكتبة الظاهرية، يتلاءم مع الزيادة المطردة لعدد المطالعين، واختلاف أهدافهم، وكثرة المراجع العلمية والأدبية والدوريات التي تراكمت في الخزائن وفوق الرفوف. يضاف إلى ذلك ضرورة زيادة عدد العاملين من موظفين ومستخدمين. وقد تمت الموافقة عليه من قبل السيد وزير التعليم العالي، بموجب القرار رقم (١٥) ، تاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٦٧، من قبل وزير التعليم العالي، الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد ، العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق، والمقرر الحالي لهذه الجلسة العلمية.

إنشاء مكتبة الأسد الوطنية :

ازداد عدد المدارس والمعاهد والكليات الجامعية، في القطر العربي السوري، منذ بداية عهد الاستقلال لذلك ظهرت حاجةٌ ماسة لتشييد مكتبة وطنية حديثة، تتوافر فيها الشروط الآتية:

١ ـ أن تتمتع بكامل المواصفات الفنية.

٢ ـ أن تكون مقراً للتراث الثقافي الوطني والقومي، إلى جانب المراجع العلمية والأدبية الحديثة.

٣ ـ أن تستوعب العدد المتزايد من المطالعين والباحثين.

فاتجه عندئذ تفكير المسؤولين في الدولة إلى اختيار مكان متسع ومناسب لإشادة تلك المكتبة. وبتاريخ ٢٠ / ٤ / ١٩٧٢ أصدر رئيس مجلس الوزراء قراراً يقضي بتأليف لجنة تضع دراسة شاملة، وتشرف على تنفيذ بناء المكتبة الوطنية، فوق قطعة أرض تبلغ مساحتها ستة آلاف متر مربع، تطل على ساحة الأمويين بدمشق. وفي أول الشهر السابع من عام ١٩٧٨ تم وضع حجر الأساس للبناء، الذي استغرق العمل فيه خمس سنوات، وبلغت كلفته الاجمالية نحو مائة مليون ليرة سورية.

لقد أطلق على تلك المنشأة الحضارية اسم مكتبة الأسد الوطنية، اعترافاً بفضل السيد الفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي أمر بتشييدها. وقد جرى الاحتفال بافتتاحها بتاريخ ١٦ / ١١ / ١٩٨٤، الموافق للذكرى الرابعة عشرة لمرور الحركة التصحيحية، والتي أشرف عليها ورعاها السيد الرئيس .

تبلغ المساحة الإجمالية لبناء المكتبة (٢٢) ألف م^{2} ، موزعة على قبوين وستة طوابق. خصص الطابق الرابع منها لحفظ المخطوطات والدوريات

القديمة، ضمن الشروط اللازمة من الحرارة والرطوبة. وخصص الطابقان الخامس والسادس لحفظ المطبوعات، ضمن الشروط المناسبة أيضاً، وبمساحة تبلغ ستة آلاف متر مربع، تستوعب نحو مليوني مجلد.

نقلُ مخطوطات الظاهرية إلى مكتبة الأسد الوطنية

لقد صدر المرسوم التشريعي رقم (١٧)، الصادر بتاريخ ٢٦ / ٧ / ١٩٨٣، بإحداث مكتبة الأسد، وجاء في المادة الثالثة منه،ضرورة اقتناء وحفظ المخطوطات والوثائق ذات القيمة الثقافية والتاريخية أو القومية، لذلك أصدر مجلس الوزراء، في عام ١٩٨٦ قراره بضم المخطوطات المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأشرفية بحلب. علماً بأن دائرة الأوقاف بحلب كانت قد جمعت في مكتبة الأشرفية المخطوطات التي كانت محفوظة في المدرسة الأحمدية والعثمانية والجامع الأموي والقرناصية والخسروفية وغيرها.

مما لاشك فيه أن ذلك الإجراء كان ضرورياً، لأن جميع المكتبات القديمة لم تكن فيها الوسائل الحديثة المستعملة في الوقت الحاضر لصيانة المخطوطات أو لمعالجة ما يصاب منها بالآفات الحشرية أو العفنية. بينما يوجد حالياً في مكتبة الأسد الوطنية قسم فني، فيه أجهزة يدوية وآلية لتعقيم المخطوطات وترميمها، ويعمل فيه جهاز مدرّب بصورة جيدة على هذا العمل . وبهذه الصورة يتم انقاذ كثير من المخطوطات العربية القيمة، والتي كان من المتعذر القيام بتحقيقها، بسبب وجود تلف في بعض أقسامها.

فهارس مخطوطات المكتبة الظاهرية
المنقولة إلى مكتبة الأسد الوطنية

كانت المكتبة الظاهرية تذخر بعدد كبير من المخطوطات، يربو على

اثني عشر ألف مخطوط. وهي تشتمل على قسم كبير من تراثنا الديني والعلمي والتاريخي والفني. وقد قام بتصنيفها وترتيبها، بحسب مواضعها، مجموعة من الباحثين ضمن ستة عشر فهرساً . أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق منذ بداية عام ١٩٤٧ ـ حتى نهاية عام ١٩٨٠. وفيما يلي أسماء تلك الفهارس، وإلى جانبها أسماء من قام بتصنيفها، والعام الذي صدرت فيه:

١ـ فهرس كتب التاريخ	د. يوسف العش	١٩٤٧
٢ ـ فهرس كتب علوم القرآن	د. عزة حسن	١٩٦٢
٣ ـ فهرس كتب الفقه الشافعي	أ. عبد الغني الدقر	١٩٦٣
٤ ـ فهرس كتب دواوين الشعر	د. عزة حسن	١٩٦٤
٥ ـ فهرس كتب الطب والصيدلة	د. سامي حمارنة	١٩٦٩
٦ ـ فهرس كتب الهيئة وملحقاته	أ. إبراهيم الخوري	١٩٦٩
٧ ـ فهرس كتب المنتخب من علم الحديث	أ. محمد ناصر الدين الألباني	١٩٧٠
٨ـ فهرس كتب الفلسفة والمنطق والآداب	أ. عبد الحميد حسن	١٩٧٠
٩ ـ فهرس كتب الجغرافيا وملحقاتها	أ. إبراهيم الخوري	١٩٧٠
١٠ ـ فهرس كتب الرياضيات	أ. محمد صلاح عايدي	١٩٧٣
١١ ـ فهرس كتب التاريخ وملحقاته	أ. خالد الريان	١٩٧٣
١٢ ـ فهرس كتب علم النحو	أ. أسماء الحمصي	١٩٧٣
١٣ ـ فهرس كتب علم اللغة العربية	أ. أسماء الحمصي	١٩٧٣
١٤ ـ فهرس كتب علم التصوف	أ.محمد رياض المالح	١٩٧٨
١٥ ـ فهرس كتب العلوم والفنون	أ. مصطفى الصباغ	١٩٨٠
١٦ ـ فهرس كتب الأدب	أ. رياض مراد وياسين السواس	١٩٨١

لقد ذكر هذه الفهارس الأستاذ رياض مراد في محاضرته القيمة والتي تكلم فيها البارحة عن مجمع اللغة العربية بدمشق. وأود أن أشير بهذه

المناسبة إلى أن مكتبة الأسد الوطنيـة هي إحدى مؤسسات البحث العلمي في سورية، وهي ترحـب بكثير من الوافديـن إليها من الأقطار العـربية، للاطلاع على ما فيهـا من ذخائر المخطوطات والمراجع. كما تقوم إحـدى الدوائر الفنية فيها بتقـديم نسخ مصورة من مخطوطات للباحثين الجامـعيين، بعد دفع أجور رمزية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

الرثاء في شعر شوقي

د. عبد الله الطيب

لشوقي رحمه الله مراثٍ كثيرة. بعضهن أنطقهن الحزن على أم رؤوم أو ذي قربى ومودة حميم، وبعضهن كن للوفاء والمجاملة، أو للمشاركة في واجبٍ وطنيٍّ أو عُرْفٍ اجتماعي. ولفتتني قصيدته الهمزية في رثاء الشيخ عمر المختار رحمه الله أيَّما لَفْتٍ، لما فيها من معاني الغضب والحزن معاً.

قال أبو الطيب: «فحزْنُ كلِّ أخي حُزْنٍ أخو الغضب» . والغضب الذي فيها فكريٌّ كما هو قلبيٌّ وجدانيّ، والقصيدة ذات إيقاع مندفعٍ وحرارةٍ.

وشوقي رحمه الله شاعرٌ مترنم تغلب عليه التَّقيَّة في الأمور. مع ذلك هو ذو مواقف من عقلٍ وقلبٍ وأدبٍ تصعد به إلى قممٍ عاليات.

من ذلك مثلاً قوله في أرجوزة عن ملوك العرب:

ماكان ضرَّ نصراء البيعهْ	لو صبروا على الوغى سُوَيْعةْ
غادرهم بسحره معاويهْ	كأنهم أعجاز نخلٍ خاويةْ
ألقى القنا وشرع المصاحفا	ينشد بالله الخميس الزاحفا
لايرفع المصحف كالدفوف	والسلم لاتذكر في الصفوف

ومن ذلك حزنه على تساقط أطراف الخلافة العثمانية قطعةً بعد قطعة في زمانٍ كان الباب العالي قد جعلت تقرعه الدعوات القوميات تركية وعربية وغير ذلك قرعاً لا دينياً فظاً. قال رحمه الله:

صبراً أدرنه كل ملك زائل	يوماً ويبقى المالك العلاَّم
خفت الأذان فما عليك موحد	يسعى ولا الجمع الحسان تقام

في ذمة التأريخ خمسة أشهر   طالت عليك فكل يوم عام
السيف عارٍ والوباءُ مسلط   والسيل خوف والثلوج ركام

اختار في هذه القصيدة شوقي المترنم عادةً، بحراً رنانا، وقافية ذات صياح صارخ: همزة مفتوحةً بعدها إطلاق ممدود:

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ   يستنهض الوادي صباح مساءَ

وجعل أساس انفعاله وحزنه منبثقاً من انتمائه الإسلامي وإحساسه بماضي حضارة الحنيفية والعرب المجيد، وغضبه على المستعمر الأوربي الصليبي في تغوله على أقطار العرب المجاورة وعلى مصر وعلى بلاد إفريقية المسلمة والسودان، وما كان يفعله المستعمرون من أفعال القسوة بتعصبهم الحضاري والعنصري والديني أو كما يظنون.

وقد استفظع شوقي مقتل الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله شنقاً والازدراء بقدره والتهاون بوقاره وتقدم سنه:

ياويحهم نصبوا مناراً من دمٍ   توحي إلى جيل الغد البغضاء

ههنا نبوءة شاعر وكشفه، موضع الجودة في هذا البيت مافيه من الحدس الصادق أن فعل المستعمرين هذا سيتجاوز وقته وجيله ليغرس حقداً في قلوب أجيال ستأتي ـ أجيال تطلب الثأر الثقيل بسلاح ثقيل، وركن الظلم منهدم لا محالة.

ماضر لو جعلوا العلاقة في غد   بين الشعوب مودة وإخاء

هذه أمنية بعيد أن تتحقق، وكأن شوقياً رحمه الله قد أحس بضعفها، إذ لا مودة مع الظلم:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفة فلعلةٍ لايظلمُ

وكان شوقي رحمه الله بطبعه مسالماً لطيف إحساس النفس، فأضرب عن هذه الفكرة البعيدة المنال، ثم كأن فيها نفساً غير مُسْلِم.

أليس حقاً أمر الناس كما قال الله في كتابه العزيز:

﴿ ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾.[سورة البقرة، الآية ٢٥١]

قال محمد بن جرير: « ولو لا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة والإيمان به، بعضاً وهم أهل الكفر بالله والمعصية له». ثم فصل محمد ابن جرير القول . وقال الزمخشري: « لو لا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لفسدت الأرض » إلى آخر ما قال، وقال زهير وهو عربي جاهلي كما نعلم:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

وقال:

ومن يعص أطراف الزِّجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وقال أبو الطيب:

ونذمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

وهذا أصل في الفكر والمعرفة، إذ لا بد من معرفة الأمر ومقابله المباين المضاد له حتى نتمكن من معرفته.

عدل شوقي رحمه الله عن أمنية المسالمة اللينة:

ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة وإخاء

لعلمه باستحالة تحقيقها بعد أن هم أن يستطرد إليها وعدل فقال:

يا أيها السيف المجرد بالفلا يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحارى غمد كل مهند أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية وكهولهم لم يبرحوا أحياء

وكأن شوقياً رحمه الله قد توهم أنه من شباب أمية، ثم فطن - إلى أنه كهل فأضاف « وكهولهم »، وكان معاوية عندما استعصى على عليٍّ كرم

الله وجهه أدنى إلى الشباب منه إلى سنّ الشيوخ.

ولشوقي غرام بما كان لبني أمية من مجد وحضارة ملك عضوض، على ميله بتشيع ما إلى أمير المؤمنين. وليس هذا من باب التناقض إذ لم يقع منه في قصيدة واحدة. وعند قدامة ألا بأس بالتناقض إذا وقع في قصيدتين مختلفتين. والشعراء مع قلب الشعر وهو قلّب. وكم منهم من مدح ثم عاد فهجا، أو هجا ثم رجع عن ذلك فمدح.

هذا ولو قد فطن شوقي فما كان شبان بني أميّة إلا من قريش، وقد يعلم رحمه الله الحديث الشريف أن مبدأ فساد الأمر سيكون بسبب غلمة من قريش.

على أن الذي أراده شوقي هو كما قدمنا أن يتغنّى بالمجد العربي القديم ما أسسه الراشدون أهل الفتوح والدعوة بعد وفاة النبي ﷺ وما صنع بنو أمية وبنو العباس بالمشرق والمغرب. وقد بلغت خيل الوليد حدود الهند والصين. وبلغت خيل هشام ناحية آخن وغابات ألمانيا وما ارتدت عن نهر الڤين إلا بعد أن خر القائد من رمية سهم غرب، فخاف القوم أن يقع بينهم خلاف فرجعوا ـ ومنهم من بقي واستمات واستشهد.

لو لاذ بالجوزاء منهم معقل دخلوا على أبراجها الجوزاء

وما كان دخول معاقل أوربا إلا كدخول الجوزاء.

سابقتهم هي التي هيأت للعثمانيين من بعد أن يفتحوا القسطنطينية وأن يقرعوا أبواب ڤينا بالحديد.

نسأل الله ألا تكون عاقبة الإسلام في مشرق أوربا كما كانت في الأندلس والغرب، ولعمري ماضر بني الإ سلام بالأندلس إلا طوائفهم المتفرقة وما خالطها من جور وفتن.

هذا ثم تمضي القصيدة في معانٍ من ذكر الشهادة وتأبين الشيخ

الشهيد في لفظ حار ومعنى بار:

بطل البداوة لم يكن يغزو على تَنْكٍ ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء
دفعوا إلى الجلاّد أغلب ماجداً يأسو الجراح ويطلق الأسراء

وليس ذلك من أدب الاستعمار ولا منهج عنصريته.

ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ويصف حول خوانه الأعداء

لا يبخل عليهم بزاد. ويحبو الأحباب كما لا يخفى، ولم يضق نطاق البيت عن هذا المعنى لكنه متضمن فيه.

وتخيروا الحبل المهين منية لليث يلفظ حوله الحوباء
يا أيها الشعب القريب أسامع فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
ذهب الزعيم وأنت باقٍ خالد فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على فتيانك الأعباء

والأعباء لا يتحملها الفتيان وحدهم. وكما في الفتيان جراءة واندفاع في الشيوخ أناة وحزم وصبر.

نسأل الله سؤال العانين الخاضعين لسطانه الخاشعين ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به. واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ . [سورة البقرة، الآية ٢٨٦]

دعوة إلى تيسير النحو العربي

د . عبد الوهاب حومد

في عام ١٩٣٨ أوفدت في بعثةٍ دراسية إلى جامعة باريس،لدراسة اللغة العربية وآدابها. وكان أساتذتنا في كلية الآداب، من المستشرقين اللامعين: مارسيه وماسينيون وبلاشير وسوفاجيه، وكذلك ديمونبين، الذي لم يكن يحظى بتقديرنا ولا احترامنا، لما لمسناه فيه وفي كتابه «المؤسسات الإسلامية» من ضحالة علم، وضيق صدر بالإسلام والعروبة..

وقد أعجبنا منهم، طرقُ البحث المنظَّم والانطلاقُ من فكر متحرر، يبحث عن الحقيقة دون التزامٍ بثوابت مقررةٍ سلفاً، وكانوا يتبنَّون الآراء التي يلقيها في روعهم بحثُهم المجرَّد..

وكان عدد الطلاب والطالبات الفرنسيين والأجانب، الذين انتسبوا الى قسم اللغة العربية، في تلك السنة الأولى، في حدود الثمانين، غير أنه كلما أفل نجم وطلع فجر، كان عددهم يتناقص... وأظن أنه لم يتخرج معنا إلا المستشرق الحالي نيكيتا إليسييف، الذي انتخبناه في هذا العام عضواً مراسلاً لمجمعنا هذا..

وكانت هذه الظاهرة، ولازالت، مدعاةً لدهشتنا. وإن كنا إلى حد ما، نتوقعها..

فلم تكن حالة أمتنا العربية، آنذاك، صالحةً لاستقطاب أجانب كُثْرٍ في

رحاب علومها وآدابها، كما أن لغتنا كانت، ولاتزال، عسيرةً عليهم وعلينا نحن أيضاً، خاصة قواعدَها النحويةَ والصرفيةَ، بل والإملائية كذلك.. وكنت أشعر بضيق نفسي، وأنا أرتاد قاعات الإنكليزية والإيطالية (وغيرها من اللغات الحية) التي تكاد تتفجر بمن فيها من الطلبة والطالبات...

وكثيراً ماساءلت نفسي: هل العيب في ضعفنا في المصطرع الدولي، أم في قواعد لغتنا، أم في الأمرين معاً؟...

وأجابتني نتائج الاستقراء، بأن علتنا الكبرى تكمنُ في الجمود الذي ضرب مقوّمات حياتنا الفكرية، في جميع جوانبها، منذ أكثر من ألف عام..

ففي مجال الفقه، وهو الميدان الأرحب لتنظيم الحياة الدينية والعملية، أُغلِق باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجري، وأسدل ستار كثيف على العقل، فأصبحت الدراسات الإسلامية شروحاً لنصوص قديمة، كانت في زمن تأليفها آياتٍ في الروعة والدقة، إلا أن الزمن نفسه أخذ يتخطاها، فأصبحت في حاجةٍ إلى عقولٍ متفتحةٍ، تقرؤها قراءة جديدة، كما تقتضي سُنَنُ النشوء والتطور..

وكذلك تجمدت الدراسات النحوية والصرفية، على ماقررته مدرسة البصرة من قواعد، تأثرتْ أبعد مايكون التأثر، بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام... وبذلك دخل في النحو ماليس منه ولا يحتاج إليه، كالعامل والمعمول، والعلل الثواني والثوالث...

ومع مرور الأيام، أصبح النحو علماً من العلوم، وأصبحت اللغةُ أسيرةَ قيوده وقواعده، كما أصبحت غايةً يُسْعى إليها، مع أنها ليست، ولا يصح أن تكون، إلا وسيلةً مأمونةَ المسلك، ميسرة المأخذ، لنقل الأفكار وحسن صوغها، لتسهيل نقلها وسلامة إدراكها...

وسلكت الأمم المتطورة مسلكاً مخالفاً، وظلت تنظر في قواعدها

النحوية والصرفية والإملائية، منتقلة من تيسير إلى تيسير، حتى استقرت على أسسٍ واضحة، سائغةِ المأخد وقريبة التناول.. وأنشأتْ كلٌّ دولة، للغتها، مجمعاً يرعاها، ويسهر على سلامتها، وينقّح قواعدها ويمدُّها بالمفردات والمصطلحات... وقد أخذتْ المجامع على عاتقها مسؤوليةَ وضع معجم، يمكن أن نصفه بأنه المعجم القومي للغة، يكون مرجعاً للقول الفَصل في صحة الكلمة أو فسادها... وهذا ماأخذت الأكاديمية الفرنسية نفسها به، دون أن تغلق الباب على المبادرات الشخصية، فكان أن نبتت في حديقة اللغة، معاجم لها شهرتها كلاروس وروبير...

وتأثر بعض علمائنا بالنهضة الغربية المزدهرة، فسعوا إلى تبسيط قواعد النحو، خاصة، وجعله قريباً من حقائق الحياة ومدارك الطلبة... وأذكر أن أعلى صرخةٍ مدوية سمعتُها، وربما كانت الأولى، فيما يخصني، كانت تلك التي أطلقها عام ١٩٥٦ الأستاذ اللغوي الشهير إبراهيم مصطفى...

ففي ذلك العام، عقد في دمشق مؤتمران اثنان:

الأول، المؤتمر الثاني للأدباء العرب وقد التأم شمله مابين ٢٠ – ٢٧ أيلول (سبتمبر) والثاني، المؤتمر الأول للمجامع العربية، التي كانت موجودة، إذ ذاك، وهي مجامع القاهرة وبغداد ودمشق، وقد عقد في ٢٨ ايلول نفسه..

وكان المؤتمران يضمان، بكل رفقٍ وإكرام، القِمَم الأدبية واللغوية في العالم العربي..

فقد شارك فيهما من سورية مصطفى الشهابي وخليل مردم وشفيق جبري وحسني سبح وشكري فيصل وجميل صليبا وسامي الدهان وأسعد طلس... ممن أذكر..

وحضر من مصر طه حسين ومنصور فهمي وإبراهيم مصطفى وأحمد

حسن الزيات..

وجاء من أرض الرافدين، محمد بهجت الأثري وجواد علي ومصطفى جواد...

وكان بين المدعوين من الأردن ناصر الدين الأسد، ومن لبنان ميخائيل نعيمة...

وكان من حضور المؤتمرين، مدعوون آخرون، معروفون بعلو مقامهم في علوم اللغة العربية وآدابها،..

وقد واتتني فرصة مباركة، كانت من قبيل الصدفة لا أكثر، ناطت بي شرف افتتاح المؤتمرين، جرياً على تقليد مألوف، هو أن يقوم ممثل الدولة المضيفة بافتتاح المؤتمر المنعقد فيها..

وكنتُ يومها وزيراً لمعارف الدولة السورية.. كما كانت تسمى آنذاك..

ومن باب تكريم أعضاء الوفود العربية، والحرص على إظهار أهمية انعقاد المؤتمرْين، حرص المرحوم شكري القوتلي، رئيسُ الجمهورية، على حضور الحفل الذي أقامته الحكومة في بلودان، وألقى فيه خطاباً قومياً رائعاً، أشعر الجميع بأنهم في بلدهم وفي رحاب أمتهم، التي ستظل واحدة خالدة، برغم التجزئة وتقلبات السياسة..

وأذكر أنني أثرت في خطاب الافتتاح موضوع الحاجة إلى تبسيط قواعد النحو وتسهيل مفاتيح الصرف، والاتفاق على قواعد كتابةٍ موحدةٍ للإملاء.. وهي الصعوبات المزمنة، التي يشتكي منها كثيرون من أبناء الأمة العربية.. ولست أبرئ نفسي من هذه الشكوى..

وأذكر أيضاً أن أوضح المتحدثين بياناً وأقواهم إيماناً بقضيته، كان الأستاذ إبراهيم مصطفى. وكان حديثُه، وهو اللغوي الضليع، منصبّاً على

الحاجة الملحّة، إلى تبسيط قواعد النحو العربي وتخليصه مما عَلِقَ به من الشوائب والفرضيات التي صرفَتْه عن الغاية التي أنشئ من أجلها، وهي حمايةُ اللغة من لحن بنيها الأقحاح، ومن لحن أبناء البلاد المفتوحة، الذين أقبلوا على تعلمها حباً في فهم أصول دينهم الجديد الذي اعتنقوه، أو من أجل غاياتٍ دنيوية مبرَّرة..

ويحفظ تاريخ اللغة العربية وآدابها والفقه، أسماء عدد كبير ممن نبغ من هؤلاء الأجانب في دولة الإسلام، وقدموا أجل الخدمات للغة العربية، وللعلوم الإسلامية..

ولعل أغرب مافوجئت به، هو وقوف بعض أعضاء المؤتمرِيْن، من سوريين ولبنانيين خاصة، وأكثرهم مِمّنْ لم يُعْرف عنهم أنهم أصحاب قَدَمٍ راسخة في علوم لغة الضاد، في وجه كل دعوة إصلاحية، وحجتهم التي تذرعوا بها، هي أن كلَّ مساسٍ ولو كان رفيقاً بالقواعد التي ورثناها عن الخليل وسيبويه وتلامذتهما، إنما هو عدوان على العروبة والإسلام... وقديماً قال أبو عثمان المازني (المتوفّى عام ٢٤٨ هـ) :

«من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه، فليستح»..

والذي يتتبع تاريخ اللغة العربية، يجد أن الدعوة إلى تبسيط قواعد نحوها وصرفها قديمةٌ، بدأتْ مع الجيل الثاني، الذي تلا جيل آباء النحو الأول، حين لاحظ كبارُ الأساتذة وُعورةَ مسالكها، فوضعوا للناشئين من تلامذتهم، موجزاتٍ نحوية، أخذوها من مفصَّلاتهم، تيسيراً عليهم. وهذا مافعله ثعلب (المتوفى عام ٢٩١ هـ) وأبو علي الفارسي، الذي أسمى مختصره «الأولويات في النحو»، وأبو عثمان بن جني (توفي عام ٣٩٢ هـ) الذي وضع مختصراً سمّاه «اللمع».

وكانت الغاية من هذه المختصرات، تمكين الدارسين من استيعاب

قواعد النحو، بتبسيط مناهجها وتخليصها من كثير من التفصيلات والنظريات الفلسفية ومن أصول علم الكلام، الذي أخذ يمكِّن لنفسه في العلوم المختلفة..

غير أن الدعوة الأساسية إلى الإصلاح، هي دعوة ابن مضاء القرطبي (٥١٣ -- ٥٩٢ هـ)، وكان عالماً فاضلا، وقاضياً للقضاة في دولة الموحدين.. على مذهب علي بن حزم الظاهري (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ)... وهو مذهب يقف عند ظاهر النص ويرفض القياس !. ويلخصه هذا الفقيه الشهير بقوله:

ألم تر أنــي ظاهريٌّ وأننــي : على مابدا، حتى يقوم دليل

وقد نظر ابن مضاء في المطولات النحوية، وفي خلافات مدرستي البصرة والكوفة، فوجدها تغص بما أقحمه علماؤهما في علم النحو، من قواعد فلسفية وكلامية، لالزوم لها، عقَّدته وجعلته علماً عسير المأتى، وعر المسلك... لذلك نَقَم على المدرستين على السواء، ووضع كتابه، الصغيرَ في حجمه، الكبيرَ في مدلوله، وهو «الرد على النحاة». وقد حققه ونشره، الأستاذ الموقر الدكتور شوقي ضيف، ضيفُ هذا المؤتمر، عام ١٩٤٧، وقدَّم له بمدخل في حجمه...

وينطلق ابن مضاء من مبدأ «الدين النصيحة»، لأنه يرى أن النحاة يدخلون، من خلال تعليلاتهم وفرضياتهم، في القرآن الكريم ألفاظاً مفترضة، لاتتقبلها آياته..

وقد ركَّز جهوده على نقض نظرية العامل في النحو. وعن وجهة نظر ابن مضاء، كتب الدكتور شوقي ضيف في مقدمة «الرد على النحاة» مايلي:

«وابن مضاء لايُزْري على نظرية العامل لأنها فاسدة بذاتها، وإنما لما تجره من تقديرٍ في العبارات لعوامل ومعمولات، على نحو مانعرف من الضمائر المستترة والتنازع والاشتغال..

وليس هذا ماتجره نظرية العامل في كتاب النحو، فهي تجر وراءها أيضاً حشداً من عِلل وأقيسة يَعْجَز الثاقب الحس والعقل عن فهم كثير منها، لأنها لاتُفَسِّرُ غامضةً من غوامض التعبير ولا دفينةً من دفائن الأسلوب، وإنما تفسّر فروضاً للنحاة وظنوناً مبهمة...».

لذلك طالب ابن مضاء بتحطيم التقدير في العبارات والتخلص من الأقيسة والعلل الثواني والثوالث، ونبذ التمارين غير العملية... كما أنه دعا إلى إلغاء «كل مالا يُفيد نطقاً»، كالاختلاف في علة رفع الفاعل ونصب المفعول به وسائر مااختلفوا فيه من العلل والتنازع والاشتغال..

وقد كان أميناً في تأليفه، فأثنى على أبي الفتح بن جني، الذي سبقه في كتابه «الخصائص» إلى القول:

«وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه، لالشيء آخر»[1].

ولكن هذه الدعوة الخيرة، بقيت صرخة في واد، ولم تَلْقَ حظها من الدراسة أو الاستجابة مدة تقرب من ثمانية قرون.. كان العقل العربي خلالها عقيماً يجتر شروح الأقدمين، خاصة في مجالي النحو والفقه..

وفي أوائل هذا القرن، هبت رياح النهضة على أمتنا، فتحركت لتجدد نفسها، بتجديد عقلها وفقهها ولغتها وعلومها، ولتلحق بركب الحضارة العالمي، الذي يحث الخطى بسرعة متزايدة.. واتجهت همم المصلحين إلى

---

(١) كتب الدكتور عبد الرحمن عطبة، في كتابه «مع المكتبة العربية» دار الأوزاعي الطبعة الثالثة ص ٢٩٩ عن هذا الكتاب مايلي:

«وهذا الكتاب من أجلِّ ماألف في اللغة من كتب، فقد تكشف عن فهم عميق لدى ابن جني لمفهوم علم اللغة، على النحو الذي اصطلح عليه علماء اللغات في العصر الحديث من أنه علم بالقوانين الناظمة لجزئيات اللغة، وبصورة أعم وأشمل من علمي النحو والصرف».

محاربة التخلف في مكامنه وحيث يعشش...

وكان للأستاذ إبراهيم مصطفى، شرف المبادرة إلى استئناف العمل على مادعا إليه ابن مضاء، فألف في النحو كتاباً نشره عام ١٩٣٧ أطلق عليه اسماً غير مألوف، إلا أنه مُعَبِّر، هو «إحياء النحو».

والإحياء لايكون إلا للأموات

ومما قاله في مقدمته:

«كان سبيل النحو موحشاً شاقاً، وكان الإيغال فيه يُنْقِضُ قِواي نقضاً...

واتصلتُ بدراسة النحو في كل معاهده التي يُدَرَّسُ فيها بمصر... ورأيتُ عارضةً واحدة، هي التبرمُ بالنحو والضجرُ بقواعده وضيقُ الصدر بتحصيله.»

وقد شرح طريقته لإصلاح النحو، شرحاً مثيراً...

وقال فيه طه حسين في المقدمة التي قدَّم فيها هذا الكتاب:

« والناس يضيقون بالنحو ويتبرمون بحديثه..

وإذا بإبراهيم يَرُدُّ تفكير النحويين إلى تفكير الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين. وهو يفتح لهم طريقاً إن سلكوها، فلن يُحيُّوا النحوَ وحده، ولكنهم سيحيون معه الأدب العربي أيضاً...».

وسار على سنة الأستاذ إبراهيم مصطفى، علماءُ محترمون، أدلوا بدلائهم في عملية التجديد، أذكر منهم، على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، الذي نشر عام ١٩٨٤ كتابه «نَحْوُ التيسير» وانتقد فيه النحاة القدماء بأنهم «عُنُوا باستخراج القاعدة النحوية من كل ماوصل إليه علمهم من كلام العرب شعراً ونثراً، فكثرتْ القواعدُ وتشعَّبتْ شُعباً شتى... والشعرُ يخضع لقواعد الضرورة.. ولم

يصرفوا عنايتهم إلى القرآن الكريم، وهو أسلوب سهل سلس، بالغُ القوة والبراعة والانسجام..»

والدكتور مصطفى جواد، الذي ألقى سلسلة من المحاضرات، في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٥٤ عن «المباحث اللغوية في العراق» قال فيها:

«ومشكلةُ نحو العربية وصرفِها متفرعةٌ ومتنوعة. فأول فروعها الجمودُ وعدمُ الإبداع..

ونعني بالجمود اتباعَ قدماء النحاة في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب والتزام أقوالهم، كأنها مما يحرم فيه الاجتهاد ولا يجوز التعليق عليه.

ولقد أُخِذَ النحو العصري، وهو نحو مدارس الأقطار العربية وكلياتها، من نحو البصريين، دون نحو الكوفيين، ومن هنا أتاه الجمود وصار عند كثير من المعاصرين المعنيين به، غايةً لا وسيلةً... وفي الحق، أن في نحو الكوفيين آراءً كثيرةً تَفْضُلُ آراء البصريين...»

وذكر، لدعم رأيه، أمثلةً متعددة، منها عمل كان وأخواتِها، التي يعتبرها الكوفيون تامة ولازمة، والاسم الذي يأتي بعدها هو فاعلٌ، وما نسميه خبرها المنصوب بها، هو عندهم حال..

ويستحق الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، إشادة خاصة منا، بأعماله ودراساته النحوية الرائعة، وأخص بالذكر منها كتابه «تجديد النحو»، وكتابه الأحدث «تيسيرات لغوية» الذي نشره عام ١٩٩٠.

والدكتور ضيف، ضيف هذا المهرجان، وقد كرَّمنا نحن رئيس وأعضاء هذا المجمع بقبوله دعوتنا... لذلك لن أطيل القول في نضاله التجديدي في حضوره، حتى لاأكون كناقل التمر إلى هجر، كما يقول

أجدادنا، أو كناقل الماء إلى البحر، كما يقول الفرنسيون..

وحسبي أن أقول إن سعيه الجريء إلى تخليص النحو العربي من كثير من شوائبه وتعقيداته، والرجوع به إلى وظيفته الطبيعية، هو سعي مشكور، نتقبله بالرضا والعرفان، ونعتبره أساساً لبرنامج اصلاحي، لم يعد جائزاً أبداً أن نتهاون فيه..

ولكن لايصح أبداً أن يُفْهم من تأييدنا لدعوات الإصلاح أننا نريد المساس بلغة الآباء، التي أصبحت عنوان كرامتنا ووعاء ثقافتنا وحضارتنا والأمانةَ التي ائْتمنَنَا عليها تاريخُنا وقوميتُنا، لأننا إنما نريد إصلاحاً يحقق للعربية سبل التقدم، ويذلل لأبنائها أسباب استيعابها وسهولة التمكن من قواعدها، نحواً وصرفاً واشتقاقاً وإملاء، من منطلق الحفاظ على التراث، وفي إطاره.

ومن حسن الطالع، أن تترافق هذه الدعوة إلى تجديد النحو على طريق التطور الحضاري، بدعواتٍ مماثلة لتجديد الفقه الإسلامي، الذي أخذت الأيدي الخيِّرة تمتد إليه، لكي يستوعب التطور العالمي ويفي بحاجات المسلمين في هذا المصطرع المتلاطم الأمواج..

ذلك أن بين النحو والفقه صلاتٍ وشيجةً، مستمدةً من قواعد تفسير النصوص الشرعية، المكتوبة باللغة العربية، والخاضعة من أجل فهمها وتوزيع العدل والحقوق بالقسطاس المستقيم، إلى معاني الألفاظ وقواعد النحو، سعياً للوصول إلى مقاصد الشارع، كما أرادها، ناظمةً لقواعد السلوك ومحققة للتوازن بين مصالح الأفراد والجماعة..

ويَعْرِفُ رجالُ القانون - وأنا واحد منهم - أن النصوص إنما توضع لتستمر، ولكن تفسيرها المتلاحق، يجعلها صالحة لكل زمان.. وبدون ذلك، تظل هذه النصوص في معزل عن المجتمع، وتضر ولا تنفع، لأنها تبقي حكم الأموات على الأحياء...

وكما كان ابن مضاء الأندلسي مشعلاً شع في القرن السادس الإسلامي في علم النحو، فإن مشعلاً آخر، سطع في المشرق بعده بقرنٍ في علم الفقه هو الفقيه الحنبلي، نجم الدين الطوفي البغدادي.. وهو كابن مضاء، وضع كتيباً صغير الحجم، جليل الفائدة عن «المصلحة».. ذهب فيه إلى أنه إذا تعارض النص- في مجال المعاملات والعادات، وليس العبادات- مع مصلحة المجتمع والأفراد، فإن المصلحة يجب أن تقدم ويهمل النص..

وقد انطلق، في دعوته هذه، من الحديث النبوي «لاضرر ولا ضرار»...

غير أن الجمود الذي ضرب الدراسات النحوية، أصاب الدراسات الفقهية، فلم يفهم الفقهاء حقيقة دعوة الطوفي إلى التجديد.. وظل الفقه يغط في سباته، قروناً طويلة.. والفقه والنحو، وجهان لعملةٍ واحدة، هي الفكر العربي الإسلامي..

ولكنْ، كما قُيِّضَ للنحو من يدعو إلى تجديده في أيامنا، نهض فقهاء معاصرون يدعون إلى تجديد الفقه أيضاً..

ويقول الشيخ محمد الغزالي:

«إنه لابد من صياغةٍ جديدة للعقل الإسلامي، فقد تاهت معالمُه وأصابَه العطب»[1].

ويقول الشيخ مصطفى الزرقا:

«وبعد القرن الثامن الهجري، آل الفقه في جميع العالم الإسلامي إلى الجمود وفقد حركته وفعّاليته، وأصبح كالعملاق المخدّر..»[2].

وبفضل هذه الدعوات، أمكن تفسير الربا تفسيراً جديداً، أخرج منه

(١) من حديث أجرته معه جريدة القبس بتاريخ ٨ آذار ١٩٨٨..

(٢) مجلة الدراسات الإسلامية، كانون الأول ١٩٨٥..

الفوائد المصرفية وأرباح شهادات الاستثمار، وتخلى المسلمون في سورية ومصر عن بعض آراء أئمة السنة، في حالات الطلاق وتوريث أولاد المحروم.. وفي أمور أخرى، نفعت البلاد، من حيث تنميةُ مواردها، والعباد، من حيث تحقيقُ مصالحهم المادية والمعنوية..

غير أن جهود دعاة الإصلاح النحوي واللغوي المباركة، ستظل حبيسة الإقليمية، مالم تَتولَّ أمورَها هيئة عليا واحدة، تمثلُ جميع الأقطار العربية بالعدل، وتكونُ ذات استقلال تام عن الحكومات ومؤسسات الجامعة العربية، لتتخذ قراراتها، بالتعاون الوثيق مع المجامع المحلية، التي هي منها في الأصل، على أن يكون لهذه القرارات، في تطوير النحو والصرف والإملاء ووضع المصطلحات، سلطة ذات إلزام، حتى لاتظل نصائح أخلاقية.

وتتجه أفكاري إلى إنشاء «مجمع عربي موحَّد» يرعى لغة العرب، وينميها ويطورُها، لكي تستطيع أن تلبي حاجاتهم العلمية والثقافية، بيسرٍ ورفق، في إطار المحافظة على الهوية والتراث.

(جلسة الختام)

كلمة الدكتور شاكر الفحام

أيها السادة العلماء

أحييكم أجمل تحية، وأعبر لكم عن سعادتي البالغة بهذا اللقاء الحميم. لقد اجتمعنا في ذكرى عزيزة غالية: ذكرى مرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيس مجمع دمشق، هذا المجمع الرائد.

وأتاحت لنا المناسبة أن نطوّف في الماضي نتبين ماحقق العلماء الرواد من خطوات في خدمة العربية المبينة لتغدو لغة العلم والبحث، تستجيب لمتطلبات العصر ومستحدثاته ومخترعاته، وأن نستعرض ماقاموا به لتضييق الفجوة مابين اللغة المحلية والفصحى.

وقد عرضت لنا الدراساتُ والبحوث التي ألقاها السادة العلماء المشاركون لُمَعاً مما قامت به المجامع العربية منفردة ومتعاونة، من جهود طيبة مثمرة، أغنت العربية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة. كما بيّنت ما قام به اتحاد المجامع اللغوية العربية في سبيل توحيد المصطلح ونشره.

وأشارت المناقشات والتعقيبات إلى ضرورة الإلزام بماتقره المجامع واتحادها لينتشر ويشيع على الألسنة والأقلام. وخير سبيل لذلك أن تقوم الوسائل المسعفة كالتلفاز والإذاعة بإيثار اللغة السليمة في منتجاتها الفنية لتألفها الأذن، وتأنس بها النفس، وأن تُدْرِج وسائلُ الاعلام والصحافة المصطلحات العربية في عباراتها بدل المقابلات الأجنبية، وأن تلتزم مؤسسات

التعليم باستعمال العربية الفصحى. فاللغة تلقين، يسهل تعلمها بالاستماع والمحاكاة. وإنما تعذب الكلمة بالاستعمال.

ولم تُغْفل الدراساتُ الحديثَ عن متطلبات المرحلة القادمة، وعن مسائل وقضايا هامة أثارها النظر في طريق التعريب وتحديث العربية، مما يوجب على المجامع واتحادها أن تضع منذ الآن الخطط الكفيلة للنهوض بتبعاتها العلمية مثل: وضع المعجمات العربية الحديثة التي تلبّي رغبة القراء: طلاباً ومدرسين ومثقفين، ووضع المعجمات الاصطلاحية في كل موضوع من موضوعات المعرفة. والإعداد لتأليف المعجم العربي الشامل، ورسم الخطة المحكمة لرفع مستوى أداء اتحاد المجامع كي يكون أكثر فاعلية وجدوى في موضوع توحيد المصطلح واشاعته.

ولا بد من أن يقوم تعاون مُجْدٍ بين المجامع والمؤسسات التعليمية والثقافية لمعالجة مسائل ومشكلات لا يجوز السكوت عليها، مثل ضعف الطلاب في اللغة العربية، وهو ضعف بادٍ على خريجي المدارس الثانوية الذين يدرسون العربية اثنتي عشرة سنة ثم لا يجيدونها. وقد يمتدُّ الضعف بعد ذلك إلى خريجي الجامعات، وهو أمر ينذر بأسوأ العواقب.

إن اللغة العربية عنوان هويتنا، وسياج حياتنا، وسجل مآثرنا، ورمز وحدتنا، إنها وطننا الروحي، إليه نئل، وبه نعتصم، ولطالما شنَّ عليها الاستعمارُ الغارات أيام سيطرته وغطرسته وبطشه ليطمسها فما أفلح.

ونحن مدعوون ومستنفرون ثُباتٍ وجميعاً، أن نذود عن الفصحى، وأن نحميها من العدوان عليها، وأن نيسّر سبل تعلمها، حتى لا يستصعب قارئها قاعدة نحوية أو صرفية، ولا يشكل على الكاتب رسم همزة أو ألف مقصورة أو سواها. وأمامنا كل تجارب علماء النفس والتربية، وكل وسائل التقانة، فلنحسن استخدامها لتقدم لنا ما قدمته للدول الغربية في تسهيل تعليم لغاتها.

إن اللغة العربية أطول اللغات الحية عمراً. إننا نقرأ شعر الجاهلية منذ ستة عشر قرناً أو يزيد، فتهتز له نفوسنا، ونحسّ الرابطة الوشيجة التي تشدنا إليه. وندرج من بعد الجاهلية إلي كتاب الله المنزل نقرأ آياته وسوره، فننتقل من روض إلى روض، ﴿ كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير ﴾، إنه يبهر القارئ باعجازه وبلاغته، ونمضي إلى الحديث الشريف نهتدي بهداه، ونردّد : «إن من البيان لسحرا». ثم نتداول آثار العصور التالية من منظوم ومنثور، ومن كتب وتآليف لا يحصيها العد، فإذا هي قريبة المتناول، غضة، لا عسر فيها ولا صعوبة.

لقد رزقت العربية من الخصائص والصفات، ما جعلها على وجه الدهر، في شباب دائم، وربيع ناضر، ومنحها الطواعية والمرونة لتلبي كل ما يراد منها. فأيّ ثروة نفيسة عظيمة ضمتها هذه اللغة الخالدة، وأي غنى يحوزه قارئ هذه اللغة والمتحدث بها.

ولقد بذل أجدادنا مابذلوا لتظل العربية اللغة الوافية بمطالب العصر، لا يعجزها معنى، وما أكثر التآليف التي صنفوها مفتنين فيها، قد ذهبوا فيها كل مذهب، ليقربوها إلى كل طالب، وليجيبوا كل سائل. وإنك لتقرأ لهم فتحسّ أنهم قد تعشقوا هذه اللغة، ومحضوها حبهم فهي أغلى غال عليهم. وما أكثرأقوالهم في هذا الصدد. وأكتفي منها بقولة الزمخشري: « الحمد لله الذي فطرني على العصبية للعربية ».

ولئن كانت الفصحى أطول اللغات الحية عمرا، إنها اللغة التي ساحت أيضاً في أقطار المعمورة . لقد كانت اللغة العلمية التي اختارها المؤلفون والباحثون مابين سور الصين إلى جبال البرانس ليسطروا بها كتبهم مدة ستة قرون أو يزيد.

إن واجبنا اليوم أن ندأب ونعمل العمل الجادّ دون كلال لتتبوأ العربية

مكانتها، فتصبح لغة التعليم في جميع مراحله، ولغة البحث العلمي في الأرض العربية، وتتضافر جهود العلماء العرب بدل التبدد، فيكمل لاحق ما بدأه سابق، مما يهيئ لانبات العلم في الوطن العربي، ونشأة الحضارة وازدهارها.

لقد قضينا في رحاب مكتبة الأسد أياماً أربعة تعدّ من ربيع العمر، نعمنا فيها بالاستماع إلى الكلمات القيمة، والتعليقات المفيدة، والحوار البنّاء، نتحرى الحق والصواب، تشدّنا أواصر الألفة والود، ويجمعنا حبُّ العربية. نوالي العمل الحثيث، ويملؤنا الأمل، لتكون العربية المبينة لغة الحياة والعلم والتقانة، ولتستعيد مكانتها، لغةً حضارية عالمية.

وإني لأختتم حفلنا التذكاري، والرضا يملأ النفس بما تمّ وأُنجز. لقد قوّمنا مسيرتنا الماضية بعين العدل والانصاف، فتحدثنا عن الانجازات، ونبهنا على الثغرات، ثم خططنا لغدنا يملؤنا العزم والتصميم لنوالي العمل، ونحقق متطلبات المرحلة المقبلة.

وإني لأشكر لكم جميعاً، جميل مشاركتكم. وأخص السادة الوافدين الذين أكرمونا بحضورهم، وأفاضوا علينا من أدبهم.

ولقد كان للدراسات القيمة التي قُدمت أثرها الطيب، مما أغنى اجتماعنا، وفتح لنا آفاقاً من العمل نرجو أن نوفق للنهوض به. والله من وراء القصد.

أشكر في الختام لمكتبة الأسد العامرة (مديراً وإدارة وعاملين)جميل صنعها، وفرط كرمها، فيما أحاطت به حفلنا التذكاري حتى بدا في حلته القشيبة يروق الناظرين، ويرضي المشاركين.

كلمة الدكتور
أحمد طالب الإبراهيمي

السيد رئيس مجمعنا الدكتور شاكر الفحام

أخواني وأخواتي

لقد كلفني أمس اخواني أعضاء الوفود العربية المشاركون في العيد الماسي لمجمع اللغة العربية الدمشقي بإلقاء كلمة الاختتام.

فباسمكم جميعاً أتقدم قبل كل شيء بالشكر الجزيل لرئيس وأعضاء مجمعنا على حسن الاستقبال وكرم الضيافة وتنظيم الجلسات وعلى ما استمعنا إليه من بحوث ومحاضرات.

وفي الحقيقة فإن شكرنا وامتناننا لا يقتصران على هذه الفترة الزمنية القصيرة التي سعدنا بها، وإنما يمتدان إلى سنوات طويلة مضت، كانت تصلنا فيها بانتظام مجلة المجمع كهمزة وصل بين الباحثين العرب وغير العرب، وكلسان حال المجمع تعبر عن طموحاته في جعل اللغة العربية من جديد لغة العلم والحضارة، وتدافع عن مقومات شخصيتنا العربية الاسلامية، وتعرّف بنشاط المجمع وابداعه واسهامه في الحركة الفكرية والأدبية، كما كانت تصلنا مطبوعات المجمع وأهمها مايتصل بإحياء التراث، وهكذا تعرفنا على بعض موسوعة ابن عساكر في التاريخ، ودواوين شعراء الشام كالوأواء وابن

أبي حصينة في الأدب، ومصنفات ابن ماجد وسليمان المهري في العلوم، ورسالة ابن فضلان في الجغرافيا، ومؤلفات أبي الطيب اللغوي في اللغة، إضافة إلى المعاجم الحديثة وأبرزها معجم الأمير مصطفى الشهابي في النبات.

وبالرغم من هذا الجهد الضخم فإنني أرى ثغرة في قائمة مطبوعات المجمع، تجعلني أتقدم باقتراح إلى رئيسنا، وهو أن يضطلع المجمع بطبع موسوعة من نفائس تراثنا، انطلاقاً من قناعتي بأنّ نجاح المعجمية العربية مرهون بالتوفيق بين الثابت والمتحول، وبين الأصالة والحداثة، وبعد أن أخرج لنا مجمع القاهرة كتابي « الجيم »لأبي عمرو الشيباني و «ديوان الأدب » للفارابي، وبعد أن أخرج لنا مجمع بغداد كتاب « العين » للخليل بن أحمد ومجمع تونس «الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام، فعلى مجمعنا الدمشقي أن يقوم بإخراج طبعة جديدة مع تحقيق علمي دقيق لكتاب «المخصص» لابن سيدة، لما أرى في هذه الموسوعة من فوائد علمية جمّة زيادة على الجانب اللغوي الصرف، وأنا على يقين أن مجمعنا قادر على جمع المحققين الأكفاء وتركيز جهودهم لإخراج موسوعة كالمخصص عوض أن تتبعثر تلك الجهود في مشاريع ضئيلة متعددة ذات فائدة محدودة.

أما الاعتمادات المالية اللازمة، فإن لم نجد آذاناً صاغية من قبل أثرياء الشام، فإن الحكومة السورية لن تبخل لتمويل مثل هذا المشروع.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات

نحن العرب لا ننسى أن لسورية دور الريادة عندما أسّست مجمعاً يصون تراثنا وينشر كنوزه، وعندما أقرّت سيادة لغة الضاد في جميع مراحل التعليم، مما جعل الجزائر المستقلة تستفيد من التجربة السورية، ويسعدني اليوم أن أرى من بين أعضاء المجمع العاملين كثيراً ممن ساهموا في معركة التعريب بالجزائر، فلهم مني التحية العاطرة وهم يعلمون ما أحمله لهم من محبّة

وتقدير، ولا يفوتني أن أذكر هؤلاء الذين التحقوا بالرفيق الأعلى مثل الدكتور شكري فيصل والدكتور أسعد الدرقاوي والدكتور أسعد الخانجي رحمهم الله.

تلك حلقة من التواصل بين سورية والجزائر سبقتها حلقة تتمثل في وجود أستاذ الأدب العربي الوالد المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بدمشق إبان الحرب العالمية الأولى حيث كوّن جيلاً من المثقفين الذين لعبوا دوراً في نهضة سورية العلمية والسياسية، أذكر منهم المرحوم الدكتور جميل صليبا.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات

قلتُ « معركة التعريب» ولم أقل « عملية التعريب » إيماناً منّي بأنّ الحملة التي نتعرض لها اليوم مركزة على الهوية والانتماء العربي الاسلامي، ولأنّ التمسك بالهوية والحفاظ على الانتماء يشكلان عائقاً أمام القوى الأجنبية الطامعة في سلامة الوطن.

نحن العرب لا ننسى أنّ سورية حمت العروبة من التتار والصليبيين في العصور الغابرة، وهي سائرة اليوم على نفس الدرب مستمدة قوتها من إرادة تصحيحية ومن رؤية قومية ومن شعور قوي بكرامة الأمة العربية.

هذه الأمة التي طبعت بطابع تراثها وثقافتها ومبادئها عالماً يمتدّ من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي، والتي أقامت دولة عظيمة عرفها التاريخ بالعلم والعقل والعدل، هذه الأمّة هي نفسها اليوم تواجه الظلم والعدوان ومخططات الطامعين في الهيمنة على الأرض ونهب الموارد ومصادرة الإرادة، ومن المفارقات المأساوية أن جيلنا الذي كان يطمح إلى الوحدة العربية في الخمسينات، أصبح طموحه اليوم يقتصر على الحفاظ على الكيانات القطرية القائمة من التفكك.

هذا وفي الختام أجدد شكري لرئيس الحفل باسمكم جميعاً، وأبعث بالتحية الخالصة لراعي الحفل السيد الرئيس حافظ الأسد، رمز الوفاء، الوفاء للجذور العربية الاسلامية، والوفاء لتطلعات الأمّة.

والسلام عليكم

(آراء وأنباء)

انتخاب
الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً للمجمع

انتخب مجلس المجمع في جلسته السابعة للدورة المجمعية (١٩٩٥ - ١٩٩٦م) التي عقدها في (٨/ ٧/ ١٤١٦ هـ - ٣٠/ ١١/ ١٩٩٥م) الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً للمجمع.

وصدر عن السيدة وزيرة التعليم العالي الدكتورة صالحة سنقر القرار ذو الرقم (٢٣/ ت ع) في (١٨/٧/١٤١٦ هـ - ١٠/١٢/ ١٩٩٥م) بتعيين الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات.

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٩٦م (شعبان ١٤١٦ هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الدكتور شاكر الفحام «رئيس المجمع»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور محمد إحسان النص «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله واثق شهيد «أمين المجمع»	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتورسامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمدكرو ١٩٩٣
الدكتور إبراهم شبوح ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣
الدكتور سليم عمار ١٩٩٣

الجمهورية الجزائرية

الدكتورأحمدطالبالإبراهيمي ١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي ١٩٨٦
الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١
الأستاذحسن عبد الله القرشي ١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس ١٩٩٢

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤
الدكتور صلاح الدين المنجد ١٩٩٢
الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم ١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي ١٩٩٢
الدكتور عبد السلام العجيلي ١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر ١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق ١٩٩٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

تاريخ دخول المجمع

الدكتور خالد الماغوط ١٩٩٢

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري ١٩٣١
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم ١٩٧٣
الدكتور إبراهيم السامرائي ١٩٩٣
الدكتور حسين علي محفوظ ١٩٩٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢
الأستاذ أكرم زعيتر ١٩٨٥
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني ١٩٩٣
الدكتور إدوارد سعيد ١٩٩٣

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم ١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد ١٩٧٢
الأستاذ عبد الله العلايلي ١٩٩٣
الدكتور محمد يوسف نجم ١٩٩٣

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم ١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف ١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الأستاذ محمود محمد شاكر ١٩٧٧
الدكتور رشدي الراشد ١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين ١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف ١٩٩٢
الدكتور كمال بشر ١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي ١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد ١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي ١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي ١٩٩٣

المملكة المغربية

الأستاذ الأخضر غزال ١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي ١٩٨٦
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي ١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة ١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذمحمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبدالوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣

الجمهورية العربية اليمنية

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفيتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

ازبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٤٨

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

إيطالية

الأستاذ غبريلي (فرنسيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦

تاريخ دخول المجمع

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

السويد

الأستاذ ديدرينغ سفن ١٩٦٥

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ نيكيتا إيلييسيف ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

فنلانده

الأستاذ كرسيكو (يوحنااهتنن) ١٩٢٣

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الهند		الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧	الدكتور عبد الحليم الندوي	١٩٨٦

رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبدالكريم زهورعدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل « أمين المجمع »	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح « رئيس المجمع »	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٩٥

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

تاريخ الوفاة

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي ١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذحسن حسني عبد الوهاب ١٩٦٨

الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور ١٩٧٠

الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ١٩٧٣

الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٧٦

الدكتور سعد غراب ١٩٩٥

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩

الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ١٩٦٥

محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٩

الأستاذ مولود قاسم ١٩٩٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٧٦

تاريخ الوفاة

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ١٩٩٣

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز ١٩٢٥

الأب جرجس شلحت ١٩٢٨

الأب جرجس منش ١٩٣٣

الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣

الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣

الأستاذ جبرائيل رباط ١٩٣٥

الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨

الأستاذ قسطاكي الحمصي ١٩٤١

الشيخ سلمان الأحمد ١٩٤٢

الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣

الأستاذ ادوار مرقص ١٩٤٨

الأستاذ راغب الطباخ ١٩٥١

الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١

الشيخ عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦

الشيخ محمد زين العابدين ١٩٥١

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠

الجمهورية العراقية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبدالرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢

فلسطين

	تاريخ الوفاة
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ ابراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨

	تاريخ الوفاة
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
« سابقاً »	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمدجواد مشكور	١٩٩٥
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمديوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤

	تاريخ الوفاة
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤

	تاريخ الوفاة
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
المجر	
الأستاذ غولدزيهر(اغناطيوس)	١٩٢١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩

النروج

الأستاذ موبرج	

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١

الهند

الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

	تاريخ الوفاة
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١
الدكتور فيليب حتي	١٩٧٨

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والسبعين

العيد الماسي لمجمع اللغة العربية بدمشق

(جلسة الافتتاح)

(البحوث)

(جلسة الختام)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٢٤ تحقيق مطاع الطرابيشي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٩ تحقيق سكينة الشهابي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٢ تحقيق غازي طليمات
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي تحقيق مصطفى الحدري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢ وضع ياسين السواس
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني تحقيق سبيع الحاكمي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣ تحقيق إبراهيم عبد الله
- المستدرك على فهرس (الشعر) إعداد رياض مراد
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش تحقيق إبراهيم صالح
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً للدكتور عدنان الخطيب
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

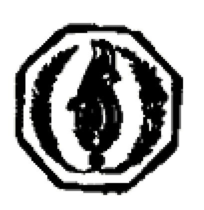
- المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ - ٤ تحقيق غلاونجي والذهبي
- شعر خداش بن زهير العامري صنعة د. يحيى الجبوري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٨، ٤٠ تحقيق سكينة الشهابي
- إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢) تحقيق عبد الإله نبهان
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦ وضع غزوة بدير
- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع الخيمي والحافظ
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٤ تحقيق أحمد مختار الشريف
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥ وضع محمد خير محمد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة).
- رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية).
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية).
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية).
- الإتباع لأبي الطيب اللغوي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ).

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا»



ذو القعدة ١٤١٦ هـ
نيسان (ابريل) ١٩٩٦م

بلاد الشام

كما يصفها قطب الدين المكي سنة (٩٦٥ هـ)

الأستاذ العلامة حمد الجاسر

(١)

إيجاد مختلف الصلات بين مثقفي الأقطار العربية من أهَمّ مايجب أن يُعْنَى به المثقفون، لتقوية أواصر التقارب والتعارف والتآخي بينهم، إذ الثقافة هي أقوى رابطة روحية، تؤلف بين قلوب أبناء الأمة، وتوحِّدُ بين من تجمعهم روابط من القُرْبَى والدين، واللغة والأهداف والغايات .

وحَسَنٌ أن يُعْنَى كل قطر بإبراز مايتميز به مثقفوه في الجوانب العلمية التي برّزوا فيها، وخاصة مايتعلق بذالك القطر، وأحسن من هذا أن تكون النظرة أشمل وأعمّ، وإن كانت الثقافة في مختلف الأقطار العربية تستمدُّ من روافد ذات منبع أصيل واحد .

وكما سارَعْتُ قبل أربعين عاما حين اطَّلعت على مخطوطة لديوان شاعر من بلاد الشام هو : محمد بن نور الدين بن محمد المعروف بـ (الدَّرّا) (١٠٢٨– ١٠٦٥ هـ) جمعه أحد أدباء الحجاز فاستنسخته وبعثتُ بتلك النسخة بعد تصحيحها لمجمعنا الكريم (المجمع العلمي العربي) وها أنا أبعث

وصفاً شيّقاً لبلاد الشام، ورد في رحلة مؤرخ مكة وعالمها، محمد بن أحمد النهروالِي ثم المكي (٩١٧ - ٩٩٠ هـ) كتبه حين مَرَّ بهذه البلاد متّجها إلى (اصطنبول) فيما بين شهرَي المحرم وجُمَادَى الأولى من عام ٩٦٥ هـ . وهذه الرحلة لم تُنْشَر بَعْدُ .

وكنت أوَدُّ أنني أضفت إلى ذالك الوصفِ إيضاحَ بعض الجوانب التي بحاجة إلى إيضاح ولكنني فَضَّلْتُ أن يقوم بهذا من هو أعلم مني بها من أهل هذه البلاد الكريمة، فهم كما قيل :

(أهل مكة أدْرَى بشعابها) .

وإذَنْ فلا غضاضة إذ اكتفيت بتقديم النصّ خاليا من التعليق عليه (فما على المُطْرِبِ أن يُعْرِبَ).

مؤلف الرحلة :

هو الشيخ محمد بن الشخ أحمد النهروالي، نسبة إلى مدينة (نَهْرَوالة) الواقعة في إقليم (كُجْرَات) بأرض (الدَّكَن) في غرب (الهند) . ولد سنة ٩١٧ هـ في مدينة (لَاهُور)، ثم هاجر إلى (مكة) وبها استقرَّ، فتلقى العلم عن مشاهير علمائها وغيرهم، ورحل إلى مصر سنة ٩٤٣ هـ فتلقى عن كبار العلماء في ذالك القطر، كما مَرَّ ببلاد الشام، وكان ممن أخذ عنه من علمائها شيخ الإسلام الغَزِّي، وعلاء الدين ابن عماد الدين، وكمال الدين الحمزاوي أثناء قدومهم مكة للحج، وكان يُجيد مع اللغة العربية اللغتين الفارسية والتركية، فكان متنوعَ الثقافة إبَّان اتجاهه لطلب العلم، إلاَّ أنه برَّزَ في العلوم الدينية بدرجة أهَّلَتْهُ لتولي منصب الإفتاء في مكة والقضاء، وأن يؤلف مؤلفات في ذالك، وأن ينقل بعض المؤلفات التركية والفارسية إلى اللغة العربية، وله نظم باللغات الثلاث، وله رحلات متعددة إلى مصر والشام والبلاد التركية، ولقي حظوة لدى ولاة الأتراك ومشاهيرهم، بحيث (أصبحَ

عظيم الجاه عندهم، لايحج أحد من كبرائهم إلاَّ وهو الذي يَطُوف به، ولا يرتضون غيره، وكانوا يعطونه العطاء الواسع) – «البدر الطالع» ٢/ ٥٧ – ولهذا أسْند إليه أولئك الولاة كثيراً من المناصب في التدريس والإفتاء وغيرهما، وقرروا له مرتباً شهرياً يقارب لما قرروه لشيخ الحرم، الذي كانت مرتبته لديهم تلي مرتبة شريف مكة .

لن أُطيل الحديث عنه، فقد أوفيته ترجمة في مقدمة «البرق اليماني في الفتح العثماني» الذي قمت بتحقيقه ونشره سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) وذكرت فيه مؤلفاته التي من أشهرها ، تاريخ مكة، المُسَمَّى «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» وأكتفي بالحديث عن رحلته التي ساقها في تذكرته، وهي كما وصفها السيد محمد بن عبد الله المعروف بكبريت[1] (تذكرة جامعة) وهي تحوي رحلات القطبي المتعددة إلى المدينة[2] ورحلته إلى اصطنبول التي دعاها «الفوائد السنية، في الرحلة المدنية والرومية» وتتضمن هذه التذكرة – عدا أخبار الرحلات – فوائد تاريخية عن حوادث وقَعَتْ في عهده وقصائدَ شعرية عربية وفارسية له ولغيره .

وتقع الرحلة إلى اصطنبول «الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية» في ٨٩ صفحة من صفحات «التذكرة» الواقعة في (٢٨٣) من الصفحات المستطيلة ، في الصفحة مابين ٣٧ و ٣٤ سطراً بالخط الفارسي الدقيق، خط المؤلف نفسه، يقع وصف الزيارات للمدينة في إحدى وعشرين صفحة .

وقد دُوِّنَتْ هذه التذكرة في دفتر كبير مستطيل الورق، ذكر المؤلف

(١) : ذكر هذا في «رحلة الشتاء والصيف» – ص ١٥٢ – الطبعة الأولى، والسيد كبريت من أشهر أدباء المدينة، ولد سنة ١٠١٢ هـ وتوفي سنة ١٠٧٠ هـ في المدينة المنورة، وله رحلة إلى بلاد الروم (تركيا)، اسمها «رحلة الشتاء والصيف» مطبوعة، ومؤلفات كثيرة منها «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» (الأعلام للزركلي – وفيه مصادر ترجمته) .

(٢) : نشرت في مجلة «العرب» – س ١٦ ص ٥٠٢ – وما بعدها .

أنه فُقِد منه أثناء الرحلة، قبل أن يصل إلى (اصطنبول) ثم وُجد، وأُرسل إليه من قبل أحد أبناء السلطان سليمان القانوني، في خبر طريف، ساقه أثناء كلامه على سفره من (قره أيوك) إلى (اصطنبول) في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة قائلاً : (وقعت (الجنتة)[١] المعلقة في السرج، وفيها الدواة والقلم، وهذا الدفتر، ولا ندري كيف وقعت، وتألَّمتُ لذالك، لأن الدفتر كان فيه ذكر المراحل والمنازل، وما لاقيته وما صرفته، فأرسلت مكتوباً إلى السلطان بايزيد[٢] مع أحد (الاسباهية)[٣] الذين أرسلهم معنا، وأمرت برجوعه إلى السلطان بايزيد، والفحص عن (الجَنْتَة) فعاد، فلما وصل إليه المكتوب جمع كبار أهل القرى التي هناك، وأمرهم بالفحص عن (الجنتة) كما هي من كُلِّ بُدٍّ، فتوجهوا يسألون عنها، فوجدوها عند امرأة، فأتوا بها إليه فأحسن إليها، ورأى الدفتر وبعض مسودات، فطالع فيها وأعاد إليَّ (الجنتة) ووضع الكلَّ في كيس، ومهر عليه، وسلمه إلى (الإسباهي) فعاد إلينا وأدركنا في (اصطنبول) .

الغاية من رحلته إلى اصطنبول :

لقد أوضح الغاية من رحلته إلى (اصطنبول) بقوله : (بأنه سافر مبعوثا من قبل الشريف حسن بن أبي نُميٍّ[٤] إلى السلطان سليمان[٥]، والغرض

---

(١) : الجنتة : يقصد الشنطة، والكلمتان، أعجميتان محرفتان وعربيتهما (الحقيبة) .

(٢) : هو ابن السلطان سليمان القانوني ولم يتولَّ السلطنة .

(٣) : (الاسباهية) : وقد تنطق (الاصباهية) الفرسان واحدهم (اسباهي) أي فارس .

(٤) هو : حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن الحسين الهاشمي ولد سنة ٩٣٢ هـ وتوفي سنة ١٠١٠ هـ، وقد شارك أباه في إمارتها ثم انفرد بعد وفاته سنة ٩٩٢، ويظهر أنه في آخر حياة أبيه كان هو المتصرف بشؤون ولاية مكة، ولهذا بعث القطبي لمهمته .

(٥) : السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم بن بايزيد خان تولى السلطنة سنة ٩٢٦هـ - وتوفي سنة ٩٧٤ هـ على ماذكر السيد محمد كبريت المدني في رحلته .

منها السعي لإخراج والي المدينة المسمى (بيري) والمعيَّن من قبل السلطنة العثمانية) إلاَّ أنه فيما يبدو لم يتمَّ له ما أراد، إذ ذكر أنه في ١٨ رجب سنة ٩٦٥ هـ ركب مع الوزير الأعظم إلى بيته، وذكر له أن (الخنكار) يقصد السلطان تأبَّى من إخراج (البِيري) وعسكره من المدينة، وأمر بالتفتيش عليه، فإذا ظهرت منه جنحة رُفع عن المدينة قال: (فضاقت الدنيا عليَّ بهذا الجواب، وقلت له : كيف التفتيش على ظالم غاشم، يفعل بيده مايريد، ولا يرده عقل ولا دين؟) ، ثم عاد من رحلته واصفاً ماقاساه من جَرَّاء عدم نجاح سفارته هذه ماراً بمصر، ووصل مكة في ثالث ذي الحجة سنة ٩٦٥ هـ ، فكأنه أمضى في هذه الرحلة مايقرب من أحد عشر شهراً، من خامس المحرم إلى ثالث ذي الحجة من السنة المذكورة . وللمزيد من معرفة أحواله يحسن الرجوع إلى ماكتبته عنه في مقدمة كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني»

أما وفاته: فقد ذكر الغَزِّي في «الكواكب السائرة[١]» : أنه توفي سنة إحدى وتسعين وتسع مئة وأرى الصواب ماذكره مؤرخ مكة عبد الملك العِصَامي حيث قال : بأنه توفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع وتسعين ومئة، وقت أذان الفجر الثاني، ويضيف العصامي إلى هذا قوله : (فأرخ بعض الفضلاء ذالك بقوله : (قد مات قطب الدين أجَلُّ علماء مكة) قال العصامي : قد حسبت هذا ووجدته يزيد على سنة الوفاة واحداً، ومثل ذالك يغتفر عند المؤرخين على خلف[٢]) .

وعلى ماذكر العصامي سار مؤرخو مكة وغيرهم كصاحب «شذرات الذهب» في تاريخ وفاة القطبي .

---

(١) : — ج ٣ ص ٤٧ — .

(٢) : «سمط النجوم العوالي» — ج ٤ ص ٣٨٤ — .

وصف الطريق إلى الشام :

سار من مكة مع الحج الشامي، وأميره يونس (سنجق حمص) إلى المدينة، فكان المرور بالوادي (مَرِّ الظهران) ثم (بِخُلَيْصٍ) ثم بـ (خَبْت كُلَيَّةَ) ثم بـ (رابغ) ثم بـ (خَبْت الْبَزْوَة) ثم بـ (بَدْرٍ) فـ (الخَيْف) ومنه إلى (شِعْب علي) فـ (المدينة) ، وكان أميرها السيد عِجْل بن عَرار، و (أغا النوبتجية دَلوبيري[١]) وقال : (وتوجُّهنا إلى باب السلطان إنما هو لإخراج (دلوبيري) من المدينة ، لشدته وفظاظته وبغضه لآل النبي ﷺ ، وسوء معاملته معهم) وبعد الإقامة في المدينة ثلاثة أيام كان الاتجاه إلى (الشام) وكان دَقِيقاً في حساب مايصرف من النقود أثناء سفره ، فقد ذكر أنه في يوم بروزه من المدينة حسب مفردات المصروف ومؤونة السفر، وكراء الجبال إلى الشام وغير ذالك، فبلغ من الذهب الجديد ثلاث مئة دينار ذهباً وإحدى وأربعين ذهباً وخمسة وعشرين مُحَلَّقاً، واستمَرَّ على هذا .

وكان معه أخوه محب الدين حبيب الله[٢]، وثمانية من المرافقين من الموالي، ورواحله سبعة جمال وبغلتان .

ثم سمَّى مراحل الطريق يوماً بعد يوم، من اليوم السادس عشر من المحرم حين خرج من المدينة، فذكر المراحل مرحلة مرحلة، المرحلة الأولى : (وادي القرى) كذا سماه خطأ[٣]، وصوابه (وادي ذي خُشُبٍ) فـ (وادي القرى) هو (وادي العُلا) وسيأتي ذكره فيما بعد، ثم ذكر (وادي الفحلتين)

---

(١) : أي رئيس الجند الذين يتناوبون الحراسة في المدينة .

(٢) : من العلماء، تولى القضاء في اليمن، انظر ماجاء عنه في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» .

(٣) : وقد سبقه إلى هذا بعض الرحالين قبله، ووادي (ذي خشب) هو مجتمع سيول أودية المدينة التي تمتد حتى تكون الوادي العظيم المعروف قديماً باسم (إضم) وحديثاً باسم (وادي الحمض) .

ولم يفته أن يسجل حادثة سيئة لأمير الحاج الأمير يونس وهي : (أنه مَرَّ في الطريق بإبل ترعى لـ (عَنَزَة) فاستاقها، واستاق معها بعض الحمير، وهرب أهلها، وكانت الإبل نحو الستين، والحمير نحو العشرة، فباعها في العربان الذين معه، وأمست (عَنَزَةُ) في تلك الليلة تأخذ من تطرَّف من الحجاج، وكانت ليلة مخوفة) انتهى .

وهذا يوضح بعض أسباب ما كان يلاقيه الحجاج من أبناء البادية، في السنين الخوالي، حيث زخَرت مؤلفات بعض المتأخرين بالنيل من أبناء البادية، دون التعمق في ذكر الأسباب التي تدفعهم إلى ارتكاب بعض الأخطاء بالنسبة للحجاج، بسبب معاملة أمراء الحج من الأتراك لأهل البادية أسوأ معاملة، ودون النظر إلى مايقاسيه أولئك من شظف العيش، وشدة الفقر والفاقة، مما يضطرهم إلى ممارسة بعض تلك الأمور المخلَّة بالأمن، الملحقة أبلغ الضرر بالحجاج، من قتل وسلب ونهب وغير ذالك .

وبعد الفحلتين ذكر (هَدِيَّة[1]) ثم (شِعْبَ النعَام) ثم (الطوامير) ثم الوصول إلى (العُلاَ) بعد ستة أيام من الخروج من المدينة، ووصفها بأنها (قرية بين جبال شامخة، فيها عين ماء، ونخيل بكثرة، وكانت معفاة في أيام الجراكسة، وفي صدر من دولة بني عثمان - يقصد من الضرائب - فغزاهم طائفة من العرب، فرفعوا أمرهم إلى عيسى باشا نائب الشام، فأمر أن يُبنَى حصنٌ ويجعل فيه (نوبتجية) وأن تُجْبَى القرية، ويؤخذ على كل نخلة (عثمانية)، ويصرف ذالك على العسكر، وتحفظ عن العربان، وصارت تلك الجباية إلى الترقِّي، إلى أن صار يؤخذ منهم ألف عثمانياً، فشكوا فلم تُفِدْهُمْ الشكوى والمظلمة باقية إلى اليوم) !! .

وذكر الإقامة في (العُلاَ) يومين، والرحيل منها في الرابع والعشرين من

---

(١) : حددت هذا الموضع وما بعده في قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي» .

الشهر، والمرورَ بـ (قُرَى صالح عليه السلام) ثم وصف البيوت المنحوتة في الجبال التي في (الحِجْر) .

وهنا يحسن التنبيه إلى خَطَأٍ وقع فيه هو وكثير من الرحالين، وهو تسمية موضع (الحِجْرِ) باسم (قُرَى صالح) أو (مَدَاين صالح) ووجه الخطأ أن صالحا النبي عليه السلام عندما لم يستجب قومه لدعوته اعتزلهم، وتلك سنة الأنبياء مع قومهم، ولم يقم في بلادهم ، فنسبة البلاد إليه خطأ لامن كونها وصفت بأنها (قرى) أو (مدائن) وهي واحدة فحسب، ولكن لأن صالحاً لم يَبْقَ فيها، وأنها ديار ثمود كما سماها الرسول ﷺ، وهي (الحِجْر) المذكورة في القرآن الكريم .

وسبب خطأ التسمية أنه يوجد بلدة تقع بعد (العُلاَ) أي غربها كانت تدعى (مدينة صالح)، وصالح هذا ليس صالحاً النبي عليه السلام، بل كان أميرا لهذه البلدة من بني العباس، فكانت تعرف هذه المنزلة باسم (مدينة صالح) فوقع الخلط بين المنزلتين، منزلتي (الحِجْر) الواقعة شرق (العلا) شمالها، وتلك مقر ثمود قوم صالح، ومنزلة (مدينة صالح) الواقعة غرب العلا التي تنسب إلى أحد أمرائها، وقد خَربت هذه القرية قبل القرن الخامس، ولم يبق سوى آثارها، وتسمى الآن (المابِيَّات[1]). وقد أوضح جانبا من هذا ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه «توضيح المشتبه» في رسم (مدينة صالح) ونقله عنه ابن طولون الدمشقي في كتابه «البرق السامي في ذكر

(١) : اسم حديث لعل أصله من (الوباء) وانها (الموبئيات) أي البلاد التي تنشر فيها (الحمى) لكثرة مياهها، وكان موضع هذه البلدة مجتمع أودية، وفيه آثار عيون مما يدل على انتشار الوباء (الحمى) فيها، وقد ظنها بعضهم مخطئا هي (قرح) مقر السوق القديم في وادي القرى، فألف كتاباً نال عليه اجازة (الدكتوراه) ورأيه خاطئ ، فـ (قرح) يقع شرق بلدة العُلاَ متصلاً بها في موضع يعرف الآن باسم (الخربية)، أصبح داخل عمران مدينة (العلا) كما أوضحت هذا في مكان آخر .

منازل الحج الشامي[١]».

استمر سير الرحلة بعد الإقامة في (العُلاَ) يومين، والمرور بـ (الْحِجْرِ) وبعد (الحِجْرِ) الوصول إلى موضع يدعى (المَبْرَك) وآخر باسم (مفارش الرُّز) ثم (بِرْكَة المعظَّمِ) في يوم الجمعة، وهي بركة واسعة مبنية بالحجر والجصِّ والنورة بناءً محكماً، بحيث تدخلها السيول من الجهات الأربع أيام الأمطار، ويستمر فيها الماء مدة، بناها الملك المعظم صاحب (حلب) للحجاج، وأضيف: ولا تزال هذه البركة عامرة، وقد شاهدتها :

وبعد المرور بـ (الأُخَيْضر) ثم (البَرْك) - بفتح الباء - كان الوصول إلى (تَبُوك) في اليوم التاسع والعشرين من شهر المحرم، وكانت الملاقاة الواردة من الشام لإعانة الحجاج قد وصلت إلى (تبوك) والملاقاة أناس يجلبون مختلف البضائع، مما يحتاج إليه الحجاج، ويسميهم المؤلف (المتسبِّبين[٢]) .

وفي ثالث صفر كان المبيت في (قاع البُسَيْطَة) ثم المرور بـ (ذات حَاجٍ) وسماها (ذات حَجْرٍ) خطأً، وهي بتخفيف الجيم، والحَاجُ : نوع من النبات[٣]، ثم في (الطُّبَيْلِيَّات) موضع ذو نخل وماء قليل، وبعد ذالك ذكر المرور بموضع يدعى (عَبَّادان) وقال : (وهو صاحب المثل (ليس وراء عَبَّادَان قرية) فيما أظُن) ولكن هذا الظن لم يصادف الحقيقة، فالمثل الوارد ينطبق على (عَبَّادَان) البلدة الواقعة في الساحل الشرقي من الخليج العربي، كما ذكر ذالك صاحب «تاج العروس[٤]» وغيره .

---

(١) : نشرت كاملة في مجلة «العرب» - س ١٠ ص ٨٦٩ - .

(٢) : ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في نجد تطلق على صغار التجار الذين يتاجرون بمختلف البضائع يسمى واحدهم (متسببا) .

(٣) : انظر عن ذات الحاج وماقبلها من المواضع قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي»

(٤) : رسم (عبد) .

وفي يوم الأحد سادس شهر صفر كان الوصول إلى (مَعَان) وصف الموضع بقوله : (وهو منهل فيه الماء ليس بالجيِّد، ووجدنا به ملاقاةً أُخرى معهم الفواكه والعَلِيق، وكان شديد البرد) ثم سمَّى من المواضع التي مَرَّ بها بعد (مَعَانَ) ظَهْر (عُنَيْزة) و (الحَسا) و (خان القطراني) و (البلاطة) وهي مواضع في (الأُردنِّ) معروفة .

ثم (الزَّرقاء) وصلها في ضحوة يوم الجمعة الحادي عشر من صفر، ووصف ماء (الزرقاء) بأنه طيِّب، وبعد (الزرقاء) الوصول إلى (المَفْرَق) ف (الكثيب) .

وفي ضحوة يوم الاثنين إلى (مقام السيد ذي النُّون) قال : (فوجدنا شكله حصار محوط، ومطبخ على اليسار، يطبخ فيه الشُّوْربة يسلق لجميع الحجاج، فأكلنا منه، ونحن على ظهور الجمال، ووصلنا إلى موضع يقال له (الكِسْوة) يمكس فيه الحجاج فيؤخذ على كل حمل مُحَلَّقُ فِضَّةٍ، وعلى كل عبدٍ عشرين (؟) محلَّقاً، واستمرينا كذالك إلى أن دخلنا الشام) يقصد مدينة (دمشق) .

فكأنه مكث في الطريق بين المدينة وبين الشام من سابع عشر المحرم إلى الرابع عشر من شهر صفر (٢٧) يوما .

نظرته إلى هذه البلاد :

لم يأت قطبُ الدينِ المكيُّ إلى بلاد (الشام) قاصِداً زيارتها، مُريداً أن يتصل بعلمائها وأدبائها، وأن يعرف مايتطلع السائح الأجنبيُّ إلى معرفته في بلادٍ قصدها، وإنما أتى إليها ماراً بها دون قصد، فهو في سفارة من حاكم مكة إلى السلطان العثماني، وإذَنْ فهو مَعْنِيٌّ بشؤون سفارته، مشغول بكل مايتعلق بها، متجه تفكيره إلى ماذا ستكون نتيجة سفارته هذه، يضاف إلى هذا أنه أراد أن تكون صلته برجال الدولة التي هو متجه إلى سلطانها قويَّةً،

لعله يزداد بهذه القوة صلة تهيئ له النجاح في مهمته، على هذا فلا عتب على علماء هذه البلاد وأدبائها أن يَدَعُوه وشأنَه، فلم يشغلوه بأمر خارج عما اتَّجه له ، فبدا منهم شيء من الانقباض وعدم الاتصال به .

ومن هنا لم نره أشار إلى مايتصف بـه أولئك العلماء والأدباء من ثقافة وعلم ومعرفة وأدب، سوى إشـارات موجـزة لاينبغي أن تتخـذ دليـلاً على مايتصف به أدباء تلك البلاد وعلماؤها من علم وفضل.

وليس من المستبعد أن تكون النظرة العامة في هذه البلاد إلى الدولة العثمانية وتصرفاتها في إدارة الحكم فيها في ذالك العهد ليست نظرة ارتياح، ومن هنا كانت صلة القطبي بعلمائها فاترة .

لقد وصل دمشق في اليوم الخامس عشر من شهر صفر، وأقام في هذه المدينة سبعة وعشرين يوماً أي إلى اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، واجتمع بعلمائها، وبعدد من مشاهيرها، ولكنه عُنِي أَوَّلَ ماعُنِي بالمفتي التركي، ونظم قصيدة في مدحه، وتعرض لذكر العلماء بما سيراه القارئ .

ثم دخل مدينة (حمص) في اليوم السادس عشر من الشهر المذكور، وبقي فيها يومين اجتمع فيها بعلمائها وأعيانها .

وفي مدينة (حماة) أقام ثلاثة أيام لاقى علماءها وأدباءها، وغادرها إلى (حلب) فاجتمع بعلمائها وأدبائها، ولقي فيها إكراماً وضيافة وحسنَ استقبال، ثم غادرها في يوم الأحد ثاني جمادى الأولى، إلى البلاد التركية .

وهو في كل مدينة من تلك المدن التي يَمُرُّ بها يُعْنَى عناية كبيرة بالاتصال بالعلماء والشعراء وبالتباحث معهم، وبمساجلة من يساجله منهم .

ومع أن الغَزِّيَّ في «الكواكب السائرة» أشار إلى أن والده عالم الشام في ذالك العهد قد أضافه وأكرمه، حين مَرَّ في تلك الرحلة، ونزل في (حارة القرماني) تحت (قلعة دمشق)، وأن شيخ الإسلام المرعشي أضافه وأكرمه لما

اجتمع به في مدينة حلب، فإن انطباعه عن بلاد الشام على وجه الإجمال يدل على أن نظرته إلى أهلها نظرة تخالف الواقع .

إنه يقول : ورأيت أهل الشام يغلب عليهم الجفاء، والجلافة، والانقباض من الغرباء فلم آلَفْ أحداً منهم .

وقد وصف عالما من علماء الشام هو الشيخ شمس الدين محمد بن هلال الحمصي بقوله : له شعر لابأس به، من أواسط الشعر، فامتدحني بقصيدة، فأرسلت إليه بكسوة ومعها هذه الأبيات، قصدتُ بها التعرضَ بأعيان الشام، تلك الأبيات قوله في ممدوحه :

وعَجِبْتُ إذْ خالَفْتَ أهل الشام في حُبِّ الغريبِ وَحِرْتُ في إمكانهِ
وأظنُّ بالتحقيق أنك هاهُنَا مِثْلِي غريبُ الدَّارِ عن أوطانِهِ

وهو لايكتفي – في وصفه وتسجيله – بما يتعلق بالعلم والشعر، بل كثيراً ماأشار إلى ماللبلدة التي يمر بها من مظاهر، ومافيها من آثار، ومالها من مميزات، فيقول – مثلا – في وصف مدينة (حمص) : وهي بلدة كبيرة جداً، إلاَّ أن غالبها خراب، ولها حِصار عظيم، وحصن بها، ويجري بها النهر العاصي، وكانتْ من محاسن بلاد الشام، إلاَّ أنها دثَرَت الآن، والموجود الآن في (دفتر العوارض) أربعة آلاف وأربع مئة بيت، وذالك خارج عن ألف بيت، تقريباً ليسوا في الدفتر، لأنهم لايعطون شيئاً من العوارض .

وفي نسائهم جمال وحسن، ليس في غيرهن من أهل ذالك القطر .

لاداعي للاسترسال في تلخيص كلام هذا الرحالة عما شاهدة في هذه البلاد الكريمة، ولعل من الأنسب ايراده بنصه كاملاً .

وقبل ذالك تحسن الإشارة إلى مايعترض القارئ أثناء كلام الشيخ القطبي، من كلمات عامية أو لحن أو إدخال ألفاظ تركية، ولعل مرد هذا لأمور :

أولها : أن الشيخ سجل كلامه بخط يده، بهذه النسخة التي قد تكون الأولى، وأنه لم يُعِدِ النظر فيها حيث وقع اللحن في بعض الكلمات، وبعض بياض تركه ليملأ فراغه فلم يتمّ له ذالك في هذه النسخة التي هي (المسودة) وأنه في غيرها أصلح بعض الأخطاء، ولعل مما يدل على هذا أن الجزيري في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» نقل عن رحلة القطبي نسب بعض سلاطين آل عثمان، وهذا مما لايوجد في هذه النسخة .

ثانيها : أما الكلمات التركية فالشيخ عاش في أول عهد هذه الدولة إبَّان شيوع كلمات من اللغة التركية، أصبحت منتشرة بحيث كانت ذات وَضْعٍ مستقرٍّ مثل كلمة (نوبتجية) ويُقْصد بها الجند المتناوبون في حراسة قلعة أو أي مكان آخر، وكذا كلمة (حصار) ولعل المقصود بها الجند المرابطون في المدينة، و (سنجق) ويقصد به (اللواء) من الجند، والناحية التي يحكمها شخص كـ (سنجق حمص) وكلمات أخرى تركية كثيرة .

إلى غير ذالك مما سيمر بالقارئ مما اقتضت الأمانة العلمية نقله بنصه، وفيه مالا يخفى صوابه.

ويلاحظ أن مصور مااتخذته أصْلاً أضفى أطرافَ بعض الصفحات على أطراف الصفحات الأخرى فأخفى كلمات لم تتضح فتركْتُ لها بياضاً، وقد يستطيع الباحث المدقق الاهتداء إلى تلك الكلمات بالرجوع إلى الأصل الذي لم يتيسر لي الاطلاع عليه .

أما أصل المخطوطة ففي احدى مكتبات (اصطنبول) واسم تلك المكتبة كما في ختمها ماهذا نصه : (من الكتب الموضوعة عند الفقير إليه عز شأنه صدقي زاده أحمد رشيد المفتش بأمور الأوقاف غفر لهما سنة ١٢٣١ هـ) ثم كتابة رقم (٢٤٤٠) خارج الختم، ولعل كتب هذه المكتبة مما نقل إلى

(المكتبة السليمانية) التي هي دار الكتب العامة في (اصطنبول) كما نقلت كتب المكتبات الأخرى الصغيرة إليها .

والرحلة كما سبقت الإشارة إلى هذا تقع في دفتر يحوي غيرها وهي آخر مافيه .

وهاهو انموذج للصفحتين الأولى والأخيرة من «تذكرة القطبي» وآخرها الرحلة، ومنها يتضح نوع خط الشيخ القطبي وهو بالقلم الفارسي الحسن .

[الصفحة الأولى من المخطوطة]

١٩٩

٢٨٢

ودخل الركب ليلة الاربعا ويوم الاربعا
ورأينا هلال ذي الحجة ليلة الاربعا ورحل
بعد المغرب ليلة الخميس ثاني الحجة وسبقه ناس
كثيرون الى مكة خصوصا اهل الشام
ونزلنا ثالثه الى الخشوم عسفان وهو بير
يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وذكر
الحافظ مغلطاي ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد
بعسفان نزلنا به صبحا وتغدينا ورحل
المغرب السابع الى الحسنون وادي مر الظهران
وصلت قرب المغرب فمن الحجاج من استمر الى
مكة ومنهم من اقام وعشى ورحل على صبح ثامنه
ودخل امير الحاج وطاف وسعى وعاد الى الزاهر
وبات به واصبح في وطاق منصوب له ولاقاه
صاحب مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي
السيد حسن بن ابي نمي نصره الله تعالى ولبس الخلعة
وسار معه الى ان انزله في مدرسة السلطان
الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى وكان ذلك
يوم الجمعة المباركة ثالث ذي الحجة سنة
خمس وستين وتسعماية

[الصفحة الأخيرة من المخطوطة]

الرقم والعدد

بين اللغة والرياضيات

الأستاذ محمود باكير

نلاحظ أن ثمة خلطا كبيراً عند شريحة واسعة من الناس بين الرقم والعدد. وقد يخال البعض أنهما كلمتان مترادفتان، وكلمتاهما تعنيان العدد، أي عدد. لذلك نجد أن أدبياتنا تحفل ببعض التعابير الشائعة غير الصحيحة من الناحيتين اللغوية والرياضية. وللوقوف على طبيعة هذه الأخطاء، ومنشأ الخلل في ذلك، لابد من دراسة الموضوع من الجانبين اللغوي والرياضي.

«الرقم والعدد» لغوياً

بالعودة إلى أمهات الكتب اللغوية نجد في (لسان العرب) لابن منظور أن: (العَدُّ: إحصاء الشيء، عَدَّه يَعُدُّه عَداًّ. والعَدَدُ: مقدار مايُعَدُّ ومَبْلَغُه، والجمع أعداد). كذلك نجد: (الرَّقَمُ والتَّرقيم: تعجيم الكتاب. وكتاب مَرْقوم أي قد بُيِّنت حروفه بعلاماتها من التنقيط. والرَّقْمُ: الكتابة والختم).

وفي (القاموس المحيط) للفيروزابادي نجد أن: (رَقَمَ: كَتَبَ، والكتابَ أعجَمَه وبيَّنه. والترقيم والترقين علامة لأهل ديوان الخَراج، تُجْعَل على الرقاع والتوقيعات والحسبانات، لئلا يُتَوَهَّم أنه بُيِّضَ كي لايقع فيه حساب). كذلك نجد: (العدّ: الإحصاء).

وفي (أساس البلاغة) للزمخشري لم نجد أكثر مما تقدم. وفي (محيط المحيط) للمعلم بطرس البستاني نجد: (ويطلق الرقم عند الحسابين على

علامات الأعداد، وهي من واحد إلى تسعة، ويتناول الصفر أيضاً. ويقال لها الأرقام الهندية) .كذلك نجد: (عَدَّ الدراهم يَعُدُّها عداً حسبها وأحصاها).

نلاحظ مما سلف أن معنى كلمة «رقم» بالطريقة الشائعة حالياً، مستحدث في اللغة العربية: لأنه لم يرد سوى في معجم (محيط المحيط) الحديث نسبياً (صدر عام ١٨٧٠م). كذلك لم ترد هذه الكلمة في كتب النحو القديمة عند الحديث عن تأنيث العدد وتذكيره، بل تصف الكل بالأعداد، بدءاً من الواحد فصاعداً[1] ،حتى إن (لسان العرب) يقول: (الواحد: أول عدد الحساب). وأما كلمة «العدد» فهي مستقرة على حالها منذ القدم حتى الآن.

«الرقم والعدد» رياضياً

لقد كان المصريون القدماء يعبرون عن الأعداد باستخدام الحروف القبطية، وكان سكان سورية القديمة يستخدمون من أجل ذلك الحروف اليونانية ويجرون حساباتهم بها، وكان يطلق على هذا اسم «حساب الجُمَّل». بينما كان للرومان طريقة مختلفة في تدوين الأعداد، فقد استخدموا مزيجاً من الأحرف والعلامات. وأما العرب في الجاهلية فكانوا يدوّنون الأعداد بكتابتها بالكلمات (ست مائة وخمسة آلاف دينار). وبعد الفتح الإسلامي تبنوا حساب الجُمَّل من الدول التي فتحوها.

ولتوضيح مايعنيه ذلك يمكن العودة إلى كتاب (المدخل إلى علم العدد) لمؤلفه نيقوماخوس الجرشي[2](الجاراسيني)، وهو أول مُؤَلَّف وصل إلينا يعالج الحساب على أنه علم قائم بذاته مستقل عن الهندسة. فهو يقول في الصفحة (٢١): [مثل عدد الأربعة والستين، فإن نصفه (لب)، ونصف ذلك (يو)، ونصفه (ح)، ونصفها (د)، ونصفها (ب)، ونصف ذلك في آخر الأمر الواحد، الذي لما كان بالطبيعة غير منقسم لم يكن له نصف]. وفي حساب

الجُمَّل هذا يعني أن: لب= ٣٢، يو= ١٦، ح= ٨، د= ٤، ب= ٢. وذلك لأن:

ا	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

وعلى سبيل المثال فإن: لب= ٣٢، لأن مايقابل الثلاثين حرف اللام، ومايقابل الاثنين حرف الباء، وهكذا دواليك.

وما يسترعي الانتباه في هذا الكتاب أنه اقتصر على استخدام كلمتي «عدد» و «أعداد» ، ولم يذكر كلمتي «رقم» و «أرقام» قط، مع أنه تعرض لأنواع العدد في الصفحة (١٩). وهذا يشير إلى أن كلمة «رقم» لم تكن قيد التداول في علم الحساب في تلك الفترة.

وفي العصر العباسي أخذ العرب من الهنود مجموعتين من الأرقام، إذ كان لديهم عدة مجموعات من أرقام الحساب تختلف عن بعضها بالصور. المجموعة الأولى (الأرقام الهندية- العربية)، وهي المستخدمة حالياً في أقطار المشرق العربي، وصورها [١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩]. والمجموعة الثانية (الأرقام الغبارية)، المنتشرة في دول المغرب العربي، وصورها [1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9] . ومن هناك دخلت إلى الأندلس، ومن ثم إلى جميع أنحاء أوربا . ويطلق عليها الأوربيون اليوم: الأرقام العربية (Arabic numerals) . وبعد إيجاد الصفر أضحى ضمن مجموعة الأرقام هذه. وصار هناك الطريقة

الهندية (الحُسْبان بالأرقام) في حل المسائل الحسابية، تمييزاً لها عن الطريقة اليونانية (الحُسْبان بالأحرف). بيد أن هذا لم ينف استمرار بعض علماء العرب والمسلمين في استخدام الطريقة اليونانية بعيد تلك الفترة، ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي [٣].

يقول جمشيد الكاشي في كتابه (مفتاح الحساب)[٤] متحدثاً عن علم الحساب في الصفحة (٤٧): «فموضوعه العدد، وهو مايقع في العدّ، ويشتمل على الواحد، وعلى مايتألف منه، فهو باعتبار كميته الذاتية، أي بكونه غير مضاف إلى جملة، يسمى صحيحاً، كالواحد والاثنين والعشرة والخمسة عشر والمائة». ثم يقول: «والعدد أيضاً إما مفرد أو مركب. فالمفرد ماوقع في مرتبة واحدة، كالواحد والاثنين والعشرة والتسعين وثلاثين ألفاً. والمركب ماوقع في مرتبتين أو أزيد كأحد عشر، وكمائة وثلاثة وثلاثين». كذلك يقول في الصفحة (٤٨): «إعلم أن حكماء الهند وضعوا تسعة أرقام للعقود التسعة المشهورة على هذه الصورة).

نلاحظ كيف أنه استخدم في المرة الأولى، وهو يتحدث عن علم الحساب، كلمة «عدد» لتعني الأرقام والأعداد على حد سواء. وعندما تحدث عن الصور الهندية في كتابة الأعداد، فقد استخدم كلمة «رقم». ويتضح الأمر أكثر عندما يقول في الصفحة (٤٩): «فاعلم أن كل صورة من الصور التسع إذا وقعت في أولى المراتب كانت علامة أحد الأعداد من الواحد إلى التسعة المذكورة، وإن وقعت في المرتبة الثانية كانت علامة أحد العقود التسعة للعشرات، التي هي من العشرة إلى التسعين، وإن وقعت في ثالثة المراتب كانت علامة أحد العقود التسعة للمئات، وعلى هذا القياس). ونلاحظ كيف أطلق الكاشي، بوضوح لا لبس فيه، على الواحد وحتى التسعة تسمية الأعداد، كما أنه استخدم تعبير (الصور التسع) لوصف

(الأرقام الهندية). وهذا ربما كان يشير إلى حداثة كلمة (رقم) في الإطار العددي، وعدم اعتيادهم عليها بعد. ولعله لجأ إلى تعبير (الصور التسع) لكونه يفصح عن طبيعتها أكثر من كلمة (رقم).

ومما يعزز هذا الظن أن بهاء الدين العاملي[٥] ذكر في كتابه الشهير (الكشكول): «ويقال: فضائل الهند ثلاثة: كليلة ودمنة، ولعبة الشطرنج، والتسعة أحرف التي تجمع أنواع الحساب». فقد استخدم تعبير «الأحرف» للدلالة على الأرقام، مع أنه رياضي، وعاش بعد جمشيد الكاشي بحوالي قرنين من الزمان. وقد يكون دافعه في هذا الاختيار هو أن هذه الصور (الأرقام) أضحت الحروف أو الأبجدية الجديدة التي تكتب بها الأعداد، بعد التخلي عن حساب الجُمَّل. وهذا يشير إلى عدم استقرار هذه التسمية حتى تلك الحقبة، على الرغم من مضي بضعة قرون على تبني الأرقام الهندية.

هذا ومن منظور لغوي بحت فقد يكون من الأصح استخدام كلمة «حرف» أو حتى «صورة» عوضاً عن «رقم» المتداول حالياً. وسبب ذلك أن الأعداد - كما أشرنا آنفا - كانت تدّون بالأحرف الأبجدية؛ ومن ثم لايوجد أي نقلة أو انزياح - من حيث التعبير تحديداً - عندما نبقى أمينين لما كان شائعاً. كذلك فإن الأعداد، التي هي في حقيقتها «مفردات» رياضية، تتطلب «حروفاً» رياضية للتعبير عنها. وهذا ينسجم مع وصفنا الشائع «لغة الأعداد»، بل ينبع منه. وبذلك تكون كلمة (الحروف) في هذا الإطار مجازاً، وهذا مايجيزه اللسان العربي. بينما كلمة (رقم) قد اقحمت في هذا الإطار دون الأخذ بعين الاعتبار مدى مواءمتها للنسيج الذي استعيرت له.

نُظُم العَدّ

ومما يجدر ذكره أن نظام العدّ المتداول حالياً هو النظام العشري. وسمي كذلك لأن أساسه عشرة، أي أنه يستخدم عشرة أرقام أو رموز

للتعبير عن أعداده، وأرقامه هي [٠، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩].

كما أن ثمة نظماً أخرى للعدّ، أشهرها نظام العد الثنائي، الذي أساسه اثنان، وهو المستخدم في الحاسوب (الكومبيوتر). وهو يستخدم فقط الرقمين [٠، ١] لتدوين أعداده. فالعدد سبعة وستون- على سبيل المثال- يكتب في النظام العشري (٦٧)، وفي النظام الثنائي (١٠٠٠٠١١). ومن الممكن أن تكون مجموعة الأرقام غير ذلك، وهذا يرتبط بنظام العدّ المعتبر.

ومما نلاحظه أن مجموعة الأرقام محدودة دوماً، فهي تنتهي عند الرقم ٩ في النظام العشري، بينما مجموعة الأعداد غير محدودة، لأنه مهما توغلنا في مجموعة الأعداد فإن هناك أعداداً أكبر. وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك فروقاً عديدة بين الأرقام والأعداد. منها، على سبيل الذكر لاالحصر، أن الأرقام أعداد صحيحة دوماً، بينما الأعداد قد تكون كسرية، أو ربما صمّاء (جذرية)، أو غير ذلك. ومن الممكن أيضاً إطلاق العدد على الرقم، بيد أن العكس غير صحيح.

بعض الأخطاء الشائعة

وعلى الرغم من بساطة هذه المعلومات من الوجهة الرياضية، حتى إن جلها لايتجاوز الرياضيات المدرسية، فإن هناك خلطاً كبيراً في استخدام هاتين الكلمتين. وهذا ولّد العديد من التعابير الشائعة، التي تحمل في طياتها بعض المفارقات اللغوية والرياضية. لذلك كان لابد من القيام بعملية التقويم هذه انطلاقاً من مقتضيات لغوية ورياضية في آن واحد. ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إنه لم يسلم من الوقوع في هذه الأخطاء حتى الخاصة من الناس. فقد تسمع أحدهم يتحدث في إحدى مقالاته عن «الرقم» الخيالي، الذي يدفع ثمناً لإحدى اللوحات الفنية، مع أن هذا «الرقم» يقدر بالملايين. وقد تقرأ لفيزيائي كبير حديثاً في مجلة علمية عن الميكانيك الكوانتي: (واستخدام هايزنبرغ

حساب المصفوفات.. والمصفوفة كائن رياضي يتألف من عدد من الأرقام)، والصحيح (يتألف من عدد من الأعداد).

وكثيراً مايرد في أخبار الرياضة أن أحد اللاعبين قد حطم (الرقم القياسي) في الجري، مثلاً. واستخدام كلمة «رقم» في هذا الموضوع يحمل الكثير من المغالطات. منها أن هذا (الرقم)، على الأغلب، من مرتبة العشرات أو المئات، وربما الألوف في بعض الألعاب؛ ومن ثم فقد أضحى عدداً. كذلك فإنه غالباً مايكون كسرياً، وهذا هو معظم حال النتائج في عالم السباقات، والأرقام في الرياضيات أعداد صحيحة، ويجب أن تبقى كذلك أينما وجدت. وأما من الناحية اللغوية فإن ماقمنا به هو عدّ الأمتار المقطوعة أو عدّ الزمن (قياسه) المستغرق، ومن ثم فالمصدر هنا العدّ. وبالتالي يجب أن يكون الناتج من طبيعة هذا المصدر. لذلك وجب أن نقول (حطم العدد القياسي). وثمة مقولة سياسية مفتوحة يلجأ إليها البعض في التأكيد على أهمية دور بعض الجماعات السياسية في ساحة معينة، أو الإيحاء بذلك. ونظراً لأهمية التعابير السياسية ودقتها، فإن ذلك يستلزم إمعان النظر في هذه المقولة. وهي: (إن التنظيم الفلاني هو الرقم الصعب في المعادلة الفلسطينية). والسؤال الآن: كيف استطعنا أن نجزم بأن هذه المعادلة تحوي أرقاماً، وليس أعداداً ؟. كذلك فإن قائل هذه العبارة يهدف من استخدامها إلى تعظيم دور ذلك التنظيم، بينما هو- في حقيقة الأمر- قد قام بتصغير قيمته المعنوية لصغر القيمة العددية للرقم. وذلك لأن مفهوم الرقم ومايوحي به من بساطة، يترك انطباعاً عند المتلقي يخالف ماتنشده المقولة، على الرغم من أنها تشير إلى أن أهمية ذلك التنظيم تكمن في صعوبة هذا (الرقم).

وقد يقول أحدهم: (إن رقم منزلي مائة وعشرون) ، ونلاحظ هنا التناقض بين طرفي الجملة التي تبدأ بكلمة «رقم» وتنتهي بعدد «مائة وعشرين»!. ومنشأ ذلك هو استخدام فعل «رَقَّم»، مع أن الناتج عدد. علماً بأن

الترقيم في اللغة – أساساً – لايحمل هذا المعنى، كذلك فإنه عار عن أي معنى رياضي. وقد سمي الناتج رقماً انسجاماً مع طبيعة المصدر المستخدم (الترقيم) على الرغم من تعارضه مع الحقائق الرياضية.

ما المخرج؟

ولحلّ هذا الإرباك اللغوي –الرياضي لابد من إعادة النظر في فعل «رَقَّم» على النحو السائد استخدامه فيه حالياً، مع الإبقاء على استخدام كلمتي «رقم» و «عدد» على النحو الرياضي المذكور آنفاً. ولتوضيح مشروعية ذلك لابد من اللجوء إلى بعض المعارف الرياضية البسيطة، التي ستساعد على توسيع معنى «عدّد».

يستخدم فعل «عدّد» في اللغة العربية للوصول إلى مايطلق عليه في الرياضيات العدد الأساسي (Cardinal number)[٦]، لأن العدد – لغوياً – هو مقدار ما يُعَدُّ ومَبْلَغُه. بيد أنه كان من الممكن أن نستخدم الفعل نفسه ليعني «الترتيب العددي»؛ أي لإعطاء الشيء المعتبر عدداً يستدل منه على موقع هذا الشيء ضمن نظرائه. وهو مايطلق عليه خطأ بالترقيم. وهذا العدد يسمى في الرياضيات العدد الترتيبي (Ordinal number)[٧]. ونتيجة لذلك سيكون لفعل «عَدَّدَ» معنيان، فنحصل في الحالة الأولى على أحد عناصر المجموعة (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ....)، بينما نحصل في الحالة الثانية على (الأول، الثاني، الثالث، الرابع، ....). وفي هذه الحالة غالباً مايعبر عن عناصرها بالطريقة الأولى نفسها. والمجموعة الأخيرة يطلق عليها خطأ الأرقام.

واستخدام «عَدَّدَ» بهاتين الطريقتين لاضير فيه من الناحيتين اللغوية أو الرياضية، لأننا في كلتا الحالتين نقوم بتعداد عناصر المجموعة موضوع الدراسة. والفرق أنه في الحالة الأولى، ونتيجة لهذه العملية، نكون قد حصلنا على عدد عناصرها الإجمالي، بينما في الحالة الثانية، وبعد إنجاز

المهمة، نكون قد أعطينا لكل عنصر عدداً للدلالة على موقعه بين عناصر المجموعة، أي أنه للحصول على العدد الترتيبي (الرقم) لكل عنصر من عناصر مجموعة، فإن ذلك يستلزم عدَّ تلك العناصر ضمن ترتيب معين، ومن ثم نقرن كل عنصربعدد. هذا وإن اعتبر البعض أننا بذلك نشحن هذه الكلمة بمعنى جديد، ومن ثم أضحت الكلمتان من المشترك اللفظي لاتحاد صورتهما واختلاف معناهما، فإن ذلك قد أجازه معظم اللغويين، فكيف إن كانت للعمليتين الروح نفسها.

لذلك من الأصح أن نقول: إن «العدد» الترتيبي لمنزلك هو مائة وعشرون. وبعد الاعتياد على هذا المفهوم يمكن أن يصبح: إن عدد منزلك هو كذا. وهذا يختلف عن قولنا: إن عدد منازلك كذا. والفرق بين الحالتين واضح للعيان.فالعدد، في الحالة الأولى، يشير إلى العدد الترتيبي لمنزلك؛ بينما يشير في الحالة الثانية إلى عدد المنازل التي بحوزتك، وهو عدد أساسي. وبالإضافة إلى أن سياق الكلام يفصح عن طبيعةالعدد إن كان ترتيبياً أو أساسياً، فإن هناك فرقاً بيّناً بينهما. وهو أن العدد الترتيبي يوافق المعدود من حيث كونه مفرداً أو جمعاً. فنقول: ماعدد منزلك؟ ، حين نسأل عن عدده الترتيبي. أو نقول: ماأعداد منازلك ؟،حين نسأل عن أعدادها الترتيبية، عندما يكون هناك أكثر من منزل. بينما يأتي العدد (الأساسي) مفرداً والمعدود جمعاً، حين نقول: ما عدد منازلك؟، أو كم عدد أولادك؟، أو ماعدد سكان مدينتك؟

والأمر نفسه ينسحب على (رقم الهاتف)، والأصح (عدد الهاتف)؛ وهو يختلف عن (عدد الهواتف)، الذي يشير إلى ماتملكه من هواتف. بينما (أعداد الهواتف) تشير إلى الأعداد الترتيبية (الأرقام) للهواتف. ولكن كان من الممكن أن نقول: (إن أرقام الهاتف هي كذا وكذا) وليس (رقم الهاتف)، لأن الجملة الأولى تعني مجموعة الأرقام التي يتألف منها عدد هذا

الهاتف. كذلك (رقم الملف) و (الرقم العسكري) و (الرقم الذاتي) وغير ذلك كثير.

دراسة مقارنة

ومن المفيد الاستعانة بإحدى اللغات العالمية، وهي اللغة الانكليزية؛ لنرى كيفية تعاملها مع «الرقم» و «العدد» في الإطار اللغوي. وعلى الرغم من عدم علاقة ذلك بموضوعنا مباشرة، فإنه يساعد في توضيحه.

لنأخذ كلمة (number) والتي تستخدم اسماً وفعلاً في آن واحد. وبالرجوع إلى قاموس (Longman) البريطاني نجدها (فعلاً):

Number (v): 1. To reach as a total.

(الترجمة) الوصول إلى المجموع (الكمّ) .

The books in the library number 5065.

مثال: إن الكتب في المكتبة تَعُدُّ ٥٠٦٥ .

2. To give a number to .

(الترجمة) أن تعطي عدداً لـ .

مثال: أعط الأسئلة عدداً (ترتيبياً)، أو: رَقِّم الأسئلة.Number the questions

وفي قاموس (Webster) الأمريكي نجدها (فعلاً):

Number (v): l. To determine the total number of ; count) .

(الترجمة) أن تحدد العدد الإجمالي لِـ ، أو أن تَعُدّ.

2. To assign a number to.

(الترجمة) أن تخصص عدداً لِـ (أي التّرقيم بالمعنى الشائع).

ونلاحظ مما سبق أن لفعل (number) معنيين في اللغة الانكليزية، فيفيد الأول العدّ في اللغة العربية، بينما يعني الثاني إعطاء عدد ترتيبي لِـ. وهذا ماننشده من توسيع معنى عَدَّد في اللغة العربية.

وأما معنى الكلمة عندما تكون اسماً، فهو في كلا القاموسين يعني (عَدَد) في اللغة العربية، وهذا يشمل الأرقام أيضاً. وهو في ذلك يوافق اللسان العربي.

بينما نجد في كلا المصدرين أن معنى كلمتي (numeral) و (digit)، اللتين تأتيان اسماً وصفة، هو (بعد الترجمة): نظام الرموز المستخدم في تمثيل الأعداد، سواء كانت رموزاً عربية أو رموزاً رومانية. ومن الأمثلة على ذلك (Telephone number) و (Room number) و (House number)، وهي تعني (عدد الهاتف) و (عدد الغرفة) و (عدد المنزل).

الأرقام والأعداد في القرآن

ومما يجدر ذكره أن القرآن الكريم لم يستخدم كلمة «رقم» بالمعنى المتعارف عليه حالياً، في حين أن هناك العشرات من الآيات التي تتضمن ذكراً للأعداد ولفعل التعداد. ومعظمها يتضمَّن أعداداً أساسية، كما في سورة (المائدة: ١٢) ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾، أو في سورة (آل عمران: ١٢٤) ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾. إلاّ أن ثمة بعض الآيات قد تضمنت عدداً أساسياً وعدداً ترتيبياً في آن واحد، بل أضافت العدد الترتيبي إلى العدد الأساسي. كما في سورة (المجادلة: ٧) ﴿مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم﴾، أو في سورة (الكهف: ٢٢) ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾.

كلمة أخيرة

صفوة الكلام أن منشأ هذا الخلط لدى البعض هو الاستخدام اللغوي غيرالمنضبط؛ وهذا خلاف مايجري في الإطار الرياضي، حيث

يخضع الاستخدام إلى قواعد صارمة تحول دون الوقوع في مثل هذا المطب. وبما أننا نتعامل مع كائنات رياضية، لذا فإن للرياضيات حقاً، بل عليها واجب، في أن تدلي بدلوها في هذا المقام: فالأعداد حيثما وجدت، وبغض النظر عن ماهية المعدود، خاضعة لامحالة لنصوص هذا العلم وضوابطه وهنا نستحضر قول الرياضي والفيلسوف الفرنسي هنري بوانكاريه (H. poincare´) (١٨٥٤ - ١٩١٢): (بأن الرياضيات لغة مبنية بناءً جيداً).

الحواشي

(١) مثال ذلك كتاب (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) للإمام جمال الدين بن هشام الأنصاري، وغيره من الكتب.

(٢) ولد في جرش في الأردن، وتوفي عام ١٣٥م. وترجم الكتاب ثابت بن قرّة (٢٢١ - ٢٨٨ هـ/ ٨٣٦ - ٩٠١م)، ونشره بعد تصحيحه الأب ولهلم كوتش. من منشورات المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٥٩).

(٣) ولد في الكرخ، وهي ضاحية من ضواحي بغداد، وتوفي فيها نحو ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م.

(٤) ولد الكاشي الملقب بغياث الدين في كاشان (إيران) في أواخر القرن الثامن الهجري، ويظن أنه توفي عام ٨٣٩هـ / ١٤٣٦م. حقق الكتاب الأستاذ نادر النابلسي، من منشورات وزارة التعليم العالي (دمشق ١٩٧٧).

(٥) ولد في بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣هـ / ١٥٤٧م، وتوفي في أصفهان (إيران) عام ١٠٣١هـ /١٦٢٢م، وله العديد من المؤلفات الرياضية.

(٦) وهو ماتشترك به المجموعات المتكافئة. ونقول عن مجموعتين إنهما متكافئتان إذا وجد تقابل (واحد إلى واحد) بينهما. أي - ببساطة - هو العدد الدال على عدد عناصر مجموعة دون أخذ الترتيب بعين الاعتبار. وأحياناً يطلق البعض عليه: رئيسي مجموعة.

(٧) وهو العدد الدال على الترتيب.

تعقيب على مقال الأستاذ محمود باكير
(الرقم والعدد بين اللغة والرياضيات)

الأستاذ جورج صدقني

لامِراء في أن الباحث الفاضل الأستاذ محمود باكير قد أحسن بيان الفارق بين «الرقم» و «العدد» في الرياضيات، وبذل جهداً طيباً ومحموداً في سبيل ذلك بالرجوع إلى كتب التراث وإلى الكتب الحديثة في هذا العلم. ولاريب في أن بحثه ينطوي على معلومات مفيدة وملاحظات صائبة على هذا الصعيد، وإن كان قد اكتفى بالإشارة إشارة سريعة إلى بعض المعلومات الطريفة التي أوردها، كما فعل عندما ذكر نظام العدّ الثنائي المستخدم في الحاسوب، فليته أسهب قليلاً في شرح هذا النظام، حتى لايبقى سراً مغلقاً على بعض القراء ممّن لايعرفون شيئاً عنه من قبل .

غير أن البحث، على مافيه من فائدة، قد أثار في ذهني الملاحظات التالية:

أ - لقد بيّن الباحث الكريم الفرق القائم بين معنى «العدد» ومعنى «الرقم» في مجال العلوم الرياضية على خير وجه. غير أنه بعد ذلك كاد يخلط بين الرياضيات واللغة، أو، بكلمة أدق، بين لغة الرياضيات الخاصة ولغة الكلام العامة، فكأنه يريد أن يفرض لغة الرياضيات على اللغة بوجه عام. ولايخفى أن هذا لايكون، فضلاً عن أنه غير ذي جدوى.

إن الرياضيات علم من «العلوم الدقيقة»، بل هي مثال هذه العلوم وأولها، وهي تقوم، كسائر العلوم، على مصطلحات تستقيها من اللغة، وتضع لكل مصطلح منها حداً (أو تعريفاً) دقيقاً، ثم يكون على كل باحث في هذا العلم أن يتقيد بالتعريفات الموضوعة تقيداً صارماً، فلا يخرج عنها قيد شعرة.

أما اللغة بوجه العموم فليست كذلك، ذلك أنها لاتخلو من المجاز. ولعل هذا المجاز هو الذي يجعلها قادرة على التعبير بكلماتها (التي يظل عددها محدوداً مهما بلغت) عن معانٍ تفوقها عدداً، معانٍ لاتعدُّ ولا تحصى، لأنها - بلغة الرياضيات - تبلغ «اللانهاية».

لامجاز في الرياضيات البتة. أما اللغة فلا غنى لها عن المجاز، فلو استغنت عنه لما كان الشعر كله، ولما قامت له قائمة. فهل نرفض الشعر، أو نقول إنه يخطئ التعبير، لأنه يستخدم المجاز، أولا يتقيّد بلغة الرياضيات؟

وعلى هذا ليس كل خطأ في الرياضيات، بمقياس الحدود (أو التعريفات) الرياضية، خطأً في اللغة، أو خطأً في أساليب التعبير. فلا يمكن أن تكون لغة الرياضيات قيداً على ألسنة الناس في الكلام، أو على أقلامهم في الكتابة، لأن لغة الرياضيات لغة خاصة لاتتطابق دائماً مع لغة الحديث والكتابة. إن «النقطة» في الهندسة الأقليدية تدل على معنى محدَّد ودقيق، أما «النقطة»، في أساليب التعبير اللغوي بوجه عام، فقد تعني، إلى جانب ذلك نقطة فوق الحرف أو تحته، وقد تعني قطرة من الماء، أو غيره من السوائل، وقد تعني معاني أخرى. وفضلاً عن ذلك فان لغة الهندسة الأقليدية (أو مصطلحاتها) لاتتطابق مع المصطلحات في هندسات أخرى، كهندسة (ريمان) أو هندسة (لوباتشوفسكي)، فما هو صحيح في لغة إحدى هذه الهندسات قد لايكون صحيحاً بلغة هندسة أخرى.

لهذا كله فاننا لانجد ضيراً على أي باحث اجتماعي أو اقتصادي، على سبيل المثال، في أن يقول: «تعاني شعوب العالم الثالث من مثلث الفقر والجهل والمرض» ، وإن لم يكن «المثلث» هنا يدل على مثلث قائم الزاوية، أو على مثلث متساوي الساقين، ولايتطابق مع تعريف المثلث في هندسة أقليدس.

ب – ثم إن الأستاذ باكير يسير على نهج يوحي بأنه يظن بأن ماهو صالح في اللغة الإنجليزية صالح أيضاً في اللغة العربية. ولعل هذا الوهم ناجم عن علمه الصحيح بأن ماهو صحيح في الرياضيات في بلد من البلدان لابد أن يكون صحيحاً في سائر أنحاء العالم. وغاب عن بال الباحث الكريم أن لكل لغة روحاً متميّزة ونهجاً مختلفاً وعبقرية خاصة. فقواعد اللغة الإنجليزية لايمكن فرضها على العربية. وعلى سبيل المثال فإن الكلمتين اللتين تدلان بالانجليزية على معنى (ثلاثة) و (ثالث) توصفان كلاهما في قواعد تلك اللغة بأنهما «عدد»، وكذلك في قواعد اللغات اللاتينية عموماً. أما في قواعد اللغة العربية فالأمر مختلف، ذلك أن (ثلاثة) في العربية اسم يدل على عدد، أما (ثالث) فكلمة تدل على «صفة»، تجري عليها أحكام الصفات في الإعراب

· صحيح أن بوسعنا أن ننقل المعاني من لغة إلى أخرى بالترجمة، ولكن الترجمة الجيدة هي الترجمة التي تعبّر عن المعنى الأصلي بروح اللغة التي نترجم إليها، لابروح اللغة التي نترجم منها. وفي سبيل مزيد من إيضاح هذه الفكرة أعود إلى بعض الأمثلة التي ترجمها الباحث الكريم من الانجليزية بعنوان (دراسة مقارنة)، فأقول: كان حق الأستاذ الفاضل أن يقول: «بلغ مبلغ كذا (في الكم)» بدلاً من قوله: «الوصول إلى المجموع»، وكذلك أن يقول: «أعطى رقماً لِـ» بدلاً من «أن تعطي عدداً لِـ»، وكان أولى به في ترجمة المثال في السطر التالي أن يكتفي بقوله: «رَقِّم الأسئلة»، ويحذف

قوله: «أعطِ الأسئلة عدداً (ترتيبياً).

ولا تقتصر الفروق بين اللغات على ماذكر. فالانتقال من المعنى المادي (الحقيقي) إلى المعنى المجازي يختلف أيضاً من لغة إلى أخرى. وعلى سبيل المثال، فان كلمة (Digit) الإنجليزية قد انتقلت من المعنى المادي أو الحقيقي (إصبع) إلى المعنى المجازي، فصارت تدل على (العدد) أيضاً. وليس عسيراً على المرء أن يدرك كيف انتقل الذهن الإنجليزي من أداة العدّ (الإصبع) إلى العدد نفسه، فصارت الكلمة نفسها تدل على المعنيين كليهما. غير أن هذا النهج الذي سارت عليه الإنجليزية في تطور معنى كلمة (Digit)، لايمكن أن نفرضه على الكلمات المقابلة في سائر اللغات. فليس بوسعنا أن نحمّل كلمة (إصبع) العربية معنى (العدد)علاوة على معناها الأصلي، بذريعة أن الكلمة الإنجليزية قد سلكت هذا السبيل، وإن كان بوسعنا أن نحمّل كلمة (إصبع) مجازاً معنى (المقدار الضئيل)، كقول الشاعر:

لم تزل ليلى بعيني طفلة لم تزد عن أمسِ إلا إصبعا

إن اللغة الفرنسية أقرب من العربية إلى الإنجليزية، مع ذلك فان كلمة (Doigt)، وهي المقابل الفرنسي لكلمة (Digit)، ظلّت، كمثل كلمة (إصبع) العربية، لاتدل على معنى العدد، لكنها استخدمت مجازاً على نحو آخر، فصارت تدل على معنى (الإرادة)، أو (المشيئة)، فإذا قيل بالفرنسية (Doigt de Dieu)، وجب أن يبتعد الفهم عن المعنى المادي الحقيقي (إصبع)، فينصرف إلى المعنى المجازي، وهو هنا «إرادة الله»، أو «مشيئة الله».

أما العربية فقد انتهجت نهجاً آخر للتعبير المجازي عن مثل هذا المعنى، فانصرفت عن (إصبع) واستعملت كلمة (يد) بدلاً منها، فإذا قيل بالعربية: «يد الله مع الجماعة»، أو «يد الله فوق أيديهم»، انصرف فهم القارئ أو

السامع إلى معنى «القدرة» أو «القوة»، أو «العون»، ولم يخطر معنى (يد) المادي في باله لحظة واحدة.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، وجب أن نشير إلى أن لكلمة (يد) في العربية معنى مجازياً آخر، فهي قد تعني الحسنة أو المكرمة أو الفضل. تقول: «لن أنسى لك هذه اليد»، أي هذا الفضل، وقد تستخدم بالجمع، كأن تقول: «فلان له أيادٍ بيضاء...» دون أن تلقي بالاً إلى الحقيقة «الرياضية» التي لاتخفى على أحد، والتي تقرر بحقّ أنه ليس للإنسان سوى يدين اثنتين.

ج – ينطلق الباحث في بحثه من فكرة أساسية فحواها أن معنى كلمة (رقم) المتداول حالياً في العربية معنى مولّد، ويبني على هذه الفكرة رأيه في ضرورة العودة إلى استخدام كلمة (حرف)، أو (صورة) بدلاً منها. ثم يميّز بين معنى (الرقم) ومعنى (العدد) في الرياضيات، ويرى، بناء على هذا، أن نستبدل كلمة (عدد) بكلمة (رقم) في مجالات كثيرة من لغتنا اليومية، فنقول (عدد الهاتف) و (عدد الغرفة) و (عدد المنزل) بدلاً من (رقم الهاتف) و (رقم الغرفة) و (رقم المنزل).

وفي رأيي المتواضع أن هذه الاقتراحات غير مناسبة، لأنها، بدلاً من أن تحلّ مشكلة «مفترضة»، تخلق مشكلات جسيمة. إن كلمة (رقم) المتداولة حالياً تتمتع بقوة عظيمة نابعة من الاستعمال اليومي، وقوة الاستعمال عظيمة لا تكاد تقاوَم. زد على ذلك أن الفرنسية تحذو حذو العربية في هذا المجال، فتستعمل كلة (Numéro) ولا تستعمل كلمة (Nombre)، خلافاً للإنجليزية. ثم إن الأرقام هي: «نظام الرموز المستخدم في تمثيل الأعداد، سواء كانت رموزاً عربية أو رموزاً رومانية» كما ذكر الباحث نفسه، في دراسته المقارنة. وعلى هذا فاننا نرى أن استخدام كلمة (رقم)، في مثل المجالات التي ذكرناها، استخدام جائز، نعبّر به مجازاً بوضع الرمز محل المرموز إليه، على

غرار مانعبّربالكناية، أو بالجزء عن الكل ، أوبالكل عن الجزء، أوما إلى ذلك.

أما دعوة الباحث الكريم إلى «توسيع» معنى فعل (عَدَّد) في اللغة العربية ليشمل العدد الترتيبي علاوة على العدد الأساسي ، فهي دعوة لاأجد حاجة إليها، ولاسيما أن فعل (رَقَّم) قد «توسع» معناه منذ وقت طويل، فصار من بين معانيه (وضع رقماً لـِ ، أو أعطاه رقماً)، و «توسع» بالتالي معنى كلمة (رَقَم) فصار يشمل معنى «العدد الترتيبي» .

إن استخدام كلمة (رقم)، كما هو متداول حالياً، لايثير مشكلة في التفاهم بين الناس، فاذا قال قائل: «رقم هاتفي ٧١٢٧ ٥»، أو قال: «حطّم فلان الرقم القياسي»، فهم السامع أو القارئ المعنى الذي قصد إليه القائل بالضبط، دون زيادة ولا نقصان، فلا القائل كان يريد «المغالطة»، على حد تعبير الباحث الكريم، ولا السامع أو القارئ انحرف عن المعنى الذي عناه القائل.

زبدة القول إننا نرى أن استخدام الناس كلمة (رقم)، كما هو متداول حالياً في كلامهم اليومي، جائز، ولا جناح على أحدٍ في ذلك.

ظاهرة «الالتفات»

في

كشاف الزمخشري

الدكتور تامر سلوم يوسف سلوم

يلخص لنا الزمخشري (في الكشاف) عمله في الالتفات بمثال واحد يرسم فيه الدائرة التي تتوزع حديثه في هذه الظاهرة بكل ألوانها وأبعادها. يقول في قوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين* إياك نعبد وإياك نستعين﴾: «فإن قلتَ: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلتُ: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى ﴿حتى إذا كنتم في الفلكِ وجرين بهم﴾ وقوله تعالى ﴿والله الذي أرسَل الرياحَ فتثير سَحَابا فسقناه﴾ وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخليُّ ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود

وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد.

ومما اختص به هذا الموضوع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ،حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يامن هذه صفاته نخصٌ بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقٌ العبادة إلا به»[1] .

١ ـ ألوان الالتفات:

أ ـ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

من ذلك مايقول في الآية: ﴿ وإذ نادى ربُك موسى أن ائت القوم الظالمين *قوم فرعون ألا يتقون﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٠ ـ ١١]: « وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية وحرّ مزاجه وحميَ غضبه قطع مباثَّةَ صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له: ألا تتقي الله؟ ألا تستحي من الناس؟ فإن قلت: فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟ قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم، لأنه مبلغه ومُنهيه وناشره بين الناس، وله

(١) الكشاف ٦٢/١ ـ ٦٥.

فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أُنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها»[1].

ب ـ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

من ذلك ما جاء في الآية الكريمة: ﴿هو الذي يُسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحيطَ بهم﴾ [سورة يونس، الآية ٢٢] يقول: « فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح»[2].

جـ ـ الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

من ذلك ما جاء في الآية ﴿آلله خير أما يشركون* أمن خَلق السموات والأرضَ وأنزلَ لكُم من السماء ماء فأنبتنا بهِ حدائِق ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإلهٌ مع الله بل هم قوم يعدِلون﴾ [سورة النمل، الآية٥٩ـ٦٠] يقول: «فإن قلت: أيّ نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: فأنبتنا؟

قلت: تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده.»[3].

(١) الكشاف ٣/١٠٦/ ومن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ماجاء في الكشاف ١/٢٢٤/ ٣٥٥/ والكشاف ٢/١٤٨/، والكشاف ٣/٧٣/٢٧٢/.

(٢) الكشاف ٢/٢٣١/ ومن ذلك ما جاء في الكشاف ١/ ٣٢٨/ ٥٣٨/ والكشاف ٢/٢٢٤/ ٥٨٣/ والكشاف ٣/٥٣/ ٢٢٤/ ٢٦٨/.

(٣) الكشاف ٣/١٥٥/. ومن الالتفات من الغيبة إلى التكلم ما جاء في الكشاف ٢/٤١٣/ ٤٣٧/ ٥٢٦/ ٥٤٠/ والكشاف ٣/٣٠٢.

فكرة الاختصاص، أو لنقل تحديد الفاعل، هي الفكرة الأساسية التي يراها الزمخشري هنا في هذه الظاهرة اللغوية. وهي فكرة ساعد السياق على لفت الانتباه إليها. فالنص مصبوغ بهذه التساؤلات التي تجعل المتلقي في حالة يقظة مستمرة وتجدد دائم ﴿آلله خير ـ أما يشركون ـ أمن خلق﴾.

وصيغة الغيبة تحمل دائماً هذا الشمول والاتساع الذي نفتقده في صيغة التكلم أو الخطاب، ومن هنا كانت صيغة الغيبة تتلاءم مع هذا التساؤل الذي يرمي إلى إخراج المعنى من إسار التحدد أو من وحدة الجهة ـ وفجأة يكون التعبير بصيغة التكلم ـ أنبتنا ـ فنجد أنفسنا داخل دائرة محددة مغلقة أو أمام جهة واحدة لا نرى فيها أي أثر للاحتمالات الأخرى التي كانت صيغة الغيبة تشير إليها.

د ـ الالتفات من المتكلم إلى الغيبة:

ومن ذلك ما جاء في الآية: ﴿طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى* إلا تذكرة لِمَنْ يَخْشَى* تنزيلاً مِمَّن خلق الأرض والسموات العُلى﴾ [سورة طه، الآية: ١ ـ ٤] يقول: «فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة، منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنه قال أولاً أنزلنا فـفخم بالاسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين»[1].

هـ ـ الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

من ذلك الآية ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليهِ تُرجَعُون﴾ [سورة يس،

(١) الكشاف ٥٢٩/٢/ ومن ذلك ما جاء في العدول عن المضمر إلى الاسم الظاهر في الآية ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾. (الكشاف ١٢٣/٢/.).

الآية: ٢٢] يقول: «ولقد وضع قوله ـ ومالي لا أعبد الذي فطرني ـ مكان قوله: وما لكم لاتعبدون الذي فطركم، ألا ترى إلى قوله ـ وإليه ترجعون ـ ولو لا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع»(١).

و ـ الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

من ذلك ما جاء في الآية: ﴿وكَذبوا بآياتنا كِذاباً وكلّ شيءٍ أحصيناه كتاباً فذُوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ يقول: «وقوله ـ فذوقوا ـ مسبب عن كفرهم بالحساب، وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدة، وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لايدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهداً على أن الغضب قد تبالغ. وعن النبي ﷺ: هذه الآية أشدُّ ما في القرآن على أهل النار»(٢).

الزمخشري هنا لا يحدد لون الالتفات، لأن الجو الانفعالي المثير الذي يلون الآية لم يسمح له بهذا التحليل المنطقي، لكننا نلمح هذا الالتفات من الخطاب ـ فذوقوا ـ إلى التكلم ـ فلن نزيدكم ـ بكل يسرٍ وقرب.

ومما يلفت الانتباه أنّ الزمخشري يقف عند بعض الدلالات الأخرى التي يحملها السياق أو يقف على التفاعل بين هذه الدلالات. فدلالة ـ لن ـ والالتفات تضفي، على معنى الغضب والشدة التي تشير إليها جملة ـ فذوقوا، بعداً أبعد وأعمق. وهو يصدر في هذه الآية عن إيمان المعتزلة بالوعيد المرتبط بحرية الإرادة الإنسانية وبمبدأ العدالة الإلهية، ولهذا نراه في هذه الآية يستخدم ثقافته اللغوية والدينية في تصوير هذا المبدأ الأساس من مبادئ المعتزلة.

---

(١) الكشاف ٣/٣١٩/.

(٢) الكشاف ٤/٢١٠/.

٢ ـ البعد الجمالي للالتفات:

الالتفات عند الزمخشري طريقة من طرق البلاغة[١] ومزية من مزاياها[٢] وهو يعطي للكلام حسناً وروعة لما فيه من التلون والافتنان[٣] وقد أشار الزمخشري إلى أن مواقعه تختص بفوائد[٤] فما هي هذه الفوائد التي يختصها الالتفات؟ أو لنقل بتعبير آخر ماهي الأبعاد الفنية والجمالية التي أشار إليها الالتفات وكيف نفسرها؟.

أول مايلفت الانتباه قول الزمخشري: «إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»[٥]. وفي موقع آخر يقول عنه إنه «فن من الكلام جزل فيه هزّ وتحريك من السامع، ......وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع، ويستهشُّ الأنفسَ للقبول[٦]».

وهذا يعني أن الالتفات ـ كما يراه الزمخشري ـ يأتي مراعاة لأحوال المتلقي (السامع) النفسية، وتخليص الكلام من الرتابة التي تبعث على

(١) الكشاف ٢/٤٣٧/.

(٢) الكشاف ٢/١٢٣/.

(٣) الكشاف ٢/٥٢٨/٥٤٠/.

(٤) الكشاف ١/٦٢ ـ ٦٤

(٥) الكشاف ١/٦٤.

(٦) الكشاف ١/ ٢٢٤/.

الملل في نفس السامع. وقد أنكر ابن الأثير[١] في المثل السائر على الزمخشري هذا القصور على حين لم يتعد يحيى العلوي في كتابه الطراز هذه الحدود التي رأى فيها مبتغاه ومقصده[٢].

والتعبير بالالتفات ـ في موقع آخر ـ لأنه أبلغ في الصفة التي يتلون بها

(١) جاء في المثل السائر: «وقال الزمخشري رحمه الله ان الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه وليس الأمر كما ذكره لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل إلي غيره ليجد نشاطاً للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له لأنه لو كان حسناً لما ملّ، ولو سلمنا إلى الزمخشري ماذهب إليه لكان إنما يوجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه لا قصداً لاستعمال الأحسن وعلى هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعمل فيه جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا هذا ليس بحسن إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب، وهذا قول فيه مافيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته: فن الفصاحة والبلاغة، والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها». (المثل السائر /٢٥٥/).

(٢) جاء في الطراز: «وإنما أراد ـ الزمخشري ـ تحصيل الايقاظ وازدياد النشاط بذكر الالتفات، وهذا حاصل في الكلام سواء كان طويلاً أو قصيراً فإذن لا وجه لكلام ابن الأثير على ما قصده الزمخشري وانتحاه، ومن العجب أنه شنع فيما أورده على الزمخشري وقال: كيف ذهب عنه معرفته مع إحاطته بفن البلاغة والفصاحة، ومادرى أن ما قاله خير مما أتى به ابن الأثير، فإن ما أراده الزمخشري معنى يليق بالبلاغة ويزيدها قوة، وما ذكره ابن الأثير رد إلى عماية وقول ليس له حاصل، ولايدرك له نهاية، وما عابه إلا لأنه لم يطلع على أغواره ولا أحاط بكنهه ودقيق أسراره». (الطراز ٢/١٣٤/ ١٣٥).

السياق كالانكار[١] والوعيد[٢] والترهيب[٣] والشدة[٤] أو التشديد[٥] والتبكيت[٦].

وفي مواقع أخرى يفيد النداء على الضلال[٧] والتوبيخ[٨] أو التقبيح[٩] والتفخيم[١٠] أو المدح[١١] أو التكرمة[١٢] والاختصاص[١٣].

---

(١) الكشاف ٢/١٣١/.

(٢) الكشاف ١/٤٨٤/.

(٣) الكشاف ٢/٤١٣/.

(٤) الكشاف ٤/٢١٠/.

(٥) الكشاف ٣/٢٧٢/.

(٦) الكشاف ٣/٧٣/.

(٧) الكشاف ١/٣٢٨/.

(٨) الكشاف ٣/٥٣/.

(٩) الكشاف ٢/٥٨٣/.

(١٠) الكشاف ١/٥٣٨/ والكشاف ٢/٥٢٨/.

(١١) الكشاف ٣/٢٢٤/.

(١٢) الكشاف ٣/٢٦٨/.

(١٣) الكشاف ٣/١٥٥/ والكشاف ٣/٣٠٢/.

منصب
«شيخ الإسلام» و «رئيس العلماء»
في بلاد البوسنة

د. محمد م. الأرناؤوط

شهد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، الذي يوصف عادة بأنه القرن الذهبي للحضارة الإسلامية، ازدهار الفقه الإسلامي وبروز عدد كبير من العلماء الذين أطلقت عليهم ألقاب كثيرة تدل على مكانتهم في الفقه والمجتمع الإسلامي كـ «عماد الإسلام» و «زين الإسلام» و «ركن الإسلام» و «حجة الإسلام» و «برهان الإسلام» الخ. وفي منتصف هذا القرن برز لقب جديد هو «شيخ الإسلام»، الذي أطلق لأول مرة على أبي نصر القاضي[١]، ثم أخذ يطلق على كثير من العلماء الذين أصدروا فتاوى مهمة أو حلّوا مسائل شائكة[٢]. إلا أن هذا اللقب تحول فيما بعد إلى منصب مهم في دولة إسلامية لاحقة (الدولة العثمانية). حيث أصبحت شخصية «شيخ الإسلام» تمثل مؤسسة رفيعة من مؤسسات الدولة[٣].

وكما كان ظهور اللقب مقترنا بالإفتاء فقد ارتبط المنصب الجديد في الدولة العثمانية بالإفتاء أيضاً. ففي القرن الأول للدولة العثمانية (القرن ١٤) كان في كل مدينة كبيرة مفتٍ معيّن، يأتي من حيث المرتبة بعد القاضي، وكان يقتصر عمله على إصدار الفتاوى في الأمور التي تُعرض عليه. وحين

تولى السلطان مراد الثاني الحكم (١٤٢١-١٤٥١)، بعد فترة من البلبلة الدينية والسياسية، أدرك أهمية وجود شخصية مرجعية دينية على مستوى الدولة فعيّن عام ١٤٢٤ محمد شمس الدين الفناري (١٣٥٠-١٤٣١) في منصب المفتي الأكبر[٤]. ومع أن السلطان محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١) أطلق في القانون نامه التي أصدرها لأول مرة لقب «شيخ الإسلام» و «رئيس العلماء» على صاحب هذا المنصب (المفتي الأكبر)، وحدد مكانته في البروتوكول العثماني[٥]، إلا أن التطور الأهم حصل في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) الذي عهد للمفتي الأكبر بصلاحية تعيين وإقالة العلماء وأصبح هذا الاختصاص ينسجم في الواقع مع لقبه كـ «رئيس للعلماء[٦]». وعلى الرغم من هذا التطور فقد ظلّ لقب «المفتي» أو «المفتي الأكبر» هو الأكثر تداولاً في الوثائق والمصادر العثمانية والعربية حتى نهاية القرن السابع عشر[٧]، بينما أصبح لقب «شيخ الإسلام» يطغى في الاستعمال خلال القرن الثامن عشر. أما في القرن التاسع عشر فسوف يعود لقب «رئيس العلماء» ليطلق على شخصية مماثلة في منطقة خرجت لتوها من كيان الدولة العثمانية وهي (البوسنة).ومن المثير أن بروز الألقاب الجليلة، بما في ذلك لقب «الخليفة» في نهاية القرن ١٨، كان يستر عجزاً متزايداً في الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري للدولة العثمانية[٨].

وهكذا بعد نشوب الحرب الروسية ـ العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، وتوقيع «معاهدة سان ستيفانو» المذلة في ضاحية استنبول (٣آذار١٨٧٨) التي حققت فيها روسيا القيصرية امتداداً مهماً لنفوذها في شبه جزيرة البلقان، تعرّض الوجود الإسلامي هناك إلى انحسار كبير نتيجة للمآسي التي رافقت هذه التطورات[٩]. إلا أن هذه المعاهدة أقلقت إمبراطورية النمسا ـ هنغاريا، التي كانت مستعدة حتى لخوض حرب من أجل تحجيم هذه المعاهدة، لأنها

شعرت أن مصالحها الحيوية في البلقان بشكل عام، وفي البوسنة بشكل خاص بدت مهدّدة. فقد كانت فيينا تطمح وتسعى إلى ضم البوسنة المجاورة منذ النصف الأول للقرن السابع عشر، وحاولت أن تسيطر عليها عدة مرات (١٦٩٧، ١٧٣٧ و ١٧٨٨ - ١٧٩١) بقوة السلاح. ثم توصلت أخيراً إلى عقد معاهدة سرية مع روسيا (١٥ كانون الثاني ١٨٧٧) تلتزم فيها بالوقوف على الحياد في حال اندلاع حرب روسية ـ عثمانية مقابل أن تحصل على حق اختيار الزمان والأسلوب المناسبين لاحتلال البوسنة[١٠]. ومن هنا فقد شعرت فيينا بالإحباط لأن «معاهدة سان ستيفانو» نصّت في بندها الرابع عشر على تطبيق نوع من الحكم الذاتي في البوسنة[١١]، الأمر الذي يعني إبعادها عن الإحتلال النمساوي.

وفي هذا الوضع المشحون بالتوتر بين القوى الكبرى، حصلت فيينا على دعم من ألمانيا وإنكلترة، وتمت الدعوة إلى «مؤتمر برلين» (١٣ حزيران ١٨٧٨). وفي الجلسة الثامنة لهذا المؤتمر (٢٨ حزيران ١٨٧٨)، أثيرت مسألة البند (١٤) من «معاهدة سان ستيفانو»، وتقدم الوفد الإنكليزي باقتراح يتضمن تفويض النمسا ـ هنغاريا بإدارة البوسنة. وقد وافقت الوفود الأخرى على هذا الاقتراح، كتسوية للخلاف. غير ان الوفد العثماني رفض هذا الاقتراح ـ الاحتلال ذهاباً منه إلى أن «المسلمين في البوسنة يطالبون بإصرار أن يبقوا تحت الحكم العثماني»[١٢]. ومع أن الوفد العثماني ألمح من خلال تصريح له في ٤ تموز ١٨٧٨ بسحب معارضته للاقتراح إلا أنه في يوم التوقيع على المعاهدة (١٣ تموز) تمكن من أن ينتزع بيانا مكتوبا من الوفد النمساوي ـ الهنغاري ينصّ على أن «الحقوق السياسية لجلالة السلطان في ولاية البوسنة والهرسك لن تتعرض إلى أي مسّ بفعل الاحتلال... وأن الاحتلال سيعتبر مؤقتاً»[١٣].

ومع أن استنبول رأت أنها بهذا البيان توصلت إلى أكثر مماكانت تسمح به الظروف، وسحبت إثر ذلك قواتها من البوسنة، إلا أن المسلمين هناك رفضوا الإستسلام للقرار الدولي وعمدوا في ٢٧ تموز ١٨٧٨ إلى اختيار حكومة محلية في سيرايفو تمثلهم عوضاً عن الإدارة العثمانية، وتنظم مقاومتهم للاحتلال المنتظر. وبالفعل فقد واجهت القوات النمساوية – الهنغارية منذ اختراقها لحدود البوسنة مقاومة مستميتة من المسلمين، على الرغم من أن جيش الاحتلال قد أعلن في لحظة اختراقه تلك الحدود أنه قادم بموافقة السلطان – الخليفة. ولم تتمكن قوات الاحتلال من إخماد هذه المقاومة إلا بعد أكثر من شهرين تكبدت فيها عدة آلاف من القتلى والجرحى[١٤]. وفي الواقع كان هذا الاحتلال يفوق تصور المسلمين الذين اعتادوا خلال عدة قرون على العيش داخل الدولة العثمانية، ولذلك لم يستطيعوا أن يتحملوا تخلي الدولة العثمانية عنهم ولا أن يتصوروا خضوعهم لـ «دولة كافرة»، ولذلك فضّل بعض كبار السن ألا يخرجوا من بيوتهم أبداً[١٥].

وفي الحقيقة كانت هذه المقاومة الضارية التي أبداها المسلمون مفاجأة لفيينا التي لم تكن ترغب في استعداء المسلمين في البوسنة ولا حتى في المناطق المجاورة لأسباب تتعلق بمصالحها البعيدة، ولذلك سارعت إلى الاتصال باستنبول لعقد معاهدة جديدة بين الطرفين «تغطي» الاحتلال وتنظم الوضع الجديد. كذلك فإن استنبول فوجئت بالمقاومة العنيفة التي أبداها المسلمون في البوسنة، ورأت فيها فرصة تخدم مصالحها لكي تطالب بشروط جديدة تظهر فيها عدم تخليها عنهم في تلك البلاد. وهكذا استمرت المراسلات والمفاوضات عدة شهور بين الطرفين إلى أن توجت في ٢١ نيسان ١٨٧٩ بـ «معاهدة استنبول». وقد تضمنت مقدمة المعاهدة ماكانت تطالب به استنبول من أن «هذا الاحتلال لايمسّ الحقوق السيادية للسلطان على

البوسنة»، بينما لم يرد ذكر للطابع المؤقت للاحتلال. أما البند(٢) فقد نصّ بشكل عام على الحرية الدينية لسكان البوسنة، واعترف بصراحة بحق المسلمين بالحفاظ على صلتهم الروحية بالمرجع الديني في استنبول (شيخ الإسلام)، وبذكر اسم السلطان – الخليفة في خطبة الجمعة[١٦].

وهكذا يمكن القول إن هذه المعاهدة، بما تضمنته من «حلول وسط» و «تنازلات» متبادلة، كانت تبدو في صالح كل طرف حين التوقيع عليها. إلا أن كل طرف أخذ يسعى منذ البداية إلى تجيير الوضع على الأرض إلى صالحه، وليس على الورق فقط. وبعبارة أخرى كانت فيينا ترى أنه من مصلحتها للمستقبل كسب ود المسلمين وفك الإرتباط الديني بينهم وبين استنبول على الرغم مما ورد في البند (٢) من المعاهدة. والمدهش ان هذا التوجه كان متبلوراً حتى في ذهن الجنرال يوسيب فيليبوفيتش V.Filipiović الذي قاد القوات النمساوية – الهنغارية لاحتلال البوسنة، إذ إنه أسرّ لأحد المقربين (الأب غ. مارتيتش G. Martić) أنه يفضل بالنسبة للمسلمين أن «يكون لهم زعيمهم في البوسنة عوضاً عن شيخ الإسلام في استنبول»[١٧]، ومع أن فيليبوفيتش قد عزل من منصبه في أواخر تشرين الأول ١٨٧٨ كبادرة ودية من فيينا لامتصاص نقمة المسلمين، نظراً للسمعة السيئة التي اكتسبها هذا القائد في تحطيم المقاومة القوية للمسلمين، إلا أن هذا التوجه استمر بشكل أوضح في عهد خلفه الأمير فورتمبرغ Württemberg، الذي اعتمد بدوره على الأب مارتيتش نفسه.

وقد أخذ مارتيتش على عاتقه أن يشجع بعض أعيان المسلمين في سراييفو على توقيع عريضة يعبرون فيها عن ولائهم للإدارة الجديدة (النمساوية – الهنغارية) في البوسنة. وبالفعل فقد تمكن من جمع ثمانية وخمسين توقيعاً من أعيان المسلمين في سرايبفو على العريضة المقترحة[١٨].

وبذلك فتح الطريق أمام تيار يرغب في التعاون. وقد رُئي أنه من المناسب اختيار رئيس ديني محلي يمثل المسلمين في البوسنة ويكون مقره في سرايفو، لكيلا يشعر المسلمون هناك أنهم في حاجة إلى أن يتطلعوا إلى مرجع ديني آخر (شيخ الإسلام) في بلد آخر (استنبول). وهكذا اقترح نائب الحاكم الإداري للبوسنة س. يوفانوفيتش S. Jovanović على فيينا أن تختار واحداً من اثنين للمنصب المقترح وهما: مصطفى بك فاضل باشيتش M. Fadilpasić رئيس بلدية سرايفو أو الحاج مصطفى حلمي عمروفيتش M. Omerović مفتي سرايفو(١٩).

ويبدو أن استنبول كانت تشعر بشيء مما تعدّه فيينا، لذلك أخذت تعمل في الاتجاه المعاكس – أي على تمتين الارتباط بين المسلمين في البوسنة وبينها، وقد أعلنت بشكل مفاجئ في ١٨ حزيران ١٨٨٠ عن تعيين السلطان لقاضي العسكر السابق أحمد شكري أفندي مفتياً للبوسنة. ويُلاحظ أن هذا المنصب (مفتي البوسنة) لم يكن موجوداً خلال الحكم العثماني لهذا الإقليم، لأنه كان لكل مدينة كبيرة من مدن البوسنة (سرايفو، موستار، ترافنيك الخ) مفتٍ خاص بها على غرار ماهو جار في المناطق الأخرى للدولة العثمانية(٢٠). ولم ترحب فيينا بقدوم هذا الشخص المعيّن (أحمد شكري) للمنصب المستحدث وادّعت بأنه عهد إليها بإدارة كل المنطقة (البوسنة) وتعهدت بعدم التدخل في الشؤون الدينية للمسلمين، شريطة عدم تدخل أي طرف آخر في هذه الشؤون. وقد استشهدت فيينا بنموذج تونس حيث يقوم الحاكم المحلي (الباي) وليس السلطان بتعيين القضاة والمفتين، غير أنها ألمحت إلى أنه يمكن لشيخ الإسلام فقط أن يعيّن موظفين دينيين من بين المسلمين المحليين – البوسنويين(٢١).

وقد دفع هذا الموقف الجديد بفيينا إلى أن تسرع فيما كانت تخطّط له

من فك الارتباط بين المسلمين في البوسنة واستنبول. لذلك تشجع بعض أعيان سراييفو على التقدم بعريضة في مطلع ١٨٨١ إلى الحكومة المحلية يطالبون فيها بتأسيس هيئة هرمية دينية للمسلمين يكون على رأسها «مجلس العلماء»[٢٢]. وفي هذا الوضع بادر هذه المرة «شيخ الإسلام»، وليس السلطان، إلى تعيين مفتي سرايیفو مصطفى حلمي عمروفيتش مفتياً على البوسنة في ٢٢ آذار ١٨٨٢ . وبهذا القرار أقر شيخ الإسلام بالحاجة إلى تأسيس هيئة دينية محلية للمسلمين في البوسنة، وفوض مفتي البوسنة بتعيين القضاة الشرعيين والموظفين الدينيين. وبعد هذا القرار رأى ب . كالاي B.Kally الوزير المفوض للبوسنة[٢٣] أنه من الأفضل أن يقوم الإمبراطور بعد الآن بتعيين عمروفيتش في منصب «رئيس العلماء» المقترح، إذ إن استنبول لن تعترض على تعيين شخص كهذا كانت هي قد اختارته مفتياً للبوسنة. وبالفعل أصدر الإمبراطور فرانس جوزيف في ١٧ تشرين الأول ١٨٨٢ مرسوماً بتعيين عمروفيتش في منصب «رئيس العلماء» وبتعيين أربعة أعضاء أيضاً في «مجلس العلماء» المقترح. وبعد عدة أسابيع (٧ كانون الثاني ١٨٨٣) قام «رئيس العلماء» عمروفيتش مع أعضاء «مجلس العلماء» بزيارة الإمبراطور في فيينا للتعبير عن شكر المسلمين في البوسنة على تأسيس الهيئة الدينية الجديدة لهم[٢٤].

إلا أن الإسلام في البوسنة كان له، بالإضافة إلى هذا الوجه «الرسمي»، وجه «شعبي». ففي مطلع عام ١٨٨٢ اندلعت «انتفاضة الهرسك» بسبب إعلان القانون الجديد للخدمة العسكرية، الذي أصبح يشمل أبناء المسلمين أيضاً، ولم تتمكن السلطات من إخمادها إلا بعد عدة شهور[٢٥]. ومع الإحباط الذي خلّفه فشل الانتفاضة، انطلقت هجرة واسعة للمسلمين باتجاه الدولة العثمانية[٢٦]. غير أن هذه الهجرة المتواصلة للمسلمين

من البوسنة أخذت تحرج فيينا، إذ إن كل تناقص في عدد المسلمين هناك كان يرافقه تزايد في عدد الصربيين، وفي ذلك تأكيد «للطابع الصربي» للبوسنة،الأمر الذي قد يدفع صربيا المجاورة إلى المطالبة بها، وفي ذلك تهديد لمصالح فيينا في المنطقة؛ خاصة وأن هذه الدولة كانت تخطط لتوسع آخر في اتجاه الشرق - الجنوبي (سالونيك)، لذلك كان يهمها أن تكون صورتها مقبولة لدى المسلمين في المناطق المجاورة (السنجق، كوسوفو، ألبانيا ومكدونيا)[٢٧].

ومن هنا فقد جاءت الرسالة المناهضة للهجرة التي كتبها ونشرها في سرايفو سنة ١٨٨٦ مفتي توزلا Tuzla محمد توفيق عزب آغا زاده - عزب أغيتشAzapagić، والتي يدعو فيها المسلمين إلى البقاء في البوسنة[٢٨]، في صالح السياسة النمساوية. ومن ناحية أخرى فقد شجعت فيينا ومولت بعض الأشخاص والصحف لإظهار النمسا بأنها أمل المسلمين في البلقان[٢٩].

ولهذا السبب سارعت فيينا عام ١٨٩٣، بعد موت «رئيس العلماء» عمروفيتش، إلى تعيين عزب أغيتش المذكور في مكانه. إلا أن هذا التعيين لم يمر هذه المرة بسهولة كما مَرَّ في المرة الأولى حين تم تعيين عمروفيتش. ففي عام ١٨٨٢ كان «شيخ الإسلام» هو الذي عيّن عمروفيتش مفتياً للبوسنة بتفويض (منشور) مألوف في هذا الخصوص، ثم عيّنه الإمبراطور فيما بعد في منصب «رئيس العلماء»، بينما قام الإمبراطور في هذه المرة بتعيين عزب أغيتش في هذا المنصب قبل أن يحصل على «منشور» من «شيخ الإسلام»، ولذلك بقي ينظر إليه باعتباره «رئيس دون منشور» أي غير شرعي من قبل المسلمين المعارضين[٣٠].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التعيين كان سبباً آخر لسخط المسلمين

المعارضين لفيينا، الذين قادوا بزعامة مفتي موستار Mostar علي فهمي جابيتش Ali Fehmi Džabić[٣١] حركة قوية منذ ١٨٩٩ تطالب بإدارة ذاتية للمعارف والأوقاف في البوسنة وبصلة مباشرة مع شيخ الإسلام والخليفة في استانبول[٣٢]. وقد أصبحت هذه الحركة قوية إلى حد اضطر معه الوزير النمساوي المفوض في البوسنة ب. كالاي في كانون الأول ١٩٠٠ إلى استقبال وفد من قادتها يحمل إليه مشروع دستور «الإدارة الذاتية المقترحة لمعارف وأوقاف المسلمين في البوسنة». ومن أهم ماجاء في هذا المشروع البند (٩٦) الذي يطالب بأن يقوم «مجلس المعارف والأوقاف» المقترح بانتخاب أعضاء «مجلس العلماء» ثم يقوم الإمبراطور بتعيين أحد أعضاء هذا المجلس في منصب «رئيس العلماء» بعد موافقة «شيخ الإسلام» على ذلك[٣٣]. وليس من المستغرب أن ترفض فيينا بحزم هذا البند لأنها كانت ترى فيه انتقاصاً من سيادة الإمبراطور في هذا التعيين، الذي لم يعد إلا تعييناً شكلياً لأنه يرتبط بموافقة مسبقة من «شيخ الإسلام». وعلى كل حال فقد ازدادت قوة هذه الحركة المعارضة أكثر خلال ١٩٠١ مما دفع بفيينا إلى تشتيت قيادتها بشكل غير متوقع[٣٤].

إلا أن تشتيت قيادة الحركة المعارضة لم يعد على فيينا بفائدة تذكر، إذ أن هذه الحركة تحولت إلى حزب سياسي باسم «المنظمة القومية للمسلمين» (MNO) Muslimanska Narodna Orgnizacija بزعامة علي بك فردوس A. Firdus وشريف أرناؤوطوفيتش S.Arnautovic وغيرهم. ومن المهم هنا الإشارة إلى أن برنامج الحزب قد تضمن بشكل صريح النص على أنه لابد للمسلمين في البوسنة من أن يكونوا «على صلة مباشرة بالخليفة وشيخ الإسلام»[٣٥]. والأهم من هذا أن الصحيفة الجديدة الناطقة باسم الحزب «مساواة» قد عبرت في عددها الأول (١٦ تشرين الأول ١٩٠٦)

عن موقف الحزب الذي بقي يعتبر البوسنة جزءاً من الدولة العثمانية، أي أن النمسا ليست إلا مفوّضة فقط من قبل الدول الأوربية لإدارة هذه الولاية وتنظيمها(٣٦).

ونظراً لتنامي قوة هذا الحزب بسرعة، فقد رأت فيينا أنه من الأفضل لها التفاوض مع زعامته للتوصل إلى حل وسط. وهكذا افتتحت المفاوضات بين الطرفين في سراييفو في ٢٤ حزيران ١٩٠٧، وتم فيها الاتفاق على كل شيء باستثناء «المنشور» أو الطرف الذي سيفوض «رئيس العلماء» بالمسؤولية. فقد طالب الحزب أن يكون الذي يقوم بالتفويض هو السلطان العثماني (الخليفة) باعتباره يملك السيادة الدينية والقانونية، بينما أصرت فيينا على أن يكون هو الإمبراطور. وبسبب هذا الخلاف توقفت المفاوضات في ١٣ تموز ١٩٠٧ . وبعد جهود استمرت عدة شهور رأى الحزب أن يعرض الأمر مع الخيارات الممكنة على «شيخ الإسلام» بواسطة الحكومة المحلية. ومع أن هذا العرض قدّم في ٨ آذار ١٩٠٨ إلا أن فيينا حاولت من خلال سفارتها في استنبول أن يكون الجواب منسجماً مع مصالحها. وبسبب هذه الجهود الدبلوماسية تأخر وصول رد «شيخ الإسلام» إلى سراييفو حتى نهاية أيلول ١٩٠٨، أي قبل أيام فقط من قرار فيينا بضم البوسنة. وقد تضمن رد «شيخ الإسلام»، نتيجة للجهود التي بذلتها فيينا، حلاً وسطاً للخلاف حول «رئيس العلماء» يقوم على أساس المراحل الثلاث التالية:

١ ـ تقوم الهيئة الانتخابية للمسلمين بانتخاب ثلاثة مرشحين لمنصب «رئيس العلماء».

٢ ـ يختار الإمبراطور واحداً من هؤلاء الثلاثة ليعينه في منصب «شيخ الإسلام».

٣ ـ تقوم الهيئة الانتخابية بتقديم طلب باسم «رئيس العلماء» إلى

«شيخ الإسلام»، بالإضافة إلى «تقرير» من ممثلية فيينا في استنبول، لكي يصدر «شيخ الإسلام» «المنشور» ويوجهه إلى «رئيس العلماء»[٣٨].

ومع أن قيادة حزب المنظمة القومية للمسلمين لم تتوقع مثل هذا الرد من «شيخ الإسلام»، إلا أنها وجدت نفسها بعد عدة أيام أمام الأمر الواقع حين سارعت فيينا في (٧ تشرين الأول ١٩٠٨) إلى ضم البوسنة التي أصبحت تعتبر جزءاً من الإمبراطورية النمساوية ـ الهنغارية. وهكذا فقد اضطر زعماء الحزب الإسلامي في منتصف كانون الأول ١٩٠٨ إلى الإكتفاء بإدخال بعض التعديلات البسيطة على مشروع الدستور المقترح بما ينسجم مع رد «شيخ الإسلام». ثم أصدر الإمبراطور فرانس جوزيف في ١٥ نيسان ١٩٠٩ مرسوماً بـ «دستور الإدارة الذاتية لشؤون المعارف والأوقاف الإسلامية في البوسنة»، الذي دخل حيز التطبيق في ١ أيار ١٩٠٩[٣٩]. وبموجب أحكام هذا الدستور تم انتخاب «رئيس العلماء» الجديد سليمان أفندي شاراتس S. Šazac في مطلع ١٩١٠ بعد أن تقاعد عزب أغيتش بسبب تقدمه في العمر[٤٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدستور الجديد للبوسنة الذي أصدره الإمبراطور في ١٧ شباط ١٩١٠ تضمن في البند (٢٢) عضوية «رئيس العلماء» بحكم المنصب في المجلس الجديد (السابور Sabor) المقترح للبوسنة[٤١]، وقد خلفه في السنة التالية (١٩١٣) جمال الدين تشاؤوشيفتش Dž. Čaušević الذي تولى منصبه بشكل رسمي في أواخر آذار ١٩١٤، أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بعدة شهور[٤٢]. وخلال سنوات الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨) انشغل «رئيس العلماء» بالدفاع عن مصالح المسلمين في الظروف الصعبة التي عانتها البلاد خلال تلك الحرب الضروس[٤٣].

وفي نهاية الحرب المذكورة انهارت الإمبراطورية النمساوية ـ الهنغارية

ودخلت البوسنة منذ ١ كانون الأول ١٩١٨ في إطار دولة أخرى هي «مملكة الصرب والكروات والسلوفين» التي تحول إسمها إلى «مملكة يوغوسلافيا» منذ ١٩٢٩ . وبينما كان المسلمون أقلية صغيرة (حوالي ١,٥٪) في إطار دولة كبيرة ذات غالبية كاثوليكية، حين كانت البوسنة جزءاً من الإمبراطورية النمساوية ـ الهنغارية، تغير الوضع الآن نظراً لأن الأجزاء الأخرى من يوغسلافيا (صربيا والجبل الأسود) كانت تضم نسبة لابأس بها من الألبان والأتراك المسلمين[٤٤]. وهكذا أصبح المسلمون أكثر من ١١٪ من سكان الدولة الجديدة[٤٥]. ألا أن هذا لم يكن يعني أية ميزة للمسلمين في الدولة الجديدة، إذ إن السنوات الأولى للدولة اتسمت بعنف لامثيل له ضدهم سواء في الشمال (البوسنة) أو في الجنوب (كوسوفو ومكدونيا)[٤٦].

ومما كان يضعف المسلمين أكثر في تلك السنوات عدم وجود هيئة واحدة تمثلهم في الدولة الواحدة التي أصبحوا مواطنين فيها. واستناداً إلى طلب المسلمين في كرواتيا وسلوفينيا وافق «مجلس المعارف والأوقاف» في سراييفو على تشميل هاتين المنطقتين بأحكام «دستور الإدارة الذاتية لشؤون المعارف والأوقاف الإسلامية» الذي كان قد أقر في سنة ١٩١٠[٤٧]. أما المسلمون في الجنوب (صربيا، كوسوفو ومكدونيا) فقد كانت تضمهم هيئة دينية أخرى يمثلها «مجلس العلماء» في سكوبية Skopje و «المفتي الأعلى» في بلغراد[٤٨]. غير أن الأمور في وريثة الدولة العثمانية (تركيا الجمهورية) أخذت تتطور في اتجاه مضاد للتقاليد المعروفة، لأن تركيا أتاتورك ألغت في آذار ١٩٢٤ منصب «شيخ الإسلام» الذي كان يمنح المشروعية لـ «رئيس العلماء» في سراييفو[٤٩]. والأنكى من ذلك أن النظام التركي الجديد المعادي للإسلام العثماني وثّق في تلك السنوات علاقاته مع النظام اليوغسلافي

الراغب في التخلص من المسلمين لديه باعتبارهم من بقايا الدولة العثمانية(٥٠).

وقد دخل النظام اليوغسلافي حينئذ في منعطف جديد حيث قام الملك الكسندر في ٦ كانون الثاني ١٩٢٩ بإلغاء الدستور والبرلمان وأخذ لنفسه صلاحية إصدار القوانين. وهكذا فقد أصدر في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٠ «قانون الهيئة الدينية الإسلامية» Islamska Vjirska Za- (IVZ) jidnica ، الذي جمع كل المسلمين في يوغسلافيا في هيئة واحدة. وقد تضمن البند الأول من هذا القانون النص على أن «كل المسلمين في مملكة يوغسلافيا يشكلون هيئة دينية إسلامية مستقلة بقيادة رئيس العلماء» كما أن القانون الجديد تضمن نقل مقر «رئيس العلماء» من سراييفو إلى بلغراد، عاصمة كل يوغسلافيا، وقرر وضع الهيئة تحت إشراف الدولة، غير أنه سمح لها بإقامة اتصالات دينية مع الهيئات المماثلة في الخارج(٥١). وعلى هذا الأساس ذهب وفد من هذه الهيئة الجديدة ليمثل مسلمي يوغسلافيا في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في سنة ١٩٣١ في القدس(٥٢).

وقد أبقى القانون الجديد على «مجلس العلماء» في سراييفو و«مجلس العلماء» في سكوبية، ودوائر الإفتاء التي يرأس كل واحدة منها مفتٍ ، بينما ترك انتخاب «رئيس العلماء» للهيئة الانتخابية التي يقرها المسلمون(٥٣). وبالاستناد إلى هذا القانون تم انتخاب «رئيس العلماء» الجديد إبراهيم ماغلايليتش I. Maglajic(٥٤)، الذي نصّب في احتفال كبير أقيم له في ٣١ تشرين الأول ١٩٣٠ في جامع البيرق ببلغراد، وفي حضور الملك نفسه والوزراء وأعضاء السلك الدبلوماسي(٥٥).

ولكن بعد اغتيال الملك الكسندر في عام ١٩٣٤ وتولي الأمير بول رئاسة مجلس الوصاية، في انتظار تسلّم الملك بيتر لسلطاته الدستورية، صدر

في ٢٨ شباط ١٩٣٦ قانون جديد لـ «الهيئة الدينية الإسلامية» (IVZ) أدخل بعض التعديلات على نصوص القانون الأول. ومن أهم هذه التعديلات نقل مقر «رئيس العلماء» ثانية إلى سراييفو، وإلغاء دوائر الإفتاء السابقة. واستناداً إلى هذا القانون تم وضع «دستور الهيئة الدينية الإسلامية» (IVZ) عام ١٩٣٦ وأصبح ساري المفعول منذ تلك السنة[٥٦].

وتطبيقاً لأحكام الدستور المذكور انتخب «رئيس العلماء» الجديد فهمي أفندي سباهو F. Spaho[٥٧] في نيسان سنة ١٩٣٨، أي السنة التي بدأت فيها نذر الحرب القادمة تقلق بال كل قادة الدول. وكما هو معروف فقد انفرط عقد يوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية إلى عدة كيانات، وضُمّت البوسنة إلى ما سمّي «دولة كرواتيا المستقلة». وفي هذا الوضع الجديد انفرطت أيضاً الهيئة التي كانت تجمع المسلمين(IVZ) ، ولم يعد «رئيس العلماء» يمارس مسؤولياته إلا على المسلمين في البوسنة وكرواتيا[٥٨]. وقد زادت الأمور تعقيداً حين توفي «رئيس العلماء» في ١٣ شباط ١٩٤٢، حيث لم يخلفه أحد بسبب انفراط الهيئة الانتخابية.

وحين قامت يوغسلافيا من جديد كجمهوية اتحادية عام ١٩٤٥ تحركت «الهيئة الدينية الإسلامية» (IVZ) ووضعت لنفسها دستوراً جديداً في ٢٠ آب ١٩٤٧، ثم أدخلت عليه تعديلات بسيطة في السنوات اللاحقة (١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥٥، ١٩٦٩)[٥٩]. وبالاستناد إلى هذا الدستور الجديد تمّ في عام ١٩٤٧ انتخاب «رئيس العلماء» الجديد إبراهيم فيتش I. Fejić، الذي بقي في هذا المنصب حتى ١٩٥٧، ثم خلَفه سليمان كمورا S. Kemura (١٩٥٧ - ١٩٧٥) ونعيم حاجي عبديتش N. Hadžabdić (١٩٧٥ - ١٩٨٧) وحسين موييتش H. Mujić (١٩٨٧ - ١٩٨٩) وأخيراً د. يعقوب سليموفسكي J. Selimovski (١٩٩١ - ١٩٩٢).

ونظراً لأنه لم يعد هناك «شيخ الإسلام» الذي يمنح «المنشور» لـ «رئيس العلماء» حسب التقاليد السابقة، فقد أصبحت الهيئة الانتخابية التي تنتخب «رئيس العلماء» هي التي تمنحه «المنشور» أيضاً. والذي يسترعي الانتباه هو أن هذا «المنشور» أصبح منذ ١٩٧٥ يمنح لـ «رئيس العلماء» في أربع لغات: العربية والتركية والصربوكرواتية والألبانية، ويطلب فيه منه «أن يمارس كل حقوق رئيس العلماء بروح القرآن والسنة والشريعة وقوانين البلاد، وأن يهتم برفع المستوى الديني للمسلمين في يوغسلافيا»(٦٠).

وشذ عام ١٩٩٠ الذي لم يعين فيه أحد لمنصب رئيس العلماء. وكان كل من شغل منصب «رئيس العلماء» حتى ١٩٨٩ من أهل البوسنة، الأمر الذي لم يعد يتقبله المسلمون في الجنوب (الألبان والأتراك) بعد أن أصبحوا أكثر عدداً(٦١)، ورغبة في الحصول على رضاهم أصبح «المنشور» منذ ١٩٧٥ يصدر باللغة الألبانية أيضاً، كما أن إصرار المسلمين في الجنوب على أن يشغل واحد منهم منصب «رئيس العلماء» ترك الوضع معلقاً طيلة عام ١٩٩٠، حتى تحقق الاتفاق في عام ١٩٩١ على انتخاب أول ألباني - مكدوني لهذا المنصب(٦٢).

إلا أن د. يعقوب سليموفسكي(٦٣) لم يتمتع طويلاً بهذا المنصب إذ عين فيه في الوقت الذي بدأ فيه انفراط عقد يوغسلافيا، وكاد أن يستشهد في هذا المنصب بعد أن تعرض مقره في سراييفو إلى قذيفة صاروخية مباشرة في ٢٩ آب ١٩٩٢(٦٤). وعلى إثر هذه الإصابة غادر «رئيس العلماء» سراييفو بعد أن شفي من جروحه وقام بجولة في عدة دول ولكنه لم يعد ثانية إلى سراييفو، وهو ماعتبره المسلمون في البوسنة تخلياً عنهم، ولذلك اعتبروا نائب رئيس العلماء د. مصطفى تسريتش M. Cerić وكأنه رئيس لعلماء البوسنة(٦٥)، ورئيس للهيئة الدينية الإسلامية التي أخذت تتشكل

هناك(٦٦). غير أن مكدونيا التي أوصلته إلى هذا المنصب(٦٧) لم تعد تعترف به، كما أنه فقد الإعتراف في يوغسلافيا المصغرة(٦٨)، وذلك بسبب التنافس على وراثة «الهيئة الدينية الإسلامية» (IVZ) التي انفرط عقدها مع انفراط يوغسلافيا(٦٩).

وهكذا أصبح د. سليموفسكي يُشار إليه الآن كـ «رئيس للعلماء في يوغسلافيا سابقا»(٧٠)، أي كشاهد حي على مؤسسة منهارة استمرت أكثر من مئة سنة حافلة بالأحداث (١٨٨٢ - ١٩٩٢).

الحواشي

(١) أبو نصر القاضي (توفي ٣٥٢ أو ٣٥٣هـ / ٩٦٢ أو ٩٦٣م) فقيه حنفي كان يفتي بسمرقند ثم أصبح شيخ الحنفية ومفتي ماوراء النهر، ولم يعد يتقدم عليه أحد في الفتوى:

ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٧٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦ ، تحقيق أكرم البوشي، بيروت ١٩٨٤، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٢) تعرض المؤرخ المخضرم ابن طولون (توفي ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) إلى هذا اللقب في كتابه المثير «نقد الطالب لزغل المناصب» الذي يتتبع فيه كل من لقب به، ابتداء من ابن سعيد المنيعي الشافعي (توفي ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) وعبد الله بن محمد الأنصاري (توفي ٤٨١هـ/ ١٠٨٦م) حتى يصل إلى القول: «ثم ابتذلت هذه اللفظة، فسمي بها على رأس المئة الثامنة ومابعد ذلك من لايحصى كثرة...».

شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ومراجعة نزار أباظة، بيروت ١٩٩٢ ، ص ٥١- ٥٨ .

(٣) للمزيد حول هذه المؤسسة انظر:

Abdulkadir Altunsu, Osmanli Seyhulislamlar, Ankara 1972; M. Pixley, "The Development and role of the Seyhulislam in early ottoman history" , Journal of the American Oriental Society, NO.1, Baltimore 1976, pp. 90-98; R.C. Repp, The Mufti of Istanbul - A Study in the Development of the Ottoman Learned Hierarchy, Oxford 1986 .

وكتاب م. س. مايير، عن التناسب بين السلطتين الزمنية والروحية في النظام السياسي العثماني بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، في: الإسلام في تاريخ شعوب الشرق، ترجمة محمد هلال وعلي مهدي، بيروت ١٩٨٦، ص ٦٣- ٨٠، وكتاب أكرم كيدو، مؤسسة شيخ

الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة الدكتور هاشم الأيوبي، طرابلس ١٩٩٢ .

(4) Altunsu, Osmanli Seyhulislamlar, S. 1-3; Repp, The Mufti of Istanbul, pp. 73-74 .

وفي الواقع إن هذا يمثل الرأي المتفق عليه لدى غالبية الباحثين، أي ان هناك آراء أخرى تجعل ظهور هذا المنصب متأخراً عدة سنوات وحتى عدة عقود:

د. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، القاهرة ١٩٨٤، ص ٣٩٨- ٤٠٢، وكيدو، مؤسسة شيخ الإسلام، ص ٢٦-٢٩ .

(٥) يرد في القانون نامه ان «شيخ الإسلام، رئيس العلماء، والمعلم السلطاني قائد العلماء بهذا الخصوص على سواء، وان المفتي (شيخ الإسلام) والخواجه (أي معلم السلطان) أرفع رتبة من باقي الوزراء بدرجات ولهما عليهم الصدارة»:

خليل ساحلي أوغلي، قانون نامه آل عثمان، دراسات مجلد ١٣، عدد ٤، عمان ١٩٨٦، ص١١٢ .

(٦) كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام، ص ٧٦ - ٧٨ .

(٧) المرجع السابق، ص ٣١ .

وتجدر الإشارة إلى ان ابن العماد الحنبلي المعاصر لعدد من شيوخ الإسلام في القرنين ١٦-١٧، لايستعمل أبداً في كتابه الموسوعي «شذرات الذهب» لقب «شيخ الإسلام» بل لقب «المفتي» فقط وأحياناً «المفتي الأكبر»، بينما يستعمل كثيراً لقب «شيخ الإسلام» للدلالة على المكانة المميزة لبعض الفقهاء:

ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج ٩-١٠، بيروت ١٩٩٢-١٩٩٣ .

(٨) مايير، عن التناسب بين السلطتين الزمنية والروحية في النظام السياسي العثماني، ص ٧٥-٧٧

(٩) حتى مطلع القرن التاسع عشر كان المسلمون يشكلون حوالي نصف السكان في البلقان، ثم بدأت نسبتهم تتناقص منذ ذلك الحين نتيجة للحروب والأوبئة، بينما جاءت حرب ١٨٧٧-١٨٧٨ لتوجه لهم ضربة قاصمة إذ أُجبر حوالي مليون مسلم على ترك مواطنهم. وهكذا فقد تلاشى تماما وجود المسلمين في كثير من المناطق التي انفصلت عن الدولة العثمانية نتيجة لهذه الحرب.

للمزيد حول هذه الحرب ونتائجها المأساوية بالنسبة للمسلمين في البلقان انظر:

Bilal Sismir, Turkish Emigrations from the Balkans, Document II, Ankara 1970; Skender Rizaj, o migracionim kretanjima na Balkanu, in Medjunarodni skup povodom 100 godičnice ustanaka u Bosni i her-

cegovini, drugim balkanskim zemljama i istočnoj krizi, Vol. 1, Sarajevo 1977, s. 185- 197; Emin Pllana, Shkaqet dhe mënyra e shpërnguljes së muhaxhirëve shqiptarë nga territori i sanxhakut të Nishit të Kosovës (1877-1878), Gjurmime albanologjike, vol. IX, Prishtinë 1979, f. 129-156; kemal H. Karpat, Ottoman Population 1830-1914, Wisconsin 1985, pp. 70-75 .

(10)Vasilj Popović, Istočno pitanje, Beograd 1928, s. 140; B.H. Sumner, Russia and the Balkans, London 1962, pp. 273-289 .

(11) Mihailo D. Stojanović, The Great Powers and the Balkans 1875-1878, Cambridge 1939, pp. 209-233; Summer, op. Cit., pp. 399-424 .

(12) R.W. Seton- Watson, Disraeli, Gladstone and the Eastern Question, London 1935, p. 453 .

(١٣) لم يعلن هـذا البيان في حينـه بل بقي سريا إلى أن نشـره وزير الخارجية الفـرنسـي غابرييل انوتو G. Hanotaux خلال تشـرين الأول ١٩٠٨ في «مجلة العالمين Revue des Deux Mondes. إلا أن النص الذي نشره الباحث ياكشيتش بالاستناد إلى تقرير المندوب العثماني نفسه لايشير إلى «الطابع المؤقت للإحتلال»:

Grgur jakšic, Bosna i Hercegovina na Berlinskom kongresu, Beograd 1955; dr Mustafa Imamović, Pravni položaj i unutrašnojpolitički razvitak Bih od 1878 - 1914, Sarajevo 1976, s. 15

(14) Imamović, Pravni položaj, s. 16

(15) Ibid., s. 105

(16) Ibid. s. 19-20

(17) Fra Grga Martić, zapamćenja, Zagreb 1906, s. 109; Imamović, Pravni položaj, s. 106

(١٨) نشر هذا التصريح في الصحف المحلية (بتاريخ ١٧ - ١١ - ١٨٧٨) دون الإشارة إلى الموقعين عليه. إلا أن المؤرخ المعاصر انو كاديتش سجل حينئذ في وقائعه كل أسماء الموقعين على هذا التصريح. وبالاستناد إلى الأسماء المعروفة يتضح ان أصحابها هم من كبار الملاك وعددهم ٢٢ ورجال الدين وعددهم ١٥ والتجار وعددهم ١٣:

Dr Hamdija Kapidžić, Hercegovački ustanak 1682. godine, sar-

ajevo 1958, s. 76-77

(19) Todor kruševac, Sarajevo pod austro- ugarskom upravom 1878- 1918, Sarajevo 1969, s. 251

(20) Aličić S. Ahmed, Uredjenje bosanskog ejaleta od 1789. do 1878. Godine, Sarajevo 1983, s. 51

(21) Kapidžić, Hercegovački ustanak, s. 78-79

(22) Osman Nuri - Hadžić, Borba Muslimana za vjersku i vakufskumerifatsku autonomiju, in Bosna i Hercegovina pod austrougarskom upravom, Beograd 1938, s. 59-60

(٢٣) بنيامين كالاي (١٨٣٩-١٩٠٣) دبلوماسي ومؤرخ معروف. ولد في أسرة ارستقراطية مجرية في بودابست. درس القانون والتاريخ واتقن عدة لغات كالروسية واليونانية والتركية والصربية. واهتم اهتماماً واسعاً بالبلقان. ومما ساعده على ذلك تعيينه قنصلاً عاماً للنمسا – هنغاريا في بلغراد سنة ١٨٨٧ . وقد نشر في فيينا سنة ١٨٨٨ كتابه المهم بالألمانية «تاريخ الصرب»، الذي أكسبه سمعة جيدة كمختص في شؤون البلقان. ومن أجل ذلك اختير لإدارة شؤون البوسنة، وبقي في هذا المنصب حتي وفاته سنة ١٩٠٣ .

للمزيد حول فترة إدارته للبوسنة انظر:

Ante Malbaša, Hrvatski i srpski nacionalni problem za vrijeme režima Benjaina Kallaya, I (1882-1896), Osijek 1940

(24) Imamović, Pravni položaj, s. 108

(٢٥) لمزيد من الاطلاع على أسباب ونتائج هذه الانتفاضة انظر كتاب د. حمدي كابيجيتش «انتفاضة الهرسك ١٨٨٢» المذكور:

H. Kapidžić, Hercegovački ustanak 1882. godine, Srajevo 1958

(٢٦) للمزيد من الاطلاع على هجرة المسلمين من البوسنة انظر بحثنا Islam and Muslims in Bosnia 1878-1918: Tow hijras and two ftawas الذي صدر في عدد تموز ١٩٩٤ من «مجلة الدراسات الإسلامية» Journal of Islamic Studies التي بنشرها «مركز اوكسفورد للدراسات الإسلامية».

(27) J. A. R. Mariot, The astern Question, Oxford 1969, p.423; Imamović, Pravni položaj, s.114

(٢٨) حول هذه الشخصية وهذه الرسالة المهمة بشأن الهجرة، التي كتبها صاحبها بالعربية ونشرها بالتركية، انظر بحثنا المذكور في هامش (٢٦).

(٢٩) لابد أن نأخذ بعين الاعتبار الاطار الجغرافي والتاريخي. ففي المناطق المجاورة للبوسنة التي ضمت حينئذ إلى صربيا والجبل الأسود بموجب قرارات مؤتمر برلين تعرض المسلمون هناك للاضطهاد، ولذلك فان التيار المتعاون أو المتعاطف مع النمسا كان يركز على هذه المقارنة لابراز محاسن الحكم النمساوي للبوسنة. وهكذا سينشر مثلا المؤلف المعروف محمد بك كابيتا نوفيتش – ليوبوشاك في سراييفو سنة ١٨٩٣ كتابه «مستقبل أو تقدم المحمديين في البوسنة» حيث يقول فيه ببساطة: «انه لم يحدث في أي مكان ولا في أي زمان ان عاش المحمديون بكامل حريتهم تحت حماية حاكم مسيحي كما نعيش نحن الآن براحة في وطننا، بينما يتعرض إخوتنا للاضطهاد في نيكشيتش Niksic (الجبل الأسود) وأماكن أخرى في صربيا». ويذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك حين يقول ان النمسا «تبني المستقبل ليس لنا فقط بل لكل المحمديين في شبه جزيرة البلقان»:

Mehmedbeg Kapetanovic - Ljubušak, Budučnost ili napredak Muhamedovaca u Bih, Sarajevo 1893, s. 4-5

(٣٠) لابد من الإشارة هنا ان هذه المؤسسة الهرمية الجديدة للمسلمين في البوسنة قوبلت بتحفظ، لان فيينا كانت قد بسطت عليها نفوذها ووضعتها تحت السيطرة. فبالاضافة إلى تعيين الامبراطور لـ «رئيس العلماء» و «مجلس العلماء» تولت الحكومة المحلية تعيين رجال الافتاء وأنشأت ادارة جديدة للوقف ترتبط بها:

Enciklopedija Jugoslavije, novo izdanje, Vol. II, Zagreb 1982, s. 194

(٣١) كان علي فهمي جابيتش (موستار ١٨٥٣ – استنبول ١٩١٨) في ذلك الحين مفتيا على الهرسك ، ولكن بعد تزعمه للحركة وذهابه إلى استنبول لإجراء مشاورات منعته السلطات النمساوية ـ الهنغارية من العودة فبقي في استنبول وأصبح في عام ١٩٠٣، أستاذاً للغة العربية وآدابها في جامعة استنبول (دار الفنون)، وتابع نشاطه فيما يتعلق بالبوسنة. وفي عام ١٩٠٨ أصدر كتيباً بالتركية ضد قرار ضم البوسنة ففصل من عمله وتوفي في غربة كاملة سنة ١٩١٨ .

للمزيد عنه انظر:

Encyclopedia of Islam, new edition, Vol. II, Leiden - London 1965, pp. 681- 682; Alija Nametak, “Marginalije o zivotu i radu muftije Ali Fehmi - efendi Džabić”, Anali Gazi Husrev - begove biblioteke, knj. IV, Sarajevo 1976, s. 187 - 198

(٣٢) للمزيد عن هذه الحركة انظر:

Ferdo Hauptman, Borba Muslimana Bosne i Hercegovine za vjersku i vakufsko - mearifsku autonomiju, Sarajevo 1967; N. Šehić, Autonomni pokret Muslimana za vrijemi austro - ugarske uprave u Bosni i Hercegovini, Sarajevo 1980

(33) Imamović, Pravni položaj, s. 122

(٣٤) بعد منع جابيتش من العودة إلى البوسنة عمدت السلطة إلى نفي شريف أرناؤوطوفيتش إلى راشكا غورا، بعد أن نشر مقالا في جريدة «زاستافا» قال فيه ان المسلمين لايعتبرون البوسنة جزءاً لايتجزأ من الامبراطورية النمساوية – الهنغارية. ومن ناحية أخرى عمدت فيينا إلى تسريب أخبار للصحف تشير إلى وجود صلة لزعامة هذه الحركة مع المعارضة في الخارج (الاتحاد والترقي) وذلك لتخويف استنبول من هذه الحركة.

(35) Hauptman, Borba Muslimana, s. 427-430

(٣٦) في هذا الاتجاه عمدت صحيفة الحزب في عددها الصادر في ٢٩-٣٠ آب ١٩٠٧ إلى تخصيص الصفحة الأولى بكاملها للشعار التقليدي «باديشاهم جوق ياشا» (يعيش جلالة السلطان) بمناسبة عيد ميلاد السلطان عبد الحميد الثاني، وذلك للتأكيد على العلاقة التي لاتزال للسلطان بالبوسنة، والمسلمين فيها.

(37) Imamović, Pravni položaj, s. 140

(38) Ibid., s. 143

(39) Dr Muhamed Hadžiahic - Mahmud Traljić - Mr Nijaz Sukric, Islam i Muslimani u Bosni i Hercegovini, Sarajevo 1977, s. 149; Imamović, Pravni položaj, s. 144

(٤٠) ولد في بلدة ستوس Stoc سنة ١٨٥٠، حيث بدأ بتعلم القرآن والمبادئ الأولية للغة والدين، ثم تابع دراسته في استنبول. اشتغل بالوعظ والتعليم بعد عودته إلى البوسنة، وعرف بسعة اطلاعه على اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية).

(41) Imamović, Pravni položaj, s.215

(٤٢) جمال الدين تشاؤتشيفتش من أبرز العلماء الذين عرفتهم البوسنة في العهد المخضرم العثماني – النمساوي – اليوغسلافي. ولد سنة ١٨٧٠ في عربوشا وأنهى المدرسة الدينية في بيهاتش Bihać بالبوسنة وتخرج من «مدرسة الحقوق» في استنبول. تجول في البلاد المجاورة والتقى في القاهرة الامام محمد عبده. وفي ١٩٠٥ عين مدرسا للغة العربية في سراييفو ثم عضوا في «مجلس العلماء». اشتغل في الصحافة لبث أفكاره الاصلاحية («بهار»، «طريق» و «مصباح»)، وتوج نشاطه بانجاز أول ترجمة إسلامية للقرآن الكريم إلى اللغة الصربو – كرواتية بالتعاون مع الشيخ محمد بانجا M. Pandža. في مطلع العهد اليوغسلافي. دافع بقوة عن المسلمين ضد الارهاب الذي كانوا يتعرضون له، وأحدثت مقابلته مع جريدة «الطان» الفرنسية (١٩١٩) ضجة واسعة في يوغسلافيا وأوربا، حيث انتقد بجرأة ماكان يتعرض له المسلمون من سوء المعاملة والتفريق...

(43) Enes Durmišević, "Reis- ul - ulema - Danajski dar muslimanima", Preporod, broj, 5/492, Sarajevo 1.III. 1991, s.8

Durmisevic, Reiu - ul - ulema, s. 8-9

وللمزيد حول دوره في مقاومة الإرهاب ضد المسلمين انظر:

Dr Atif Purivatra, Jugoslovenska Muslimanska Organizacija u politickom zivotu kraljevine SHS, Sarsjevo 1977, s.34-37

وحول ترجمته للقرآن الكريم انظر:

فتحي مهدي، ترجمات القرآن في يوغسلافيا، ترجمة د. محمد موفاكو، التراث العربي، عدد ٣٧-٣٨، دمشق ١٩٨٩-١٩٩٠، ص١٨٠-١٩٢

(44) Vjerske zajednice u Jugoslaviji, Zagreb 1970, s. 29; Encikopedija jugoslavije, Vol. V, Zagreb 1988, s. 611

(٤٥) في إحصاء ١٩٢١ كان عدد سكان يوغسلافيا ١١,٩٨٤,٩١٩ منهم ٥,٥٩٣,٠٥٧ أرثوذكس و ٤,٧٠٨,٦٥٧ كاثوليك و ١,٣٤٥,٢٧١ مسلم:

Branko Petranovic, Istorija Jugoslavije, Beograd 1981, s. 31,33

(46) Purivatra, jugoslovenska Muslimanska Organizacija, s. 34-47

(47) Islam i Muslimani, Op. Cit., s.150

(48) Enciklopedija Jugoslavije, Vol. V, s. 611

(49) Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, London 1961, p.260

وانظر بالعربية:

محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت ١٩٤٦، ص ٦٩-٧٠

(50) Hakif Bajrami, Konventa jugoslave - turke e vitit 1938 për shpërnguljen e shqiptarëve, Gjurmime albanologjike XII, prishtinë 1982, f. 244

(51) Islam i Muslimani, s. 151; Enciklopedija Jugoslavije, Vol. V, s. 612

(٥٢) تتوج هذا المؤتمر حينئذ بانتخاب لجنة تنفيذية مؤلفة من ٢٥ عضواً، من بينهم مفتي سراييفو سالم مفتيتش، الذي رأس وفد مسلمي يوغسلافيا. ومن المثير هنا ان مفتيتش كان الرابع في قائمة المتبرعين للمؤتمر (٣٠جنيه) بعد مصطفى باشا النحاس (٢٠٤ جنيه) ومحمود بك سالم (١٠٢ جنيه) والبنك العربي (١٠٠جنيه). للمزيد حول هذا المؤتمر انظر:

عبد العزيز الثعالبي، المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، بيروت ١٩٨٧

(53) Islam i Muslimani, s. 151; Enciklopedija Jugoslavije, Vol. V, s.612

(٥٤) ولد في بنيالوكا Banjaluka سنة ١٨٦١، حيث أنهى دراسته الدينية هناك. وفي

عام ١٨٧٨ شارك في مقاومة الاحتلال ونفي إلى تشيكيا بعد اعتقاله. تابع دراسته في استنبول بعد ذلك وعاد إلى البوسنة حيث عمل في التدريس إلى أن عين مفتيا لتوزلا Tuzla. وفي عام ١٩١٩ شارك في تأسيس أول حزب للمسلمين في يوغسلافيا الجديدة (المنظمة اليوغسلافية للمسلمين) وكان أول رئيس له:

Durmišević, Reius - ul -ulema, s. 9

(55) Durmišević, Reis - ul -ulema, s. 9

(56) Islam i Muslimani, s. 152-153; Enciklopedija Jugoslavi- je, Vol.V,s.612

(٥٧) ولد في سرايفو سنة ١٨٧١، وتخرج من «المدرسة الشرعية القضائية» فيها. عمل قاضيا في سرايفو ثم مديرا في وزارة الأديان في بلغراد. اشتهر بنشاطه في التأليف والنشر في الصحف والمجلات، وفي تصنيف المخطوطات الشرقية (العربية والتركية والفارسية):

Dumišević, Reis - ul - ulema, s.9

(59) Islam I Muslimani, s. 153-158

وانظر بالعربية نص هذا الدستور مع ملاحظات أخرى:

محمود السيد الدغيم، دستور الطائفة الإسلامية لجمهورية يوغسلافيا، جريدة «الحياة»، لندن ٢٢- ٢٣ - ٢٤ شباط ١٩٩٣

(60) Islam i Muslimani, s. 158

(٦١) حسب آخر إحصاء يعتمد عليه في يوغسلافيا (١٩٨١) نجد في البوسنة أقل من ١,٦٥٠,٠٠٠ مسلم، بينما نجد في الجنوب (كوسوفو ومكدونيا) حوالي ١,٧٠٠,٠٠٠ الباني مسلم وأكثر من ١٠٠ ألف تركي مسلم:

Nacionalni sastav stanovništva, Jugoslovenski pregled XXVII Beograd 1983, br. 3, s. 1-16

(٦٢) انظر اللقاء الموسع الذي جرى معه بعد انتخابه:

الزعيم الجديد لسبعة ملايين مسلم يقول: نريد من يوغسلافيا أن تكون دولة للشعوب المتساوية، صوت الشعب، عمان ١٢ تموز ١٩٩١

(٦٣) بالاستناد إلى اللقاء المذكور أعلاه يعترف د. سليموفسكي انه أنهى الصفوف الأربعة الأولى من المدرسة الابتدائية بلغته الأم (الالبانية) والصفوف الأربعة الأخرى بالمكدونية بمدينة كيتشيفو Kičevo لـ «عدم وجود صفوف أخرى بالالبانية»، ثم تخرج من المدرسة الشرعية في سرايفو (مدرسة غازي خسرو بك) وأكمل دراساته العليا في القاهرة. بعد عودته إلى موطنه أصبح سكرتيرا للمشيخة الإسلامية في جمهورية مكدونيا ثم رئيسا للمشيخة لفترتين متتاليتين إلى أن انتخب نائبا لـ «رئيس العلماء» (١٩٩٠) وأخيرا رئيسا للعلماء.

(٦٤) انظر تفاصيل هذا الحادث في مجلة «الشاهدة»، عدد ٢، فيينا شباط ١٩٩٣

(65) Šahbaz Turčić, Reis bez portfelja, Ljiljan, Ljbljana - Sarajevo 3.11. 1993, s. 19; Prf. dr. Mustafa ef. Cerić, reis- ulema Islamske zajednice u BiH: Tražio sam Boutrosa Ghalija! , Ljiljan, Ljubljana - Sarajevo 17.11.1993, s. 17

(٦٦) كانت «الهيئة الدينية الإسلامية» في يوغسلافيا تتألف من أربع مشيخات، بينما حولت «مشيخة» البوسنة نفسها إلى «هيئة» zajednica مستقلة تقوم على تنظيم جديد يتألف من مجموع دوائر الافتاء Muftijstvo:

Rekonstukcija islamske zajednice u BiH, Ljiljan, Ljubljana - Sarajevo 10.11. 1993, s.15

(٦٧) انظر بيان «المشيخة الاسلامية لجمهورية مكدونيا» حول هذا الموضوع في جريدة «ليليان» البوسنوية (عدد ٣ - ١١ - ١٩٩٣). وقد أكدت «المشيخة» في بيان لاحق (٢٥ - ١ - ١٩٩٤) على هذا الموقف، وطرحت بهذه المناسبة مشروع دستور تتحول فيه إلى «هيئة» مستقلة باسم «الهيئة الاسلامية لمكدونيا»:

Hëna e Re, Shkup 1. 2. 1994

(٦٨) في أواخر ١٩٩٣ انفرطت «مشيخة صربيا وكوسوفو وفويفودينا» وقرر جماعة كوسوفو تشكيل «هيئة» مستقلة كما سحبوا اعترافهم بـ «الرئاسة» كأعلى جهاز للهيئة الاسلامية في يوغسلافيا السابقة:

Elez Osmani, Bashkësia Islame e Kosovës - Bashkësi më Vete, Hëna e Re, Shkup 15.1.1994

(٦٩) بعد انفصال الجمهوريات اليوغسلافية أصبحت «يوغسلافيا» الآن تضم جمهورية الجبل الأسود وجمهورية صربيا مع الاقليمين الموجودين في إطارها وهما كوسوفو وفويفودينا. ومن الناحية الدينية هناك مشيخة واحدة للجبل الاسود مقرها في تيتوغراد ومشيخة مشتركة لصربيا وكوسوفو وفودينا مقرها في بريشتينا. وعلى رأس كل مشيخة رئيس للمشيخة كان يتبع لـ «رئاسة» الهيئة الاسلامية في سرايفو، لذلك أصبحت عودة «الرئيس» (د. سليموفكي) تحرج المرؤوسين في الجنوب (سليمان رجب في مكدونيا ود. رجب بويا في كوسوفو) بعد أن أصبح كل واحد منهم رئيسا.

(٧٠) لقاء مع الشيخ يعقوب سليموفسكي رئيس العلماء بيوغسلافيا سابقا، مجلة «الشاهدة» عدد ٢، فيينا شباط ١٩٩٣، ص ٦ - ٨.

وتورد جريدة «ليليان» البوسنوية (عدد ٣ - ١١ ١٩٩٣) اسمه للتندر كما يلي «رئيس العلماء السابق ليوغسلافيا السابقة».

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير(*)
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم السابع)

السيدة وفاء تقي الدين

أَقْطى(**)

بزر النبات الذي يقال له أقطى ١:٣١٣

قال ابن سينا في كلامه على الحِنّاء نقلاً عن ديسقوريدس: « ... لها زهر أبيض شبيه بالأشنة طيّب الرائحة ، وبزره أسود شبيه ببزر النبات الذي يقال له أقطى .. » والأقطى مماذكره ديسقوريدس في كتابه ووصفه بقوله (ص ٥٦٦): «أقطى .. صنفان أحدهما شبيه بالشجر، وله أغصان شبيهة بالقصب .. لونها إلى البياض طوال، وورقه ثلاث أو أربع متفرقة على كل غصن شبيه بورق الجوز، ثقيل الرائحة، وأصغر من ورق الجوز، وعلى أطراف الأغصان أكلّة فيها زهر أبيض، وثمرة شبيهة بحبة الخضراء، لونها مائل إلى لون الفرفير مع سواد، وشكلها شبيه بشكل العنقود .. والصِّنف الآخر .. أصغر .. وأشبه بالعشب، وله ساق مربّع كثير العقد، وورق مشرِّف متفرّق بعضه من بعض، نابت عند كل عقدة، شبيه بورق

(*) نشرت الأقسام الستة السابقة في مجلة المجمع (مج ٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص ٧٥، ٣٠٣).

(**) كتاب ديسقوريدس ٥٦٦، والحاوي ٢٠: ٧٨، والصيدنة ٢٩٩، ومفردات ابن البيطار ١: ٤٩، والشامل ٦٠٠، وتذكرة داود ١: ١٤٠، ومعجم أحمد عيسى ١٦٢، ومعجم الشهابي ٦٢٢، والمساعد ١: ٢٥٧، وبرهان قاطع ١: ١٥٣ .

اللوز، ثقيل الرائحة ، وعلى الرأس إكليل شبيه بإكليل الصنف الآخر ..».

اسم هذا النبات بالعربية الخَمَان، قاله ابن البيطار، وخطّأ من قال غير ذلك كالرازي في كتابه الكافي، ووجدت في كتاب الصيدنة في حرف القاف «الأقطى شجرة تنبت على ساحل البحر وقال حنين: اسمها بالعربية المليح، أظنه اللبخ .. وهو صنفان؛ أحدهما شجرة وهو الكبير، والآخر نبات وهو الصغير، ويسمّى كاما اقطى».

لهذا النبات أسماء كثيرة تختلف باختلاف البلدان، واسمه اللاتيني Sambecus، قال الشهابي: «وهو البلسان والبيلسان في اصطلاح أيامنا هذه في مصر والشام .. جنس جنبات وجنيبات طبيّة وتزيينية ..» وكلمة أقطى تعريب لليونانية Akté، وضبطت في برهان قاطع على وزن أفعى.

اقفراسقون*

اقفراسقون ١ : ٢٦٢

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «الماهية: دواء فارسي يقال له الديحة والحزم. أعضاء الرأس: جيد للحفظ والذهن والذّكر» لم يزد على ذلك ، ولم يذكره مرة أخرى في سائر كتب القانون.

عرضتْ لأسماء هذا العقار تصحيفات كثيرة؛ ففي طبعة رومة: «اقفراسقون.. يقال له الديحه والحرم، بلا إعجام، وفي المخطوطة (١): افقراسقون.. الدبحه الحزم، وفي مفردات ابن البيطار«انقوانقون: ابن سينا: دواء فارسي يقال له المريخة والخرم..» وفي الحاوي:« انقوانقون: دواء فارسي قالت الخوز[1]: كل من يستعمله حسن حفظه وجاد عقله» وذكر

* الحاوي ٢٠: ١٢٩، ومنهاج البيان ٣٢ب، والشامل ٦١، والمنتخب ٥٠، ومفردات ابن البيطار ١ : ٦٣، وتذكرة داود ١: ٥٩.

(١) الخوز هم أهل خوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. انظر معجم البلدان ٢: ٤٠٤، ولسان العرب (خوز).

محقق الكتاب أنه نقل اسم العقار من مفردات ابن البيطار وتذكرة داود. وأنه وجده في النسخة الأصل: انقرانقون، وفي نسخة أخرى اقراقون. أقول: وهو في منهاج البيان افقراسقون، وفي الشامل انقراقون.

هذا ما وجدته في المراجع، ولم أسترجح شيئاً في اسم هذا العقار، أما في ماهيته فكل المراجع على أنه دواء فارسي يفيد العقل، نقله الرازي عن الخوز ثم أخذ عنه ابن سينا، فتابعته سائر المراجع.

اقليميا

انظر : قليميا في باب القاف.

اقنقس

اقنقس ١:٤٤٦

كذا في طبعة بولاق، وفي طبعة رومة قنعن، وكلاهما تصحيف. انظر قيقينن.

أقومالي

أقومالي ٣ : ٤٤٢

في نهاية كتاب القانون في طبعتي رومة وبولاق مقدار صفحة ليست في بعض المخطوطات مثل المخطوطة (١) بينما وردت في بعضها الآخر مثل (٥) و (٦) بعد عبارة: تم الكتاب، وبخط الناسخ نفسه، مما يدل على أن الأصل القديم الذي نقلت منه تلك المخطوطات كان يحتوي على هذه الزيادة بعد انتهاء آخر مقالات الكتاب، وهي مقالة في ذكر الأوزان والمكاييل من كناش يوحنا بن سرافيون.

وفي هذه الزيادة تفسير لبعض الألفاظ اليونانية منها: «اقومالي: هو ماء يمرس فيه الشهد ويحتفظ به غير مطبوخ» . وذكر هذا المصطلح أيضاً

د. رمسيس جرجس عضو مجمع القاهرة مثالاً على ماعرّبه ابن سينا من الإغريقية فقال: «وعرّب ادرومالي بالإغريقية أي ماء وعسل بل وسمّاه اقومالي، أقو أي ماء عن اللاتينية، ومالي الإغريقية أي عسل»[١]. أقول: إن ابن سينا لم يستعمل كلمة اقومالي في القانون وهذا هو الموضع الوحيدالذي ذكرها فيه كي يشرحها، بينما استعمل كلمة ادرومالي. ومن الطبيعي في عمل موسوعي مثل القانون أن يتقصى المؤلف كل ماستعمل في عصره أو قبله من أسماء تتعلق بموضوع العمل فيشرح الغريب منها وإن لم يستعمله هو نفسه في مؤلفاته.

اقونيطن*

افونيطن	٣ : ٢١٩
افونيطرون	٣ : ٢٥٩
اورقسطون	١ : ٣٣٨ [كذا صُحّفت]

وردت بالفاء في طبعتي رومة وبولاق، وهو تصحيف لأنها كلمة معربة من اليونانية اقونيطن Aconitum ومعناها السم. يطلق هذا الاسم على «جنس نباتات عشبية معمرة سامّة.. فيها أنواع وضروب كثيرة»[٢]. وقد ذكره ابن سينا في معرض كلامه على السموم وطرق علاجها.

---

(١) من كلمة حول التعريب ألقاها د. رمسيس جرجس عضو مجمع القاهرة في مؤتمره الخامس والعشرين.

* كتاب ديسقوريدس ١١٩، ١٥١، ومعجم أحمد عيسى: ٤ (٥)، ومعجم الأمير مصطفى الشهابي ١٢، وبرهان قاطع ١: ١٥٣.

(٢) وانظر (بيش) و (خانق الذئب) و (خانق النمر).

أكارع

انظر المفرد (كراع)

أكّال*

دواء أكّال، أدوية أكّالة ١: ٢١٨، **٢٣٢، ٢٣٤**، ٢٣٩، ٢٩٢, ٣٠٧، ٣٢٣، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٢٢، ٤٢٣/ ٢: ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ٢٣٣، ٢٨٤/ ٣: ١٤٩، ١٥٥، ١٧١، ١٧٣، ١٨٠، ٢١٨.

أدوية أكّالة للحم ٢: ٦٠٣

في بداية الكتاب الثاني من كتب القانون الخمسة، وهو خاص بالأدوية المفردة، ذكر ابن سينا أفعال الأدوية وعدد المشهورات منها ثم أتبعها بالتفصيلات والشروح، فكان مما قاله: «.. والأكّال هو الدواء الذي يبلغ من تحليله وتقريحه أن ينقص من جوهر اللحم مثل الزنجار..» وقبل ابن سينا صنّف المجوسي في القسم العملي من كتابه «الملكي» الأدوية بحسب أفعالها فكان مما قاله: «الأدوية المذيبة للحم..تستعمل في اللحم الذي ينبت في القروح التي في ظاهر البدن زائداً على سطح العضو لينقصه ويذيبه ويرمي إلى المقدار الذي يحتاج إليه، وليس لها فعل في باطن البدن فينبغي أن يستعمل من هذه الأدوية مقداراً معتدلاً لأنها إن استعملت بأكثر مما ينبغي لذعت القرحة، وأذابت اللحم، وأفنته، وجعلت القرحة غائرة، وهذه الأدوية هي النحاس المحرَّق، وتوبال النحاس.. وكذلك الزنجار والشمع، فاعلم ذلك». ثم حدَّ ابن جزلة في منهاج البيان الدواء الأكّال فكان كلامه مستفاداً

* الملكي ٢: ٩٦، ومنهاج البيان ١٣ ب، وموجز القانون لابن النفيس ٢٨، وما لايسع الطبيب جهله ١٠، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٨٧، والمعجم الكبير ١ : ٣٩٧.

من ابن سينا والمجوسي معاً، وهو: «الأكّال هو المذيب للحم الزائد الذي يكون في القروح، ويتم ذلك بما فيه تحليل قوي ولايبلغ فيه مقداراً كبيراً كالزنجار مع الشمع». ولدقّة كلام ابن سينا وإيجازه ووضوحه فقد بقي هو الحد الذي قَبِلَه أهل الصناعة وتناقلوه؛ نجده في «مالا يسع الطبيب جهله» وبلفظ مقارب في مختارات البغدادي، وثبته التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون فقال: «الأكال عند الأطباء دواء يبلغ في تقريحه وتحليله إلى أن ينقص قدراً من اللحم كالزنجار، كذا في الموجز»[1]. وواضح أن هذا الاصطلاح الطبي تخصيص للمعنى اللغوي لكلمة أكّال، وهو كثير الأكل.

آكِتمكت*

أكتمكت ١: ٢٦٣/ ٣: ١٤٥

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «الماهية: دواء هندي يفعل فعل الفاوانيا. أعضاء الرأس: يطلى به مصعد البخار فيمنع الصرع».

ذكرت معظم المراجع الطبية القديمة هذا الدواء رغم مايحيط به من الغموض كغيره من الأدوية الهندية، ففي الحاوي: «اكتمكت دواء هندي يفعل أفعال الفاوانيا إذا سحق بماء وطُلي به مصعد البخار فيمنع الصرع»، وفي الصيدنة: «اكتكمت دواء هندي يعمل عمل الفاوانيا،

---

(١) يريد موجز القانون لابن النفيس.

* الحاوي ٢٠: ١٩، ومنهاج البيان ٣٤أ، والصيدنة ٦٣، والمنتخب من مفردات الغافقي ٥١ (اكثمكث) ٦٠، وما لا يسع الطبيب جهله ٥٣، وتذكرة داود ١: ٥٣، والألفاظ الفارسية المعرّبة ١١، والمساعد ١: ٢٥٩، والمعجم الكبير ١: ٣٨٦، وبرهان قاطع ١: ١٥٤.

وفي جامع ابن ماسويه أنه بدل فاوانيا، ولهذا ظن قوم أنه ثمرة شجر الفاوانيا، وأظنه بعيداً، فإن الفاوانيا رومي، وهذا هندي، إلا أن يذهب فيه إلى تشبيه ما..». ثم تتخبط المراجع في شأنه، فمنهم من يقول: «هو خشب من الأدوية الرومية الهندية» كما في منهاج البيان، ومنهم من يقول إنه «اسم هندي لحجر يسمى باليونانية اناطيطس فمعناه حجر الولادة.. لتعلقه بأحوال الولادة» كما في مالايسع الطبيب جهله ومفردات ابن البيطار نقلاً عن ارسطاطاليس والغافقي وغيرهما..والشامل أيضاً ...

و وُصِف في هذه المراجع بأنه حجر مفرطح يشبه البلوط ينكسر عن حجر في داخله لبّ يشبه البندق.

كل ماقيل في هذا العقار قريب إلى الخرافة بعيد عن العلم، وكأني ببعض قدماء المشعوذين قد استغل هذا الاسم المجهول فصنع من الطين ماوصفته المراجع وزعم أنه يسّهل الولادة على البشر، والبيضَ على الحيوان، ويهزم الخصوم، ويحفظ الشجر أن يسقط حمله، وغير ذلك مما ذكرته المراجع! ومن الأسماء التي عرف بها هذا الحجر أيضاً حجر الولادة، وحجر الماسكة، وحجر النسر، وحجر العقاب..

كتبت اللفظة في المراجع بتاءين أو ثاءين، وضبطت بفتح الهمزة وكسر الكافين نقلاً عن بعض المعجمات الفارسية. أي مثل (كَتِف) مكررة (أَكِتْ مكِت)، وبكسر الهمزة وسكون الكافين كما في المعجم الكبير.

إكسيرين*

الإكسرين الأحمر ٣:٤١٦

ذكره ابن سينا في الأقرباذين وقال فيه: «ينفع من القروح التي تكون في العين . أخلاطه: يؤخذ أفيون وشادنج وصفر محرق ولباب القمح من كل واحد ثمانية...»

الإِكْسِرِين اسم معرّب شائع في كتب الطب، يطلق على الأدوية المركّبة التي تنفع من القروح. شرح ابن الكتبي معناه فقال: «سمي اكسيرين لأن الإكسير في اللغة هو الدواء الذي يقلب الأشياء إلى الطبيعة المقصودة بسرعة وقوّة» وحدد القلانسي في أقرباذينه دلالة هذا المصطلح بقوله: «الاكسرين: كل دواء مركب منبت للّحم في القروح ملصق للجراحات». ويشبه هذا ماأورده المعجم الكبير في شرح كلمة «إكسير: .. مسحوق مجفف يوضع فوق الجروح».

كلمة الإكسير كلمة معرّبة قديماً من اليونانية (كسيريون) على الأرجح، وهي تستخدم في الكيمياء للدلالة على محلول يحول المعادن الخسيسة ذهباً، وفي الطب لما يحفظ الحياة ويطيل العمر (قاله روجرباكون فيما نقلته عنه دائرة المعارف الإسلامية) ثم استخدم الأطباء والصيادلة العرب كلمة الإكسيرين بمفهوم محدد هو الذي نقلته عن القلانسي، فأخرجوا هذا المصطلح من عالم الوهم والخيال إلى العلم والواقع، وفي فهارس اقرباذين القلانسي جعل الدكتور زهير البابا هذا المصطلح مقابلاً للمصطلح الفرنسي . Poudres vulneraire .

---

* الملكي ٢: ٥٩٧، وتركيب ما لا يسع الطبيب جهله ١٦ أ، وأقرباذين القلانسي ٥١، وتذكرة داود ١: ٥٤، والقاموس المحيط (كسر)، ودائرة المعارف الإسلامية ٢: ٤٩٤ (الإكسير)، والمعجم الكبير ١: ٣٩٠ (الإكسير).

اكسوفانين*

اكسوفانين	١: ٢٦٠
أصله	١: ٢٦٠
ورقه	١: ٢٦٠

في كتاب الأدوية المفردة ذكر ابن سينا (أبو حلسا) وهو الشنجار فقال: «وأصنافه أربعة: أبو حلسا، أبو ساويرس، أبو جلسوس، اكسوفانين» كذا وجدت اللفظة الأخيرة في القانون طبعة رومة وطبعة بولاق، وهي في المخطوطة (١) اكسونادين.

بحثت طويلاً في كتب العقاقير في مواد (انحوسا، شنجار، خس الحمار... الخ) وبخاصة مانقل عن اليونانيّين ديسقوريدس وجالينوس فرجح عندي أن هذه الكلمة ليست اسماً لأحد أنواع الشنجار فلا وجود لها بهذا الرسم أو مايشبهه في كتاب ديسقوريدس، ولا في كلام جالينوس الذي قرأته في مفردات ابن البيطار، بل إنه ينص على أن النوع الرابع من أنواع الشنجار لا اسم له فيقول: «وأما النوع الرابع الذي ليس له اسم يخصه... يصلح لحب القرع[1] إذا شرب منه مقدار مثقال ونصف» وأظن أن الأمر لا يعدو كونه خطأ وقع فيه ابن سينا إذ تصحف عليه كلام ديسقوريدس حيث يقول في كتابه (ص ٣١٩): «وقد يكون صنف آخر من انخسا شبيه بالصنف الثالث[2].. وله أصل إذا شرب منه

---

* كتاب ديسقوريدس ٣١٨ (انحسا)، ومفردات ابن البيطار ٣: ٧٠ (شنجار). وانظر مواد (أبو حلسا) و (شنجار) في كتابنا هذا.

(١) أي يصلح لإخراج نوع من ديدان الأمعاء كان يدعى حب القرع.

(٢) في كتاب ديسقوريدس «الثاني» والصواب الذي أثبته من مفردات ابن البيطار.

مقدار اكسوبافن[١].. أخرج من البطن الدود الذي يقال له حب القرع»
والاكسوبافن (Oxubaplbon) من الأوزان اليونانية يرد كثيراً في كتب الطب العربية ومنها القانون، وترسم الكلمة فيها بأشكال مختلفة أشهرها اكسوثافن. فلعل تصحيفاً ما قد وقع في نسخة الكتاب المترجمة التي اعتمدها ابن سينا جعلته يظن هذه الكلمة التي تدل على وزن معين اسماً للنوع الرابع من الشنجار!

اكسومالي*

اقسومالي[٢]	٣: ٣٦٣
اكسومالي	٣: ٤٤٢
اوكسومالي	١: ٤٧٠
شراب اكسومالي	٣: ٣٦٩

اقسومالي أو اكسومالي اسم معرّب من اليونانية لشراب يصنع من الخل والماء والعسل (اسم العسل باليونانية مالي)، وقد أعرضت كتب الطب العربية عن هذا الاسم واستخدمت الاسم المعرّب من الفارسية وهو السُّكَنْجَبِين.

ذكر ابن سينا في الكتاب الخامس من كتب القانون (٣: ٣٦٣) طريقة صنع اقسومالي فقال: «هو السكنجبين الذي عمله ورتبه القدماء النافع

(١) في كتاب ديسقوريدس «اكسوفافن» وأصلحته مستفيدة من مقالة الدكتور مختار هاشم «أوزان الأطباء ومكاييلهم» المنشورة في مجلة مجمع دمشق مج ٦١ ص ٢.

* كتاب ديسقوريدس ٣٨٣. وانظر مادة (سكنجبين) في كتابنا هذا

(٢) في الأصل «افسومالي» بنقطة واحدة، وهو تصحيف تساوت فيه طبعتا رومة وبولاق.

من ..» فنقل ما في كتاب ديسقوريدس وهو أن يخلط الخل بالعسل والماء والملح البحري بنسب معينة ويغلى الخليط على النار، ثم يبرّد ويحفظ للاستعمال. وفي القانون (٣: ٣٦٩) نوع آخر من اكسومالي يتألف من ماء البحر وماء المطر والعسل ويخلو من الخل. مع أن تعريف هذا الشراب - كما جاء في زيادة ألحقت بآخر الكتاب (١) - ينص على أنه «السكنجبين المتخذ من الخل والعسل والماء، وقد يضيف إليه قوم ماء البحر أو ملحه». انظر مادة (اوكسالي).

اكسيا

الشراب المسمى اكسيا ٣ : ٣٧١

في كتاب الأدوية المركبة في القانون ذكر ابن سينا نُسَخاً من شراب الأفسنتين، فكان مما قاله في فوائد هذا الشراب أنه «يقوي المعدة ويدر البول.. وينفع من شرب الشراب المسمى اكسيا ..»

عثرت على ما قاله ابن سينا بنصه في كتاب ديسقوريدس (ص ٣٩٢) عقب وصفه لطرق صنع شراب الافسنتين إذ قال: «.. وشراب الأفسنتين مقو للمعدة مدر للبول.. وينفع من شراب السم الذي يقال له اكيسا»(٢) وفي الكتاب نفسه (ص ١٣٦) في الكلام على منافع الجند بادستر: «يشرب بالخل للنفخ.. والأدوية القتالة وخاصة للدواء القتال الذي يقال له اقيسا»، وفي (ص٢٤٣): «خامالاون لوقس.. ومن الناس من سماه اقسيا لأنه نبات يوجد عند أصوله في بعض الأماكن اقسوس(٣)، فاشتق من اقسوس اقسيا ومعناه الدَّبَقيّ.. وورق هذا النبات يشبه الشوكة التي يسميها أهل الشام العكوب..

(١) انظر ما قلته حول هذه الزيادة في مادة (اقومالي).

(٢) كذا في الطبعة التي اعتمدتها وهي طبعة اسبانيا.

(٣) معناه الدَّبق كما في ديسقوريدس نفسه (ص ٢٨١) تستعمله النساء بدل المصطكى.

وأصلُهُ.. لون داخلِه أبيض.. وهو حلـو وإذا شُرِبَ أخرجَ حَبَّ القَرْع[1]، والذي يشرب منه لذلك مقدار اقسوبافن.. وإذا خلط بسويق وعُجن بالماء والزيت قتل الكلاب والخنازير والفأر. فهذا الاسم إذاً هو لنبات ذكر في قانون ابن سينا مراراً باسم خامالاون وخاماليون وكماليون. انظر مادة (خامالاون).

إكليل*

إكليل ١: ٢٨٢، ٣٤٥، ٣٨٤، ٣٩٦، ٤٣٦

إكليل ٢: ٤٩٦ [يراد بها في هذا الموضع إكليل الملك: انظر المادة التالية]

إكليل الشبث انظر (شبث).

الإكليل في لسان العرب « التاج، وشبه عصابة تزين بالجوهر، والجمع أكاليل .. والإكليل يجعل كالحلقة ويوضع على الرأس، وفي حديث الاستسقاء: فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل، يريد أن الغيم تقشَّع عنها، واستدار بآفاقها.. والإكليل ماأحاط بالظفر من اللحم..»فهذا المصطلح يستخدم في وصف بعض النباتات وبخاصة الشبث.

إكليل المَلِك**

الإكليل [أي إكليل الملك] ٢: ٤٩٦

---

(١) نوع من ديدان الأمعاء.

* انظر معجمات اللغة: لسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والمعجم الكبير، مادة (كلل)

** كتاب ديسقوريدس ٢٥٨ (ماليلوطس وهو إكليل الملك،)، والحاوي ٢٠: ١٢٥، والملكي ٢: ١٠٢، ومفاتيح العلوم ١٧٤، والصيدنة ٦٢، ومنهاج البيان ٣٣ب،وشرح أسماء العقار ٤،والمنتخب ٢٥، ومفردات ابن البيطار ١: ٥٠، ومفيد العلوم ٤، والمعتمد ٦، ولسان العرب والقاموس المحيط (كلل)، والشامل ٤٢، وما لا يسع الطبيب جهله ٥٢، وحديقة الأزهار ٧، وتذكرة داود: ٥٣، وتاج العروس (كلل)، ومعجم أحمد عيسى ١١٦، ومعجم الشهابي ٤١٩، والمعجم الموحد ١١٩، وأقرباذين القلانسي (المعجم) ٣١٥.

قال ابن سينا في الأدوية المفردة: «إكليل الملك: الماهية: هو زهر تبني اللون هلالي الشكل فيه مع تخلخله صلابة ما، وقد يكون منه أبيض، وقد يكون منه أصفر. قال ديسقوريدس: من الناس من يسميه ايسقيفون، وهو حشيش كثير الأغصان ذوات أربع زوايا إلى البياض مائل، وهو خشن خشونة يسيرة، وله زغب، ولونه إلى البياض.. ينبت في مواضع خشنة».

أما ما قاله ابن سينا في بداية كلامه فقد استحسنه ابن البيطار فقال بعد أن نقل في مفرداته أقوال إسحاق بن عمران والغافقي في إكليل الملك: «لا يُعرف هذا الذي ذكروه في عصرنا هذا بالاسكندرية البتة، وإنما المستعمل اليوم بالديار المصرية كافة، وبالشام أيضاً مكان إكليل الملك هو النوع الذي ثمرته تشبه قرون البقر وهي المستعملة منه خاصة، وما أحسن ما نعته ابن سينا في قوله: هو تبني اللون هلالي الشكل فيه مع تخلخله صلابة». وهذا النبات هو الذي يدعى إكليل الملك. وهو في كتاب ديسقوريدس (ص ٢٥٨) باسم ماليلوطس، وهو الذي اختلفت المراجع العربية القديمة في تحديد ماهيته وأنواعه وأشكاله، فتابع ابنَ سينا في وصفه له كلٌّ من ابن جزلة في المنهاج، وابن رسول في المعتمد، وابن الكتبي في ما لايسع.. ومؤلف الشامل الذي قال: «إن من المشهور أن هذا الدواء إنما سمي إكليل الملك لأن الملوك كانوا يتخذون منه الأكاليل التي يضعونها على رؤوسهم، وأظن - والله أعلم - أن هذا الدواء إنما اختير لذلك لأنه ينفع نفعاً بليغاً من أوجاع الرأس، وقد وقع بين الأطباء في ماهية هذا الدواء اختلاف كثير، ونحن إنما نتكلم في أحكام النبات المعروف الآن في البلاد التي شاهدناها بهذا الاسم الذي يقال له إكليل الملك، ولا علينا من الاختلافات الواقعة بين المتطببين. والنبات المشهور الآن بهذا الاسم هو نبات ذو أغصان دقاق خضر وأوراق خضر مدرهمة متخلخلة وزهر تبني اللون وأشد صفرة بقليل، هلالي الشكل، إذا

جف كان فيه مع التخلخل صلابة، وفي داخله حب صغار أصغر من الخردل، ولهذا النبات رائحة عطرية قليلاً، وفي طعمه مع التفاهة مرارة مع قبض يكاد يخفى لضعفه..». اتفقت معجمات النبات الحديثة على أن اكليل الملك هو Melilotus وهذا الاسم العلمي اللاتيني مأخوذ من الاسم اليوناني كما هو واضح.

وأما مانقله ابن سينا في ماهية هذا الدواء منسوباً إلى ديسقوريدس فهو في نعت نبات آخر اسمه باليونانية السفاقن تجده في كتاب ديسقوريدس ٢٥٤، واسمه العلمي اللاتيني Salvia officinalis كما في معجمات النبات الحديثة. وعند ذكر فؤائد إكليل الملك خلط ابن سينا بين منافع العقارين اللذين ذكرهما ديسقوريدس باسم السفاقن وباسم ماليلوطس، ووجدت مثل هذا تماماً في إحدى النسخ المخطوطة لكتاب الصيدنة، وهي النسخة التي رمز لها محقق الكتاب بالرمز (ب). وأحب أن أسجل هنا أن مخطوطة القانون رقم (١) التي تيسر لي أن تبقى بين يدي أثناء عملي أعود إليها للمقابلة والمقارنة كلما احتجت ناسخها طبيب حذف منها ماذكره ابن سينا منسوباً إلى ديسقوريدس ـ وهو خطأ كما بينت ـ كما حذف بعض الفؤائد التي لا يصح أنها لإكليل الملك بل هي للنبات الآخر.

اكيروس*

اكيروس ١: ٢٨٤

التروس ١: ٣٢١ (كذا وردت مصحفة في طبعة بولاق)

في كتاب الأدوية المفردة في القانون ذكر ابن سينا الجوز الرومي

* كتاب ديسقوريدس ٨٤. ومعجم أحمد عيسى ١٤٦. وانظر مادتي (جوز رومي، حور رومي) في كتابنا هذا.

فقال: «ويسمى اكيروس» وهو من اليونانية Aigeiros. وفي كتاب ديسقوريدس ص ٨٤: «أغيرس وهو الحور الرومي» بالحاء المهملة لا بالجيم كما ورد في قانون ابن سينا، وسأناقش هذا الأمر في مادة (جوز رومي) فالتمسها في باب الجيم.

اللبخ

اللبخ ١: ٢٦١

ذكره ابن سينا في باب الهمزة من كتاب الأدوية المفردة فقال: «إن كان هذا هو اللبخ فيكون من حقه أن يذكر في باب: اللام». فانظر مادة (لبخ) في باب اللام.

البعل

البعل، بزره، القضبان ١: ٢٦٢

ذكره ابن سينا في باب الهمزة من كتاب الأدوية المفردة فقال: «البعل: الماهية: دواء بحري[1] يشبه القت ينبت في الربيع، ويشبه أيضاً الحندقوقى، كثير القضبان، وبزره كبزر الجزر، حار .. ينفع من الطحال جداً.. يدر البول».

كذا في طبعتي رومة وبولاق، ولم أعثر على هذا العقار في المراجع، خلا منهاج البيان الذي نقل في الورقة (٣٤ ب) ما في القانون حرفاً بحرف. وقد رسمت اللفظة فيه وفي مخطوطة القانون رقم (١) رسماً مشبّهاً خطّته يد حائر جعل الكلمة تحتمل قراءات عديدة مثل: النفل، النغل...

---

(١) في المخطوطة (١) : «عربي».

التسفقن

التسفقن المنقّى ٣: ٤٢٩

ذكر ابن سينا هذا العقار في أخلاط دواء مركّب ينفع من السعال منها: «رمان الخشخاش.. كرفس جبلي مسحوق.. التسفقن المنقّى والريوند الصيني، والورد اليابس، وأصول السوسن..» كذا وجدتُ الكلمة في طبعتي رومة وبولاق لكتاب القانون، وهي في المخطوطة (٥): اليقطين، وفي المخطوطة (٦) البسفقن، وفي المخطوطة (١) السقطر، وكتب في حاشيتها «السقطر العدس المر». ولم أجد هذه الكلمة في المراجع، وأظنها مصحفة عن (ألا لِسفاقن) أو (اسفاقس) وهما اسمان يونانيان للنبات الذي ذكرته المراجع العربية باسم الناعمة، أو السالمة، أو المريمية، أو لسان الإبل[١] ، ويؤكد ما أقول أن ديسقوريدس وصف في كتابه (ص ٣٩٦) الشراب الذي يُتّخذ بالاسفاقس فقال: «يؤخذ من الاسفاقس سبعين درخمي ويلقى في جرّة من عصير وهذا الشراب ينفع من وجع الكلى والمثانة... ونفث الدم والسعال..». وإذا صح استنتاجي هذا فكلمة «المنقى» مصحفة أيضاً والصواب: «ألا ليسفَقُن المنقع». وقد ذكر ابن سينا الالسفاقن في الأدوية المفردة. ولكنها وردت مصحفة برسم: السفاني. انظر هذه المادة بعد قليل.

التعفين*

التعفين ١: ٣٩٧

عرض هذا الاسم في كلام نقله ابن سينا عن ديسقوريدس يصف به

(١) خطأ تكرر في المراجع العربية والصواب: «لسان الأيل».

* كتاب ديسقوريدس ٣٦ (اسطروحنن البستاني)، ومفردات ابن البيطار ٣: ١٣٦ (عنب الثعلب).

أنواع عنب الثعلب و هو قوله: «والصنف الثاني منه يسمى التعفين ورقه يشبه بورق الصنف الأول..» وعبارة ديسقوريدس كما جاءت في كتابه هي: «وقد يكون صنف آخر من عنب الثعلب ويسمى اليققابن وهو الكاكنج وورقه شبيه بورق الصنف الأول..» وتكررت الكلمة ثانية بهذا اللفظ في كتاب ديسقوريدس أيضاً ص ٣٧: فهو إذاً اسم يوناني للكاكنج. لم يذكر في المعجمات الحديثة، وقد وردت هذه اللفظة في طبعة رومة لكتاب القانون «البععين»، وحذفت من المخطوطة (١)، وهي في مفردات ابن البيطار حيث نقل كلام ديسقوريدس «النفقاين».

السفاني * [السفاقن]

السفَاني ١: ٢٦٢

التسفقن المنقّى [تصحيف][1] ٣: ٤٢٩

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال في ماهيته: «يظن أنه رعي الإبل»، وذكر من فوائده أنه ينقي الكليتين جداً وأنه شديد النفع من عضة الكلْب الكلِب.

كذا وردت اللفظة في طبعتي رومة وبولاق، وفي المخطوطة (١) السعّابى، والمخطوطة (٢) السعّانى، وكل هذا تصحيف. وتابعَ ابنَ سينا في رسم اللفظة ونعتِها ابن جزلة في المنهاج، وخطّأهما ابن البيطار فقال:

---

*كتاب ديسقوريدس ٢٥٤ (الالسفاقن)، والحاوي ٢٠: ٨٣ (السفاقس)، ومنهاج البيان ٣٤ ب(السفاني)، والمنتخب ٢٤ (الاليسفاقون)، ومفردات ابن البيطار ١: ٥٣ (الاسفافس)، وحديقة الأزهار ٣٦ (أشفاقش)، وتذكرة داود ١: ٥٤ (السفافس)، ومعجم دوزي ١: ٣٢، ومعجم أحمد عيسى ١٦٢ (١)، ومعجم الشهابي ٥٨٧. وانظر مادة (التسفقن) التي سبقت.

(١) انظر تحقيقه في الصفحة السابقة.

«الاسفاقس الأنف واللام فيه أصلية تعد من نفس الكلمة وعماد حروفها، ومعناه باليونانية لسان الإبل[1] [الأيّل] قاله نقولا الراهب.

وقد غلط من ظن أنه رعي الإبل، وشجارونا[2] بالأندلس تسميه بالشالبية والناعمة أيضاً» وكذلك فعل ابن الكتبي حيث قال: «لسان الأيّل وغلط من سماه رعي الإبل» ثم نقل ماقاله ديسقوريدس في كتابه: «هو ثمنش[3] طويل كثير الأغصان وله عصا ذوات أربع زوايا لونها إلى البياض ماهو، وله ورق شبيه بورق السفرجل، إلا أنه أطول وأقل عرضاً، وهو خشن خشونة يسيرة.. وله زغب إلى البياض ما هو، طيب الرائحة، وفيه ثقل.. وينبت في مواضع خشنة. ولطبيخ الورق وطبيخ الأغصان إذا شربا قوة تدر البول والطمث .. وينفع من لسعة طريغونس[4] البحري..»

هذا العقار جنس من النباتات زهره «من الفصيلة الشفوية واسمه العلمي saiva منه أنواع برية كثيرة بعضها طبي» قاله الشهابي، وجمع أحمد عيسى أسماءه التي وردت في المراجع العربية فقال : «salvia officinalis» سالمة ـ أَسْفاقُس (يونانية Spakos) ـ الاسفاقُن (يونانيةElelispkahon ومعناه لسان الإيّل سمي به لمشابهة ورقه به) ـ ناعمة ـ مريمية ـ شالبية ـ الخ» .

والأسماء التي نجدها مصحفة كثيراً هي ما أُخذ من الكلمتين اليونانيتين، وكما تصحف معنى الثانية أيضاً إذ كثيراً مايكتب لسان الإبل بالباء الموحدة بدلاً من الأيّل بالياء المثناة المضعفة.

---

(١) كذا بالموحدة في مفردات ابن البيطار والصواب ما ذكرته بين معقوفين.

(٢) في المطبوع « وشجارينا».

(٣) ثمنش مصطلح نباتي يُراد به النبات أعلى من العشب ودون الشجر.

(٤) حيوان بحري سام ذكره ديسقوريدس في كتابه ص ١٣٤ باسم (طريغون ثلاسيا).

تعليق على كلمتي

«بغبر (بغبور)» و «خَرْبَشْتُهُ»

الواقعتين في بحث
«ألوان من التصحيف والتحريف»
للأستاذ الدكتور صالح الأشتر

الدكتور سيد رضوان علي الندوي

ما أصدق قول الناقد الكبير الأستاذ الدكتور صالح الأشتر في بحثه المسهب الممتع المفيد « ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث الأدبي المحققة» (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني، المجلد السابع والستون، نيسان (ابريل) ١٩٩٢، ص٦٥) عند الكلام على اللون العاشر من ألوان التصحيف والتحريف:

«والحق أن التصدي لهذا اللون الصعب من التصحيف والتحريف العويص والغامض يتطلب من القادرين عليه حظاً كبيراً من الكفاية والدراية، والفطنة والذكاء، والتضحية والصبر والتضامن والتعاون لبلوغ الغاية».

وقد أورد الأستاذ الناقد الجليل عشرات الأمثلة من التصحيف والتحريف في كتب التراث الأدبي المحققة على أيدي بعض كبار أساتذة العصر وأجلاء المحققين، ثم قام بتصحيح هذه التصحيفات والتحريفات القديمة من

قبل الناسخين، والحديثة من قبل بعض مشهوري المحققين. وخدم بعمله هذا كتب التراث هذه خدمة لايقدرها حق التقدير إلا من عانى تصحيح مثل هذه التصحيفات والتحريفات، أو الذي انساق أحياناً مع تصحيفات المحققين الذين استسهلوا أمر تحقيق كتب التراث، ولم يبذلوا الجهد الكافي فيه، أو لم يوفقوا في تحقيقاتهم على الرغم مما بذلوا من الجهد.

وتلبية لدعوته الحكيمة الجادة إلى «التضامن والتعاون» في هذا المجال أو في شرح الغوامض من الكلام، وفي ضوء خبرتي المتواضعة في تحقيق بعض كتب التراث في تفسير القرآن (مخطوط في مشكل القرآن لسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام الدمشقي المصري المتوفى سنة ٦٦٠هـ، والمنشور باسم فوائد في مشكل القرآن) منذ أكثر من ثلاثين سنة، بدا لي أن أعلق على كلمة «بغبر (بغبور)» «وخَرَبْشْتُهُ». ووقعت الكلمة الأولى في بيت بشار بن بُرد، حسب تصحيح الأستاذ الدكتور شاكر الفحام بينما جاءت الثانية في بيت شعر لابن الحجاج الشاعر الهزلي المعروف.

١- بغبر (بغبور)

وقعت هذه الكلمة محرفة إلى (ثغر) في بيت بشار بن بُرد في ديوانه بتحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ومراجعة عالمين مصريين، والبيت هو:

قاد الجنود من البُصيرة للعدا حتى وقعن بصين ثغر قودا [(١)]

ولم ينتبه محقق الديوان ولا مراجعاه إلى التحريف الواقع في كلمتي (الجنود) و(ثغر)، وراح يفسر محقق الديوان كلمة (صين ثغر) تفسيرات غير مرضية وغير مقنعة. ووفق الناقد الجليل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

---

(١) مجلة مجمع اللغة بدمشق، العدد المذكور في متن البحث، ص٥٨.

إلى الانتباه إلى التحريف الواقع في كلمة (ثغر) وكذلك (الجنود) وتصويبهما بعد بذل جهد محمود إلى (بغبر) و(الخيول)، وبذلك استقام معنى البيت، وذكر ذلك كله الأستاذ الدكتور صالح الأشتر في بحثه الذي أشرنا إليه (مجلة المجمع، العدد المذكور سابقاًص٥٩).

ونص كلامه عن كلمة (ثغر) هنا، في كتابه «نظرات في ديوان بشار ابن بُرد» كما أورده الدكتور الأشتر: «يخيّل إليّ أنها محرفة عن كلمة (بغر) أو (بغبر)» ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب (ص١١٨) وهو يشرح هذه الكلمة: «وكلمة (بغبر) أو (بغبر)، كانت تعني الأرض المترامية الأطراف في المشرق فيما بعد وراء النهر، حتى تبلغ تخوم الصين».

وقد أخذ بهذا التصويب غير المتيقّن «بغر أو بغبر أو بغبور» الأستاذ الدكتور صالح الأشتر كما وافق على شرح الدكتور الفحّام لهذه الكلمة.

والحق أن (بغبر)، هو الصحيح في بيت بشار الآنف الذكر، وأما (بغر) فليس بصحيح على الإطلاق. ثم لا داعي للشك بين (بغبر) و (بغبور) أيضاً. والصواب في الموضوع أن الكلمة الصحيحة أصلاً (بغبور)، وقد خفّفها بشار للضرورة الشعرية إلى (بغبر) بحذف الواو منها، ونجد مثل هذا التخفيف عند الشعراء قديماً وحديثاً، فلقد قال أبو الطروق الضبي، وهو يهجو امرأته، واسمها شعفر:

جاموسةٌ وفيلةٌ وخنزرُ وكلهنّ في الجمال شعفرُ

فجعل الخنزير، خنزراً.[٢]

أما معنى كلمة (بغبور) فليس كما ذكره الأستاذ الدكتور شاكر

---

(٢) الحيوان للجاحظ، ١٧٢/٧.

الفحّام بل هو لقب لملك الصين في الأزمان القديمة لدى الفرس، وانتقل منهم إلى العرب. وأقدم من ذكره فيما أعرف الجغرافي المؤرخ الكاتب، ابن خرداذبه، فلقد قال، وهو يذكر ألقاب ملوك الأرض، «ملك الصين: بغبور»(٣). وكذلك قال أبو الريحان البيروني بعده بنحو قرن في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» في جدول طويل ذكر فيه ألقاب سبعة وثلاثين ملكاً لمختلف أقطار الأرض والمدن(٤).وكذلك هو لقب ملك الصين عند القزويني(٥).

وقد ذكر المؤرخ الرحالة المسعودي (بغبور) أيضاً فيما أورده من أخبار الصين، وكلامه عنه في غاية الأهمية،إذ يقول: « وسار ملك الصين إلى دار المملكة، وعاد إلى ملكه، والعامة تسميه بغبور، وتفسير ذلك ابن السماء تعظيماً له، وهو الاسم الأخصّ، والذي يخاطبون به جميعاً طمغاجيان، ولايخاطبون ببغبور»(٦).

وفي هذا النصّ نواجه ماذكره الأستاذ الدكتور الأشتر من آفة التحقيق غير المجدي من اختيار المحقق في المتن الكلمة غير الصحيحة المرجوحة على الكلمة الصحيحة الراجحة في الهامش من النسخ الخطية الأخرى، إذ أورد محقق مروج الذهب، الشيخ محي الدين عبد الحميد في متنه كلمة (يعبور) في موضعين، مشيراً إلى (بغبور) في الهامش، وكذلك (جحان) مكان «طمغاجيان» (بالجيم الفارسية ذات ثلاث نقاط) المذكورة في الهامش أيضاً. وكان واجبه أن يذكر الكلمة الصحيحة في متن «المروج» المحقق، ويذكر

(٣) المسالك والممالك له، طبعة ليدن، ص١٦.

(٤) الآثار الباقية، طبعة ليبزيغ، ص ١٠١.

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت ص ٤٣٣.

(٦) مروج الذهب، تحقيق محي الدين عبد الحميد١/١٣٩.

اللفظة الخاطئة، وإن كانت في الأصل المحقق، في الحاشية حتى يكون نصّ كلام المؤلف مضبوطاً صحيحاً.

وهكذا فيتأكد من كلام المسعودي أن هذا اللقب لملك الصين لدى العامة تعظيماً له، وانتقل أولاً إلى الفرس ثم منهم إلى العرب أيام العباسيين الأوائل، ومن ثم لانجده في كتب التواريخ الصينية، أما تفسيره بابن ماء السماء عند المسعودي وغيره من المؤرخين الفرس والعرب فهو، على رأي كاتب المقال (فغفور) في دائرة المعارف الإسلامية نقلاً من سوڤاجيه في كتابه «العلاقات بين الصين والهند»، ترجمة للكلمة الصينية T,ien tzu[٧].

وإضافة إلى المسعودي، فقد ذكر النديم صاحب الفهرست، هذا اللقب أيضاً فيما أورده من أخبار الصين المهمة الموثوق بها في المقالة التاسعة للفهرست. ويزيدنا معرفة أن (بغبور) كان لقب ملك الصين في مملكة خانقون (أي كانتون)[٨]. وميناء خانقون أو كانتون هذا كان يرتاده البحارة العرب من الخليج قديماً، وبعض السياحين في العصر العباسي،ومنهم، أبو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي في القرن الرابع الهجري الذي ذكر نصّ كلامه عن بغبور صاحب الفهرست، بالإضافة إلى كلام راهب نجراني زار الصين ولقيه النديم.

هذا، وقد ذكر أصحاب المعاجم اللغوية كلمة بغبور أيضاً، في مادة (ب غ ب ر) أو (ب غ ر)، وهم ذكروا للكلمة المعنى نفسه، أي أنه لقب ملك الصين.ولعل أقدمهم الصغاني اللاهوري المولد، البغدادي الوفاة، الذي

---

(٧) راجع مادة فغفور في دائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية، الطبعة الحديثة،ليدن. (المجلد الثاني).

(٨) الفهرست طبعة فلوغل ص٣٥٠، وطبعة رضا تجدد ص٤١٣.

صرّح بأن الجوهري أهمل هذه المادة. ثم ذكر هذا اللغويّ العظيم كلمة (بغبور) في المادة الرباعية (بغبر)، قائلاً: معناه: ملك الصين[٩]. كما ذكره صاحب اللسان في المادة الرباعية نفسها، ثم صاحب القاموس، وقد أوردها في مادة (بغر) مضيفاً إلى قول الصغاني كلمة «لقب» قبل، ملك الصين. ولم يكن الفيروزآبادي مصيباً في ذكر كلمة (بغبور) في مادة (بغر) العربية، إذ إنها كلمة أجنبية فارسية لا علاقة لها بـ (بغر) العربية، ومن ثم لم يذكرها الجوهري في صحاحه ولا ابن فارس في معجم مقاييس اللغة.

وأما الزبيدي فقد ذكرها في مادة (ف غ ف ر) الرباعية في تاج العروس، فهي عنده (فغفور) أي الصورة الفارسية للكلمة. ونصّ كلامه: «فغفور كعُصفور: لقب كل من ملك الصين ككسرى لفارس والنجاشي للحبشة»، وأضاف شيئاً مهمّاً تؤكده المصادر الفارسية والافرنجية، وهو قوله: «وإليه ينسب الخزف الجيّد الذي يؤتى به من الصين».

وإزاء ذلك لايثبت ماذكره الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام من شرح الكلمة، ولسنا ندري مصدر تفسيره الغريب لهذه الكلمة، أي بغبور، بأنها «الأرض المترامية الأطراف في المشرق فيما بعد وراء النهر، حتى تبلغ تخوم الصين»، (ولعله قصد بعد ماوراء النهر).

وقد كنت أعرف معنى هذه الكلمة أو بالأحرى صورتها الفارسية المشهورة من قراءآتي القديمة للشعر الفارسي، ثم في «مسالك» ابن خرداذبة و «آثار» البيروني، ولكن لمزيد التأكد راجعت من جديد المصادر التاريخية واللغوية، فلم أجد في أيّ منها المعنى الذي ذكره الأستاذ الدكتور الفحّام، ومهما كان الأمر فإنه يستحق كل التقدير والثناء لتخليص هذه الكلمة من

(٩) الصغاني: التكملة والذيل والصلة، ٢/٤٢٣.

التحريف، وتصويبه خدمة للتراث الأدبي.

ولمزيد التوضيح أقول أن (بغبور) أصله بغپور(بالباء الفارسية في المرة الثانية ذات ثلاث نقاط التي يقابلها في اللغات الافرنجية حرف P)، وهي مركبة من كلمتين بغ بمعنى إله أو الصنم، وپور (بالباء الفارسية) بمعنى الابن، وهكذا فمعنى الكلمة الموحدة المركبة ابن الإله، وإنها ترجمة فارسية للكلمة للصينية في هذا المعنى كما مرّ، ومثل هذا التركيب يوجد في كلمة بغداد على رأي قدامى المؤرخين.

وأما الصورة الفارسية الأخرى لهذه الكلمة أي (فغفور)، والأكثر استعمالاً في النصوص الفارسية الإسلامية فنقول عنها إن استبدال الباء الفارسية بالفاء غيرنادر في اللغة الفارسية، فيقال پارس وفارس، وحتى الآن يُعرف الفُرس القدامى على المذهب المجوسي من عبّاد النار پارسيون Par-sis، ومنهم عدد كبير في المدن الساحلية بالهند والباكستان، وكانوا قد لجؤوا إليها عندما تعرضوا للاضطهاد في إيران في القرن الثامن عشر. وقد صرّح العلاّمة الإيراني المعاصر علي أكبر دِهخُدا في معجمه الضخم «لغت نامه» في أكثر من مئة جزء بالحجم الكبير: بأن (فغفور) لقب ملك الصين أيا كان ، وهي كلمة فارسية بمعنى إله أو الصنم وفور أوپور بمعنى الابن ويقال أيضاً «بغپور»[١٠]. وهذه هي الصورة التي اختارها السيد مرتضى البلكرامي الزبيدي في تاج العروس كما مرّ، فإنه كان أصلا من قرية بلكرام (Billgram) الشهيرة في الهند، ونشأ فيها، فكان يجيد الفارسية، وكان مطلعاً على آدابها.

وقد وردت هذه الصيغة لدى شعراء الفرس في القرن الرابع الهجري

(١٠) لغت نامه (بالفارسية)، الجزء ٧٩ (حرف الفاء) ص٢٨٧.

وبعده، أمثال الفردوسي، ومنوچهري،وأسدي، وفرّخي ونظامي كنجوي وغيرهم[١١]، وكذلك في الشعر الأُردي في الهند والباكستان.

ويقول صاحب مقال (فغفور) في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الحديثة بالانكليزية): «إن السائح الإيطالي ماركو بولو (في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي) قد ذكر في رحلته Facfur (فغفور) كآخر امبراطور من سلالة سونغ (Sung) ويبدو أنها صورة شرقية للكلمة».

وبناء على هذا كله فينبغي أن تكون كلمة «صين» في شعر بشّار مكسورة كما في النسخة الخطية المشار إليها من قبل المراجع المصري لديوانه، وليس مفتوحة كما اعتقده المحقق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة، ويكون معنى تركيب «صين بغبر»، الصين التابعة لحكم بغبر (أي بغبور)، مثل مصر الفراعنة، وفارس الأكاسرة، وبغداد المنصور، فيستقيم معنى البيت دون تعسف أو تأويل بعيد.

وبقي أن نقول إن كلمة (بغبور) الواقعة في شعر هارون بن موسى[١٢] الملتاني، مولى الأزد، المذكور في كتاب الحيوان للجاحظ :

قد كنت صعّدت عن بغبور مغتربا

حتى لقيت بها حلف الندى حكما[١٣]

فهي تحريف لكلمة بَنْجبُور أو فنزبور(1)، والتي لم ينتبه إليها محققه الجليل الأستاذ عبد السلام هارون. وبَنْجُپور (أصبحت عند الجغرافيين العرب

---

(١١) يراجع لأشعار هؤلاء في الموضوع، لغت نامه، الجزء نفسه، والموضع نفسه.

(١٢) وقد ورد ذكره في كتاب الحيوان للجاحظ عند الكلام على الفيل في الجزء السابع منه.

(١٣) الحيوان للجاحظ: ١١٨/٧.

[(1) لايستقيم وزن البيت اذا أثبتنا الكلمة المقترحة/ المجلة] .

فنزبور) فهي مدينة شهيرة قديمة في اقليم مكران بالسند وهي حالياً تعرف باسم. بَنْجْ كور Panjgore بمقاطعة بلوششان في الباكستان. وإن كان تفسير كلمة (بغبور) من قبل المحقق الكبير في الهامش، أي ملك الصين نقلاً عن القاموس. ولكن لايستقيم معنى البيت على إبقائه لهذه الكلمة المحرفة وتفسيره الصحيح لها. فالشاعر يقول إنه سار صعوداً نحو الشمال، نازحاً عن وطنه حتى وصل إلى ملتان حيث ممدوحه كان يحكم، وهو يزيد ابن هارون.

هذا، وإن هارون الملتاني هذا كان مغمور الشأن حتى قال عنه الجاحظ: «ولا أعرف من شأنه أكثر من اسمه وصناعته، وقد قال في صفات الفيل أشعاراً كثيرة»(١٤). ولو كان سافر إلى الصين، ولقي ملكها (بغبور) عُرف، واشتهر بذلك، كما عرف أبو دُلف الينبوعي. فلا يقال إذن إن هارون بن موسى، شاعر المُلتان، ذكر (بغبور) قبل ابن خُرداذبة.

أما معنى (بغبور) الذي ذكره ابن الأعرابي وأورده الصغاني في التكملة والذيل والصلة نقلاً عنه (دون الأخذ به) ثم ذكره كل من ابن منظور في اللسان والفيروزآبادي في القاموس تبعاً للصغاني أي «الحجر الذي يذبح عليه القربان للصنم» فإنه فيما اعتقد من ادعاءات واختراعات هذا اللغوي السندي الأصل الذي كان ذا ثقافة محدودة، وهي نطاق اللغة فحسب، ولم يكن يعرف من جغرافية العالم وتاريخ الشعوب شيئاً. ولم يكن ابن الأعرابي هذا من أعراب الجزيرة العربية، وكان أبوه زياد، على قول

---

(١٤) المصدر نفسه: ٧٥/٧، ويذكره الجاحظ باستمرار كشاعر المولتان (مُلتان محلياً)، وقد علق عليها محقق كتاب الحيوان الأستاذ عبد السلام هارون: «وهي بلد في بلاد الهند على سمت غزنة». وكلامه هذا ليس بشيء. فملتان مدينة عريقة شهيرة تقع الآن في مقاطعة البنجاب في الباكستان، وتبعد عن غزنة نحو ألف كيلومتر. وانظر عن هذا الشاعر المجهول وشعره كتابنا الماثل للطبع: اللغة العربيةوآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون.

ابن خلكان، عبداً سندياً من موالي بني هاشم[١٥]، وقد صدق أبو بكر محمد ابن عزيز السجستاني المعرف بالعزيزي في قوله: «ويقال...رجل أعرابي إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب»[١٦]. ومهما كان الأمر فإنه لاقيمة لتفسيره لكلمة (بغبور).

* * *

٢- خَرْبَشتُهُ.

وقعت هذه الكلمة في بيت شعرلابن حجاج كما قلت فيما مضى مع بيت آخر يهجو فيهما الخليفة العباسي الطائع، وكان كبير الأنف،قال:

خليفة في وجهه روشنٌ خَرْبَشْتُهُ قد ظلل العسكرا

عهدي به يمشي على رجله وأنفه قد صعد المنبرا

وبعد أن نقل الأستاذ الدكتور الأشتر هذين البيتين من كتاب نكت الهميان بتحقيق الأستاذ أحمد زكي (ص١٩٦) قال معلقاً: «وانتبه المحقق... إلى التصحيف في كلمة (خَرْبَشْتُهُ)، واكتفى بالتنبيه عليه بهذا التعليق في الحاشية: (كذا في الأصول) لكي يجرّب غيره حظّه في تصحيحه. وقد ورد البيتان في فوات الوفيات (٦/٢) ولكن محققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد لم ينتبه إلى التصحيف العويص ولم ينبّه عليه»[١٧].

ولم يجرّب الناقد الجليل الأستاذ الدكتور الأشتر حظه في تصحيح مااعتبره من التصحيف «العويص والغامض».

ولست أدري هل كانت هذه الكلمة (خَرْبَشْتُهُ) مشكولة هكذا في

(١٥) وفيات الأعيان (تحقيق إحسان عباس) ٣٠٦/٤.

(١٦) المصدر نفسه: ٣٠٨/٤

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد المذكور سابقاً، ص٦٥.

الأصل المخطوط، أو تمّ شكلها من قبل الأستاذ المحقق. ومهما كان الأمر فالأمر أيسر بكثير، وليس هناك أي تصحيف عويص وغامض في الكلمة. ومصدر الصعوبة في فهمه أمران:

١ ـ عدم معرفة اللغة الفارسية.

٢ ـ وشكلها الخاطىء على اعتبار أنها من (خربش) العربية، وهو خطأ محض.

والحقيقة أنها لفظة فارسية وشكلها: خَرُبْشْتَهْ (بضم الباء الفارسية أصلا المقابلة لحرف P وفتح التاء والهاء الساكنة في الأخير) وهي مركبة من كلمتين: خر بمعنى الكبير (ومعناه أيضاً الحمار) + پُشْتَهْ بمعنى الجدار المسنم الصغير يُبْنى ملاصقة لأسفل جدران القلاع أو المباني الأخرى لتوطيدها ضد المياه والسيول. وهكذا وَ خَرُبَشْتة الجدار المسنم، ويقال أيضاً لكل بناء على هيئة طاق إيوان وخيمة يعلو وسطه وطرفاه إلى الأسفل. ولكل مسنم غير مستقيم أيضاً[١٨]. ووردت هذه الكلمة في صورة «خَرْبشت»، عند الثعالبي[١٩] بهذا المعنى، أي بناء مسنّم.

فابن حجاج في هجائه لأنف الطائع الكبير جداً شبهه بالجدار المسنم غير المستقيم الذي يظلل العسكر بكامله.

والكلمات الفارسية في شعر ابن حجاج تمرُّ بكثرة، ويشهد عليه شعره الكثير المذكور في يتيمة الدهر للثعالبي بالإضافة إلى ديوانه، وحتى

(١٨) انظر المعاجم الفارسية. وماذكره من معانيه الصديق الدكتور محمدالتونجي : خيمة، نافذة، إيوان في المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) فغير صحيح، فلا يقال لهذه الأشياء خربُشْتَه.

(١٩) فقه اللغة، ص٣٠٤، وليس بين يديّ كتاب المعربّ للجواليقي، وإنني واثق أن اللفظة فيه.

[لم ترد اللفظة في كتاب المعرب للجواليقي/ المجلة] .

صدر هذا البيت فيه كلمة فارسية، وهي (روشن) بمعنى الكوّة[٢٠]، وهي مخففة من كلمة «رَوْشَنْ دانْ» بمعنى فتحة الضوء، ويقال لكوة الضوء أو الشباك الصغير في أعلى جدار الغرفة.

ثم لايمكن فهم معنى هذا البيت حتى بعد حلّ مشكلة كلمة (خَربُشْتَه)، فإن صدر البيت عسير الفهم أيضاً حتى نعلم صفة وجه الخليفة، وهو أنه كان مجدور الوجه كما في سيرة حياته. فابن حجاج إذن يشبه الخدوش في وجه الخليفة الناتجة من الجدري أو خدش كبير غائر بالكوّة. وقد يكون تصرّف في معنى كلمة (خربُشْتَه) واعتبره حاجزا خشبياً أمام الكوّة، وشبه أنف الخليفة الضخم بالحاجز الذي يظلّل جيشاً بأسره.

ومن طريف الأمر في الموضوع أن الخليفة العباسي القادر بالله أمر بعد خلع الطائع بجدع أنفه[٢١] قليلاً، وهو في الحبس في قصر الخلافة.

ويحلو لي بهذه المناسبة أن أقول إن فهم نصوص التراث الأدبي من العصر العباسي في المجال الحضاري والحياة اليومية بخاصة يتطلب معرفة اللغة الفارسية، فهذا كتاب البخلاء للجاحظ وهذا كتاب حكاية أبي القاسم البغدادي، والقصيدة الساسانية لأبي دلف الخزرجي الينبوعي وغيرها من النصوص الأدبية فيها عدد كبير من الكلمات الفارسية. ومن المؤسف أن الجامعات في البلاد العربية لاتهتم اهتماماً كافياً بتدريس هذه اللغة العريقة الإسلامية، بعد العربية، في أقسام اللغة العربية بها. فلعل هذا التعليق يكون حافزاً لها في إعادة النظر في مناهجها الدراسية.

---

(٢٠) لسان العرب، والقاموس، مادة (رشن). ولاعلاقة لها بهذه المادة، فإن الكلمة في الأصل رباعية.

(٢١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، الطبعة المنيرية. والطبعة المصورة منها، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٧ص٢١٧، الهامش رقم(٣) بقلم الأستاذ عبد الوهاب النجار.

مراجع التعليق

١ ـ الحيوان للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩ .

٢ ـ المسالك والممالك لابن خرداذبة، طبعة ليدن، ١٨٨٩ .

٣ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيروني، طبعة ليبزيغ، ١٩٢٣

٤ ـ آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني. طبعة دار صادر، ببيروت.

٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة.

٦ ـ الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم، طبعة فلوغل الألمانية، وطبعة رضا تجدد الإيرانية .

٧ ـ التكملة والذيل والصلة للصغاني تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرين ـ القاهرة.

٨ ـ لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر، ببيروت.

٩ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

١٠ ـ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون. طبعة مصورة، طهران.

١١ ـ تاج العروس للسيد مرتضى البلكرامي الزبيدي، طبعة الكويت الحديثة، وطبعة القاهرة.

١٢ ـ يتيمة الدهر للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣ ـ فقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي، طبعة مؤسسة إسماعيليان بطهران (المصوَّرة).

١٤ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.

١٦ ـ لغت نامه لعلي أكبر دِهخُدا، (بالفارسية) طبعة طهران.

١٧ ـ فرهنك خيام (قاموس فارسي) طبعة طهران.

١٨ ـ فرهنك فارسي كيلاني (قاموس فارسي) طبعة طهران.

١٩ ـ المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) للدكتور محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية (بالانكليزية)، طبعة حديثة، ليدن.

استدراك على
ديوان تَمِيم بن أُبيّ بن مُقْبِل

مسعود عامر

قام الدكتور عزة حسَن بتحقيق ديوان ابن مُقبل، وصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي « مطبوعات مُديرية إحياء التراث القديم في دمشق» سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م.

ونعمت بقراءة الديوان ودراسة عن الشاعر « حياته وشعره » وهو موضوع رسالة للماجستير في كلية الآداب (قسم اللغة العربية وآدابها) جامعة دمشق، ومما لاشك فيه أن مابين صدور الديوان والدراسة مدة أكثر من (٢٠ سنة) قد طبعت فيها عدة مصادر وظهرت إلى النور بعد ماكانت حبيسة المكتبات الخاصة و العامة، بفضل الساهرين على إحياء تراث الأجداد وتثمينه، وبعثه من جديد، ولا شك أيضاً أنه ندت عن المحقق الفاضل بعض المصادر ـ وهي قليلة ـ لم يرجع إليها ككل عملٍ فرديّ يعتريه النقص ـ فالكمال لله وحده ـ ومن هنا عثرت على بعض الأبيات التي أرجو أن تضاف إلى ديوان الشاعر، وأعلم أيضاً أن الأبحاث الجادة ستكشف عن موارد أخرى لشعرنا القديم.

أبيات لم ترد في الديوان المطبوع

وهي : ١- في المشترك وضعاً، والمفترق صقعاً لياقوت (٦٢٦ هـ):[(١)]

طَرِبْتَ إِلَى الحَيِّ الذِينَ تَحَمَّلوا   بِبُرْقَةِ أَحْواذٍ، وأَنت طَرُوبُ

٢- وفي تاريخ المدينة لابن شبّة (٢٦٢ هـ):[(٢)]

خَرَجْنا وغادَرْنا ابن عَفَانَ مُدْنَفاً   مِن السَّيْفِ لايَسْلُكْ إلى السَّيْفِ ضارِبُه

وذو دَائِه مُستَحْجِنٌ بِوِسادِهِ   إذا شَاءَ عَاداه، وغابَتْ طَبائِبُه

وبالمِصْرِ طِبٌّ إن أرَادُوا دواءَه   وبالشّام لَيْثٌ تَقْشَعِرُّ مناحِبُه

فإنْ تَقتلُوهُ تَلْفِظِ الأَرْضُ بَطنَها   على النَّاسِ فِيه فَرْثُه، وأقاتِبُه

٣- وفي جمهرة النسب لابن الكلبي (١٤٦ هـ):[(٣)]

لَعَلَّ عُقَيلاً تَحْسَبُ النّاسَ غَيْرَها   عَبِيداً وأنَّ الدَّهْرَ لابُدَّ سَرْمَدُ

---

(١) المشترك وضعاً والمفترق صقعا لياقوت الحموي ٤٨، ووردهذا البيت في معجم البلدان دون عزو، وقد ذكر قبله بيتاً لابن مُقبل مادة (بُرْقَة)، وبُرْقَة في كلام العرب الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان، وتضاف البرقة إلى المواضع فيقال بُرقة أثماد، وبُرْقة الأجوالِ... ومنها بُرْقة أحْواذِ: جمع حاذ، وهو شجر تألفه بقر الوحش وقيل من شجر الجنبة.

(٢) تاريخ المدينة ٣/١٠٤٨.

(٣) جمهرة النسب لابن الكلبي ٥٢/٢، والبحيرة كما ورد في اللسان (بحر) أن السائبة -(وهي الناقة التي ولدت عشرة أبطن إناث متتابعة) - تترك فلا تركب، ولا تجز، ولايشرب لبنها إلاّ ضيف، فما ولدت بعد ذلك من أنثى، شقوا أذنها وخلّوا سبيلها، وحرم منها ماحرم من أمّها وسمّوها البحيرة.

نَحَرْنَا ابْنَنَا عنكُمْ وأيُّ بَحِيرةٍ غُلامٌ حَنَيفٌ جَدُّهُ والمُقلَّدُ

٤ـ وفي الأضداد لأبي الطيب (٣٥١):[١]

وقَدْ رَابَني من سِرٌ وَصْلِكِ أنَّه يُوافِق جَوْنَ اللَّيْل من سَرْوٍ حِمْيرا

٥ـ وفي التنبيهات لعلي بن حمزة (٣٧٥ هـ):[٢]

وصُلْبٍ تَمِيمٍ يَبْهَرُ اللِّبْدَ جَوْزُه [إذا مَا تَمَطَّى في الحِزَامِ تَبطَّرَا]

٦ـ وفي كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ): [٣]

إذا زُجِرَتْ أَلْوَتْ بِضافٍ سبيبُه أثيثٍ كَقِنْوان النَّخيلِ المُخَصْلَفِ

٧ـ وفي الدر الفريد لابن أيدمر[٤] (٧١٠هـ):

وتَنَفَّست بي هِمَّةٌ رَفَعَت قَدْري لِكُلٌ عظمةِ القَدْرِ

٨ ـ وفي الدر الفريد[٥] :

وأكْرَهُ مالا هولَ دون لقائِه وأَهْوى مِنَ الأَمْرِ الحزِينَ المُمَنَّعا

---

(١) الأضداد لأبي الطيب ٣٠٢/١.

(٢) التنبيهات على أغاليط الرواة ١٩٤، وقد أورد صدر البيت وعزاه لابْنِ مُقْبِل، وورد البيت في اللسان مادة (تمم) دون عزو.

(٣) كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ٢٣٢/١، وورد في اللسان مادة (خصلف) (كقنوان النّخيل المخصلف) منسوباً لابن مقبل وقد أثبت المحقق في ذيل الديوان ٣٧٣، ماجاء في اللسان .

(٤) الدر الفريد وبيت القصيد ٦١/٥ وهو البيت الخامس ضمن أبيات، وقد أثبت المحقق الأبيات الأربعة في ذيل الديوان ٣٦٧– ٣٦٨، وورد البيت في أبيات أُخر منسوباً إلى محمد بن زياد الحارثي حماسة البحتري ٣١٠.

(٥) نفس المصدر ٢٣٩/٥.

٩ ـ وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣١٠هـ):[1]

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبابِ بَكَتْ لَهُ ... والشَّيْبُ أَرذَلُ هذه الأبْدَالِ

والنّاسُ هَمّهُمُ الحَياةُ ولا أَرَى ... طُولَ الحَياةِ يَزِيدُ غير خَبالِ

وإذا افتقَرْتَ إلى الذَّخائرِ لم تَجِدْ ... ذُخْراً يَكونُ كصَالِح الأعمالِ

١٠ـ وفي الدرر اللوامع للشنقيطي:[2]

قد كُنْتُ أَحْجُو أَبا عَمْرٍو أَخا ثِقَةٍ ... حَتَّى أَلَمَّت بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ

١١ـ وفي شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (٣٨٥ هـ):[3]

يَأْوِي إلي مَجْلس بادٍ مكارِمُهُمْ ... لاَ مُطْمِعِي ظالِم فِيهِم وَلا ظُلُمُ

شُمٌّ مَهاوِينُ أَبْدانَ الجَزُورِ مَخَا ... مِيصُ العَشِيَّاتِ لا مِيلٌ ولا قُزُمُ

١٢ـ وفي كتاب الأفعال للسرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ):[4]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٨٤٣/٨، نسب البيت الأخير في طبقات الشعراء ٤٩٣/١ إلى الأخطل، وهو في ديوانه (١٥٨) وذكر محقق طبقات الشعراء الأستاذ محمود شاكر «أنه ينسب إلى الخليل بن أحمد تارة (الكامل ٢٤١/١)، وإلى ابن مقبل تارة أخرى وكلاهما خطأ». حاشية طبقات الشعراء ٤٩٣/١.

(٢) الدرر اللوامع على همع الهوامع ١٤٨/١ جاء فيه: «والبيت من شواهد العيني قال أقول قائله تميم بن أبي [بن] مقبل كذا قال ابن هشام ونسبه في المُحكم لأبي شبل الأعرابي» ملمّاتٌ: جمع ملمّة بمعنى النازلة.

(٣) شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ٢١٥، ونسب سيبويه (١٦٨ هـ) ثانيهما في الكتاب ١/ ١١٤ الى الكُميت وقد عقب البغدادي على هذا بقوله: «وقال ابن المستوفي كابن خلف، رواه سيبويه للكميت بن زيد، ولم أره في ديوانه وأنشده ابن السيرافي لتَميم بن أبيّ بن مقبل، ولم أره فيما كتبه من شعره والله أعلم» الخزانة ٤٥٠/٣.

(٤) كتاب الأفعال للسرقسطي ٢١٢/٢.

ضَغَّثَ أوساطَهُ خالٍ وَخَلَّطَهُ   مِنَ الخُزَامَى بِأحْدَابٍ ومُهْتَضَمِ

١٣- وفي التقفية في اللغة للبندنيجي (٢٨٤ هـ):[١]

ومَنهَلٍ كَزِمِ الأوْرادِ حاضِرُه   رِيشُ اليَعَاقِيبِ لَمْ يُجْهَدْ عَلَى نَعَمِ

١٤- وفي معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ):[٢]

مَنَعُوا مابَيْنَ أعْلَى شَبْوَةٍ   وَقُصُورِ الشَّامِ بالضَّرْبِ الخَذِمْ

١٥- وفي اللسان لابن منظور (٧١١ هـ):[٣]

مَا كُنْتُ مَولَى خَنابات فَآتِيَها   ولا ألِمْنَا لِقَتْلَى ذاكمُ الكَلِمِ

١٦- وفي التقفية في اللغة للبندنيجي (٢٨٤ هـ):[٤]

وامْتِسائِي والثّرَيا دَنَفٌ   بِشَفَا المْوتِ ولمَّا تَقْتَحِمْ

بِسَغِيفِ القَدِّ سَخْلاً مُغْرَقاً   مِن أجِنَّاتِ المَراسِيلِ الكُتُمْ

١٧- وفي جمهرة النسب لابن الكلبي (١٤٦ هـ):[٥]

مِنْ بَنِي عُقْدَةَ مَعْروفاً لَهُمُ   وبَنِي رَيْطَةَ لِلْفَحْلِ القَطِمْ

---

(١) التقفية في اللغة لابن بشر اليمان البندنيجي ورد في موضعين ١٩٠-٣٦٢، لم تجهر: لم تنزف يقال جهرت البئر أجهرها جهراً: إذا نزفتها، كزم الأوراد: قصير الأوراد، واليعقوب: ذكر العقاب.

(٢) معجم البلدان لياقوت مادة شبوة. منسوبا لابن مُقْبل ٢/٢٨٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (خنب) وورد أيضاً في المحكم لابن سيده (٤٥٨هـ) منسوباً لابن مقبل. الخنابة: الشر والأثر القبيح.

(٤) التقفية في اللغة للبندنيجي ٩٨ وقال المحقق: «جاء في هامش الأصل قال أبو عمر: السغيف: الشديد، والسفيف أجود بالفاء».

(٥) جمهرة النسب لابن الكلبي ٢٨، وجاء فيه معزوفا بالزاء المعجمة وبها لايستقيم المعنى والصحيح ماأثبتناه في المتن.

١٨- وفي جامع البيان للطبري (٣١٠هـ):[١]

أَفْسَدَ النّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلَّ وأعْراقَ الرَّحِمْ

١٩- وفي شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (٣٨٥ هـ):[٢]

أَما العُرامُ فَمَنْ يَذْهَبْ يُعارِمُنا يَعْضُضْ بِإبْهامِهِ من واجِمِ النَّدمِ

٢٠- وفي جمهرة النسب لابن الكّلبي (١٤٦ هـ):[٣]

يا جَدْع آنُفِ قَيْسٍ بعْدَ هَمَّامٍ بَعْد المُذَبّب عَنْ أَحسَابِهَا الحَامِي

٢١- وفي الموازنة للآمدي (٣٧٠هـ):[٤]

وكُل يَمَانٍ طُولُه مِثلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ ولاَ طَرَفَانِ

٢٢- وفي أنساب الأشراف للبلاذُري(٢٧٩هـ):[٥]

(١) جامع البيان للطبري ٨٥/١٠، الخلوف: جمع خلف بسكون اللام وهم الذين يخلفون غيرهم في ديارهم خيارا كانوا أو أشراراً وقيل إنّه خاص بالأشرار يقال هؤلاء خلف سوء، والإلّ هاهنا بمعنى القرابة أي قطعوا القرابة.

(٢) شرح أبيات سيبويه ٤٢١/٢. العرام: الخصومة والقتال، الواجم: الساكت على غم وحزن، وقبل هذا البيت بيت أثبته المحقق في الملحق (صفحة ٥/٣٩٨).

(٣) جمهرة النسب ٦٢/٢ وفيه (جذع) (ذال معجمة)، والصواب ماأثبتناه .جدع: قطع، وهمّام: هو هَمَّام بن قَبِيصَة النّمَيْري أحد شجعان العرب قتل يوم مرْج رَاهِط، ورثاه ابن مقبل (تاريخ الطبري ٣٠٦/٥).

(٤) الموازنة للآمدي ١٧٨، وربما يكون هذا البيت من القصيدة النونية (٤٢) لأنه يشبهها وزنا وقافية.

(٥) أنساب الأشراف ٣١٧/٧.

الأخطل: هو غياث بن غوث التّغلبي الشاعر المعروف. ويوم الفوارس: يريد به يوم (مَاكسين) وكان لقَيْس على تَغْلب.

قل لابْنَةِ الأخْطَلِ المسْلُوبِ مِئْزَرُها يَوْمَ الفَوارسِ لَمَّا رَاثَ فَادِيها
ولَسْتُ سَائِلَها إلاَّ بواحِدَة مَارَدَّ تَغْلِبَ عَنْها إذْ تُنادِيَها

٢٣- وفي كتاب النبات للدِّيْنَوَرِيّ (٢٨٢هـ):(١)

بألْحٍ وأشْدَاقٍ سِباطٍ كَأنَّها سُبُوتُ النِّعالِ ما تُشاك الأفَانِيَا(٢)

٢٤- وفي الزاهر لأبي بكر الأنباري (٢٧١-٣٢٨هـ):(٣)

لَعَلَّكِ يَوْماً أن تَرَيْني بإِمَّةٍ ويُكثر ربِّي مِيرَتي ولقاحيا

* * *

(١) كتاب النبات ٥/٢٨.

سبوت النعال: جلود النعال، والسبوت كل جلد مدبوغ. ألح ج لَحْي وهو منبت اللحية.

(٢) وتحسن الإشارة إلى أن بعض هذه الأبيات ليست خالصة النسبة لابن مقبل، فبعضها ينسب تارة إلى شاعرنا، وتارة أخرى إلى غيره من الشعراء.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٥١/١ الإمَّة: النعمة، وقرئ قوله تعالى: « إنا وجدنا آباءنا على إمَّة » (الزخرف : ٢٢) ومعناها على نعمة.

ثبت المصادر

(مرتبة حسب ترتيب الأبيات)

١ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً: ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ـ مكتبة المثنى، وغوتن ١٨٤٦م.

٢ـ تاريخ المدينة المنورة ، أبو زيد عمر بن شبّة تح: فهيم محمد شلتوت ـ دار الأصفهاني للطباعة جدّة ١٣٩٣هـ.

٣ـ جمهرة النسب لابن الكلبي (١٤٦هـ) تح: عبد الستار أحمد فراج ج١ ـ وزارة الإعلام، الكويت ١٩٨٣م.

٤ـ الأضداد لأبي الطيب (٣٥١هـ) تح: د. عزة حسن ـ مطبعة الترقي دمشق ١٩٦٣.

٥ـ التنبيهات لعلي بن حمزة (٣٧٥هـ) تح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م.

٦ـ الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر (٧١٠هـ) أصدره د. فؤاد سزكين ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية جامعة فرانكفورت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٧ـ كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) ـ الهيئةالعامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣١م.

٨ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣١٠هـ) ـ الطبعة الحسينية المصرية ١٩٦٨م.

٩ـ الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي ـ ط١ مطبعة كردستان العلمية (١٣٢٨هـ).

١٠ـ شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (٣٨٥هـ): تح: د. محمد على سلطاني ـ مطبعة الحجاز دمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١١ـ كتاب الأفعال للسرقسطي (بعد ٤٠٠هـ) تح: د. حسين محمد شرف ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٢ـ التقفية في اللغة للبندنيجي (٢٨٤هـ) تح : خليل إبراهيم العطية ـ مطبعة العاني، بغداد

١٩٧٦م.

١٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي (٦٢٦هـ) - مصر ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

١٤- لسان العرب لابن منظور (٧١١ هـ) طبعة صادر بيروت .

١٥- جامع البيان للطبري (٣١٠هـ)- مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢ : ١٩٥٤م.

١٦- الموازنة بين الطائيين: للآمدي، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٧٩م.

١٧- أنساب الأشراف للبلاذري (٢٧٩هـ) تح: أحمد زكي، القاهرة ١٩٤٦م.

١٨- كتاب النبات للدِّيَنَوَري (٢٨٣هـ) ، مطبعة بريل ليدن سنة ١٩٥٣م.

١٩- الزاهر في معاني كلمات النّاس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١-٣٢٨هـ) - تح : د. حاتم الضامن . اعتنى به : عز الدين النّجار، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط١ سنة١٤١٢هـ ١٩٩٢ م.

❊ ❊ ❊

❊

ملاحظات على
شعر ماني الموسوس

الدكتور محمد يحيى زين الدين

نشرت وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٨٨ شعر ماني الموسوس بتحقيق الأستاذ عادل العامل.

يقع هذا الكتاب في ١٢٨ صفحة تناول فيه المحقق حياة الشاعر وأخباره بتفصيل مسهب، كما تضمن ٥٥ قطعة مما تناثر من شعره في المصادر المطبوعة أو المخطوطة بلغ عدد أبياتها ١٧٨ بيتاً وثلاثة أشطر، معدوداً فيها الشعر المتنازع في نسبته.

وقد بذل المحقق جهداً لايخفى في جمع تلك الأشعار، وفي شرحها وتخريجها، وفي تتبع المصادر والمراجع، إلا أن عمله هذا لم يخل من بعض مآخذ وهنات رأيت عرض بعضها في هذا المقال الموجز:

١ـ كان أولى بالمحقق أن يجعل في قسم مفرد مالم تصح نسبته إلى ماني من أشعار(١) أو مانسب إليه وإلى سواه من الشعراء(٢).

٢ـ لم يعن المحقق بذكر الروايات المختلفة للبيت الواحد إلا في القليل

---

(١) من ذلك مثلاً البيت المفرد (ص٧٤) في مديح أبي دلف (ت٢٢٥هـ)، والأبيات الفائية (ص٧٥) في مديح إبراهيم بن المدبر (ت٢٧٩هـ)، نظراً للفارق الزمني بينهما وبين ماني (ت٢٤٥هـ) كما نص عليه المحقق.

(٢) شعر ماني ص٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٨، ٧١، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣.

النادر، وإنما اكتفى بأن يشير إلى أن هذه الأبيات قد وردت في المصادر الأخرى بشيء من الاختلاف دون أي بيان أو تفصيل[١]، بل إنه ربما أغفل بعض الروايات على مخالفتها للرواية التي اعتمدها في المتن دون أن يذكر ذلك[٢].

٣- وقع في تخريج الأبيات وفي بعض تعليقات المحقق شيء من الاضطراب كما وقعت في الكتاب بعض الأخطاء الأخرى، فمن ذلك مثلاً:

ص٣٦:

«قال المبرد اجتزت بدير هرقل..»

وإنما الصواب: دير هِزْقِل، بالزاي المعجمة، كما نص عليه ياقوت الحموي: «دير هزقل بكسر أوله وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وأصله حزقيل ثم نقل إلى هزقل..». ومثله أيضاً ماورد في ص٥٢، ٥٣، ٨٥.

ص٤٥(ح١) :

جاء في تخريج الأبيات: «وهذا البيت والذي بعده منسوبان لمروان بن أبي حفصة الأصغر في طبقات الشعراء ٤٥٨».

كذا وماذهب إليه المحقق ليس بصواب وإنما ورد البيتان في هذا الموضع منسوبين إلى يحيى بن أبي السمط: «وأما يحيى بن أبي السمط فسماه المتوكل محموداً، ويحيى الذي يقول في المتوكل ....».

---

(١) شعر ماني ص٥٠، ٥٦، ٧١، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٩٣، ٩٤، ٩٩، ١٠١.

(٢) انظر مثلاً ماورد في أمالي الزجاجي ص٦٢ للبيتين ٣، ٤ من شعر ماني ص٥٢، وماورد في طبقات الشعراء ص٣٠٤، ٣٦٩ للبيت الثالث ص٨٨ وللبيت الأول ص٨٩ من شعر ماني.

وهو محمود بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن سليمان بن أبي حفصة، ويكنى أبا مروان وإنما سماه المتوكل محموداً لغمزه على الطالبيين[1]. أما مروان الأصغر فهو مروان بن أبي الجنوب واسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ويكنى أبا السمط[2].

ص٤٦(ح) :

ونعيمٍ كوصل من كنتُ أهوى قد تبدلتُهُ ببؤسِ العقابِ

وإنما الرواية: العتاب. معجم البلدان (ديرحزقيال) وهو المصدر الذي اعتمده المحقق في رواية تلك الأبيات.

ص٥٠:

جاء في تخريج الأبيات الأربعة: «وجاءت في... منسوبة إلى أبي نواس.... وكذلك الحال في... حيث نسبت إلى أبي نواس..»

ومثله أيضاً ماورد في تعليقه على الأبيات الأربعة الأخرى (ص٨٠):

«كما وردت الأبيات ... وجاء فيه: كقول الحماسي»

وإنما كان أولى بالمحقق أن يحيل إلى ديوان أبي نواس[3] أو إلى الحماسة[4] لتخريج الأبيات وتوثيقها[5].

ص٥٧:

جاء في التخريج: محاضرات الأدباء ٢/٦٠٢.

---

(١) معجم الشعراء ٤٩٢.

(٢) معجم الشعراء ٣٢١ وطبقات الشعراء ٣٩١ وتاريخ بغداد ١٥٣/١٣ والأغاني ٨٠/١٢.

(٣) لم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس مما يرجح نسبتها إلى ماني.

(٤) جاءت الأبيات الأربعة في حماسة أبي تمام ١٣٣٩/٣ (بشرح المرزوقي) بدون نسبة كما جاء البيتان الأولان منها في التذكرة السعدية ٤٦٦/١ بدون نسبة أيضاً.

(٥) ومثله أيضاً ماورد في ص٢٩، ٣٠، ٦٨، ٩٣.

وإنما الصواب ٤/٦٠٢ ومثله أيضاً ماورد في ص ٩٢.

ص٥٨:

إذا مارأيتَ ابتسامَ الأميـ ـرِ في الجدبِ فابشر بصَوبِ المطرْ

وفي الحاشية: الصوب: المطر. ويعني به الشاعر هنا: هطوله.

وماذهب إليه المحقق لايستقيم مع قوله: بصوب المطر. وإنما الصوب: ماصاب من المطر، أي سال.

ص٧٣:

.... ـوجد إلى مثلِ رقّةِ الأُلِفِ

كذا ورد البيت ناقصاً وتمامه:

ومُدنَفٌ عاد(١) في النحولِ من الـ

الأغاني ٢٣/١٨٢ وكتاب الزهرة ١/٣٠٤ وهو من أخطاء الطباعة.

ص٨٥:

جاء في التخريج: «معجم البلدان ٢/٥٤١... كما وردت القصة والأبيات... في ... محاضرات الأدباء ٣/١١١..».

كذا بالإطلاق. وإنما الصواب: الأبيات ١ـ ٤، ٦ في معجم البلدان. وقوله ٣/١١١ ليس بصواب كذلك، ولا أدري ماصحته.

ص٩٠:

جاء في تخريج الأبيات: «.. وفي المحب والمحبوب ١/٦٧٩ ورد البيت الأول والثالث فقط ...».

---

(١) في الزهرة: .. زاد.. دقة؛ قوله: دقة ، بالدال المهملة هو الصواب. قال ماني (شعره: ٥٥):

لويحسدُ السلكُ على دقّةٍ حقّاً لأمسى بعضَ حُسّادي

وماذكره المحقق ليس بصواب، وإنما جاء البيتان في ١/٢٩٣ منسوبين إلى ابن عائشة.

ص٩٠:

وكأنهن إذا أردنَ خطاً يقلعنَ أرجلهنّ من وحلِ

وفي الحاشية:

وورد بيتان في المستطرف ٢٢/٢ بدون نسبة، هكذا:

يمشين مشي قطا البِطاحِ تأوّداً قبّ البطونِ رواجح الأكفالِ
فكأنهنّ إذا أردنَ زيارةً[1] يقلعن أرجلهنّ من أوحالِ

جاء البيتان في معجم الشعراء ٢٣٩ منسوبين إلى الكميت بن زيد. كما وردا في الحماسة البصرية ٨٩/٢ ـ ٩٠ منسوبين إلى الكميت بن معروف.

ص٩٣:

جاء في تخريج الأبيات: «كما ورد البيت الثاني مع آخر في محاضرات الأدباء ١١٠/٣ منسوبين إلى البحتري».

كذا وإنما الصواب: كما ورد البيتان الأولان في محاضرات الأدباء.وقوله: منسوبين إلى البحتري، ليس بصواب أيضاً وإنما عطف البيتان على شعرللبحتري تقدم ذكره[2].

---

(١) في شعر ماني: زيادة ، بالدال المهملة. وماأثبتُّه هو الصواب. المستطرف والحماسة البصرية .

(٢) لم يرد البيتان في ديوان البحتري وإنما أثبتهما محققه في ص٢٦٥٢ منه عن محاضرات الأدباء ، وقولهم (وقال) بعد أبيات لشاعر ما لاتعني دوماً أن الأبيات الأخرى للشاعر المذكور وإنما تعني على الأغلب: وقال آخر. انظر تفصيل ذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٤٧ ج٢ ص ٤٢٨ـ ٤٣٠)، (مج ٦٦ ج٤ ص ٧٢٠) . الوحشيات (ط٢، ١٩٧٠) ٨٣، ٩٣، ١٥٥، ١٧٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٦٥، ٢٦٩.

ص١٠٠:

جاء في التخريج:«... والمحب والمحبوب ١/٣٩٣».

وإنما الصواب: ١/٤٣.

٤ـ نسب المحقق إلى ماني عدداً من الأبيات دون أن يستقصي أمرها أو يتثبت من صحة نسبتها. فمن ذلك مثلاً الشطر التالي (ص ٥٧):

.... رهينةُ أرواحٍ وصوب رعودِ

فهو لم ينسب إلى ماني الموسوس وإنما ورد معطوفاً على شعر له.والصواب أنه لأبي نواس في ديوانه ص ٤٧١ وفي غرر الخصائص ١١٢ والرواية:

فمعذرةً منّي إليك بأن تُرَى رهينةَ أرواحٍ وصوبِ غوادي

وقبله وهو أول الأبيات:

أربعَ البلى إنّ الخشوعَ لبادِ عليكَ وإني لم أخنكَ وِدادي

ومثله أيضاً الأبيات الأربعة (ص ٨٠) ومطلعها:

ومافي الأرض أشقى من محبٍّ وإن وجدَ الهوى عذبَ المذاقِ

فهي إنما عطفت على أبيات لماني تقدم ذكرها. والصواب أنها لنصيب ابن رباح كما في تزيين الأسواق ص٨٤[1].

ونحوه أيضاً الأبيات الثلاثة (ص١٠١) ومطلعها:

غابوا فأضحى بَدَني بعدَهُم لاتُبصرُ العينُ لهُ فيّا

فهي لم تنسب كذلك إلى ماني وإنما وردت معطوفة على أبيات له: «ولقد أحسن الذي[2]يقول». والصواب أنها لديك الجن في ديوانه ص١٣٨.

---

(١) شعر نصيب ١١١ عن المصدر السابق.

(٢) قوله: الذي، لا يعني البتة أن الأبيات لماني.

٥ـ لم يستوف المحقق ماورد من أشعار ماني فيما اعتمده من مصادر، كما سها عن تخرج طائفة منها:

ص٤٣: جاء البيت الأول منها مع خمسة أبيات أخرى في ديوان أبي نواس٢٢٣[١].

ص٤٥: جاءت الأبيات ١، ٢، ٣، ٦ منها في الأغاني ٣٨٩/٥ بدون نسبة مع بيتين آخرين هما:

لايغتربنَ ولايسكنّ باديةً وليس يعرفن ماصَرٌ ولا حَلَبُ

وفي الذين غَدَوا نفسي الفداء لهم شمسٌ تبرقعُ أحياناً وتحتجبُ

كما ورد البيتان ١، ٦ مع البيت الأول من البيتين السابقين في ص٣٥٥ منه بدون نسبة أيضاً[٢].

ص٤٦: جاء البيتان في المحب والمحبوب ٢/ ٢٤١ منسوبين إلى خالد الكاتب.

ص٥٠: وردت الأبيات ١، ٣، ٢ منها في المحب والمحبوب ٢/ ٢٠٥ بدون نسبة، وجاء البيت الأول منها في التبيان في شرح الديوان ٤/ ١٨٦ بدون نسبة أيضاً.

ص٥٢: جاءت الأبيات الأربعة في غرر الخصائص ١٢٩ ـ ١٣٠، ووردت الأبيات ١، ٢، ٤ منها في عقلاء المجانين ١٤٣ منسوبة إلى مجنون. كما ورد البيتان ٢، ٤ في مصارع العشاق ٢/.٢٦ منسوبين إلى خالد الكاتب.

---

(١) ورد بعض أبيات أبي نواس هذه في ملحقات ديوان ابن المعتز ٤٧٤/٢ بزيادة ثلاثة أبيات في أولها.

(٢) في الأغاني ٣٥٥/٥: وليس يدرين ماضرع ولا حلب.

ص٥٣: جاءت الأبيات ١، ٢، ٤، ٣، ٥ منها في مصارع العشاق ٢٥٦/١ منسوبة إلى ابن أبي مرة المكي[١]، كما وردت أيضاً في الأمالي ٣٢/١ بدون نسبة بزيادة بيت في آخرها.

كما جاء البيت الخامس منها في أربعة أبيات منسوبة إلى أحمد بن يوسف الكاتب في سمط اللآلي ١٤٢/١ هي:

كم ليلةٍ فيكَ لا صباحَ لها ... أحييتُها قابضاً على كبدي

قد غصّتِ العينُ بالدموعِ وقد ... وضعتُ خدّي على بنانِ يدي

وأنت خِلوٌ تنامُ في دَعَةٍ ... شتّانَ بين الرُّقادِ والسَّهدِ

كأنّ قلبي إذا ذكرتكمُ ... فريسةٌ بين ساعِدَي أَسدِ

ـ وردت الأبيات ١، ٢، ٤ من الأبيات السابقة منسوبة إلى أحمد بن يوسف الكاتب أيضاً في الأغاني ٢٣/ ١٢١[٢]. كما جاءت بترتيب مختلف (١، ٣، ٢، ٤) في المحب والمحبوب ٦٦/٢ منسوبة إلى ابن المعتز، وهي كذلك في ديوانه ٣٤٨/١. وجاء البيت الرابع منها أيضاً في محاضرات الأدباء ٨٥/٣ منسوباً إلى ديك الجن[٣].

ص٥٩: جاء البيتان في شرح المقامات ٣٠٢/١.

ص٦١: جاء البيتان الأولان في محاضرات الأدباء ٨٦/٣ منسوبين إلى عبد الصمد بن المعذل.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي مرة. أبو عمارة المكي، يلقب بشمروخ. متوكلي وأكثر شعره في الغزل. (معجم الشعراء: ٣٨٦).

(٢) ليس من صلة فيما أرى بين أبيات ابن أبي مرة المكي وابن يوسف الكاتب بل هما مقطعتان مختلفتان وإن ورد البيت الرابع (كأن قلبي..) فيهما معا، كما لم ترد هذه الأبيات فيما اختاره الصولي من شعر أحمد بن يوسف في كتاب الأوراق.

(٣) ديوان ديك الجن ١٦٤ عن المصدر المذكور.

ص٦٥: جاء البيتان في ديوان ابن المعتز ٣٦٦/١ كما جاء البيت الثاني في محاضرات الأدباء ٩٢/٣ منسوبا إلى الأخيطل.

ص٦٨: جاء البيتان منسوبين إلى أبي دلامة في طبقات الشعراء ٦٢ وكتاب بغداد ٤٩٢/٨ وفي الأغاني ٢٣٩/١٠ - بزيادة بيت ثالث - وفي العقد الفريد ٣٠٢/١. كما وردا في المستطرف ٢٣٥/١ بدون نسبة.

ص٧١: جاءت الأبيات الثلاثة يليها بيت آخر في قطب السرور ٥٠٨ منسوبة إلى أبي نواس، وهي كذلك في ديوانه ٥٨٠.

ص٧٤(ح) : جاءت الأبيات الثلاثة الأولى في عقلاء المجانين ١٣١ منسوبة إلى أحد مجانين دير زكي.

ص٧٥: جاءت الأبيات الأربعة بترتيب مختلف (٣، ١، ٢، ٤) في شرح المقامات ٣٣٠/١ منسوبة إلى أبي شراعة.

ص٨٢: ورد البيتان في المحاسن والأضداد ١٤٤ ومحاضرات الأدباء ٣٠١/٣ والظرف والظرفاء ٢٣٣ بدون نسبة.

ص٨٥: جاءت الأبيات بتمامها في مصارع العشاق ٢٠/١، ٢٢ وغرر الخصائص ١٣٠ ونهاية الأرب ١٩٠/٢ - ١٩١. كما وردت أيضاً في بهجة المجالس ٢٤٩/١ بزيادة ثلاثة أبيات في أولها، وفي المستطرف ٤٣/٢ باستثناء البيت الرابع.

ص٨٦: جاء البيت الأول منها في الأغاني ١٨٦/٢٣. كما جاء في الشعر والشعراء ٨٧/١ منسوبا إلى عبد الله بن طاهر[1] مع بيتين آخرين هما:

ومَدِين البيض في تَعَبٍ وغريمُ البيضِ ممطولُ

---

(١) جاء (٢٣) بيتا من أبيات عبد الله بن طاهر في العقد الفريد ٢/ ١٩٨، كما جاء ثلاثة أبيات منها في طبقات الشعراء ٢٩٩ .

وأخـو الـوجـهـين حـيـث رمى[1] بــــهـواهُ فــهـو مـدخـولُ

ص٨٨: وردت الأبيات الثلاثة في طبقات الشعراء ٤٤٥ (عن المختصر) بزيادة بيت في أولها هو:

ليتَ شعري عن أملحِ الناسِ دلاً أمـقـيـمٌ لنا عـلى الوصلِ أم لا

ص٨٩: جاءت الأبيات الأربعة في الصناعتين ٢٣١ ونثار الأزهار ١٠٨ منسوبة إلى عبد الصمد بن المعذل.

ص٩٠: جاء البيت الثاني في محاضرات الأدباء ٢٩٨/٣ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس. كما جاء البيت الثالث في ص ٣٠٩ من المصدر السابق منسوبا إلى الموسوي[2] وفي الأشباه والنظائر ٢٠٩/١ بدون عزو.

ص٩٣: ورد البيتان ١، ٢ في كتاب الزهرة ١٠٥/١ بدون نسبة وورد البيتان ٢، ٣ في البديع في نقد الشعر ٢٢٨ بدون نسبة أيضاً. كما جاء البيتان ٢، ٣ منها (لأبي العتاهية) والبيتان ٤، ٥ (لماني الموسوس) في عقلاء المجانين ١١٧.

ص٩٧: جاء البيتان في ديوان ابن المعتز ٤٢٨/١ كما وردا في البديع في نقد الشعر ١٩٨ ـ ١٩٩ بدون نسبة مع بيتين آخرين هما:

وجـازيتُ الـتي جادت بـدمعٍ بـأن أقـررتُـها بـالحـبّ عَـيْـنـا

فـهل أحـدٌ سـوايَ أثـابَ عـيـنـاً على فـعـلٍ وعـاقـبَ فـيـهِ عَـيْنـا

كما ورد البيتان بدون عزو في بهجة المجالس ٢٤٧/١ مع البيت الأول من البيتين السابقين.

ص٩٩: جاءت الأبيات الثلاثة في المحب والمحبوب ٧٤/٢ منسوبة إلى

---

(١) في الشعر والشعراء: وهى، وإنما الصواب: رمى. العقد الفريد.

(٢) كذا وهي فيما أرى تحريف الموسوس.

محمد بن وهيب[1].

ص١٠٠: جاء البيت الثاني في المحب والمحبوب ٧٧/١.

ص١٠١: جاءت الأبيات الثلاثة بترتيب مختلف (١، ٣، ٢) في شرح المقامات ٤١٢/٢ بدون نسبة. كما جاء البيت الأول منها في البديع في نقد الشعر ٢٤٢ بدون نسبة أيضاً.

(١) في المحب والمحبوب: وهب، ومثله أيضاً ماجاء في ٢٧٣/٤ وإنما الصواب ماأثبت. طبقات الشعراء ٣١٠ ومعجم الشعراء ٣٥٧.

عود إلى كلمة

(الاشتيام)

الدكتور شاكر الفحام

كنتُ أوردتُ في كلمة لي سابقةٍ جملة من النصوص التي عرضت لكلمة (الاشتيام)، وجعلتُ ذلك لحقاً لما أتى به الأستاذ الدكتور السيد يعقوب بكر[1].

وأقول: إن أول معجم لغوي ورد فيه ذكر (الاشتيام) هو كتاب العين، ولم يأت هذا اللفظ في مادته، وإنما جاء في سياق لفظ آخر.

١- قال الخليل في كتاب العين (مادة سبج/ ٦: ٥٩):

«والسيبجي، ويجمع السيابجة: قومٌ جُلداء من السند، يكونون مع اشتيام السفينة البحرية، وهو رأس ملاحي السفينة. وهو بالنبطية: اشتيامَى».

وجاءت كلمة «السيبجي» في طبعة العين، بياء تحتية تلي السين، وبعدها باء موحدة.

٢- ونقل أبو منصور الأزهري في تهذيبه (مادة سبج/ ١٠: ٥٩٨) كلمة العين، ورسمت كلمة (اشتيام) بالسين المهملة بدل الشين المعجمة قال:

«وقال الليث: السبيجي، والجمع السبابجة: قوم ذوو جَلَدٍ من السند يكونون مع استيام السفينة البحرية، وهو رأس الملاحين».

وجاءت كلمة «السبيجي» في طبعة التهذيب، بباء موحدة تلي السين،

---

(١) مجلة المجمع، مج ٧٠ / ج٣، ص ٥٥٩- ٥٦١ (هـ٣).

وبعدها ياء تحتية.

٣- وأورد الجواليقي في المعرّب (ص١٨٣) مقالة العين نقلاً عن تهذيب الأزهري فقال:

«وقال الليث: السبيجي[٢] والجمع السبابجة: قوم من السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية، وهو رأس الملاحين».

٤- وجاء في التكملة للجواليقي (ط المجمع/ ص٥٨):

«وتقول لأصحاب المتاع: الاستيام، بالسين. والعامة تقول: الاشتيام، بالشين. [فأما الاشتيام فهو رئيس المركب البحري]»[٣].

٥- وقال الصغاني في التكملة والذيل والصلة (مادة سبج/ ١: ٤٤٦):

«وظنّ [هميان بن قحافة السعدي] أن كل شيء من قِبَلِ السند سابجي، لما سمعهم يسمون البذرقة[٤] الذين هم ذوو جَلَد من السند يكونون

---

(٢) ذكر المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر أن الكلمة قد ضبطت في المعرب (ط ليبزيغ): السييجي، بفتح السين وسكون الياء التحتية، وفتح الباء الموحدة، فقدّم الياء التحتية على الباء الموحدة. وخطّأ الأستاذُ المحقق هذا الضبط، ثم ضاق ذرعاً بكلمة (السيابجة) التي أوردها الجواليقي في المعرب (ص١٩٦).

وأرى أن ضبط هذه الكلمة مازال بحاجة إلى فضل دراسة وتأمل. وفي كتب التاريخ والمحاضرات (كفتوح البلدان للبلاذري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) جاءت الكلمة: (السيابجة) بياء تحتية بعد السين.

(٣) جاءت عبارة الجواليقي محرفة في طبعة مجلة المشرق، مج ٥٤ (سنة ١٩٦٠م): ٥٧٨

(٤) قال محقق التكملة والذيل والصلة (١: ٤٤٦ هـ٤): «لعلها المبذرقة»، وكذلك جاءت في اللسان والتاج (مادة/ سبج).

– وجاء في الجمهرة لابن دريد (٣: ٣٠٤)، والمعرب للجواليقي (ص٦٧) أن البذرقة فارسية معربة. =

مع استيام السفينة البحرية، وهو رأس الملاحين: سيابجة...».

٦- ونقل صاحب اللسان (مادة سبج) كلمة الأزهري في التهذيب مع تغيير طفيف فقال:

«والسبابجة:قوم ذوو جلد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، واحدهم: سبيجي...» ثم أضاف تفسير ابن السكيت وصاحب الصحاح.

٧- ونقل صاحب تاج العروس (مادة سبج) كلمة صاحب اللسان.

= - وقال الصغاني في التكملة والذيل والصلة (مادة بذرق/ ٥: ٨):

«والبذرقة: الخفارة. والمبذرق: الخفير. وقال ابن دريد: وأما البذرقة ففارسيّ معرب».

- وجاء في اللسان (مادة بذرق): «المحكم: البذرقة: فارسي معرب. قال ابن برّي: البذرقة: الخفارة. ومنه قول المتنبي: أُبَذْرِقُ ومعي سيفي، وقاتل حتى قُتل. وقال ابن خالويه: ليست البذرقة عربية، وإنما هي فارسية فعربتها العرب. يقال: بعث السلطان بذرقةً مع القافلة، بالذال معجمة.

وقال الهروي في فصل عصم من كتاب الغريبين: إن البذرقة يقال لها: عصمة، أي يعتصم بها».

- وقال المجد في القاموس المحيط (مادة بذرق): «البذرقة، بالذال المعجمة والمهملة: الخُفارة، والمُبَذْرِقُ: الخفير».

وجاء في التعليق بحاشية الصفحة: «قوله: الخُفارة، هكذا هو مضبوط بالأصل، والظاهر أنه بالكسر كالحِراسة. وأما المضموم فهو الجعالة التي يأخذها الخفير على عمله اهـ».

قلت: الذي جاء في القاموس (مادة خفر) أن الخفارة مثلثة الخاء في كلا المعنيين: الحراسةوالجُعْل.

- ونقل الزبيدي في تاج العروس (مادة بذرق) كلمة لسان العرب مع الإشارة إلى قول ابن دريد في الجمهرة، ثم قال في ختامها: «قلتُ: وأصل هذه الكلمة مركبة من (بد) و (راه) والمعنى: الطريق الرديء فعربوا الهاء بالقاف، وأعجموا الدال». ثم أضاف: «والمبذرق: الخفير نقله الصاغاني».

٨- وجاء في اللسان (مادة شتم): «والاشتيام: رئيس الركاب».

٩- وجاء في اللسان أيضاً (مادة ملط): «والمتملطة: مقعد الاشتيام. والاشتيام: رئيس الركاب».

١٠- وجاء في تاج العروس (مادة شتم): «والاشتيام بالكسر: رئيس الركاب، عن ابن بري».

١١- وجاء في تاج العروس (مادة ملط): «والمتملطة: مقعد الاستيام. والاستيام: رئيس الركاب. وسيأتي ذلك في ل م ظ أيضاً».

١٢- وجاء في التكملة والذيل والصلة للصغاني (مادة لمظ) :

«أبو عمرو : المتلمظة : مقعد الاستيام، وهو رئيس الركاب والملاحين».

١٣- وجاء في تاج العروس (مادة لمظ):

«وقال أبو عمرو: المتلمظة: مقعد الاستيام، وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة، وسبق مثل ذلك في م ل ط، ولا أدري: أيهما أصح».

* * *

ومن المقالات الجامعة الممتعة التي تناولت كلمة الاشتيام:

- مقالة بعنوان: الاشتيام أو الاستيام، للأب انستاس ماري الكرملي.

نشرت في مجلة المقتبس (مج٧ / ج٢، ص ١١١-١١٨ / سنة ١٩١٢م)

- ومقالات للأساتذة: عبد القادر المغربي وسليم الجندي والأب انستاس ماري الكرملي.

نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مج ١٧ / ص ٢٤٥-٢٤٨، ٤١٩-٤٢٧، ٤٢٨-٤٣٢، ٥٠٥ -٥١٥ / سنة ١٩٤٢م).

كتاب

سرقات المتنبي ومشكل معانيه

لابن بسام النحوي

كان الأستاذ العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله قد حقق كتاب (سرقات المتنبي ومشكل معانيه) لابن بسام النحوي. وصحح نسبته إلى ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة، وصدر الكتاب عام ١٩٧٠م.

ثم نشر الأستاذ الفاضل الدكتور محمد رضوان الداية بحثاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٧٠، ج ٤/ص ٦١١ ـ ٦٢٢) بيّن فيه بأدلّة مقنعة أن هذا المطبوع ليس لابن بسام الشنتريني، وليس هو كتاباً مستقلاً، وإنما هو الجزء الرابع والأخير من كتاب: (جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكُتّاب) لأبي بكر محمد بن عبد الملك النحوي الشنتريني الأندلسي، ويعرف بابن السراج.

* * *

وقد تلقينا من الأستاذ الكريم الدكتور محمد بن عبد الله العزام كلمة ذكر فيها أن مضمون ما جاء في مقال الأستاذ الداية من تصحيح نسبة الكتاب إلى مؤلفه الحقيقي، قد سبق إليه الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة في كتابه:(أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة / ط. دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ١٩٨٦م).

وإن إدارة المجلة لتشكر للأستاذ الفاضل الدكتور العزام إشارته. وهي تأمل أن تتحقق أمنية رددتها في مناسبة سابقة (مجلة المجمع، مج ٦٩، ج٣/ ص ٦٠٤) تدعو إلى إنشاء مركز لتسجيل كل ماينشر من موضوعات التراث العربي في المجلات العربية والغربية ليكون في متناول الباحث الدارس، مما ييسر عليه مهمته العلمية، ويتيح له أن يقدم على ماينهض به من تحقيق نص، أو إنشاء دراسة، بقدم مطمئنة، ونفس واثقة، قد ألمَّ بكل ما أنجزه سابقوه، فيضيف بعمله جديداً، ويكمل مابدأه من تقدمه.

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع
الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

أقام مجمع اللغة العربية بدمشق حفلاً تأبينياً بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاة أمين المجمع الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب رحمه الله في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد وذلك في تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ١٦ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ الموافق ٩ تشرين الثاني ١٩٩٥ م.

وقد حضر الحفل نخبة كريمة من كبار العلماء والأدباء والمثقفين وآل الفقيد ومحبيه وعارفيه.

افتتح الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم، ثم تلاها كلمة المجمع التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع، ثم ألقى الأستاذ نصرت منلا حيدر رئيس المحكمة الدستورية العليا، كلمته، وتلاه الأستاذ مظهر العجلاني رئيس مجلس الدولة سابقاً، ثم ألقى الأستاذ محمود الجبان قصيدة رثى فيها الفقيد. وكانت كلمة الختام لنجل الفقيد الأستاذ المهندس مؤنس الخطيب.

وننشر في ما يلي الكلمات التي ألقيت في الحفل:

---

* انتقل الأستاذ الدكتور عدنان الخطب أمين المجمع رحمه الله إلى جوار ربه مساء يوم الأحد ٢٩ ربيع الثاني ١٤١٦ هـ الموافق ٢٤ ايلول ١٩٩٥ م.

الدكتور عدنان الخطيب

(١٣٣٢ - ١٤١٦ هـ)

(١٩١٤ - ١٩٩٥ م)

الدكتور شاكر الفحام

كان الدكتور عدنان الخطيب، رحمه الله وأسبل عليه سحائب رضوانه، ابنَ المجمع البارّ، أحبه وتردّد عليه منذ شبابه، وتابع أعماله، وشارك في بعضها. وقد ضمَّ ثَبَتُ محاضرات المجمع عناوين أربع محاضرات له في مجال القانون ألقاها في سنوات: ١٩٤٣، ١٩٤٤، ١٩٤٦[١]، كما ضمت مجلة المجمع أول مشاركة له على صفحاتها عام ١٩٤٩م بمقالته: النهضة العربية في العصر الحديث[٢]. وفي هذا الدليلُ البيّنُ على تعلق الدكتور الخطيب بالمجمع، ومتابعته لمسيرته، وإيمانه بمراميه وأهدافه، وصلتِه بأعضائه الأوائل حماةِ العربية، الرافعين بناءها السامق، وعلى رأسهم الأستاذُ محمد كرد علي مؤسس المجمع. لقد رأى فيه المثل الأعلى الذي طالما رنا إليه، فأكبَّ على كتبه، وعدّ نفسه من تلامذته، وحين ألّف كتابه: «لغة القانون في الدول العربية»[٣] قال في إهدائه: «الى الأستاذ الجليل محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي العربي، إجلالاً وتقديراً»، تعبيراً عما يكنه لرئيس المجمع من

(١) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح: ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٣.

(٢) مجلة المجمع، مج ٢٤ (١٩٤٩م): ٤٧٠ - ٤٧٩، ٦١٢ - ٦٣٦.

(٣) صدرت طبعته الثانية بدمشق عام ١٩٥٢م.

التوقير لمكانته، والإعجاب بعلمه، والإكبار لفضله. وزادته الأيام اعجاباً به، فافتنَّ من بعدُ في الترجمة له، والإشادة به، وإظهار مزاياه وفضائله. ومن النعوت التي أضفاها عليه: «الرائد المجمعي الأول في الوطن العربي» .

ولما انضمّ الدكتور الخطيب الى مجمع الخالدين في عام ١٩٦٠م (٦/١٠/١٩٦٠م)[٤] أصبح المجمعُ همَّه ووكْدَه، أولاه عنايته، ووجّه اليه جهده، ولقد عبّر التعبير الحلو الشائق عما كان يحسُّه نحوه في الكلمة التي ألقاها في حفل استقباله. قال: «فاذا تماجدت دمشقُ كان هذا المجمعُ العظيمُ من مفاخرها الخالدةِ على الدهر، الباقيةِ بقاءَ العربية... إني مانظرت الى هذا الصرح الشامخ من صروح العربية في نهضتها الحديثة إلا حنيتُ الرأسَ إجلالاً لعظمته، وإكباراً لجهود بُناته الأبطال، حتى إذا مادعوتموني الى هذا اليوم المشهود أخذتني الهيبة من الوقوف أمامكم، وتملكتني رهبةُ الانضمام الى صفوفكم، رهبةٌ يشعر بها من يصَّعَّدُ في السماء»[٥] .

أمضى الأستاذ الخطيب في رحاب مجمع الخالدين خمساً وثلاثين سنة، عمل فيها دائباً دون كلال، ماتأخر عن بذل، وماتوقف عن عطاء. ولقد قضى يومه الأخير (يوم الأحد ٢٩/٤/١٤١٦هـ - ٢٤/٩/١٩٩٥م) بيننا في المجمع كعادته في المواظبة على الحضور كل يوم، والمشاركة في أعمال المجمع، وعاد ظهراً الى منزله. ولم يَدُرْ في خَلَد أحدٍ منا أنه الفراق الأخير، وأن المنية ستفجعنا بعد ساعات بفقيدنا الغالي، فتختطفه دون إنذار أو إشارة.

لقد كانت الفجيعةُ فيه كبيرة، جلَّلت النفوسَ بالحزن والأسى، وكانت الخسارةُ بفقده فادحة، ملأت القلوب حسرةً وأسفاً. وفارقَنا، رحمه الله، أشدَّ ماكان تصميماً وعزماً على أن ينجز ماكان عقد عليه النية من

---

(٤) مجلة المجمع، مج ٣٦ (١٩٦١م) ١: ١٥١.

(٥) مجلة المجمع، مج ٣٦ (١٩٦١م) ٢: ٣٣٢.

استكمالٍ لموضوعات سابقة كان قد بدأها، واستئنافٍ لموضوعات تجمعت لديه مادتُها، ليسطر بذلك خلاصة ماانتهى اليه في حياة حافلة بالدرس والاطلاع والعطاء

كان، رحمه الله، من أوعية العلم، كما يقول علماؤنا الأقدمون، وقد تضافرت الأسباب والدواعي التي هيأت له أن تتنوع معارفه ويتسع مداها .

فقد نشأ في بيت علم وفضل، فألِف أن يحضر مجالس العلماء في منزل والده[٦]، يستمع إليهم، ويعي مايعي من أقوالهم وأحاديثهم، وأسلمه والده إلى الجلّة من علماء دمشق، يأخذ عنهم علوم الدين واللغة، فتفتحت نفسه على حب العربية، وملأته الرغبةُ في دراستها ومطالعة كتبها. ثم كان للحركة الوطنية التي كانت تنافح المستعمر الغاصب آنذاك أثرُها الواضح في تأجيج حماسته للعربية، إذ رأى في التشبث بها والحفاظ عليها وجهاً من وجوه الدفاع عن الهوية العربية ومقارعة المستعمر .

* * *

اختار الدكتور الخطيب بعد دراسته الثانوية الالتحاق بكلية الحقوق ببغداد، فنال إجازتها سنة ١٩٤٢م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة باريس سنة ١٩٤٧م.

ومضى يخطُّ طريقه في هذين الاتجاهين: الحقوق، والدراسات العربية، وقد أُوتي فيهما نصيباً وافياً .

لقد انتسب الى سلك القضاء، وتقلّب في المناصب القضائية المختلفة ليكون آخر ماتولاه منصب رئيس مجلس الدولة (١٩٦٩ – ١٩٧٤م).

وترك في الدراسات القانونية مؤلفات هامة، ضمّنها عصارةَ مطالعاته الطويلة، وخلاصةَ خبرته التي اكتسبها في حياته الوظيفية، وفي التدريس في

(٦) كان والده عبد القادر الخطيب خطيبَ الجامع الأموي. له ترجمة في كتاب: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١: ٤٦٠ – ٤٦٤.

كليتي الشريعة والحقوق بجامعة دمشق، وفي معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة.

وتجدُ له إلى جانب ذلك المقالات القيمة التي نشرها في المجلات، عالج في طائفة منها مباحث لها شأنها في القانون، وتناول في أخرى جملة من الكتب الحقوقية معرّفاً، ناقداً.

وقد عُرف الأستاذ الخطيب في حياته القضائية الطويلة بالنزاهة في المسلك، والتقصي في تحري الحق والإنصاف، والاجتهاد في الرأي، يستمسك بالعروة الوثقى، شعارُه كلمةُ الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اليمين والشمال مضلة، والوسطى الجادّة»[٧]. فكانت سيرتُه عبقَ المسك، نقاءً وطيبا.

إن هذا الجانب المشرق من حياة الدكتور الخطيب بشقيه العلمي والمسلكي ليستأهل الوقفة المتأنية، والدراسة المدققة.

* * *

لقد بيّنتُ آنفاً أن الفقيد قد أحبّ العربية حباً ملك عليه نفسه، فأقبل عليها إقبال مشوق، يتملى تراثها ونفائسها، ثم جال في ميادينها، وأشرع قلمه لتبيان خصائصها، والكشفِ عن أسرارها، وإصلاحِ مابدا له من أغلاط وقع فيها الباحثون، والتأليفِ في موضوعات تضيف جديداً أو تنير غامضاً.

تناولت كتب الفقيد ومقالاته موضوعات شتى. ومن أبرز مؤلفاته:

كتابه: المعجم العربي بين الماضي والحاضر[٨]، وكتابه: المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط[٩]، وكتابه: لغة القانون في الدول العربية، وله المقالات الكثيرة في مباحث لغوية مختلفة، وفي التعريف بالكتب ونقدها،

---

(٧) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٥٠.

(٨) صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ١٩٦٦ – ١٩٦٧م).

(٩) طبع المجمع العلمي العربي بدمشق – ١٩٦٥م.

ينسرب فيها جميعاً تلك الروح الصافية التي أحبت العروبة والعربية، وأشادت بالنهضة ورجالاتها.

كان رحمه الله، يردّد مع أستاذه محمد كرد علي نصيحة الشيخ طاهر الجزائري: «اذكروا مَنْ عندكم من الرجال.... ودوّنوا أسماءهم في جريدة لئلا تنسَوْهم، ونوّهوا بهم عند كل سانحة، واحرصوا عليهم حرصكم على أعز عزيز....»[١٠]

واستجابة لاعجابه الشديد بالشيخ طاهر الجزائري أحد رجال النهضة والاصلاح البارزين في الشام فقد ألّف كتابه: الشيخ طاهر الجزائري[١١]، كشف فيه عن أعمال هذا المصلح الفذّ الذي كان نبراساً يضيء في ليل مظلم، وبيّن آثاره العميقة في نفوس مريديه وطلابه، فاقتدوا به، وساروا على نهجه، دفاعاً عن الهوية العربية، وتأصيلاً لها، ودعوةً إلى الاصلاح والنهوض حتى تستعيد الأمة العربية مكانتها السامية. يقول الأستاذ محمد كرد علي في مطلع كتابه: «كنوز الأجداد» منوهاً به، مهدياً كتابه اليه، اعترافاً بفضله وتقديراً لعمله: «الى روح من أشرب قلبي حب العرب، وهداني الى البحث في كتبهم، صدر الحكماء، سيدي وأُستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري، أُهدي كتابي: كنوز الأجداد»[١٢].

أما سليم الجزائري ابنُ أخي الشيخ طاهر، الذي نشأ في حجره، وتغذّى بأفكاره وآرائه، فلم يتردد أن ينصب نفسه داعية لبعث الأمة العربية، وإحياء مجدها الغابر، وجادَ بنفسه (والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود) لتحيا

(١٠) المذكرات لمحمد كرد علي ١: ٢٧٤.

(١١) صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ١٩٧١م).

(١٢) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق – ١٩٥٠م)، الشيخ طاهر الجزائري: ٣٠.

أمته، فكان أحد الشهداء البررة الذين فاضت أرواحهم في السادس من أيار عام ١٩١٦م في ساحة الشهداء ببيروت.

وإنك لتلمح في كتب الفقيد ومقالاته تذكيراً بالنهضة العربية ورجالاتها، وإنما هي الدعوة للاقتداء بهم، ومتابعة طريقهم ليشرق فجر العروبة الصادق، وتتبوأ الأمة العربية منزلتها الرفيعة بين الأمم.

وتلاقت في نفس الفقيد خصالٌ حببت اليه الحديثَ عن المجمع والمجمعيين، يأتي في مقدمتها حبُّه للعربية رمز هويتنا، ومستودع ذخائرنا الفكرية والثقافية، وحرصُه على تخليد الرجال المصلحين الذين قدّموا لأمتهم خير ماعندهم، ووفاؤه لاخوانه الذين ساروا في الدرب الذي آثر أن يسير فيه، وعملوا مابوسعهم لتظلَّ العربيةُ المبينةُ لغةَ العصر، تلبي مايراد منها، وتستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة.

وانه ليبهرك هذا القدر من تراجم الرجال المجمعيين الذين صورتهم ريشةُ الفقيد الذي رُزق الموهبة، فاذا هو ينفذ بنظراته الثاقبة الى الصفات والسجايا الأصيلة لمن يتحدث عنه، وتسعفه سعة الاطلاع فاذا هو يستقصي أحوال المترجم له وأعماله، لايكاد يغادر منها شيئاً .

ترجم للأعضاء المؤسسين، ومضى على سَنَنه يترجم لمن فقدنا من المجمعيين. واني لآمل أن تجمع هذه التراجم التي ترسم صورة حية لهذه المرحلة الهامة من حياتنا اللغوية والثقافية منذ مطلع القرن العشرين. هذا ولا يفوتني أن أشير الى أن جُلَّ هذه التراجم قد نشر على صفحات مجلة المجمع.

كان الفقيد، رحمه الله، طموحاً، ذا نفسٍ تواقة الى الكمال. أراد أن يتحدث عن مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً، فأعدّ العدة، ووضع الخطة ليترجم لخمسة وأربعين عضواً من أعضاء المجمع، وليلحق بكتابه ثبتاً بأسماء أعضاء المجمع المراسلين،تتلوه مجموعةُ القوانين والأنظمة

المتعلقة بالمجمع، ومسردٌ يضمُّ مطبوعات المجمع في خمسين عاماً.

ولكن الشواغل المتزاحمة لم تسمح له إلا بتسطير القسم الأول من الكتاب الذي تناول فيه سيرَ ثمانية من الأعضاء هم الأعضاء المؤسسون[١٣]، ولم يسعفه الوقت ليكمل مابدأ، وكان هو الأقدر على صُنْع ذلك لصلته المتينة بالمجمع، وعنايته البالغة بضم النصوص والوثائق الخاصة بالمترجمين وتنسيقها لتكون دائماً بين يديه، تُلبِّي في عمله.

ولعل في هذا تفسير مانقع عليه أحياناً في آثاره من وعده بأشياء لم نرها. فقد ألقى كلمة في الاحتفاء بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ محمْد كرد علي تناول فيها كتابه: المذكرات. وقد اجتزأ بالمقدمة لضيق الوقت، ووعد بنشر بحثه كاملاً في كتاب مستقل[١٤]. وكنا نودّ لو ظهر الكتاب، لأن المذكرات قد أثارت ضجة كبيرة عند ظهورها، واختلف الناس في تقديرها وتقويمها أشد الاختلاف. وكان الدكتور الخطيب من أقدر الناس على بيان الدواعي والأسباب التي تفسر كثيراً من مواقف الأستاذ محمد كرد علي في مذكراته.

وآخر ماأوردُه في هذا الصدد أن الفقيد، رحمه الله، عزم على أن يؤلف كتاباً يتحدث فيه عن مجمع اللغة العربية في خمسة وسبعين عاماً، ليقدمه في الحفل التذكاري الذي يقيمه المجمع في (٢٦ - ٢٩/١١/١٩٩٥م) بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على إنشائه.

وقد ذكر لنا في جلسة المجمع الأخيرة أنه أنجز مؤلفه، وهو في سبيل تقديمه للطباعة، وفاجأته المنية، وبحثنا عن مخطوطة الكتاب فلم نقع لها على أثر. وانا لنأمل أن تكشف لنا قادمات الأيام ماخفي علينا من أمرها.

---

(١٣) مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً (مطبوعات المجمع ١٩٦٩م): ١٥ - ١٦.

(١٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٥٢ (١٩٧٧م) ١: ٩٧، هـ ١.

إن الحديث عن الأستاذ الخطيب المجمعي حديث شائق ذو شجون. وإن سيرته المجمعية وآثاره ومنجزاته لجديرةٌ أن تجذب الدارسين ليُمضوا في رياضها الوقت الطيب، باحثين منقِّبين، وسيجنون خير الجنى في تجوالهم وبحثهم، ويقدّمون الكثير المفيد الذي يُغني المكتبة العربية، ويضيف اليها الجديد.

* * *

وبعد، فاني لأستجيز أن أختم حديثي قبل الإشارة العابرة الى نشاط الفقيد في مجمع القاهرة.

فقد كان، رحمه الله، شديد الحرص على حضور المؤتمر السنوي الذي يعقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمشاركةِ في بحث من بحوثه. وكان يقع عليه الاختيار في أغلب الأحوال ليلقي كلمة الوفود في المؤتمر، كما كان شديد العناية بنشر وقائع المؤتمرات، يلخص فيها مضمون البحوث والمناقشات بدقة متناهية.

وكان الدكتور الخطيب من شهود الجلسة التي تمَّ فيها تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٧١م (في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٣ ايار ١٩٧١م)[١٥]، وانتُخب أميناً عاماً مساعداً للاتحاد، فحاز ثقة زملائه، وظل في منصبه طَوال حياته.

رحم الله الفقيد الرحمة الواسعة، وأنزله منازل الأبرار المتقين:

رحم الله صاحبي وخديني   رحمة تغتدي وأخرى تروحُ

لازال مسكٌ وريحانٌ له أَرَجٌ   على صداك بصافي اللون سلسالِ
يسقي صداك ومُمْساه ومُصْبَحَهُ   رِفْهاً ورَمْسُك محفوفٌ بأظلالِ

---

(١٥) اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في خمس عشرة سنة: ١.

كلمة الأستاذ نصرت منلا حيدر

رئيس المحكمة الدستورية العليا

حضرات السيدات والسادة .

في هذا اليوم، لذكرى الاربعين مضت منذ ان اودع اللحد، وغيّب الثرى علم من أعلام القانون والفقه واللغة، وأحد رجال القضاء البارزين في هذا البلد. نقف خاشعي الطرف، والأسى يعتصر قلوبنا لنسترد صورة رجل يمتاز بفضائل لاتوجد إلاّ في القليل من الرجال، ويتجلّى بخصال لايرتقي الى آفاقها الاّ المجلّون .

انه الزميل المحترم، المرحوم الاستاذ عدنان الخطيب، رئيس مجلس الدولة الاسبق، وعضو مجمع اللغة العربية وأمينه .

كان مبدأ سيادة القانون، شغله الشاغل، واهتمامه الدائم، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فقد نما وترعرع واشتدّ عوده وصلب في دوحة العدالة والقانون، وهي الدوحة التي كتب الله عز وجل لمن يعمل فيها باخلاص، ان يكون للحق اسيرا وللعدل نصيرا، هذه الدوحة التي ماعرف الفكر الانساني أعرق من خصائصها، ولا اسمى من طبائعها. وذاك هو محراب العدالة الذي تعبّد فيه الفقيد القاضي على مدى خمسة وثلاثين عاما يغدق عليه من نفحات وجدانه وضميره، ومن ثمرات فكره الذي جمع بين الفقه الإسلامي والثقافة المعاصرة، بلسان طلق متمكّن من القانون بأغلب فروعه، واللغة

العربية بآدابها ونحوها وصرفها وبلاغتها، يزين ذلك كله تواضع الى أبعد حدود وادب رفيع بلا منتهى .

آمن الرجل بحرية الفكر والرأي والعقيدة، كما آمن بحق الدفاع الى حدّ ارتفع به الى مرتبة القداسة. بحسبان ان التاريخ مازال يعلّمنا انه ماااحتبست الافكار في الصدور، ولا سجنت الحقوق في يد مغتصبيها، الاّ انقلبت يوما براكين على سجّانيها، وحمما على محتبسيها .

وآمن بأن العلم اولا وأخيرا اهم مايشغل المرء واسمى مايتحلّى به من فضائل، وان كل اهتمام يحول دونه او يقصر عن بلوغه، فساد في الرأي وانشغال عن الحقيقة. فاذا بالفقيد يقفز من محراب المحاماة الى محراب القضاء الى محراب الجامعة الى محراب مجمع اللغة. وفي كل المناصب التي اسندت اليه ووسّدت، او المهام التي اوكلت اليه والوظائف التي تسنّمها، كان ذلك بحق. وقد نهض بها جميعها نهوضا دلّ على كفاية الفقيد فيما قلّد اياه، وغناء فيما اسند اليه. وقد احتازت جميع هذه المناصب والمهام كل مالديه من طاقة وجهد، حتى خرّ صريع الردى، وفاضت نفسه، ووصل الى النهاية التي سيصل اليها كل كائن حيّ طال الوقت أم قصر.

حضرات السيدات والسادة.

لخمس واربعين عاما نسلت وولّت، وكنت قد تخرجت حديثا من كلية الحقوق، في جامعة دمشق، للعام الدراسي الجامعي ١٩٤٩ - ١٩٥٠، عندما سمعت باسمه لاول مرّة. وكنت قد ولجت مهنة المحاماة في حينها، لتمضية فترة التدريب التي لابدّ منها لمن يودّ ويرغب في حمل رسالة القضاء، وكان عالم القانون آنئذ من قضاة ومحامين، في امسّ الحاجة الى مؤلفات وشروح في التشريعات الحديثة، التي كانت قد صدرت قبل عام، بمساعي المرحوم الاستاذ اسعد الكوراني، نقيب المحامين في حلب لاكثر من

مرة ، ووزير العدل لأكثر من مرة أيضا، والذي طواه الردى منذ مايقارب الاشهر الثلاثة، وكان لي شرف المساهمة في تأبينه، بتكليف من فرع نقابة المحامين بحلب، وهو الشرف الذي أغدقه مجمع اللغة الكريم عليّ ايضا بالمشاركة في تأبين فقيدنا في هذا اليوم، أقول ان هذه التشريعات وتمثّل: القانون المدني وقانون التجارة وقانون العقوبات كانت في أمسّ الحاجة الى شروح تسعف رجال القانون في تلمّس الحلّ الصحيح من خلالها لمشكلاتهم فتعينهم على ايجاد الحلّ القانوني لها. هذا وقد وجد الجميع في مؤلفات الفقيد خير مسعف لحاجاتهم. فكان شرح الجرائم المخلّة بالاخلاق والآداب العامة في أجزاء ثلاثة، وقد اتّبع الفقيد في تأليفه طريقة سهلة في الشرح والتوضيح، تكاد تقارب وتداني طريقة الشرح على المتون، اذ كان يورد النص السوري والنصوص المقابلة في التشريعات الاجنبية ان وجدت، ثم يعمد الى ذكر احكام القضاء وآراء الفقه دون ان يغفل رأيه الشخصي وبيان وجهة نظره، فكان القارئ لمؤلفه يجد فيه خير نصير ومعين. ثم صدر كتابه في شرح الاحكام العامة لقانون العقوبات. فتلقّفه رجال القانون بشغف كما تلقّفوا مؤلفه الاول. ثم مالبث أن اسعف المتعطّشين بمؤلف ثالث شرح فيه بايجاز قانون اصول المحاكمات الجزائية. ولابد لنا من الاشارة في هذا الصدد، الى أن مؤلفات فقيدنا، واكبتها مؤلفات صدرت في الموضوعات ذاتها، لاستاذنا الدكتور عبد الوهاب حومد عضو مجمع اللغة حاليا، واستاذنا المرحوم الدكتور محمد الفاضل، بحيث تعتبر مؤلفات الجميع عمدا اساسية في شرح التشريعات الجزائية. ثم تتالت بعدها شروح الزملاء الاساتذة القائمين بالتدريس حاليا في كليات الحقوق السورية، وقد منحته الحكومة في عام ١٩٥٥، وسام الاستحقاق السوري للجهود التي بذلها في شرح قانون العقوبات.

عيّن الفقيد في القضاء عام ١٩٤٧، معاونا للنائب العام في حمص، ثم نقل معاونا للنائب العام بدمشق عام ١٩٥٠، ثم قاضيا في محكمة الاستئناف فيها عام ١٩٥٣، ثم قاضيا في الدائرة القانونية في وزارة العدل عام ١٩٥٤ برتبة ودرجة نائب عام. وكان قد تخرج من كلية الحقوق العراقية في بغداد عام ١٩٤٢، ونال درجة الدكتوراه من جامعة باريس عام ١٩٤٧.

هذا وقد شارك الفقيد خلال وجوده في الدائرة القانونية في عدد من المؤتمرات والندوات سواء اكانت على نطاق اقليمي ام على نطاق دولي، فأوفد عام ١٩٥٣ الى اوروبا الغربية، على نفقة الامم المتحدة، للتعمق في دراسة الاساليب القضائية لمكافحة الاجرام، والانظمة الحديثة في المؤسسات العقابية .

وعند تأليف مجلس الدولة بوضعه الحالي في عام ١٩٥٩، ابّان الوحدة، استدعت المصلحة العامة تعيينه في ملاك المجلس وتسميته مستشارا فيه. فنقل في آذار ١٩٥٩ اليه في التشكيلات القضائية الواسعة التي اجراها وزير العدل آنذاك المرحوم الاستاذ نهاد القاسم. وكان نصيبي فيها ان انقل الى ملاك الادارة المركزية في الوزارة، وسميّت بدلا منه، عضوا في ادارة التشريع، التي حلّت بالتسمية عوضا عن الدائرة القانونية. وتشاء المصادفة ان استلم عمله نفسه، فحللتُ في الغرفة التي كان يشغلها الفقيد، واستلمت القضايا التي كانت في عهدته، ولم يتسن له اعطاء، رأيه فيها قبل انتقاله الى مجلس الدولة. كما تشاء المصادفة ان نلتقي ثانية في العمل في لجنة كان رئيس مجلس الوزراء قد شكلها في عام ١٩٧١، وهي لجنة التشريع في الدولة التي كان يرأسها وزير العدل، وضمّت عددا من الوزراء، وكبار القضاة، والعاملين في الدوائر القانونية في مختلف الوزارات، مهمتها تهيئة

التشريعات، واعدادها، تمهيدا لاقرارها من قبل مجلس الشعب واصدارها من قبل رئيس الجمهورية حتى تكون بعيدة عن مظانّ الخطأ، وشوائب النقص.

كما ضمّنا ايضا التدريس في كلية الحقوق في جامعة دمشق لفترة من الزمن حيث قمنابتدريس طلبة الليسانس (الاجازة) وطلبة الدراسات العليا. وقام هو بالاضافة الى تدريسه في كلية الحقوق، بتدريس طلبة كلية الشريعة ايضا التشريعات الجزائية.

حضرات السيدات والسادة .

ان العمل القضائي كان الباعث على تعرّفي بالفقيد، والسبب في تقوية اواصر الزمالة، التي سرعان ماتحوّلت الى صداقة لم تضعف او تهن حتى تاريخ وفاته. وان باعه العلمي الطويل، وكفاءته الخلقية الممتازة اهّلاه لتولي ارفع المناصب القضائية، فوصل الى منصب رئيس مجلس الدولة في عام ١٩٦٩، واحيل الى المعاش في عام ١٩٧٥. وطوال الفترة التي مارس فيها العمل في القضاء الاداري، ارسى مع زملائه قضاة المجلس، رحم الله من انتقل منهم الى جوار ربه، وأمدّ في عمر من بقي منهم على قيد الحياة، قواعد الفقه الاداري، بأحكام امتازت بالعمق القانوني. وحسن الصياغة والتبويب، وبلاغة اللغة، مما تعتبر معه هذه الاحكام مرجعا هاما في القانون الاداري لمن اراد ان ينهل منها ويغرف. ويمكنني القول، وبدون أيّ تردّد، ان الفقيد كان معلما كبيرا في المجلس .

ولا يفوتني ان اذكر ان الفقيد كان عضوا في لجنة توحيد التشريعات الجزائية، بين الاقليمين السوري والمصري، ابّان قيام الجمهورية العربية المتحدة. وكانت هذه اللجنة برئاسة الاستاذ علي بدوي الذي كان في مصر وزيرا اسبق للعدل، وعضوية الاستاذ عزة عبد المحسن الذي كان مندوبا من الاقليم المصري الى مجلس الدولة في الاقليم السوري، والاستاذ الفقيد،

والاستاذ المرحوم محمد الفاضل. وكنت شخصيا، عضوا في (السكرتيرية) الفنية، عن الجانب السوري، في جميع اللجان المكلفة باعداد القوانين الموحدة. كما كان الفقيد عضوا في لجنة توحيد الصيغ القانونية، التي كان يرأسها الاستاذ بدوي حمودة، الذي كان في حينها وكيلا لمجلس الدولة في الاقليم المصري، ثم اضحى رئيسا له ثم وزيرا للعدل، ثم رئيسا للمحكمة العليا (الدستورية) .

– ومن المقالات التي دبّجها يراعه وخطّها قلمه والمنشورة في المجلات القانونية، اذا لم تخنّي الذاكرة وأسعفتني بعون من لدنها :

– القضاء، طبيعته والاركان التي يقوم عليها. منشور في مجلة نقابة المحامين بدمشق عام ١٩٤٤، العددان الاول والثاني .

– الشريعة الخالدة، منشور في المجلة ذاتها عام ١٩٤٤ العددان الثالث والرابع .

– لغة القانون في البلاد العربية، منشور عام ١٩٤٤ العدد العاشر .

– الوصف القانوني للجريمة منشور عام ١٩٥٧ العدد السادس .

– الاجراءات الادارية، طبيعتها وميزاتها، منشور عام ١٩٦٤ العدد السادس .

– المحامي بين الولاء لموكله وبين قواعد الاخلاق، منشور عام ١٩٦٥ العدد السادس .

– ومن كتاباته في غير موضوعات القانون التي اطلعت عليها، ماكان قد كتبه من ملاحظات، عن الطبعة الاولى للمعجم الوسيط، الصادر باشراف مجمع اللغة العربية في القاهرة. وهي الطبعة التي قام باخراجها الاساتذة: ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر،

ومحمد علي النجار. وهي ملاحظات تدلّ على ان الفقيد افرغ جهده وبذل مافي وسعه. فأتت ملاحظاته حول هذه الطبعة جديرة بالبحث والدرس. وقد طبع هذه الملاحظات في كرّاس، اهداني ايّاه. واعتقد ان الدراسة نشرت في مجلة مجمع اللغة عندنا ايضا .

حضرات السيدات والسادة .

لقد كوّن الفقيد شخصية بيده، وصنع مركزه بنفسه، تخطّى الحواجز، وانتصر على المصاعب التي نهضت في وجهه، ابّان عمله، وخاصة في مجلس الدولة. والجميع يعرف المصاعب التي يتعرّض لها القضاء الاداري، وخاصة من قبل الحكومة، وهي اكثر من ان تعدّ وتحصى. ولن يغيب عن بالي وما زال ماثلا في ناظري. وكان ذلك في أوائل عام ١٩٧١، وكنت في حينها مديرا لادارة التشريع في وزارة العدل، عيّنتني الحكومة عضوا عنها في هيئة تحكيمية. للنظر في خلاف شجر بين احدى الادارات العامة السورية ومجموعة من الشركات الفرنسية، وفي هذا الاجتماع الذي حضره وزير العدل ووزير التموين ورئيس ادارة قضايا الدولة، كان فقيدنا موجودا ليقوم بتسمية الحكم المرجّح في هيئة التحكيم بعد ان سمّت الشركات الفرنسية محكّمها، وكان مستشارا في محكمة النقض الفرنسية. فشرحت الوقائع والموقف السوري الخاطئ منذ الاصل، وان الجانب الفرنسي لم يقصّر في تنفيذ التزاماته القانونية والعقدية. ونصحت بالدخول في مفاوضات للصلح مع هذه الشركات، والاّ فانني سأضطر الى الحكم على الجانب السوري. فوجم الجميع لصراحتي، وبهتوا، ولم ينبسوا في البدء ببنت شفة. غير ان الفقيد كان الوحيد الذي وقف الى جانبي منذ فاتحة الحديث، وايّدني في الرأي، مبديا الاخطاء التي ارتكبها الجانب السوري. وكان لهذا الموقف، اثر فعّال في دخول الجانب السوري في مفاوضات للصلح مع الجانب الفرنسي،

وانتهى النزاع بينهما الى حلّ ودّي .

حضرات السيدات والسادة .

لم ار من الفقيد طوال درب زمالتنا وصداقتنا، مايخدش الودّ او يعكّر صفوه. وهكذا كان شأنه – رحمه الله – مع زملائه واصدقائه، يعودون عليه في كل مايستعصي عليهم فهمه، فيجدون لديه الحلّ المنشود لأخفى مشكلاتهم، وأعقد معضلاتهم .

كان الفقيد ثبت الجنان في عمله، متقيّدا في سلوكه بمبادئ الشرف والاستقامة . محافظا على كرامة الوظيفة وهيبتها، ممتنعا في حياته عن كل مامن شأنه ان ينال من هذه الكرامة والهيبة .

كان يورد رأيه دون ان يجرح شعور من تحدّث معه أو تباحث حتى لو اختلفا في الرأي. فأحاديثه ومقالاته وتعليقاته لاتنبض باساءة أو تحتدم بغيظ. فقد كان قلبه يتسع لكل شيء، وتسقط على عتباته وجنباته كل موجدة .

واذكر انه منذ خمس سنوات، كلّفني، الاستاذ المحترم الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة، وكان في حينها نائبا للرئيس، بتقديم دراسة الى المجمع في شأن المادة الرابعة من المرسوم رقم (٢٣٥٠) المؤرخ في ١/تشرين الثاني/١٩٤٨، وبيان ماذا كان حكمها قد الغي بالقرار الجمهوري رقم (١١٤٤) لسنة ١٩٦٠، أم مازال نافذا. وقد انتهيت في دراستي الى ان المادة قد الغيت، عملا بقاعدة الغاء القوانين والتشريعات. ويبدو ان هذه الدراسة قد جاءت خلاف الرأي الذي كان قد أعطه فقيدنا الى المجمع وخلص به. وعندما التقيت به بعد ذلك، فاتحني من تلقاء نفسه بالموضوع، وانه يحترم رأيي ولو أتى مناقضا لرأيه. ولم أشك أبدا في موقفه لانني اعرف مسبقا مدى احترامه لحرية الرأي .

كان فقيدنا مثقفا ثقافة قانونية وعامة شاملتين، ففي نطاق الثقافة القانونية، كان لايفتأ عن مراجعة الكتب القانونية عندما تعرض عليه مشكلة تلحف الرجوع الى هذه الكتب. وفي نطاق الثقافة العامة، كانت مراجعة كتب اللغة والأدب من أحب الامور الى نفسه يغترف منها مايزيد ثقافته، وينمّي شخصيته .

كان مثالا للقاضي الذي يقدّر اهمية الرسالة التي نذر نفسه لها ووفّاها حقها ايّما توفية .

وبصورة موجزة، وجدت فيه انسانا متميّزا في خلقه وفي عمله، قلب عطوف، وصدر رحب، عف القلم واللسان. قليلا مايغضب، واذا غضب فلكرامته وكرامة الرسالة التي كان يحملها، وجهد نفسه فيها مخلصا، وعمل في ميدانها امينا، بحيث انه يرى في عمل القاضي صورة من صور الايمان، فكان لاينقطع عنه يوما، شأنه في ذلك، شأن المؤمن الذي لاينقطع عن صلاة أو عبادة .

– ان المبادئ التي وضعها الفقيد وزملاؤه في مجلس الدولة، والتي تناولت الحقوق والحريّات العامة، هي اكثر من ان تعدّ وتحصى. فقد أرسى المجلس منذ نشأته وحتى الآن، قواعد ومبادئ تعدّ الضامن الفعّال لهذه الحقوق والحريات :

ففي نطاق حالة الطوارئ، ذهب المجلس الى اعتبار الاعمال التي تقوم بها السلطات القائمة على تنفيذ حالة الطوارئ مجرّد اعمال ادارية، يختصّ بالنظر فيها، لتقرير بطلانها، والتعويض عنها، اذا خالفت القانون، أو انحرفت عن الغاية التي استهدفها المشرّع، من اقراره لنظام حالة الطوارئ .

وفي نطاق التشريعات التي تحجب حق التقاضي، قرر المجلس ان هذا الحجب، ليس من شأنه ان يمتدّ أثره الى رقابة القضاء على تجاوز السلطة،

باعتبار أنه لايمكن القول بالوجود الدستوري لقانون، لم يستهدف ويتغيّا تحقيق هدف المشرّع .

كما قرّر اعتبار الدستور أسمى من التشريع العادي لانه القانون الأعلى. وبالتالي، يهمل التشريع في حال تعارضه مع الدستور، وعدم امكانية التوفيق بينهما، وعلى القضاء ان يطرح القانون العادي ويهمله، ويغلّب عليه الدستور ويطبّقه .

وغير هذه المبادئ في المجالات الأخرى كثير .

وبعد :

ان القضاة هم سلطان الحق الذي لابدّ منه لسلطان القوّة، لان القوّة بدون حق، تعني البطش وسلب الحقوق. في حين أن سلطان القوّة من اجل الحق، هو التقويم للباطل وفعله، والانقاذ للانسان من التخبّط في شريعة الغاب .

هذا السلطان، هو الدرع الحامي لامرأة معصوبة العينين، تمسك بالميزان بيد ثابتة لاتهتزّ ابدا مهما فاجأتها الانواء والعواصف .

علينا، نحن القضاة، أن ندرك مايضطرم به قلب المظلوم، وما تغلي به نفس المكلوم، عندما تحاصره السهام من كل حدب وصوب، فيلقى به ظلما في قفص الاتهام، أو يداس حقه من قبل من اعتاد العيش في شريعة الغاب. كما ان علينا ان ندرك ماذا تمثل له المنصّة العالية التي نجلس عليها، هذه المنصّة التي ينبغي ان تبقى متجرّدة من الغرض والهوى، والوقوع تحت تأثير أي مؤثر خارجي، مهما كان مصدره وشأنه. لان صاحب الحق يتطلّع الينا، وقد سكن وألقى بمصيره بين أيدينا. فهو ينتظر كلمة تنبس بها شفاهنا، فيها الحق وفيها المصير. كلمة تزيل عنه ماتجاذب في صدره من شك، من أن حقه

يمكن أن يبقى تحت مداس رجل ظالم، أو أن حريّته يمكن أن تبقى مكبّلة في غياهب السجون، تترك بها نسيا منسيّا الى أبد الآباد .

علينا، نحن القضاة، أن نرتفع الى مستوى المسؤولية، ونوفّر العدل لكل انسان عند ارتكاب أي فعل ينقض عليه حقوقه الاساسية. فنشعره بأن محاكمنا تقطع في الحقوق التي له، والواجبات التي عليه، وفي صحة كل تهمة جزائية يرمي بها، وهي طليقة الرأي، نزيهة عن الغرض، لاتجور عن طريق العدل ولاتنحرف. ان سيادة القانون لاتتحقق بمجرد فرض النظام واستتباب الامن، اذا لم تحمل هذه السيادة في جنباتها، معنى تقييد الحكام والزامهم باحترام القانون. اذ تغدو السيادة في هذه الحالة ذريعة لتبرير الاستبداد . كما انها لاتتحقق بمجرّد خضوع الدولة للقانون، لان السلطة التشريعية قد تطلق يدها في وضع ماتشاء من التشريعات التي تضحي واجبة الاحترام، بغض النظر عن مضمونها، متى توافرت فيها أوضاعها الشكلية .

ان سيادة القانون تتحقق باخضاع الدولة للقانون، وكفالة الرقابة القضائية لهذا الخضوع .

كتب René Cassin الرئيس الاسبق لمجلس الدولة الفرنسي والرئيس الاسبق للمحكمة الاوربية لحماية حقوق الانسان، والعضو الاسبق للمجلس الدستوري الفرنسي، وصانع الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اقرّته الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٤٨ وانضمّ اليه بلدنا، وحامل جائزة نوبل للسلام، يقول حول هذا الموضوع: «لايمكن ان تقوم سيادة القانون أو تتحقق، الاّ حيث يكون الاقرار بحقوق الانسان، واحترامها، متوافرا على أكمل وجه. وأنه لأمر جوهري، أن تحمى هذه الحقوق، بنظام قانوني، حتى لايكون المرء مضطرا في النهاية الى الثورة ضدّ الطغيان والظلم».

وان الدولة، في المجتمعات الحرّة تخضع للقانون. ولا يخضع القانون فيها للدولة. يخضع للقانون كل من الحاكم والمحكوم، مهما كان شأن الحاكم لانه كما يقول العلاّمة الدستوري الفرنسي Duguit «.... لاسيادة لحاكم أو طبقة أو أمة، وانما السيادة للقانون، وفيه وحده يتمثّل السلطان. ومن هنا كانت الدولة تنقاد للقانون، ولا ينقاد القانون للدولة. يخضع للقانون كل من الحاكم والمحكوم. وليكن الحاكم امبراطورا أو ملكا أو قنصلا أو رئيس جمهورية، ثم ليعلن عن ارادته، فما هو الاّ انسان. وليست لارادته قوّة منشئة في عالم القانون، أقوى من القوة التي تكون لارادة أضعف شخص من رعاياه. كما انه ليس لاحد، ولو كان الحاكم،أن يوجب ارادته عنوة، ويعتسر المحكومين عليها اعتسارا، اذا نأت عن القواعد القانونية، اذ لاطاعة للحاكم في معصية القانون» .

في حين أنه في المجتمعات المتخلّفة تُخضع الدولة، القانون لها، فيغدو سيفا (مشرّعا) على الحقوق والحرّيات، في الوقت الذي ينبغي ان يكون فيه خادما لهذه الحقوق والحرّيات .

هذ وان القضاء السوري مليء، ولله الحمد، بقضاة تبيّنوا مبدأ سيادة القانون، ونافحوا عنه. فأبعث اليهم، من فوق المنبر هذا، أجمل تحيّة، وأطيبها. رحم الله منهم من اختاره الى جواره، وأمدّ في عمر الباقين ليستمرّوا في توجيههم، أو عطائهم لمن هو باق في السلطة والعمل. اذ لا أقلّ من الوفاء لفقيدنا، أن يبقى المجلس حصنا شامخ الذرى، منيع المرتقى، بالشكل الذي تركه عليه، عندما أحيل الى المعاش. فنكون بذلك قد وفيّناه بعض حقه. واذا كان القضاء بصورة عامّة، قد تعثّر اليوم لسبب أو لآخر. فان لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة. وسيعود القضاء باذن الله، قضاء قويّا يفخر به الجميع، منيعا كالطود، صامدا كذرى الجبال،

تتحطّم على جدرانه كل محاولات دوس الحق .

– أحيّي من فوق هذا المنبر جميع قضاة مجلس الدولة، وأولئك الذين مارسوا القضاء الاداري مهما كانت تسمية المحاكم التي تولّوا أمرها. كما أحيّي القضاة الذين مارسوا الدفاع عن الحقوق والحريات العامة في محاكمهم، حتى لو لم تكن مختصّة بالبت في الموضوعات الادارية. لأن الدفاع عن هذه الحقوق والحريات امر يشترك فيه القضاءان الاداري والعادي.

أبعث التحية الى الاستاذ الجليل عبد القادر الاسود، زانه الله بالصحة والعافية. فقد كان شيخ القضاة بدون منازع. تولّى رئاسة محكمة النقض في عام ١٩٥٠،ورأس المحكمة العليا الناظرة في دستورية القوانين والموضوعات الادارية في عام ١٩٥٥، كما رأس محكمة النقض في الجمهورية العربية المتحدة في أواخر عهد الوحدة. ثم عاد بعد الانفصال ليرأس محكمة النقض السورية ثانية. لقد كانت أحكامه تمتاز بالعمق القانوني، والتطبيق السليم لقواعد القانون، فضلا عن الصياغة القضائية الدقيقة التي كان يمتاز بها تحرير أحكامه وكتابتها. ومأأصدره من قرارات واحكام تعتبر مرجعا لرجال القانون كافة. حتى ان بعض قراراته، ترجمت مبادئها الى اللغة الفرنسية، ونشرت في المجلّة الانتقادية للقانون الدولي الخاص التي يحرّرها كبار رجال القانون الفرنسيين، وفي مقدمتهم اساتذة الجامعات المختلفة. ويمكن القول بأن محكمة النقض في عهده، شهدت فترة ذهبية. هذا وان صفاته واضحة جليّة: العلم والجرأة والنزاهة، فضلا عن التواضع الجمّ.

وأبعثها أيضا الى ذكرى الاستاذ نبيه الغزّي رئيس مجلس الدولة الأسبق، وصاحب القرار الشهير بقرار الغمّة، اصدره عندما كان قاضيا للصلح في مدينة دمشق. وقد استاء من تصريحات أطلقها عدد من وزراء

العدل، نشرتها الصحف، وتتضمن رغبتهم برفع الحصانة القضائية وتسريح بعض القضاة. فما كان منه، وذلك عندما مرّ وقت طويل لم يجر فيه رفع الحصانة، الاّ أن أصدرقرارا ذكر فيه بأن طمأنينة القاضي في عمله أمر ضروري لصحة الاحكام التي تصدر عنه. وبدون هذه الطمأنينة، لن يأمن القاضي على نفسه، وعلى اسرته وعائلته. وبالتالي، لن تكون احكامه وقراراته عادلة وسليمة. وانتهى الى تأجيل الدعاوى في محكمته الى أجل غير مسمّى، حتى تقوم الحكومة باجراء التسريحات والتشكيلات التي ترغب فيها، وتنجلي الغمّة عن القضاة. وسمّي قراره «بقرار الغمّة».

كما ابعثها الى ذكرى الاستاذ وجيه الاسطواني، رئيس المحكمة العليا المنشأة بدستور ١٩٥٠ وعضويها الاستاذين فائق المدرّس وانيس الملّوحي، فقد استقالوا بسبب صدور المرسوم التشريعي رقم (٦٥) تاريخ ١٩٥٢/١/١٦ المعدّل لاحكام المادة (٨٥) من قانون الموظفين الاساسي، وقد قضى التعديل بأن مراسيم الصرف من الخدمة التي صدرت استنادا الى المادة (٨٥) السابقة، وأبطلتها المحكمة العليا، تصدر مجددا، ويسري مفعولها من تاريخ صدور المراسيم الملغاة، وان هذه المراسيم وسائر المراسيم التي تصدر بالاستناد الى هذه المادة لاتقبل أي طريق من طرق الطعن أو المراجعة، وقد اعتبر رئيس المحكمة، وقاضيان فيها، ان هذا التعديل التشريعي، يشكل افتئاتا من السلطة التشريعية على حقوق السلطة القضائية، وان لائحة الاسباب الموجبة للتعديل التشريعي تشكل تعريضا باجتهادات المحكمة العليا لايجوز للسلطة التشريعية ان تجرؤ عليه عملا بمبدأ تفريق السلطات. وقد استقالوا من عملهم احتجاجا على تصرّف السلطة الانقلابية العسكرية التي كانت تمارس مهام التشريع.

وأزجي التحية ايضا الى ذكرى الاستاذ عارف النكدي الذي كان

مدير العدليـة العام في حكومة المديرين وعـضو مجمع اللغة العـربية والاستاذ في معـهد الحقوق العـربي (كلية الحقـوق)، فقد وقعت مـعه حادثتان؛ تـتعلّق الاولى برغبة كان قد أبداها له رئيس مجلس الوزراء حينئذ، وهو السيد سعد الله الجابـري، ويبدو أن رغبتـه لم تكـن متـفقـة مع القـانون. وعندمـا اعتـذر الاستـاذ النكدى عن تحـقيق رغبـته، وأصرّ رئـيس مجلس الـوزراء على تلبـية طلبه. ماكان من الاستاذ النكدى الاّ ان قال له

: «ماهكذا تساس الدولة وتحكم ياسـيد سعد الله». وأصرّ على الرفض مهـددا بتقـديم استـقالتـه. وكان ان طويت الـرغبة نـهائيـا. وتتلخص الحـادثة الثانية، في انه اثناء احدى جولاته التفتيشية صحبة وزير العدل، وكان الشيخ سليمـان الجوخدار، الذي كان رئيـسا للدائرة الشـرعية في محكمـة النقض، وهو على جانب كبير من الوقار والعلم. وعند وصولهما الى احدى المحاكم، ماكان من قاضـيها عندما رآهما، الاّ ان ترك قوس المحكمـة، وتقدم من الشيخ الجوخدار مـقبّلا يده. فطلـب اليه الاستاذ الـنكدى العودة الى عمـله، بعد ان استوقد تصرف الـقاضي غضبه، وبدا الامتعاض على وجـهه. وعندما رفعت الحصانة عن القضـاة بعد ذلك بفترة قصيرة، كان القـاضي المذكور من جملة من صـرفوا من الخـدمة. علمـا بأنه لم يكـن هناك أي مأخـذ على سلـوكه أو فـهمـه. وقـد رأى الاستـاذ النـكدى في تـصـرف القـاضي بيّـنة سـافرة عـلى شخصية غير صالحة لتولّي العمل القضائي.

كمـا لايفـوتني أن اسـوق التحـية الى ذكـرى الاستـاذ عبـد الحسـيب عدي، نائب رئـيس محكمـة النقض الاسبـق الذي أرسى كثـيرا من القـواعد والمبادئ التي تعـتبر بحق ضمانا للـحقوق والحريات، ويكفيـه فخرا أنه ذهـب في **شأن الاعـتراف،** الى ان الاعتـراف الذي يؤخذ امـام الشرطة فـي الجرائم الجنـائيـة، لايصلـح وحده دلـيلا علـى الادانة، متى كـان المقـرّ قد رجـع عن

اعترافه امام القضاء. ومادام هذا الاعتراف غير مؤيد بدليل مقبول ومقنع. لأن مثل هذا الاعتراف، اذا لم يكن قد اخذ بالضرب والتعذيب فعلا، فيكفي ان يحيط به الخوف الذي يلقي بظلاله على جوّ تلك الدوائر، كما ذهب في شأن الاعتداء على رجل السلطة الذي ينحرف عن القانون، ويسيء استعمال السلطة، الى ان هذا الاعتداء لايعدّ اعتداء على موظف وإنما يعتبر اعتداء على شخص عادي. لأنه في الانحراف، يكون الموظف قد تجرّد عن وظيفته، وبالتالي فقد مايمكن ان يحسب امتيازا للموظف.

وبكلمة عامة أحيّي كل قاض في مجلس الدولة، وفي القضاء العادي يساهم في ارساء قواعد القانون ارساء صحيحا ويطبقها تطبيقا سليما.

حضرات السيدات والسادة.

أقف، أمام ذكرى الفقيد الاستاذ الخطيب، لأندب فيه انسانا وزميلا ومواطنا .

أما الانسان، فأندب فيه رجلا مؤمنا بالله، صافي الوجدان، نقي الضمير .

أما الزميل، فأندب فيه من كان في طليعة بناة القضاء الاداري اتصف بالعلم والكفاءة والنزاهة والجرأة. وأندب فيه من كان حفيّا بزملائه، مرشدا لهم، تتلمذ له أناس توقّلوا الى العلى وتسلقوا مراكز الصدارة في القضاء والمحاماة .

أما المواطن، فأندب فيه من نذر نفسه لوطنه، واندفع في خدمته، وأتم العطاء له، على غير رجاء في الأخذ .

وبعد هذا، أندب فيه باحثا واسع الثقافة والفكر، في عالم القانون وعالم اللغة .

ولكني قبل هذا كله، أندب فيه انسانا كان قطعة حيّة في نفوسنا جميعا نحن رجال القانون. نرى فيه الرجل ذا الجبين الناصع الذي لم يطأطئ هامته لسلطان، ولا حقد على انسان .

فاذا فجعنا فيه، فالفجيعة في الصميم من نفوسنا .

فيا أيها الزميل، ويارفيق الدرب الطويل، هل وفّيتك بعض حقك؟، وهل قلت كل ماأشعر به نحوك مما في نفسي؟، لاأعتقد ذلك. وهيهات هيهات أن أكون قد بلغت. فما ذكرته عنك هو دون حقك، وأقل مما في نفسي ونفوس اخوانك وزملائك .

رحمك الله وطيّب ثراك. وأجزل لك من الفضل كفاء ماقدّمت لخدمة قضية العدالة. وأن مما يعزّينا جميعا أننا على موعد معك، فالموت حق، لابد لكل كائن حيّ من ان يترع من كأسه. والفارق، فارق زمنيّ بحت، يسبق بعضنا البعض الآخر فيه .

قال عز وجلّ في محكم التنزيل مخاطبا رسوله صلوات الله وتسليماته عليه . ﴿انك ميّت وانهم ميّتون﴾ .

هذا وقد آن لك أن تترجّل عن صهوة جوادك، بعد أن أنهكتك السنون ورمتك بسهامها، وتترك الغير يتم رسالتك. واذا كانت شعلة الحياة قد انطفأت في جسدك، فان شعلة أخرى جديدة، وهي ذكراك العطرة، قد أشرقت بعد رحيلك. وستبقى هذه الشعلة نبراسا ينير الطريق، ويزيل العماية. كما ستبقى ماثلة لناظرنا وجائلة في ضميرنا .

واسمح لي في نهاية المطاف، أن أسكب وأريق على ذكراك دمعة حارة صادرة من قلب كليم يسأل لك الرحمة .

والسلام على الجميع ورحمة الله وبركاته .

كلمة الدكتور مظهر العجلاني

رئيس مجلس الدولة سابقاً

لاعاصم من أمر الله، والخير كل الخير في الاذعان لمشيئته ﴿اينما تكونوا يُدرككْم الموت، ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ ولو كان البقاء في هذه الدنيا متاحاً لأحد من الناس، لبقي الأنبياء والمرسلون، ولقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم بقوله ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلدَ، أفإن مِتَّ فهم الخالدون، كل نفس ذائقة الموت﴾ صدق الله العظيم.

لئن فارقتنا أيها الفقيد الغالي فإن ذكراك العطرة حية في نفوسنا، ولئن غاب عنا جسدك، فإن صفاتِك السامية باقية على مر الزمن، والمرء انما يذكر بأفعاله فما عهدنا منك إلا الصداقة الصافية، والحديث العذب والمحيا الطلق والتواضع الجَم.

كان قلبك عامراً بالإيمان والزهدِ في متع الحياة الرخيصة وملذاتها العابرة، ولقد انصرفت إلى ماهو أبقى وآثرُ عند الله، فاتصفتَ بالتقوى وصِدْق التدينِ، والإذعانِ لمشيئة الله، طمعاً في أن تنال عنده ماوعد به عباده الصالحين.

كان لك مجلس في دارك العامرة كُلَّ يوم ثُلاثاء، وكان زوارك يرنون اليك بأنظارهم، ويُصغون إلى حديثك بأسماعهم، فإذا تحدثت، جئت بالممتع الطريف من الأحاديث، وإذا دار جدل بين الحضور حول قضية من القضايا كان لك القولُ الفصلُ فيها.

تولى الفقيد، القضاء حِقبة طويلة من الزمن تقارب الثلاثين عاماً بدءاً

من قاضٍ في سلك القضاء العادي، وانتهاءً بمنصب رئيس لمجلس الدولة، عندما انتخب رئيساً لهذا المجلس في عام / ١٩٦٩ / واستمر في منصبه هذا إلى أن أحيل على المعاش في عام / ١٩٧٤ /، فكان علماً من أعلام القضاء، يعشق العدل المطلق، واسعَ الصدر لكل رأي، يجيد الإصغاء كما يجيد بليغ الكلام، لاتلين له قناة، وليس في مقاييسه اعتبار لغنى أو جاه أو منصب، ولا تدخل في موازينه المظاهر، عُرِضت في زمانه كبريات المنازعات القضائية الهامة على محاكم مجلس الدولة، وصدرت الأحكام بشأنها، حسبما تمليه قواعد العدل والقانون، في حياد مطلق دونما مواربة أو انحراف؛ تشهد بذلك مجموعات الأحكام التي حرص الفقيد على جمعها وتنسيقها وتصنيفها والاشراف على طبعها. فكانت فترة ولايته لمجلس الدولة بحق العصر الذهبي للمجلس، كما كان لمجلس الدولة في عهده المهابة والاحترام لدى دوائر ومؤسسات الدولة والناس كافة، لما عرف عنه من استقامة في استقصاء الحق وصلابة في الدفاع عنه.

وتولى الفقيد التدريس في كلية الحقوق، فكان كأفضل من درّس فيها، وساهم في تأليف المراجع القانونية التي عَوَّل عليها الباحثون، وعني خاصة بالمباحث الجزائية، ومن مؤلفاته في هذه المباحث، محاضرات عن النظرية العامة للجريمة في قانون العقوبات السوري، والوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات والمسؤولية الجزائية في قانون العقوبات السوري، والوجيز في اصول المحاكمات، وموجز القانون الجزائي، وشرح قانون العقوبات، كما أصدر في القانون الاداري كتاب المحكمة الادارية، وله فوق ذلك دراسات موسعة نشرت في أغلب المجلات الدورية.

وقد جعلته مؤلفاته هذه حُجةً في قانون العقوبات السوري، بتفصيل مبادئه، وشرح غوامضه، فأفاد المهتمين بموضوع العقوبات أعظم فائدة

وبرهن عن كفاية في هذا الباب لايضارعه فيها إلا قلةٌ من الباحثين.

وقد رشَّحه اطلاعه الواسع على العلوم القانونية، لتولي منصب المقرر للجنة القانون والعلوم السياسية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الاقليم الشمالي أيام الوحدة بين القطرين السوري والمصري.

ولم يكن الفقيد رجل القانون الفذ فحسب، وإنما كان إلى جانب ذلك، الاديب الذَّواقة، واللغوي المُتبحر في اللغة العربية ألف في هذا الميدان مقالاتٍ كثيرة، وقد رشحته ثقافته اللغوية والأدبية، ليكون عضواً في مجمع اللغة العربية.

كان الفقيد فوق ذلك، واسع الاطلاع على الثقافات العربية والاسلامية والأجنبية، قديمها وحديثها، تزدحم في مكتبته، الضخمة، كتب خطية قديمة، وكتب حديثة، إلى جانب أحدث الكتب الاوربية، فكراً وطباعة وتجليداً، تفرغ للعلم وللعلم وحده، خلال عمله الوظيفي وبعد إحالته على المعاش، فلم يرض لنفسه أن يزاول أي عمل آخر يدر عليه ربحاً، بل اكتفى بما قُسم له، إذ غلبت عليه نزعة الزهد احتقاراً للمال، فعاش في روحانيته السامية، والدليل على هذه النزعة، أنه اشترى لنفسه قبراً في مقبرة المهاجرين من وزارة الأوقاف منذ خمس وعشرين عاماً، وكنت حاضراً واقعة البيع واشراء.

لم يكن فقيدنا يحب أن ينتمي إلى أي حزب أو هيئة أو جمعية ولو كانت جمعية صوفية، ولا أن يظهر منه مايدل على زهده وتصوفه، إذ كان على ماتهيأ له من وسائل الرفاهية وأسباب النعيم؛ على آخر طراز في ملبسه وأناقته وآدابه ولباقته.

لقد كنت أيها الفقيد الغالي، نبيل الخلق، طيب العنصر يغبطك كل

من عرفَك، على ماوهبْتَ من مزايا وخلال، فترك فقدك في قلوب محبيك وعارفيك الكثيرين، أعمق الأسى وصادق اللوعة، وخسارتنا بفقدك هيهات أن تُعوض، لقد كنت رفيق الدرب الطويل فأوحش الرد من دونك.

لقد عشت عزيزاً، ومِتَّ مكرماً، والله أسأل أن يشملك بواسع رحمته، وأن يبعثك مع الصديقين والصالحين.

كلمة الأستاذ محمود الجبان

السلام عليكم ورحمة الله

كنا صديقين   كنا حميمين .

كنا أخوين .

وكنا كندمانَيْ جَذيمةَ حِقبة   من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

رحم الله مُتمِّم بن نُويرة. ذكرت بيتيه هذين في رثاء أخيه مالك. فأثار شجوني وهيج مابي. وقد كنت أجبلت وعزفت عن قول الشعر منذ عهد بعيد. فما كنت أريده كان لايأتيني. وما كان يأتيني كنت لاأريده. ثم رأيتني كأنما كنت في سِنة امتدت بي عمراً فأفقت، فإذا هذه الأبيات تجري على لساني، رجعَ الصدى لما في نفسي؛ فإذا قيل جهد مُقل فهذه جهد مُفرق. أو جهد مُبل. وما حيلتي بقلبي،

أتعبني قلبي وأتعبه   لايعرف السلوى ولايستكين

وبعد أيها الراحل الحبيب ،

خيالك أم لستَ بالزائر   وصوتُكَ أم لستَ بالذاكر
أدنياي أنتِ ؟ أأنتِ رؤى   تطيف بناظري الحائر
ظلامكِ ران على ناظري   وغلغل في قلبي السادر

ليالٍ تلوب على الآخر ... فما نحن من دهرنا الداهر
وماذا وكيف وأنى وهل؟ ... وألف سؤال على الخاطر
فما نفع السائلين السؤال ... ولا رد يوماً على الخابر
مقادير تعنو لهن الرقاب ... وفي كفها شفرة الجازر
نراع لما قد يقل الصباح ... ونأسى على أمسنا الدابر

* * *

ومستقبل من وراء الغيوب ... يلم، فما حذر الحاذر!
يجئ بما لم يكن في الحساب ... ويذهب بالذخر والذاخر
فيالي من سائل لايملُّ ... بعيد الأناة بلا زاجر

* * *

أبا مؤنس والزمان عجيب ... نتوء بماضيه والحاضر
رأيتك عنّاك طولُ السُرى ... فملت بركبك للغامر
وضمتك من قاسيون حنايا ... تَضوَّعُ من روضها العاطر
تعشقتَها منذ كنتَ فتى ... ومتَّ على حبها الغامر
تُطلُ على الشام من قاسيو ... ن ملءَ فؤادِك والناظر

* * *

أبا مؤنس ماوراء الحياة ... وكيف المجازة للعابر؟
وماخبر السابقيك بعهد ... ومن راح في زمن غابر
أراهم نياماً إذا مادعوا ... أصاخوا إلى دعوة القاهر
فناج على جدد مطمئن ... وثان على جدد عاثر

* * *

لك الله مامن سميعٍ ملبٍ ... قريبٍ سواه ولا غافر
لك الله جار بدار اغتراب ... مقيمٍ بعيدٍ من الزائر

ألست أقمتَ الصلاة اللیالي وتحنو على البر والفاجر
ألستَ قضيتَ بما ينبغي وثرت على الجور والجائر
وآمنتَ أن الحياة سبيل لأخرى وعون على الآخر
وزادك منها التقى والرضا وصفح الكريم عن الغادر
وذودك في مجمع الخالدين عن الضاد كل غوٍ ماكر
رجال شروا كل مايملكون غيارى على الذكر والذاكر
هم الذائدون وخير التراث لسان ورثناه عن كابر
فجازاهم الله خير الجزاء ولقاهم نصرة الناصر
وسدد خطوهم في الخطى ووقاهم عثرة العاثر
هم عصبة الحق في مجمع منيف على سنن باهر
مآثر يعرفها العالمون للشام أعيت على الكافر
تلألأ مثل الصباح المنير خوالد كالمثل السائر
لوجهك يارب تعنو الوجوه فياشؤم مستكبر ناكر
وباسمك سبح مافي الوجود فما ينقضي لهج الذاكر
ووحدك أنت مليك الملوك والناس والعالم الآخر
فخذ بيد الشام في نصرة العروبة في ليلها الواغر

* * *

أبا مؤنس ويطول ندائي ولست على الرد بالقادر
لقد كنت أرجو وقوفك بعدي ولكنه قدر القادر
وقفت وبي رمق من حياة تهاوى ذماء على الداثر
وبي من فراق المحبين جرح رغيب وماهو بالناغر
فما العيش بعد المحبين عيش ولا زاهر الروض بالزاهر

كلمة المهندس مؤنس الخطيب

نجل الفقيد

أيها السادة الأوفياء:

أبي الحبيب:

كم يُشق علي أن أقف موقفي هذا، ولكنها مشيئة الله ولا راد لمشيئته. إننا محزونون وفي القلب دمعة كبيرة ولكننا بقضاء الله راضون مُسَلمون.

في مشاء ذاك الأحد من شهر أيلول الماضي، لاحقتني هواتف من دمشق وأنا في أحد مصايفها القريبة توجست منها خيفة قبل ان اعيَ ماتحمله لي، فلما وعيتُه اغتالني جزع خفي يسكن أعماقي، وحاولت التماسك وأنا أقطع الدقائق الطوال من هناك إلى دمشق وخاطبت نفسي بقول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا   إن الذي تحذرين قد وقعا

لم يكن عدنان الخطيب بالنسبة لي الأب العطوف، والصدر الرحب، والملاذ الآمن فحسب، بل كان لي الصديق الكبير، والأستاذ الأول، والمدرسة الكبيرة، التي احتوتني منذ طفولتي وحتى اليوم. المدرسة الشامية الأصلية الصافية، التي تعلمت منها ومازلت اتعلم من آثارها ومن جميل ماتركت في ذاكرة وقلوب من عرفوه.

كان رحمه الله وفيا لأساتذته ولأصدقائه ولرجالات العرب والعربية، وحملة ألويتها، لاينقطع عن ذكر حميد خصالهم، مذكرا بهم مدافعا عنهم، وكم سمعته يردد قول أستاذه محمد كرد علي نقلا عن الشيخ طاهر

الجزائري – أستاذ الكرد علي– : «كان أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري وهو على سرير الموت يقول لمن حوله من أصحابه:

اذكروا من عندكم من الرجال الذين ينفعونكم في الشدائد، ودونوا أسماءهم في جريدة لئلا تنسوهم، ونوهوا بهم عند كل سانحة، واحرصوا عليهم حرصكم على أعز عزيز... تجاوزا عن سيئاتهم وانتفعوا بحسناتهم»(١).

ثمانون عاما. قضى جلها يدافع عن الحق، ويسعى لإعلاء رايته. وكان لايخاف في قول الحق لومة لائم. كان مخلصا للعلم وللغة الضاد، كرس أغلب وقته في السنوات الأخيرة من عمره رحمه الله لخدمة العربية وذكر دور رجالاتها... وتوفاه الله ولم يتم بعض ماعزم على كتابته، ومنها كتاب «مجمعيون أفذاذ» وهو مخطوط غير مكتمل، يضم سلسلة دراسات وتراجم حديثة للأفذاذ من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. منهم محمد كرد علي والشيخ طاهر الجزائري وعبد القادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي وفارس الخوري وأحمد تيمور باشا وعباس محمود العقاد وخير الدين الزركلي وبدوي الجبل وشكري فيصل.... وكتاب بعنوان: «توثيق ذكرياتي عن بعض الوقائع السياسية في تاريخ سورية الحديث» وهو مخطوط غير مكتمل، وكتاب بعنوان: «خطاطو الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر» وهو مخطوط في أربعة أجزاء. بالإضافة إلى بعض الدراسات الأخرى، وأرجو أن يقيض الله لها من يعنى بإتمامها.

وفي الختام أقدم جزيل الشكر باسمي وباسم عائلتي وباسم آل الخطيب، لكل من شاركنا في مصابنا الأليم، ولكل السادة المشاركين في هذه المناسبة من معارف الفقيد وأصدقائه وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور شاكر الفحام والأستاذ نصرت منلا حيدر والأستاذ الدكتور مظهر العجلاني

والعم العزيز الأستاذ محمود الجبان، وكل الشكر لأسرة التعليم العالي ولأسرة مجلس الدولة كما أتقدم بخالص الشكر لأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الذين دعوا إلى هذا الحفل وفاء وإخلاصا لروح الزمالة التي ربطتهم بالفقيد الغالي رحمه الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

آثار الفقيد

المؤلفات المطبوعة للدكتور عدنان الخطيب

● أولا - الكتب القانونية:

١- شرح قانون العقوبات (القسم الخاص - الجرائم المخلة بالآداب العامة) - الجزء الأول . دمشق - ١٩٥٠ .

٢- شرح قانون العقوبات (القسم الخاص - الجرائم المخلة بالآداب العامة) - الجزء الثاني . دمشق - ١٩٥٤ .

٣- الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات - الجزء الأول . دمشق- ١٩٥٥ .

٤- الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات - الجزء الثاني. دمشق ١٩٥٦ .

٥- الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات - المسؤولية الجزائية. دمشق ١٩٥٦ .

٦- النظرية العامة للجريمة في قانون العقوبات السوري (دراسة مقارنة مع قوانين الدول العربية).

جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالية. القاهرة - ١٩٥٧ .

٧- الوجيز في أصول المحاكمات - الجزء الأول. منشورات الجامعة السورية ١٩٥٧ .

٨- المبادئ العامة في مشروع قانون العقوبات الموحد. دمشق- ١٩٦١ .

٩- موجز القانون الجزائي - المبادئ العامة في قانون العقوبات. دمشق- ١٩٦٣ .

١٠- الإجراءات الإدارية - نظرية الدعوى في القضاء الإداري - معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية. القاهرة - ١٩٦٨

١١- تاريخ القضاء الإداري ونظام مجلس الدولة في سورية - معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية. القاهرة - ١٩٧٤ .

١٢- حقوق الإنسان في الإسلام - دار طلاس دمشق - ١٩٩٢ .

● ثانياً - الكتب اللغوية:

١- لغة القانون في البلاد العربية (طبعة ثانية) دمشق - ١٩٥٢ .

٢- المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - دمشق ١٩٦٥ .

٣- المعجم العربي بين الماضي والحاضر

طبعة أولى: معهد البحوث والدراسات العربية- جامعة الدول العربية. القاهرة ١٩٦٧ .

طبعة ثانية: مكتبة لبنان ناشرون . بيروت - ١٩٩٤ .

٤- العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار الفكر دمشق - ١٩٨٦ .

٥- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٥ - الدورة (٥١) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٨٥ .

٦- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٦ - الدورة (٥٢) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٨٦ .

٧- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٧ - الدورة (٥٣) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٨٧ .

٨- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٨ - الدورة (٥٤) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٨٨ .

٩- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٩ - الدورة (٥٥) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٨٩ .

١٠- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٩٠- الدورة (٥٦) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٩٠ .

١١- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٩١- الدورة (٥٧) مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان - ١٩٩٢ .

● ثالثاً - الكتب التاريخية:

١ - المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) في خمسين عاماً. القسم الأول - الأعضاء المؤسسون. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٩.

٢ - الشيخ ظاهر الجزائري - (رائد النهضة العلمية في بلاد الشام) وأعلام من خريجي مدرسته. معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية. القاهرة - ١٩٧١.

● رابعاً - كتب التراجم:

١ - الشيخ عبد القادر المغربي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٠ .

٢ - الأمير مصطفى الشهابي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٨ .

٣- عارف النكدي: حياته وآثاره. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٥ .

٤ - محمد بهجت البيطار: حياته وآثاره. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٦ .

٥- الدكتور أسعد الحكيم: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٩ .

٦- عروبة السريان والبطريرك أفرام الأول برصوم د. البطريرك يعقوب الثالث. دمشق - ١٩٨٠ .

٧- بدوي الجبل: حياته العاصفة وحبه الذي لايفنى. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨١

٨- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨٦

٩- الدكتور عمر فروخ: كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨٨

١٠- عبد الله كنون. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٩١

● خامساً- المقالات المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

١- النهضة العربية في العصر الحديث (١) مجلد /٢٤/ ج٣

٢- النهضة العربية في العصر الحديث (٢) مجلد /٢٤/ ج٤

٣- نقد وتعريف بكتاب: «اكسير المحققين في القرن العشرين» مجلد / ٢٨ / ج١

٤- تعريف ونقد لكتاب: «محاضرات في القانون المدني اللبناني» مجلد٣١/ / ج٣

٥- تعريف ونقد لكتاب: «شرح قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية» مجلد/٣٣/ ج٢

٦- تعريف ونقد لكتاب: «فقه اللغة العربية- دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية» مجلد /٣٥/ ج٣

٧- كلمة الدكتور عدنان الخطيب في جلسة استقباله عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد /٣٦/ ج٢

٨- ابن تيمية مجلد /٣٧/ ج١

٩- تعريف ونقد لكتاب: «حول القومية العربية - تأليف ساطع الحصري» مجلد /٣٧/ ج١

١٠- تعقيب على رد ساطع الحصري على نقد كتاب «حول القومية العربية» مجلد /٣٧/ ج٢

١١-٢٩- تسع عشرة مقالة بعنوان «نظرات في المعجم الوسيط» من (١) إلى (١٩)

مجلد /٣٨/ ج١،٢،٣،٤ - مجلد/٣٩/ ج ١،٢،٣،٤ - مجلد /٤٠/ ج٢،٣،٤- مجلد /٤١/ ج ١،٢،٣،٤ - مجلد /٤٢/ ج١،٢،٣،٤

٣٠- المعجم العربي مجلد /٤٠/ ج١

٣١- تعريف ونقد لكتاب: «التاريخ الحربي للإسلام» (١) تأليف محمود شيت خطاب مجلد /٤١/ ج٣

٣٢- تعريف ونقد لكتاب: «التاريخ الحربي للإسلام» (٢) تأليف محمود شيت خطاب مجلد /٤١/ ج٤

٣٣- تعريف ونقد لكتاب: «التاريخ الحربي للإسلام» (٣) تأليف محمود شيت خطاب مجلد /٤٢/ ج١

٣٤- تعريف ونقد لكتاب: «التاريخ الحربي للإسلام» (٤) تأليف محمود شيت خطاب مجلد /٤٢/ ج٤

٣٥- كلمات من الصحاح في عامية أهل الفرات مجلد /٤٣/ ج١

٣٦- تعريف ونقد لكتاب: «العلم الحديث في المجتمع الحديث» مجلد /٤٣/ ج١

٣٧- فقيد المجمع نظير زيتون مجلد /٤٣/ ج١

٣٨- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (١) حول التأثيل اللغوي: حرف الباء رمز للماء مجلد /٤٣/ ج٢

٣٩- فقيد العربية الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي مجلد /٤٣/ ج٣

٤٠- فقيد العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات مجلد /٤٣/ ج٣

٤١- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٢) مجلد /٤٣/ ج٣

٤٢- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٣) مجلد /٤٣/ ج٤

٤٣- المجمعيون في خمسين عاماً - القسم الأول - الأعضاء المؤسسون: محمد كرد علي - أمين سويد - أنيس سلوم- سعيد الكرمي - عبد القادر المغربي- عز الدين التنوخي - عيسى اسكندر المعلوف

- متري قندلفت مجلد /٤٤/ ج١و٢

٤٤- فقيد العروبة الأستاذ ساطع الحصري مجلد /٤٤/ ج٣

٤٥- خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفلة استقبال الأستاذ عبد الهادي هاشم مجلد /٤٤/ ج٤

٤٦- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٤) مجلد /٤٤/ ج٤

٤٧- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٥) مجلد /٤٥/ ج١

٤٨- تعريف ونقد لكتاب: «ابن سعيد المغربي» مجلد /٤٥/ ج٢

٤٩- ظاهرة في المعجم العربي جدية بالدراسة (٦) مجلد /٤٥/ ج٢

٥٠- تعريف ونقد لكتاب: «أدباء حلب ذوو الأثر» مجلد /٤٥/ ج٣

٥١- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٧) مجلد /٤٥/ ج٣

٥٢- تعريف ونقد لمعجم: «لسان العرب المحيط» مجلد /٤٥/ ج٤

٥٣- ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (٨) مجلد /٤٥/ ج٤

٥٤- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السابعة والثلاثين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد /٤٦/ ج٢

٥٥- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثامنة والثلاثين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد /٤٧/ ج٢

٥٦- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته التاسعة والثلاثين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد /٤٨/ ج٢

٥٧- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد /٤٩/ ج٢

٥٨- تعريف ونقد لكتاب: «الشاب الظريف» مجلد /٥٠/ ج١

٥٩- تحقيقات لغوية: السمسرة والسمسار في اللغة والقانون مجلد /٥٠/ ج١

٦٠- عارف النكدي - مجمعي افتقدناه مجلد /٥٠/ ج٢

٦١- تقرير عن مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الحادية والأربعين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد /٥٠/ ج٢

٦٢- دمشق في ديوان الأثري مجلد /٥٠/ ج٣

٦٣- تعريف ونقد لكتاب: «الإسلام أهدافه وحقائقه- تأليف د. سيد حسين نصر» مجلد /

/٥٠ ج٤

٦٤- الدكتور أحمد زكي: مجمعي افتقدناه مجلد /٥١/ ج١

٦٥- التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة (تعريف ونقد) مجلد / /٥١ ج١

٦٦- تعريف ونقد لكتاب: «الأرقام العربية» مجلد /٥١/ ج٢

٦٧- مجمعي افتقدناه: محمد بهجة البيطار مجلد /٥١/ ج٤

٦٨- خطاب الدكتور عدنان الخطيب بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ محمد كرد علي مجلد / /٥٢ ج١

٦٩- الأستاذ محمد كرد علي وقصة المذكرات مجلد /٥٢/ ج١

٧٠- تقرير عن مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثالثة والأربعين بالمشاركة مع د. حسني سبح مجلد/٥٢/ ج٢

٧١- مجمعي افتقدناه: الأستاذ أنيس المقدسي مجلد /٥٢/ ج٣

٧٢- مجمعي افتقدناه: ناجي معروف العبيدي. مجلد /٥٢/ج٤

٧٣- تعقيب على معجم عثرات الأدباء. مجلد /٥٣/ ج٣

٧٤- موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة (٤٤) مجلد /٥٤/ ج٢

٧٥- مجمعي افتقدناه: أسعد الحكيم. مجلد /٥٤/ ج٣

٧٦- موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة (٤٥). مجلد /٥٤/ ج٤

٧٧- موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة (٤٦). مجلد /٥٦/ ج٣

٧٨- مجمعي افتقدناه: محمد العدناني. مجلد /٥٧/ ج١و٢

٧٩- مجمعي افتقدناه: بدوي الجبل. مجلد /٥٧/ ج١ و٢

٨٠- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة (٤٧). مجلد /٥٧/ ج٣

٨١- مجمعي افتقدناه: الدكتور شكري فيصل. مجلد /٦٠/ ج٣

٨٢- فقيدان مجمعيات جليلان: الدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتور جواد علي. مجلد /٦٢/ ج٤

٨٣- مجمعي افتقدناه: عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام. مجلد /٦٣/ ج١

٨٤- مجمعي افتقدناه: الدكتور أحمد عبد الستار الجواري. مجلد /٦٣/ ج٣

٨٥- مجمعي افتقدناه: الدكتور صبحي المحمصاني. مجلد /٦٣/ ج٤

٨٦- محمد كرد علي: من الرواد المؤسسين لمجمع القاهرة (الرائد المجمعي الأول). مجلد /٦٤/ ج٢

٨٧- خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفل استقبال الدكتور مختار هاشم. مجلد /٦٤/ ج٤

٨٨- قصة تميم الداري ـ خطاب د. عدنان الخطيب في حفل استقبال د. مروان محاسني. مجلد /٦٥/ج١

٨٩- كلمة الافتتاح للدكتور عدنان الخطيب في حفل استقبال الدكتور عبد الرزاق قدورة . مجلد /٦٦/ ج١

٩٠- مجمعي افتقدناه: عبد الله كنون. مجلد /٦٦/ج٢

٩١- تعريف ونقد لكتاب: «محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام». مجلد /٦٦/ ج٣ ـ ١٩٩١

● سادساً ـ مقالات نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١- تعقيب على مقال: صور الكواكب الثمانية والأربعين. ج /٢٢/ ١٩٦٧.

٢- لغة الصحافة في بلاد الشام. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٤٩). ج /٥١/ مايو ١٩٨٣.

٣- معجم القرن العشرين. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٠). ج/٥٣/ فبراير ١٩٨٤.

٤- قصة دخول العلمانية في المعجم العربي. بحث في مؤتمر مجمع اللغة بالقاهرة ـ الدورة (٥٣). ج /٦٠/ مايو ١٩٨٧.

٥- فقيد المجمع الدكتور حسني سبح. كلمة في حفل التأبين في مجمع القاهرة ـ الدورة (٥٣). ج /٦١/ نوفمبر ١٩٨٧.

٦- المعجم العربي الوسيط. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٤). ج /٦٢/ مايو ١٩٨٨.

٧- كلمة الدكتور عدنان الخطيب في تأبين المرحوم الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ـ الدورة (٥٤). ج /٦٢/ مايو ١٩٨٨.

٨- كلمة الأعضاء العرب للدكتور عدنان الخطيب. مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٥). ج /٦٤/ مايو ١٩٨٩.

٩– الأرقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه ـ صلة الكلام في تسوية الأرقام. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٥). ج /٦٤/ مايو ١٩٨٩.

١٠– العامية عاميات والواجون حمأتها أنماط. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٦). ج /٦٦/ أيار ١٩٩٠.

١١– فقيد العربية: اسحق موسى الحسني. ج /٧٢/ مايو ١٩٩٣.

١٢– كلمة الأعضاء العرب في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٨). ج /٧٣/ نوفمبر ١٩٩٣.

١٣– عود على بدء.. وقد آن للأصوات الطيبة أن يسمع صداها. مؤتمر مجمع القاهرة ـ الدورة (٥٨). ج /٧٣/ نوفمبر ١٩٩٣.

– ألفاظ ومعان ليست في الفصحى ولكنها من الفصيح. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٥٧) ـ ١٩٩١(*).

– فضالة قول حق: واجب الحكومات العربية الزم كل منها جامعات قطرها تعريب التعليم. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ الدورة (٥٩) ـ ١٩٩٣(*).

– كلمة الدكتور عدنان الخطيب في حفل افتتاح مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٦٠) ـ ١٩٩٤(*).

– تلك أمة تقدس لغتها. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الدورة (٦٠) ـ ١٩٩٤(*).

– نعم لقفزة علمية رائدة مبدعة. لا لقفزة عَلْمانية فلتانة غير محكمة. بحث في مؤتمر مجمع اللغة العرية بالقاهرة ـ الدورة (٦١) ـ ١٩٩٥.

● سابعاً ـ مقالات قانونية(*)

١– صلة القانون بالأدب. مجلة الصباح ـ دمشق ١٦ كانون الثاني ١٩٤٤.

٢– غرائب القضاء: إذا أخطأت العدالة ! فمن يكون المسؤول عن أخطائها ؟ جريدة الفيحاء ـ حلب ١٢ آب ١٩٤٨.

(*) البحوث والكلمات هذه موجودة في المحاضر المطبوعة لجلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولم أتمكن من الحصول على أعداد مجلة المجمع التي نشرت فيها.

٣- المحامي بين الولاء لموكله وبين قواعد الأخلاق. مجلة المحامون - دمشق السنة /٣٠/ العدد /١/ حزيران ١٩٦٥.

٤- الفكر القانوني عند ابن تيمية. كتاب «اسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية - دمشق ١ - ٦ نيسان ١٩٦١».

منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة ١٩٦٣.

● ثامناً - مقالات لغوية وتراثية وأدبية

١- الأرقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه. مجلة شؤون عربية - تونس العدد /١١/ كانون الثاني ١٩٨٢.

٢- دراسة وتحليل لكتاب: «التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة». مجلة المنهل - السعودية - نيسان ١٩٧٦.

٣- من التراث الشعبي: حكاية لقب أسرة دمشقية. مجلة التراث العربي - دمشق العدد /٩/ السنة / ٣/ تشرين أول ١٩٨٢.

٤- مخطوطات الظاهرية هذه الثروة القومية. جريدة الثورة - العدد /٦٦٣٥/ ٨ تشرين الثاني ١٩٨٤.

٥- المقرنصات كلمة عربية. مجلة الخفجي - السعودية ١٩٨٥.

٦- الشاعر وديوانه: مقدمة تعريف «الديوان الأثري» ج١ - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٩٠.

٧- تعليق على العدد الأول من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ج٢ ١٩٧٨.

● تاسعاً - مقالات التراجم

١- ابن تيمية. كتاب: «أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية - دمشق ١ - ٦ نيسان ١٩٦١». منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . القاهرة - ١٩٩٣.

٢- الدكتور سامي الدهان. مجلة الضاد - حلب عدد خاص (تشرين أول - تشرين ثاني) ١٩٧٥.

٣- دمشق الزركلي. كتاب: «علم الأعلام خير الدين الزركلي». دمشق - ١٩٧٨.

٤- فقيد العربية: الأستاذ عباس حسن. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد المزدوج /٥ - ٦/ ١٩٧٩.

٥- حول مذكرات الأعلام: أخلاقهم في مذكراتهم. مجلة دنيا المجتمع العدد /٦٣/ كانون الثاني ١٩٨٤.

٦- كيف تصادقت وعبد الحق فاضل. بحث في كتاب: «ندوة تكريم الأستاذ عبد الحق فاضل» مراكش - ١٩٩٤.

● عاشراً - مقالات تاريخية

١- السياسة في الدولة العثمانية: الدور الخطير الذي لعبته الماسونية في السياسة الداخلية لبعض الدول ج١ العدد/٦١/ مجلة دنيا المجتمع - أيلول ١٩٨٣ .

٢- السياسة في الدولة العثمانية: الدور الخطير الذي لعبته الماسونية في السياسة الداخلية لبعض الدول ج٢ العدد/٦٢/ مجلة دنيا المجتمع - تشرين الثاني ١٩٨٣ .

٣- الشيخ طاهر الجزائري في القدس. بحث في كتاب: «مجموعة بحوث عربية مهداة إلى الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني بمناسبة بلوغه الثمانين» عمان- ١٩٨٤ .

● ١١ - مقالات نشرت في مجلة الثقافة المصرية

١- في بواعث الإجرام: العدد (٢١٣) بتاريخ ١٩٤٢/١/٢٦ .

٢- التسعير الإلزامي عند ابن قيم الجوزية: العدد (٢٥٨) بتاريخ ٢/٧ / ١٩٤٣ .

٣- ابن النفيس: العدد (٢٦٥) بتاريخ ١٩٤٤/١/٥ .

٤- على هامش مؤتمر الأدباء: العدد (٢٨٧) بتاريخ ١٩٤٤/٦/٢٧ .

٥- تفكير الحيوان: العدد (٢٨٨) بتاريخ ١٩٤٤/٧/٤ .

٦- أيكون للأدباء مؤتمراً أيضاً: العدد (٢٩٩) بتاريخ ١٩٤٤/٩/١٩ .

٧- الحب بين الخير والشر. (بتوقيع ع.خ) العدد (٣٤٥) بتاريخ ٨/٧ / ١٩٤٥ .

٨- مؤلفات من سورية: العدد (٣٤٩) بتاريخ بتاريخ ١٩٤٦/٧/١٦ .

٩- كتب ومؤلفون من سورية: العدد (٣٩٩) بتاريخ ١٩٤٦/٨/٢٠ .

١٠- لغة القانون في البلاد العربية: العدد (٤٠٤) بتاريخ ١٩٤٦/٩/٢٤

١١- كتب ومؤلفون من سورية: العدد (٤٠٧) بتاريخ ١٩٤٦/١٠/١٥

● ١٢أ- المقالات المنشورة في مجلة الرسالة المصرية

١- على هامش كتاب (سعد زغلول من أقضيته) ج١ العدد (٧٧٩) بتاريخ ١٩٤٨/٦/٧ .

٢- على هامش كتاب (سعد زغلول من أقضيته) ج٢ العدد (٧٨٠) بتاريخ ١٩٤٨/٦/١٤

٣- على هامش كتاب (سعد زغلول من أقضيته) ج٣ العدد (٧٨١) بتاريخ ١٩٤٨/٦/٢١

● كما قام الدكتور عدنان الخطيب خلال فترة توليه رئاسة مجلس الدولة بالإشراف على جمع وطبع مجموعة المبادئ القانونية التالية:

أ- أشرف على جمع وطبع مجموعة المبادئ القانونية التي أقرتها المحكمة الإدارية العليا بمجلس الدولة بين عامي ١٩٦٦- ١٩٧٣ .

ب – أشرف على جمع وطبع مجموعة المبادئ القانونية التي تضمنتها فتاوى الجمعية العمومية للقسم الاستشاري بمجلس الدولة بين عامي ١٩٥٩ – ١٩٧٤ .

جـ – أشرف على جمع وطبع خلاصة آراء القسم الاستشاري بمجلس الدولة بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٧٢ .

د – أشرف على طبع قانون مجلس الدولة وهو مجموعة القوانين والأنظمة المتعلقة بالقضاء الإداري والناظمة لشؤون مجلس الدولة في الجمهورية العربية السورية – ١٩٧٤ .

● وهناك تراجم ذكرها الدكتور عدنان الخطيب في ترجمته الذاتية الموجزة، ولم أتمكن من الوصول إلى مكان نشرها هي:

الشيخ عبد القادر الخطيب (مخطوط).

الشيخ بدر الدين الحسني (بحث مفقود).

الأستاذ محمد البزم.

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. (وهو بحث ألقي في ذكرى الطاهر ابن عاشور في تونس بتاريخ ١٩٧٧/١٢/٢٣ .)

الأستاذ عبد الغني حسن.

الدكتور صبحي الصالح.

بالإضافة إلى العديد من المقالات المنشورة وغير المنشورة والتي لم أتمكن من الحصول عليها.

● كما ساهم في تحرير مواد القانون ضمن لجنة الخبراء (لمعجم العلوم الاجتماعية) المعد بإشراف

اليونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ .

● وساهم في تحرير مادة (مجمع اللغة العربية بدمشق) ومواد (تراجم أعضاء مجمع اللغة العربية) في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركية - ١٩٩٤ .

● المراجع التي ترجمت لحياة وأعمال الدكتور عدنان الخطيب:

١- كتاب «من هو في سورية - ١٩٤٩» الوكالة العربية للنشر والدعاية في سورية - دمشق ١٩٤٩ .

٢- كتاب «عالمنا العربي - سورية ولبنان» الحلقة الأولى - المؤلف نعمة زيدان - وكالة الصحافة الشرقية - بيروت ١٩٥٦ .

٣- كتاب «من هم في العالم العربي» الجزء الأول - سورية. مكتب الدراسات السورية والعربية - دمشق ١٩٥٧ .

٤- كتاب «معالم وأعلام في بلاد العرب» القسم الأول: القطر السوري -ج١ أحمد قدامة - دمشق ١٩٥٦ .

٥- كتاب «من الأدب المقارن» ج٢ نجيب العقيقي الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية - طبعة ثالثة - القاهرة ١٩٧٦ .

٦- كتاب «الموسوعة الموجزة» المجلد /٥/ ج١٧ حسان بدر الدين الكاتب - دمشق ١٩٨٠ .

٧- كتاب «أعلام القرن الرابع عشر الهجري» المجلد الأول: أعلام الدعوة والفكر - أنور الجندي - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨١ .

٨- كتاب «معجم المؤلفين السوريين» عبد القادر عياش - دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥ .

٩- مقالة في مجلة الأديب: «الدكتور عدنان الخطيب» بقلم عجاج نويهض - مجلة الأديب - بيروت - عدد (اغسطس - ديسمبر ١٩٧٨).

١٠- مقالة في مجاة المنهل:«الدكتور عدنان الخطيب - فرع من الدوحة التي أينعت الفكر الإسلامي» بقلم أنور الجندي - مجلة المنهل - جدة. أبريل ١٩٧٦ .

● مقابلات صحفية مع الدكتور عدنان الخطيب

١- مجلة (الحرس الوطني) السعودية عدد مايو ١٩٨٤ - شعبان ١٤٠٤ وهي مجموعة

مقابلات مع أعضاء مجمع اللغة العربية تحت عنوان: «اللغة العربية تبحث عن نفسها في أروقة مجمع الخالدين» تحقيق وحوار: حسن عبد الله الخليل.

٢- مجلة (صوت العرب) العدد /٥/ السنة ١١- ٥ أيار ١٩٨٤ . مقابلة بعنوان:

«مازلت أدافع عن الحق والقانون، إلى جانب الدفاع عن اللغة وقواعدها» أجرى الحوار: فضل عفاش.

٣- جريدة (تشرين) بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٠ . مقابلة بعنوان:

«حوار مع الأمين العام لمجمع اللغة العربية: غايتنا إحياء التراث وخدمة اللغة العربية لتساير النهضة العلمية» أجرت الحوار: لينة النويلاتي.

٤- جريدة (تشرين) بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٩١ . مقابلة بعنوان:

«تعميم الفصحى بتفصيح العامية - تنقية المعاجم من مفردات ليست فصيحة».

توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة
في دورته الثانية والستين (١٩٩٥ – ١٩٩٦م)

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والستين في المدة (من ٢٨/ ١٠– ١٣/ ١١/ ١٤١٦ هـ = ١٨/ ٣ – ١/ ٤/ ١٩٩٦م).

وقد نظر الأساتذة المشاركون في مجموعة كبيرة من المصطلحات التي أعدتها لجان المجمع المتخصصة، وهي تتناول مصطلحات الفيزياء، والعلوم الطبية، والجيولوجية، والتربية، وعلم النفس، والكيمياء، والشريعة، والفلسفة، وعلوم الأحياء، والأدب، والقانون الدولي العام، والتربية الرياضية، والهندسة، والرياضيات، والتاريخ والآثار، والنفط .

كما ألقى الأساتذة أعضاء المؤتمر بحوثاً ودراسات عرضت لجوانب لغوية وتراثية وأدبية .

واختتم المؤتمر أعماله بإصدار توصيات يهيب فيها بالمؤسسات الثقافية والعلمية والوزارات المسؤولة عن التربية والتعليم والثقافة والإعلام في البلاد العربية، لتولي اللغة العربية مزيداً من العناية والاهتمام، وضرورة تكاتف الجهود لجعل التعليم في الدراسات الجامعية والبحوث العلمية باللغة العربية .

وهذه هي التوصيات :

١ – يوصي مؤتمر المجمع وزراء التعليم في الأقطار العربية بتعريب التعليم الجامعي واتخاذ الخطة الكفيلة لتحقيق ذلك .

٢ – يوصي المؤتمر بأن تعنى الدولة بإنشاء هيئة عامة للترجمة لنقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية .

٣ – يوصي المؤتمر بضرورة الاهتمام الفائق باللغة العربية من حيث مادتها ومناهجها وأساليب تقديمها وأوقاتها المخصصة لها مع الاهتمام بإعداد المعلم القائم عليها ورعايته .

٤ – يوصي المؤتمر الحكومات العربية بضرورة الإسراع باستصدار تشريع يحظر كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية .

٥ – يوصي المؤتمر بتدريس اللغة العربية في جميع الكليات الجامعية والمعاهد العليا وأن تكون مادة أساسية .

٦ – يوصي المؤتمر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بالتزام اللغة العربية الصحيحة .

٧ – يوصي المؤتمر وزارات الإعلام في الأقطار العربية بإعداد العاملين بها إعداداً لغوياً صحيحاً .

٨ – يوصي المؤتمر باستعمال الأعلام الجغرافية العربية الأصيلة، وضبطها والنطق بها نطقاً صحيحاً في الدوائر التعليمية والإعلامية، مع العناية بتحقيق ذلك على الخرائط المعدة له .

٩ – يوصي المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في البلدان العربية أن يلتزموا اللغة العربية الصحيحة في جميع خطبهم وبياناتهم .

١٠ – تبلّغ هذه التوصيات إلى جميع وزراء التعليم والإعلام والثقافة في مصر والأقطار العربية للأخذ بها وتنفيذها .

تأليف لجان المجمع الدائمة

نظر مجلس المجمع في جلسته الحادية عشرة المنعقدة في (١٨/ ٩/ ١٤١٦ هـ – ٧/ ٢/ ١٩٩٦ م) في لجان المجمع الدائمة وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المجلة والمطبوعات

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٩/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ جورج صدقني

وللجنة أن تحيل إلى ذوي الاختصاص بعض المقالات لاستطلاع الرأي في شأنها على أن تحيط رئيس المجمع علماً بذلك .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤١/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عادل العوا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة الأصول

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤٢/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة:

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع.

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المصطلح

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤٠/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد

الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عادل العوا

الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المعجمات

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤٤/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

اللجنة الثقافية

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤٣/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور عادل العوا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة تنشيط أعمال المجمع

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٤٥/ ن تاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٦م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور عادل العوا

الأستاذ جورج صدقني

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية (١/ ٩/ ١٩٩٤ - ٣١/ ٨/ ١٩٩٥ م)

أولاً: مجلس المجمع:

عقد مجلس المجمع تسع عشرة جلسة في الدورة المجمعية ١٩٩٤-١٩٩٥ خصص منها جلسة علنية لاستقبال الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد. ودرس في جلساته الأخرى الموضوعات التي عرضت عليه. وفيما يلي أهم ماتم فيها:

١- تجديد تعيين الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً في اللجنة الادارية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ٤/ ٢/ ١٩٩٥ .

٢- ترشيح الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي لنيل جائزة الملك فيصل العالمية في موضوع «الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية» لعام ١٩٩٥ .

(جلسة رقم ١٥- تاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٩٥)

- الاعداد للاحتفال بالعيد الماسي للمجمع، ووضع محاور للبحوث التي ستلقى فيه.

- دراسة وضع دار الكتب الظاهرية .

- دراسة طلب مؤسسة دار الفكر للنشر في بيروت طبع كتاب-

تاريخ مدينة دمشق- لابن عساكر وعدم موافقة المجلس على ذلك.

(الجلسة رقم ٣- تاريخ ٥/ ١٠/ ١٩٩٤)

- الاطلاع على رسالة الدكتور يحيى جبر المتضمنة انشاء مجمع اللغة العربية الفلسطيني.

(تاريخ الرسالة ٨/ ٨/ ١٩٩٤)

- الاطلاع على رسالة رئيس المجمع العراقي الدكتور صالح أحمد العلي التي ينعى فيها الأمين العام الدكتور نوري حمودي القيسي .

- الاطلاع على كتاب اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بشأن ندوة توحيد تعريب المصطلح الجيولوجي المنعقدة في تونس في المدة بين ٢٢-٢٤/١٠/ ١٩٩٤ وما خرجت به من توصيات.

(جلسة رقم ١١- تاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٩٥)

- الاطلاع على كتاب الأستاذ إبراهيم الترزي أمين عام مجمع القاهرة الذي يثني فيه على ممثل مجمع اللغة العربية بدمشق في ندوة توحيد تعريب المصطلح الجيولوجي الأستاذ الدكتور محمد غالب سيدا الذي كان يسهم في المناقشات باقتدار علمي فذ أثار اعجاب كل المشاركين في الندوة.

(جلسة رقم ١١- تاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٩٥)

- دراسة بعض المقترحات حول ملاك المجمع

(جلسة رقم ٨- تاريخ ١١/ ١/ ١٩٩٥)

- أُعلِمَ المجلس فوز السيدة الأديبة سلمى الحفار الكزبري بجائزة الملك فيصل العالمية في موضوع «الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث»، والتي كان المجلس قد رشحها لنيل تلك الجائزة في دورته السابقة.

- الاطلاع على عدة كتب ودعوات من مؤسسات علمية مختلفة،

تضمنت اعلام المجمع ضروب نشاطها الثقافي والرغبة في مشاركة المجمع فيها، وقد أقر مايجب في شأنها. من تلك الكتب :

– كتاب معهد كاتالونيا للدراسات حول منطقة البحر المتوسط في برشلونه بشأن الترشيح لنيل جائزة المعهد في مجال تطوير الثقافة والقيم العلمية والانسانية.

– دعوة هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية لحضور ندوة حول «دور المعايير والمواصفات في ضمان جودة الانتاج».

– كتاب مؤسسة أوناسيس في أثينا– اليونان بشأن الترشيح لنيل جوائز المؤسسة في المنجزات الاجتماعية والفنون الانسانية والبيئة لعام ١٩٩٥م.

– كتاب مؤسسة ڤولفو– السويد بشأن الترشيح لنيل جائزة المؤسسة للبيئة لعام ١٩٩٥م.

ثانياً : لجان المجمع:

١– اللجنة الادارية :

عقدت اللجنة الادارية في هذه الدورة المجمعية سبعاً وعشرين جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية ودوام العاملين. وأصدرت جملة من القرارات الادارية والمالية. ووضعت مشروع النظام الداخلي لدار الكتب الظاهرية .

٢ – لجنة المجلة والمطبوعات :

عقدت اللجنة سبع عشرة جلسة تدارست فيها المقالات الواردة إليها، وقررت نشر مارأته صالحاً منها. وأشرفت على طبع الكتب التالية وهي:

١– كشف المشكلات وإيضاح المعضلات تأليف علي بن الحسين الأصبهاني

الباقولي، تحقيق الدكتور محمد الدالي .

٢- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر تأليف ابن اللبودي تحقيق الأستاذين: مأمون الصاغرجي، ومحمد أديب الجادر

٣- الجزء الرابع والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

وقررت طبع الجزء الثاني من كتاب «التعمية واستخراج المعمى عند العرب تحقيق الأساتذة: الدكتور محمد مراياتي، والدكتور محمد حسان الطيان والدكتور يحيى ميرعلم .

كما قررت طبع محاضرتي لجنة النشاط الثقافي لهذا العام في كتاب مستقل وهما:

- قمم العلم في عام ١٩٩٤ في أعين مجلة ساينس لعضو المجمع الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة.

- الجواهر والأحجار في كتب التراث العربي لعضو المجمع الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا.

٣- لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة:

عقدت اللجنة في هذه الدورة احدى عشرة جلسة كان مما تم فيها:

- اعتمدت اللجنة بعض المبادئ الأساسية لوضع المصطلحات العلمية أو اختيارها بعد أن رجعت في ذلك إلى:

التقرير عن «ندوة توحيد المصطلحات العلمية الجديدة» الرباط ١٨- ٢٠ شباط ١٩٨١.

وإلى:

تقرير لجنة الصياغة عن نتائج أعمال ندوة عمان ٦- ٩/ ايلول/ ١٩٩٣، عن تطوير منهجية وضع المصطلح العربي، وبحث سبل نشر

المصطلح الموحد واشاعته. وإلى:

كتاب رئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق إلى وزارة التعليم العالي ذي الرقم ٤٦١/ ص تاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٩١م في شأن المنهج المتبع في مجمع اللغة العربية بدمشق لاعتماد المصطلح العربي.

وإلى ماجاء في مؤتمر التعريب السابع في الخرطوم عن منهجية وضع المصطلحات العربية.

وقد رفعت هذه المبادئ إلى مجلس المجمع لاعتمادها واقرارها.

- بحثت اللجنة في موضوع دراسة مشروعات معجمات مؤتمر التعريب التاسع التي أعدها مكتب تنسيق التعريب في الرباط، والتي ستعقد لها ندوة في رحاب المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- في شهر تشرين الأول ١٩٩٥. وهي مشروعات معجمات مصطلحات:

الأرصاد الجوية، والهندسة الميكانيكية، والمعلوماتية، والعلوم البحرية. وألفت لجاناً لدراستها عقد لها اجتماع تمهيدي في ١٢/ ٧/ ١٩٩٥. وأعادت اللجنة النظر في مسألة دراسة مشروعات هذه المعجمات في ضوء المناقشات التي جرت في الاجتماع التمهيدي. ورأت أن يقترح مجمع اللغة العربية بدمشق على مكتب تنسيق التعريب فكرة تأجيل موعد انعقاد ندوة دراسة مشروعات المعجمات مدة تتيح له إعادة النظر فيها، واستكمالها بوضع تعريفات للمصطلحات، واستبعاد ماليس «مصطلحاً» واحكام التقابل والتطابق بين كلمات اللغتين الانكليزية والفرنسية، ثم ارسال المشروعات الجديدة بعد ذلك إلى مجامع اللغة العربية قبل ستة أشهر على الأقل من الوعد الجديد الذي سيحدد لدراستها.

٤- لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

عقدت اللجنة في هذه الدورة أربع جلسات درست خلالها كتب

التراث المحققة المعروضة عليها، وأحالت ماأقرته منها على لجنة المجلة والمطبوعات لنشره، وقد أقرت اللجنة طبع الكتب التالية وهي:

١- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق الأستاذين مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر.

٢- التعمية واستخراج المعمى عند العرب، الجزء الثاني تحقيق الأساتذة الدكتور محمد مراياتي، الدكتور محمد حسان الطيان، والدكتور يحيى ميرعلم.

٣- الجزء الرابع والأربعون من تاريخ ابن عساكر تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

٥ - لجنة النشاط الثقافي:

عقدت اللجنة في هذه الدورة سبع جلسات ناقشت فيها عدة أمور ثقافية منها:

- القاء محاضرات خلال الموسم الثقافي لهذه الدورة المجمعية فكان أن ألقى الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد محاضرة بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٩٥ عنوانها «قمم العلم في أعين مجلة ساينس لعام ١٩٩٤» .

وألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد محاضرة أخرى بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٩٥ عنوانها «الجواهر والأحجار الكريمة في كتب التراث»

- الاعداد للعيد الماسي الذي سيقيمه المجمع في المدة من ٢٦- ٢٩/ ١١/ ١٩٩٥م وما يستلزم ذلك من تأليف لجان تنظيمية واعلامية وتوجيه دعوات لأعضاء المجامع العربية وبعض العلماء العرب والسوريين- وناقشت اللجنة محاور البحوث التي ستلقى في هذا الحفل.

ثالثاً: مشاركات المجمع خارج القطر:

ا- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة:

شارك كل من الأستاذين الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع والدكتور عدنان الخطيب أمين المجمع وعضو مجمع القاهرة في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الحادية والستين، والذي عقد في المدة بين ٢٧/ ٣/ ١٩٩٥ و ١٠/ ٤/ ١٩٩٥. وكان من أهم توصيات هذا المؤتمر تأكيده استعمال اللغة العربية لغة للتعليم في الجامعات وما يتبع ذلك أو يمهد له من وسائل كتوحيد المصطلح العلمي وتعميمه وإنشاء هيئة كبرى للترجمة تقوم بترجمة العلوم والتكنولوجيا المتطورة يعمل بها عدد واف من المترجمين، والعناية بتعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم وكذلك الاهتمام بتعليم اللغة الأجنبية وخاصة في المرحلة الجامعية، وتعريب الخرائط والأسماء الجغرافية والاسراع في انجاز المعجم الكبير وطبعه.

كما أوصى المؤتمر وسائل الاعلام بإعداد العاملين فيها اعداداً لغوياً دقيقاً، وعدم استعمال الأسماء الأجنبية في تسمية المحال التجارية...

ب – ندوة توحيد تعريب المصطلح الجيولوجي:

التي عقدت في المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون– بيت الحكمة– أيام ٢٢و ٢٣و ٢٤ من تشرين الأول ١٩٩٤م.

مثل مجمع اللغة العربية بدمشق في هذه الندوة الأستاذ الدكتور محمد غالب سيدا الأستاذ في كلية العلوم– جامعة دمشق. وشاركت فيها وفود من المجامع العربية في القاهرة، والأردن، وليبيا، وتونس، بالإضافة إلى ممثلي مكتب تنسيق التعريب.

وكان أهم توصيات الندوة:

– مراعاة أن تكون لغة المعجم في طبعته القادمة ثلاثية (بإضافة اللغة الفرنسية) واعتماد المشروعين المقدمين من الوفدين التونسي والسوري اساساً لهذه الاضافة.

- أخذ مجمع القاهرة بملاحظات الوفود التي قدمت في الندوة، واعتماد كل مايمكن اعتماده منها عند اصدار الطبعة الجديدة من المعجم

- العمل على وضع معاجم جيولوجية تخصصية.

رابعاً: نشاط المجمع داخل القطر:

ا - ندوة دراسة مشروعات معجمات مؤتمر التعريب الثامن

عقدت في دمشق في المدة بين ١٩ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٤م، ندوة أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب بالرباط لدراسة مشروعات خمسة معجمات أعدها مكتب تنسيق التعريب، لتعرض فيما بعد على مؤتمر التعريب الثامن، وهي مشروعات معجمات:

الاستشعار عن بعد

علوم المياه

علوم الإعلام

التقنيات التربوية

الفنون التشكيلية

وشاركت في هذه الندوة وفود من: جمهورية مصر العربية والمغرب والأردن وتونس والسودان ومكتب تنسيق التعريب.

ب - محاضرات الموسم الثقافي:

ألقيت محاضرتان خلال هذه الدورة المجمعية في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد:

١- قمم العلم في أعين مجلة ساينس لعام ١٩٩٤، للأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة .

٢ - الجواهر والأحجار الكريمة في كتب التراث للأستاذ الدكتور محمد زهير البابا.

خامساً: مطبوعات المجمع:

طبعت في هذه الدورة الكتب التالية :

١ - كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي. تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء). طبع عام ١٩٩٥.

٢ - كتاب النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي- تحقيق الأستاذين مأمون الصاغرجي، ومحمد أديب الجادر. طبع عام ١٩٩٥.

٣ - المجلد الرابع والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

سادساً : مكتبة المجمع :

- دخل مكتبة المجمع العربية في هذه الدورة المجمعية «٥٢٧» كتاباً منها «٤٢٩» اهداء و ٩٨ شراء.

- وصورة من مخطوطة علم الوضع للعالم عبد الحميد افندي الزهراوي.

- وكتاب سجل المطبوعات التونسية على الميكروفيش اصدار مخبر الميكروفيلم دار الكتب الوطنية التونسية أما الكتب الأجنبية فدخل منها «١٠٤» كتب أهديت من بعض الاكاديميات العلمية.

وعدد المجلات والدوريات العربية التي اهديت إلى المجمع «٣٦٣» والأجنبية «٧٠» .

سابعاً : أعضاء المجمع :

استقبل المجمع عضواً عاملاً جديداً هو الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد في جلسة علنية بقاعة المحاضرات في مكتبة الأسد وذلك يوم الثلاثاء ٦/ ٦/ ١٩٩٥ . وافتتح الحفل بكلمة للأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع، وألقى الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة عضو المجمع كلمة رحب فيها بزميله الدكتور شهيد، ونوّه بمآثره، ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد كلمة تحدث فيها عن سلفه الأستاذ وجيه السمان رحمه الله .

ثامناً : ميزانية المجمع :

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في ميزانية الدولة العامة لعام ١٩٩٥ مبلغ « ١٢٨٦٠ ٠٠٠ » ليرة سورية، ورصد له في الميزانية الاستثمارية مبلغ « ١,٥٠٠ ٠٠٠ » ل.س للعام نفسه .

تاسعاً : دار الكتب الظاهرية :

ا – المطبوعات :

اهدي إلى الدار«٤٤٣» كتاباً من ورثة المرحوم حسين غنيم. كما أهدي إليها «٢٢٥» كتاباً من جهات مختلفة .

وتم شراء « ١١ » كتاباً من معرض مكتبة الأسد .

فأصبح مجموع مافي الدار من كتب «٦٨٧٩٦» كتاباً.

ب – الدوريات العربية والأجنبية :

أهدي إلى الدار «١٥٦» مجلة ودورية عربية من داخل القطر وخارجه، ويبلغ عدد المجلات والدوريات العربية في الدار نحو «١٠٠٠» عنوان .

- ورد مايقرب من «٥٠» مجلة أجنبية .

جـ - الرواد والكتب المعارة :

بلغ عدد الرواد خلال هذه المدة إلى الدار «٤٥٠٠٠» وزاد عدد الكتب المعارة للطلاب على ثلاثين ألف كتاب.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأخير من عام ١٩٩٥

أ- الكتب العربية

خير الله الشريف

- **إبراهيم صنوبر** / إعداد: حسن أبو الرب؛ مراجعة: يوسف عارف – نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٩).

- **اتفاق المباني وافتراق المعاني** / تأليف: الدقيقي النحوي؛ تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر – عمان: دار عمار، ١٩٨٥ – (سلسلة: أسفار العربية ٣).

- **اجتياح العراق للكويت ودور الأمم المتحدة الجديد** / مجموعة من الباحثين – الدار البيضاء: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩١ – (سلسلة: الدورات 18).

- **أحاديث الشعر** / تأليف: عبد الغني المقدسي؛ تحقيق: خير الله الشريف – دمشق، ١٩٩٣ .

- **أحاديث عن الأدب المغربي الحديث** / عبد الله كنون – ط٢– الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٨ .

- **إحسان النمر** / نعيمة زياد – نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥ –

(سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٩).

- **الأحكام العامة للنظام الجزائي** / د. عبد الفتاح مصطفى الصيفي - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- أحمد بن ماجد: **منظر الملاحة الفلكية في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية** / ترجمها ودرسها وحققها: إبراهيم خوري - رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري، ١٩٨٩ - ٤ج - (سلسلة: الملاحة العربية الفلكية، كتاب الأبحاث ٤ - ٧).

- **الإدارة الاستراتيجية** / د. كامل السيد غراب - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- **أساسيات الخرائط الجيولوجية** / د. نعيم أحمد شعت، د. خالد بن إبراهيم التركي - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- **أساسيات علم كيمياء الأنسجة: النظرية والتطبيق** / د. نوري بن طاهر الطيب، بشير محمود جرار - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- **أسبوع العلم الثالث والثلاثون** / مجموعة من الباحثين - دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥ - (٥) كتب.

الكتاب الأول يتضمن: كلمات الافتتاح والختام والعلوم الاقتصادية.

الكتاب الثاني يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الأساسية.

الكتاب الثالث يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الزراعية والطب البيطري.

الكتاب الرابع يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الطبية والصيدلانية وطب الأسنان.

الكتاب الخامس يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الهندسية.

- **أسبوع العلم السابع عشر** / مجموعة من الباحثين - دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٧٨ - (٥) كتب.

- **الإسلام في فجر عظمته** / تأليف: موريس لومبار؛ ترجمة: حسين العودات؛ مراجعة: علي الخش - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٩ .

- **أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب** / تأليف: ابن الجزري؛ هذبه: محمد باقر المحمودي - ١٩٨٣ .

- **الإعلام البيئي: دراسة ونماذج** / إعداد: برنامج الأمم المتحدة للبيئة؛ مراجعة: د. أحمد الحاج سعيد، شمس محمود؛ ترجمة: برعي حمزة، منى الطاهر - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧- (دراسات إعلامية9).

- **الأعمال الفكرية العامة** / د. قسطنطين زريق - بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٩٤ - ٤ مج.

- **الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد** / الطوسي - النجف الأشرف: جمعية منتدى النشر، ١٩٧٩ .

- **اقتصاديات العمل: نظرية عامة** / د. عاصم بن طاهرعرب- الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **الأقزام السود: الغابة العذراء** / أسعد عبد الله الحاج محمد- نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ .

- **إنتاج المواد التعليمية: دليل للمعلمين والمربين** / تأليف: هنري إلينجتون؛ ترجمة: د. عبد العزيز بن محمد العقيلي - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **أنساب الأشراف** / تأليف: البلاذري؛ تحقيق: محمد باقر المحمودي - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٤ - ج٢ .

- **ابن البيطار** / مجموعة من الباحثين - دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥ .

- **تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء دمشق** / د. تيسير خليل محمد الزواهرة - الكرك: جامعة مؤتة، ١٩٩٥ .

- **التجارب العملية في علم الأحياء الدقيقة التعديني** / د. عبد الوهاب بن رجب هاشم بن صادق - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **التحليل الكمي في الإدارة** / د. إبراهيم أحمد مخلوف - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **التحليل المقارن لأمثال شعبية في اللغتين العربية والروسية** / د. علي أبو الفتوح الشيخ - الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- **التربية البيئية الإسلامية وحماية البيئة البحرية من التلوث** / د. زين الدين عبد المقصود غنيمي - الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٥ .

- **التعريب بين المذاهب الإسلامية**/ مجموعة من الباحثين- الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٤.

- **التعريب والتنمية اللغوية** / د. ممدوح خسارة - ط١ - دمشق: الأهالي، ١٩٩٤ .

- **التعليم وثنائية اللغة** / تأليف: ميجل سيجوان، وليم ف. مكاي؛ ترجمة: د. إبراهيم بن حمد القعيد، د. محمد عاطف مجاهد -

الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

– **تفسير رسالة أدب الكتاب** / تأليف: الزجاجي؛ حققه: د. عبد الفتاح سليم – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٣ .

– **تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب** / تأليف: الفارقي؛ تحقيق: د. سمير أحمد معلوف – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٣ .

– **جذور وورود: شعر** / تأليف: شادي الخوري؛ ترجمة: سركون بولص؛ مراجعة: شحادة الخوري – دمشق: دار سلام، ١٩٩٥ .

–**جراحة الفم الصغرى** / تأليف: جيفري هاو؛ ترجمة: د . زهير محمد صافي حيدر– الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

– **الحاج حسين أحمد هلال** / د. يحيى جبر – نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٥).

– **الحاج فياض الخضر، عبد الله الفياض الخضر** / د. فياض الفياض الخضر – نابلس: الدار الوطنية – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٢–١٣).

– **حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية** / تأليف: ايرل و. سووكوفسكي؛ ترجمة: مجموعة من الأساتذة – عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٧٩ – ج١ .

– **حسن محمد عبد الرحيم** / نهاية عبد الكريم راشد – نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٨).

- **حسين سليم الدجاني** / د. أحمد صدقي الدجاني - نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٧).

- **حلقة التكامل بين أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم** / مجموعة من الدارسين - القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٩.

- **حياة الإمام زين العابدين: دراسة وتحليل** / باقر شريف القرشي - قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٨.

- **الدكتور إسحاق موسى الحسيني** / إعداد: مهند راشد مشاقي؛ مراجعة: د. غانم مزعل - نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥ - (سلسلة: الموسوعة الوطنية الفلسطينية ١٥).

- **الدليل الببليوغرافي لمنشورات المنظمة ١٩٤٧ - ١٩٩٠** / إعداد: صلاح الدين بن عيسى، محمد الزهراني - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩١.

- **دليل الطالب العملي لعلم الأنسجة** / د. التهامي محمد عبد المجيد - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤.

- **دور التعليم الزراعي في التنمية الريفية** / مجموعة من الباحثين - القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٩.

- **الدولة الصنهاجية** / تأليف: الهادي روجي إدريس؛ ترجمة: حمادي الساحلي - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ - ج١- (السلسلة الجامعية).

- **ديوان محمد بن هانىء الأندلسي**/ تحقيق: محمد اليعلاوي- ط١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥.

- **رائد الدراسة عن المتنبي** / كوركيس عواد، ميخائيل عواد- بغداد: وزارة الثقافة والفنون؛ دار الرشيد، ١٩٧٩ - (سلسلة: المعاجم والفهارس ٢٢).

- **الرحلة التنوخية: رحلة عز الدين التنوخي من الزرقاء إلى القريات** / تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر - ط١ - عمان: دار الشعب، ١٩٨٥ - (سلسلة: أسفار العربية ٤).

- **ابن زيدون شاعر قرطبة: دراسة ومختارات**/ ترجمها ودرسها: د. محمود صبح - مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩ .

- **الساخر والجسد: إبراهيم طوقان ١٩٠٥ - ١٩٤١، دراسة في شعره** / تأليف: المتوكل طه؛ تقديم:د . يحيى جبر - نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٤)

- **شرح الجوهري على منظومة الشبراوي**/ تأليف: ابن غنيم الجوهري؛ تحقيق: زينب إبراهيم؛ مراجعة: د. يحيى جبر - نابلس: الدار الوطنة، ١٩٩٥ - (سلسلة: أسفار العربية ٨).

- **شريف صبوح** / يوسف عارف - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٧).

- **شهادات ماسونية** / حسين عمر حمادة - ط١ - دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٠ .

- **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت** / تأليف: الحاكم الحسكي؛ تحقيق: محمد باقر المحمودي- ط١ - طهران: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٩٠ - ٣مج .

- **الشيخ سعيد الكرمي** / د. أحمد حامد - ط١ - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٣ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٢)

- **الشيخ مصطفى صبري** / يوسف العيلة - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية٤).

- **الصراع على القمة** / تأليف: لسترثارو؛ ترجمة: أحمد فؤاد بلبع - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥ - (سلسلة: عالم المعرفة ٢٠٤).

- **صفة السرج واللجام** / تأليف: ابن دريد؛ حققه: د. مناف مهدي محمد - القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢ .

- **عبد الجبار بن حمديس** / زين العابدين السنوسي - تونس: الدار التونسية، ١٩٨٣ .

- **عبد الله الفارس**/ وجيه أمين - نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥- (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٢٠).

- **العشرات في غريب اللغة** / تأليف: أبي عمر الزاهد؛ تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر - ط١ - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية،١٩٨٤- (سلسلة: أسفار العربية ١).

- **العشرات في اللغة**/ تأليف: القزاز القيرواني؛ تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر- ط١ - عمان: المطبعة الوطنية، ١٩٨٤- (سلسلة: أسفار العربية ٢) .

- **غسان كنفاني** / د. عادل الأسطه - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٣).

- **فأين أمهاتنا، الزبال** / مصطفى مرار - نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٥ - (السلسلة القصصية ٤).

- **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي** / د. جمعة

شيخة - ط١ - تونس: المطبعة المغاربية، ١٩٩٤ - ٢ج.

- **الفكر الإصلاحي عند العرب في عصر النهضة**/ محمد القاضي، عبد الله صولة - تونس: دار الجنوب، ١٩٩٢.

- **فهارس الخزانة الملكية** / محمد عبد الله عنان - الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٠ - مج١.

- **فهرس الفهارس والأثبات** / تأليف: عبد الحي الكتاني؛ اعتناء: د. إحسان عباس - ط٢- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢ - ٣ج.

- **فهرس منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية** / فرانكفورت: المعهد، ١٩٩٥.

- **في بنية الشعر العربي المعاصر** / محمد لطفي اليوسفي - ط٢- تونس: دار سيراس، ١٩٩٢.

- **في الخطة الشاملة للثقافة العربية** / مجموعة من الباحثين- تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٢ - ١٩٩٥- ج (٢، ٣، ٤، ٥، ٧).

- **قدري طوقان** / د. يحيى عبد الرؤوف جبر - نابلس: مكتبة الجمعية العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية١).

- **قضايا الفكر في الأدب المعاصر** / وديع فلسطين - ط٢ - بيروت: دار الجديد، ١٩٩٤ .

- **قيادة المنهج** / تأليف: ألن أ. جلاتهورن؛ ترجمة: د. سلام سيد أحمد سلام، د. إبراهيم محمد الشافعي، د. ربيع أحمد حمودة، د. موافق

ابن فواز الرويلي – الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

– **كتابان في العمل بالإسطرلاب** / تأليف: أبي الحسين الصوفي؛ تحقيق: علي عمراوي – الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٥ .

– **الكتيبة الكامنة** / تأليف: لسان الدين بن الخطيب؛ تحقيق: د. إحسان عباس – بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣ – (المكتبة الأندلسية ٨).

– **المؤتمر العام الثاني عشر لاتحاد الكتاب العرب ومهرجان الشعر الرابع عشر** / دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩– ج (١) و (٢).

– **مبادئ الآلات الزراعية** / تأليف: مارشال ف. فينر، ريتشارد ج. ستراب؛ ترجمة: د. صالح بن عبد الرحمن السحيباني، د. محمد فؤاد وهبي – الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

– **كتاب المتحابين في الله** / تأليف: ابن قدامة المقدسي؛ تحقيق: خير الله الشريف – ط١ – دمشق: دار الطباع، ١٩٩١ .

– **محمد إسعاف النشاشيبي** / د. يحيى جبر – نابلس: مكتبة الجمعية العلمية، ١٩٩٤ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية).

– **محمد عزة دروزة** / د. يحيى جبر، أريج دروزة – نابلس: مكتبة الجمعية العلمية، ١٩٩٤ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية).

– **محمود دسوقي** / أماني نبيه أبو غزالة – نابلس: الدار الوطنية، ١٩٩٤ – (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ٣١).

– **محمود العابدي** / فوزي حسن الأسعد – نابلس: مكتبة الجمعية

العلمية الفلسطينية، ١٩٩٤ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١١).

- **مختارات من الشعر العربي المعاصر** / وديع فلسطين - ط١ - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥ .

- **كتاب المذكر والمؤنث** / تأليف: ابن الأنباري؛ تحقيق: د. طارق عبد عون الجنابي - ط١ - بغداد: وزارة الأوقاف، ١٩٧٨ - (سلسلة: إحياء التراث الإسلامي ٣٣).

- **المراسم في الفقه الإمامي** / تأليف: سلار؛ تحقيق: د. محمود البستاني - النجف الأشرف: جمعية منتدى النشر؛ بيروت: دار الزهراء، ١٩٨٠ .

- **المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من خلال واقعه المعاصر** / مجموعة من الباحثين - الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٥ .

- **مع المصادر في اللغة والأدب: نقد لمراجع اللغة والأدب** / د. إبراهيم السامرائي - بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩ - ج١ .

- **المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم** / د. محمود روحاني - مشهد: مؤسسة جاب وانتشارات آستان قدس رضوي، ١٩٩٤ - ٣مج .

- **معجم ألفاظ الجغرافية الطبيعية** / د. يحيى عبد الرؤوف جبر - ط١ - عمان: دار عمار؛ دار الفيحاء، ١٩٨٧ - (سلسلة: أسفار العربية ٥).

- **معجم البلدان الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع** / د. يحيى عبد الرؤوف جبر - عمان: دار اللوتس.

- **المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع**: أ - ث/ د. محمد عيسى صالحية - القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢ - ج١ .

- **المعجم الطبي: فرنسي - عربي** / تأليف: د. أحمد ذياب؛ تقديم: د. حسين الجزائري - تونس: المطبعة العربية، ١٩٩٢ .

- **المعجم العلمي العربي المختص** / إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ .

- **المعجم النفيس: عربي- فرنسي- إنكليزي/** سليم عمار، أحمد ذياب، أنور الجراية- تونس: منشورات جيم، ١٩٩٤.

- **معين بسيسو** / عبد الكريم الفتاش - نابلس : الدار الوطنية، ١٩٩٥ - (سلسلة: الموسوعة التربوية الفلسطينية ١٦).

- **مفصليات الأرجل** / د. علي إبراهيم بدوي - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي** / د. عبد المنعم خضر الزبيدي - بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٨٠ .

- **مكتبة الأسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية: نظرة تاريخية وصفية** / د. براو ليوخوستيل - مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٨ .

- **منتجات الحليب الدهنية والمثلجات القشدية** / د. إبراهيم حسين أبو لحية، د. حمزة بن محمد أبو طربوش - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٥ .

- **نباتات في الشعر العربي** / د. حسن مصطفى حسن - الرياض: عمادة شؤون المكتبات؛ جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ .

- **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة** / د. يحيى جبر - ط١ - نابلس - (سلسلة: أسفار العربية ٦).

- **هل يعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار؟** / مجموعة من الباحثين - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٢ - (سلسلة: الدورات 19).

- **هوية المسلمين وثقافتهم في أوربا** / مجموعة من الباحثين - الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٥ .

- **الواقع السياسي في إسرائيل** / كريم يونس - ط١ - نفحة: جمعية أنصار السجين، ١٩٩٠ .

ب ـ المجلات العربية

سامر اليماني

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
ـ الآداب الأجنبية	٨٣	١٩٩٥	سورية
ـ الأسبوع الأدبي	من ٤٨٠ ـ ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢	١٩٩٥	سورية
ـ بناة الأجيال	١٦	١٩٩٥	سورية
ـ التراث العربي	٦٠، ٦١	١٩٩٥	سورية
ـ الحياة والبيئة	٢٤، ٢٦	١٩٩٥	سورية
ـ دراسات تاريخية	٥١ ـ ٥٢	١٩٩٥	سورية
ـ رسالة معهد التراث العلمي العربي	٦٥	١٩٩٥	سورية
ـ صوت فلسطين	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥	١٩٩٥	سورية
ـ عالم الذرة	٣٨، ٣٩	١٩٩٥	سورية
ـ مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	٣	١٩٩٥	سورية
ـ المجلة البطريركية	١٤٧ ـ ١٤٨	١٩٩٥	سورية
ـ مجلة طب الفم السورية	١ ـ ٤	١٩٩٥	سورية
ـ المعرفة	٣٨٤، ٣٨٥	١٩٩٥	سورية
ـ الموقف الأدبي	٢٩٣، ٢٩٤	١٩٩٥	سورية
ـ الأنباء	٥١٩ (١٩٩٤)، ٥٦٢، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠٢، ٦٠٣	١٩٩٥	سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
- دراسات	٧ (مج ٢١/ سلسلة أ)، ٧(مج ٢١/ سلسلة ب)	١٩٩٤	الأردن
	٣، ٤ (مج ٢٢/ سلسلة أ)	١٩٩٥	
- راية مؤتة	١، ٢ (مج ٣)	١٩٩٤	الأردن
- مؤتة للبحوث والدراسات	٦(مج٩/ سلسلة أ)، ٦(مج ٩ / سلسلة ب)	١٩٩٤	الأردن
	١(مج ١٠/سلسلةأ)،١(مج ١٠/ سلسلةب)	١٩٩٥	الأردن الأردن
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٣-٦ (١٩٧٩)، ١١-١٢ (١٩٨١)، ٣٧ (١٩٨٩)،٤٠ (١٩٩١)، ٤٧(١٩٩٤)، ٤٨ (١٩٩٥)	١٩٨٩	الأردن
- الموسم الثقافي الثاني عشر	١٢	١٩٩٤	الأردن
- الموسم الثقافي الثالث عشر	١٣	١٩٩٥	الأردن
- مجلة آفاق الثقافة والتراث	٢، ٣ (١٩٩٣)، ٤، ٦، ٧(١٩٩٤) ٩(١٩٩٥)		الإمارات العربية
- الآداب	٢	١٩٩٥	الجزائر
- الدارة	٢، ٣	١٤١٦هـ	السعودية
- عالم الكتب	٤ (مج ١٦)	١٩٩٥	السعودية
- مجلة جامعة الملك سعود	المجلد السادس: (الآداب ١، ٢)	١٩٩٤	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	(العلوم الإدارية ١، ٢)،(العلوم الزراعية ١، ٢)	١٩٩٤	
	(العلوم ١،٢)، (العلوم الهندسية ١،٢)	١٩٩٤	
	(العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ١، ٢)	١٩٩٤	
	العمارة والتخطيط، علوم الحاسب	١٩٩٤	
ـ الجمعية الجغرافية العراقية	٢٧	١٩٩٣	العراق
ـ علوم وتكنولوجيا	٢٤، ٢٥، ٢٦	١٩٩٥	الكويت
ـ تراثنا	١، ٢	١٤١٥هـ	لبنان
ـ الدراسات الفلسطينية	٢٢، ٢٣، ٢٤	١٩٩٥	لبنان
ـ الشراع	٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، من ٧٠١ ـ ٧٠٩	١٩٩٥	لبنان
ـ الفكر العربي	٨١	١٩٩٥	لبنان
ـ المشرق	٢	١٩٩٥	لبنان
ـ أخبار التراث العربي	٦٧ (مج ٦)	١٩٩٥	مصر
ـ حوليات كلية دار العلوم	١٦، ١٧	١٩٩٤	مصر
ـ مجلة كلية دار العلوم	١٨	١٩٩٥	مصر
ـ معهد مخطوطات العربية	المجلد الأول (١٩٥٥)، المجلد الثاني (١٩٥٦)		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	المجلد الثالث (١٩٥٧)، المجلد الرابع (١٩٥٨)		
	المجلد الخامس (١٩٥٩)، المجلد السادس (١٩٦٠)		
	المجلد ٣٤ (١٩٩٠). المجلد ٣٥ (١٩٩١)		
	المجلد ٣٦ (١٩٩٢)، المجلد ٣٧ (١٩٩٣)		
ـ الإسلام اليوم	٢(١٩٨٤)، ٣(١٩٨٥)، ٦(١٩٨٨)، ٨(١٩٩٠) ٩، ١٠(١٩٩٢)، ١١، ١٢ (١٩٩٤)		المنظمة الاسلامية (المغرب)
ـ ألمانيا	٤، ٥	١٩٩٥	ألمانيا
ـ اندونيسيا	٦١	١٩٩٥	اندونيسيا
ـ جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية	٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧	١٩٩٥	كوريا

ج ـ الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1- Books:

- L'AFRIQUE ENTERE L'EUROPE ET L'AMERIQUE/ PAR ELIKIA M'BOKOLO. - PARIS: EDITIONES UNESCO, 1995 -189P. (THE BOOK DISCUSS: LE ROLE DE L'AFRIQUE DANS LA RECONTRE DE DEUX MONDES, 1492-1992.
- BOOKS FROM KOREA/ COMPILED BY THE KOREAN LIBRARY ASSOCIATION. - SEOUL (KOREA): KOREAN PUBLISHERS ASSOCIATION, 1993- 615P.
- ESTHETIQUE ET CRITIQUE CHEZ KANT/ PAR TAOUFIK CHERIF. - TUNIS: FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES DE TUNIS, 1995, 191P.
- COMPTE RENDU DE LA SOIXANTE- QUATRIEME SESSION ANNUELLE DU COMITE, BRUXELLES, DU IO AU 16 JU 1990/ BY UNION ACADEMIQUE INTERNATIONALE.- BRUXELLES, 1990, 100P.
- DANS LA RUE AVEC LES ENFANTS, PROGRAMMES POUR LA REINSERTION DES ENFANTS DE LA RUE/ PAR UNESCO. PARIS, 1995 - 325P.
- THE DESTROYED PALESTINIAN VILLAGES, EIN HAWD AND MAJDAL ' ASQALAN/ BY ISESCO.- RABAT, 1994. 316P.
- ELECCIONES, PARTICIPACION Y TRANSCIONES POLITICAS EN EL NORTE DE AFRICA/ BY: BERNABE LOPEZ AND OTHERS.- MADRID: INSTITUTO COOPERACION CON EL MUNDO ARABE, 1991 - 319P.
- ESPANA Y MUNDO ARABE, IMAGENES CRUZADES/ BY: VICTOR MORALES LEZUANO.- MADRID: INSTITUTO DE COOPERACION EL MUNDO ARABE, 1993 - 94P.
- EXPLOSION DEMOGRAFICA, EMPLEO Y TRABAJADORES EN EL MEDITERRANEO OCCIDENTAL/ EDITED BY: JUAN MONTABES BERNABE LOPEZ GARCIA, Y DOMINGO DEL PINO/. - MADRID : UNIVERSIDAD DE GRANADA, 1993.- 596P.
- HERMAN HESSE VIE ET OEUVER EN IMAGES/ PAR VOLKER MICHELS.- GERMANY, 1977 - 255P.
- THE INTERNATIONAL WHO'S WHO, 1990-1991/ PUBL. BY: EUROPA PUBLICATIONS LTD. 54TH ED.: LONDON, 1990 - 1772P.
- IPHIGENIE/ PAR TERESA DE LA PARRA.- COLOMBIE: EDITIONS UNESCO, 1995 - 438P.
- L'ISLAM ET LES DROITS DE L'HOMME, NECESSITES ABSOLUS PLUTOT QUE SIMPLES DROITS/ PAR: M. AMARA, TRA-

DUCTION PAR MOUSSA A. CHAMI,- MAROC: ISESCO, 1994 - 179P.

- ISLAM, OUR RELIGION/ BY: SHEIKH M. ALGHAZALI, TRANS. BY: AHMAD GALAL.- RABAT: ISESCO, 1995 - 214P.

- KITAB AL HAWADIT WALBIDA/ BY MARIBELFIERRO (TRANSLATOR AND EDITOR). - MADRID: INSTITUTO DE COOPERACCION CON EL MUNDO ARABE, 1993- 467P.- (SERIES: FUENTASARABICO - HISPANAS).

- EL MAGREB: CONCERTACION, COOPERACION CON EL MUNDO ARABE, 1993.- 445P.

- A PERSIAN DICTIONARY/ BY MOHAMMAD MOIN.- TEHRAN, 1992.- VOLS.: 1-6.

- DIE QUDAT DIMASQ UND MADHAB AL - AUZAI, MATERIALIEN ZUR SYRISCHEN RECHTSGESCHICHTE/ VON: GERHARD CONRAD.- BEIRUT, 1994.- 828P.- SERIES: BEIRUTER TEXTE UND STUDIEN; 46).

- LA <<REPUBLIQUE>> JESUTES DES GUARANES (1609-1768) ET SON HERITAGE/ PAR: SELIM ABOU - UNESCO, 1995-160P.

- RELIGIOUS ENDOWMENTS AND SOCIAL LIFE IN THE OTTOMAN PROVINCE OF DAMASCUS IN THE SIXTEENTH AND SEVENTEENTH CENTURIES/ BY: TAISIR KHALIL MUHAMAD EL ZAWAREH.- KARAK - JORDAN: MU'TA UNIVER , 1992- 300P.

- THE SCHOLASTIC METHOD IN MEDIEVAL EDUCATION, AN ENQUIRY INTO ITS ORIGINS IN LAW AND THEOLOGY/ CAMBRIDGE, MASSACHUSETS: THE MEDIEVAL ACADEMY OF AMERICA, 1974.- 20P.
(AN OFFPRINT FROM <<SPECULUM>>, A JOURNAL OF MEDIEVAL STUDIES), VOL. XLIX, OCT. 1974, NO. 4.

- TOLERANCE, J'ECRIS TON NOM./ EDITIONS PIERRE SAURAT.- PARIS: EDITIONS UNESCO, 1995.- 284P.

- TRES TRATADOS ARABES SOBRE EL CANNABIS INDICA, TEXTOS PARA LA HISTORIA DEL HACHIS EN LAS SOCIEDADES ISLAMICAS, S. XIII- XVI/ INDALECIO LOZANO CAMARA.- MADRID: INSTITUTO DE COOPERACION CON EL MUNDO ARABE, 1990.-

- TUHFAT AL- ALBAB (EL REGALO DE LOS ESPIRITUS)/ BY ABU HAMID AL- GARNATI, PRESENTED AND TRANSLATED BY ANA RAMOS.- MADRID, 1990.- 145P. - (PUBL. BY: INSTITUTO DE COOPERACION CON EL MUNDO ARABE).

- VERS UNE CULTURE MULTILINGUE DE L'EDUCATION/ PAR ADAMA QUANE.- HAMBOURG.- INSTITUT DE L'UNESCO POUR L'EDUCATION, 1995.- 472P.

- THE WRITERS HANDBOOK/ 100 CHAPTERS BY MANY AUTHORS, EDITED BY: SYLVIA K. BURACK.- BOSTON: THE WRITERS, INC., 1984.- 777P.

2- PERIODICALS:

- THE ARABIST, BUADPEST STUDIEST IN ARABIC 15-16, PUBL. BY: EOTVOS LORAND UNIVERSITY CHAIR FOR ARABIC STUDIES, CSOMA DE KOROS SOCIETY SECTION OF ISLAMIC STUDIES, BUDAPEST, 1995. (PROCEEDINGS OF THE 14 TH CONGRESS OF THE UNION EUROPEENE DES ARABISANTS ET ISLAMISANTS, PART TWO.).

-BEIJING REVIEW, A CHINESE WEEKLY OF NEWS AND VIEWS, BEIJING, FEB. 20-26, 1995, MARCH 6-12, 13 - 19, 20 - 26, 1995. NOS.: APRIL, 3-16, 17- 23, 24 - 30, 27- 1995.

- CATALAN WRITING, NO. 13, 1995., PUBL. BY: INSTITUCIO DE LES LIETRES CATALANES, BARCELONA.

- ENERGIES, LE MAGAZINE INTERNATIONAL DE TOTAL, PARIS. NO. 25,1995.

- HAMDARD ISLAMICUS; A QUARTERLY JOURNAL OF BAIT AL- HIKMAH, PAKISTAN, NO. 2, SUMMER, 1995.

-INTERNATIONAL FAMILY PLANNING PERSPECTIVES, NEW YORK, NO. 3, VOL. 21, SEPTEMBER, 1995.

- JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES, NOS.: 46-47, 48-49, 1995/ PUBLISHED BY: THE INSTITUTE FOR THE STUDY OF LANGUAGES AND CULTURES OF ASIA AND AFRICA, TOKYO UNIVERSITY OF FOREIGN STUDIES, JAPAN.

- LAW AND STATE, A BIANNUAL COLLECTION OF RECENT GERMAN CONTRIBUTIONS TO THESE FIELDS, EDITED BY THE INSTITUTE FOR SCIENTIFIC CO - OPERATION, TUBINGEN. VOL. 52.

- LETTERA DALL' ITALLA 38, 1995, PUBL. BY: INSTITUTO DELLAENCLOPEDIA ITALIANA FONDATA DA G. TRECCANI.

- THE MIDDLE EAST JOURNAL, NO. 2, SPRING 1995, PUBL. BY: MIDDLE EAST INSTITUTE, U.S.A.

- LE MUSEON, REVUE D'ETUDES ORIENTALES, FONDE EN 1881 PAR CH. DE. HARLEZLOUVAIN - LA - NEUVE (BELGIQUE), FASC. 3-4, TOME 108.

- SGI QUARTERLY, SOKA GAKKAI INTERNATIONAL QUARTERLY MAGAZINE, TOKYO. NO. OCTOBER 1995.

- STVDIA ISLAMICA, NO. 81, 1995, PARIS. (THE MAGAZINE IS SUPPORTED IN PART BY GRANTS, FROM THE CNRS IN PARIS AND THE PROGRAM IN NEAR EASTERN STUDIES OF PRINCTON UNIVERSITY.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢، وضع محمد مطيع الحافظ.
- شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول)، تحقيق د. محمد يوسف. مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ.
- شعر منصور النمري، جمع وتحقيق الطيب العشاش.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢، وضع صلاح الخيمي.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر- عبد الله بن زيد)، تحقيق د. شكري فيصل، شهابي، طرابيشي.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢، تحقيق محمد أحمد دهمان.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

- تاريخ مدينة دشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى- عبد الله بن ثوب) تحقيق د. فيصل، نحاس، مراد.
- كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢)، تحقيق عبد المعين الملوحي.
- التاريخ المنصوري، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي تحقيق د. أبو العيد دودو، مراجعة د. عدنان درويش.
- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق د. حنا حداد. مراجعة قدري الحكيم.
- كتاب الأفضليات، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي، تحقيق د. وليد قصاب، د. عبد العزيز المانع.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١، وضع رياض مراد وياسين السواس.
- زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢).

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان تحقيق د. محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج١ تحقيق محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاي (ط٢) صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢) لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي تحقيق د. نسيب النشاوي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا تحقيق د. محمد حسان طيان د. يحيى ومير علم
- نظرات في ديوان بشار بن برد للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي تحقيق إبراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣ وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢ وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات، تأليف الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١ وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١ وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة، ج٢، ٣ تحقيق محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣ وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١ تحقيق نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة- أحمد بن محمد) تحقيق عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) تحقيق سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج١ تحقيق محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج٢ تحقيق حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ تحقيق عبد الإله نبهان

فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والسبعين







صفر ١٤١٧ هـ
تموز (يوليو) ١٩٩٦م

مصادر الإمام السيوطي

في كتابه: «الأشباه والنظائر في النحو»

وقيمتها التاريخية

الدكتور رمضان عبد التواب

مؤلف هذا الكتاب هو الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال الخضيري السيوطي، وهو من علماء مصر الكبار في أواخر القرن التاسع الهجري، وأوائل العاشر، فقد ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١ هـ .

وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتاب خصصه لذلك، وهو كتاب: «التحدث بنعمة الله»، الذي نشرته السيدة «إليزابيث ماري سارتين E. M. Sartain وطبعته في المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٧٢م، كما ترجم لنفسه كذلك في كتابه: «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».

وقد أغنى السيوطي المكتبة العربية، بمؤلفات تفوق الحصر، في شتى فنون العربية، منها الكتب ذوات الأجزاء المتعددة، ومنها ماهو متوسط الحجم، ومنها الرسائل الصغيرة، التي لاتجاوز الصفحتين أحياناً.

أحصى له بروكلمان في كتابه: «تاريخ الأدب العربي» (GAL II 143; S II 178) كتبه المطبوعة والمخطوطة، فأوصلها إلى أكثر من أربعمائة كتاب. وقد ظهر في عام ١٩٧٧م بالرباط بالمغرب، كتاب بعنوان: «مكتبة الجلال السيوطي» لأحمد الشرقاوي إقبال، الذي يقول في مقدمة كتابه هذا

(ص٣٩): «فأما الذي انتهيت إليه في إحصائها، بعد الفحص المستقصى، والتفتيش المستتبع، فكان ٧٢٥ مؤلفاً، سوى المكرور والمنحول، وأخرجت المطبعة منها نيفا ومائتين (٢٠٤ حسبما وقفت عليه). وماتزال المكتبات العامة والخاصة تختزن منها قرابة المائتين (١٧٣ فيما تأدّى إليّ). أما الباقي فهو مفقود، أو في حكم المفقود».

هذا، وقد سمعت بأخرة أن أحمد الخازندار، صنف كتابا في مؤلفات السيوطي، وبلغت عنده نحواً من ٩٠٠ كتاب ورسالة.

* * *

أما كتاب: «الأشباه والنظائر في النحو» للسيوطي، وهو مانفصل القول فيه هنا، فقد طبع ثلاث مرات، أولاها في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٩ ـ ١٣٦١هـ. والثانية بعناية طه عبد الرؤوف سعد، ونشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٩٧٥م. والثالثة، وهي التي نعتمد عليها هنا، بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، ونشر مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٨٥م. وقد علمت أن هناك نشرة رابعة للكتاب في دمشق، بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان[١].

وقد ألف السيوطي هذا الكتاب مرتين، غير أن التأليف الأول ضاع، بعد أن حبسه السيوطي عن الإفادة منه سبع عشرة سنة، فألفه تأليفاً ثانيا، وهو الذي بين أيدينا اليوم؛ يقول السيوطي: «وكان مما سودت منه كتاب طريف لم أسبق إلى مثله... ضمنته القواعد النحوية، ذوات الأشباه والنظائر... ولم يكن انتهى المقصود منه لاحتياجه إلى إلحاق، ولاسُوِّد بتسطير جميع ماأرصده

[(١) نُشر كتاب الأشباه والنظائر في النحو في أربعة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان ورفاقه (طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٧ / المجلة].

له من بياض الأوراق، فحبسته بضع عشرة سنة، وحُرم منه الكاتبون والمطالعون. ثم قَدَّر الله أني أُصبت بفقده، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فاستخرت الله تعالى في إعادة تأليفه ثانيا، والعَوْدُ ـ إن شاء الله تعالى ـ أحمد، وعزمت على تجديده، طالبا من الله سبحانه وتعالى المعونة، فهو أجلّ من في المهمات يقصد» (الأشباه والنظائر ١ / ٥).

ويُبين السيوطي عن غرضه من تأليف كتابه: «الأشباه والنظائر في النحو»، وهو أنه يريد أن يحذو في النحو، حذو بعض العلماء الذين ألفوا في «الأشباه والنظائر في الفقه». وهو نفسه يقول (١ / ٦): «واعلم أن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب الأول (الذي ضاع) أني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه، فيما صنفه المتأخرون فيه، وألفوه من كتب الأشباه والنظائر».

وأخذ السيوطي بعد ذلك في ذكر عدد من كتب «الأشباه والنظائر في الفقه»، وذكر له كتابا في ذلك الموضوع، وقال عنه (١ / ٨): «وألفت كتاب: الأشباه والنظائر في الفقه، مرتبا على أسلوب آخر، يعرف من مراجعته».

وقد تناول السيوطي في مقدمته موضوعات الكتاب بالشرح والتحليل، مبينا منهجه من هذه الموضوعات؛ فقال (١ / ١٠-١٢): «وهذا الكتاب مشتمل بحمد الله على سبعة فنون:

الأول: فن القواعد والأصول، التي ترد إليها الجزئيات والفروع، وهو مرتب على حروف المعجم، وهو معظم الكتاب ومهمه. وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق، وأشبعت القول فيه، وأوردت في ضمن كل قاعدة، مالأئمة العربية فيها من مقال وتحرير، وتنكيت وتهذيب، واعتراض وانتقاد، وجواب وإيراد...

الثاني: فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات. وهو مرتب على

الأبواب، لاختصاص كل ضابط ببابه...

الثالث: فن بناء المسائل بعضها على بعض. وقد ألفتُ فيه قديماً تأليفاً لطيفاً مسمى بالسلسلة، كما سمى الجويني تأليفه في الفقه بذلك...

الرابع: فن الجمع والفرق.

الخامس: فن الألغاز والأحاجي، والمطارحات والممتحنات. وجمعتها كلَّها في فن؛ لأنها متقاربة، كما أشار إليه الإسنوى في أول ألغازه.

السادس: فن المناظرات، والمجالسات، والمذاكرات، والمراجعات، والمحاورات، والفتاوى، والواقعات، والمراسلات، والمكاتبات.

السابع: فن الأفراد والغرائب.

«وقد أفردت كل فن بخطبة وتسمية؛ ليكون كل فن من السبعة تأليفا مفردا. ومجموع السبعة هو كتاب: الأشباه والنظائر، فدونك مؤلَّفاً تشد إليه الرحال، وتتنافس في تحصيله فحول الرجال».

وقد خالف السيوطي في نص الكتاب، بين الفنين الأخيرين، فجعل السادس للأفراد والغرائب، والسابع للمناظرات والمجالسات. ويبدو أن هذا الخلل، قد حدث في بعض أوراق المخطوطات القديمة للكتاب، ولم يفطن إليه النساخ المتأخرون، كما لم يفطن إلى ذلك محقق الكتاب.

ولعل الدليل على صحة هذا الظن، تطابق ماجاء من توزيع فنون الكتاب في هذه المقدمة، مع ماذكره السيوطي نفسه، في كتاب: «التحدث بنعمة الله» (ص ٢٧٣) حين قال: «الأشباه والنظائر: لم أسبق إليه. وهو سبعة أقسام، كل قسم مؤلف مستقل، له خطبة واسم. ومجموعه هو: الأشباه والنظائر:

الأول: يسمى المصاعد العلية في القواعد الكلية.

والثاني: يسمى تدريب أو الطلب في ضوابط كلام العرب.

والثالث: يسمى سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب.

والرابع: يسمى اللمع والبرق في الجمع والفرق.

والخامس: يسمى الطراز في الألغاز.

والسادس: في المناظرات والمجالسات والمطارحات (في الأصل: المصارحات!)

والسابع: يسمى التبر الذائب في الأفراد والغرائب.»

هذا، ولم يجعل السيوطي المسائل النحوية، التي وضعها في آخر الكتاب فناً بعينه. وقد غلط المحقق، فأعطاها عنواناً مكرراً، وهو «الفن السابع». وهذا العنوان لاوجود له في طبعة حيدر آباد الدكن بالهند.

* * *

ويبدأ كتاب: «الأشباه والنظائر» بعد عرض التقسيم السابق، بكلمة عن: نشأة النحو، نقل فيها عن أمالي الزجاجي (ص٢٣٨) الحديث الذي يقال إنه دار بين علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي في هذا الموضوع. وقد نقل السيوطي عن مصادره بعد ذلك انقطاع إسناد هذا الحديث، فقال (١ / ١٣-١٤): «قال ابن عساكر في (تاريخه): كان أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل النحوي، المعروف بابن المكبِّري، يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود الدؤلي، التي ألقاها عليه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان كثيراً مايَعِد بها أصحاب الحديث إلى أن دفعها إلى الفقيه أبي العباس أحمد بن منصور المالكي، وكتبها عنه، وسمعها منه في سنة ست وستين وأربعمائة؛ وإذا به قد ركّب عليها إسناداً، لاحقيقة له، وصورته:

«قال أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل: حدثني أبو طالب عبيد الله بن أحمد بن نصر بن يعقوب بالبصرة، حدثني يحيى بن أبي بُكير الكِرْماني، حدثني

إسرائيل، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، قال: وحدثني محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش، عن عمه، عن عبيد الله بن أبي رافع: أن أبا الأسود الدؤلي، دخل على عليّ رضي الله عنه. وذكر التعليقة.

«فلما وقفت على ذلك، بيَّنت لأبي العباس أحمد بن منصور، أن يحيى بن أبي بُكَير الكِرْماني، مات سنة ثمان ومائتين، فجعل إبراهيم بن عقيل هذا بين نفسه وبين يحيى بن بكير رجلا واحداً. وهذه التي سماها (التعليقة) هي في أول (أمالي الزجاجي) نحو من عشرة أسطر، فجعلها إبراهيم قريباً من عشرة أوراق. انتهى».

* * *

وأما الفن الأول من فنون الأشباه والنظائر (وهو فن القواعد والأصول العامة، وقد سماه السيوطي: المصاعد العلية في القواعد النحوية) فهو مقسم على الأبواب، ومرتب ترتيبا هجائياً. والسيوطي في هذه الأبواب، يستوفي كل جزئيات الموضوع، التي يجمعها من كل مكان؛ ففي موضوع الإتباع، أول حرف الهمزة من هذا الفن، يذكر السيوطي: الحمدِ لله، والحمدُ لله، وامرؤٌ وابنُمٌ وامرأً وابنَماً وامرِئٍ وابنِمٍ، وتَمَراتٍ وسِدِراتٍ وغُرُفات، ومِنْخِرٍ ومِنْتِنٍ، والحِسّ والجِرْس (بدلا من: الجَرْس) ورِجْسَ نِجْس (بدلا من: نَجَس)، وسلاسلا وأغلالا (بدلا من: سلاسل)، ومأزورات غير مأجورات (بدلا من: موزورات)، والغدايا والعشايا (بدلا من: الغدوات)، ولادريت ولاتليت (بدلا من: تلوت)، ورَبٌّ الأرضين ومأقللن، ورب الشياطين ومأضللن (بدلا من: أضلوا)، وهن لهن (بدلا من: لهم، وهم أهل ذي الحليفة)، والوليد بن اليزيد (بدلا من: يزيد).

* * *

أما الفن الثاني من فنون الأشباه والنظائر، وهو ماسماه السيوطي: «التدريب»، ويعني به «فن القواعد الخاصة، والضوابط، والاستثناءات، والتقسيمات، فقد رتبه المؤلف على الأبواب النحوية، بترتيب الألفية لابن مالك؛ كباب الألفاظ، وباب الكلمة وباب الاسم، وباب الفعل، وباب الحرف، وغير ذلك.

والسيوطي يفصل الكلام في كل باب من أبواب هذا الفن، ويذكر القواعد الكلية التي تخصه، ناقلا ذلك كله عن المصادر النحوية الأصيلة؛ فهو ينقل مثلا عن «الغُرّة» لابن الدهان أن «ثلاثة أشياء تتعاقب على المفرد، ولايوجد فيه منها اثنان، وهي: التنوين، والألف واللام، والإضافة» (٣/١١). وهذا يذكر بتقسيمات السريان للاسم في اللغة السريانية، إلى مطلق، ومضاف، ومعرف (انظر: في قواعد الساميات ١٩٢).

ويبالغ السيوطي أحياناً في استقصاء أماكن ورود الظاهرة في العربية؛ ففي مسوغات الابتداء بالنكرة (٣/١٠٧ ـ ١١٣)، ينقل عن بهاء الدين بن النحاس، في كتابه: «التعليقة على المقرب» اثنتين وثلاثين حالة للابتداء بالنكرة. ونقل عقب ذلك قول ابن النحاس: «فهذا ماحصل لي من تعداد الأماكن، التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة . ولاأدَّعي الإحاطة، فلعل غيري يقف على مالم أقف عليه، ويهتدي إلى مالم أهتد إليه».

وقد عثر السيوطي بعد ذلك، على مؤلف لواحد من النحاة المتأخرين لم يسمّه، أوصل هذه المواضع إلى أكثر من أربعين موضعا، فنقل منه مازاده من المواضع على ابن النحاس؛ يقول السيوطي (٣/١١٣): «ثم رأيت بعد ذلك مؤلفا لبعض المتأخرين، قال فيه: قد تتبع النحاة مسوغات الابتداء بالنكرة، وأنهاها بعض المتأخرين إلى اثنين وثلاثين . وقد أنهيتها بعون الله إلى نيف وأربعين».

وبعد أن انتهى السيوطي في هذا الفن، من ذكر مسائل النحو والصرف، مرتبة في أبواب على نحو مافي ألفية ابن مالك - كما ذكرنا من قبل، لخص في تسع صفحات (٣/٣١٣ - ٣٢١) مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، من كتاب: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات بن الأنباري، وكتاب: «التبيين» لأبي البقاء العكبري.

* * *

والفن الثالث في كتاب: «الأشباه والنظائر»، عبارة عن باب صغير في بناء المسائل بعضها على بعض، وهو أن يختلف النحاة في الرأي، أو تفسير الظاهرة اللغوية، فيؤدي ذلك إلى اختلاف في الحكم النحوي.

مثال ذلك قول السيوطي (٣/٣٣١): «اختلف النحاة في الصرف، فمذهب المحققين، كما قال أبو البقاء في اللباب: أنه التنوين وحده. وقال آخرون: هو الجر مع التنوين. وينبني على هذا الخلاف، ماإذا أضيف مالاينصرف، أو دخلته (ال)؛ فعلى الأول: هو باق على منع صرفه، وإنما يجر بالكسرة فقط. وعلى الثاني: هو منصرف».

* * *

والفن الرابع في «الأشباه والنظائر» سماه السيوطي (٤/٦): «اللمع والبرق في الجمع والفرق». ويقصد به الأبواب المتشابهة المفترقة في كثير من الأحكام، والمسائل المتشابهة المفترقة في الحكم والعلة.

مثال الأول: إعراب المتعجب منه على طريقة: (ماأَفْعَلَه) مفعولا، وعلى طريقة: (أَفْعِلْ به) فاعلا، مع أن المعنى عندهم واحد.

ومثال الثاني: ماحكاه السيوطي عن صاحب (البسيط) من قوله (٤/٧٩): «التعجب والتفضيل يشتركان في اللفظ والمعنى. أما اللفظ فلتركبهما من ثلاثة أحرف أصول وهمزة. وأما المعنى فلأن (ماأعلَمَ زيداً)

و (زيد أعلم من عمرو) يشتركان في زيادة العلم، ويفترقان في أن (أَفْعَلَ) في التعجب ينصب المفعول به، و (أَفْعَلُ) التفضيل لاينصبه على أشهر القولين».

* * *

والفن الخامس في «الأشباه والنظائر» سماه السيوطي: «الطراز في الألغاز». والمقصود هنا هو اللغز النحوي، وهو مايطلب به تفسير المعنى أو وجه الإعراب.

ومصادر السيوطي في هذا الفن هي:

١ ـ موقظ الوسنان وموقد الأذهان، لابن هشام الأنصاري (نشره حسن إسماعيل مروة، في دمشق ١٩٨٨م).

٢ ـ المقامة الرابعة والعشرون النحوية من مقامات الحريري (شرح الشريشي ٢/٢ـ ٢٧).

٣ ـ الأحاجي النحوية للزمخشري (نشرته بهيجة باقر الحسني في بغداد ١٩٧٣م، بعنوان: المحاجاة بالمسائل النحوية).

٤ ـ أحاجي السخاوي.

٥ ـ أمالي ابن الشجري (نشر في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٤٩هـ. ثم نشره الدكتور محمود محمد الطناحي بالقاهرة سنة ١٩٩٢م).

٦ ـ ألغاز الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

٧ ـ كراسة فيها ألغاز منظومة، لم يذكر مؤلفها[1].

كما نقل السيوطي في هذا الفن، بعض الألغاز المفردة من المعري سليمان بن علي (تفسير أبيات المعاني نشر مجاهد الصواف بدمشق ١٩٧٩م) وابن الصائغ، والدماميني، والخوارزمي، وشيئاً من ألغازه هو شعرا ونثرا.

[(١) ذكر محقق الجزء الثاني من الأشباه والنظائر، ص ٦٨١ (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) أن مؤلف الألغاز هو ابن لبّ النحوي الأندلسي/ المجلة].

وأما الفن السادس من فنون الكتاب، وهو بعنوان: «الأفراد والغرائب»، فقد أورد فيه السيوطي الآراء النحوية، التي انفرد بها أصحابها، والآراء الغريبة لبعض نحاة العربية.

فمن أمثلة النوع الأول قول السيوطي (٥/٦): «قال ابن هشام: اشتهر بين النحويين أن الحرف يدل على معنى في غيره. ونازعهم الشيخ بهاء الدين بن النحاس في ذلك في (التعليقة)، وزعم أنه دال على معنى في نفسه. وهو موضع يحتاج إلى فضل نظر. انتهى».

ومن أمثلة النوع الثاني قول السيوطي (٥/١٦): «قال ابن هشام في (تذكرته): ذكر ثعلب في أماليه أنه يقال: ناب هذا عن هذا نَوْباً. ولايجوز: ناب عنه نيابة. وهو غريب».

هذا مانقله السيوطي. والذي في لسان العرب (نوب) ٣/٢٧٢: «ناب عني فلان ينوب نَوْباً ومَنَاباً، أي قام مقامي. وناب عني في هذا الأمر نيابة، إذا قام مقامك»!

* * *

أما الفن السابع والأخير من فنون الكتاب، وهو بعنوان: «فن المناظرات والمجالسات» فقد استقى السيوطي مادته من كتاب: «مجالس العلماء» للزجاجي، ولكنه لم يكن على يقين من نسبة هذا الكتاب للزجاجي، حين قال في واحد من هذه المجالس (٥/٦٢): «ذكر صاحب الكتاب المسمى: غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين، ولم أقف على اسم مصنفه، وأظنه لأبي القاسم الزجاجي».

وقد صحح عبد السلام هارون هذا الظن، في مقدمة تحقيقه لكتاب «مجالس العلماء» لأبي القاسم الزجاجي.

ويرجع السيوطي في هذا الفن كذلك إلى «أمالي الزجاجي»، كما رجع

في مجلس للخليل مع سيبويه إلى «تذكرة النحاة» لأبي حيان، وقال في أوله (٣٥/٥): «ذكره أبو حيان في تذكرته. وأظنه أخذه من كتاب: غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره». وفي مجلس آخر لأبي إسحاق الزجاج مع جماعته، قال السيوطي (٣٧/٥): «ذكره أبو حيان في تذكرته. وهو في كتاب المجالس المشار إليه، وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي، فإنه قال فيه: قال لنا أبو إسحاق يوما في مجلسه».

كما يرجع السيوطي في هذا الفن أيضاً إلى كتاب: «برق الشهاب» لغازي بن محمد الأسدي الواسطي، وقد قال بعد انتهاء اقتباسه عن هذا الكتاب (٤٤/٥): «أخرج هذه القصة أبو القاسم الزجاجي في أماليه (انظر: أمالي الزجاجي ٦٠- ٦٢). ومن مصادره هنا كذلك: كتاب «طبقات النحوين واللغويين» لأبي بكر الزبيدي (٤٦/٥)، وكتاب «إيضاح علل النحو» للزجاجي (١٠٩/٥).

* * *

وينتهي كتاب «الأشباه والنظائر» للسيوطي، بذكر بعض المسائل النحوية الغامضة، أو التي يلتبس أمرها على كثير من الناس. وقد بدأها السيوطي بإحدى عشرة مسألة، سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي، في كتاب أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق. ومما قاله الزجاجي في أولها (١١٣/٥): «ووقفت على ماضمنته من المسائل التي اشتبهت عليك، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب، لعلمي بتعلق قلبك بها».

وقد نقل السيوطي هذه المسائل النحوية الغامضة، من أمالي ابن الشجري، وأمالي ابن الحاجب، والمسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي، ومجالس ثعلب، وشرح التسهيل لأبي حيان، وطبقات النحوين واللغوين للزبيدي، والتعليقة لبهاء الدين بن النحاس، والمقرب لابن عصفور عن الحميدي في جذوة المقتبس.

كما رجع السيوطي هنا إلى كتب كثيرة بعنوان: «التذكرة» لابن هشام، وأبي حيان، وأبي علي الفارسي، وابن مكتوم، وابن الصائغ . ونقل السيوطي كذلك بعض مسائل هذا القسم عن كتاب: «سفر السعادة وسفير الإفادة» لعلم الدين السخاوي، كما نقل عنه أيضاً: «المسائل العشر المتعبات إلى الحشر» لأبي نزار ملك النحاة.

وفي هذا القسم نقول كثيرة كذلك عن: معجم الأدباء لياقوت الحموي، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، والطبقات الكبرى لتاج الدين السبكي، والإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري.

ومما يلفت النظر في هذا القسم على وجه الخصوص، أن السيوطي نقل فيه مجموعة من الرسائل النحوية واللغوية برمتها. وفيما يلي بيانها:

١ ـ «المسائل السَّفَرِيَّة في النحو»، لابن هشام الأنصاري (٦/١٣٠ ـ ١٦٩). وهذه الرسالة نشرها الدكتور حاتم صالح الضامن، في مؤسسة الرسالة ببيروت في سنة ١٩٨٣م، ثم أعاد نشرها هناك سنة ١٩٨٨م. كما نشرها أيضاً حسن إسماعيل مروة، في مجموع بعنوان: «من رسائل ابن هشام النحوية» وذلك في دمشق سنة ١٩٨٨م.

٢ ـ «فوح الشذا بمسألة كذا»، لابن هشام الأنصاري (٧/٢٧١ ـ ٢٩٣). وهذه الرسالة نشرها الدكتور أحمد مطلوب في بغداد سنة ١٩٦٣م.

٣ ـ «الرفدة في معنى وحده»، لتقي الدين السبكي (٧/١٧١ ـ ١٨٢).

٤ ـ «الحلم (في الأصل: الحكم وهو تحريف يوجد كذلك في نشرة الهند) والأناة، في إعراب: غير ناظرين إناه»، لتقي الدين السبكي (٧/٢٠٠ ـ ٢١٧).

٥ ـ «المخاطبة التي جرت بين الزجاج وثعلب، وانتصار ابن خالويه لثعلب». استخرجها السيوطي من كتاب: «التنزه والابتهاج» للشمشاطي

(٨/٥ - ٢٤).

٦ - «الوضع الباهر في رفع أفعل الظاهر»، لمحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الصائغ (٨/١٣٨ - ١٦٥).

٧ - الادّكار بالمسائل الفقهية»، لأبي القاسم الزجاجي (٨/٢٢٨ - ٢٥٣). قال السيوطي في آخره: «هذا آخر الكتاب، كتبته من خط مؤلفه رحمه الله تعالى».

٨ - «رسالة الملائكة»، لأبي العلاء المعري. نقل السيوطي كثيراً منها عن كتاب: «الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ»، لأبي الفضل مؤيد بن موفق الصاحبي (٨/٦٣ - ١٠٦): أكثر من خمسين صفحة (انظر: رسالة الملائكة ١-٥٧).

٩ - «بحث في ضربي زيدا قائما»، للسيوطي (٨/٢٨١ - ٢٨٩).

١٠- «تحفة النجباء في قولهم: هذا بسرا أطيب منه رطبا»، للسيوطي (٨/٢٩٠ - ٣٠٠).

* * *

هذا هو عرض مختصر لفنون هذا الكتاب العظيم «الأشباه والنظائر في النحو». حتى إذا أتينا إلى مصادر السيوطي فيه، فإننا نجد أن معظمها من أمهات كتب النحو، التي ألفت في العربية، من أيام سيبويه إلى عصر السيوطي.

ويأتي اعتماد الإمام السيوطي، في المقام الأول بعد كتاب سيبويه، على كتابين من هذه الكتب النحوية، وهما: «البسيط» لابن العلج. وقد ورد اسم مؤلف هذا الكتاب لأول مرة، في الجزء الرابع من:«الأشباه والنظائر»، وقال السيوطي في هذا الموضع (٤/٧): «وممن ذهب إلى الترادف (بين الكلام والجملة) ضياء الدين بن العلج، صاحب (البسيط) في النحو. وهو كتاب

كبير نفيس، في عدة مجلدات».

وفيما عدا هذا الموضع، كان السيوطي يذكر الكتاب باسم: (البسيط) أو (صاحب البسيط). وقد وهم الدكتور عبد العال سالم مكرم محقق الكتاب، حين ذكر (في هامش ١/٧٣) أن مؤلف البسيط هو: ركن الدين حسن بن محمد الأستراباذي، المتوفى سنة ٧٧٧هـ.

هذا، ولم نعثر حتى الآن على ترجمة لابن العلج، غير أننا نجد له ذكراً في كتاب «المساعد» لابن عقيل (٤٠٥/١). انظر ترجمته في طبقات ابن شيبة /١

أما الكتاب الثاني الذي أكثر الإمام السيوطي من النقل عنه، فهو «التعليقة على المقرب» لبهاء الدين بن النحاس.

وقد بلغت كتب النحو، التي استخدمها السيوطي، حوالي مائة كتاب، منها: بعض كتب أبي حيان الأندلسي، كارتشاف الضَّرَب، وتذكرة النحاة، وشرح التسهيل. ومنها: المفصل للزمخشري، وشروحه لابن يعيش، والأندلسي، والشلوبين، والسخاوي، والزملكاني، وابن الحاجب، وابن عمرون. ومنها: بعض كتب ابن هشام الأنصاري، كالتذكرة، وحواشي التسهيل، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وفوح الشذا بمسألة كذا، وموقظ الوسنان وموقد الأذهان.

ومنها: الجمل للزجاجي، وشروحه لابن عصفور، وابن خروف، وابن الضائع، والأعلم الشنتمري. ومنها: بعض كتب أبي علي الفارسي، كالإيضاح، وشروحه لابن أبي الربيع، وعبد القاهر الجرجاني، وابن الدهان، وابن عصفور، وابن هشام الخضراوي، والخَفَّاف، وأبي البقاء العكبري. ولأبي علي الفارسي كذلك: التذكرة، والأغفال، والبغداديات، والقصريات، والحجة في القراءات السبع.

ومنها: بعض كتب ابن مالك؛ مثل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وشروحه لابن مالك مؤلِّفه، وأبي حيان الأندلسي، وابن هشام الأنصاري (حواش) وابن الناظم (تكملة شرح التسهيل). ولابن مالك كذلك: الألفية، وشروحها لابن الصائغ، وابن الخباز، وابن المصنف. وله أيضاً: الكافية الشافية، وشرح عمدة الحافظ وعُدّة اللافظ.

ومن كتب النحو التي رجع إليها السيوطي كذلك: شرح الجزولية، لكل من الأُبَّذيّ، والشلوبين، وابن الخباز، وابن معط. ومنها: الكافية في النحو لابن الحاجب، وشروحها لابن القواس، والرضي الأستراباذي. والشافية في الصرف لابن الحاجب أيضاً، وشروحها للجاربردي، والسخاوي. وألفية ابن معط، وشرحها لابن القواس.

ومن الكتب النحوية كذلك: اللباب لأبي البقاء العكبري، والمسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي، والمقرب لابن عصفور، والمقتضب للمبرد، ونتائج الفكر للسهيلي، والنكت للأعلم الشنتمري.

ومن كتب الخلاف بين النحاة، يرجع السيوطي إلى الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات بن الأنباري، والتبيين عن مذاهب البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري.

* * *

ويعد كتاب «الخصائص» لابن جني، من أهم كتب اللغة، التي اعتمد عليها السيوطي في كتابه: «الأشباه والنظائر»؛ فكثيراً ماكان ينقل عنه أبوابا كاملة؛ مثل ١/٥١ ـ ٦١ (= الخصائص ٣/٨٧ ـ ٩٣) ومثل ١/٦٢ ـ ٦٧ (= الخصائص ١/٣١٢ ـ ٣٢١). ومن نقوله المطولة عنه: باب التعويض ١/٢٥٧ ـ ٢٩٣ (= الخصائص ٢/٢٨٥ ـ ٣٠٦).

ومن كتب ابن جني التي رجع إليها السيوطي كذلك: سر صناعة

الإعراب، والخاطريات، والتعاقب، والدمشقيات، واللمع.

ومن **كتب اللغة** كذلك: المزهر للسيوطي (وفي هذا دلالة على أنه ألفه قبل الأشباه والنظائر)، والاشتقاق لابن دريد، والاشتقاق الكبير للزجاج، وإيضاح علل النحو للزجاجي (يسميه السيوطي أحياناً: الإيضاح ١/٢١٠ وإيضاح أسرار النحو ١/٢٠٠ والإيضاح في أسرار النحو ٢/٤٣). ومنها أيضا: المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني، والمعرب للجواليقي.

وأما **المعاجم العربية** التي أفاد منها السيوطي، فهي: الألفاظ لابن السكيت، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وتهذيب اللغة للأزهري، وجمهرة اللغة لابن دريد، وديوان الأدب للفارابي، والصحاح للجوهري، والعين للخليل بن أحمد، ومجمل اللغة لابن فارس، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني.

ومن **كتب الأدب والأمالي**: رجع السيوطي إلى شرح المعلقات للنحاس، والزاهر لأبي بكر بن الأنباري، وشرح المقامات للمطرزي، والكامل للمبرد، وأمالي الزجاجي، وأمالي ثعلب، وأمالي ابن الحاجب، وأمالي ابن الشجري.

ومما رجع إليه السيوطي من **كتب التفسير**: الكشاف للزمخشري، وحواشيه للشيخ أكمل الدين، وسعد الدين التفتازاني، والشريف الجرجاني، والقطب، والطيبي. ومنها كذلك: تفسير الثعلبي، وتفسير ابن النقيب، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير البيضاوي، ومعاني القرآن للزجاج.

وفي **الحديث**: رجع السيوطي إلى شرح مسلم للنووي، وصحيح البخاري ومسلم، والغريبين للهروي، والفائق للزمخشري، وكتاب السنن للباجي، ومسند أحمد بن حنبل، والنهاية لابن الأثير، وأطراف الكتب الستة للحافظ المِزّي، وشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث

النبوية، للقاضي محمد بن سلامة القضاعي.

أما **كتب القراءات**، فقد رأى منها السيوطي: الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي، والشاطبية للشاطبي، وشرحها للسخاوي، والمحتسب لابن جني، وشرحه لابن بابشاذ، والمفيد في معرفة التحقيق والتجويد، لثابت الخولاني الحداد.

ومن **كتب التراجم والطبقات والتاريخ والسيرة**، رجع السيوطي إلى: إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، وتاريخ بغداد لمحب الدين بن النجار، وتاريخ ابن عساكر، وجذوة المقتبس للحميدي، والروض الأنف للسهيلي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والصلة لابن بشكوال، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وطبقات الكمال بن الأنباري (نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين بن الأنباري)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.

وأما **كتب الفقه وأصوله**، فقد رأى منها السيوطي: الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة في الفروع، لابن شاش الجذامي المالكي، وسلسلة الواصل في فروع الشافعية للإمام الجويني، وسلاسل الذهب في الأصول لبدر الدين الزركشي، والقواعد الكبرى لبدر الدين الزركشي، والمحرر في الفقه لابن عبد الهادي.

ومما رجع إليه السيوطي من **كتب لحن العامة، والأحاجي النحوية**: الأحاجي النحوية للزمخشري، وأحاجي السخاوي، وإصلاح الغلط لابن قتيبة، وتنوير الدياجي في تفسير الأحاجي للسخاوي، ودرة الغواص للحريري، والفصيح لثعلب، وليس في كلام العرب لابن خالويه.

ومن **كتب البلاغة، وحروف المعاني**، رجع السيوطي إلى: الجنى الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم المرادي، ورصف المباني في شرح

حروف المعاني للمالقي، والتبيان في علم البيان لعبد الواحد بن عبد الكريم.

* * *

تلك هي مصادر السيوطي في «الأشباه والنظائر». ومعظم هذه المصادر مطبوع أو مخطوط حتى يومنا هذا. وبالإحصاء التقريبي، يتبين لنا أن نسبة النصوص التي نقلها السيوطي من كتب مفقودة، تمثل ٢٥٪ من جملة النصوص الواردة في الكتاب. وبهذا يتضح لنا مدى أصالة هذه النصوص التي فقد أصلها، وحفظها لنا الإمام الجليل جلال الدين السيوطي، في هذا السفر النفيس!

هذا، ويمكننا هنا أن نلاحظ في معاملة الإمام السيوطي، لمصادره المختلفة، الملاحظات التالية:

١ - يتدخل السيوطي في النصوص التي يقتبسها في كتابه «الأشباه والنظائر». ويكون ذلك بالزيادة أحياناً؛ كقوله مثلا (٦٧/١): «قلت: وقد خُرِّج على ذلك قراءة: ﴿ألم تَرْ إلى الملأ من بني إسرائيل﴾ بسكون الراء».

وأحيانا أخرى يتدخل السيوطي بالتغيير في النصوص. ومن أمثلة ذلك نقله عن الخصائص (٣١٤/١) نصا يقول فيه ابن جني: «فإن قيل: هلا أُخِّرت (إنّ) وقدمت اللام؟ قيل: لفساد ذلك من أوجه، أحدها: أن اللام...»الخ. فقال السيوطي (١٥٧/١)، مغيرا في عبارة ابن جني: «وإنما أخرت اللام، ولم تؤخر (إنّ) لأوجه منها: أن اللام...»الخ. ثم اختصر مابعد ذلك اختصاراً شديداً.!

وهو يرى في شبه تبرير لذلك (٧٠/١) أن الاختصار «جل مقصد العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم. ومن ثم وضعوا باب الضمائر؛ لأنه أخصر من الظواهر، خصوصا ضمير الغيبة، فإنه يقوم مقام أسماء كثيرة، فإنه في قوله تعالى: ﴿أعد لهم مغفرة﴾ قام مقام عشرين ظاهرا».

وهو يقصد: المسلمين/ والمسلمات/ والمؤمنين/ والمؤمنات/ والقانتين/ والقانتات/ والصادقين/ والصادقات/ والصابرين/ والصابرات/والخاشعين/ والخاشعات/ والمتصدقين/ والمتصدقات/ والصائمين/ والصائمات/ والحافظين فروجهم/ والحافظات/ والذاكرين الله كثيرا/ والذاكرات.

٢ ـ يكتفي السيوطي أحيانا بذكر اسم المؤلف، دون أن يذكر كتابه، كما يفعل ذلك دائماً مع سيبويه. وفي بعض المواضع، يمكن تخمين اسم الكتاب من فحوى العبارة، كما في مثل قوله (١/١٣٨):

«فأما الحد، فأقرب عبارة فيه ماذكر الرماني، وهو قوله: الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل، يدور في تصاريفه الأصل». فهذا الكلام للرماني، يوجد في كتابه: «الحدود» (ص٣٩).

٣ ـ أحيانا كثيرة ينقل السيوطي نقولا مطولة من بعض الكتب، ثم يتبعها بتتمات من عدة كتب أخرى؛ فهو قد نقل مثلا إحدى وعشرين صفحة كاملة، من كتاب: «الخصائص» لابن جني (٢/٢٨٥ ـ ٣٠٦)، وهي بعنوان: «باب زيادة حرف عوضا من آخر محذوف»، ووضعها في باب بعنوان: «التعويض» (١/٢٥٧ ـ ٢٩٣). ويقول السيوطي في نهاية هذا الاقتباس المطول: «انتهى ماأورده ابن جني في هذا الباب، وبقي تتمات نوردها مزيدة عليها». وقد نقل الإمام السيوطي هذه التتمات من شرح التسهيل لابن مالك، والجمهرة لابن دريد، والتعليقة لبهاء الدين بن النحاس، وبعض مؤلفات لم يصرح بأسمائها، لابن خالويه، وأبي حيان، والزمخشري.

٤ ـ يعرض السيوطي في بعض الأحيان شيئاً من المؤلفات الصغيرة الحجم، أو يذكر مقدماتها، كما فعل مع كتاب: «التعاقب» لابن جني؛ إذ نقل مقدمته فقال (١/٣٠١ ـ ٣٠٢): «وقد ألف ابن جني كتاب (التعاقب) في أقسام البدل والمبدل منه، والعوض والمعوض. وقال في أوله: اعلم أن كل

واحد من ضربي التعاقب، وهما البدل والعوض، قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه. وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله، إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض، وذلك أنا نقول: إن ألف (قام) بدل من الواو في (قَوَمَ)، ولا نقول: إنها عوض منها.

«ونقول: إن الميم في آخر (اللهم) بدل من (يا) في أوله، كما نقول: إنها عوض منها. وإن ياء (أينق) بدل من عينها، كما نقول: إنها عوض منها. أو لاترى إلى سعة البدل، وضيق العوض؟!

«وكذلك جميع مااستقريته تجد البدل فيه شائعاً، والعوض ضيقا. فكل عوض بدل، وليس كلُّ بدل عوضا».

٥ ـ كان السيوطي في أحيان قليلة، ينقل مختصرا لأحد العلماء، عن كتاب مشهور جدا. ومن أمثلة ذلك ماصنعه مع نص لابن جني بعنوان: «باب الجوار» في كتاب الخصائص (١/٣١٨ ـ ٣٢٧)؛ إذ أعجبه تلخيص ابن هشام الأنصاري في «المغني» لهذا الباب في الخصائص، فنقله وقال في أوله (٢/١٠ ـ ١٧): «ولخصه ابن هشام في المغني بزيادة ونقص، فقال:...».

٦ ـ كثيرا ماكان السيوطي يرجع إلى كتب موثقة، بخطوط أصحابها؛ مثل قوله (٢/٢٨٢): «قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في (التعليقة): وجدتُ ذلك بخط عالي بن عثمان بن جني عن أبيه».ويقول السيوطي بعد ذلك بعدّة سطور، معلنا عن شكواه من لصوص العلم: «وانظر إلى دين الشيخ بهاء الدين وأمانته، كيف وجد فائدة بخط ولد ابن جني نقلها عن أبيه، ولم تسطر في كتاب، فنقلها عنه، ولم يستجز ذكرها من غير عزو إليه، لا كالسارق الذي أغار على تصانيفي، التي أقمت في تتبعها سنين، وهي كتاب: المعجزات الكبير، وكتاب: الخصائص الصغرى، وغير ذلك، فسرقها وضمّها وغيرَها مما سرقه من كتب الخضيري والسخاوي في مجموع وادعاه لنفسه،

ولم يَعْزُ إلى كتبي وكتب الخضيري والسخاوي شيئاً مما نقله منها. وليس هذا من أداء الأمانة في العلم».

وهذه مواضع أخرى ينقل فيها السيوطي من خطوط العلماء:

٢٦١/٤: «نقلت من خط العلامة شمس الدين بن الصائغ، قال: هذه ألغاز نحوية عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام».

١٢١/٦: «وجدت بخط الشيخ شمس الدين بن القماح، في مجموع له».

٣٤/٧: «نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله».

٢٦٣/٧: «شاهدت بخط الإمام العلامة ركن الدين أبي عبد الله الشهير بابن القويع، رحمه الله».

١١٧/٨: «نقلت من خط بعض الفضلاء»!

١٣٢/٨: «وجدت بخط العلامة شمس الدين بن الصائغ مانصه».

٧ ـ أحيانا ينقل السيوطي عن بعض مصادره بالواسطة، فهو مثلا يعرف كتاب: «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، ومع ذلك نراه في أحد المواضع يقول (١٦٤/١): «وقال أبو عبيد فيما حكى عنه صاحب الصحاح».

وأحيانا أخرى نرى السيوطي يجهل مصادره، كقوله مثلا:

٤/٢: «بعض شراح الجمل» ٢٣٨/٢: «في شرح الجمل» ٤٢٦/٢: «بعض حواشي الكشاف».

٨ ـ يلحظ الإمام السيوطي أنه أطال النقل في بعض الأحيان، عن واحد من مصادره، وأورد الكتب والأعلام، التي أوردها هذا المصدر، فيبين لذلك نهايةَ هذا النقل. ومن أمثلة ذلك قوله (٣٢٨/٢ ـ ٣٣٠): « قال ابن هشام في (المغني): أول من شرط للحذف ألا يكون مؤكّداً الأخفش... وتبعه الفارسي، فرد في كتاب: (الأغفال) قول الزجاج... وتبع أبا علي أبو الفتح، فقال في:

(الخصائص)... وتبعهم ابن مالك... وهؤلاء كلهم مخالفون للخليل وسيبويه... وقال الصفار... ولبدر الدين بن مالك، مع والده في المسألة بحث أجاد فيه. انتهى ماأورده ابن هشام في المغني».

وقد دلنا السيوطي بعد ذلك، على البحث الذي أشار إليه ابن هشام هنا، فقال: «والبحث الذي أشار إليه، هو ماقال ابن المصنف في شرح الألفية».

* * *

هذا هو موقف الإمام السيوطي من مصادره الكثيرة في هذا الكتاب. ولعله من المفيد أن نتوقف هنا قليلا، أمام بعض القضايا التي يثيرها السيوطي في مؤلَّفه، معبِّراً عن رأيه فيها، أو ناقلا لآراء السابقين:

١ ـ أثار السيوطي في «الأشباه والنظائر» مشكلة حذف التنوين من العلم الموصوف بابن؛ مثل: «هذا محمدُ بن عليّ»، فقال (٢٥/١): «وقد ذهب بعضهم إلى أن التنوين، إنما سقط لالتقاء الساكنين، سكونِهِ وسكون الباء بعده. وهو فاسد، إنما هو لكثرة استعمال: ابن».

والحقيقة التي لايعرفها النحاة العرب، وهي موجودة في اللغات السامية كلها، أن التنوين هو علامة التنكير في هذه اللغات. وقد كان بعض قدامى اللغويين العرب يعرفون ذلك؛ كابن جني الذي يقول في كتابه : المنصف (٦٩/١): «ويدل عندي على أن حرف التعريف قياسه أن يكون على حرف واحد، أنه نقيض التنوين، وذلك أن التنوين يدل على التنكير، واللام تدل على التعريف». كما يقول في الخصائص (٦٥/٣): «التنوين علم التنكير، والإضافة موضوعة للتعريف».

ودخول التنوين، وهو للتنكير ـ كما نقول ـ في الأعلام العربية؛ مثل: «محمدٌ» و «عليٌّ» أمر قد يبدو صعب التفسير؛ لأن العلم من المعارف، غير أنه يمكن أن يكون في كل علم شيء من الشيوع النسبي، وإن كان أقل من شيوع النكرة؛ إذ كثيرون يسمون بمحمد وعلي وغيرهما، فالتنوين في الأعلام

للدلالة على هذا الشيوع النسبي؛ ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة: (ابن)؛ لأن الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف، وأصبح العلم محددا غاية التحديد، ببيان النسب، ولذلك لايدخله التنوين في هذه الحالة.

فليس حذف التنوين من العلم الموصوف بابن، بسبب التقاء الساكنين، أو كثرة الاستعمال ـ كما يذهب السيوطي والنحاة العرب، «بدليل حذفه من: هند بنت عاصم، على لغة من صرف هندا، وإن لم يلتق هنا ساكنان» (انظر: الاقتراح للسيوطي ٥٢).

ويدل كذلك على أن التنوين في الأعلام لتنكيرها: أنه إذا تحدّد تعريف العلم، تحديدا قاطعا بالنداء، مُنع التنوين؛ كقولنا مثلا: «يامحمدُ» و «ياعليُّ».

٢ ـ نقل السيوطي (٣/٦٦) عن كتاب: (البسيط) لضياء الدين بن العلج، أن «إسحاق: مصدر أسحق الضرعُ إذا ذهب لبنُه، ويعقوب لذكر الحَجَل (نوع من الطيور)، وموسى للحديدة التي يحلق بها».

ولو عرف النحاة العرب شيئاً من اللغات السامية أخوات العربية، لأدركوا السر في القول بعجمة هذه الألفاظ، وأن الأول منها هو المضارع في العبرية للماضي צָחַק بمعنى: «ضحك». والثاني هو المضارع كذلك في العبرية للماضي עָקַב بمعنى: «أعقب». والثالث هو اسم الفاعل מֹשֶׁה في العبرية من الفعل מָשָׁה بمعنى: «انتشل من الماء»، فهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي «المنتشل من الماء». ومجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، ليس غريباً في العربية كذلك؛ مثل قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ بمعنى: «مرضية».

٣ ـ ويتردد السيوطي أحيانا في الحكم على ظاهرة لغوية في العربية، بناء على المصادر التي يرجع إليها؛ فهو يرى مثلا في أول «الأشباه والنظائر» (١/ ١٩) أن الذال في منذ «ضمت إتباعا لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزا»، غير

أنه يعود في الجزء الثالث (٣/٣٥٢) فيحكي «عن الفراء أن (منذ) أصلها (مِنْ) و (ذو) الطائية، بمعنى الذي». وهذا كلام صحيح تماما؛ فالكلمة في اللغة الحبشية القديمة وهي مكونة من التي تقابل في العربية (مِن) و H التي تقابل (ذو الطائية).

ومما يؤيد هذا ماروواه ابن منظور في لسان العرب (منذ) ٥/٤٧ من أنه قد «حكي عن بني سليم: مارأيته مِنْذُ ست، بكسر الميم» (وانظر كتابنا: التطور اللغوي ٤٣).

قُطوف من دَوحة العربية

د . إحسان النص

هذه طائفة من الملاحظات والفوائد تدور حول قضايا لغوية وقع فيها الاختلاف بين الكاتبين، لمحاولة التماس الوجه الأمثل فيها، كما أنها من جانب آخر تصحيح لما يقع فيه الناطقون والكتّاب بالعربية من أخطاء لغوية والتماس وجه الصواب فيها. ومن جانب آخر هي محاولة لاختيار ألفاظ ملائمة لمستجدّات في شؤون الحياة العامة والتطور الحضاري. وهذه الألفاظ بعضها مستمدّ من التراث اللغوي القديم المبثوث في المعجمات العربية وفي كتب التراث الأدبي، وبعضها الآخر مستمدّ من الأصول اللغوية التي تبيح للباحث عن المصطلحات الجديدة اللجوء إلى الاشتقاق والنحت والمجاز والوضع وغير ذلك من وسائل الاتّساع اللغوي.

مُعاق ومَعُوق ومُعَوَّق

في معجمات اللغة: عاقه عن الشيء يَعُوقه عَوقاً: صرفه وحبسه، وكذلك عَوَّقه واعتاقه، فكل هذه الأفعال بمعنى: صرفه عن الأمر. وليس في اللغة: أعاق، يُعِيق، والعامّة تقول: يُعيقه عن الأمر، والصواب: يَعُوقه.

واسم المفعول من عاق هو: مَعُوق (بفتح الميم وضم العين)، ومن عَوّق: مُعَوَّق (بضم الميم وفتح العين وتشديد الواو المفتوحة)، وليس في

اللغة مُعاق، لأنه اسم مفعول من أعاق، وهذا الفعل لا وجود له في المعجمات.

فإذا أردنا اطلاق لفظ على من به عاهة جسمية أو عقلية فلدينا لفظان هما: مَعُوق، ومُعَوَّق.

على أن القدماء لم يستعملوا هذين اللفظين بهذه الدلالة وإنما استعملوهما لمن يصرَف عن عمل أمر، ولا مانع من الاتساع في استعمالهما واطلاقهما على من به عاهة تعوقه عن العمل أو الحركة. ولكن في لغتنا ألفاظاً أخرى استعملها العرب لهذا المعنى، ومنها لفظ: زَمِين، وجمعه زَمْنَى، وزَمِن وجمعه زَمِنون، والزمانة: العاهة. وقد ورد لفظ زمين في كلام العرب وشعرهم ومن ذلك قول ابن الرومي:

أذو آلةٍ فاستخدموني لآلتي بِقُوتي أو لا فارزُقوني مع الزَمنَى

والآلة هنا بمعنى الموهبة الشعرية. ويستدل من هذا البيت أن الدولة العباسية كانت تمنح الزمنى رزقاً لعجزهم عن كسب قوتهم.

الفُندق والفُنداق

جاء في المعجمات: الفُندق: الخان، فارسي، وهو من هذه الخانات التي ينزلها الناس في أسفارهم. وقد اشتقوا من الفندق لفظ: الفُنداق، وهو صحيفة الحساب. وهذا اللفظ يحل محل اللفظ الشائع وهو: الفاتورة أو الحساب، ويطلق على صحيفة الحساب التي تسجَل فيها نفقات الإقامة في الفندق أو حساب الطعام في المطاعم.

وللفندق لفظ آخر في اللغة هو: النُزُل (بضم النون والزاي)، وهو في الأصل: موضع النزول، ولكن اتّسع في استعماله وأطلق على الفندق.

البقشيش

يستعمل العامة هذا اللفظ، وقد يبدلون القاف خاءً، لما يمنح للنادل إضافة إلى ثمن الطعام والشراب أو لمن يؤدي خدمة ما للرجل، وهو لفظ تركي، يقابله في الفرنسية لفظ POURboire وفي الانكليزية لفظ TIP

ولدينا في اللغة العربية ألفاظ فصيحة يمكن أن تحل محلّه منها:

الراشن: عرّفه صاحب القاموس المحيط بقوله: ما يُرضخ لتلميذ الصانع، أي الأجر القليل الذي يُعطى للعامل في المصنع، ويمكن الاتساع في دلالته ليدل على المنحة التي تعطى للنادل والخادم

الحُذَيّا: في لسان العرب: الحُذَيّا، والحُذْيا، والحِذْوة، والحَذِيّة: العطية. والحُذيّا كذلك: ما أعطى الرجل صاحبه من الغنيمة أو جائزة أو هبة، وهي من الفعل: أحذاه يُحذيه أي أعطاه.

وفي كتب اللغة والمخصص لابن سيدة خاصة، طائفة من الألفاظ التي تناسب هذا المعنى مثل الهبة والمنحة والنَفحة.

وقد جرى على لسان الناس لفظ. الإكرامية: من الإكرام، وهذه الصيغة لا وجود لها في المعجمات، على أنها ليست بعيدة عن الفصاحة، والأفضل استعمال صيغة: إكرامة أو أكرومة بمعنى الهبة.

أنواع الأطعمة والدعوات

لغة العرب تستوعب من ألفاظ المعاني في الجوانب التي تتصل ببيئتهم وحياتهم مالا نجد نظيره في أي من اللغات الأخرى، كأنواع الرياح والمطر والسحاب والسيوف والرماح وغيرها. ومن ذلك الأطعمة فلكل مناسبة طعام يختص بها ولفظ يدل عليه، ومن ذلك على سبيل المثال:

القِرى: طعام الضيف

التُحفة: طعام الزائر

الوليمة: طعام العُرس والدعوة عامة.

الخُرْس والخرسة: طعام الولادة. العقيقة: طعام يصنع عند حلق شعر المولود. العَذيرة والإعذار: طعام الخِتان. الوضيمة: طعام المأتم. النقيعة: طعام القادم من السفر. الوكيرة: طعام السكن في منزل جديد. العُجالة: طعام المستعجل قبل إدراك الغداء.

الُلمجْة والسُلْفة واللُهْنة: الطعام الخفيف يتعلَل به قبل الغداء.

ويمكن استعمال هذه الألفاظ الثلاثة لتقابل الألفاظ الشائعة عند الناس مثل المشهِيات والمقبِلات وهي التي يطلق عليها بالفرنسية Hors d`oeuvre

بخاصة وبعامة

شاع بين الكاتبين اليوم استعمال تعبيري: بخاصة و بعامة، وهم يريدون بهما: بوجه خاصّ، وبوجه عام. وهذا الاستعمال غير فصيح ولا نجده في أساليب الكتَّاب العرب القدامى، فلا حاجةلدخول الباء على لفظي: خاصة وعامة. جاء في لسان العرب: فعلت ذلك بك خِصِّيةً وخاصّةً وخَصوصيّة وخُصوصيّةً، أي اختصصتك بهذا الأمر. وفي مثل قولنا: هذا البلد طيب الهواء وخاصه في الربيع، الأفصح أن يقال: ولا سيّما في الربيع، ومن هذا قول امرئ القيس:

ألا رُبَّ يومٍ لك منهنَ صالحٍ ولا سيّما يوم بدارةِ جُلجُل

و(لاسيما) مركبة من (سي) بمعنى مِثل، و (ما). والنحاة يعربون هذا التركيب والاسم الذي يليه على وجوه نجد تفصيلها في كتب النحو.

على أن استعمال لفظ (بخاصة) قد ورد في لسان العرب، ولكنه جاء في نصّ روي على لسان أحد اللغويين من طريق السماع، ولم نجد نظيره في

النصوص العربية القديمة النثرية والشعرية، فقد جاء في اللسان : «وسُمع ثعلب يقول: إذا ذُكر الصالحون فبخاصة أبو بكر، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة عليٌّ.» وهذا قول روي من طريق السماع ولم نتحقق من صحة نسبته إلى اللغوي المشهور ثعلب. ومهما يكن من أمر فإن الأفصح استعمال هذين اللفظين: عامة وخاصة، مجردين عن الباء الجارَة.

تراكيب ذات دلالات مجازية

في اللغة العربية طائفة من الجمل المركّبة تؤدي معنى مجازياً يحسن الوقوف عليه ليفيد منه الكُتّاب ومنها:

- وُضع الخبر على المِنَصّة معناه: ذاع الخبر وانتشر.
- صار الأمرُ إلى النَزَعة: قام بإصلاحه أهل الأناة.
- عاد السهمُ إلى النَزَعة (موضع انطلاق السهم): عاد الحقُ إلى أهله.
- هو على ظَهْر: هو مزمع على السفر، متأهب له.
- أعطاه عن ظهر يد: أعطاه ابتداءً بلا مكافأة.
- اتخذ حاجتي ظهرياً: لم يحفل بها.
- فلان يأكل على ظهر يدي: أي أُنفق عليه.
- خازمه الطريق: أخذ في طريق وأخذ الآخر في طريق غيره ثم التقيا.

أفعال تستعمل مبنية للمجهول

في اللغة العربية أفعال تستعمل على البناء للمجهول فقط، أو تستعمل على البناء للمجهول والمعلوم ولكن يختلف معناها في الحالين. من ذلك:

استُهتِر فلان: لهذا الفعل معانٍ شتى منها: تعلَق بالأمر ولم يبالِ مايقال فيه. فيقال مثلاً: فلان استُهتر بالشراب، أي تعلق به ولم يبال بلوم الناس له. ومنه: رجل مُستَهتَر: لا يبالي بما قيل له وما شتم به واستُهتر فلان فهو

مستهتَر: إذا كان كثير الأباطيل، والعامة تستعمل هذا الفعل بهذه المعاني مبنياً للمعلوم، وهو خطأ. وقد يتعلق المرء بأمر حسن ويولع به ومنه: استُهتر فلان بذكر الله أي أولع به.

احتُضر المريض وحُضر: شارف على الموت. أما بالبناء للمعلوم: احتَضر فمن معانيها: احتضرني الهمّ: أي حضرني ونزل بي، واحتضر الرجل: نزل في الحضر، واحتَضر الفرسُ: عدا.

اختُضر فلان: مات وهو في سن الشباب. أما اختَضر، بالبناء للمعلوم، فمن معانيها: اختضرتُ الفاكهة: أكلتها قبل أوان نضجها. واختَضر الشيءَ: قطعه من أصله.

تُوفّي فلان: مات، فهو متوفَّى (بفتح الفاء)، والعامة تقول: المتوفّي فلان، وهو خطأ، فالمتوفّي هو الله، يقال: توفّاه الله، أي أنزل به الموت.

جُنّ الرجل: أصابه الجنون. أمَا جَنّ، بالبناء للمعلوم. فمعناه: أخفى وستر، ومنه: المِجَنّ، وهو الترس، لأنه يخفي حامله، والجِنّ، لأنهم يختفون فلا يراهم الناس.

* * *

رسالة في التسلية لمن كُفَّت عَيْنُه

صنّفها

أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري

المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

حققها

الأستاذ هلال ناجي



بين يدي الرسالة

صنَّف هذه الرسالة الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المولود في زَمَخْشَر سنة ٤٦٧ هـ، والمتوفى في كركانج «قصبة بلاد خوارزم» ليلة عرفة من عام ٥٣٨ هـ.

والزمخشري غنيٌّ عن التعريف فقد انتهى إليه في عصره علم اللغة والنحو والتفسير وقد فَصَّلْنا القول في: مولده واسمه وكنيته ولقبه وشيوخه وفي أطراف من سيرته ووفاته ومن تلمذوا عليه ومذهبه وآراء المصنفين فيه، وما امتدح به شعرا وآثاره. فلا مبرر لإعادة نشر ماطبع في دورية وكتاب[1].

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الزمخشري، وأوسع القوائم التي وصلت إلينا أوردها ياقوت ؛ ذكر فيها واحداً وخمسين كتاباً أو رسالة من مصنفاته، أردفها بقوله : وغير ذلك. وأوسع القوائم في عصرنا هذا قدمتها الدكتورة بهيجة باقر الحسني - وهي من المتخصصات بدراسة

(١) نشرت دراستي ابتداءً في مجلة «عالم الكتب» السعودية - العدد الرابع، م١١ - ربيع الآخر ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠ - ص ٥١١ - ٥٢٤ بعنوان: الزمخشري : حياته وآثاره.
ثم نشرت في كتابي «أربعة شعراء عباسيون» ص ١١٩ - ١٦٢ - بيروت ١٩٩٤.

الزمخشـري ونشرت عدداً من آثاره المخطوطة ـ أحـصت فيها سـتـة وخمسين كتاباً[١].

وفي رحلتـي الموغلة عبـر المخطوط والمطبـوع وقفت علـى ذكر ثمانية وستين كـتاباً للزمـخشري صنـفتُـها إلـى ثلاثة مجاميـع : المطبو ع فـالمخطوط فالمفقود. ونشرتها في البحث المتقدم.

ثم أتيح لـي بأخرةٍ الوقوف علـى مخطوطة جديـدة له لـم أكن عرفتـها وهي:

«شرح المقـامات»، فله كتاب مـعروف عنوانه «المقامـات في المواعظ» وله شرح مستقل عليه، منه مصورة بخزانتي حالياً.

كما أُتيح لي الوقـوف على مخطوطتين له كانتا تعـدان في المفقود من آثاره، إحداهـما الرسالـة التي ننشـرها اليوم وعنـوانها «رسالـة في التسلـية لمن كُـفّـت عـينُـه».

وهي رسالة عَدَّها كل المهتمين برصد آثاره في الضائع من مصنفاته.

وقد ذكـرها ياقوت بعنـوان «تسلية الضـرير» فيمـا ذكر من مصـنفات الزمخشري[٢]. وأصلها في مـجموع مخطوط مـحفوظ في كتابـخانة ملك في طهران برقم ١٦٢٢ ورسالتنا هذه هي الرسالة الثانية في المجموع المذكور وتشغل منه الورقات (١٢ ب) إلى (١٧ آ). كُتب المجموع سنة ٥٨٩ هجرية ـ وقد ضمنا إلى نشرتنا هذه أنموذجاً منه ـ وهو بخط محمد بن أبي يوسف

---

(١) مقدمة تحقيقها لكتاب «المحاجاة بالمسائل النحوية» ص ٢١ ـ ٤٣ ـ بغداد ١٩٧٣.

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ تحقيق د. س. مرغليوث ٧ / ١٥١.

ابن عمر.

وقد اعتمدت هذه المخطوطة الفريدة في تحقيق نص الرسالة. ووثقت نصوصها ما أمكنني ذلك، وحرصت أن أُفسّر من ألفاظها ما غمض. وقد استهوتني طرافة موضوعها، ورأيت في أسلوبها البليغ ماهو جدير بالإحياء

وأحمد الله ـ جلّت قدرته ـ أن وفقني إلى إحياء لبنة متواضعة من تراث الزمخشري الشامخ. إنه المعين الهادي لكلّ خير

هلال ناجي

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أيدك الله استبصارا في معتقدك ودينك واستبانة لمراشد
إيمانك ويقينك وملأ الله صدرك نورا ساطعا وأطوى
ضميرك حقا ناصعا وجعلك من الذين يصدرون ما مواخفي من
البهى بعيون الألباب والنهى وعوضك من شعاع ناظرك
المنطفي وادراك بصرك المنتفي بصيرة ينفذ نفاذ السنا
فيما أحد ناظر ولا يبلغ مطامحها لحظ باصر والهمك
الشكر على اظلام ذلك السواد وأوزعك الشكر على إصابة
سواد الفؤاد فإن من قاسمه الله في شيئين فأصابه في القسمة
أعظمهما منتفعا وأكثرهما مستمتعا وأعزهما فقدا وأوراهما
زندا وأغناهما ورداً لحقيق أن يشكر على تلك القسمة ويحمد
المولي تلك النعمة ويحتسب العبد أن الله قسمه [illegible]
ما ادخره له عند الله ذخرا والذي دعاني إلى انتصاب
هذه الرسالة أني ظننت بك الضجر والجزع مما دفعت إليه
من فقد الكمال بقطع الله الجملة وسوء تدبير الفتاح

نموذج من المخطوطة المعتمدة

[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

زادكَ اللهُ استبصاراً في معتقدك ودينك، واستبانَةً لمراشد إيمانك ويَقينك. وملأَ أحناءَ صَدْرِك نوراً ساطعاً وأطواءَ ضميركَ حَقّاً ناصعاً. وجعلكَ من الذين يبصرون ماهو أخفى من السُّها [١]، بعيون الألبابِ والنُّهى. وعَوَّضكَ من شُعاع ناظركَ المنطفي، وإدراك بصرك المنتفي، ببصيرة تنفذُ فيما لا ينفُذُ فيه أَحَدُّ ناظرٍ، ولا يبلغ مطامحَها لَمْحُ باصرٍ. وألهمَكَ الصَبْرَ على إظلام ذلك السوادِ، وأوزعكَ الشكرَ على إضاءة سواد الفؤادِ، فإنَّ من قاسَمَهُ الله في شيئين فأصابَهُ في القسمة أعظمهما مُنْتَفَعاً وأكثرهما مُسْتمتعاً، وأعزّهما نَقْداً، وأوراهما زَنْدا، وأعذبهما وِرْدا، لحقيقٌ أنْ يشكر على تلكَ القسمة، ويسجد لمولى تلك النعمة، وحَسْبُ العبد أنّ الله قسَمه فخرا، وكفاهُ ما اذخر له عند الله ذخرا.

والذي دعاني إلى اقتضاب هذه الرسالة أنّي ظَنَنْتُ بكَ الضجرَ والجَزَعَ ممّا دُفعتَ إليه من خرق الكحّال [٢] قطّع الله أكحلَهُ، وسُوء تدبير القَدّاح [٣] (١٢ ب) قَدَّح اللهُ في ساقهِ، فحاولتُ أن أتحفكَ بما يُسلِي بعضَ همّكَ، ويُخلي طرفاً من غمّك. فإنّ لإصابةِ المَفْصِلِ في القول الموعُوظ به أثَراً في تسلية القلوب، وتجلية الكروب.

(١) السُّها: كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعش.

(٢) الكحال: من يداوي العين بالكحل.

(٣) القدّاح : الذي يخرج الماء الأبيض الضار من العين.

قُطِعَتْ رجلُ عروة بن الزبير[1] فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله[2] : «والله ما كُنّا نُعِدّك للصِراع، لقد أبقى الله أكثرك، أبقى اللهُ سَمْعَكَ وبَصَرك ولسانك وعقلك ويديك، وإحدى رجليك»[3] .

قال: يا عيسى! ما عَزّاني أحَدٌ بمثل ما عَزّيتني به على أنّي قد علمتُكَ أوقَر من أركان رَضْوى، وأرزنَ من هَضَبات سَلْمى، ومازلْت مِنْ سنان بن حارثة أحلَم، ومن فَرْخِ العُقاب أحْزَم، فلنْ تُطْلِقَ حبوةَ مثلِكَ شديدةٌ من شدائدِ الدهر، ولن تُزيل مناكِبَك طارِقَةٌ من طوارق الضُرِّ.

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشي : (٢٣ - ٩٤ هـ) من الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة. عرف بصبره وزهده وفقهه لم يزجّ نفسه في الفتن ومات بالمدينة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - ر - .ترجمته وأخباره في : وفيات الأعيان ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٨ وطبقات ابن سعد ٥ / ١٣٢ - ١٣٥ ونسب قريش ص ٢٤٥ - ٢٤٦ وحلية الأولياء ٢ / ١٧٦ - ١٨٣ وصفة الصفوة ٢/ ٨٥ - ٨٨ وعبر الذهبي ١ / ١١٠ - ١١١.

(٢) عيسى بن طلحة بن عبيد الله : أبوه طلحة الخير أحد العشرة المبشرين بالجنة. وأمّه سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة (نسب قريش ص ٢٨٣) روى الحديث عن عمرو بن مرة بن عبس الجهني (تاريخ الإسلام - عهد معاوية - ص ٢٨٠) ومن ولد عيسى بن طلحة هذا: محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة، وكانت ابنته فاطمة بنت محمد عند «المنصور» فولدت له سليمان ويعقوب وعيسى بني المنصور أمير المؤمنين (نسب قريش ٢٨٧ - ٢٨٨). توفي عيسى بن طلحة في خلافة عمر بن عبد العزيز وكان ثقة كثير الحديث (الطبقات الكبير لمحمد بن سعد ٥/١٢٢).

(٣) ورد في وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٦ ما نصه: «وكان أحسن من عَزّاه إبراهيم بن محمد ابن طلحة فقال له: والله مابك حاجة إلى المشي، ولا أرَبٌ في السَعْي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كُنّا إليه فُقَراء، وعنه غير أغنياء، من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله وليّ ثوابك، والضمين بحسابك.

فأنتَ كما قال بعضُ الناس :

مُتَوَقِّرٌ عَصْفُ النَوائب حَولَهُ وكأنَّما هُوَ في الثَباتِ ثبيرُ»

ولكنَّ أبا فراس الحمداني قد نصَح عنّي، وسوّغ لي ما ظننتُ بكَ من ظَنّي حيث قال: «ولقد ظننتُ بك الظنو نَ لأنه من ضَنّ ظَنّا».(*)

اعلم أن الإنسانَ بقلبهِ كما أن النخلة بِقَلْبها، والقلبُ بلُبِّه كما أنّ (١٣ آ) النواةَ بِلُبِّها، وما عدا ذلك فهو بالقياس إليه قِشْرٌ قليل الجَدا، تباينهما كتبايُنِ نداءِ المصَوِّتِ والصَّدى . ومعلومٌ أنّ المصابَ ببصره ضَبْطُهُ أقوى وأبلغ، وحفظُه أوفى وأسبغ، وقَلْبُه أشدّ اجتماعاً، وأذُنُهُ أصحّ استماعاً، وقريحتُهُ أصفى وأنْصع، وخاطرُهُ أسلسَ وأطوع، وذكاؤه ألهبُ، وفكرُهُ في كُلّ معنى أذهب، ولبّه أحصف، وعقلُه للزجاجة أوْصف، ولسانُه أحَدُّ وأذْرب، وبالتصرُّف في المحاورات أدرب، كأنّ ما أخَذهُ من إبْصاره رَدَّهُ في استبصاره، وما استرجَعَهُ من ناظريهِ، أمَدَّ به أصغريهِ، فكأنَّ ما به الإنسان إنسان أثبَتُ فيه قَدَماً وأمكن، وأشدُّ استقراراً عليه واسكنَ.

فأشكرالله على ما وهبَ، ولا تأْسَ على ما ذهبَ، وتدبّر قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿ما أصابَ من مُصيبَةٍ في الأرض ولا في أنفُسِكم إلاّ في كتاب مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأها إنّ ذلكَ على اللهِ يَسيرٌ، لِكَيلا تأْسَوا على ما فاتَكُمْ ولا

[(*) في الديوان:

ولقد أسأت بك الظنو ن لأنه من ضن ظنا./ المجلة]

تَفْرَحُوا بما آتاكم﴾ [١].

وتأمل معنى البيتين المرويين عن ابن عباس [٢] - رضي اللهُ عنهما - فقد أتاهُما الحُسنُ والبهاءُ من جهتين، من جهة براعةِ نَظْمِهِما، وفخامة مَحَلِّ ناظمهما (١٣ ب)

إنْ يأخُذِ اللهُ مِنْ عينيَّ نُورَهُما فـفي لساني وقلبي مِنْهُما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ وفي فمي صارمٌ كالبرق مأثورُ

وسمع أبو العيناء [٣] المتوكلَ يقول: «ما يمنعني من نظم أبي العيناء في

---

(١) الآية الكريمة رقم ٢٢ و ٢٣ / م سورة الحديد رقم السورة ٥٧ .. وتتمة الآية الكريمة رقم ٢٣ ﴿والله لا يُحِبّ كُلَّ مختالٍ فخور﴾.

(٢) عبد الله بن عباس (٣ ق . هـ - ٦٨ هـ) . ولد وبنو هاشم محاصرون بشعب مكة قبل الهجرة بثلاث سنين. وفي الحديث الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ ضمّه إليه وقال : اللهمّ علّمه الحكمة. كان يقال له حبر العرب وحبر الأمة. وكان من أعلم الناس بالفقه والتأويل والشعر والأنساب وأيام العرب والمغازي، تميز بحافظة عجيبة. توفي في الطائف بعد أن كفّ بصره في آخر عمره. انظر ترجمته وأخباره في : الإصابة رقم الترجمة ٤٧٨١ ج ٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤ وصفة الصفوة ١ / ٧٤٦ - ٧٥٨ وحلية الأولياء (انظر فهارس حلية الأولياء ص ٥٩٠ - ٥٩١) ونكت الهميان ١٨٠ - ١٨٢. والبيتان لابن عباس في نكت الهميان ص ٧١ ورواية عجز الثاني :
كالسيف مأثور .

(٣) أبو العيناء: محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، أصله من اليمامة ومولده بالأهواز. أديب ظريف سريع الجواب عرف بنوادره وحدة ذكائه. له شعر حسن وترسل جيد كُفّ بصره بعد بلوغه الأربعين. توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ . ولمعاصرتنا الدكتورة ابتسام مرهون الصفار كتاب جيد عنه. والخبر في وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٥ بالصيغة التالية:
«وذُكر له أن المتوكل قال : لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال : إن أعفاني من رؤية الأهلّة وقراءة نقوش الفُصوص فأنا أصلح للمنادمة». فالخبر عندنا بصيغة أتم. وفي الأصل المخطوط : ما نسعي ، تحريف.

وانظر ترجمته في الوفيات ٤/ ٣٤٣ – ٣٤٨، ومصادره ثمة .

جملة ندمائي إلاّ أنّه ضرير». فقال: «إن أعفاني أميرُ المؤمنين عن المسايفة، ورؤية الهلال، وقراءة نقوش الخواتيم، صَلحتُ لمنادمته».

أرادَ أنّ أسباب الصلاح للمنادَمة متوافرةٌ فيه لأنّ تعلق جميعها بالعقل الأصيلِ، والفضلِ الباهرِ، والحفظِ القرير، واللسان الذلقِ، والمِلْح في المنطق، وليس لشيءٍ منها بالبصر مَتَعَلّق.

ومّا لا يرتابُ فيه الأريب أنّ عيني الإنسان هُما طليعتاه فيما يحدوهُ ويَسوقُه إلى السُبّة والعار، وربيئتاهُ [1] في الهوى الذي يكبّه في النار، بهما يطمحُ أوّلا إلى الدنيا وزهرتها، ثم يضربُ ثانيا في غَمْرتها. لأنّه إذا طمحت العينُ جُنّ القلبُ، وإذا جنّ القلبُ فقد أناخت البليّةُ والمحنةُ وباضت وفرّخَت الفتنةُ، وأعضَل الداءُ، وأعيا الدواءُ. فَرُبَّ نَظْرَةٍ أوقعت صاحبَها في ورطة، ودفعَتْهُ إلى خُطّة، وعانى فيه الشقاءَ العُمَرِيَّ، والغَرامَ العذريَّ، ومازالت شكيّةُ العُشّاقِ، (١٤ آ) ومادّة الصبابات والأشواقِ.. وكم ذي عينٍ رانٍ هو عند الله زانٍ، وإزارُهُ مشدود، ونطاقُه معقود، وهو بعيد من موقف المنامَسَة [2]، ويده ملساءُ من الملامسَة، وماؤه في فِقْرتَه صَرىً [3]، وفرسُه في آريّه [4] غير مُجرى، ومصحفُه في يده لم يَعدُ الشريعَةَ من مِساسِهِ، وقُمقمته مَلأى لم يَقلِبْها وجوبُ الجَنابَة على راسِه، بشهادة

(١) الربيئة: الطليعة الذي يرقُب العدوَّ من مكان عالٍ لئلا يدهم قومه، والجمع ربايا وفي أصل المخطوط: ربيتاه ـ بدون همزة ـ ولم أجد لها معنى.

(٢) المنامسة: الاستتار للاقتناص.

(٣) صرى: أي محبوس في مستقرّه.

(٤) آريُّ الدابة: مكانها ومعلفها.

النبيّ ﷺ (العينان تزنيان) [(١)] ويُصَدّقُه قولُه عَزّ من قائل ﴿قُلْ للمؤمنِينَ يَغُضُّوا من أبصارِهمْ ويَحْفَظُوا فُروجَهُمْ﴾ [(٢)]

فهذا لعمري من الغبن الفاحش، وذاك من البلاء الباطش، ومن عُصِمَ منهما فقد لزمه أنْ يَعْتدّ بذلك كَوْزاً لا حَوْراً[(٣)] وعَدْلاً من الأيام لاجَوْراً، ويعتقد أنّه من الله كلاءَةٌ وعصمة، ولا يُحَدّث نفسَه أنها معَابٌ أو وَصْمَة.

واعلم أنّ الله لم يُقَيّض لعباده المؤمنين بليّة من البلايا، ولا أصابَهُم برزيّةٍ من الرزايا إلاّ مشفوعةً بِمِنّةٍ جسِيمةٍ، ومضمومةً إلى نعمةٍ عظيمةٍ ومن أحقّ النِعم التي شُفِعَت بهذه البليّة، وأولاها بأنْ يفتتح اللبيبُ بذكرها ويُطْنِب في شكرها أنّ وجوهَ أكثرِ أبناءِ هذا الزمن الأهوج، وصُوَرَ جُلّ أهل هذا القَرْنِ (١٤ ب) الأعوج، قد صارت محجوبةً عن نظرك، وضُرِبَتْ الأسدادُ بينها وبين بَصَرِك، فإنّها لعمر اللهِ الصُور التي ليس للكَرَمِ عليها مُعَرّج، ولا لعيونِ الأخيار في رؤيتها متفرّجٌ، والوجوه التي دُمِغَت باللُؤم أدَماتُها، وسُلِخَتْ بالهجاء سحكاتها[(٤)] ، ونَضب عن أسرّتها الحياءُ فلم تبق

(١) جاء في الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي ٢ / ٧١ الحديث الشريف بالنص التالي : «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني».

(٢) الآية الكريمة رقم ٣٠ سورة النور م رقم السورة ٢٤. وتتمتها ﴿ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعُون﴾.

(٣) الكَوْر : الزيادة. والحَوْر : النقص . يقال : نعوذ بالله من الحور بعد الكور. أي من النقص بعد الزيادة.

(٤) هكذا وردت اللفظة في الأصل المخطوط. والمُسْحَنْكِكُ من كُلّ شيء: الشديد=

منه فيها قطرة، وهربَ منها النُبل ونسيَها فما يخطر بباله خطرة، وفقدت السيمياءَ التي يلوحُ ضياؤها على وجوه الأحرار، ويقطرُ ماؤها من خدود الأبرار، كأنّها لوقاحتها وتخليجها حوافر الأعْيار، أو صُمّ الأحجار، وما أحقّها بأنْ تُضرب هذه الأشعار والحكايات لها أمثالا، قال النابغة (١) :

لَعَمْري وما عَمْري عليَّ بهيِّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ

أقارعُ عَوفاً لا أحاولُ غيرها ... وُجوهَ قُرودٍ تَبْتَغي من تُجادعُ

الغَرَضُ في المصراع الرابع.

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِب (٢) :

لحا الله جَرْماً كُلَّما ذَرَّ شارق ... وُجوهَ كلابٍ هارشَتْ فازْبأرَّتِ

نَصَبَ الوجوهَ على الذمّ.

وقال الحطيئة (٣) : (١٥ آ)

لَعَمْري لَقَدْ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... قِباحَ الوُجوهِ سَيِّئي العَذِراتِ

= السواد ـ اللسان سحك ـ وفي الصحاح ـ مادة سحك ـ : اسحنكك الليلُ أي أظلم. وشَعَرٌ مُسْحنك، أي شديد السواد. ولم أجد سحكة وسحكات في المعجمات، ولعلها سَحَنات.

(١) البتان للنابغة الذبياني في ديوانه ـ ط . أبي الفضل إبراهيم ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ من قصيدة. رواية صدر الثاني في الديوان : أقارعُ عَوفٍ، وهي رواية أجود. تُجادع : معناها تُشاتم.

(٢) البيت لعمرو في ديوانه طبعة مطاع طرابيشي ص ٥٥ . هارشت : من المهارشة وهي تقاتل الكلاب . وازبأرّت : انتفشت حتى ظهر أصول شعرها وتجمعت للوثوب. وجَرْم : قبيلة معروفة.

(٣) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٣٣٢ . العَذِرات : الأخبية واحدتها عذرة، وقيل هي الأفنية.

وقال بعضهم:

كأنَّ دَمامِلاً جُمِعَتْ فصُوِّرَ وَجْهُهُ منها

ويحكى عن امرأة بشار بن برد أنّها قالت له: «هل رأيتَ وجهكَ قَطُّ؟ قال: لا. قالت: لو رأيتَ وجهكَ لأتَزَرْتَ عليه كما تأتَزِرُ على استك.

ونظر الصاحب بن عبّاد يوماً إلى صالح الورّاق فقال: ما أحوجَ هذا الوجه إلى سَلْحَةٍ خسروانيّة.

وقال:

إذا ما ضرطنا ضرطةً كسرويّة لجزنا وقلنا في عَوارض صالح[1]

وحجّ مُخَنّث فرأى رجلاً قبيحَ الوجه يستغفرهُ، فقال له: ما أرى لك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم.

وقال رجلٌ للجمّاز: خرج بي دُمَّلٌ في أقبح موضع منّي. فقال: كذبت هو ذا أرى وجهك ليس فيه شيء.

فالاكتحال إذَنّ بهذه الوجوه المُشوّهة أذىً، والنظرُ إليها قذىً وأيّ قذى.

سمعتُ صديقاً من أصدقائنا الظِراف وقد أجرينا الكلامَ في رؤية هذه الأهلّة والبدور، والمنوِّرة للقلوب والصدور، فقال: قال النبيُّ ﷺ: (شيَّبتني سورةُ هود وأخواتها)[2]. وما أظُنُّ اللبيبَ العاقلَ ولا الكريمَ (١٥ ب)

---

(١) البيت أخَلَّ به ديوان الصاحب بن عبّاد، صنعة الشيخ محمد حسن آل ياسين ط ٢ - بيروت ١٩٧٤.

(٢) في الأصل «شيبتني صورة اليهود» وهو كما ترى تحريف واضح.

الفاضل تُنازعُه نَفْسُه إلى أن يَفتح عليها أو يُجيل فيها إنْسانَهُ. ولله درُّ أبي العلاء حيث يقول [١] :

أَبا العَلا يا بن سُلَيْمانا إنَّ العَمى أوْلاكَ إحْسانا

لو أبصرتْ عيناك هذا الورى لم يَرَ إنسانُكَ إنْسانا

ومن أين تتأسف على النظرة إلى هؤلاء الموحشين غير المؤانسين، وإلى تفاوت حركاتهم، وتنافر سكناتهم، وسوء أدبهم إذا بَركوا بين يديك، أو قعدوا التَربُّعَ أو القُرفُصاء، وتابعوا في وجهكَ الثؤباءَ والمُطَوَاءَ، وأقبلوا عليكَ بتلك السِبال المُسْبَلةِ، والشوارب المطوَّلة، كأنَّ البدعةَ إحفاؤها، والسُنّة إعفاؤها. وكشَفوا لكَ عن رؤوسهم الجُلْح [٢] ، وكشَروا عن أنيابهم القُلْح[٣] ، واطلعوا إليك من أردانهم أكُفّاً قِصارا، إلاّ أنّها طالت أظفارا. قد تراكَم الدرَنُ في بنانها وأناملها، وتراكبَ الوَسَخُ على بَراجِمها[٤] ومفاصِلها. هنالك يَوَدّ البصير حال أبي العَيْناء، ويتبرأ من تمنّي بَصارَةِ «الزَرْقاء»[٥] . وهذا ذِكْرُ المكافيف من السَّلَف:

---

(١) أوردهما الصفدي في نكت الهميان ص ٧٥ بعد قوله : ومن المنحول لأبي العلاء المعري. رواية الثاني في نكت الهميان في نكت العميان: لو عاينت عيناك.

(٢) جَلِحَ جَلَحاً : انحسر شعره عن جانبي رأسه.

(٣) قَلِحَتِ السِنُّ قَلَحاً : تغيَّرتْ بصفرةٍ وخُضرةٍ تعلوها فهي قلحاء، والرجل أقلحُ، والجمع قُلحٌ.

(٤) البُرْجمة : مَفْصِل الأصابع. والجمع : براجم.

(٥) المقصود : زرقاء اليمامة، المشهورة بقوة بصرها وبها ضُرب المثل .

أبو قُحافة أبو أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه (*) . أبو سفيان بن الحارث[١] . (١٦ آ) البراء بن عازبٍ[٢] . جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري[٣] كعب بن مالك الأنصاري[٤] . حسّان بن ثابت[٥] . عبد الله بن أمّ مكتوم[٦] .

(*) أبو قحافة عثمان بن عامر التيمي والد أبي بكر الصديق. أسلم يوم الفتح. توفي سنة أربع عشرة. ترجمته في الإصابة رقم ٥٤٤٢ ، ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١.

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : ابن عم رسول الله - ﷺ - وأخوه من الرضاعة. وكان يؤذي رسول الله في جاهليته ويهجوه. وأسلم يوم الفتح. وشهد حنيناً وثَبَتَ مع النبي ورثى رسول الله بقصيدة حين انتقل إلى الرفيق الأعلى. مات سنة ١٥ للهجرة في خلافة عمر. ترجمته في الإصابة برقم ٥٣٨ ، ١ / ٩٠ - ٩١.

(٢) البراء بن عازب الخزرجي: صحابي جليل شهد الخندق. وفتح الريَّ سنة أربع وعشرين، صلحاً أو عنوة. وشهد مع علي رضي الله عنه الجملَ وصِفّين والنهرون. ثم نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وسبعين للهجرة بعدما أَضَرَّ. ترجمته في نكت الهميان ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن سواد الأنصاري. من مشاهير الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وأحد المكثرين من الرواية. شهد مع رسول الله ﷺ عشر غزوات. وقدم مصر والشام. وكفَّ بصره بأخَرَة، عمّر. ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين للهجرة. ترجمته في نكت الهميان ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٤) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي. شاعر الرسول ﷺ. توفي سنة خمسين، جمع شعره صديقنا الدكتور سامي مكي العاني ونشره في بغداد سنة ١٩٦٦. وانظر الدراسة الممتعة التي صدّر بها الديوان.

(٥) حسان بن ثابت: شاعر الرسول الأعظم، عُمّر، عاش ستين في الجاهلية ومثلها في الإسلام. خير طبعات ديوانه طبعة وليد عرفات الصادرة في بيروت سنة ١٩٧٤ في جزأين. اختلف في سنة وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ٤٠ هـ.

(٦) عبد الله بن أمّ مكتوم: صحابي جليل أسلم بمكة قديماً وكان ضرير البصر وقدم المدينة مهاجراً بعد بدرٍ بيسير. وكان يؤذن للنبيِّ ﷺ بالمدينة مع بلال. وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلّي بالناس في عامة غزواته. وبسببه نزلت آية ﴿عَبَس وتولّى أن جاءه الأعمى وما يُدريك لعلّه يَزكّى﴾ فلما نزلت الآية دعاهُ رسولُ الله فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين. مات بالمدينة. ترجمته في الطبقات الكبير ٤/ ١٥١ - ١٥٦.

أبو سفيان [صخر] بن حرب[١] . عقيل بن أبي طالب[٢] . أبو أسيد الساعدي[٣] . قتادةُ بن النعمان[٤] . أبو عبد الله السُّلَمي[٥] قتادة بن دِعامة[٦] . المغيرةُ بن مِقسَمٍ[٧] راوية إبراهيم النخعي. أبو بكر بن عبد الله

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب: والد معاوية «ر» أسلم يوم الفتح. شهد مع النبي ﷺ حُنينا والطائف، وفي الطائف رُمي فذهبت عينه. ثم أصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد، فبقي أعمى. وابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ. توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع. نكت الهميان ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) عقيل بن أبي طالب: أسلم قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة. وكان أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم وأيام العرب وأنسابها. وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك. توفي في حدود الخمسين وقد أضرَّ بصره. ترجمته في نكت الهميان ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) أبو أُسَيد الساعدي: واسمه مالك بن ربيعة . شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ومات بالمدينة سنة ستين للهجرة وقيل سنة ثلاثين وقد ذهب بصره. نكت الهميان ص ٢٣٣.

(٤) قتادة بن النعمان: بن زيد الأوسي الأنصاري . شهد العقبة وبدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ أصيبت عينه فردّها رسول ﷺ فكانت أحسن عينيه. كان من فضلاء الصحابة، وكانت معه راية بني ظفر يوم الفتح. توفي سنة ثلاث وعشرين.أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ١٩٥-١٩٦.

(٥) أبو عبد الله السُّلَمي: والصواب أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي واسمه عبد الله بن حبيب من أصحاب الإمام علي، كان مُقرئاً، ويُحمل عنه الفقه، وكان مكفوفاً. انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٢٨ و ٥٣٠ و ٥٤٧ و ٥٨٨.

(٦) قتادة بن دعامة: أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى المفسر، أحد الأئمة الأعلام. كان يضرب به المَثَلُ في حفظه. كان رأساً في الغريب والعربية والأنساب. توفي سنة سبع عشرة ومائة. نكت الهميان ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٧) المغيرة بن مِقسَم: الضَّبِّي الكوفي أبو هاشم الأعمى، أحد الأعلام. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢٩٥.

ابن الحارث بن هشام[١] . القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[٢] . عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[٣] . معاوية بن سبرة[٤] من أصحاب عبد الله بن مسعود. سعد بن أبي وقاص ذهبَ بصره في آخر عمره. عبد الله بن أبي أوفى[٥] . علي بن زيد من ولد عبد الله بن جدعان وُلِدَ وهو أعمى[٦] . أبو هلال الراسبّي[٧] . ابن عباس العباس ابن عبد

(١) أبو بكر بن عبد الله بن الحارث بن هشام: الصواب : أبو بكر بن عبد الرحمن. ليس له اسم، كنيته اسمه. ولد في خلافة عمر، وكان يقال له : راهب قريش، لكثرة صلاته. قال الزبير بن بكار: كان أبو بكر بن عبد الرحمن يقال له : راهب المدينة.عُرف بأمانته. وذهب بصره. مات سنة أربع وتسعين، وهي سنة الفقهاء، لكثرة من مات فيها منهم. صفة الصفوة ٢ / ٩٢.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق:أحد الأعلام. كان فقيهاً إماماً مجتهداً ورعاً عابداً ثقةً حجة. واضَرَّ بأخرة. توفي سنة سبع ومائة. نكت الهميان ص ٢٣٠.

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أبو عبد الله الهذلي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، من أعلام التابعين. كان عالماً ناسكاً. أضَرَّ بأخرةٍ. توفي سنة اثنتين ومائتين. نكت الهميان ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٤) معاوية بن سبرة: أبو العُبيدين من بني عامر بن صعصعة. كان مكفوفاً. وكان عبد الله بن مسعود يقرّبه ويدنيه، وكان من أصحابه وروى عنه. الطبقات الكبير ٦ / ١٣٥.

(٥) عبد الله بن أبي أوفى: هو عبد الله بن علقمة الخزاعي الأسلمي. أحد من بايع بيعة الرضوان. قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، نأكل الجراد. شهد الحديبية وخيبر. ولم يزل بالمدينة إلى أن قبضَ رسول الله ﷺ فتحوّل إلى الكوفة، وكفّ بصره بأخرة. توفي سنة ست وثمانين للهجرة . نكت الهميان ص ١٨٢.

(٦) علي بن زيد: أبو الحسن القرشي التيمي البصري الضرير، أحد أوعية العلم في زمانه. ولد أعمى. قال خليفة: مات في الطاعون، وقال مُطين: سنة تسع وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢١٢.

(٧) أبو هلال الراسبي: هو محمد بن سليم، وكان أعمى. توفي سنة خمس وستين ومائة. وكان من التابعين. ذكره ابن الجوزي في فصل «تسمية العميان الأشراف» من كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر. المعارف لابن قتيبة ص ٥١٢.

المطلب[١]، قالوا لم يوجد ثلاثة مكافيف على نسقٍ واحدٍ غيرُ عبد الله والعباس وعبد المطلب.

ويروى أن معاوية قال لابن عباس: أنتم يابني عبد المطلب تُصابونَ في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يابني أميّة تُصابون في بَصائركم[٢].

(١٦ ب) إنّ هؤلاء لك قدوةٌ، ولك فيهم أُسْوَةٌ.

فإنّ الأُلى بالطَفِّ من آلِ هاشمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا للكرام التَأَسِّيا[٣]

---

(١) العباس بن عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل عم رسول الله ﷺ. وكان العباس رئيساً في الجاهلية وفي قريش وإليه كانت عمارة البيت والسقاية في الجاهلية. أسلم العباس قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه. ثم أظهر إسلامه يوم الفتح وشهد حُنيناً والطائف وتبوك. وكان أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب. وكان النبيُّ ﷺ يكرمه ويجلّه. وقصة استسقائه الحرمين معروفة. وأضرَّ رضي الله عنه بأخرة. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. نكت الهميان ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) القول في نكت الهميان ص ١٨٢ بالنص التالي: وقال له معاوية رضي الله عنه: مابالكم تصابون في أبصاركم يا بني هاشم؟ فقال له: كما تصابون في بصائركم يا بني أمية.

(٣) البيت دون عزو في اللسان (أسا) و (أولى). الأُلى: الذين. الطف: اسم موضع. تآسوا: أي آسى بعضهم بعضا. قال ابن برّي:

وهذا البيت تمثل به مصعب يوم قُتل. وتآسوا فيه: من المؤاساة كما ذكر الجوهري لا من التأسّي كما ذكر المبرد، فقال تآسوا بمعنى تأسَّوا، وتأسَّوا بمعنى تَعَزَّوا. ولي في فلان أُسْوة وإسْوة، أي قدوة. قال هلال بن ناجي: الصواب ماذهب إليه المبرد، فتأسَّوا من التأسّي وهو الاقتداء لا من المؤاساة، والله العالم. وورد البيت في تاريخ الطبري ٦ / ١٥٦ بالرواية التالية: قال عروة بن المغيرة بن شعبة: فقال [مصعب] يا عروة إليّ، فدنوت منه، فقال: أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صَنَع بابائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فقال

إنّ الأُلى بالطفّ من آل هاشم تأسّوا فسَنّوا للكرام التأسّيا

قال: فعلمتُ أنه لا يريمُ حتى يُقتل.

فلتَرْبِط ذكرَهم على قلبك، ولتنفّس عن كربك، واصبر كما صبرَ أولو العزمِ، واعمل عملَ ذوي الحزم، واشغل جوارحَكَ الباقية بطاعةِ الله [و] قلبَكَ بالفكر في جلالِه وكبريائه، وتَذكّر ماأُعدّ لأعدائه وأوليائه، ولسانَكَ بشكر أياديه ونعمائه، ورجليكَ بنصبهما في مواقف التعبّد لوجهه والسعي بهما في مظانّ مرضاتِه، ويديكَ برفعهما داعياً مُسْتَغْفِرا، وبَسْطِهما باكياً على الفرطات مُسْتَعْبِرا، فإنَّكَ إنْ فعلتَ ذلكَ وفيك المعتقدُ المتين، والفضل المبين، والرسوخ في العلم، والتردّي بالحلم، والعقل الرجيح والخُلق السجيح، والفؤاد البريّ من الدغل، النقيّ من النغل، وجدتَ بردَ الرضا والسلوة، وقطفتَ العافية الحُلوة.

تمت بحمد الله ومنّه والصلوات على رسوله محمد وآله أجمعين (١٧ آ)

القَرَسْطُونُ وما إليه

الأستاذ عبد القادر زمامة

لاأدري أين رأيتُ هذه الكلمة أول مرة... ولا أدري متى سمعتُ الحديث عنها بين الزملاء الباحثين والدارسين. لكنني كنتُ مهتماً بها... فأخَذَتْ حيزاً من الذاكرة، وسطوراً من المذكرة.

وكانت بداية البحث عنها في المظانّ والمعاجم ذات مُصادفة طريفة... حيث إن الأستاذ البحّاثة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب أهداني كتابه الجيّد المعنى والمبنى: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. فوجدتُه يترجم هناك لأعلام بيت الحكمة، ومن جملتهم شخص يُسَمَّى: إسماعيل بن يوسف، ويُلقَّب: بالطَّلاَّء[1] المنجِّم.... وكانت الترجمة مشوّقة وجذّابة لهذا العالم القيرواني، الذي تعلّم بالعراق، وظهرت مواهبه العلمية بتونس، وتوفي مهاجراً بالأندلس....

ولفت نظري ان مؤلف الورقات يجعل من مصادر ترجمة الطَّلاَّء المنجِّم كتاب: طبقات النحويين واللغويين لمؤلفه الشهير: محمد بن الحسن الزُّبيدي الأندلسي ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م.

---

(١) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. القسم الأول ص ٢٥٣. مكتبة المنار تونس ١٩٦٥م.

وبالرجوع إلى كتاب: «الطبقات» وجدتُه يترجم لهذا العَلَم، ترجمة متوسطة، ولكنها خالية من تاريخ الميلاد، وتاريخ الوفاة...!

وأطرفُ مافي هذه الترجمة، بالنسبة للبحث عن مدلول كلمة: «القرسطون» مايحكيه الزُبيدي عن ظروف تعلم الطَّلاَّء المنجِّم بالعراق... قائلاً: «كان أهل العلم بصناعة الطِّلاء بالعراق يضنّون بصناعتهم. وكان إسماعيل بن يوسف قد لازمهم وخَدَمهم، فكانوا يُخرجون إليه، وإلى أصحابه من التلاميذ العقاقير للدَّقِّ مختلطةً... فتحيَّل إسماعيل بن يوسف للمبيت في خزانة العقاقير... وأعدَّ قرسطوناً صغيراً فبات ليلته تلك يزن كلَّ عِقِّير هناك. فلما كان من الغد أخرجت إليهم العقاقير للدَّقّ والطِّلاء، واستعملوا ذلك... ثم رجع إسماعيل بن يوسف من اللَّيلة القابلة. فعاود وزن عقاقير الخزانة فعرف مانقص من كل عِقِّير منها. فعلم أنه المأخوذ للاستعمال. في ذلك النهار..! فكتب ذلك كله ثم استعمله. فقامت له الصناعةُ...![٢]»

وقبل أن ندخل في تفسير مدلول كلمة القرسطون الواردة في هذا النص المفيد... ينبغي أن نشير إلى ماأفادنا به المرحوم حسن حسني عبد الوهاب عن: صنعة الطِّلاء التي ذهب إسماعيل بن يوسف إلى العراق ليتعلمها... فقد شرحها في النص المشار إليه من الورقات قائلا:

«وما كان يُعْرف بالطِّلاء قديماً هو وسائل تجميل وجوه النِّساء... وأبدانهن... وهي تطريتها بالأدْهان والعقاقير المناسبة... وهو مايسميه الافرنج الآن: (الماكياج)». وظاهر من فحْوى نصّ الزبيدي الأندلسي المكتوب خلال القرن الرابع الهجري. والعاشر الميلادي أن هذه الكلمة:

---

(٢) طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ص ٢٦٣. ط الأولى. القاهرة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م. [ص ٢٤١ ط ٢، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م/ المجلة] .

قرسطون. كانت معروفة في كل من: العراق. وإفريقية. والأندلس. وأن هذه الأداة الحضارية كانت مستعملة للوزن... وأن الطَّلَّاء المنجِّم... وزن بها ماوجده هناك في الخزانة من عقاقير....! وأن القرسطون. كان صغيراً....!!!.

وللزبيدي الأندلسي اللّغوي كتب أخرى غير الطبقات. من جملتها كتاب: «لحن العامة» الذي حاول فيه كما حاول سابقوه ولاحقوه أن يصححوا أخطاءً لغوية انتشرت في عصرهم... فنجده يقول بخصوص هذه الكلمة: «... ويقولون للميزان العظيم: (القلسطون)، قال محمد: والصواب (قرسطون).. وهي شامية...!!»[٣].

وإذا صحَّ لنا من جهتَي البحث اللغوي والحضاري أن نستنتج من نصّي الزُّبيدي الأندلسي اللغوي فإننا نستنتج مايأتي:

- في كتاب الطبقات. وصف القرسطون بأنه صغير لوزن العقاقير....!

- وفي كتاب لحن العامة وصف القرسطون بأنه عظيم....! مع تصحيح لفظي...! فالزُّبيدي - فيما يظهر- يجعل مفهوم كلمة: القرسطون هو الميزان المتعدد الأحجام...! يكون صغيراً...! كما يكون عظيماً...! والضرورة تدعو إلى وزن الأشياء الدقيقة... كما تدعو إلى وزن الأشياء ذات الأثقال والأحجام المختلفة...!

- فهناك قرسطون صغير للأولى..!

- وهناك قرسطون عظيم للثانية..!

---

(٣) لحن العامة: تحقيق عبد العزيز مطر. ص ١٠٠. ط. الكويت ١٩٦٨م ويعني بقوله: قال محمد: نفسه.

ومن المعلوم – تاريخياً – أن الزُّبيديَّ اللغوي الأندلسي مؤلف كتابي: الطبقات. ولحن العامة. هو من أشهر تلاميذ ضيف الخلافة الأموية في الأندلس أبي علي القالي الإمام الشهير الذي أملى كتابه: (الأمالي) في مسجد «الزهراء»، شقيقة «قرطبة»، كما أنه ألف كتابه: (البارع في اللُّغة) وهو معجم حذا فيه حذو كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي... فمادَّتُهُ من مادَّته. ومنهاجُه من منهاجه وطريقة ترتيبه الكلمات من طريقته...!

والقسم الباقي لنا من هذا المعجم اللغوي الذي أُلّف في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري... له قيمة لغوية وتاريخية لامجال لتجاهلها...!

ومن هذا القسم نقتبس هذا النصّ الذي نقله القاليُّ عن الخليل قائلاً[٤]:

«...القَرَسْطون» بفتح القاف والراء. وسكون السين. وضم الطاء هو: «القبَّانُ» بلغة أهل الشام. وهو القلسطون باللام»

فأبو علي القالي في نصِّه هذا المنقول عن الخليل بن أحمد يُبرز حقيقتين:

– يفسّر القرسطون بالقَبَّان...!

– ويصحّح الصيغتيْن: القَرَسْطون بالراء..! والقَلَسْطُون باللَّام..!

وإذا تجاوزنا ما أفادنا به الزُّبيدي الأندلسيُّ وما أفادنا به أستاذُهُ أبو عليّ القالي الذي نقل عن الخليل تفسير: القَرَسْطُون والقَلَسْطون بالقبّان...! إلى لُغَويّ آخر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللّخمي المعْروف بابن هشام

(٤) البارع في اللغة. قسم حققه هاشم الطعان. ص ٥٥٤ الطبعة الأولى بيروت ١٩٤٥م.

[انظر ماجاء في كتاب العين ٥: ٢٤٩/ المجلة]

اللخمي ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م . مؤلف كتاب: (المدخل إلى تقويم اللّسان، وتعليم البيان) فإننا نجده يقول في الموضوع:

«.... ويقولون للميزان العظيم قَلَسْطون.والصواب: قَرَسْطون... وهي لغة شاميّة....![٥]»

وإلى جانب نص ابن هشام اللّخمي. نجد شارح مقامات الحريري أبا العباس أحمد بن عبد المؤمن القَيْسي الشريشي ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٢م عند شرحه للمقامة الثانية والأربعين النَّجرانية التي جاء فيها الحريريُّ بلغز منظوم من خمسة أبيات في نوع من الموازين. كان يسمَّى عندهم الطيّار...!! يقول الشريشي:

«... الطيَّارُ: ميزانٌ معروفٌ عندهم يرجّحه أيسر شيء.. فلخفّته سُمي: الطيَّار»

«وقيل الطيار: ميزان الدراهم المعروف عندهم: بالقارسطون!!![٦]»

ولا يخفى مافي هذا النص من أشياء مستغربة:

١) القارسطون بمدّ القاف مع أننا نجده في النصوص الأخرى بدون هذا المدّ...!

٢) ماذكره عن الطيار. وكونه يرجحه أيسرُ شيءٍ..!!

٣) ماحكاه بصيغة: قيل. من كونه ميزاناً للدراهم معروفاً بالقارسطون...!!

فالشريشي الذي عاش في القرن السابع الهجري يحكي بصيغة قيل:

---

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان ص: ٣٢٨. ط. مدريد ١٩٩٢م تحقيق JOSEPEREZ LAZARO

(٦) شرح المقامات ج ٤ ص ١١٣. ط. القاهرة ١٩٥٣ ..

ان بعض الناس في عصره يطلق كلمة: الطيار. على ميزان الدراهم المعروف بالقارسطون...! ويمكن أن يفسر هذا بأنه تطور حضاري يطرأ على الاصطلاحات والمفاهيم والأدوات المستعملة بكثرة في المدن والأمصار...! لعدة عوامل طوال قرون.

أما صلاح الدين خليل بن ايْبَك الصفدي ٧٦٤ هـ/ ١٣٩٢م في كتابه الجيِّد: (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) فإنه يقول:

«ويقولون للميزان العظيم: القلسطون. والصواب قرسطون.. وهي شامية...!!![٧]»

فالصفدي في القرن الثامن الهجري يصحح الكلمة كما فعل سابقُوه... ويجعل القرسطون ميزاناً عظيماً...!!!

ولعله من المناسب هنا ونحن نجول في النصوص القديمة بحثاً عن كلمة: قرسطون... أن نشير إلى أن أبا عثمان الجاحظ ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م كان على علم بالقَرَسْطُون. والكيفية التي يزن بها الأشياء. وقد ذكره في مؤلفاته – فيما أذكر – عدة مرات... وأكتفي الآن بما أشار إليه في رسالته البديعة المسماة «رسالة التَّربيع والتدوير إذ قال مخاطباً خَصْمَه:

«وخبْرني عن القَرَسْطون. كيف أخْرجَ أحدُ رأسيْه ثلثمائَة رطل. زاد ذلك أم نقص،!! ووزنُ جميعه ثلاثون رطلاً... زاد ذلك أم نقص...!![٨]»

هذه بعضُ المفاهيم التي رصدها قديماً لغويون... وعلماء وأدباء. عرضناها باقتضاب... لكلمة: قرسطون...

وحيث إن أدوات الحضارة تناولتها عدةُ جهات لتعلّق أحكام بها...

---

(٧) ص ٤٢٧. ط القاهرة ١٩٨٧م .

(٨) رسالة التربيع والتدوير. من (رسائل الجاحظ) جمعها حسن السندوبي ص ٢٣٣ ط القاهرة ١٩٣٣ م .

ولاسيما منها أدوات المكاييل والموازين... فإننا نشير هنا إلى أن أبا العباس أحمد بن يحيى الونشريشي ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م الفقيه النوازلي جمع في كتابه الكبير: «المعيار المُعرِب، والجامع المُغْرِب، عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمَغْرِب» عدة قضايا ونوازل ترجع لعدة أبواب. ومنها وزن الدراهم المستعملة قديماً.... فنجده يستعمل الكلمة هكذا: الميزان المعروف بالقلسطون[٩]..!

فالونشريشي. وهو من رجال القرن التاسع والعاشر الهجريَيْن كان يعلم وقد عاش في تلمسان وفاس واطلع على عدة كتب في الفقه والنوازل والحِسْبة... أن الدراهم كانتْ توزن بالميزان المعروف بالقلسطون...! باللام...

وهذا الذي ذكره المؤلف الونشريشي في كتاب: «المعيار» من كون القلسطون. ميزاناً معروفاً لوزن الدراهم...! رأيناه في نصوص سابقة.. كما رأينا مَنْ يفسّر القرسطون بالقبان..! ومَن يجعل مِن القرسطون صغيراً. لوزن العقاقير... وكبيراً لوزن الأشياء الثقيلة...!

وغنيٌّ عن البيان أن كلا من كلمتيْ:

- القرسطون....

- والقبّان....

هما من الكلمات المُعَرَّبة المستعملة منذ العصور الأولى للحضارة الإسلامية في المدن والأمصار شرقاً وغرباً...!

- وليس من هدفنا الآن أن ندخل في تفصيل أصول كلّ من الكلمتيْن في لُغتها الأصلية....!!

- كما أنه ليس من هدفنا أن نذكر هنا ماذكرتْهُ معاجمُنا على

(٩) المعيار المُعْرب ج ٥، ص (١٤- ١٥) ط بيروت. دار الغرب الاسلامي...

اختلاف مستوياتها وعصورها...! ولا أن نناقشها...! لا في الدالّ ولا في المدلول...!!!

إلا أننا نشير في ختام هذا المقال إلى أشياء منها:

١) من المستغرب أن أبا منصور الجواليقي صاحب كتاب: (المُعَرَّب) لايذكر ضمن المفردات التي شرحها كلمة القرسطون، وإنما يذكر كلمة القبَّان... على أنها من الفارسيّ المُعَرَّب[١٠].

٢) أبو منصور الثعالبي يقول في كتاب (فقه اللغة) «القرسطون: القبان..» في الفصل الذي جَعَلهُ لما حاضر به، مما نسبه بعضُ الأئمة إلى اللغة الرُّومية[١١]..!!!

٣) السيوطيَّ في كتاب المُزْهِر (ج١ ص، ٢٧٦) يجعلُ كلمة: القرصطون بالصاد... في جملة الكلمات المعرَّبة عن الرُّومية...!

٤) القبّان: على أنه ميزان معروف بذراعه الحديدية الطويلة، المُجزَّأة إلى أجزاء ذات أرقام... توزن به الأشياء الثقيلة في الأسواق، ودور التجارة، مازال معروفاً، ويسمّى- في بعض الجهات- باسم الرُّمَّانة، والقبَّاني- في بعض الجهات- هو الوزّان الذي يزن للناس أشياء هم بأجر معيّن.

٥) أمَّا القَرَسْطون... على أنه بهذا الاسْم: صغير..! أو كبير..! توزن به العقاقير... أو الدَّراهم.... فليس له ذكر الآن- فيما أعلم- والله أعْلَمُ...!

---

(١٠) المعرَّب للجواليقي ص ٢٧٥. أعيد طبعه بالأفست (طهران ١٩٦٦ م).

(١١) فقه اللغة ص ٣١٨. ط. كاثوليكية بيروت.[ص ٤٥٥/ ط الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٢/ المجلة] ونجدُه في ثمار القلوب ص ١٩٠. القاهرة ١٩٠٨ م يقول: وللروم: الطب، والتنجيم، والقرسطون...!! [ثمار القلوب، ط دمشق ١: ٣٨١/ المجلة].

آراء ومطارحات

« في أشياء ممّا أورده ابن هشام في باب الأدوات »

الدكتور محمد طاهر الحمصي

بين يدي البحث :

خطرت لي فكرة هذه المقالة منذ زمن، فقد قمت على تدريس الأدوات النحوية من كتاب (مغني اللبيب) في الجامعة أعواماً. وكنت في كلّ عامٍ أجدّد صحبة طال أمدها وتمكّنت روابطها بيني وبين ابن هشام مؤلف الكتاب، وكان يتكشّف لي في كلّ آنٍ عن عالمٍ نحرير، واسع المعرفة، عميق الفكرة، ثاقب النظرة، قويّ العارضة، واضح الحجة، محكم الرأي. غير أنه من جانب آخر كان يتراءى لي منه في أحيان قليلة اضطرابٌ في المنهج، وتقاصرٌ عن الإقناع، وعزوف عن امتحان الآراء. كان يعنّ لي شيءٌ هنا وآخر هناك أصرّح ببعضه، وأكتم بعضه، وأدوّن أقلّه، وأهمل أكثره. حتى إذا صحّ مني العزم على كتابة مقالة في هذا الشأن وأنا بعيد عن مصادري وأوراقي ومدوّناتي، لم أجد بدّاً من معاودة النظر في كتاب المغني. فخطرت لي أشياء ممّا كان يخطر، وغابت عني منه أشياء، واستجدّت لديّ أشياء أخر؛ فكانت هذه المقالة التي تتناول :

١ – قضية منهجية: تتجلى في إيراد المختلف من الأدوات في موضع واحد .

٢ – قضية نحوية عامة : تتمثّل في ربط فكرة الزيادة بمعنى التوكيد .

٣ – جملة من الأحكام النحوية المتفرّقة .

توطئة :

يعدّ كتاب (مغني اللبيب) من أجمع الكتب للأدوات النحوية وأغناها مادةً وأحسنها ترتيباً، أفرد لها ابن هشام الباب الأوّل من كتابه، ولم يجر على سُنّة من سبقه في حصر هذا النوع من التأليف فيما أطلقوا عليه (حروف المعاني)، كالرمّانيّ في كتابه (حروف المعاني)، والمراديّ في كتابه (الجنى الداني في حروف المعاني)، والمالقيّ في كتابه (رصف المباني في حروف المعاني)، ولكنّه توسّع فيه حتى شمل كثيراً من الأسماء والأفعال؛ ولهذا اختار كلمة (المفردات) في مكان حروف المعاني، فقال في مطلع كتابه :

«الباب الأوّل : في تفسير المفردات وذكر أحكامها. وأعني بالمفردات الحروف وماتضمّن معناها من الأسماء والظروف، فإنّها المحتاجة إلى ذلك. وقد رتّبتها على حروف المعجم ليسهل تناولها. وربّما ذكرتُ أسماء غير تلك وأفعالاً لمسيس الحاجة إلى شرحها»[١] .

وبلغ مجموع ماأثبته من (المفردات) اثنتين ومئة، ألزم نفسه في كل (مفردة) أن يذكر أقسامها وأوجهها النحوية وعملها ومعانيها السياقية، وأن يورد آراء العلماء وأدلّتهم، فيؤيّد بعضها، ويعترض على بعضها، ويكتفي بإيراد بعضها من غير تأييد أو اعتراض. ولاشكّ أنّ ابن هشام قد أفاد من عمل سابقيه في هذا الميدان، بل إنّ من يعارض عمل ابن هشام بعمل المراديّ في كتاب (الجنى الداني) يدرك بيسر ووضوح أنّ ابن هشام استعان بكتاب (الجنى) أيّما استعانة، وحذا حذوه في كثير من المواضع، وإن تجنّب أن يذكر

---

(١) مغني اللبيب / ١٧.

اسمه أو يشير إليه. على أنّ المادة التي سخّرها ابن هشام في هذا الباب لايضارعه في وفرتها كتاب آخر، هذا إلى عمق الفكرة وحسن التبويب وإحكام العبارة.

بيد أنّ ذلك كلّه لايجعل عمل ابن هشام محرَّماً على النقد؛ لأن (الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والنار قد تخبو)(٢)، كما لاينبغي لهذا النقد أن يغضّ من شأنه أو ينال من حسنه، لأن (ماطغى به قلمه، وزلّت به قدمه، مغتفرٌ في جنب ماقَرَّبَ من البعيد، وردَّ من الشريد، وأراح من التعب، وصيّر القاصي ينادي من كثب)(٣).

وما تتضمّنه هذه المقالة الوجيزة من نقد، إنما هو وجهة نظر ليس إلاّ. وما تطرحه من آراء لايعدو أن يكون مقترحات يؤخذ منها ويُرَدّ. وفوق كلّ ذي علمٍ عليم .

أولاً – قضية منهجية :

(إيراد المختلف من الأدوات في موضع واحد بسبب تشابه اللفظ)

وهذا خلل منهجيّ اعترى عمل ابن هشام في مواضع قليلة أقف عند موضعين منها :

١ – ذكر من أوجه (أمْ) أنها تكون للتعريف، فقال :

«الرابع أن تكون للتعريف، نُقلت عن طيّئ وعن حِمْيَر، وأنشدوا :

ذاك خليلي وذو يواصلني　　يرمي ورائي بامْسهمِ وامْسَلِمَهْ

...... وقيل إنّ هذه اللغة مختصّة بالأسماء التي لاتدغم لام التعريف

(٢) من مقدمة ابن هشام لكتابه / ١٣.

(٣) الموضع السابق (بتصرف يسير) .

في أولها»[٤].

وواضحٌ أنّ (أم) هذه أداة تعريف تقوم مقام (ال) وأنّ همزتها همزة وصل، وأين منها (أم) المتصلة و (أم) المنقطعة؟. ولو ذكرها ابن هشام في عقب حديثه عن (ال) لكان ذلك أليق بها .

٢ - أورد من أوجه (عن) كونها حرفاً مصدريّاً، فقال :

«الوجه الثاني : أن تكون حرفاً مصدرياً، وذلك أنّ بني تميم يقولون في نحو (أعجبني أن تفعل) : عَنْ تفعل، قال ذو الرّمة :

أَعَنْ تَرَسَّمتَ من خرقاءَ منزلةً ماءُ الصبابة من عينيك مسجومُ

يقال: ترسّمت الدار أي تأملتها.... وكذا يفعلون في (أنّ) المشدّدة فيقولون : أشهد عَنَّ محمداً رسول الله، وتسمّى عنعنة تميم»[٥].

وما ذكره ابن هشام هنا لايمكن أن يكون وجهاً من أوجه (عَنْ) يعدل وجهيها الآخرين وهما: كونها جارّة وكونها اسماً بمعنى جانب. وكان الأجدر أن يلحقه بحديثه عن (أن) المصدرية.

ومن عجبٍ أن يقع لابن هشام مثل هذا الالتواء في المنهج مع أنه تجنّبه في مواضع أخرى وعابه على غيره، فقد قال في عقب حديثه عن (إمّا) :

«ليس من أقسام (إمّا) التي في قوله تعالى: ﴿فإمّا تَرَينَّ من البشر أحداً﴾، بل هذه (إن) الشرطية و (ما) الزائدة»[٦].

وقال في عقب حديثه عن (إلاّ) :

«ليس من أقسام (إلاّ) التي في نحو (إلاّ تنصروه فقد نصره الله)، وإنما

---

(٤) المغني / ٧٠- ٧١ .

(٥) المغني/ ١٩٨- ١٩٩.

(٦) المغني/ ٨٧ .

هذه كلمتان: (إن) الشرطية و (لا) النافية. ومن العجب أن ابن مالك على إمامته ذكرها في شرح التسهيل من أقسام (إلاّ) »[٧].

ثمّ قال بعد ذلك :

«ليس من أقسام (ألاّ) التي في قوله تعالى : ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تعلوا عليّ﴾ بل هذه كلمتان : (أن) الناصة و (لا) النافية، أو (أن) المفسّرة أو المخففة من الثقيلة و (لا) الناهية ولا موضع لها على هذا»[٨].

وكان منهج ابن هشام يقتضي منه أن يقول في عقب حديثه عن (أم):

ليس من أقسام (أم) التي في قول الشاعر :

يرمي ورائي بامسهم وامْسَلِمَهْ

لأنّ (ام) هذه لغة في (ال)، ولأنّ همزتها همزة وصل وتلك همزتها همزة قطع، ولأنّ (ام) هذه لاتنفصل عن الاسم فلا تكون كلمة بنفسها، أمّا تلك فهي كلمة بنفسها.

وأن يقول في آخر حديثه عن (عن) :

ليس من أقسام (عن) التي في قول ذي الرّمة :

أعن ترسّمت من خرقاء منزلةً

لأنّ هذه لغة لبني تميم في (أن) المصدرية، فالعين فيها مبدلة من الهمزة، فهي كلمة أخرى غير (عن) الجارة وغير (عن) الاسمية، لأن العين فيهما أصلية .

ثانياً – قضيّة نحويّة عامة :

(التسليم بأنّ التوكيد معنى ملازم لما حُكم بزيادته من الأدوات)

(٧) المغني/ ١٠٢ .

(٨) المغني/ ١٠٣ .

التوكيد معنى ملازم للزيادة عند ابن هشام. فكلّ زائد من الأدوات يفيد التوكيد في رأيه، ولهذا تراه يُلحق التوكيد بالمعاني التي يحتملها بعض الأدوات. وممّا يجدر الالتفات إليه أنّ هذا المعنى الذي يلحّ عليه ابن هشام في غيرما أداة[٩] ليس معنىً يُستَشَفّ من سياق الكلام دائماً، بل هو معنى عقليّ في الغالب ارتبط بفكرة الزيادة في أذهان كثير من النحاة. فلا تُذكَر الزيادة حتى تُقْرَن بمعنى التوكيد، سواءٌ أكان السياق يحتمل هذا المعنى أم لم يكن. وما أكثر مواضع الزيادة التي يصعب تقدير التوكيد فيها.

وعند النظر في مواضع الزيادة نتبيّن أنّ التوكيد في أكثرها معنىً عقليّ محض لاسند له من دلالات السياق وقرائن الأحوال، وإليك عدداً من الأمثلة.

- ذكر ابن هشام معاني الأداة (إلى)، ثم جعل الثامن منها التوكيد، فقال:

«والثامن: التوكيد، وهي الزائدة، أثبت ذلك الفرّاء مستدلاًّ بقراءة بعضهم (أفئدةً من الناس تَهْوَى إليهم) بفتح الواو»[١٠].

وهذه الزيادة المزعومة قائمة على أنّ الفعل (يَهْوَى) يتعدّى بنفسه إلى المفعول، ومن هنا تغدو (إلى) التي فَصلت الفعلَ عن المفعول (الضمير) مقحمةً، ويكون التركيب مؤسَّساً على الاستغناء عنها. ولّما حكموا بزيادتها حاولوا أن يقرنوا هذه الزيادة بمعنى ما، فاهتدوا من طريق العقل وحده إلى معنى التوكيد. ولا يخفى على المتبصّر في هذا الموضع أن التوكيد لم يستنبط من السياق ولادليل عليه من التركيب. فما غرض التوكيد هنا؟ وهل ينقص شيء من المعنى لو غُيّر التركيب فقيل: أفئدة من الناس تهواهم؟

(٩) ينظر المغني/ ١٠٥- ١١٥- ١٤٤- ٢٢٥- ٢٨٤- ٣٢٧- ٤٢٥.

(١٠) المغني/ ١٠٥.

– ونقل ابن هشام عن أبي عبيدة وابن قتيبة زيادة (إذْ) للتوكيد، فقال:

«وذُكر لـ (إذْ) معنيان آخران، أحدهما: التوكيد، وذلك بأن تحمل على الزيادة، قاله أبو عبيدة وتبعه ابن قتيبة، وحملا عليه آياتٍ منها (وإذْ قال ربّك للملائكة)، والثاني: التحقيق»[11].

– وذكر من معاني (في) التوكيد، فقال:

«العاشر: التوكيد، وهي الزائدة لغير تعويض، أجازه الفارسيّ في الضرورة، وأنشد:

أنا أبو سعدٍ إذا الليلُ دجا   يُخال في سواده يرندجا

وأجازه بعضهم في قوله تعالى ﴿وقال اركبو فيها﴾ »[12].

– وذهب إلى أنّ (لا) الزائدة تفيد تقوية الكلام وتوكيده، فقال:

«والثالث: (لا) الزائدة الداخلة على الكلام لمُجرّد تقويته وتوكيده، نحو ﴿مامنعك إذْ رأيتهم ضلّوا ألاّ تتبعني﴾، ﴿مامنعك ألاّ تسجد﴾، ويوضحه الآية الأخرى ﴿مامنعك أن تسجد﴾ ومنه ﴿لئلاّ يعلم أهل الكتاب﴾ أي ليعلموا...»[13].

ومن الواضح أنّ معنى التوكيد في مواضع الزيادة السابقة لم يرشح من السياق، وإنما هو استنتاج عقليّ مبنيّ على أن يكون للزيادة معنى خاصّ بها لئلاّ تكون عبثاً. ويتراءى لي أنّ اقتران التوكيد بالزيادة في أذهان النحاة مستنبط من قضية منطقية مرتّبة على الوجه الآتي:

---

(١١) المغني/ ١١٥– ١١٦.

(١٢) المغني/ ٢٢٥– ٢٢٦.

(١٣) المغني/ ٣٢٧.

قضية كبرى : تكثير اللفظ يفيد التوكيد

قضية صغرى : الزيادة تكثير للّفظ

نتيجة : الزيادة تفيد التوكيد

وقد نجد التوكيد في بعض الأدوات المحكوم بزيادتها مستشفّاً من السياق مدركاً بالحسّ لا بالمنطق كالتوكيد الذي تفيده لام التقوية – مثلاً – فإنّ تلك اللام تزاد لتوكيد علاقة العامل بمعموله نحو قوله تعالى : ﴿للذين هم لربّهم يرهبون﴾(١٤)، وقوله تعالى : ﴿إنْ كنتم للرؤيا تعبرون﴾(١٥)، وقوله تعالى : ﴿فعّالٌ لما يريد﴾(١٦).

ومثله التوكيد الذي تفيده (مِن) الزائدة الجارّة لألفاظ العموم، نحو (ماجاءني من أحدٍ) والمراد بالتوكيد هنا توكيد العموم. فالقول باقتران التوكيد بالزيادة في مثل هذه الحالات مسلَّمٌ به، لأنّ السياق يدلّ عليه والغرض يطلبه والصناعة تستقيم به، فلا مندوحة عنه. ولكنّ ذلك لايبيح لأحد أن يدّعي اقتران التوكيد بالزيادة في كلّ حالة وفي كلّ موضع، لأنّ اختلاف الدلالات يوجب اختلاف الأحكام.

وليس من شأن هذا النقد النحويّ الاعتراض على فكرة الزيادة عينها في المواضع التي لايستقيم فيها معنى التوكيد، بل الغرض لفت النظر إلى أنّ تلك المواضع مازالت تحتمل النقاش، وأنّ ماقيل فيها لايجوز أن يُحمل على أنّه حقائق لايأتيها الباطل.

ثالثاً – أحكام نحوية متفرّقة :

١ – خروج (إذا) عن الاستقبال :

---

(١٤) الأعراف/ ١٥٤ .

(١٥) الأعراف/ ١٥٤ .

(١٦) هود/ ١٠٧ .

قال صاحب (المغني) : «وذلك على وجهين : أحدهما أن تجيء للماضي كما جاءت (إذْ) للمستقبل في قول بعضهم، وذلك كقوله تعالى : ﴿ولا على الذين إذا ماأتوك لتحملهم قلت لاأجد ماأحملكم عليه تولّوا﴾ [التوبة/ ٩٢]، ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها﴾ [الجمعة/ ١١].

وقوله:

ونَدْمانٍ يزيد الكأسَ طيباً   سَقيتُ إذا تغوّرت النجومُ

والثاني : أن تجيء للحال، وذلك بعد القَسَم، نحو ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل/ ١] ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم/ ١]. قيل : لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً لفعل القسم، لأنه إنشاء لاإخبار عن قَسَمٍ يأتي، لأنّ قَسَم الله سبحانه قديم، ولا لكونٍ محذوف هو حالٌ من (والليل) (والنجم)؛ لأن الحال والاستقبال متنافيان. وإذا بطل هذان الوجهان تعيّن أنه ظرف لأحدهما على أنّ المراد به الحال، اهـ .

والصحيح أنه لايصحّ التعليق بـ (أقسم) الإنشائي، لأن القديم لازمان له، لاحال ولاغيره، بل هو سابقٌ على الزمان، وأنه لايمتنع التعليق بـ (كائناً) مع بقاء (إذا) على الاستقبال؛ بدليل صحة مجيء الحال المقدّرة باتفاق، كـ (مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائداً به غداً) أي مقدّراً الصيد به غداً، كذا يقدّرون، وأوضح منه أن يقال: مريداً به الصيد غداً، كما فُسّر (قمتم) في ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [المائدة/ ٦] بأردتم»[17].

أقول : مجيء (إذا) للماضي لايُسَلَّم به، والشواهد التي ذكرها ابن هشام يمكن تخريجها على غير وجه المضيّ. فقوله تعالى : ﴿ولا على الذين إذا ماأتوك لتحملهم...﴾ يتعلّق بحكمٍ بيّنته الآيتان السابقتان: ﴿وجاء المعذِّرون من الأعراب ليؤذَن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله، سيصيب

(١٧) المغني/ ١٢٩- ١٣٠ .

الذين كفروا منهم عذابٌ أليم. ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفورٌ رحيم﴾ [التوبة/ ٩٠- ٩١].

فالحكم هو انتفاء الحرج عن الضعفاء والمرضى وذوي الفاقة في تخلّفهم عن الجهاد، ثم جاءت الآية التي هي موضع الاستشهاد لتضمّ إلى هؤلاء المشمولين بالحكم فريقاً آخر، هم الفقراء الذين رغبوا في الجهاد، ولكنّ الرسول – عليه السلام – لم يجد مايحملهم عليه فتخلفوا مضطرين وقد تملّكهم الأسى والحزن.

صحيح أنّ الآيات تضمّنت حكماً يتصل بحادثة مخصوصة قد وقعت. ولكنْ لّما كان هذا الحكم ينطبق على هذه الحادثة المخصوصة وحوادث أخرى مشابهة يمكن أن تقع في المستقبل، صارت (إذا) مع ماأضيفت إليه في الآية ظرفاً ممتدّاً إلى المستقبل غير محصور في الماضي.

والأمر في الآية الثانية ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها...﴾ أيسر. فالمراد – والله أعلم – زيادة تأنيب أولئك الذين تركوا الصلاة وانفضّوا عن الرسول – عليه السلام – طمعاً في التجارة وخوفاً من فوات فرصة الربح. ولهذا جيء بـ (إذا) لإبرازهم في صورة من يحصل منه هذا الفعل دائماً، في الماضي وفيما يأتي من الأزمنة. ولو استُعملت (إذْ) في هذا الموضع لنقصت الدلالة نقصاناً ظاهراً.

ويصلح هذا التخريج نفسه في الشاهد الشعريّ المذكور أيضاً، فالبيت في معرض الفخر بمنادمة من تُستحبّ منادمته على سبيل الاعتياد المتكرّر. فمن الحيف على المعنى أن تُحمل (إذا) فيه على معنى المضيّ، لأنّ الشيء إذا انقطع في الماضي بطل أن يكون عادةً، وذلك أنقصُ للفخر كما هو بيّن معروف.

وأمّا مجيء (إذا) للحال في الآيتين: ﴿والليل إذا يغشى﴾ ﴿والنجم إذا هوى﴾ فغير مقطوع به، لأنّ ابن هشام صحّح كون (إذا) في الآيتين للاستقبال على أن تكون ظرفاً لكون محذوف من الليل ومن النجم.

وبعد، فمقولة خروج (إذا) عن الاستقبال غير ثابتة، وما استدلّوا به من الشواهد يمكن تخريجه على أوجه تبقى فيها (إذا) للاستقبال فحسب.

٢ – إفادة (رُبَّ) معنى التكثير تارةً ومعنى التقليل تارةً أخرى :

قال صاحب المغني : «وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للأكثرين ولا التكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة، بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً»[١٨].

أقول : الشاهدان اللذان أوردهما ابن هشام لإيضاح معنى التقليل في (رُبَّ) ضعيفان في هذا الباب. فأمّا الأوّل وهو قول أبي طالب في النبيّ ﷺ:

وأبيضَ يُستَسقَى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ[١٩]

فخارج عن هذا الباب لأنّ الواو فيه عاطفة لما بعدها على (سيّدا) في بيت سابق، هو:

وما تَرْكُ قومٍ لاأبا لك سيّداً يحوط الذّمار في مكرٍّ ونائلِ

وقد نبّه المحققان الفاضلان على هذا الوهم الذي وقع لابن هشام في هذا الموضع. ولعلّ الذي قاد ابن هشام إلى الوقوع في هذا الوهم اشتباه صدر هذا البيت ببيت زهير :

وأبيضَ فيّاضٍ يداه غمامةٌ على معتفيه ما تغبُّ فواضلُهْ[٢٠]

(١٨) المغني/ ١٨٠ .

(١٩) المغني/ ١٨٠ .

(٢٠) ديوان زهير/ ٦٨. طبعة دار صادر .

فالواو في بيت زهير هي واو (ربّ)، وهو أنسب للاستشهاد.

وأمّا الشاهد الثاني، وهو قول الآخر :

ألا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلده أبوانِ

وذي شامةٍ غرّاء في حُرّ وجهه مجلّلةٍ لاتنقضي لأوانِ

ويكمل في تسعٍ وخمسٍ شبابه ويهرم في سبعٍ معاً وثمانِ(٢١)

فقد تطرّق إليه الاحتمال؛ لأنّ روايته في الخزانة هي :

عجبتُ لمولودٍ وليس له أبٌ(٢٢)

هذا، وإن صحّت الرواية التي اعتمد عليها ابن هشام، فثمة مايقال في هذا الشاهد. ذلك أن سياق المعنى مؤسَّس - فيما أرى - على الإبهام، لاستثارة فطنة السامع ونباهته، والأبيات أشبه بالأحجية. فالمقصود بصدر البيت الأول عيسى عليه السلام، وبعجزه آدم عليه السلام، وبالبيتين الآخرين القمر. فأن تكون (ربّ) في هذا الشاهد للتكثير أنسب، لأنّ مع إيهام التكثير زيادة في الإبهام وإخفاء المراد.

ويلوح لي أنّ معنى التكثير في (ربّ) هو الأصل، وأن الشواهد المخالفة يمكن ردّها إلى هذا الأصل بلطف التأويل ودقة النظر. ففي قولهم - مثلاً -: ربّ إشارة أبلغ من عبارة، يمكن أن يكون القصد إلى أنّ مثل هذه الإشارة البليغة شيء متعارف مشهور يقع للناس كثيراً. وفي نحو قول الشاعر :

ربَّ يومٍ بكيت منه فلمّا صرتُ في غيره بكيت عليه

يصحّ أن يكون المراد أن مثل هذا اليوم ليس نادر الوجود في حياة الشاعر؛ لأن الشاعر قصد إلى إبراز فكرة تقلّب أحواله من سيّئ إلى ماهو

(٢١) انظر تخريج الأبيات في المغني/ ١٨١ (الحاشية).

(٢٢) خزانة الأدب ١/ ٣٩٧ للبغدادي. بولاق ١٢٩٩ هـ.

أسوأ منه، فسلك مسلك المبالغة محاولاً أن يوهم أن ذلك يحدث له كثيراً .

وفي قولهم في المثل: ربّ عجلةٍ تهب ريثاً، إذا حُمل المعنى على التكثير كان أليق بالغرض، فليس الغرض من هذا المثل إلاّ التحذير من التعجّل وتبغيضه إلى الناس .

٣ – إفادة (في) معنى الاستعلاء :

قال ابن هشام : «الاستعلاء نحو (ولأصلبنّكم في جذوع النخل)، وقال :

هُمُ صلبوا العبديّ في جذع نخلةٍ [فلا عطستْ شيبانُ إلاّ بأجدعا]

وقال آخر :

بطلٌ كأنّ ثيابه في سرحةٍ [يُحْذَى نعالَ السبتِ ليس بتوءمِ]»(٢٣)

أقول : يمكن تأويل المعنى في الشاهدين الأولين تأويلاً يبقي على معنى الظرفية في (في)، ويكون المراد كما ذكر بعضهم تشبيه المصلوب لتمكّنه من الجذع بالحالّ فيه(٢٤). وهذا التأويل أنسب لمقام الوعيد والتهديد في الآية.

وأما قول القائل :

بطل كأنّ ثيابه في سرحةٍ

فمن الواضح أنه مقلوب، والمراد: كأنّ سرحةً في ثيابه، كناية عن عظم جثته. والقلب كثير في كلامهم، ومنه في النثر: (أدخلتُ القلنسوة في رأسي) و (عرضتُ الناقة على الحوض)(٢٥). ومنه في الشعر قول عروة :

(٢٣) المغني/ ٢٢٤ .

(٢٤) هو قول بعض البصريين. انظر المغني/ ١٥١ .

(٢٥) انظر المغني/ ٩١٣ .

قديتُ بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوكَ إلاّ ما أُطيقُ[٢٦]

والمراد: فديت نفسه بنفسي.

وقول القطاميّ:

فلمّا أنْ جرى سِمَنٌ عليها ... كما طيّنتَ بالفَدَنِ السِّياعا[٢٧]

والمراد: كما طيّنت الفدن بالسياع. والفدن: القصر. والسياع: الطين.

٤ – إفادة (في) معنى (إلى):

قال ابن هشام: «مرادفة (إلى)نحو ﴿فردّوا أيديهم في أفواههم﴾[٢٨]».

أقول: لايبعد أن تكون (في) في الآية على معنى الظرفية للدلالة على مبالغة المتحدَّث عنهم في إعراضهم، فكأنّهم أدخلوا أيديهم في أفواههم من شدّة الغيظ[٢٩]. والآية هي: ﴿جاءتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا: إنّا كفرنا بما أُرسلتم به﴾. [إبراهيم/ ٩]

٥ – جواز حذف اللام الواقعة في جواب قسم مقدَّر قبل الشرط:

قال ابن هشام: «وقد تُحْذَف [أي اللام] مع كون القسم مقدّراً قبل الشرط، نحو: (وإنْ أطعتموهم إنّكم لمشركون). وقول بعضهم ليس هنا قسم مقدّر وإنّ الجملة الاسمية جواب الشرط على إضمار الفاء كقوله:

مَنْ يفعل الحسنات اللهُ يشكرها

مردود، لأن ذلك خاصّ بالشعر»[٣٠].

---

(٢٦) نسبه ابن هشام إلى عروة، وليس في ديوانه. انظر المغني/ ٩١٣.

(٢٧) في المغني/ ٩١٣.

(٢٨) المغني/ ٢٢٥.

(٢٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٦٨٢ للقرطبي– دار الغد العربي.

(٣٠) المغني/ ٣١١.

أقول : تقدير القسم هنا مسألة صناعية محضة لادليل عليها من اللفظ. ومن التكلّف تقدير مالا يدلّ اللفظ عليه. ولا يصحّ أن يُجْعَل تجرّد جواب الشرط من الفاء مع استحقاقه لها دليلاً على أنه جواب لقسم مقدّر. وكان يجدر بأولئك النحاة الذين سلّموا بتقدير القسم هنا – ومنهم ابن هشام – أن يبحثوا عن تخريج آخر لخلوّ جواب الشرط من الفاء في مثل الآية السابقة لا أن يتكلفوا تقدير قسم محذوف .

هذا، وتقدير القسم في كلّ المواضع التي ذكروها مسألة فيها نظر. فالقسم أسلوب تعبيريّ له صورٌ لفظية محدّدة متواضع عليها ذات دلالات عقيدية واجتماعية، فكيف يصحّ أن يقدّر القسم من غير أن يظهر له صورة لفظية في الكلام؟. وثمة اعتراض آخر على ابن هشام ومن ذهب هذا المذهب، فكيف يقبلون تقدير القسم وهو أسلوب ذو دلالة في حين ينكرون تقدير الفاء الرابطة لجواب الشرط وهي أقلّ من القسم لفظاً ودلالة، وبنيةُ الكلام أشدّ اقتضاءً لها ؟؟.

وبعد، فتلك أمور استوقفتني في باب الأدوات من كتاب مغني اللبيب حاولت أن أدلي فيها برأي. فإن أصبتُ فإنعامٌ من الله وفضل، وإلاّ، فعسى ألاّ أُحْرَمَ أجر المجتهد. على أنّ ماذكرته ليس هو كلّ ماستوقفني لدى ابن هشام، وإني لأرجو أن يتسع صدر القارئ الكريم لمقالة أخرى في هذا الموضوع. وعلى الله قصد السبيل.

الغوص على اللؤلؤ

في شعر الخليج العربي الحديث

الدكتور الرشيد بو شعير

إن الغوص على اللؤلؤ أثر تأثيراً واسعاً في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والوجدانية والفنية والأدبية بمنطقة الخليج العربي شعبياً ورسمياً؛ فقد أثر – على سبيل المثال لا الحصر – في عادات الزواج ومواعيده[١]، وأثر في الحياة الاقتصادية المتعلقة بدخل الفرد ووجود شريحة عمال البحر التي دخلت في علاقات اقتصادية واجتماعية معينة، وأثر في الأسماء[٢] وألعاب الأطفال[٣] وأغانيهم[٤]، كما أثر في الرقصات والإيقاعات والمواويل الشعبية التي «عبّرت عن كل مرحلة من مراحل العمل البحري، بدايةً من صنع السفينة على اليابسة حتى عودتها من رحلتها الطويلة الشاقة، مروراً بكل التفاصيل الصغيرة لمسيرة العمل فوق السفينة أو تحتها في اليمّ أو في الأرض، مع حملها لكل المعاناة[٥] الجسدية والنفسية للإنسان البحّار في كده اليومي، وحنينه الدائم إلى الحبيبة المرأة والوطن، والأطفال والاستقرار والطمأنينة»[٦].

هذا الأثر العميق لايتجلّى لنا في الفنون والآداب الشعبية فحسب، وإنما يتجلى لنا في الآداب الرسمية[٧] كذلك، ويتجلّى لنا في الشعر بالتحديد

(وهو مجال دراستنا هذه) .

والحقيقة التي تغيب عن أذهان كثير من الدارسين أن حياة البحر والغوْص على اللؤلؤ تتجذّر آثارها في الشعر العربي منذ العصور القديمة؛ ذلك أن علاقة الإنسان العربي في الخليج بالبحر واللؤلؤ علاقة عريقة وليست طارئة .

ومن الشعراء القدامى الذين تهدينا أشعارهم إلى هذه الحقيقة نتمثل بكل من «المسيب بن علس»(٨)، و «الأعشى ميمون»(٩)، و «المخبل السعدي»(١٠) و «أبي ذؤيب الهذلي»(١١)، وغيرهم.

ونجد كذلك شعراء آخرين في العصر الأموي من أمثال «القطامي»(١٢) و «الفرزدق»(١٣) .

وليس من شك في أن هذا الارتباط القديم بالبحر والغوص في منطقة الخليج العربي يضفي على الشعر المعبّر عنه مسوح الظاهرة الأدبية المتميّزة التي تعد «مفاجأة» بالنسبة إلى بعض الدارسين الذين تعوّدوا أن ينظروا إلى الشعر الحديث في هذه المنطقة بوصفه شعراً ظل ملتزماً بالإصلاح الاجتماعي والقضايا الوطنية والتربوية التي كانت «من القوة والبروز بحيث طبعته بطابعها القوي المؤثر الذي طغى على الجوانب الفنية والجمالية والأدبية الخالصة»(١٤)، على حد تعبير الدكتور محمد جابر الأنصاري.

وإذا كانت ملامح هذه «الظاهرة» الشعرية قد تجلّت بوضوح في بعض الأقطار الخليجية بفضل الدراسات المحدودة التي التفتت إليها(١٥)، فإن بعض الأقطار الخليجية الأخرى لمّا تتضح فيها ملامح هذه الظاهرة بعد؛ وذلك لأسبابٍ تتعلق أساساً بغياب الدراسات التي تنقّب عن النصوص الضائعة التي تنتظر من يبحث عنها ويجمعها ويوثقها، وخاصةً في تلك المجتمعات التي كانت تعتمد على الرواية والمشافهة وليس على التدوين والكتابة؛ لأن وسائل

الطباعة والنشر لم تعرف فيها إلا في فترة متأخرة نسبياً .

إن عدم اكتمال هذه الظاهرة الشعرية في بعض الأقطار الخليجية يُتّخذ ذريعةً للشك في أصالة الشعر العربي الحديث في تلك الأقطار وصدق التجربة التي يعكسها. ويكفي في هذه العجالة أن نقف عند رأي الناقدة «خيرة الشيباني» التي سجلت حيرتها أمام غياب شعر الغوص في الإمارات العربية المتحدة على النحو الآتي: «فمن المفارقات العجيبة ألا نجد في شعر الامارات رائحة الخليج وملوحة جلد الغواصين وأغانيهم المحمّلة والمثقلة بالتعب والهم واليأس تارةً، والهازجة بالأمل وفرحة الكسب تارة أخرى. إننا لانجد في شعر الامارات - كما نجد في الشعر الكويتي أو البحريني خاصة - أخباراً عن رحلات الغوص وانتظار الزوجة والحبيبة وأغاني الوداع واللقاء وتراتيل الدعاء بالعودة المظفّرة ولاجشع النوخذة واستغلالهم لعمل الغواصين، ولا نجد أنين الصواري وأغاني الأشرعة.. كيف كان نموذج الغوّاص غائباً في شعر الإمارات في حين أن سكانها كانوا يعيشون على صيد السمك والبحث عن اللؤلؤ في أعماق البحر في رحْلات شاقة طويلة؟»(١٦)

وكما نرى فإن هذه الناقدة تفصل بين الشعر والحياة الواقعية المعيشة في الإمارات، وبالتالي فإنها تشك في أصالة هذا الشعر الذي لايعكس حياة الغَوْص، وكأنَّ غياب هذا اللون من الشعر في منطقة من مناطق الخليج حجةٌ دامغةٌ على غياب الأصالة الشعرية!

ولعله من نافل القول الاشارة إلى أن غياب شعر الغوص في قطر من أقطار الخليج العربي التي كانت على صلة وثيقة بالبحر والغوص ليس دليلاً كافياً على غياب الأصالة الشعرية التي يمكن أن تتحقق في ألوانٍ أخرى من الشعر، كشعر الغزل والشعر الوطني والشعر القومي وما إلى ذلك. كما أنه من الصعب أن ننفي وجود نصوص شعرية تتناول الغوص في الإمارات

وبائس يمقت الدنيا ويسخطها ويقصده من جور أزمان*
قد صُد في وجهه بابٌ ونافذةٌ فلا يرى غيره رَوْحاً لحيران»(٢٠)

وهذا اللجوء إلى البحر ليس جديداً في الشعر العربي؛ فهو شائع في أعمال الشعراء الرومانسيين العرب، وخاصة في أعمال المهجريين وجماعة «أبوللو»؛ إذ إننا كثيراً مانجد هؤلاء الشعراء الرومانسيين يلوذون بالبحر فارين من قسوة الحياة وزيف القيم الاجتماعية مبتغين التأسي، على نحو مانرى عند إبراهيم ناجي الذي يلجأ إلى البحر فيناجيه على النحو الآتي :

«قلت للبحر إذ وقفتُ مساءَ كم أطلتُ الوقوفَ والاصغاء
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
أنت عاتٍ ونحن حرب الليالي مزقتنا وصيرتنا هباءَ
وعجيبٌ إليك يمّمتُ وجهي إذْ مللتُ الحياة والأحياءَ
أبتغي عندك التأسي وما تمـ ـلك رداً وما تجيب نداءَ!»(٢١)

وقد تتخذ هذه العلاقة الرومانسية بالبحر والغَوْص صورةً أخرى، وهي صورة الرحلة. وهنا نجد الشاعر يصف رحلته وصفاً حيادياً لايعكس بالضرورة موقفاً محدداً ولا يعبّر عن تجربة مأساوية أو بطولية بقدر ما يعبّر عن تجربة سياحية. ويمكن أن نتمثل هنا بقصيدة للشاعر الاماري الجامح «خلفان بن مصبّح»، وهي قصيدة «ركوب البحر» التي وصف فيها رحلته إلى الكويت، والتي نقتطف منها مايأتي :

«ليوم السبت من شوال قمنا لأربع قد خلون وعشر تال
ركبنا اللجة الزرقاء نحدو وفوّضنا الأمور لذي الجلال

(*) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن ويمكن اصلاحه بإضافة (جاء) فيصبح: وجاء يقصده من جور أزمان / [المجلة] .

وسار الفلك يمخر في عباب ... تقاذفه الجنوب مع الشمال
ولاح لنا «الكويت» على مغيب ... وقد جزنا به وقت الزوال
ومن «حالول» سرنا بانتباه ... ومجرانا «السماك» بكل حال
وهبت، عند نصف الليل، ريح ... وهب الجمع يمسك بالحبال
يغطي الموج منا كل شيء ... ويظهر بالعناد ولا يبالي
وصوت «النوخذا» يأتي إلينا ... كما الوديان تهدر في الجبال
وعصف الموج شتتنا فبتنا ... كريش لايقر على مجال»[٢٢]

إن «خلفان بن مصبّح» في هذه القصيدة - التي يخصّص مقطعاً منها لوداع الأحبّة قبيل ركوب البحر ومقطعاً آخر لوصف مدينة الكويت ومظاهر الجمال والرقيّ فيها، بالاضافة إلى وصف رحلته البحرية - لايعاني تجربة الغوص بوصفه غواصاً؛ فكل مافي الأمر أنه كان «يرافق جده وأخواله في رحلات الغوص خلال فصل الصيف فقط، ولم يكن يقوم بعمل محدّد، إنما كان يرافقهم بقصد الاطلاع والمعرفة واكتساب الخبرة»[٢٣] كما تؤكّد شقيقته «غاية».

والجدير بالملاحظة هنا أن «خلفان بن مصبح» قد صاغ تجربته في هذه الرحلة على شكل مذكرة، وهو الشكل الذي يطوره «محمد الفايز» فيما بعد في ديوانه «مذكّرات بحّار» .

كما نجد الرؤية الرومانسية تتخذ صورة أخرى، وهي الصورة الملحمية البطولية. وهنا نجد الشاعر الخليجي يعتز بما في الآباء والأجداد من الغاصة الذين كانوا يوجهون البحر فيتحدون أخطاره وأهواله بإرادة نادرة وينتزعون رزقهم عنوة دون خوف أو خور .

ومن أبرز الشعراء الخليجيين الذين كانوا يصدرون عن هذه

العربية المتحدة؛ فعلى الرغم من قلة تلك النصوص، فإن هناك قصائد لشعراء رواد من أمثال سالم بن علي العويس وخلفان بن مصبّح، وشعراء معاصرين من أمثال الدكتور مانع سعيد العتيبة وسلطان خليفة وغيرهما، كما سنرى بعد قليل .

وربما كانت قلة هذا اللون الشعري في بعض أقطار الخليج العربي مرتبطة «بمفهوم الأدب»[١٧] لدى شعراء تلك الأقطار، وهو المفهوم الذي يجعل الأدب قصراً على الموضوعات الاصلاحية والتربوية والجمالية المثالية .

* * *

وأيا مايكون الأمر، فإن هناك كثيراً من الأعمال الشعرية الحديثة التي تعكس حياة الغوص في منطقة الخليج العربي، سواء أكانت تلك الأعمال لرواد محدثين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين أم كانت لمعاصرين عاشوا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وإذا أردنا أن نصنف هذه الأعمال على أساس المضامين فإننا نجد رؤى متعددة يمكن حصرها فيما يأتي :

أ - الرؤية الرومانسية : وقد تكون ذت مستوى سطحي تسجيلي يكاد يقترب من المستوى الحرفي عند الواقعيين الطبيعيين . والشاعر هنا يتعامل مع البحر والغوص من الخارج بوصفهما من المشاهد الطبيعية الجميلة الخلابة التي تداعب الحس الجمالي وتدغدغ عاطفة الاعجاب أو الهيام على الطريقة الرومانسية. ونستطيع أن نتمثل لهذه الرؤية بقصيدة الشاعر القطري محمد أحمد عبد الله المطوّع التي تحمل عنوان «البحر»، وهي القصيدة التي نجتزئ منها الأبيات الآتية :

«قوارب فوقه كالدرّ في نظم أم أنها ماثلت أشجار وديان

لولا البحور فما كانت بنافعة ... الله سيّرها في ماء خُلجان
ماذا إذا غُصت في الأعماق تكشفه ... من غامض السر في أصدافِ عقيان
رأيت أبهى جمال في بواطنه ... مالم ير المرء من عُجْمٍ وعربان
الدرّ يكمن في أحشائه حُللاً ... ويستقر بقاعٍ كل مَرْجان
نجومُه روْعةُ الأشكال هندسةً ... أفراسه نمط من جنس حيتان
الله أودعه من فيض قدرته ... في بحرنا عجب من صنع ديّان
فيه الجمالُ وفيه الحب منبثقٌ ... للناس أجمعهم في كل أحيان»[١٨]

فالشاعر هنا يحرص على وصف مظاهر الجمال في البحر مبدياً إعجابه بما يراه على سطحه من قوارب قد انتظمت كالدرّ أو كأشجار الوديان، وبما يراه في أعماقه من أصداف ودر ومرجان ونجوم ذات أشكال هندسية رائعة، وحيتان وما إلى ذلك من «غامض السر» الذي أودعه الله «من فيض قدرته» .

وهي الرؤية ذاتها التي نكاد نجدها عند شاعر آخر، وهو «سلطان خليفة» في قصيدته «شاطىء المحار» التي نقتطف منها الأبيات الآتية :

«أتيت أستفسر الشطآن عن صَدَفٍ ... حوى اللآلي هل يدري خفاياه
هذي المحارةُ هل تدري بداخلها ... كنزاً هو الكنز أغرانا بمرآه
ماأجمل اللؤلؤ المكنونَ إن نضدت ... حباته فوق جيد عشت أهواه»[١٩]

وهذا الجمال الخلاّب يجعل من البحر محراباً يلوذ به أولئك البائسون الذين يلوكهم الضنى ويتنكر لهم الخلان ويجور عليهم الزمان. وهو مايشكل رؤية متميزة إلى البحر بوصفه ملاذاً، على نحو مانجد في قصيدة محمد أحمد عبد الله المطوّع آنفة الذكر، وذلك في قوله :

«كم عاشقٍ مغرمٍ مُضنى محبته ... يشكو إلى البحر نجوىً هجرَ خلاّنِ
وكم عليلٍ حكى للبحر مايجد ... من لوعة القلب في صمت وإعلان

الرؤية الشاعر الاماري الدكتور مانع سعيد العتيبة في مطولته الشعرية الموسومة «بالمسيرة»، وهي المطوّلة الملحمية التي تناول فيها مسيرة الشعب العربي في الإمارات.

ولا يسعنا هنا إلا أن نثبت الجزء الخاص بمرحلة الغوص في هذه «المسيرة» بوصفها لوحة مكتملة نحرص على تقديمها كما هي :

«كان للوالد في البحر رفاقٌ وسفينه
صنعوها بالأيادي السمر شماءَ متينه
رفعوا فيها شراعَ الحبِّ لاشرع الضغينه
فإذا الأمواجُ ثارتْ ولها صارتْ رهينه
برزَ الإيثارُ فيهم وبطولاتٌ دفينه
قهروها بثبات وإراداتٍ مكينه
كلَّ صيفٍ يبحر الوالدُ في عرض الخليجْ
فإذا حانَ رحيلٌ قام في الحيِّ ضجيج
منْ يراهم في صفوفٍ خالهم بعض الحجيج
يحملونَ الزادَ والماءَ وذكرى كالأريج
ودّعوهم بابتسامٍ لابنَوْحٍ أو نشيج
واطلبوا من خالق الكون لهم عوداً بهيج
تذهبُ الأسرة للشاطئ تسعى للوداع
فترى الوالدَ مشتاقاً لغوْصٍ وصراع
قال : ياأولاد لاتخشوا علينا من ضياع
بحرنا نعرفه طفنا على كلِّ البقاع
صرخ الأولادُ فارجع غانماً ياخير راع .

ورجـــاءً أيهـــا الـريـــح تـرفّق بـــالـشــــراع
ومضى المحمل فامتدت من البر الأيادي
لوّحتْ قالت وداعاً: إنكم فخر البلاد
رفع النّهّام صوتَ العزم بالصبر ينادي
يتحدّى عاصفاتِ البحر والموْجَ المعادي
منشداً للرزقِ أسعى وعلى الله اعتمادي
فاستريحي ياعيونَ الأهل من شوك السهاد
ترجع الأسرة للبيت بحلو الذكريات
غابَ راعيها ولكنْ في غدٍ لابد آتِ
يحملُ الرزقَ وفيراً بعد نأي وشتات
يزرعُ الأفراح في كل النواحي والجهات
قبل اليومَ التحدي وصراعَ العاصفات
ومضى يصنعُ درباً للمعالي في الحياة
تبدأ الرحلةُ دوْماً بعبورٍ للبحارْ
وعناقٍ مع موجٍ ووقوفٍ لاختبارْ
ينزل الغواصُ للأعماقِ بحثاً عن محارْ
نامَ مابيْنَ صخورٍ ماتمنّى أنْ يُزَارْ
فإذا شحَّ عطاءٌ ملَّ قومي الانتظار
ردَّد النَّهامُ لحناً والمجاذيف تُدار
كلما أشرقَ صُبْحٌ نزل الغاصةُ بحرا
ثم غاصوا باحتمالٍ يقهرُ الأعماقَ قهْرا
جمعوا منها محاراً كان يخفي فيه سرّاً

ثم عـادوا واستـراحوا من عنـاءِ الغوصِ ظـهرا
وأعــدّوا لـغــداءٍ بـعـضَ أسـمــاكٍ وتمـرا
لـم يـرومـوا غـيــرَه زاداً فـيـنـا الله شـكـرا
بـعـدها عـادوا لـغـوصٍ بقـلوبٍ لاتـهـابْ
حولْهـم طافتْ وحوشٌ أشـرعت سيفـاً ونابْ
قـابلـوها دون خـوفٍ فـالتـحـدي مستـطابْ
سـمـكُ القـرش الـذي مـابين فكـيـه الخرابْ
كـان يلقـاهم فـيمـضي بـاندهاشٍ واضـطرابْ
هـكذا من رام مـجْـداً لايـالـي بـالصـعـابْ
ثـم يأتـي كـشفُ أسـرار المحـارات الـدفـينهْ
وهـنـا أحلى لقـاءٍ يفـرحُ الـنفسَ الحزينهْ
بعـضهـا جادت بـخير غيـرُها كـانت ضنينهْ
هـي بـعـد الـبـيـع دخلٌ يتـمـنـى أن يـعـينهْ
وعـلـى صـدر الـغـواني زادت الـزينـة زيـنـهْ
مـضتِ الأيـامُ نادى الـشوقُ ركـابَ الـسفين
تركـوا الغـوْص وعـادوا واستـجـابـوا للحـنين
يـابلادَ الأهـل والأحـبـاب جـئـنـا منـشـديـن
مـعـنـا الخـيــرُ وفـيــرٌ لـؤلـؤٌ حـلـوٌ ثـمـين
صـرخ الوالـد نادى بـين صـحـبٍ مـخلصـين
أسـرتي فـلتبـشري قـد جـئت بـالنصـر المبينْ
وعلى الشاطىء كان الأهلُ في أحلى اجتماعْ
يـرقـبـونَ الأفـقَ النـائي فـإن لاح الـشـراعْ

ضَجّ بالترحيب أطفالٌ وصاحوا باندفاعْ
مرحباً يامَنْ إليكم ظمئ القلبُ وجاعْ
مرحباً ياخيرَ آباءٍ لقد طال الوداعْ
عدتم اليومَ بكسبٍ خيره عمَّ وشاعْ»(٢٤)

إن الدكتور مانع سعيد العتيبة في هذه «المسيرة» الملحمية يتابع رحلة الغوص من البداية حتى النهاية، وذلك بدءاً من صنع السفينة حتى العودة بالخير الوفير؛ فالآباء يصنعون سفينة الرحلة بأيديهم «السمر» ويرفعون عليها «شراع الحب» وليس «شرع الضغينة»؛ فإذا كانت بعض الشعوب تصنع السفن من أجل الاعتداء على بني البشر الآمنين فتغزوهم في عقر ديارهم ظلماً وعدواناً، فإنّ هؤلاء الآباء كانوا يصنعون السفن من أجل مواجهة أمواج البحر وحيتانه ووحوشه في إرادة وإيثار وصبر وجلد وبطولة «دفينة» موروثة أباً عن جد. إنهم يبحرون كل صيف وهم يحملون الزاد المادي القليل الذي يكاد يقتصر على شيء من التمر والسمك وجرعة ماء، ولكنّ الزاد الروحي الذي يستمدونه من الإيمان بالله لاينضب معينه ولا يغيض، ولهذا فإنهم يشكرون الله ويعتمدون عليه، فيندفعون إلى الرحلة وهم يشتاقون إلى الغوص والصراع مطمئنين أهلهم الذين يقفون على الشاطىء مودعين .

وبينما يعود الأهل إلى بيوتهم وهم يلوكون «حلو الذكريات» ويحلمون بعودة أولئك المبحرين الأبطال بالخير الوفير، يشرع الغاصة في عبور الأمواج والنزول إلى أعماق البحر باحثين بين الصخور عن المحار الذي ينطوي على اللآليء الجميلة، غير مبالين بالوحوش التي تشرع سيوفها وأنيابها .

وهنا يستخلص الشاعر حكمة من حياة هؤلاء الغواصين الأبطال؛ «فمن دام مجداً لايبالي بالصعاب». ويعود الغاصة بعد أيام منتصرين يحركهم الشوق إلى وطنهم وأحبائهم وهم ينشدون ويحلمون بالخير الوفير الذي يعم الجميع فيستقبلهم أهلهم الذين يرقبون عودتهم بفارغ صبر مندفعين مرحين .

تلك هي زبدة الحكاية الملحمية التي صاغها الدكتور العتيبة شعراً معبراً عن رؤيتة الرومانسية البطولية التي تتجاوز الغاصة المبحرين إلى الأهل المودعين الذين يبدون كثيراً من الصبر والجلد والصمود في هذا الموقف الدقيق. ذلك أن المودع لايدري ماإذا كان الغائص سيعود إلى منزله فيرى أبناءه وزوجته مرة أخرى. وكأن الشاعر يحس بغنى هذا الموقف وإيحائه بعاطفة إنسانية عميقة فيخرج عن سمت الأسلوب السردي الملحمي الحيادي إلى الأسلوب الانشائي الذي يتيح له أن يعبر عن إحساسه وموقفه مباشرة:

«ودّعوهم بابتسام لابنَوْحٍ أو نَشيجْ
واطلبوا من خالق الكون لهم عَوداً بهيج»[٢٥]

ولعلنا نستطيع أن ندرج رؤية خليفة الوقيان في قصيدته «المبحرون مع الرياح» ضمن هذه الرؤى الرومانسية؛ ذلك أنه ينظر إلى هذه الشريحة الاجتماعية نظرة مثالية تعبّر عن تعاطفه الانساني معها وإشفاقه عليها. إن خليفة الوقيان في هذه القصيدة يعبر عن معاناة هؤلاء الغواصين، ولكنه يتعاطف معهم من بعيد على طريقة تعاطف الرصافي مع «الأرملة المرضعة»، وهي رؤية مناقضة لرؤية سلطان خليفة أورؤية محمد أحمد عبد الله المطوّع أو الدكتور العتيبة.

ونكتفي بتقديم نماذج من قصيدة «المبحرون مع الرياح» التي تترجم هذه الرؤية الرومانسية :

«أوراقكم في غُصنها يبستْ ويد الشتاء تذيبُها سَحْقا
وجذوعكم عُريانةً سَجَدتْ والريحُ تَحرقُ عُريَها حَرْقَا
أثوابُكم مِزَقٌ ومَا خُلِعتْ حتام فوقَ جلودكم تبقى
كم رحتُ أخلعُ فوقها جَزَعاً ثوبي، وكم لملمتُها رتْقا
الريحُ تسرَحُ في شراعِكُمُ غرباً، وأبحرُ فيكم شرْقا
إنّي سأرشقكم إذا حُرقَت أجفانكمُ بأزاهري رشقا
قلبي لكُمْ في كل مُفْترقٍ زيْتُ السِّراج بليلكم يَشْقى»[٢٦]

وسنرى فيما بعد أن «علي السبتي» ينقض هذه القصيدة معبّراً عن رؤيةٍ واقعية مختلفة عن هذه الرؤية الرومانسية[٢٧].

ب – الرؤية الواقعية : وهي الرؤية التي يتبناها كثير من الشعراء الخليجيين الذين يأتي في مقدمتهم كل من سالم بن علي العويس وخليفة الوقيان ومحمد الفايز صاحب القدح المعلّى الذي استطاع – في تقديرنا – أن يجعل شعر الغوص غرضاً من أغراض الشعر العربي الحديث .

ونجد أن هؤلاء الشعراء لم ينظروا إلى الغوص نظرة رومانسية جمالية أو سياحية أو بطولية، وإنما نظروا إليه بوصفه مظهراً من مظاهر المعاناة المادية الجسدية والعذاب النفسي والجور الاجتماعي .

إن «سالم بن علي العويس» في قصيدته «الغوص واللؤلؤ» يقف على الشاطىء فيرى حُطامَ السفن الذي كان يبدو كالخرائب أو الرسوم البالية فيستحضر ماضي الغوص أيام كانت تلك السفن في عز نشاطها وحركتها مستخلصاً العبر والمواعظ من هذا الموقف الذي يبدو فيه الزمن ساخراً من الإنسان :

«لِمَن السفينُ تلوح كالأطلال بعد الزّعامة والمقام العالي
تلك التي رفعتْ لواءَ رجالها في المهمه القتَّال عند الآلِ

تلك التي بُنيَتْ لتجني لؤلؤاً — الله أكـــبـــر من حـــصـــاد لآل
رفعتْ لواءَ المسرفين وأنبتتْ — داءَ السُّلالِ بكل من ذي مال
عَصفَت رياح السوء في أعطافهم — فلووا رؤوساً في رقاب جِمال
ماقومُ هودٍ أو شُعيْبَ وصالحٍ — منهم بعيد والخرابُ الحالي
الجودُ والتقوى الكذوب تزعزعتْ — من فتنةٍ في مخنق قَتَّال
لا الشـــعـــبُ إن الـنـزالَ مـــؤيداً — شـيـخـا ولا للحق من أطلال*
والشعب إن عزَّ النفير بأهله — بات المقاتلُ فيه غيرَ مبالِ
والشعب إن قلَّت مرافق يومه — دبَّ الخراب بكل بيت عال
وهناك تلتبس الأمور وينطوي — ذاك البساط بزاجر الأمثال
هيهات أيتها السفينُ فإنما — وضح النهارُ ولات حين خيال
للخيزرانة فوقَ ظهرك لمعةٌ — كالبرق تلمع في المريض البال
كي تدفعيهم إلى البحر الذي — يقضون فيه لضعفهم في الحال
أينَ الشريعةُ من صنيعك فاذكري — يوميك عند زعيمك المختال
وسليه هل في فيه بعدُ بقيةٌ — من أنيب الأيام والأمـثـال
أعيا الزمانُ غدوَّه ورواحه — وأقامه للبغي كالتمثال»(٢٨)

إن هذه القصيدة الطويلة التي نجتزئ منها هذه الأبيات تعكس مدى علاقة الشاعر بعالم الغوص والبحر، وتجسد «ارتباطه الانساني الوطني»(٢٩)، وصدوره عن تربة أرضه ذات الرائحة المتميزة. فالشاعر يبدي تعاطفه العميق مع الغاصة الذين كانوا يعانون في هذه السفن من عصف الرياح وداء الصدر ووجع الخيزران الذي كان يلهب ظهروهم دون أن يأخذوا المقابل المادي

(*) الشطر الأول من البيت مختلّ الوزن،،وهو من الكامل، وقد أسقط الباحث فعلاً بعد (إن) والوزن يستقيم بإضافة فعل (رام) أو نحوه فيصبح: لا الشعب إن رام النزال مؤيداً. / [المجلة] .

المشروع الذي يساوي ذلك العذاب. ولكن الزمن جعل تلك السفن أثراً من الآثار التي تظل شاهداً على ذلك الماضي القاسي الجامد كالتّمثال.

إن سالماً العويس – كما نرى – يصدر عن رؤية واقعية تدين العلاقات الاجتماعية التي كانت مرتبطة بالغوص، ولكن هذه الرؤية تظل منسجمةً مع ثقافة الشاعر وعقيدته الروحية ولا تتقولب في نسق أيديولوجي معيّن .

وإذا كان سالم بن علي العويس – كما مرَّ – يدين «النواخذة» الذين يرى أنهم لم ينصفوا الغاصة، فإن «عليا السبتي» – الذي ينقض قصيدة «خليفة الوقيان» آنفة الذكر بقصيدة تحمل العنوان ذاته «المبحرون مع الرياح» صادراً عن رؤية واقعية تختلف تماماً عن رؤية «الوقيان» الرومانسية – يدين الغاصة أنفسهم ويحملهم مسؤولية المعاناة التي يعانونها محاولاً تجسيد مواقفهم السلبية على النحو الآتي :

«من تُتَّخَذْ أمي عروسته	عمّي يصيرُ ووالداً أنْقى
هذي سياستهم ومبدؤهم	الجمعُ إنْ غِشا وإنْ صِدْقا
سلني فعندي بعضُ معرفةٍ	بالمبحرين تخالهم غرقى
وتخالُ من زيفٍ عيونَهُمُ	نبعيْن من نهر الهوى شُقا
أيْن الهوى من عين لاهثةٍ	خلفَ السراب تظنه برقا»(٣٠)

إن رؤية «علي السبتي» هنا تتضمَّن ثورة مكبوتة؛ فكأنه ينتظر منهم أن يتمردوا على أوضاعهم وأن يغيّروا مابأنفسهم حتى يغير الله مابهم .

وهذه الرؤية الواقعية تظل رؤيةً نشازاً بين الرؤى الواقعية الأخرى التي نراها عند شعراء آخرين من أمثال مبارك بن سيف ومحمد الفايز وغيرهما . فالشاعر مبارك بن سيف في قصيدته «سفن الغوص البائسة» يتعاطف مع الغواص فيخاطب ماء الخليج:

«ظالمٌ أنت وجبار وغدار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الأعماق
كالصيد الدفين
وهي لاتعدو سراباً أو كمين
وترى الغواص منهوك القوى
يقتفي آثار درة
قد يلاقيها إذا طال عناؤه
قد يلاقيها ويمسكها ويفرح
وتكون المسكة الأولى له آخر مرة
ثم يبدلها ويفديها بتمرة
ويغنّي.. ويصفق
ويردّد آهة النَّهّام
في الليل الحزين»(٣١)

إن الغواص - كما يقدمه لنا مبارك بن سيف - يعاني من ظلم البحر وجبروته وغدره؛ لأن البحر يزرع اللؤلؤ في أعماقه كميناً يصطاد به ذلك الغواص المسكين الذي مايكاد يمسك بالدرة بعد جهد جهيد حتَّى يضطر أن يتخلّى عنها مقابل تمرة يقتات بها ويواصل تفاؤله وأمله السرابي فيصفق ويردد آهة «النهام» .

ومحمد الفايز في ديوانه «مذكّرات بحار» يتعاطف هو الآخر مع الغواص، ولكنه يختلف عن الشعراء السابقين من حيث كونه ينطق بلسان ذلك الغواص ويعبّر عن معاناته المأساوية من الداخل وليس من الخارج. ومن هنا فإنه يلجأ إلى شكل شعريّ يعد جديداً في الشعر العربي الحديث وهو شكل المذكرات الذي ينسجم مع هذه الرؤية الواقعية الحميمة التي تلتقط

فُتات حياة الغواص اليومية في البر والبحر :

الشمسُ فوقَ السور تُشْرق مثلَ قنديلٍ كبيرْ
تهدي خُطانا مثلما كنّا على ضوء النجومْ
في الليل نسري عبرَ هاتيك البحارْ
أيامَ كنتُ أعيش في الأعماق، أبحثُ عن محار
لقِلادةٍ. لسوار حسناء ثريهْ
في الهند. في باريسَ. في الأرض القصيهْ
أيامَ كنتُ بلا مدينهْ
وبلا يدٍ تحنو عليَّ ولا خدينهْ
إلا حبالي والشراعْ
ويدي المقرَّحة الأصابع والضَّياعْ
والريحُ. والأسماك في القاع الرهيبْ
غَرثى تطاردني بعالمها الغريبْ
عن عالمي القاسي العنيفْ
يابحرُ. ياقبراً بلا لحْدٍ. ويادنيا عجيبهْ
أجتازُ عالمها المخيفَ بروح بحّار كئيبهْ
أبداً يغنيّ للسواحل والعيالْ
يترقبون قدومَه بعد المحال
ويعود من رحْلاته كيما يعودْ»(٣٢)

إن محمداً الفايز يعبّر عن ضروب المعاناة التقليدية التي يحياها الغائص، سواء كانت معاناة مادية أونفسية، بدءاً من مصارعة الريح والموج وأسماك القرش والأيدي المقرّحة، حتى الاحساس بالضياع والإحباط والجهد العقيم والظلم والاغتراب والحنين إلى الأهل وعدم الاستقرار، ولكنه

يتميّز عن غيره بإحساسه المرهف الحاد الذي يقطع كالشفرة .

وإذا كان غواص محمد الفايز يشقى بحياة البحر الذي يعده «قبراً بلا لحد»، فإنه يشقى كذلك بحياة البر الذي يعده أفظع من البحر:

«أواه ياأرضَ الحرائق والسمومْ
البحر أحنى من ضفافك، والشراعْ
أذرى إليّ من الصنوبر، يابحار
الملح فيك ألذ من عنب الدوالي في المدينةْ
فخذي شراعي يارياحُ خذي السفينهْ»(٣٣)

ولو أردنا أن نبحث عن نصوص شعرية أخرى تصدر عن الرؤية الواقعية لوجدنا عدداً كبيراً منها، ولكنَّ تلك النصوص لن تضيف شيئاً إلى هذه الرؤية؛ لأنها لاتعدو أن تكون مجرد صدى لصوتٍ واحد .

حـ – الرؤية العبثية : وهنا لابد أن نلفت النظر بدءاً إلى أن هذه الرؤية ليست مكتملة في أعمال الشعراء الخليجيين، بل إنها أقرب ماتكون إلى الارهاصات العبثية التي تعدّ مستوردة من الثقافة الغربية وليست نابعة من قيمنا العربية الاسلامية المحلية .

وتبدو لنا ملامح هذه الرؤية شذرات أو أشتاتاً متفرقات في بعض الأعمال الشعرية التي تناولت غرض الغوص، ويكفي أن نشير في هذه العجالة – على سبيل المثال لاالحصر – إلى الاحساس الممض بعقم جهد الغائص على نحو مارأينا عند مبارك بن سيف الذي يصوّر ذلك التعب المضني الذي يعانيه الغائص من أجل الظفر بالدّرة دون طائل؛ فكل ذلك التعب يذهب هباءً، مادام الغواص يضطر أن يتخلّى عن تلك الدرّة مقابل تمرة. وهو الاحساس الممض ذاته الذي نجده في أعمال محمد الفايز الذي

يعي غواصُه جيداً أن ثمار جهوده لايقطفها هو، وإنما تقطفها امرأة مجهولة في «الهند» أو في «باريس» أو «في الأرض القصيه»[٣٤]، فتتخذ من تلك الدرة حلية تزين معصمها أو أذنيها أو جيدها .

ومن هنا فإنَّ غوّاص محمد الفايز في المذكرة العشرين من «مذكرات بحار» يرفض الأرض التي تقدم «الغلال» لغيره وتقدم له «الشوك» و «السهر»[٣٥] .

ومن شذرات هذه الرؤية كذلك أن الغواص في كثير من قصائد الغوص دائم الابحار، مايكاد يضع قدمه على عتبة بيته ويرى الفرحة في عيون أبنائه حتى يعود إلى السفينة من جديد .

إن مثل هذه الشذرات التي ترتبط بالرؤية الواقعية تتمخض عن رؤية جديدة تعد امتداداً للرؤية الواقعية، وهي الرؤية العبثية التي عبّر عنها قاسم حداد بشكل جيد في قصيدته «البشارة» عندما وظف أسطورة إغريقية قديمة سبق لمفكر وأديب عبثي فرنسي، وهو ألبير كامي، أن وظفها للتعبير عن فلسفة العبث في كتابه الشهير الذي يعد مفتاحاً لعالمه الفكري والأدبي، ونعني كتابه «أسطورة سيزيف»[٣٦].

فإذا كان «سيزيف قد حُكم عليه بأن يدفع صخرة عاتية إلى قمة الجبل كي تعود فتتدحرج إلى سفحه ويعود إلى دفعها إلى القمة من جديد، وهكذا دواليك طوال حياته، فإن قاسم حدّاد في «البشارة» يوظف هذه الأسطورة للدلالة على عبثية حياة الغواص وعقم جهده وتكرار رحلاته دون جدوى :

«ياثوبَ والدتي المرفرفَ فوقَ هامة بيتنا
يُعطي البشارهْ
إن سيزيف الذي قد غاب عادْ
عاد يحمل صخرةَ الانسان يابحر الرمادْ

سيزيف عادْ
في وجنتيه علامةُ الشوق الجريح
وفي يديهْ
تبكي شرايينٌ على ماضٍ كسيح»[٣٧]

وهنا ينبغي أن نلفت النظر إلى أن العبث هنا يظل محدوداً يشمل الوضع الحياتي الانساني لفئة اجتماعية معينة، وهي فئة الغاصة، ولا يشمل الوضع البشري العام، أي أن العبث لم يكن رؤية إنسانية عامة أو مشروعاً فكرياً يستهدف تفسير الوضع البشري المطلق، وإنما كان امتداداً للرؤية الواقعية. ومن هنا فإن هذه الرؤية العبثية تظل محصورة في نطاق المجال الاقتصادي والاجتماعي، ولا تمتد إلى المجال العقائدي الروحي.

د – الرؤية الرمزية : ومنذ البداية أعلن أن إرهاصاً ظل ينتابني أمداً طويلاً، وهو أن الرمزية التي طالما تناقر النقاد والمنظرون حول مفهومها وأوشكوا أن يجمعوا على اعتبارها مذهباً أدبيا كالرومانسية والواقعية والوجودية والسوريالية، تظل – في تقديري – مجرد أداة فنية أو أسلوب جمالي يصعب فصله عن الأدب؛ لأنه يُعد وسيلة طبيعية عضوية تدخل في تكوين النص الأدبي وتتضافر مع الصورة والمجاز والأسطورة كي تشكل «متوالية» واحدة، إذا أردنا أن نستعير مصطلح «رينيه ويليك»[٣٨]، أو بتعبير آخر أكثر وضوحاً لأنه يعد مثل عنصر الملح الذي لاتستغني عنه أي طبخة أدبية وكل مافي الأمر أنه كان هناك عدد من الشعراء والكتّاب الذين حاولوا أن يمذهبوا هذه الأداة الفنية، من أمثال «بودلير» و «بول فيرلين» و «مالارميه» و «ميترلنك» وغيرهم من المبدعين الذين أسرفوا في اللجوء إلى هذه الأداة إلى حد ما حتى بلوروا حساسية معينة متميزة حاول النقاد أن يمذهبوها كل حسب هواه ومشربه[٣٩].

وانطلاقاً من هذا الموقف فإننا نستطيع أن نفهم الرؤية الرمزية بوصفها توظيفاً لعناصر وخامات مستوحاة من عالم الغوص.

ويمكن أن نجد شواهد كثيرة يطغى عليها الأسلوب الرمزي ويجعلها مختلفةً عن الرؤى الروماسية والواقعية و «العبثية».

إن الشاعر الكويتي «خليفة الوقيان» يرد على مناقضة «علي السبتي» الذي عارض قصيدته «المبحرون مع الرياح» – كما أشرنا – بقصيدة تحمل العنوان ذاته، وهي قصيدة تزيح الستار عن سر تعاطف الشاعر مع هؤلاء المبحرين من الغاصة، وكأن «خليفة الوقيان» يسوغ ذلك التعاطف وتلك الرؤية الرومانسية لمعارضه «البستي».

«إني لأشقى حينما أشقى ... للمبحرين كأنهم غرقى
مجدا فهم في اليم منحطمٌ ... وشراعهم في لُجّةٍ شُقا
وسفائني في الليل ضائعةٌ ... إمّا سَرَتْ غَرباً وإنْ شَرْقا
قد تاه هاديها وضيّعها ... هادٍ سئمتُ لفتقه رتْقا
صارعتُ دهري في غضارته ... وعركتُه بتجاربي سَبْقا»(٤٠)

إن «خليفة الوقيان» في هذه الأبيات المقتطفة من القصيدة المذكورة يرى نفسه في الغائص الذي يغدو مماثلاً أو معادلاً موضوعيا – على حد تعبير إليوت– فإذا كان الغائص يواجه الدأماء والأمواج والحيتان، فإن الشاعر يواجه آفات الدهر ويواجه الحياة المضنية، ويواجه المجتمع أو الآخرين .

ونستطيع أن نقف عند مقطع آخر يجسد هذه الرؤية، وهو مقطع مأخوذ من قصيدة «عبد الله العتيبي» الموسومة «بالأمل السجين» :

«جَرَفَ التيارُ مجدا في الوحيد
عندما حطّمت الريح شراعي والسفينهْ

أملي ضاع مع المجداف في بحر الضياع
أسرته في قلاع الدم.. والأحجار.. عادات قديمهْ»[٤١] .

إن « عبد الله العتيبي» في هذا المقطع يستعير عناصر أو خامات من عالم البحر والغوص تتمثل في «التيار» و «المجداف» و «الريح» و «الشراع» و «السفينة»، ويوظفها في سياق رؤية جديدة لاترتبط بذلك العالم ارتباطاً فكرياً، وإنما ترتبط به ارتباطاً فنياً أو رمزياً. وهذه الرؤية الجديدة تتمحور حول إحساس الشاعر بحصار أمله في الحرية والانطلاق بجدران «قلاع الدم» و «الأحجار» وقضبان «العادات القديمة» .

* * *

وبعد، فإذا تركنا الرؤى ومعانيها وأتينا إلى الأشكال ومبانيها وجدنا صعوبةً في تحديد السمات الفنية المشتركة التي تربط بين الأعمال الشعرية التي تتناول غرض الغوص؛ لأن هناك تفاوتاً كبيراً بين استخدامات الأدوات الفنية ومدى نضجها لدى شعراء الغوص، وهذا أمر بديهي وطبيعي، لأن هؤلاء الشعراء يتباينون في انتماءاتهم الأدبية والفكرية، سواء بحكم عامل الزمن أم بحكم عامل اختلاف المصادر الثقافية .

ومهما يكن من أمر، فإننا نستطيع أن نقف عند أهمّ السمات الفنية وأبرزها في سياق الموازنة بين أساليب الشعراء القدامى والشعراء المحدثين من جهة، وبين أساليب شعراء القصيدة العمودية وشعراء قصيدة التفعيلة من جهة أخرى، وذلك من حيث القاموس اللغوي، ومن حيث الصورة الشعرية، ومن حيث الموسيقى .

وليس من شك في أن الموازنة بين الشعراء القدامى والشعراء المحدثين يظل أمراً يسيراً لايكلف أي عناء؛ فمن حيث القاموس اللغوي نجد ألفاظ

القدامى أكثر جزالة وقوة وغرابة بالنسبة إلى عصرنا وليس بالنسبة إلى عصرهم. «فالمسيب بن علس» الذي قدمنا لوحته الشعرية التي يصف فيها الغوص [يُرجع إلى الهامش رقم ٨] يكاد ينحت لغته من صخر بالقياس إلى لغة المحدثين، ويكفي أن نشير في هذه العجالة إلى ألفاظ «كالنجر» و «سجحاء» و «لبد» و «أشغى» و «الصراري» وما إلى ذلك . وهذا مايقال في وصف كل من «الأعشى» و «أبي ذؤيب» [الذي يبدو أنه لايجارى ولا يُشق له غبار في استخدام الألفاظ القوية الغريبة مثل «الغرنيق» و «العموج» – يرجع إلى هامش رقم ١١] والفرزدق والقطامي وغيرهم. أما ألفاظ المحدثين فهي أكثر ليناً وسماحة، على الرغم من أنّ لغة شعراء القصيدة العمودية – من أمثال الدكتور مانع سعيد العتيبة وخليفة الوقيان ومحمد أحمد عبد الله المطوّع – تظل أكثر جزالة وقوة من لغة شعراء قصيدة التفعيلة كما سنرى .

وإضافة إلى هذا فإن الألفاظ في النصوص القديمة عادة ماتستخدم على النحو الذي وضعت له وعرفت به في أوساط اللغويين، خلافاً لألفاظ المحدثين الذين يستخدمون الألفاظ استخدامات تتجاوز تخومها وحدودها المعنوية وتستشرف آفاق الإيحاء والحدْس والرمز والظلال الواهمة التي تستعصي على التمييز الدقيق .

إن محمداً الفايز في «المذكرة الثالثة» من «مذكرات بحار» يناجي الإله ويتوسل إليه أن يدع الغاصة ينامون بلا غيوم، ويدع القمر والنجوم تغمرهم بضوئها بلا مطر :

«يارب ياملكاً تعالى في سماهْ
ياأيها الأبديّ يانوراً نراه ولا نراه
دعنا ننم. وبلا غيومْ

ودع القَمرْ
يضوي علينا والنجومَ بلا مطر
نحن العراة المبحرين مع المخاطر والمنون»(٤٢).

فالشاعر هنا يتعامل مع القاموس اللغوي تعاملاً مختلفاً تماماً عن تعامل «المسيب بن علس» أو «الأعشى» أو «الفرزدق» في النماذج الشعرية التي وقفنا عندها [تُراجع الهوامش آنفة الذكر]. إن «الفايز» في هذا المقطع لايستهدف التعبير عن المعاني التقريرية معجميا، كما يفعل «المسيب» أو «الفرزدق»، وإنما يستهدف الإيحاء كذلك؛ فالرؤية الأولى [نراه ولا نراه] لاتعني الرؤية البصرية، وإنما تعني الرؤية القلبية أو العقلية، والنوم الذي يطلبه الشاعر ليس النوم العادي المعروف وإنما هو السكون والهدوء والاستقرار الذي يفتقده الغاصة، والغيوم التي يخشاها الشاعر ليست الغيوم السماوية الممطرة، وإنما هي غيوم البؤس والشقاء والجور، وضوء القمر والنجوم يرمز إلى الطمأنينة والحرية .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى هذا المقطع الذي نقتطفه من قصيدة مبارك ابن سيف «سفن الغوص البائسة» :

«إيه ياماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
في لهب السموم
وسمعنا آهة النَهّام أعيتها
جبالٌ من هموم»(٤٣).

«فالماء المالح» في هذا المقطع ليس هو ماء البحر فحسب، وإنما هو حياة المكابدة والمعاناة المادية والمعنوية التي يعيشها الغوّاص.

وعند الموازنة بين المحدثين أنفسهم نجد فرقاً بين لغة شعراء القصيدة

العمودية[٤٤] من أمثال سالم بن علي العويس والدكتور مانع سعيد العتيبة ومحمد أحمد عبد الله المطوّع وبين لغة شعراء قصيدة التفعيلة من أمثال مبارك بن سيف ومحمد الفايز؛ فلغة أولئك تظل لغةجزلة لأنها تمتح من قاموس المدرسة الاتباعية الجديدة التي يمثلها أمير الشعراء أحمد شوقي، ولغة هؤلاء تظل لغة سهلة بسيطة تريد أن تمتح من لغة الحياة اليومية، على نحو مانرى في المذكرة الأولى من «مذكرات بحار» لمحمد الفايز، على سبيل المثال :

«أركبتَ مثلي «البُوم»[٤٥] و «السنبوك[٤٦]» و «الشوعي[٤٧]» الكبيرْ؟
أرفعتَ أشرعةً أمام الريح في الليل الضريرْ؟
هل ذقتَ زادي في المساء على حصيرْ؟
من نخلةٍ ماتت ومامات العذابُ بقلبي الدامي الكسيرْ
أسمعتَ صوت «دجاجة»[٤٨] الأعماق تبحث عن غذاء؟
هل طارحتك «اللُّخمة»[٤٩] السوداء و «الدولُ»[٥٠] العنيدْ؟
وَهل انزويتَ وراء هاتيك الصخورْ؟»[٥١] .

هذا من حيث اللغة، أما من حيث الصورة الشعرية فلعل أهم فارقٍ بين الصورة عند القدامى بدءًا من الجاهليين حتى الإحيائيين أو الاتباعيين من أمثال سالم بن علي العويس، والصورة عند المحدثين بدءًا من الرومانسيين والواقعيين والعبثيين والرمزيين– إن صح لنا أن ننسبهم إلى الرمزية– يتمثل في الوظيفة التي تؤديها تلك الصورة؛ ذلك أن الصورة الشعرية عند القدامى تتخذ أداة للتزويق والتنميق أو التزيين والتوشية، ولا تضيف شيئاً إلى المعنى[*]، خلافاً

(*) لانوافق الباحث في قوله ان الصورة عند القدماء لاتضيف شيئاً إلى المعنى وإنما هي للتزيين والتزويق، وقد وضح عبد القاهر الجرجاني في كتابه «أسرار البلاغة» خطأ هذه النظرة .

للمحدثين الذين تتخذ الصورة عندهم أداة للتعبير عما يصعب التعبير عنه باللغة العادية، أي أن الصورة عندهم موحية بحالات نفسية أو سيكولوجية تستعصي على اللغة القاموسية. إن الصورة هنا تغدو لغة أخرى موازية[٥٢] .

وإذا أردنا أن نبحث عن الأمثلة الشعرية التي تؤنسنا إلى هذه الفكرة فإننا نجد كثيراً منها، ويكفي في هذه العجالة أن نتمثل بوصف الأعشى لصاحبته في لوحة شيقة أخذت عناصرها من عالم الغوص :

«كأنَّها درةٌ زهراءُ، أخرجها غواصُ دارينَ يخشى دونها الغَرَقا
قَد رامها حِجَجا، مُذْ طرَّ شاربُه حتَّى تسعسع يرجوها وقد خَفَقا
لا النفسُ تؤيِّسه منها فيتركها وقد رأى الرَّغْبَ رأيَ العين فاحترقا
ومارِدٌ من غواةِ الجنّ يحرسها ذو نيقةٍ، مستعد دونها، تَرَقا
ليستْ له غفْلةٌ عنها يُطيف بها يخشى عليها سرى السارين والسَّرَقا
حرصاً عليها لَوَا نَّ النفسَ طاوعها منه الضميرُ ليالي اليَمِّ، أو غَرِقا
في حَوْمِ لجّةِ آذيٍّ له حَدَبٌ، منْ رامَها فارقَتْه النفس فاعتُلِقا
من نالها نال خُلداً لانقطاعَ له وما تمنَّى، فأضحى ناعماً أَنِقَا
تلك التي كَلفَتْك النفسُ تأمُلها وما تعلقتَ إلا الحَيْن والحرقا»[٥٣].

إنَّ الصورة هنا تستهدف تأكيد جمال الحبيبة بتشبيهها بالدّرة التي يعاني الغوّاص كثيراً من أجل الظفر بها؛ فقد ظل يتوق إليها منذ نعومة أظفاره حتى شيخوخته، ولم يستطع حتى الجن المارد الذي كان يحرسها أن يمنعه من أخذها .

وإذا كانت هذه الصورة الجميلة الممتدّة التي تبدو لنا حسيةً تنطوي على مسحة معنوية توحي بِمَنَعةِ تلك المرأة ومكانتها الرفيعة وعزتها ومدى تعلّق الشاعر بها ومدى الجهد الذي بذله في سبيلها، فإن هذه اللوحة تستهدف في الأخير تشبيه الحبيبة بالدّرة، أما إيحاءاتها الأخرى المستمدة من

عناصر خارجية فإنها تظل هامشية أو ثانوية، خلافاً لإيحاءات الصورة العميقة التي نجدها في أعمال محمد الفايز أو قاسم حدّاد أو مبارك بن سيف.

«وعلى سفينتنا القَمرْ
يضوي ولا يُعْطي كتنور بعيدْ
كسفينة بيضاء عالية الشراعْ
أو مثل شبّاك مُضاءْ
تحت السماء
ونروح نستوحيه كالشعراء نشكيه الهيامْ
حتى ننامْ»(٥٤).

إن هذا المقطع الذي اقتطفناه من «المذكرة الثالثة» من «مذكرات بحار» لمحمد الفايز يقدم لنا صورة شعرية موحية بعناصرها الذاتية وليس بعناصر خارجية تستعين بها – على نحو مارأينا في صورة المرأة الدّرة عند الأعشى– ذلك أنَّ تشبيه القمر بتنور بعيد يوحي بمدى مغاناة الغواص الذي كان جائعاً إلى درجة أنه يرى القمر فوهة تنور عقيم. إن الصورة هنا تغدو في حدّ ذاتها وسيلة تعبير فعّالة في يد الشاعر. وما يقال في هذه الصورة يقال في الصورتين الأخريين: صورة القمر السفينة التي توحي بمدى تعلق الغوّاص بالأمل والحياة [السفينة العالية الشراع المنقذة]، وصورة القمر الشباك التي توحي بحنين الغواص إلى الأنثى وإلى الحنان والاستقرار .

وما يقال في صور محمد الفايز يقال أيضاً في صور قاسم حدّاد أو مبارك بن سيف اللذين سبق لنا أن وقفنا عند نماذج من أشعارهما.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض الدراسات التي تريد أن تميّز بين الصورة في القصيدة العمودية والصورة في قصيدة التفعيلة، على نحو ماورد

في الدراسة التي قدمتها السيدة «هيا محمد عبد العزيز الدرهم» تحت عنوان «صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج»، حيث أكدت أن الشعر العمودي أكثر اعتماداً على المدركات الحسية لطرفي التشبيه معاً، في حين أن الشعر الحر كان أكثر قدرةً على التعامل مع المدركات المعنوية إلى جانب المدركات الحسية»(٥٥) .

فمن المستبعد أن نميّزبين الصورة في القصيدة العمودية والصورة في قصيدة التفعيلة على هذا النحو، وخاصة أن هناك شعراء من أمثال «علي السبتي» و «محمد الفايز» و «غازي القصيبي» و «حسن عبد الله القرشي» و «عارف الخاجة» وغيرهم من الشعراء الذين يكتبون القصيدة العمودية والقصيدة الحرة معاً؛ فهل يعقل أن يغيّر الشاعر الواحد أدواته الفنية - باستثناء الموسيقى - بهذه السهولة؟ ثم ينبغي ألا ننسى أن الشعراء المحدثين الذين أحدثوا انقلاباً في مفهوم الصورة ووظيفتها، من أمثال خليل مطران ، وبشارة الخوري، وأحمد زكي أبي شادي، وإبراهيم ناجي وغيرهم، كانوا يكتبون القصيدة العمودية، وهو مايؤنسنا إلى أن طبيعة الصورة ووظيفتها لاتتغيران بتغيّر البنية الموسيقية .

هذا، وإذا كان لابد من الموازنة بين موسيقى القدامى وموسيقى المحدثين، فإنه من نافل القول الاشارة إلى أن القدامى والمحدثين من الاحيائيين والاتباعيين الجدد والرومانسيين وغيرهم، ظلوا ملتزمين بعمود الشعر مبجلين القوافي والأوزان الخليلية، إلى أن ظهرت بوادر التمرد على الفراهيدي في أعمال شعراء التفعيلة من أمثال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور ونزار قباني وغيرهم، وهي البوادر التي امتد رذاذها إلى الخليج العربي .

والجدير بالملاحظة أن الغالبية العظمى من شعراء الغوص في الخليج

العربي يكادون يتبنون شكل القصيدة الحرة. ولعل السبب يعود إلى قناعة هؤلاء الشعراء بأن الالتزام بعمود الشعر وبنيته الموسيقية لايستوعب حياة الغوص ذات النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسيكولوجي المعقّد .

* * *

وبعد، فالذي نخلص إليه أن الغوص على اللؤلؤ في شعر الخليج العربي يشكل حضوراً متميزاً بوصفه ظاهرة أدبية وملمحاً من ملامح أصالة هذا الشعر وعراقته وارتباطه بالتربة الخليجية المحلية، ويعكس رؤى فكرية وفنية متباينة تتراوح بين الرؤى الرومانسية والواقعية والرمزية والحداثية، وذلك وفقاً لموقع شاعر الغوص من بيئة الظاهرة تاريخياً أو جغرافياً .

وإذا كانت هذه الظاهرة الأدبية المتميزة قد تلاشت حدودها تاريخياً بانتهاء عهد الغوص في الخليج العربيّ، فإنها تظل تعيش وجدانياً بوصفها نبعاً ثرا من المنابع التي يمتح منها الشعر العربي المعاصر في هذه المنطقة .

إحالات

١- إن مواقيت الزواج كانت مرتبطة بالعودة من السفر البحري وبيع اللؤلؤ واقتضاء الأجر .

٢- من الأسماء الرائجة في منطقة الخليج العربي والمشتقة من الغوص على اللؤلؤ اسم «دانة» واسم «موزة» و «درة» و «جمانة» وما إلى ذلك .

٣ - نذكر- مثلاً- لعبة الغوص في الرمل التي يمارسها الأطفال، وذلك بأن يُلف رأس الطفل في قطعة قماش ويوضع في حفرة، ثم يهال عليه الرمل كي يختبر في قدرته على الاستمرار تحت الرمل، كما يختبر الغواص على الاستمرار تحت الماء .

٤- من الأغاني التي يرددها الأطفال -مثلاً- بعد خروجهم من الكتّاب :

«بندر الكوس   الله هدانا
بندر الكوس   سكّر غدانا»

[يرجع إلى كتاب «المطوّع في دولة الامارات العربية المتحدة» للأستاذ عبد الله علي محمد الطابور. المطبعة الاقتصادية. دبي ١٩٩٢. ص ٢٨].

ومن الأغاني الجميلة التي كانت ترددها المرأة في الامارات العربية المتحدة أغنية «ياليتني رمانة»، ونصها :

«ياليتني رمانة   بثمر بسوي خوص
بظلل على الغالي   لي في الغبيب يغوص»

[ص ١١٦ من كتاب «الأغاني الشعبية للأطفال والنساء في دولة الإمارات العربية المتحدة». إعداد فوزية طارش رحمة. دبي. الطبعة الأولى ١٩٩٤] .

إن المرأة هنا تتمنّى أن تكون شجرة رمان فوق البحر لتظلل زوجها الذي يغوص في الأعماق بحثاً عن اللؤلؤ .

وهناك أغان كثيرة مايزال يذكرها الغواصون القدماء المسنون كانت تتناول حياة الغوص والبحر [يُرجع إلى كتاب «الامارات في ذاكرة أبنائها» لعبد الله عبد الرحمن. مطبعة دبي. القراءة للجميع للنشر والتوزيع. ط١/ ١٩٩٠/ ص ٤١، ٤٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣].

٥- هناك كثير من الشعراء الشعبيين الذين عبروا عن هذه المعاناة بمواويل وأهازيج وقصائد جميلة، من بينها تلك القصائد الجميلة التي قالها الشاعر «فهد بورسلي» في وصف رحلات

«السفر» في البحر، وهي القصيدة التي نقتطف منها الأبيات الآتية :

يانوخذا ياليتني مانعنيت	ماينبغي درب وراه المماتي
لين اطرحوا وياأهلَ الخشب صفيت	صفة صفوف ينطرون الزكاتي
لي صار وقت الصبح مثل العفاريت	الكل يركض فازع بالعصاتي
لي من تجنوا احل بالشمل تشتيت	كل على فاله يدور الغناتي
لين افلقوا محارهم «لاش ونيت»	ابجي حفنا والقلب دايم بحاتي
خلو نهد يبجي على واحد ميت	لي عاد راس المال حظ وماتي

[الدكتور عبد الله العتيبي: دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. مؤسسة الخليج للطباعة والنشر. ط١ الكويت ١٩٨٤. ص ١١٩] .

ويمكن أن نذكر أبياتاً أخرى من قصيدة «عبد الله الدويش» التي سجل فيها مراحل سفره من الهند إلى الكويت، وهي القصيدة التي نجتزئ منها مايأتي :

«ياراكب من فوق سمح العوالي	ساجية تقطع بحور طويلة
لي علق شراعه وهب الشمالي	توحي عجيج الموج مثل الدبيلة
خاطف من الديرة من الحمل خالي	ناحي المعامر والحمل مرتكي له
وشطن وحمل لين حدا الجوالي	وخلي الكرايخ والحمل زاد شيله»

[الدكتور عبد الله العتيبي : دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. ص ١٢١].

٦- الدكتور عبد الله العتيبي: دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. ص ١٠٠ .

٧- هناك أعمال أدبية نثرية كثيرة تتناول حياة الغوص نذكر منها - على سبيل المثال - روايتي «اللآلي» و «القرصان والمدينة» للكاتب البحريني عبد الله خليفة، وبعض قصص مجموعة «الشقاء» للكاتب الاماري علي عبد العزيز الشرهان، وبعض قصص مجموعة «همس الشواطئ» للكاتبة الامارية أسماء الزرعوني .

٨- يشبه «المسيب بن علس» امرأة بجمانة أخرجها الغواص من لُجة البحر بعد مشقة وعناء مضنٍ واصفاً الرحلة الطويلة عبر البحر والسفينة السجحاء والأمراس والربان المساعدين، ومشيراً إلى قصة هلاك والد الغواص في سبيل تلك الجمانة المضيئة كالجمر، وإصراره على الظفر بها، وما إلى ذلك من التفاصيل التي تشكل لوحة جميلة :

كَجُمانَةِ البحريّ جاء بها	غواصُها من لُجّةِ البحْرِ
صُلبُ الفؤاد رئيس أربعةٍ	متخالفي الألوان والنجْرِ
«فتنازعوا حتّى إذا اجتمعوا	ألقوا إليْه مقالدَ الأمرِ

وعَلتْ بهم سجحاءُ خادمةٌ تَهْوي بهم في لُجة البحر
حتى إذا ماساء ظنهمُ ومضى بهم شهر إلى شهر
ألقى مراسيَه بتَهلكة ثَبَتَتْ مراسيها فما تجري
فانصبَّ أسقُفُ رأسه لبدٌ نُزعتْ رباعيتاه للصبْر
أشغَى يمُجُّ الزيْتَ ملتمسٌ ظمآنُ ملتَهبٌ من الفقرِ
قَتَلتْ أباه فقال أتبَعُه أو أستفيدَ رغيبَةَ الدهر
نصَفَ النهارَ الماءُ غامرُه ورفيقُه بالغيب لايدري
فأصابَ منيَته فجاء بها صدفيةً كمضيئة الجَمْر
يُعطَى بها ثمناً ويمنعها ويقولُ صاحبه ألا تشري؟
وترى الصراري يسجدون لها ويضمها بيديه للنحر
فلتلك شِبْهُ المالكية إذ طلعتْ ببهجتها من الخدر!»

[يرجع إلى كتاب «الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية» للأستاذ عبد الله يوسف الغنيم. ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٣. ص ٨- ١٠] .

٩- مما قاله الأعشى في وصف صاحبته :

كأنَّها درَّةٌ زهراء أخرجها غواصُ دارين يخشى دونها الغَرَقا
قد رامها حِجَجاً مذ طرَّ شاربُه حتى تسعْسَعَ يرجوها وقد خفقا
لا النفس توئسه منها فيتركها وقد رأى الرغْبَ رأي العيْنِ فاحترقا

[انظر «ديوان الأعشى». تحقيق لجنة الدراسات في دار الكتابِ اللبناني بإشراف كامل سليمان. دار الكتاب اللبناني. بيروت. د ت. ص ١٢٨].

١٠- مما يقوله المخبّل السعدي في هذا المجال :

«كعقيلةِ الدرِّ استضاء بها محرابَ عرشٍ عَزيزها العُجُمُ
أغْلَى بها ثمناً وجاء بها شَخْتُ العِظام كأنَّه سَسهْم
بلبانِه زيتٌ وأخرجها من ذي غواربَ وسْطه اللُخُمُ
أو بيْضةِ الدِّعْصِ التي وُضِعَت في الأرض ليس لمسِّها حَجْمُ»

[انظر ديوان «المفضليات» لأبي العبّاس المفضل الضّبي. تحقيق كارلوس يعقوب لايل. مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت ١٩٢٠. ص ٢١٣- ٢١٤] .

١١- يقول أبو ذؤيب الهذلي واصفاً الغوّاص الذي بذل جهداً حتى استطاع أن يخرج «درة قامس»:

«أجـازَ إلـيْـهـا لُـجّـةً بـعْـدَ لُـجَّـةٍ أزَلُّ كَـغُـرنوقِ الـضـحـول عَـمُـوجُ
فـجـاء بـهـا مـاشـئتَ من لَطمَـيـةٍ يـدومُ الـفُـراتُ فـوقـهـا ويَـمـوجُ
فـجـاءَ بـهـا بـعـد الـكَـلالِ كـأنّـه منَ الأيْـنِ مـحـراسٌ أقـذُّ سـحـيـجُ»

[انظر «ديوان الهذليين». الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٥. ص ٥٦- ٥٧].

١٢- مما يقوله القطامي في هذا المجال :

«كـأنّـهـا بـيْـضـةٌ غـرّاءُ خُـدَّ لـهـا في عـشعـثٍ يُنْبتُ الحـوذان والعَـذَمـا
أو درّةٌ مـن هـجـانِ الـدّرِّ أدركـهـا مـصـفـرٌ من رجـال الهنْد قَـدسُـهـمَـا
أوفى علـى ظهْـر مِـسْـجـاح تَـقَـدّمـه غـواربُ المـاءِ قـد أُلقَـيْـنَـه قُـدُمـا
جـوفـاءَ مـطـليـةٍ قـاراً إذا اجـتـنَـحـتْ بـه غـواربُـه قَـحَـمْـنَـهـا قَـحَـمَـا
حتّى إذا السُّفْنُ كـانـتْ فـوقَ مُـعْـتَـلج ألـقـى المعـاوزَ عنـه ثُـمـتَ الـكـتَـمـا
في ذي حـبوكٍ يُـقَـضّي الموْتُ صـاحـبَـه إذا الـصَّـراري مـن أهوالـه ارتـسَـمـا
غـوّاصُ مـاءٍ يمجُّ الزيْـتَ مـنغـمـسـاً إذا الغُـمـورةُ كـانـت فـوقـه قِـيَـمـا
حـتـى تـنـاولـهـا والمـوتُ كـاربُـه في جـوف سـاجٍ سـوداويٌّ إذا فَـحَـمـا

[عد إلى «ديوان القُطامي». تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. دار الثقافة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٦٠. ص ٩٨- ١٠٠] .

١٣ - يرسم الفرزدق لوحة تشبه تلك التي رسمها المسيب بن علس من حيث امتداد الصورة وجمالها، ولكن لوحة الفرزدق تبدو عليها خطوط وألوان إبداعية أسطورية، فقد وصف «جبيرة بنت أبي بذال» بالدرة التي جازف الغواص فألقى بنفسه في لجّة البحر وهو يعلم أنَّ هناك حيةً تنفث سُمّاً تقوم على حراسة تلك الدرّة وتذب عنها. وبعد لأي يفوز الغوّاص بتلك الدرّة اليتيمة ولكنه لم يستطع أن يستمتع بجمالها، لأن الحية كانت قد لسعته فقضى نحبه بين يدي والدته التي هان عليها موته عندما رأت تلك الدّرة الثمينة :

«كـدرّة غـواصٍ رمى فـي مـهـيـبـةٍ بـأجرامـه والـنفس يـخـشى ضـمـيرُهـا
مـوكَّلـةً بـالـدّر خـرسْـاء قـد بكـى إلـيـه من الـغـواص مـنهـا نـذيرهـا
فـقـال ألا فـي الموت أو أطـلـب الـغـنى لـنـفـسـيَ والآجـال جـاءِ دهـورُهـا
ولّما رأى مـن دونـهـا خـاطـرت بـه علـى الموت نـفـسٌ لاينامُ فـقـيـرُهـا
فـأهوى ونابـاهـا حـوالي يـتـيـمـةٍ هي الموت أودينـا يـنـادي بـشـيـرُهـا
فـألقَـتْ بـكـفَّـيْـه المـنـيـةُ إذْ دنـا بـعَـضّـةِ أنيـابٍ سـريـع سـؤورُهـا
فـمـا جـاءَ حـتّـى مَجَّ والمـاءُ دونـه من الـنـفـس ألوانـاً عـبـيـطاً نـحـورُهـ

فلمّا أروْها أمّه هان وجْدها رجاءَ الغني لّما أضاء منيرُها
وظلتْ تغالاها التّجارُ ولا ترى لها سيمةٌ إلاَّ قليلاً كثيرها»

[يرجع إلى ديوان الفرزدق. تحقيق كرم البستاني.المجلد الأول. دار صادر. بيروت ١٩٦٦. ص ٣٦٤- ٣٦٥].

١٤ - الدكتور محمد جابر الأنصاري: أدب الاصلاح الاجتماعي في الخليج. مجلة «الدوحة». عدد أغسطس- قطر ١٩٧٦. ص ٤٦ .

١٥ - من هذه الدراسات الجديرة بالذكر كتاب السيدة «هيا محمد عبد العزيز الدرهم «صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج». دار الثقافة. قطر. الدوحة ١٩٨٦، وهو كتاب يهتم بصورة البحر ولا يهتم بالغوص إلا عرضاً، وكتاب «الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة» للأستاذ عبد الله يوسف الغنيم. ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٣، وهو كتاب يهتم بالغوص بوصفه نشاطاً تجارياً واقتصادياً بالأساس، ولكنه لفت الأنظار في مقدماته أو تمهيده إلى النصوص الشعرية القديمة التي تناولت الغوص .

١٦ - خيرة الشيباني: الاتجاهات الرئيسية للحركة الشعرية المحلية من جيل الرواد إلى جيل السبعينات. مجلة «شعر». مؤسسة الثقافة والفنون بالمجمّع الثقافي. أبو ظبي. عدد إبريل ١٩٩١. ص ١٥٤ .

١٧ - يرجع إلى مقالة الدكتور محمد جابر الأنصاري «الغواص القديم الذي استخرج أدباً جيّداً». مجلة الدوحة. عدد مايو ١٩٧٦. ص ٦٤ .

١٨ - محمد أحمد عبد الله المطوّع: ذكريات وأمانيّ. مطبوعات إدارة الثقافة والفنون. وزارة الاعلام. الدوحة قطر ١٩٨٩. ص ٦٩- ٧٠ .

١٩ - سلطان خليفة: وحي الزهور. كتاب «الأزمنة الحديثة». الامارات العربية المتحدة. ١٩٧٩. ص ٢٠ .

٢٠ - محمد أحمد عبد الله المطوّع: ذكريات وأمانيّ. ص ٧٠ .

٢١ - إبراهيم ناجي: ديوان إبراهيم ناجي. دار العودة . بيروت ١٩٨٣. ص ١٠٤- ١٠٦ [والشواهد الواردة هنا ليست مرتبةً بالتسلسل] .

٢٢ - ديوان «الشاعر الجامح خلفان بن مصبّح». منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات. المطبعة الاقتصادية. الطبعة الأولى ١٩٩٥. ص ٨٣- ٨٤. [صَنَعهُ شوقي رافع، وجمعه كل من آمنة سالم وفاطمة سالم وخالد المحمود، وحققه ونقّحه الدكتور وليد محمود خالص] .

٢٣ - شوقي رافع: مقدمة ديوان «خلفان بن مصبّح» . ص ١١ .

٢٤ - الدكتور مانع سعيد العتيبة: المسيرة. دار الفجر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الثالثة ١٩٨٣. ص ٢٠- ٣٠ .

٢٥ – الصدر ذاته. ص ٢١ .

٢٦ – خليفة الوقيان: المبحرون مع الرياح. شركة الربيعان للنشر والتوزيع. ط٢ . الكويت ١٩٨٠. ص ١٧– ١٨ .

٢٧ – ينظر «ديوان الشعر الكويتي». اختيار وتقديم الدكتور محمد حسن عبد الله. وكالة المطبوعات. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٤. ص ٢٩٩ وما بعدها .

٢٨ – سالم بن علي العويس: نداء الخليج. دار المهد للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. عمان– الاردن ١٩٨٧ ص ٥٠– ٥١ .

٢٩ – عبد الاله عبد القادر: سالم بن علي العويس الصوت القادم من صحراء الجمر وحرقة العطش. كتاب «سالم ابن علي العويس» [وثائق ودراسات وأبحاث]. سلسلة «كتاب وأدباء الامارات». عدد ١ . منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات. الطبعة الأولى ١٩٨٨. ص ٢٠ .

٣٠ – علي السبتي: أشعار في الهواء الطلق. دار السياسة. الكويت ١٩٨٠. ص ٣٥ .

٣١ – مبارك بن سيف: سفن الغوص البائسة. مجلة «الدوحة». قطر. عدد يناير ١٩٧٦. ص ٤٩ .

٣٢ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. مؤسسة الرياض للطباعة العامة. الكويت ١٩٨٦. ص ١٣ .

٣٣ – المصدر ذاته. ص ٩ .

٣٤ – المصدر ذاته. ص ١٣ .

٣٥ – المصدر ذاته. ص ٨٠ .

٣٦ – ألبير كامي: أسطورة سيزيف. ترجمة أنيس زكي حسن. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٨٣ .

٣٧ – قاسم حدّاد: البشارة. شركة الربيعان للنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٠. ص ٢٤– ٣٢ .

٣٨ – رينيه ويليك: نظرية الأدب. ترجمة محيي الدين صبحي. مراجعة الدكتور حسام الخطيب. منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. دمشق. دت. ص ٢٣٩ .

٣٩ – ينظر كتاب «مفاهيم نقدية» لرينيه ويليك . ترجمة الدكتور محمد عصفور. سلسلة عالم المعرفة. عدد شباط ١٩٨٧. مطابع الكويت ١٩٨٧. ص ٢٦٤– ٣٠٣ .

٤٠ – ديوان الشعر الكويتي. ص ١٥٠ .

٤١ – المصدر نفسه. ص ٢٥٠ .

٤٢ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ١٩ .

٤٣ – مبارك بن سيف: سفن الغوص البائسة. ص ٤٩ .

٤٤– نفضل هنا أن نصنفهم على أساس الالتزام بعمود الشعر أو عدم الالتزام به؛ لأن هناك ظاهرة لافتة للنظر تسوّغ هذا التصنيف، وتتمثل هذه الظاهرة في أن هناك شعراء تناولوا الغوص انطلاقا من رؤية واقعية، على الرغم من أنهم يصنفون عادةً في خانة الكلاسيكيين أو الاتباعيين أو الإحيائيين الجدد. وفي مقدمة هؤلاء سالم بن علي العويس الذي يلتقي في رؤيته مع محمد الفايز، على الرغم من اختلافه عنه فنياً اختلافاً كبيراً .

إن محمداً الفايز في هذا المقطع يستخدم ألفاظاً عادية جداً مأخوذة من القاموس اليومي للغائصين، إلى درجة أنه يحصرها بين أقواس، وكأنه يحس بأنها ألفاظ عامية وليست فصيحة وهذا مالا نجده أبداً عند شعراء القصيدة العمودية.

٤٥، ٤٦، ٤٧ – سفن شراعية تصنع في الكويت .

٤٨ – سمكة جارحة تشبه الدجاجة .

٤٩ – سمكة جارحة .

٥٠ – حيوان بحري شرس .

٥١ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ٧ .

٥٢ – يُرجع إلى كتاب الدكتور نعيم اليافي «تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث». منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٣. ص ٩٨ وما بعدها .

٥٣ – ديوان الأعشى. ص ١٢٨– ١٢٩ .

٥٤ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ١٩ .

٥٥ – الأستاذة هيا محمد عبد العزيز الدرهم: صورة البحر في الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج. ص ١٣٠ .

جهود الأقدمين في خدمة كتاب الإيضاح

لأبي علي الفارسي

د. يحيى مير علم

هذا البحث تكملة وصلة لمقال نُشر على صفحات مجلة مجمع الخالدين[1]، وقفته على كتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي، غير أني قصرت الكلام فيه على مكانته وخصائصه، فكشفت عن أهميته ومنزلته بين مصنّفات أبي علي، وبيّنت أثره في خالفيه، ومنهجه في تصنيفه، وتتبّعت طرق روايته في المشرق والمغرب والأندلس. وأمّا هذا البحث فيتناول المؤلّفات التي وضعها العلماء الأقدمون على هذا الأثر النحوي النفيس.

لقد أوفت عناية المتقدمين بكتاب « الإيضاح» على الغاية، حتى أصبح المادة الأساس للدروس النحوية زهاء ثلاثة قرون، إذ تعلّمه الشُّداةُ مقدّمةً جامعةً لابدّ منها لكلّ من أراد تحصيل هذا العلم، وقرأه الخاصّة ليكون لهم مركباً أميناً يخوضون به لجّة بحر كتاب سيبويه، واعتمده النابهون منهم مادّةَ تأليفٍ لهم، شرحاً له، أو لأبياته، أو تحشيةً، أو تعليقاً، أو إملاءً، أو ردّاً واعتراضاً، أو تصنيفاً لكتب تناولت بعض شروحه أو مختصراته. وهذا مايفسّر كثرة تلك المؤلّفات حتى أربت على الستين، ذكر منها حاجي خليفة

(١) عنوانه «كتاب الإيضاح: مكانته وخصائصه» مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٨، الجزء الثاني، ص ٣٠٣ - ٣١٦.

في ترجمة «الإيضاح» خمسة وثلاثين كتاباً[١]،جعلت من كتاب أبي علي مادة لها، جلُّها يندرج تحت الشروح، وماتبقى تتوزّعه الموضوعات الأخرى، ثم جاء الدكتور عبد الفتاح شلبي فزاد عليها قدراً يسيراً، ولكن جملة ما أثبته لم يجاوز أربعين كتاباً[٢]، وهي إلى ذلك لا تخلو من بعض السهو[٣]، ولا تستغرق جميع ما صُنّف حول «الإيضاح».

وقد أدّاني البحث والتتبع إلى الوقوف على كتب أخرى ذكرتها بعض المصادر، انتهى مَبْلَغُها إلى أربعة وستين مُؤَلَّفاً، وضعها تسعة وخمسون نحوياً، يتوزّعون على أمصار العالم الإسلامي كالأندلس والمغرب والعراق والشام ومصر وفارس. وإذا تجاوزنا أبا علي صاحب «الإيضاح» وما نُسب إليه من تصنيف «شرح أبيات الإيضاح»[٤] نجد في نهاية القرن الرابع عالِمَيْن يخصّان «الإيضاح» بالتأليف، أولهما ابن السيرافي (٣٨٥ هـ) الذي وضع «شرح شواهد الإيضاح». وثانيهما ابن جني (٣٩٢ هـ) الذي عُزيت إليه نسخةٌ من «شرح الإيضاح». وفي القرن الخامس تزداد عناية النحاة به، فنجد اثني عشر نحوياً، تناولوا «الإيضاح» في مؤلّفاتهم، يقدمهم الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) الذي أوفى على الغاية في الاهتمام به، إذ صنّف عليه ثلاثة كتب، أحدها: شرح مُسْهَب في ثلاثين مجلداً سمّاه «المغني». والثاني: متوسط في مجلدين دعاه «المقتصد». والثالث: مختصر للإيضاح وَسَمَه بـ «الإيجاز». وتستمر هذه العناية بـ «الإيضاح» صُعُداً في القرن

(١) كشف الظنون ١/٢١٢ - ٢١٣.

(٢) كتاب «أبو علي الفارسي» ٥٣٥ - ٥٣٩.

(٣) من ذلك أنه نسب إلى ابن الحاجب شرح الإيضاح، والصواب أنه ألّف «المكتفي للمبتدي» في شرح مختصر الإيضاح المسمى بـ «الإيجاز» للجرجاني. انظر كشف الظنون ١/٢١٢.

(٤) توثيق هذا وغيره مما سيرد في هذه التوطئة سيرد في مواضعه قريباً.

السادس، فنجد سبعة عشر نحوياً يخصّونه بالتأليف، أشهرهم ابن يسعون(بعد ٥٤٢ هـ) الذي وضع «المصباح في شرح أبيات الإيضاح» وهو من أنفس شروح أبياته، ممّا حمل عبيد الله بن عمر الإشبيلي (٥٥٠ هـ) إلى اختصاره في كتابه «الإفصاح في اختصار المصباح». ثم يبلغ الاهتمام بكتاب أبي علي مداه في القرن السابع، فنجد مايربو على عشرين نحوياً ألّفوا في شرحه وشرح أبياته، جلُّهم من الأندلس، يتصدرهم أبو البقاء العكبري (٦١٦ هـ) الذي صنّف ثلاثة كتب، أحدها: «شرح الإيضاح»[1] والثاني «الإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح» والثالث «شرح التكملة». ويشارك أبا البقاء في ذلك ابنُ هشام الخضراوي المعروف بابن البَرْذَعي (٦٤٦ هـ) الذي كان أكثر الأندلسيين عنايةً بهذا الكتاب في هذا القرن، وتجلّى ذلك في وضعه ثلاثة كتب هي «الإفصاح بفوائد الإيضاح» و «غُرَر الإصباح في شرح أبيات الإيضاح» و «الاقتراح في تلخيص الإيضاح». ثم تأفل شمس «الإيضاح» شيئاً فشيئاً، حتى لا نكاد نجد في مطلع القرن الثامن إلاّ شرحاً واحداً لإبراهيم بن محمد الجزري (٧٠٩ هـ) يُسَمّى «إيضاح غوامض الإيضاح». ولعله آخر آثار الأقدمين المصنّفة حول هذا الكتاب. وليس عسيراً أن يقف الباحث على سبب خمول «الإيضاح» بعد نباهة استمرت ثلاثة قرون، فقد سحر ابن مالك (٦٧٢ هـ) بنحوه وشهرته الناسَ، وصرف اهتمامهم إلى كتبه المشهورة كـ «الخلاصة» و «تسهيل الفوائد» وغيرها. وكان قد سبقه إلى منافسة «الإيضاح» ومزاحمته على مكانته وصدارته كتابُ الزمخشري (٥٣٨ هـ) «المُفَصَّل» الذي جاء بناؤه قريباً من منهج أبي علي الفارسي في كتابه «الإيضاح».

---

(١) قام كاتب هذا البحث بتحقيقه ودراسته، ونال على ذلك درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف من قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ١٩٩٢.

والقائمـة التالية تشتـمل على تسعة وخمـسين نحوياً، صنَّفوا أربـعة وستين كتاباً، جعلوا من «الإيضاح» أو شواهده مادةً لـها، سلكتهم وَفْقَ ترتيب وفياتهم، مبتدئاً بـالأقدم وفاةً، ومنتهياً بآخـرهم عنايةً به، والتزمت في ذلك إيرادَ تـسميات الكتاب الواحد إمَّـا تعددت، والإحالَة على المصادر في الحواشـي، والاقتصادَ في التراجم ما أمكن، والتـنبيهَ على ماسلم من آثارهم دون ما كـان مفقوداً ممّا لا ذِكْرَ له في مصادر التراث العربي وفهارس المكتـبات فيما أعلم، وذلك لقلّة ما بقي من تلك المؤلّفات، وكثـرةِ ما أتت عليه عوادي الـزمن منها، وذيَّـلت هذه القائـمة ببـضعة أعـلام لم أقف على ترجـمات لهم فـي المصادر المعتمدة، فـتعذّر تحـديد وفياتهم، فأوردتهم حسب الترتيب الهجائي لأُسمائهم أو كُناهم:

١ ـ أبو علي الحـسن بن أحمد بن عبـد الغفار الفـارسي (٣٧٧ هـ) نسب إليه ابن النديم تصنيف «شرح أبيات الإيضاح»[1]

٢ ـ يوسف بن الحـسن بن عبـد الله السيـرافي (٣٨٥ هـ). صنّف كـتاب «شرح شواهد الإيضاح». وممّن نقل عنه الحسن القيسي[2] والمحقق البغدادي[3]. أمّا السـيوطي فلم يذكره فـي «بغية الوعاة» خـلافاً لِـمَـا عـزاه إليه الدكـتـور عبد الفتاح شلبي[4].

٣ ـ أبو القـاسم سعيد بـن سعيد الـفارقي (٣٩١ هـ). ألّف كتـاب «شرح أبيات الإيضاح». وممّن نقل عن كتابه المحقّقُ البغدادي[5].

٤ ـ أبو الفـتح عثمـان بن جني (٣٩٢ هـ). انفـرد بروكلمـان فنسب

(١) الفهرست ٩٥.
(٢) إيضاح شواهد الإيضاح ١/١١٩، ٤٣٩.
(٣) خزانة الأدب ٩/٤١٨.
(٤) في كتابه «أبو علي الفارسي» ٥٣٧.
(٥) خزانة الأدب ٩/ ١٦٩.

إليه «شرح الإيضاح»[١]، وأحال على نسخة في مكتبة شهيد علي برقم (٩٣٠). وقد تبيّن لي بعد الاطلاع عليها ومعاينتها[٢] عدمُ صحة الإحالة، فالنسخة المذكورة تشتمل على رسائل مختلفة، ولم أجد في فهارس المكتبة مايشير إلى هذه النسخة، كما لم أجد أحداً من أصحاب التراجم والطبقات ـ على كثرتهم ـ نسبها إلى ابن جني، ولذلك في النفس شيءٌ من صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن جني، ولو صحّ ذلك لكان أجلّ شروحه، ولكانت المصادر حريصة على إثباته لنباهة مُؤَلِّفه، ومع ذلك فقد تابع بعض المحدثين بروكلمان فعدّوا هذا الشرح من آثار ابن جني[٣]، ولو لم يقع ذلك منهم لكان الأولى إسقاطه من جملة الشروح.

٥ ـ الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (٤٠٦ هـ) نُسب إليه كتاب «التعليق على إيضاح أبي علي الفارسي»[٤].

٦ ـ أبو طالب أحمد بن بكر بن بقية العَبْدي (٤٠٦ هـ). شَرَحَ «الإيضاح» و «التكملة» لأبي علي الفارسي، وشرحه معروف، سمّاه القفطي «شرح الإيضاح والتكملة»[٥]، وذكره ابن الأنباري وياقوت الحموي واليماني والسيوطي بتسميته المختصرة «شرح الإيضاح»[٦]. وكتاب العَبْدي هذا من أجل شروح «الإيضاح»، ولعلّ أحسن كلام قيل في وصفه ما قاله

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١٩١/٢، ٢٤٨.

(٢) وذلك أثناء زيارتي للمكتبة السليمانية ١٩٨١م.

(٣) انظر: عصر الدول والإمارات ٢٩٧/٥، وسرّ الصناعة ١٥/١.

(٤) ذكره محقق إنباه الرواة ١١٥/٣ في الحاشية الأولى نقلاً عن كتاب «تأسيس الشيعة الكرام لفنون أهل الإسلام» ٢٣.

(٥) إنباه الرواة ٣٨٧/٢.

(٦) نزهة الألباء ٣٣٦، ومعجم الأدباء ٢٣٦/٢ ـ ٢٣٨، وإشارة التعيين ٢٦، وبغية الوعاة ٢٩٨/١.

القفطي، ولفظه «.. وكان وطيءَ العبارة، حسنَ الغوص، جميل التصنيف، اعتنى بكتاب شيخه أبي علي، وهو الكتاب المسمّى بالعضدي، وهو الإيضاح والتكملة، وشرحه شرحاً كافياً شافياً، أتى فيه بغرائب من أصول هذه الصناعة، وحقّق أماكن، حتى يقال: إنه شرح كتاب أبي علي بكلام أبي علي، لكثرة اطلاعه على كتبه وفوائده. وإذا أنصف المُنْصِفُ وأجملَ النظر واطّرح الهوى، رأى أن كلّ من تعرض له لشرح هذا الكتاب إنما اقتدى بالعَبْديّ وأخذ منه، وكنت سألت عالمينِ بهذا الشأن عن كتاب العَبْدي وكتاب الجرجاني في شرح الإيضاح، فسكتا مَلِيّاً، وقال أحدُهما: قد سَمَّى الجرجاني كتابه المقتصد، وهو كَما سمّاه، فإن فوائده مختصرة، وقال الآخر: أحسن العَبديُّ في الكلام على العوامل، وقصّر فيها الجرجاني، وأحسنا في التصريف، وكلام الجرجاني أبلغ وأبسط»[1]. وشرحُ العَبْديّ المتقدم أحدُ مصادر أبي البقاء العكبريّ في شرحه للإيضاح، فقد أكثر فيه من ذكر مؤلّفه نقلاً ومناقشةً وتصحيحاً واعتراضاً[2].

٧ ـ أبو القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي (٤١٥ هـ) ذكر السيوطي في ترجمته أنه صنّف «شرح الإيضاح»[3].

٨ ـ علي بن عيسى الرَّبَعي (٤٢٠هـ). نصّ ابن الأنباري واليماني وحاجي

---

(١) إنباه الرواة ٢/٣٨٧.

(٢) شرح الإيضاح للعكبري: ٣٤/أ، ٤١/أ، ٤٦/ب، ٥٦/أ، ٥٩/ب، ٧٨/ب، ٩٣/أ، ٩٦/ب، ١٠٣/أ، ١٠٦/ب، ١٠٨/ب، ١١٧/ب، ١٢٠/أ، ١٢١/ب، ١٢٦/ب، ١٣٠/ب، ١٣٦/ب، ١٤٠/ب، ١٤١/أ، ١٤٢/ب، ١٤٧/ب، ١٥٧/أ، ١٦٩/أ، ١٨٠/أ، ١٨٢/ب، ١٨٨/ب، ١٩٨/ب، ٢٠١/أ، ٢٠٦/أ، ٢١٧/أ.

(٣) بغية الوعاة ٢/١٧٨. وانظر: الأعلام ٥/١٢٤ (ط٣)، ومعجم المؤلفين ٧/١٤٤.

خليفة على أنه ألَّف «شرح الإيضاح»[١]. وممّن نقل عنه المحققُ البغدادي[٢].

٩ـ أبو الحسن بن مَعْقِل النحوي (٤٣٣ هـ). نسب إليه القِفْطي «شرح الإيضاح»[٣].

١٠ ـ أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّي (٤٤٩هـ). ذكر ابن قاضي شهبة والسيوطي أنه صنّف «ظهير العضدي»[٤] في النحو. وكانت له به عناية[٥].

١١ ـ أبو محمد الفضل بن محمد القَصْباني (٤٦٤ هـ)[٦]. صنّف كتاب «حواشي إيضاح أبي علي الفارسي». وقد نصّ على ذلك ابن الأنباري واليماني والفيروزابادي[٧].

١٢ ـ أبو القاسم زيد بن علي ابن أخت أبي علي (٤٦٧ هـ). أخذ النحو عن خاله، وروى عنه «الإيضاح» وأقرأه أهلَ حلب، وحمله عنه كثيرٌ من الأعلام. ذكر القفطي والسيوطي وحاجي خليفة أنه ألَّف كتاب «شرح الإيضاح»[٨].

(١) نزهة الألباء ٣٤١، وإشارة التعيين ٢٢٣، وكشف الظنون ٢١٢/١.

(٢) في شرح أبيات المغني ٩٨/٧.

(٣) إنباه الرواة ١٠٣/٤.

(٤) طبقات النحاة واللغويين ١٧٢، وبغية الوعاة ٣١٧/١.

(٥) مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها ٢٢، ٦٦، ١٠٦، والجامع في أخبار أبي العلاء ٥٩٦، ٧٧٧.

(٦) هذه سنة وفاته على ماحققه وصحّحه ونصّ عليه محقق إشارة التعيين ٢٥٧، وهو خلاف ما ورد في نزهة الألباء ٣٥٢، والأعلام ٣٥٨/٥ (ط ٣).

(٧) نزهة الألباء ٣٥٢، وإشارة التعيين ٢٥٧، والبلغة ١٨٤.

(٨) إنباه الرواة ١٧/٢، وبغية الوعاة ٥٧٣/١، وكشف الظنون ٢١٣/١. وانظر: الأعلام ٩٩/٣ (ط ٣)، ومعجم المؤلفين ١٩٠/٤ ـ ١٩١.

١٣ ـ أبو الحسن محمد بنُ هبة الله الوراق (٤٧٠ هـ). نسب إليه حاجي خليفة تأليف «شرح الإيضاح»[١] ووصفه بقوله «وشرحه أحسن الشروح»[١]. ولا يمكننا الحكم على هذا الوصف، فالكتاب مفقود، غير أن ماوصلنا من الشروح يخلو من الإشارة إليه، ولو صحّ أنه أحسن الشروح لأكثر الخالفون من النقل عنه، كما نقلوا عن شروح العبديّ والجرجانيّ والعكبريّ.

١٤ ـ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١ هـ)[٢]. أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي المتقدم، وصنّف ثلاثة كتب على «الإيضاح»، أحدها «المغني في شرح الإيضاح» وهو شرح مبسوط، وافق اسمُه مسمّاه، إذ يقع في ثلاثين مجلداً، وقد ذكره ابن الأنباري والسيوطي وحاجي خليفة[٣]. والثاني: «المقتصد في شرح الإيضاح»[٣] وهو شرح متوسط اختصر فيه الجرجاني شرحه المبسوط «المغني». وقد عُرف بتسمية مختصرة ذكرها اليماني والفيروزآبادي والسيوطي والبغدادي وهي «شرح الإيضاح»[٤]. وهذه التسمية تشمل الجزءين «الإيضاح» و «التكملة»[٥] إذ مضى في كلام القفطي على شرح العَبْدي ما يدلّ على أن الأقدمين يعدونهما كتاباً واحداً. و «المقتصد في شرح الإيضاح» من أهمّ المصادر التي أفاد منها أبو البقاء العكبري في شرحه للإيضاح، وقد صرّح بالنقل عنه

(١) كشف الظنون ١/٢١٢.

(٢) وقيل: (٤٧٤هـ) انظر البغية /١٠٦.

(٣) نزهة الألباء ٣٦٣، وبغية الوعاة ٢/١٠٦، وكشف الظنون ١/٢١٢.

(٤) إشارة التعيين ١٨٨، والبلغة ١٢٧، والأشباه والنظائر ٢/٢٦٥، وشرح أبيات المغني ٣/٦١.

(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٩١.

في غير ما موضع[١]، وهو مطبوع في جزءين بتحقيق د. كاظم بحر المرجان[٢]. وأمّا «المقتصد في شرح التكملة» فما زال مخطوطاً ولم يخرج مطبوعاً على الرغم من تسجيله أطروحة دكتوراه في إحدى الجامعات العربية منذ بضع سنوات خلت[٣]. والثالث: «الإيجاز»[٤] وهو مختصر للإيضاح، وقد سها محقق «المقتصد»[٥] في جعله شرحاً مختصراً للإيضاح، وكذلك في نسبته إلى «كشف الظنون» إذ ليس فيه ما قال، وكلمة «شرح» مُدْرَجَة من عنده، ولفظه «وله مختصر الإيضاح المسمّى بالإيجاز. أوله: الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه»[٦]. وسيأتي قريباً شرح ابن الحاجب لهذا المختصر في كتابه «المكتفي للمبتدي».

١٥ ـ الحسن بن أحمد بن البنّاء المقريّ (٤٧١ هـ). ذكر ياقوت والسيوطي أنه صنّف «شرح الإيضاح»[٧]. ويبدو أن شرحه ليس بذاك، يدلّ على ذلك كلامٌ لهم فيه يحطّ من منزلته، من ذلك ما أورده السيوطي نقلاً عن بعضهم، قال «وله شرح إيضاح الفارسي، قال القفطي وابن النجار: إذا تأمّلت كلامه بان لك من رداءته وسوء تصرّفه أنه لا يحسن العربية»[٨].

---

(١) شرح الإيضاح للعكبري ٤١/أ، ٤٧/ب، ٥٦/أ، ٨٦/ب، ٩٦/ب، ١١٥/ب، ١٣٧/ب، ١٤٤/ب، ١٤٨/أ/ ١٥٧/أ، ١٨٠/ب، ١٨١/ب، ١٨٧/ب، ٢٢٤/ب.

(٢) صدر في بغداد سنة ١٩٨٢، وأصله أطروحة دكتوراه في جامعة القاهرة ١٩٧٥.

(٣) سجّله محمد بن عبد العزيز الحمود سنة ١٤٠٤هـ في جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. انظر أخبار التراث العربي، ع ٢٩، ص ٢١، س ١٤٠٧هـ.

(٤) كشف الظنون ٢١٢/١.

(٥) المقتصد ٢٥/١.

(٦) كشف الظنون ٢١٢/١.

(٧) معجم الأدباء ٢٦٥/٥ ـ ٢٧٠، والبغية ٤٩٦/١.

(٨) بغية الوعاة ٤٩٦/١.

وتحتفظ مكتبة باتنة في بنكيبور بنسخة منه، رقمها (١٩: ٢٠١٤)[١].

١٦ ـ سلمان بن عبد الله النهرواني الحلواني (٤٩٣ هـ). ألّف «شرح الإيضاح» وقد نصّ على ذلك الفيروزآبادي والسيوطي[٢].

١٧ ـ محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (٥٠٠ هـ). نسب إليه ياقوت والسيوطي وحاجي خليفة تصنيف «الإيجاز في النحو»[٣] وهو مختصر للإيضاح.

١٨ ـ سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي (٥٢٨ هـ). انفرد بالرّدّ على أبي عليّ الفارسي في «الإيضاح». وله في ذلك مصنّف مشهور، صدر بعنوان «رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح»[٤] وسمّاه اليماني والفيروزابادي «الإفصاح على كتاب الإيضاح»[٥]، وأورده حاجي خليفة بتسمية مختصرة تدل على مضمونه «اعتراضات ابن الطراوة النحوي»[٦]. أمّا سبب انصراف مؤلّفه إلى الرّدّ على أبي عليٍّ في «الإيضاح» دون غيره من النحاة فقد كشف عنه في المقدّمة قال «وكان حدا إلى النظر في هذا الكتاب تهافتٌ في تفضيله على غيره من المختصرات المرويّة، وتظاهرُ

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٩١.

(٢) البلغة ٩٠، وبغية الوعاة ١/٥٩٥.

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٢٥، وبغية الوعاة ٢/٢٧٧، وكشف الظنون ١/٢٠٦.

(٤) عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠، ونصّ محقّقه د. حاتم الضامن أنه استغنى عن تفصيل الحديث عن ابن الطراوة وكتابه بما ذكره د. محمد إبراهيم البنا في كتابه «أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو» تونس ١٩٨٠، والدكتور عياد عيد الثبيتي في كتابه «ابن الطراوة النحوي» السعودية ١٩٨٢.

(٥) إشارة التعيين ١٣٥، والبلغة ٩٢.

(٦) كشف الظنون ١/٢١٣.

المصحفين لتقدّمه على التواليف المُسْنَدَة خروجاً من شرط النقل عن أهل الثقة والإسناد إلى الأئمة، حتى درست آثار المتقدمين، وامّحت سبيل المؤلفين، فطمسوا أعينَ الناظرين، وضربوا على آذان السامعين، وخلصوا إلى قلوب الناشئين»[١].

وأساس عناية ابن الطراوة في هذا الكتاب مارآه فيه من التقصير، وذلك لتفرّد أبي علٍّ أو خروجه عن قصد سيبويه، قال «وإنما قصدنا إلى الإفصاح ببعض ماوقع في هذا الكتاب من التقصير ممّا تفرّد به وخرج عن قصد سيبويه، فأمّا ماسوى ذلك ممّا تاه فيه مع غيره فأكثرُ من أن أُحصيَه، وأبعدُ من أن أستوفيَه»[٢].

وقد تابع ابنُ الطراوة في كتابه أبا عليٍّ، فقسمه إلى جزءين، ضمّ الأولُ مآخذه على «الإيضاح»[٣]، وحوى الثاني مآخذَه على «التكملة»[٤]. ولزم في النوعين إيرادَ اعتراضاته مرتبةً على الأبواب النحوية والصرفية لكليهما. وطريقته فيهما أن يذكر موضع الاعتراض من كلام صاحب «الإيضاح» ثم يتبعه بما قاله سيبويه، ثم يبين فسادَ الأول وصحّةَ الثاني، إن كان ثَمّةَ خلاف بينهما، فإن عدم ذلك اكتفى ببيان وجه اعتراضه على أبي عليٍّ الفارسي. ومدارُ تلك الاعتراضات بعضُ عبارات الفارسي وأمثلته وأحكامه وأعاريبه ومصطلحاته.

وتطالعُ القارئَ في كثير من صفحات الكتاب أمثلةٌ لِحِدَّةٍ معهودة لدى ابن الطراوة، أخرجته في كثير من الأحيان عن النقد العلمي إلى التجنّي والتسفيه

(١) الإفصاح ١٦.

(٢) الإفصاح ٩. وبنحوه ص ٢٧ منه.

(٣) وهي تنتهي بالصفحة ١٠١ من المطبوعة.

(٤) وهي تقع مابين ١٠٣ و ١٣٩ من المطبوعة.

والتجريد من كل مزيّة، وظهر ذلك جلياً في مستهلّ كلامه على الجزءين، مضى أولهما قريباً، ونصّ الثاني «لم يزد في هذا الجزء على أن خلّف قول سيبويه غيرَ مسند إليه، ولا محيل عليه، فخلط كلامَه وفرّقه، وحرّف نظامَه وغيّره، وجعل مبتدأه منتهاه، وأسفلَه أعلاه، حتى بلغ من هذا الرأي إلى البدء بالتقاء الساكنين، وترك البدء بالتقاء المتحركين، إيثاراً للساكت على المتكلم، ومبادرةً إلى تأخير كلّ متقدّم، فإذا طالعه المبتدئ أذهله ذلك وهاله، وإن حاول تَفهُّم شيء منه أعجزه وطاله، فتركه تسليماً غيرَ واصلٍ إلى بُغْية، ولا مُحْرِزٍ لراحةٍ، ولا بُدّ مع هذا من تَصَفُّحِهِ لِرَمِّ ماوقع من خلل، وتبيين ما وقع من زَلَل»[1].

وفي وسع الباحث أن يقف عند كلّ واحدة من الاتهامات التي ساقها ابن الطراوة، وينقضها بما في «الإيضاح» نفسه. فهو - على صغر حجمه، وكونه من المختصرات النحوية - لم يُخْلِه أبو عليٍّ من التصريح بالنقل عن أكثر الأئمة المتقدمين، من ذلك أنه نقل أربع مرات عن كلّ من سيبويه[2] وأبي الحسن[3]، ومرتين عن أبي زيد[4]، ومرةً واحدةً عن كلٍّ من: الخليل وابن السراج وأبي إسحاق الزجاج وأبي عثمان المازني، وأبي عمر الجرمي[5]..

١٩ - علي بن أحمد الباذش الغرناطي (٥٢٨ هـ). عزا إليه لسان الدين بن الخطيب والسيوطي كتاب «شرح الإيضاح»[6]. ودعاه السيوطي في كتاب آخر له «حواشي الإيضاح»[7].

---

(١) الإفصاح ١٠٣.
(٢) الإيضاح ٢٠٣، ٢٥٤، ٢٩٣.
(٣) الإيضاح ١٢٣، ١٩٥، ٢٩٩، ٣٠٣.
(٤) الإيضاح ١٦٥، ٢٩٣.
(٥) الإيضاح ٢٢٩، ٢٦١، ٢٠٣، ١٧٦، ١٨٣ (على الترتيب نفسه).
(٦) الإحاطة ١٠١/٤، والبغية ٣٤٣/٢.
(٧) الأشباه والنظائر ٢٥٥/٧.

٢٠ ـ أبو جعفر محمد بن حكم (أو حكيم) بن محمد الجذامي السرقسطي (٥٣٨هـ). نسب إليه اليماني ولسان الدين بن الخطيب والفيروزآبادي والسيوطي كتاب «شرح الإيضاح»[١]. قال ابن الخطيب «شَرَحَ إيضاح الفارسي، وكان قيّماً على كتابه»[٢].

٢١ ـ هبة بن علي بن محمد الشجري (٥٤٢هـ). ذكر د. عبد الفتاح شلبي أنه صنّف «شرح الإيضاح»[٣] وأورده غفلاً من التوثيق، ولم أجده في المصادر المعتمدة.

٢٢ ـ يوسف بن يبقى بن يسعون التجيبي الأندلسي (بعد ٥٤٢هـ). نسب إليه اليماني والفيروزآبادي كتاب «المصباح في شرح أبيات الإيضاح»[٤] وهذه التسمية حملتها إحدى نُسخه المخطوطة[٥]. ودعاه السيوطي «المصباح في شرح ما اعتم من شواهد الإيضاح»[٦]. وسقطت كلمة «شواهد» من كتاب ابن قاضي شُهْبَة سهواً، فغدا نصّه «شَرَحَ إيضاح أبي علي الفارسي شرحاً جيداً»[٧].

ويعدّ شرح ابن يسعون من أهم شروح أبيات الإيضاح، وفي كلام ابن قاضي شُهْبَة المتقدّم ما يؤكّد هذا، وبنحوه وصفُ اليماني له بأنه «جليل

---

(١) إشارة التعيين ٣٠٩، والإحاطة ٧٢/٣، والبلغة ٢٢٠، والبغية ٩٦/١.

(٢) الإحاطة ٧٢/٣.

(٣) كتاب «أبو علي الفارسي» ٥٣٧.

(٤) إشارة التعيين ٣٩٤، والبلغة ٢٩٣.

(٥) نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، رقمها (١٤٣٤٥). وسترد قريباً.

(٦) بغية الوعاة ٣٦٣/٢. وهذا العنوان ورد في مقدمة مؤلّفه ٢/أ، ولفظه «وأرجو أن يكون كتابي هذا أجلى مصباح لِمَا اعتمّ من شواهد الإيضاح».

(٧) طبقات النحاة واللغويين ٥٤٩.

الفائدة، دلّ على مكانته من العلم»[١]. وهذه الأهمية هي التي دفعت بعض النحاة إلى اختصاره مثل عبيد الله بن عمر الإشبيلي (٥٥٠هـ) وناصر بن عبد السيّد المطرزي (٦١٠هـ). كما حملت هذه الأهمية بعض الأئمة على الإفادة منه والنقل عنه مثل البغدادي في كتابيه «خزانة الأدب»[٢] و «شرح أبيات المغني»[٣].

وتحسن الإشارة أخيراً إلى أن كتاب ابن يسعون يتضمن شرح شواهد الجزءين «الإيضاح» و «التكملة». وهناك نسخة تامة جيدة منه، تقدمت الإشارة إليها في حاشية، وتحتفظ بها المكتبة الأحمدية بحلب، وهي الآن في مكتبة الأسد الوطنية تحت رقمها القديم نفسه (١٤٣٤٥). وتقع في مجلد أوراقه (٢٨٧) ورقة، تنتهي شواهد الجزء الأول في ١٥٦/ب، والباقي لشواهد الجزء الثاني.

٢٣ ـ عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي (٥٥٠هـ). ذكر السيوطي وحاجي خليفة أنه صنّف كتاب «الإفصاح في اختصار المصباح»[٤] وسماه ابن قاضي شهبة وحاجي خليفة في موضع آخر «الإيضاح في اختصار المصباح»[٥]. وقد سلفت الإشارة قريباً إلى أنه في اختصار كتاب ابن يسعون «المصباح في شرح أبيات الإيضاح».

٢٤ ـ أحمد بن عبد العزيز بن هشام الفهري الشنتمري اليابري

---

(١) إشارة التعيين ٣٩٤.

(٢) انظر مثلاً: ٤٦/١، ٢١٦، ٣١٣، ١٦٤/٨ ـ ١٦٥، ٥١٧، ٢٦/٩ ـ ٢٧، ٤٠٥/١١.

(٣) انظر مثلاً: ٣٢/٢ ـ ٣٤، ٧/٣ ـ ٨، ١٦٥، ١١٣/٤ ـ ١١٤، ١٦٩/٥ ـ ١٧٠، ٢٢٠.

(٤) البغية ١٢٧/٢، والكشف ١٣٣/١، ٢١٣.

(٥) طبقات النحاة ٣٩٥، والكشف ٢١٤/١.

(٥٥٣هـ). عزا إليه السيوطي تأليف «شرح شواهد الإيضاح»[١].

٢٥ ـ نصر بن علي بن محمد الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (بعد ٥٦٥هـ). نسب إليه ياقوت والسيوطي تصنيف «شرح الإيضاح»[٢] وأورده القفطي «الإفصاح» في شرح الإيضاح»[٣]. ونصّ ياقوت على أنه «قرئ عليه سنة خمس وستين وخمسمائة، وتُوُفّي بعدها»[٤].

٢٦ ـ أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي المقرئ (٥٦٧هـ)[٥]. صنّف كتاب «إيضاح شواهد الإيضاح»[٦]. وقد طبع هذا الكتاب في مجلدين بتحقيق د. محمد الدعجاني[٧].

٢٧ ـ محمد بن عبد الله بن ميمون القرطبي (٥٦٧هـ). عزا إليه لسان الدين بن الخطيب والسيوطي وضع كتاب «شرح أبيات الإيضاح»[٨].

٢٨ ـ سعيد بن المبارك بن الدهان (٥٦٩هـ). صنّف كتاباً كبيراً في شرح إيضاح أبي علي الفارسي، وقد سمّاه كلٌّ من ياقوت والقفطي والصفدي واليماني وأبي حيّان والفيروزآبادي وابن قاضي شهبة والسيوطي

(١) البغية ٣٢٦/١.

(٢) معجم الأدباء ٢٢٥/١٩، والبغية ٢١٤/٢.

(٣) إنباه الرواة ٣٤٥/٣.

(٤) معجم الأدباء ٢٢٥/١٩.

(٥) كذا وردت وفاته في تاريخ بروكلمان ١٩٢/٢. وشكك محقق كتابه في صحة هذا التاريخ، ونصّ على أنه لم يعثر له على ترجمة تحدد ميلاده ووفاته، وأن المؤكد هو أنه من رجال القرن السادس.

(٦) كشف الظنون ٢١٣/١. وفي تاريخ بروكلمان ١٩٢/٢ أنها عنوان نسخة مكتبة الاسكوريال ثان (٤٥).

(٧) صدر في بيروت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. عن دار الغرب الإسلامي.

(٨) الإحاطة ٨٦/٣، وبغية الوعاة ١٤٧/١.

وحاجي خليفة والبغدادي «شرح الإيضاح»[١]. وذكره ابن خلكان بتسميته الوافية «شرح الإيضاح والتكملة»[٢]. وعُرف بتسمية ثالثة أوردها أبو حيان في مواضع أخرى، هي «الشامل في شرح الإيضاح»[٣]. وأمّا ضخامة حجمه فقد نصّ غير واحد من أصحاب التراجم على أنه يقع في أربعين مجلداً[٤]، ونصّ آخرون على أنه يقع في ثلاثة وأربعين مجلداً[٥]، ولم يصلنا من هذا الشرح غير نقول متفرقة في بعض المصادر النحوية[٦]، وما نعلمه عنه لا يتجاوز ماوصفه به اليماني في قوله «وهو شرح كبير كثير الفائدة»[٧].

٢٩ - عثمان بن علي السرقوسي الصقلي (٥٧٦هـ). وضع كتاباً على إيضاح أبي علي، غير أن ثمة خلافاً في تسميته نتج عنه خلاف في مادته، إذ جعله بعضهم في شرح مادة «الإيضاح»، وعدّه آخرون في شرح أبياته، فقد سمّاه ياقوت واليماني والفيروزآبادي «حواشي الإيضاح»[٨]. وجاء بنحو هذا العنوان، ولكنْ بصيغة الإفراد عند القفطي «الحاشية على

---

(١) معجم الأدباء ٢٢١/١١، وإنباه الرواة ٤٨/٢، ٥٠، ونكت الهميان ١٥٨، وإشارة التعيين ١٢٩، وتذكرة النحاة ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٦، والبلغة ٨٦، وطبقات النحاة واللغويين ٢٩٣، وبغية الوعاة ٥٨٧/١، والأشباه والنظائر ١٦٩/٧ - ١٧٠، وكشف الظنون ٢١٢/١، وهدية العارفين ٣٩١/١.

(٢) وفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٣) تذكرة النحاة ٣٤٢ - ٦٥١.

(٤) معجم الأدباء ٢٢١/١١، والنكت ١٥٨، والبغية ٥٨٧/١، والهدية ٣٩١/١.

(٥) معجم الأدباء ٢٢١/١١، والإنباه ٤٨/٢ - ٥٠، وغربال الزمان ٤٥٣، والكشف ١١٢/١.

(٦) مثل تذكرة النحاة ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٦، ٦٥١، والأشباه والنظائر ١٦٩/٧ - ١٧٠.

(٧) إشارة التعيين ١٢٩.

(٨) معجم الأدباء ١٣٠/١٢ - ١٣٥، وإشارة التعيين ٢٠٢، والبلغة ١٣٩.

كتاب الإيضاح»[١] ووصفها بأنها «غاية في الجودة». وسمّاه ياقوت في موضع آخر وإسماعيل البغدادي «شرح الإيضاح»[٢]. ولكن المحقق البغدادي نعت مؤلّفه بأنه شارح أبيات الإيضاح[٣].

فإن صحّ ما قاله المحقق البغدادي وما نسبه ياقوت واليماني والفيروزآبادي، والأصل كذلك، وكان الصقليُّ شارحُ أبيات الإيضاح هو نفسه عثمان بن علي السرقوسي الصقلي مؤلّف حواشي الإيضاح = فلا يبعد أن يكون قد وضع مُصنَّفينِ: أحدهما في شرحه سمّاه «حواشي الإيضاح» والثاني في شرح أبياته. ومثل هذه العناية بشرح مادة الإيضاح في كتاب وشواهده في كتاب آخر سنجد قريباً أمثلة لها عند بعضهم مثل أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) وابن البرذعي (٦٤٦هـ).

٣٠ ـ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (٥٧٧هـ).
عزا إليه اليماني والفيروزآبادي والسيوطي تصنيف «حواشي الإيضاح»[٤]. وأمّا حاجي خليفة فقد ذكر مؤلّفه ضمن شُرّاح الإيضاح[٥].

٣١ ـ أبو بكر محمد بن أحمد طاهر الخِدَبّ الإشبيلي (٥٨٠هـ).
صنّف كتاباً في خدمة كتاب الإيضاح، ورد في المصادر بثلاث تسميات، فقد دعاه اليماني والفيروزآبادي والسيوطي «تعليق على

---

(١) إنباه الرواة ٢/٣٤٣.
(٢) معجم الأدباء ١٢/١٣٧، والهدية ٥/٦٥٤.
(٣) قال في شرح شواهد الشافية ٤/٦٠ «.. وهذا الشعر لِخطام المجاشعي، ونسبه الصقلي شارح أبيات الإيضاح للفارسي، والجوهري في الصحاح إلى هميان بن قحافة».
(٤) إشارة التعيين ١٨٦، والبلغة ١٢٥، والبغية ٢/٨٧.
(٥) كشف الظنون ١/٢١٢.

الإيضاح»[١]. وسمّاه حاجي خليفة والبغدادي «شرح الإيضاح»[٢]. وذكره السيوطي في موضع آخر بعنوان «طُرَر الإيضاح»[٣].

٣٢ ـ عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار المقدسي (٥٨٢هـ). من مصنّفاته «شرح شواهد الإيضاح». وهو كتاب مشهور، أفاد منه خالفوه فأكثروا من النقل عنه، وقد سمّاه المحقق البغدادي «شرح أبيات الإيضاح» وذلك فيما نقله عنه[٤]، وربما نقل عنه مصرّحاً باسم الكتاب دون اسم مؤلِّفه[٥]. ويحتوي الشرح المذكور على شواهد الجزءين: الإيضاح، والتكملة. وجملة ماشرحه من شواهدهما (٣٢٤) شاهداً. وقد صدر مطبوعاً بتحقيق د. عيد مصطفى درويش ومراجعة د. محمد مهدي علام[٦].

٣٣ ـ محمد بن جعفر بن أحمد المرسي البلنسي (٥٨٦هـ). نسب إليه اليماني وابن الخطيب والسيوطي وحاجي خليفة والبغدادي كتاب «شرح الإيضاح»[٧].

٣٤ ـ مصعب بن محمد الأندلسي الجيّاني المعروف بابن أبي رُكَب

(١) إشارة التعيين ٢٩٥، والبلغة ٢٠٦، وبغية الوعاة ٢٨/١.

(٢) كشف الظنون ٢١٣/١، وهدية العارفين ١٠٠/٢.

(٣) الأشباه والنظائر ٢٥٥/٧. وتصحَّف فيه إلى «طرز» بالزاي.

(٤) الخزانة ٢٤٦/٢، ٩٨/٦، وشرح أبيات المغني ١٦٥/٢، ١٦٣/٣، ٢١٢/٤، ٣٢٥/٥.

(٥) من ذلك ما أورده في شرح أبيات المغني ١٦٩/٥. وهو في كتاب ابن بري ١١٧.

(٦) صدر في مجلد كبير عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٧) إشارة التعيين ٣٠٣، والإحاطة ٧٢/٣، وبغية الوعاة ٦٩/١، وكشف الظنون ٢١٢/١، ٦٠٣، وهدية العارفين ١٠٢/٢.

(٦٠٤هـ) عزا إليه الذهبي وابن قاضي شهبة تصنيف «شرح الإيضاح»[١].

٣٥ ـ عيسى بن عبد العزيز الجُزُولي البربري المراكشي (٦٠٧هـ) نسب إليه محقّق «شرح شواهد الإيضاح» لابن بري كتاب «شرح الإيضاح[٢]». ولم أقف على مصدره في ذلك.

٣٦ـ الحسن بن علي بن حمدون الأسدي الجلولي (٦٠٨هـ). نقل أبو حيان والسيوطي عن مُصَنَّفه «نُكَت على إيضاح الفارسي»[٣]. وسمّاه حاجي خليفة «شرح الإيضاح»[٤].

٣٧ ـ أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكندي (٦١٣هـ). نسب إليه د. عبد الفتاح شلبي كتاب «شرح الإيضاح»[٥]. ولم أهتد إلى مصدره في هذا على وفرة مصادر البحث.

٣٨ ـ سليمان بن بنين بن خلف المصري الدقيقي (٦١٤هـ). ذكر السيوطي وإسماعيل البغدادي أنه صنّف كتاب «الوضّاح في شرح أبيات الإيضاح»[٦]. وأورده ابن بنين نفسه في مقدمة كتابه «اتفاق المباني»[٧]. وأمّا ماذكره محقّق هذا الكتاب من أن «الوضّاح» في شرح إيضاح الزجاجي فهو مجانب للصواب[٨].

٣٩ ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ). تقدمت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٧٧ ـ ٤٧٨، وطبقات النحاة واللغويين ٤٩٦.

(٢) شرح شواهد الإيضاح ١٧.

(٣) تذكرة النحاة ١٠٩، وارتشاف الضرب ٢/١٣٣، والهمع ١/١٣٥.

(٤) كشف الظنون ١/٢١٣.

(٥) كتاب «أبو علي الفارسي» ٥٣٧.

(٦) بغية الوعاة ١/٥٩٧، وإيضاح المكنون ٢/٧١٢، وهدية العارفين ١/٣٩٩.

(٧) اتفاق المباني وافتراق المعاني ٨٣.

(٨) اتفاق المباني ص ١٢، حاشية ١١، وص ٨٣، الحاشية الأولى.

الإشارة إلى أنه كان بالغ العناية بكتاب أبي علي «الإيضاح» إذ صنّف عليه ثلاثة كتب، هي:

آ- «شرح الإيضاح»[1]: وقد عرف هذا الكتاب بغير ما تسمية، منها تسمية وافية تنصّ على الجزءين معاً، ذكرها ابن الدمياطي والصفدي، ولفظها «المصباح في شرح الإيضاح والتكملة»[2]. وعُرف بتسمية أخرى قريبة من هذه، أوردها السيوطي والداودي وابن العماد والخوانساري ونصّها «شرح الإيضاح والتكملة»[3]. وهذه التسمية توافق ما جاء في عنوان نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٠٧) وهي ناقصة وبها خروم، ولم يبق منها سوى مجلدين، وقد نسخت بُعيد وفاة المؤلِّف سنة ٦٢٢هـ[4]. وسمّاه اليماني والفيروزآبادي وابن قاضي شهبة وإسماعيل البغدادي «المصباح في شرح الإيضاح»[5]. وظاهر أنها تسميته الوافية غير أنه اقتصر فيها على الجزء الأول استغناءً به لأنه يطلق على الجزءين، وهذه التسمية حملتها نسخة المتحف البريطاني الآتي بيانها قريباً. وسمّاه أغلب مترجميه كالقفطي وابن خلكان واليافعي وابن قاضي شهبة وابن رجب الحنبلي والعليمي وحاجي خليفة وبعض النحاة كالسيوطي والمحقق البغدادي بتسميته المختصرة «شرح

---

(١) نهض كاتب البحث بتحقيق هذا الشرح ودراسته، ونال بهما درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف من جامعة دمشق ١٩٩٢.

(٢) المستفاد ١٤١، ونكت الهميان ١٨٠، والوافي بالوفيات ١٤١/١٧.

(٣) بغية الوعاة ٣٩/٢، وطبقات المفسرين ٢٢٦/١، وشذرات الذهب ٦٩/٥، وروضات الجنات ٤٥٤.

(٤) فهرس المكتبة الخديوية ٦٥/٤، وفهرس دار الكتب المصرية ١٢٤/٤، ١٣١، وتاريخ بروكلمان ١٩١/٢.

(٥) إشارة التعيين ١٦٣، والبلغة ١٠٨، وطبقات النحاة واللغويين ٣٣٠، وهدية العارفين ٤٥٩/١.

الإيضاح»[١]. وهذه التسمية توافق عنوان نسخة مكتبة فاتح رقم (٢٩٠٨) كتبت سنة ٦٧٤ هـ، وتقع في مجلد كبير، أوراقه (٢٣٣) ورقة.

ب ـ «شرح التكملة»: وقد مضت الإشارة إليه، ومنه نسخة يحتفظ بها المتحف البريطاني، رقم (أول ٦٤٠)، تقع في (٣٦١) ورقة من القطع الكبير، كتبت في حياة مؤلفها سنة ٦١٣هـ. ونصّ عنوانها الرئيسي «الجزء الثاني من المصباح في شرح الإيضاح»[٢]. وكُتب إلى يسار العنوان بخط مائل تسمية الكتاب المختصرة المشهورة المطابقة لمضمونه، وهي «شرح التكملة» بياناً للأولى.

جـ ـ «الإيضاح عن معاني أبيات الإيضاح»: ذكره اليماني والصفدي وابن قاضي شهبة والفيروزآبادي[٣]. وهذا الكتاب من جملة شروح شواهد الإيضاح التي تزيد على عشرة، ويعدّ أبو البقاء من الشرّاح المتأخرين، فقد سبقه إلى ذلك: ابن السيرافي وابن البناء وابن يسعون وابن هشام اليابري وابن ميمون العبدري وابن بري وابن خلف الذقيقي.

لقد تعددت المصنَّفات التي وُسِمَت بـ «الإفصاح» واتخذت من «الإيضاح» أو شواهده مادةً لها، ممّا نتج عنه وقوع لبس فيما بينها، يرتفع بإثباتها مقرونةً بمؤلفيها حسب وفياتهم:

ـ «الإفصاح ببعض ماجاء من الخطأ في كتاب الإيضاح»: لسليمان بن

(١) الإنباه ١١٧/٢، والوفيات ١٠٠/٣، والمرآة ٣٢/٤، والإعلام ٢٩/أ، وذيل طبقات الحنابلة ١١١/٢، والمنهج الأحمد ٣٤٦/٢، والكشف ٢١٢/١، والأشباه والنظائر ٢٧٩/٧، ٢٨٨، والهمع ٢٥٤/١، والخزانة ١٤٠/١، ٧٧/٣، ٨٨، ١١٦، ٥/٥، ١٢١/٨، ٢٦٣ وشرح أبيات المغني ٢٩٧/٢.

(٢) لم أقف على نسخة ثانية على طول البحث، ولديّ مصوّرة عنها.

(٣) إشارة التعيين ١٦٣، ونكت الهميان ١٨٠، والوافي بالوفيات ١٤١/١٧، وطبقات النحاة واللغويين ٣٣٠، والبلغة ١٠٨.

الطراوة (٥٢٨هـ).

- «الإفصاح في اختصار المصباح»: لعبيد الله بن عمر الإشبيلي (٥٥٠هـ).

- «الإفصاح في شرح الإيضاح» لنصر بن علي الفارسي (بعد ٥٦٥ هـ)

- «الإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح»: لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ).

- «الإفصاح بفوائد الإيضاح»: لمحمد بن هشام الخضراوي البرذعي (٦٤٦هـ).

- «الكافي في الإفصاح عن مسائل الإيضاح» ويعرف بـ «الإفصاح»: لابن أبي الربيع (٦٨٨هـ).

- «الإفصاح في غوامض الإيضاح»: لإبراهيم بن أحمد الجزري (٧٠٩هـ).

- «الإفصاح في شرح أبيات التكملة»: لمؤلّف مجهول.

٤٠ - محمد بن أحمد بن سليمان الزهري الأندلسي (٦١٧هـ). عزا إليه اليماني والفيروزآبادي والسيوطي وحاجي خليفة كتاب «شرح الإيضاح»[١]. وهو شرح مُسْهَب يقع في خمسة عشر سفراً[٢].

٤١ - أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (٦١٩هـ). نسب إليه اليماني وابن قاضي شهبة والفيروزآبادي والسيوطي تأليف كتاب «شرح الإيضاح»[٣].

٤٢ - المظفري (لعلّه مظفر بن إبراهيم بن جماعة المصري أبو العزّ)

---

(١) إشارة التعيين ٢٩٦٠، والبلغة ٢٠٧، والبغية ١/٢٦، وكشف الظنون ١/٢١٢.

(٢) إشارة التعيين ٢٩٦.

(٣) إشارة التعيين ٣٧، والبلغة ٢٥، وطبقات النحاة واللغويين ١٨٢، وبغية الوعاة ١/٣٣١.

(٦٢٣ هـ) نسب إليه د. عبد الفتاح شلبي تصنيف «شرح الإيضاح»[١] غير أني لم أقف على مصدره مع كثرة البحث ووفرة المصادر .

٤٣ ـ أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي (٦٢٥ هـ) . عزا إليه اليماني والفيروزآبادي والسيوطي تأليف «شرح الإيضاح»[٢].

٤٤ ـ أحمد بن الحسين المعروف بابن الخبّاز الإربلي (٦٣٧ هـ). كان شديد العناية بكتاب الفارسي، حتى كان من جُمْلة محفوظه «الإيضاح» و «التكملة»[٣] على ضرٍّ في عينيه. نقل البغدادي وابن هشام من كتابه «شرح الإيضاح» في غير ما موضع[٤]. ولم يذكره السيوطي في ترجمة ابن الخباز خلافاً لِمَا قاله د. عبد الفتاح شلبي[٥].

٤٥ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البَطَلْيَوسي (٦٤٢ هـ)[٦]. نسب إليه اليماني والفيروزآبادي كتاب «شرح الإيضاح»[٧].

٤٦ ـ أحمد بن علي بن مَعْقِل الأَزْدي الحمصي (٦٤٤ هـ) . أخذ النحو عن أبي البقاء العكبري ببغداد، ذكر اليماني والذهبي والفيروزآبادي أنه نظم الإيضاح والتكملة لأبي عليّ الفارسي[٨]، وأجاد في ذلك حتى أثنى على نظمه اليماني والسيوطي وأبو اليُمْن الكندي في قصة مشهورة[٩] .

(١) كتاب «أبو علي الفارسي» ٥٣٧.

(٢) إشارة التعيين ٣٨٩، والبلغة ٢٩٠، وبغية الوعاة ٢/ ٣٦٢.

(٣) إشارة التعيين ٢٩، والبلغة ١٩ .

(٤) انظر: خزانة الأدب ١٠/ ٥٧، ومغني اللبيب ٢٥٣، ٣٠٢، ٤٠٤، ٦٤١.

(٥) في كتابه «أبو علي الفارسي» ٥٣٧، وأحال فيه على بغية الوعاة ١/ ٣٠٤.

(٦) وقيل: (٦٤٦ هـ) وكلاهما من البغية ١/ ٤٢٢. وفي إشارة التعيين ١٩: (٦٣٧ هـ).

(٧) إشارة التعيين ١٩، والبلغة ١١.

(٨) إشارة التعيين ٤١، والسير ٢٣/ ٢٢٢-٢٢٣، والبلغة ٢٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٤٨.

(٩) نقلها ابن الصابوني في تكملة إكمال الكمال ق ١١٧ (نقلاً عن محقق تلخيص مجمع الآداب ١/ ٩).

٤٧ ـ عثمان بن عمر بن الحاجب (٦٤٦ هـ). ذكر حاجي خليفة[١] أنه صنّف كتاب «المكتفي للمبتدي» شرح فيه مختصر الإيضاح للجرجاني المسمّى بـ «الإيجاز» وأثبت طرفاً من كلٍّ منهما[١]. وتابع د. عبد الفتاح شلبي ماورد في مطبوع «هدية العارفين» من أن كتاب ابن الحاجب «المكتفي للمبتدي» هو في: شرح الإيضاح[٢]، وكلاهما غير صحيح.

٤٨ ـ محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي الأندلسي المعروف بابن البَرْذَعي (٦٤٦ هـ). كان بالغ العناية بكتاب «الإيضاح» فقد صنّف عليه ثلاثة كتب، في شرحه، وشرح أبياته، واختصاره، أولها «الإفصاح بفوائد الإيضاح»[٣] ويعرف بـ «شرح الإيضاح»[٤] و بـ «الإفصاح في شرح الإيضاح»[٥] و بـ «الإفصاح عن كتاب الإيضاح»[٦]، والثاني «غُرَر الإصباح في شرح أبيات الإيضاح»[٧]، والثالث «الاقتراح في تلخيص الإيضاح»[٨].

---

(١) انظر كلامه في كشف الظنون ١/ ٢١٢ .

(٢) انظر كتاب «أبو علي الفارسي» ٥٣٨، وهدية العارفين ١/ ٦٥٥ .

(٣) إشارة التعيين ٣٤١، والبلغة ٢٥٠، وبغية الوعاة ١/ ٢٦٧، وخزانة الأدب ٧/ ٢٧٢، ٤١٤، وكشف الظنون ١/ ١٣٢، ٢١٢.

(٤) الأشباه والنظائر ٧/ ٢٦٢ .

(٥) هذه تسمية نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٦). انظر فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ٢/ ٧٨، وفهرس المكتبة الخديوية ٤/ ٢٤.

(٦) تاريخ بروكلمان ٢/ ١٩٢. وأحال فيه على نسخة «القاهرة ثان ٢/ ٧٨» المتقدمة.

(٧) بغية الوعاة ١/ ٢٦٧، وإيضاح المكنون ٢/ ١٤٥، وهدية العارفين ٢/ ٢٤، وتصحفت في الأخيرين كلمةُ «الإصباح» إلى «الصباح» وتصحفت «غُرَر» إلى «غُرّة» في كلٍّ من «الأعلام» ٨/ ٨ (ط. ثالثة) ومعجم المؤلفين ١٢/ ١١٣.

(٨) الإشارة ٣٤١، والبلغة ٢٥٠، والبغية ١/ ٢٦٧، وإيضاح المكنون ١/ ١١٠، والهدية ٦/ ١٢٤.

٤٩ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الحاج (٦٥١ هـ). نسب إليه اليماني والفيروزآبادي كتاب «مشكلات على الإيضاح»[١]. وذكره السيوطي بعنوان «حواشٍ على الإيضاح»[٢]. وسمّاه حاجي خليفة والبغدادي «شرح الإيضاح»[٣].

٥٠ ـ محمد بن يحيى الجُذامي المالقي المعروف بالخفاف (٦٥٧ هـ). ألّف «شرح الإيضاح»، نصّ على ذلك السيوطي، ولفظه «.. ويقال إنه صنّف شرح الإيضاح واللُّمَع لصدر الدين وتقي الدين ابني القاضي تاج الدين ابن بنت الأغرّ، لأنه كان منقطعاً إليهم»[٤]. وقد نقل عن كتابه المتقدم بعض النحويين مثل أبي حيان والسيوطي والبغدادي[٥].

٥١ ـ علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي المعروف بابن عصفور (٦٦٩ هـ). ذكر اليماني والفيروزآبادي أن من مؤلّفاته التي لم يكملها «شرح الإيضاح»[٦]. وله منزلة رفيعة عند النحاة، إذ نقل عنه ابن هشام والسيوطي والبغدادي في كتابيه[٧].

٥٢ ـ علي بن محمد بن علي الكتامي الإشبيلي المعروف بابن الضائع

---

(١) إشارة التعيين ٤٧، والبلغة ٣١.

(٢) بغية الوعاة ١/ ٣٥٩.

(٣) كشف الظنون ١/ ٢١٣، وهدية العارفين ٥/ ٦٥.

(٤) بغية الوعاة ١/ ٤٧٣.

(٥) الارتشاف ٢/ ٥٩٦، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٣٤، ٣/ ١٤٩- ١٥٠، ٣٣٧- ٣٣٨، ٤/ ١٥٥- ١٥٦، وخزانة الأدب ١١/ ١٧٧.

(٦) إشارة التعيين ٢٣٦، والبلغة ١٧٠.

(٧) المغني ٦٢٧، والأشباه والنظائر ٧/ ٨٦، ٨/ ١٣٣- ١٣٤، وخزانة الأدب ٦/ ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٠، ٢٨٥، ١٠/ ٤٨- ٤٩، ١١/ ٣١٨، ٣١٩، ٤٣٩، وشرح أبيات المغني ١/ ١٥٣- ١٥٤.

(٦٨٠ هـ). قال لسان الدين بن الخطيب «وله إملاء على طائفة كبيرة من إيضاح الفارسي، وله اعتناء كبير بكلام الفارسي على الجملة، وبحسب ذلك استقصى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة على أبي عليّ بالرد، واستوفى ماوقع له في ذلك»[١]. وقال السيوطي «أملى على إيضاح الفارسي وردّ اعتراضات ابن الطراوة على الفارسي»[٢] وتصحّف في بعض المصادر إلى «الرد على الإيضاح لأبي علي الفارسي»[٣].

٥٣ ـ علي بن محمد بن محمد الحسني الأبّذي (٦٨٠ هـ) . قال اليماني «أملى على كتاب سيبويه تقاييد على الإيضاح وعلى الجمل»[٤].

٥٤ ـ عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع القرشي الإشبيلي (٦٨٨ هـ). نسب إليه اليماني والسيوطي والبغدادي تأليف كتاب «شرح الإيضاح»[٥] ويعرف بـ «الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح»[٦] و «الإفصاح في شرح الإيضاح»[٧]. وهو من شروحه القيمة، يدلّ على ذلك اختصارُ تلميذه السَّبْتي الآتي له، ووفرةُ نقول السيوطي عنه[٨].

٥٥ ـ محمد بن إبراهيم بن محمد السَّبْتي المالكي تلميذ ابن أبي الربيع

(١) الإحاطة ٤/ ١٢٠ .

(٢) البغية ٢/ ٢٠٤، وبمعناه في الكشف ١/ ٢١٣.

(٣) هدية العارفين ١/ ٧١٣.

(٤) إشارة التعيين ٢٣٤، والبلغة ١٦٨.

(٥) إشارة التعيين ١٧٤، وبغية الوعاة ١/ ١٤، ٢/ ١٢٥، وهدية العارفين ٥/ ٦٤٩.

(٦) عنوان نسخةالزاوية الحمزية بالمغرب رقم (١٧)، انظر البسيط في شرح الجمل ٢/ ١١٠٧.

(٧) عنوان نسخة جامع القرويين بفاس رقم (١١٨٩)، انظر تاريخ بروكلمان ٢/ ١٩٢.

(٨) انظر الأشباه والنظائر: ١/ ٧٢، ٩٥، ٢/ ١٥٠ـ ١٥١، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٩، ٣٣٢، ٣/ ١٣٦، ٤/ ٣١ـ ٣٢، ٦١، ١١٧، ٥/ ١٠.

(٦٩٥ هـ). عزا إليه السيوطي وحاجي خليفة اختصارَ كتاب شيخه ابن أبي الربيع «شرح الإيضاح»[١].

٥٦ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري الجزري (٧٠٩ هـ) عزا إليه السيوطي كتاب «إيضاح غوامض الإيضاح»[٢]. ويعرف بـ «الإفصاح في غوامض الإيضاح»[٣].

وهناك ثلاثة أعلام لم أقف على ترجمات لهم فيما رجعت إليه من مصادر، آثرت تذييل القائمة بهم، وإيرادهم على تسلسل حروف أسمائهم أو كناهم، وهم:

٥٧ ـ أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الكافي. نسب إليه بروكلمان تصنيف كتاب «شرح الإيضاح» وأحال فيه على نسخة في مكتبة إسماعيل أفندي برقم (٢)[٤].

٥٨ ـ أبو علي عبد الكريم بن حسن. عزا إليه حاجي خليفة «شرح أبيات الإيضاح» وأورده في آخر شرّاح أبياته[٥].

٥٩ ـ أبو بكر محمد بن عبد الملك النحوي . قال محقق «شرح شواهد إيضاح» لابن بري «له شرح على إيضاح مفقود»[٦].

ولا بُدَّ من التنبيه في نهاية قائمة الأعلام الذين توفروا على خدمة

---

(١) بغية الوعاة ١/ ١٤، وكشف الظنون ١/ ٢١٣ .

(٢) بغية الوعاة ١ / ٤٠٦ .

(٣) هدية العارفين ١٨/٥.

(٤) تاريخ بروكلمان ١٩٢/٢.

(٥) كشف الظنون ٢١٣/١.

(٦) وذلك في حاشية علق بها على كلمة «النحوي» في قول ابن بري ٢٢٦ «قال مصنّفه أبو بكر محمد بن عبد الملك النحوي: إنما يرد الإضمارُ الأشياءَ إلى أصولها».

«الإيضاح» إلى أمر ذي بال، وهو أن هناك أربع تسميات لمصنّفات تناولت كتاب أبي عليٍّ، لكنها وردت غفلاً من أسماء مؤلفيها ثلاث منها نُسخ مخطوطة، والرابعة عنوان ورد في أحد المصادر. والوجه في إثبات هذه التسميات هنا احتمال أن تكون لغير المؤلفين الذين سلفت ترجمتهم. أمّا النسخ فاثنتان منها تحتفظ بهما دار الكتب المصرية، إحداهما «شرح الإيضاح» وهي نسخة في مجلدين رقمها (١٧)، كتبها محمد بن محمود ابن بركات بن محسن الشامي سنة ٥٩٠هـ، وأصلها من خزائن المكتبة الخديوية[١]. والثانية «شرح شواهد الإيضاح» وهي نسخة في جزء، رقمها (٤٦١) كتبت بخط قديم، مخرومة من الأول والآخر[٢]. والثالثة «شرح الإيضاح» نسخة تحتفظ بها مكتبة لاله لي في استانبول، رقمها (٣١٧٠)[٣]. وأمّا التسمية الرابعة فهي «الاقتصاد في شرح الإيضاح» ذكرها حاجي خليفة[٤]، ووعد بأنه «يأتي قريباً» ولعله نَسِيَه أو سقط من المطبوع، فقد اجتهدت في العثور عليه ولكن دون جدوى.

ومن تمام الفائدة بعد هذه القائمة المطوّلة من النحاة الذين توفروا على خدمة كتاب أبي علي «الإيضاح» إيرادُ جملة ملحوظات وأحكام عامة، تجمع ما تفرق على أولئك الأعلام وآثارهم، لزمت فيها الإيجاز، وتجاوزت التفصيل والتوثيق استغناءً بما تقدّم:

١ ـ حظيت شروح الإيضاح بأوفر نصيب من مجموع ماسلف من

---

(١) انظر: فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ٢/١٢٤، وفهرس المكتبة الخديوية ٤/٦٥.

(٢) فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ٢/١٢٨.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٩٢.

(٤) كشف الظنون ١/١٣٥.

مؤلفات حول «الإيضاح» فقد انتهت جُملتُها إلى خمسة وثلاثين كتاباً، ويمكن أن يضاف إليها ماكان شرحاً في مضمونه وحمل غير هذا العنوان، كالحواشي وهي أربعة، والإملاءات وهي اثنان، والتعليقات وهي اثنان أيضاً، والنُّكَت وهي كتاب واحد، وبذلك يكون مَبْلَغُ شروح مادة الإيضاح على اختلاف مسمياتها أربعةً وأربعين كتاباً، تليها شروح الشواهد، إذ وصلت إلى اثني عشر شرحاً، في حين لم تجاوز المختصرات ثلاثة كتب، ومردّ ذلك إلى أن «الإيضاح» يُعَدّ من المقدّمات النحوية مثل «الجُمَل» للزجاجي، و «المُفَصَّل» للزمخشري. وهناك ثلاثة مصنفات وُضِعَت على كتب تناولت «الإيضاح» أو شواهده، وانفرد ابنُ مَعْقِل الحمصي بنظم الإيضاح والتكملة، ويُعَدّ ابنُ الطراوة الوحيدَ الذي صنّف في الاعتراض على أبي عليٍّ، فخالف بذلك ماأطبق عليه جمهور أهل العلم، وما انعقدت عليه خناصرهم، وهذه نزعة عنده عرفها الأقدمون فيه، وكانت مما أُخذ عليه[1].

٢ـ لم يجاوز ماطُبع من المصنفات المتقدمة ـ على كثرتها ـ ثلاثة كتب، واحد منها في شرح الإيضاح، وهو «المقتصد» للجرجاني، واثنان في شرح أبياته، وهما «شرح شواهد الإيضاح» لابن بري، و «إيضاح شواهد الإيضاح» للحسن القيسي. وأما المخطوط فالغالب أنه لا يزيد على عشرة مؤلفات، يدخل فيها ثلاث نسخ مجهولة المؤلِّف، سبعة منها في شرح مادته، واثنان في شرح أبيات، وواحد في الردّ عليه. وقد توزعت هاتيك النسخ تسعُ مكتبات تقع في سبعة بلدان، ثلاث منها في تركيا، وهي: شهيد علي ولاله لي وإسماعيل أفندي، واثنتان في المغرب، هما: الزاوية الحمزية وجامع

---

(١) من ذلك ما قاله السيوطي «له آراء في النحو تفرد بها، وخالف بها جمهور النحاة، وعلى الجملة كان مبرّزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، لولا ارتكابه لتلك الآراء». بغية الوعاة ١/٦٠٢.

القرويين بفاس، وثلاث نسخ في دار الكتب المصرية، ونسخة واحدة في كلٍّ من المكتبات التالية: الاسكوريال في إسبانيا، والأحمدية في حلب، وباتنة في الهند، وما بقي من تلك المصنفات ـ وهو ماسوى المطبوع والمخطوط ـ أعني المفقود وما في حكمه، فجُملته أربعة وخمسون كتاباً، لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر التراث العربي وفهارس المكتبات مايشير إلى أيٍّ منها.

٣ ـ ثمة تفاوت كبير في حجوم شروح الإيضاح، فهي بين المطوّل المُسْهَب الذي يقع في أربعين أو ثلاثة وأربعين مجلداً كما وجدنا في «الشامل» لابن الدهان، وبين الكبير الذي يقع في ثلاثين مجلداً كما تقدم في «المغني» للجرجاني، وبين ما كان دونه مما يقع في خمسة عشر مجلداً كما في شرح الزهري الأندلسي، وبين المتوسط الذي يقع في مجلدين كما في «المقتصد» للجرجاني، وبين الصغير الذي يقع في مجلد كبير كما في نسخة «شرح الإيضاح» لأبي البقاء العكبري. وأما شروح الشواهد فهي بين أن تكون في مجلدين أو جزءين، أحدهما لشواهد «الإيضاح» والآخر لشواهد «التكملة» وذلك مثل ماجاء في نسخة «المصباح» لابن يسعون، وفي مطبوعة «إيضاح شواهد الإيضاح» للقيسي، وبين أن تكون في مجلد واحد كما في مطبوعة «شرح شواهد الإيضاح» لابن بري.

٤ ـ تعددت مُسَمّيات بعض تلك المصنفات حتى عُرف بعضها بثلاث تسميات مثل شروح: أبي بكر الخِدَبّ، وابن هشام البرذعي، وابن الحاج الإشبيلي، وابن أبي الربيع، وعرف بعضها بتسميتين كما في كتب ابن الطراوة وابن الباذش ونصر الفارسي وابن الدهان وابن الأنباري وأبي البقاء العكبري وابن الجزري. ويلاحظ أن هذا التعدد اقتصر على الشروح دون شروح الأبيات خلا ماوقع من تعدُّد في تسمية كتاب ابن يسعون، وأكثر ماوجدنا هذا الاختلاف في تسمية الكتاب الواحد فيما بين كتب الطبقات

والمصادر النحوية وماتحمله النسخ الخطية. وهذه ظاهرة فاشية في التراث العربي نجد أمثلة كثيرة لها في جميع العلوم.

٥ ـ لم ترد بعض تلك المصنفات في كتب التراجم والطبقات، وإنما اقتصر ورودها على بعض المصادر النحوية التي نقلت عنها مثل «مغني اللبيب» و «شرح أبيات المغني» و «خزانة الأدب» و «الأشباه والنظائر» وغيرها، ومن أوضح أمثلتها شرح ابن الخباز. وهناك إلى ذلك أسماء لمصنفات ذكرها بعض المحدثين غُفْلاً من التوثيق، وهم د. عبد الفتاح شلبي ومحقق شرح ابن برّي، فأثبتها في القائمة منسوبة إليهم، والعهدة في ذلك عليهم، إذ لم أقف في المصادر المعتمدة على أيّ إشارة إليها.

ومن فضول القول الإشارة في ختام البحث إلى أن وفرة المصنّفات التي تناولت كتاب أبي علي «الإيضاح» = تدل على أهمية هذا الأثر النحوي النفيس، ورفيع منزلته، وبالغ عناية الأقدمين به، وانصرافهم إلى دَرْسه، وتوفّرهم على خدمته مدة ثلاثة قرون، تحوّلَ الناسُ بعدها إلى مؤلَّفات نحوية أخرى ذاعت شهرتُها، فاستأثرت بما كان له من نباهة مثل «المُفَصَّل» للزمخشري، وبعض كتب ابن مالك المشهورة.

ثَبَتُ المصادر والمراجع

١ ـ المطبوعة:

ـ ابن الطراوة النحوي، د. عياد عيد الثبيتي، السعودية ١٩٨٢م.

ـ أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو، د. محمد إبراهيم البنا، تونس ١٩٨٠.

ـ اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين الدقيقي، تحقيق د. يحيى جبر، دار عمار، عمان ١٩٨٥م.

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين محمد بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ١٩٧٧.

ـ ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق د. مصطفى النحاس، القاهرة، ط. أولى ١٩٨٤م.

ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط.. أولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ـ الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م، وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق العام نفسه.

ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ثالثة ١٩٦٩م.

ـ الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح، ابن الطراوة، تحقيق د. حاتم الضامن، بغداد ١٩٩٠.

ـ إنباه الرّواة على أنباه النحاة، الحسن بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

ـ إيضاح شواهد الإيضاح، الحسن القيسي، تحقيق د. محمد الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

ـ الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، ط. أولى ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩م.

ـ إيضاح المكنون، إسماعيل باشا، مصورة دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.

ـ البسيط في شرح الجمل، ابن أبي الربيع، تحقيق د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي،

بيروت ١٩٦٤م.

- بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة، ط. أولى ١٩٦٤م.

- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢.

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. عبد الحليم النجار وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط. رابعة، ١٩٧٧م.

- التكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، الرياض، ط. أولى ١٩٨١م.

- الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، محمد سليم الجندي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٢م.

- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، وطبعة بولاق ١٢٢٩هـ.

- الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، صححه محمد الفقي، مطبعة السنة، القاهرة ١٩٥٢م.

- روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، ط. حجرية، ١٣٠٧هـ.

- سرّ صناعة الإعراب، عثمان بن جني، تحقيق السقا ورفاقه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط. أولى ١٩٥٤م، وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م.

- سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

- شذرات من كتب مفقودة (من بينها رسالة المستفاد)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. أولى ١٩٨٨م.

- شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق ط. أولى ١٩٧٣م.

- شرح شواهد الشافية، عبد القادر البغدادي، تحقيق فئة من الأساتذة، دار الكتب العلمية ١٩٧٥م.

- شرح شواهد الإيضاح، ابن بري، تحقيق عيد مصطفى درويش، الهيئة العامة،

القاهرة ١٩٨٥م.

ـ طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط . أولى ١٩٧٢م.

ـ عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ثانية.

ـ غربال الزمان في وفيات الأعيان ، يحيى اليماني، تصحيح محمد ناجي العمر ، دار الخير، دمشق ١٩٨٥م.

ـ فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.

ـ فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس، عبد الحفيظ منصور، دار الفتح، بيروت، ط. أولى ١٩٦٩م.

ـ كشف الظنون ، حاجي خليفة، مصورة دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.

ـ مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، د. طاهر الحمصي، دار الفكر، دمشق، ط. أولى ١٩٨٦م.

ـ مرآة الجنان، عبد الله بن أسعد اليمني، مطبعة دار المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ط. أولى ١٣٣٩هـ.

ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار، انتقاء الدمياطي، تحقيق محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٨٦م.

ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام، دار الفكر، بيروت، ط. ثالثة ١٩٧٢م.

ـ المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢م.

ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٧م.

ـ نَكْتُ الهميان في نُكَت العميان، خليل بن أيبك الصفدي، طبعة أحمد زكي،

المطبعة الجمالية، مصر ١٩١١م.

- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، مصورة دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.

- همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، بيروت، مصورة دار المعرفة.

- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، اعتناء دوروتياكر فولسكي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٨١م.

- وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢ - المخطوطة:

- الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، ابن قاضي شهبة، مصورة نسخة مكتبة كوبريلي محفوظة لدى د. عدنان درويش.

- الإيضاح، أبو علي الفارسي، مصورة عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، وهي محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية برقم (٨٥١٣).

- الجزء الثاني من المصباح في شرح الإيضاح (شرح التكملة)، أبو البقاء العكبري، مصورة نسخة مكتبة المتحف البريطاني، برقم (أول٦٤٠).

- شرح الإيضاح، أبو البقاء العكبري، مصورة نسخة مكتبة فاتح في استانبول برقم (٢٩٠٨).

- طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، نسخة مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

- المصباح في شرح شواهد الإيضاح، ابن يسعون الأندلسي، مصورة نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، رقم (١٤٣٤٥).

- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، أبو اليمن العليمي، مصورة نسخة دار الكتب المصرية، محفوظة لدى الأستاذ محمود الأرناؤوط.

٣ - الدوريات:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٨، الجزء الثاني.

- نشرة أخبار التراث العربي، الكويت، العدد ٢٩، سنة ١٤٠٧هـ.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (*)

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثامن)

السيدة وفاء تقي الدين

ألسنة العصافير

ألسنة العصافير	٢: ٥٣٩

كذا في هذا الموضع بصيغة الجمع، وهو في سائر المواضع «لسان العصافير». انظر هذه المادة في باب اللام.

ألماس °

ألماس	**١: ٢٦٠**
حجر ألماس	٢: ١٩١

هو أشرف الجواهر الكريمة وقد تعارف الناس ذلك منذ القديم. قال البيروني في الجُماهِر: «منزلته منها منزلة السيد المطاع من السفل والرعاع.. واسم الألماس بالهندية هيرا وبالرومية اذامس، وأيضاً ادمنطون، قال الكندي

(*) نشرت الأقسام السبعة السابقة في مجلة المجمع (مج ٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص ٧٥، ٣٠٣).

° الجماهر في معرفة الجواهر ٩٢، والصيدنة ٦٤، ومنهاج البيان ٢٣٨ أ، ومفردات ابن البيطار ٤: ١٢٦، ونخب الذخائر في أحوال الجواهر ٢٠، وتذكرة داود ١: ٢٧٥، وشفاء الغليل، والمساعد ١: ٢٧٣، وصحاح المرعشلي ٣٤، والمعجم الكبير ١: ٤٣٨، والمعجم الموحد ٣: ٥١، والمعربات الرشيدية ١٦٦ .

معناه الذي لاينكسر، وهو بالسريانية ألمياس.. وخاصيته أنه لايكسره شيء ويكسر كل شيء..» وقال في الصيدنة: «.. هو جوهر مشفّ في لونه كالزجاجية، ومنه مايضرب إلى الصفرة، وينبعث منه في ضياء الشمس ألوان مفرحة، وماعدا هذين اللونين فليس يكون منه قوس قزح..» استخدم الألماس في طب الأسنان لأنه - كما قال ابن سينا - يجلو الأسنان جداً.. ثم قال: «هو سم يقتل» وقد خطّأ البيروني هذا الاعتقاد الشائع فقال: «المنتشر عنه.. أنه سم، ولم تسفر التجربة عن ذلك».

هذا الحجر هو - في علم الجيولوجيا المعاصر - «معدن شفاف أخاذ وأثمن أنواعه ذو اللون الضارب إلى الزرقة وهو أصل المعادن.. وأعلى الأحجار الكريمة منزلة..» كذا في المعجم الكبير. واسمه بالفرنسية Diaman وبالإنكليزية Diamon ، وكل هذه الأسماء مشابهة للأصل اليوناني.

لفظ ألماس غير عربي وفيه اختلاف قديم هو: هل الهمزة واللام فيه من أصل الكلمة أم لا ؟ قال ابن سينا: «قيل: إن الأصوب أن يذكر في باب الميم، إلا أنا أوردنا ذكره في هذا الباب [باب الهمزة] لكونه أعرف وأشهر»، وأكثر المصنفين لكتب الطب والعقاقير يذكرونه في باب الميم، كما في منهاج البيان، ومفردات ابن البيطار، وتذكرة داود وغيرها، وتبعهم مؤلفو معجمات اللغة، فذكره كل من صاحب القاموس المحيط وشارحه في مادة (موس). أما من نظر إلى اسمه في اللغات الأخرى كالبيروني فقد ذكره في باب الهمزة لأنها أصلية فيه. قال الأب الكرملي: «وكان حق المتكلمين بهذا الحرف أن يقولوا الألماس، ولكنهم استثقلوا اجتماع لامين في الكلمة الواحدة فحذفوا إحداهما وأبقوا الثانية أو أنهم توهموا أن اللام الأولى هي للتعريف»[١] . وقد اعتمدالمعجم الموحد كلمة ماس ترجمة لـ Diamant في

(١) المساعد ١: ٢٧٣، ونخب الذخائر ٢٠، ومجلة مجمع دمشق ١٣: ٢٨٨ .

الجزء الثالث وهو خاص بالكيماء، وألماس في الجزء السادس الخاص بالجيولوجيا. وهو بالفارسية ألماس أيضاً.

آلُوسُنْ*

آلُوسُن ١: ٢٦٢، ٤٤٩

قال فيه ابن سينا: «حشيشة تشبه الترس[1] فسمي لذلك ترساً[1] .. ينفع من الكَلَف.. قال جالينوس: هو نافع بالخاصة من عضّةِ الكلب الكَلِب.. ولذلك يسمى باليونانية آلوسن».

ذكر ديسقوريدس هذا العقار في كتابه باسم (اليسن) فقال: « هو نبات يستعمل في وقود النار، وهو في المجسّ إلى الخشونة ماهو،ذو ساق واحد، وله ورق مستدير، في أصول الورق ثمر في شكل الترس ذو طبقتين فيه بزر.. إذا سحق.. ولطخ على البثور أو الكلف نقاه، وقد يظن أنه أذا دُقّ وصُيِّر في طعام وأكل منه المعضوض من كلْب كلِب أبرأه..» فليس في كلام ديسقوريدس مايُفْهِم أنه يسمى ترساً، ولعل منشأ هذا الخطأ من حنين، ففي الحاوي: «الوسن وتفسيره في ثبت الأسماء[2]: حشيشة تسمى الترس لمشابهة فيها بالترس». والصحيح مانقله ابن سينا وغيره عن جالينوس، والبيروني عن بولس، وهو أن اسمه مشتق من اسم الكَلَب لأنه يبرئ منه.

ضبط ابن البيطار هذه اللفظة فقال: «آألُسن اسم يوناني أوله ألفان

* كتاب ديسقوريدس ٢٨٢ (اليسن)، والحاوي ٢٠: ٥٧، والصيدنة ٦٤، والمنتخب ٢٩، ومفردات ابن البيطار ١: ٣، والشامل ٥٧، وتذكرة داود ١: ٣٣، ومعجم أحمد عيسى ١١، ومعجم الشهابي ٣٠، والمساعد ١: ٩١، والمعجم الموحد ١٣٠ .

(١) في القانون بطبعتيه «ترمس» وكذلك في زيادة وردت في إحدى مخطوطات الصيدنة أظنها منقولة عن قانون ابن سينا، والصواب الذي أثبته هو من مخطوطة القانون(١) ومن كتاب ديسقوريدس والحاوي وغيرهما.

(٢) من كتب حنين بن إسحاق العبادي.

الأولى منهما مهموزة ممدودة والثانية هوائية ولام مضمومة ثم سين مهملة مفتوحة بعدها نون، وبعضهم يكتبها بواو ساكنة بعد اللام..». جمع د. أحمد عيسى أسماء هذا العقار في معجمه، وذكر الشهابي بعضها في معجمه فقال: « Alyssum (Alysse) آلوسَن، آأُلُسَن، حشيشة اللَّجأة. حشيشة السلحفاة.. الاسم العلمي المعرب هو من اليونانية A للنفي، وLissa أي الكَلَب. جنس نباتات من فصيلة الصليبيات فيه أنواع تزرع لزهرها وأخرى برية».

ألْيَــــة*

أَلْيَــــة	١: ٢/٣٥٩: ٩٩، ٥٤١، ٥٤٢/٣: ١٥٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٠٣
ألية مذابة	٢: ١٠٠
إهال الألية	٣: ١٣٥، ٢٠٥
جلد الألية	٣: ٢٠٤
دهن الألية	٢: ٤٨٩، ٤٩٠/٣: ٢٨٨

الدهن المتصبب من الألية المعرض للنار ٣: ٢٩٦

وَدَك الألية	٢: ٥٢٨، ٥٤٢

في معجمات اللغة: الأَلية بالفتح العجيزة للناس وغيرهم.. أو ماركب العجز من شحم ولحم، والجمع أليات وألايا.. ولاتقل إلية ولا لِيّة فهما خطأ، والثانية هي الشائعة على لسان العامة.. ولهذه الكلمة أشباه في اللغات

* الحاوي ٢٠: ١١٨، ومنهاج البيان ٣٤ب ومفردات ابن البيطار ١: ٥٤، ولسان العرب (ألا)، والشامل ٤٣، والقاموس المحيط، وتاج العروس (ألي)، وتذكرة داود ١: ٥٤، والمساعد ١: ٢٧٦، والمعجم الكبير ١: ٤٥١ .

السامية وغيرها. ويراد بها في قانون ابن سينا ماركب العجز من الشحم.

أم غـيـلان*

أم غيلان	١: **٢٥٥**
أصول أم غيلان	١: ٢٧٠

ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «شجرة من عضاه البادية معروفة». والعضاه في لغة العرب كل شجرة مشوكة

وصف ديسقريدس في كتابه أم غيلان فقال: «هو شجيرة معروفة مشوكة صلبة، بزرها دسم لزج، إذا شرب نفع من السعال» وذكر منافع أخرى لها لم يذكرها ابن سينا. وأم غيلان في معجمات اللغة السَّمُر، نقله صاحبا اللسان والتاج عن صحاح الجوهري، وذكره ابن البيطار نقلاً عن أبي العباس النباتي. وقال أبو حنيفة إن العامة تسمي الطلح أم غيلان. قال ابن البيطار: «وإلى هذه الغاية أهل البلاد يسمون بالطلح ماعظم من شجر السمر وأكثر مايعظم بأودية الحجاز»، وفي الصيدنة: «قيل هي الشوكة المصرية» وكذلك في منهاج البيان، وقال الإسرائيلي في منهاج الدكان: «أم غيلان نوع من السنط ثمرة مثل ثمر القرظ، وقدره قدر الخروب، أصفر، يكون في بلاد الصعيد كثيراً ويعرف بالسنطة البرية» فكلمة أم غيلان تطلق على أنواع من جنس Acacia الذي قد يدعى الطلح أو السنط أو شوكة القتاد أو شوكة القَرَظ أو غير ذلك، وأظن أن ابن سينا أراد بها السنط العربي Acacia arabica أو Acacia vira وهو شجرة من الفصيلة القرنية ترجمت باسم

---

* كتاب ديسقوريدس ٨٨ (باليورس وهو أم غيلان)، والحاوي ٢٠ :٣، والملكي ٢: ١١٨ ، والصيدنة ٦٧، ومنهاج البيان ٣٥أ، والمنتخب ٤٩، ومفردات ابن البيطار ١ :٥٧، ومنهاج الدكان ١٧٨، ولسان العرب (غيل)، وتاج العروس (غيل)، وتذكرة داود ١ :٥٥، ومعجم أحمد عيسى ٣ (٧)، والمعجم الكبير ١ :٥٠٠ .

الشوكة المصرية في معجمي الشهابي وأحمد عيسى. وأشير هنا إلى أن ابن سينا ذكر في الأدوية المفردة أيضاً الشوكة المصرية ولم يربط بينها وبين أم غيلان!

أَمَاراقُن*

أماراقُن ٣: ٣١٤

ذكره ابن سينا في العقاقير التي تدخل في تركيب أقراص الاندروخورون فقال: يؤخذ من... وأماراقن وهو الاقحوان الأبيض و...». وفي كتاب ديسقوريدس حيث تكلم على الأقحوان: «فرثانيون وهو الأقحوان، ومن الناس من يسميه اماراقن..». فهذا المصطلح إذاً اسم يوناني للأقحوان. جاء في الحاوي: «اماراقون (ى) [أي يوناني] اقحوان، وهو البابونج الأبيض»، وسبق أن وضحت هذا التداخل بين مصطلحي (أقحوان، وبابونج) في مادة (أقحوان)، وممن ذكر اماريقون أيضاً الإسرائيلي حيث قال في منهاج الدكان: «أماريقون هو الأقحوان الأبيض».

اماريون

أماريون ١: ٢٥٠

عندما تكلم ابن سينا على الأقحوان في الأدوية المفردة نقل كلام ديسقوريدس فيه فقال: «بعض الناس يسمي الأقحوان اماريون..». كذا وردت اللفظة في كتاب القانون بطبعتي رومة وبولاق، وأيضاً في كتاب الصيدنة، في زيادة انفردت بها إحدى نسخه المخطوطة، وقد تأكد عندي أن هذه الزيادات منقولة من القانون. وقد حذف كلام ديسقوريدس كله من مخطوطة القانون رقم (١).

وبعد المقارنة مع مقالة ديسقوريدس في الأقحوان يتبين أن اللفظ هو

* كتاب ديسقوريدس ٣٠٠ (فرثانيون وهو الأقحوان)، والحاوي ٢٢:٣٩٢، ومنهاج الدكان ١٧٦ . وانظر مادة (أقحوان) وقد سبقت.

تصحيف للفظ اماراقن أو اماريقن الذي ذكرته في المادة السابقة.

امبرباريس

امبرباريس ٣: ٧٧

وردت بهذا اللفظ في الموضع المذكور فقط، وفي المواضع الأخرى اميرباريس، وأنبرباريس انظر مادة (انبرباريس).

آمِرُوسيا*

أمِرُوسيا ٢: ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٩٩، ٣٥٩، ٣٦٦، ٤٣٥، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٣٨/ ٣: ٤٩، ٣٠٥، **٣٢٧**

أميروسيا ٢: ٣٠٠/ ٣: ١٢٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢

هذا اللفظ اسم لدواء مركَّب عَدَّه القدماء في الترياقات والمعاجين الكبار، وذكره ابن سينا مفصَّلاً في القانون (٢: ٣٢٧) فقال: «أمروسيا.. النافع من ضعف الكبد والطحال.. ويفتت الحصاة في الكلى، ومنفعته في ابتداء الاستسقاء عظيمة. أخلاطه: يؤخذ بزر الجزر البري وكمون كرماني وعيدان البلسان وسليخة وقردمانا وفقاح الإذخر وبزر الكرفس .. ودار فلفل وحب الغار .. وزعفران .. تجمع هذه الأدوية مسحوقة منخولة وتعجن بعسل منزوع الرغوة، الشربة منه بقدر البندقة..

ماقاله ابن سينا مطابق تماماً لما في الكتاب الملكي ومنهاج البيان ومالايسع الطبيب جهله وتذكرة الأنطاكي .. فهو معجون ذو نسخة وحيدة.

وردت اللفظة في هذه المراجع جميعاً برسمين هما: امروسيا واميروسيا أي كما في القانون. قال ابن جزلة : هو معجون رومي، وقال الأنطاكي: معناه حابس المواد .. وهو من تركيب أبقراط لملك كان يشكو

* الملكي ٢: ٥٣٧، ومنهاج البيان ٣٥ أ، ومالايسع الطبيب جهله ٦٤١، ومختارات البغدادي ٢: ٢٣٣، وتذكرة داود ١: ٥٦ .

ضعف معدته. وأنبه هنا على أن كتب العقاقير ذكرت دواء باسم امروسيا أو امبروسيا هو دواء مفردلا علاقة له بما ذُكر هنا وإنما هو اتفاق في الاسم فقط.

امغافنطس*

امغافنطس ١: ٣٩٩

قال ابن سينا في كلامه على العفص: «..منه مايؤخذ من شجره[1] وهو غضّ صغير مضرس ملزز ليس بمثقب ويسمى امغافنطس لأنه غض..»

كذا وردت اللفظة في القانون بطبيعته، وهي في كتاب ديسقوريدس «امفاقيطس» وفي مفردات ابن البيطار «ايفاقليس»، وقد تحاشت أكثر المراجع - منها منهاج البيان والصيدنة - ذكر هذه اللفظة إذ لايعرف وجهها الصحيح، واكتفت بالإشارة إلى هذا النوع من العفص بقولها العفص غير النضيج أو النوع الغض من العفص.

أَمْلَج**

أملج ١: **٢٥٠**، ٢٧١، ٣٨١/٢: ٦٤، ١٨٠، ٣١٦، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٢٥ /٣: ٥٦، ١٤٤، ١٤٥،

---

* كتاب ديسقوريدس ١٠٤ (فيقص وهو العفص)، ومفردات ابن البيطار ٣: ١٢٧ (عفص). وانظر (عفص).

(١) في المطبوع: «منه مايوجد من شجرة» وهو تصحيف تطابقت فيه طبعتا القانون وكتاب ديسقوريدس، والصواب الذي أثبته من مفردات ابن البيطار.

** الحاوي ٢٠:٦٤، ١٠٥ / ٢٢:١٠، والملكي ٢: ١١٩، ٥٤٥ (ماء الأملج)، ومنهاج البيان ٣٥أ، ١٢٠ أ (دهن الأملج)، والصيدنة ٦٥، والمنتخب ١٩ ومفردات ابن البيطار ١:٤٥، ومفيد العلوم ٦، والشامل ٤٤، مالايسع ٢٥٠، (دهن الأملج) وقاموس الأطباء ١٠٠، وحديقة الأزهار ٣٠ (٢٤)، وتذكرة داود ١:٥٤، والألفاظ الفارسية ١٤٦ ومعجم أحمد عيسى ١٣٩ (١)، ومعجم الشهابي ٥٠٥، والمعجم الوسيط ٢:٨٨٣، والمعربات الرشيدية ١٣٧ .

قال فيه ابن سينا: «معروف» ووصف البيروني في الصيدنة شجرته فقال: «شجرته كبيرة صغيرة الأوراق، وطعم الثمرة قبل إدراكها حامض فيه قليل عفوصة، وكنا نلقيه في الشمس حتى يحمر من خضرته احمرار الحصرم والتفاح الحامض المشمَّسَين فما كاد يغادر طعمه طعمَ هذا التفاح المشمَّس..» ثم نقد قول الرازي إن «أجوده ماأحمر لونه واحتدت رائحته وجلب من جزيرة اقريطش» فقال: «هذه الصفات غير لائقة به، والذي بهذه

الديار منه فمجلوب من أرض الهند، وفي جبال كشمير غياض منه» ونقل ابن البيطار في مفرداته وصف إسحاق بن عمران للأملج فقال: «هي ثمرة سوداء تشبه عيون البقر(١) لها نوى مدور حاد الطرفين، وإذا نزعت عنه قشرته تشقق النوى على ثلاث قطع، والمستعمل منه ثمرته التي على نواه، وطعمه مرٌّ عَفِص يؤتى به من بلاد الهند». فالأملج إذاً هو أحد الهليلجات التي يؤتى بها من الهند وقد كثر استخدامه في الطب القديم لعلاج أمراض جهاز الهضم وغيرها، وذكر كل من القوصوني في قاموس الأطبا والأنطاكي في التذكرة أن اسمه عند العامة بمصر «السنانير»، واسمه العلمي اللاتيني Phyllanthus emblica ذكره كل من أحمد عيسى ومصطفى الشهابي في معجميهما وقال الشهابي «شجر من الفصيلة الفربيونية كثير في الهند يستعمل ثمره في الطب مسهلاً ومطهراً للأمعاء» .

لفظة الأملج معرَّبة من «امله» الفارسية، قاله البيروني في الصيدنة، وتابعه اديشير في الألفاظ الفارسية المعربة، لكن صاحب لسان العرب قال في مادة (ملج) : الأملج «الأصفر الذي ليس بأسود ولا أبيض وهو بينهما، والأملج ضرب من العقاقير سمي بذلك للونه» فعنده إذاً أن الكلمة عربية النجار تعني لوناً معيناً، وفي قاموس الأطبا نقل القوصوني الرأيين فقال:«سمي به للونه، وهو معرب أمله» وأسترجح أنه معرب لأنه اسم لعقار مجلوب إلى العرب، وهم لايكادون يتفقون على لونه.

أموميس*

أموميس	١: ٣١٤

(١) أي الفاكهة التي يسميها أهل الشام الخوخ وأهل مصر البرقوق ويسميها أهل المغرب والأندلس عيون البقر، وخاصة ماكان منها أسود اللون.

* كتاب ديسقوريدس ٢٤ (اامومن وهو الحماما)، ومفردات ابن البيطار ٢: ٣٠ (حماما)، ومعجم أحمد عيسى ١٣ (٣). وانظر مادة (حماما) في كتابنا هذا.

ذكره ابن سينا في كلامه على (حماما) حيث نقل كلام ديسقوريدس فيه فقال: «وقد يغش قوم الحماما بالدواء الذي يقال له اموميس لأنه شبيه بالحماما غير أنه ليست له رائحة ولا ثمرة وزهرته شبيهة بزهر الفودنج الجبلي..»

كذا وردت اللفظة في القانون بطبعة رومة وبطبعة بولاق، وكذلك هي في نسخة كتاب ديسقوريدس العربية، لكنها صحّفت في مفردات ابن البيطار الذي نقل كلام ديسقوريدس أيضاً فجُعِلت (امويس).

لم أجد هذه اللفظة في موضع آخر من كتاب ديسقوريدس، ولا في المراجع الأخرى، ولعلها نوع من الحماما، واسم الحماما باليونانية Am-omon، وقد شرح ديسقوريدس الفرق بينهما.

أموميطس*

أموميطس ١: ٣٣٧

في الكلام على (الكندر) ينقل ابن سينا قول ديسقوريدس فيه، وهو: «قال ديسقوريدس: ومن الكندر صنف آخر يسمى اموميطس، وهو أبيض، وإذا فرك فاحت منه رائحة المصطكى..»

كذا وردت اللفظة في القانون طبعة رومة وطبعة بولاق، وفي كتاب ديسقوريدس أيضاً إلا أنها في مفردات ابن البيطار الذي نقل كلام ديسقوريدس أيضاً: (امريسطن).

لم أجد هذه اللفظة في المراجع إلا التي نقلت عن ديسقوريدس، فهي اسم يوناني لصنف من أصناف الكندر أبيض اللون تفوح منه رائحة المصطكى إذا فرك .

---

* انظر كتاب ديسقوريدس ٦٥ (كندر)، ومفردات ابن البيطار ٤: ٨٣ (كندر).
وانظر مادة (كندر) في كتابنا هذا.

أميرباريس

انظر مادة انبرباريس.

أميروسيا

انظر مادة امروسيا التي سبقت

الأميري

معجون يُعرف بالأميري ٣: ٣٣٩

قال ابن سينا إنه ينفع من أسر البول ووجع الظهر وضعف الكلى، ويفتت الحصاة، ثم ذكر أخلاطه وهي مجموعة كبيرة من البزور منها بزر الخشخاش وبزر الكراث وبزر الشبث.. وبزر السوسن.. وحب الرشاد.. وبزر اللفت وكراويا، وبعض الأزهار مثل فُقّاح الإذخر، وفقاح الحناء.. تعجن بعسل، والشربة منه وزن درهمين بماء فاتر..

بحثت في كثير من المراجع[1] عن هذا الدواء فلم أجده بهذا الاسم ولا بهذا التركيب.

أنابيس

أنابيس ٣: ٣١٦

ذكره ابن سينا ضمن العقاقير التي تدخل في تركيب ترياق عزرة فقال: «.. ناردين اقليطي وهو السنبل الرومي، وأنابيس وهو فقاح الكرم، من كل واحد ستة مثاقيل..».

كذا وردت اللفظة في القانون طبعة رومة وطبعة بولاق، وفي المراجع التي ذكرت ترياق عزرة استغني عن الكلمة الأعجمية بمعناها وهو فقاح

---

(١) منها على سبيل المثال: الحاوي، والملكي، ومنهاج البيان، ومختارات البغدادي، واقرباذين القلانسي، وتركيب مالايسع الطبيب جهله، وتذكرة داود الأنطاكي

الكرم. وأظن أن هذه اللفظة يونانية فاسم الكرم باليونانية أنبالس كما في كتاب ديسقوريدس ص: ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٤ .

أنـــاعـــيس

أناعيس ١ : ٢٦٩

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في قانون ابن سينا حيث تكلم على البلبوس فقال: «بصل مأكول صغار يشبه النرجس، وورقه يشبه ورق الكراث، ووردة يشبه البنفسج، ومنه نوع يهيج القيء، وقال قوم إنه الزير، وقال قوم: لا، بل هو من جنس الطلخبياز، وهو يشبه أن يكون أناعيس هو فلتنقل معانيه إلى ههنا».

لم أجد لفظتي: طلخبياز، وأناعيس في أي من المراجع إلا ماجاء في الصيدنة للبيروني (ص٣) ضمن زيادة انفردت بها إحدى النسخ رمز لها المحقق بالرمز (ب) وقد لاحظت أن الزيادات التي ترد في هذه النسخة منقولة عن كتاب القانون لابن سينا. ونص العبارة في الصيدنة: «.. وقال قوم إنه الزير، وهو خطأ ، وقال آخرون هو من جنس الطلخبياز، فلم يصيبوا، ولعله يشبه أناغيس وهو منفخ..» قال محقق الصيدنة في طلخبياز: «لعله تلخ بيار»، وفي أناغيس ، ولعله أناغلس» وأنا استبعده لاختلاف التحلية.

أنـــاغـــلـــس*

أناغلس	١: **٢٦٣**
أباغلس	٢: ١٠٥
أناغلس أحمر الزهر	١:٢٦٣

* كتاب ديسقوريدس ٢٣٠، والحاوي ٢٠: ١١٦، والصيدنة ١٨، ومنهاج البيان ٣٦ب، وشرح أسماء العقار ٥، والمنتخب من مفردات الغافقي ٢٠، ومفردات ابن البيطار ١:٦٢، ومنهاج الدكان ١٧٧، والشامل ٦١، وحديقة الأزهار ٢٢ (١٦)، وتذكرة داود ١:٥٧ ،٥٩، ومعجم دوزي ١:٣٩، ومعجم أحمد عيسى ١٤ (١٢)، ومعجم الشهابي ٣٦، وصحاح المرعشلي ٣٩، والمعجم الموحد ٩، ٢٧ .

أناغلس أزرق الزهر	١:٢٦٣
أناغلس زهرته أسما نجونية	١:٢٦٣
أناغلس زهرته صفراء	١:٢٦٣
عصارة أناغلس	٣: ٢٤٤
ماء أناغلس	١:٢٦٣

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «أناغلس: الماهية: ضربان؛ أحدهما زهرته صفراء، والأخرى اسمانجونية» ثم ذكر من منافعه أنه يمنع انتشار القروح، وينفع من وجع الكلية ومن نهش الأفعى. وكل ماقاله ابن سينا في هذا العقار وجدته في كتاب ديسقوريدس حيث يقول: «هو نبات ذو صنفين يختلفان في زهرهما، أحدهما لازوردي ويقال له الأنثى، والآخر زهره أحمر قان ويقال له الذكر، وهما شجيرتان منبسطتان على الأرض، ولهما أوراق صغار إلى الاستدارة شبيهة بورق النبات لقسيني على قضبان مربعة وثمر مستدير. وكلا الصنفين من هذا النبات ينفعان للخراجات...» وذكرت المراجع الأخرى أن طبيخ حشيشته يقتل العلق ولذلك يدعى قاتل العلق، ويظهر أنه قد يسمى أيضاً آذان الفار، وهذا مانص عليه ابن سينا في موضعين من كتابه أولهما (٢:١٠٥) حيث قال: «ماء آذان الفار وهو المسمى أباغلس» والآخر (٣:٢٤٤) حيث قال:«عصارة أناغلس أي آذان الفار». وتابعه صاحب المنهاج فقال: «أناغلس هو آذان الفار»، وفي معجم أحمد عيسى: «أناغِلس آذان الفار النبطي..».

وردت اللفظة في المراجع العربية برسوم متقاربة منها: أناعلس، أناعاليس، أناغليس ـ وضبطت في برهان قاطع بضم الغين واللام ـ وأباغلس ـ وأظنها تصحيف ـ وهي ألفاظ «معربة قديماً من اليونانية Anagallis وهو جنس نبات من فصيلة الربيعيات.. منه نوع A. arvensis وهو عشبة العَلَق، ونوع لازوردي الزهر A. coerulea ونوع جَنَبي A. frutiosa.. قاله الشهابي.

انـــام نـــاسيـــا

انام ناسيا ٢: ٢٥٤

كذا وردت في طبعة بولاق، وهي في طبعة رومة والمخطوطة (٥) اناناسيا، وفي المخطوطة (٣) اناثاسيا، وكلها أشكال من التصحيف. انظر مادة (اثاناسيا) وقد سبقت.

انـــباريـقـون*

انباريقون ١: ٣٩٥

في الكلام على (السريش) نقل ابن سينا كلام ديسقوريدس فيه فقال: «قال ديسقوريدس يسميه بعض الناس سريش، إذ هو نبات يتخذ منه السريش معروف وله ورق كورق الكراث الشامي، وساق أملس، وعلى طرفه زهر يسمى انباريقون، وله أصول طوال مستديرة شبه شكل البلوط الكبار، وقوتها حارة..» كذا وردت اللفظة في القانون بطبعتيه، وبشكل مشابه في مفردات ابن البيطار (انباريقن). ونص كلام ديسقوريدس كما ورد في كتابه هو: «اسفودالوس هو نبات يقال له الخنثى فيما زعم بعض الناس، وهو معروف، وله ورق شبيه بورق الكراث الشامي، وساق أملس يسمى انثاريقن، على رأسه زهر، وله أصول طوال مستديرة شبيهة في شكلها بالبلوط حريفة مسخنة..».

فلفظة انباريقون مصحفة عن اليونانية انثاريقون Antharicon وهي اسم لنبات سماه بعضهم الخنثى، وكلاهما من جنس اسفودلوس As-phodelus من الفصيلة الزنبقية وكان القدماء يتخذون من جذور هذه النباتات مادة لاصقة سموها الأشراس أو السريش.

* كتاب ديسقوريدس ٢٢٢ (اسفودالس)، ومفردات ابن البيطار ٢: ٧٨ (خنثى)، ومعجم د. عيسى ٢٤ (١٠). وانظر مواد (اشراس وخنثى، وسريش) في كتابنا هذا.

(التعريف والنقد)

حول ديوان بشار بن برد

الدكتور محمد يحيى زين الدين

نشر الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – بين عامي ١٩٥٠ – ١٩٥٧ في ثلاثة أجزاء ماتبقى من شعر بشار بن برد، ثم أصدر عام ١٩٦٦ جزءاً رابعاً، أورد فيه ماجاء من شعر بشار في كتب الأدب وغيرها، مما لم يردفي الأجزاء السابقة.(١) كما نشر الأستاذ محمد بدر الدين العلوي عام ١٩٦٥ ماأورده العلماء من أشعار بشار في كتبهم المختلفة، تحت عنوان «ديوان بشار بن برد» بذل فيه جهداً لايخفى في تخريج الأبيات، وفي إثبات فروق الروايات، كما زود الكتاب بفهارس عديدة سهلت الانتفاع به.

ثم أعاد الأستاذ ابن عاشور عام ١٩٧٦ طبع الديوان، بعد أن أضاف إلى الجزء الرابع أبياتاً كثيرة، أوردها الأستاذ العلوي في كتابه، وزيادات أخرى. إلا أنه سها عن طائفة لابأس بها من أشعار بشار، نحو أربعين بيتاً، ذكرها العلوي في كتابه، دون أن يتنبه إليها،(٢) كما أنه لم يعن بذكر خلاف

---

(١) ينتهي المخطوط الذي اعتمده المحقق في أثناء حرف الراء وهو يتضمن نحو ثلث شعر بشار .

(٢) وهي: ق ٦ ص ١٣، ق ٧ ص ١٤ (البيت ١١) ق ١٤ ص ١٨ – ١٩، ق ١٩ ص ٢٢ (البيت الأول)، ق ١٤٣ ص ١٠٤، ق ١٥٣ ص ١٠٨ (البيت الأول)، ق ١٦٣ ص١١٧،ق ١٨١ ص ١٢٦ ، ق ١٨٢ ص ١٢٧ ، ق ١٨٩ ص ١٢٩ ، ق ١٩١ ص١٣٠ ، ق ١٩٢ ص =

الرواية في هذه الزيادات، أو بترتيبها بدقة، أو بتخريجها فيما اعتمده من مصادر[١].

وكان الأستاذ العلامة الدكتور شاكر الفحام – أدام الله الانتفاع به – قد نشر على صفحات مجلتنا الغراء[٢] أربع مقالات، تناول فيها ماوقع في الأجزاء الثلاثة الأولى من أخطاء وتحريف، ثم أعاد نشر تلك المقالات في كتاب مستقل «نظرات في ديوان بشار بن برد» صدرت منه طبعتان عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٣. كما نشر أيضاً مقالاً آخر[٣] عرض فيه بعض الملاحظات على الجزء الرابع، تتصل بما أوردته الكتب المختلفة من الشعر المنسوب إلى بشار. ثم نشر الصديق الدكتور محمد حموية مقالاً،[٤] عرض فيه بعض ماجاء في الجزء الأول من أخطاء، وما ورد فيه من تحريف أو تصحيف .

إلا أنني وقفت على أشياء أخرى، يتصل بعضها بما أورده الأستاذ ابن عاشور في الجزء الرابع من تخريجات وتعليقات، وما وقع فيه من أخطاء، ويتصل بعضها الآخر بما اختلف في نسبته إلى بشار من أبيات، أو مانسب إليه في المصادر سهوا أو ماأخطأ هو في نسبته إلى بشار :

=١٣٠، ق ٢٠٢ ص ١٤٠، ق ٢٠٤ ص ١٤٠، ق ٢٣٦ ص ١٥٩، ق ٢٣٧ ص ١٥٩، ق ٢٤٥ص ١٦٣، ق ٢٤٦ ص ١٦٤، ق ٢٥٠ ص ١٦٦، ق ٣٨٦ ص ٢٤٧، ق ٨، ٩ ص ٢٩١، ق ١٠– ١٣ ص ٢٩٢، ص ٢٩٨، ص ٣٠١ .

(١) خرج الأستاذ العلوي مثلا القطعة ٣٧٩ ص ٢٤٣ في أحد عشر موضعاً لم يذكر منها الأستاذ ابن عاشور سوى موضع واحد (ديوان بشار ٤/ ٢٢٩) .

(٢) مجلة المجمع (مج ٥٣ ص ٣٤٠– ٣٧٣، ٥٧٢– ٦٠٥، ٧٦٥– ٧٩٥. مج ٥٤ ص ٤٥– ٧٦).

(٣) مجلة المجمع (مج ٦٣ ص ٦٨٥– ٧٠٧).

(٤) مجلة المجمع (مج ٦٠ ص ٥٧٧– ٦٠١، ٨٠٧– ٨٣٤).

ص ١٧[1]:

«وأنشد له الوشاء بيتين..» ومثله أيضاً ماورد في ص ٣٥: «وأنشد له في الأغاني...» وما جاء في الصفحة نفسها: «وأنشد له – أي الأصفهاني – يرثي بُنية له» وفي ص ٦٠: «والبيتان أوردهما ابن حجة الحموي في خزانة الأدب غير منسوبين لأحد» وفي ص ٧٨ «وزاد الصولي في أخبار أبي تمام بيتاً..» وفي ص ٩٥: «وأنشد له في الصبح المنبي...» وما ورد في الصفحة نفسها: «وأنشد له في الصبح المنبي...» وما ورد في ص ١٤٣: «وأنشد له.. والوشاء و...» وما ورد أيضاً في ص ١٧٣: «.. وفي كتاب الشعراء لابن قتيبة..» وفي ص ٢١٢: «وأنشد له الصولي في أخبار أبي تمام يهجو أبا هشام الباهلي» ....

– وإنما الصواب: ص ٢٢، ٣/ ١٦٣، ٣/ ٢٢٩– ٢٣٠، ص ١٢٣، ص ١٣٧، ص ٩١، ص ٢١٢، ص ١٨٧، ٢/ ٧٥٧، ص ٤٨. فهو كما ترى قد أغفل ذكر أرقام الصفحات في تلك المواضع .

ص ٢٦ :

«وأنشد له الشريشي أيضاً..»

– كذا ولم أجد الأبيات التي نوه بها المحقق في الكتاب المذكور، وإنما رأيتها في الأغاني ٦/ ٢٥١– ٢٥٢ .

ص ٣١ :

«وأثبت له – أي العلوي – عن أمالي القالي...»

– قوله (عن الأمالي) سبق قلم من الأستاذ المحقق وإنما الصواب : المختار

[(1) اعتمد الباحث الفاضل الطبعة الثانية من ديوان بشار التي صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر/ المجلة] .

من شعر بشار ٩٥ . (ديوان بشار- العلوي- ص ٢٧).

ص ٣٦ :

«وأنشد له في الأغاني ج ٧ ..»، ومثله أيضاً ماورد في ص ٤٧ : «وأنشد له في الأغاني ج٣ ...»، وماجاء في ص ١٠٣: «وأنشد له في الأغاني ج٣ ...»[1]...

- وإنما الصواب في الموضع الأول: ٦/ ٢٥٠ وفي الموضعين الآخرين: ٣/ ١٨٧، ٣/ ١٨٥ .

ص ٤٢ :

«وأنشد له القالي في أماليه ٤/ ٥٤ والمرتضى في الأمالي ٤/ ٥٣ بيتين..»

- وليس في أمالي القالي جزء رابع، وإنما الصواب : وأنشد له المرتضى...

ص ٤٥ :

«وأنشد له... وبعضها في كتاب الوشاء في كتمان السر...»

- وإنما كان أولى به أن يكون أكثر دقة في تخريجها: .. وجاء البيتان ١، ٣ منها في كتاب الوشاء ص ٥٠ .

ص ٤٦ :

«وأنشد له في الأغاني زيادة...»

- جاء البيت الأول في ١٤/ ٣٢٦ وجاء البيت الثاني في ١٤/٣٣٠.

ص ٤٩ :

(١) لم يتيسر لي دوماً الاطلاع على الطبعات التي اعتمدها المحقق وإنما اعتمدت على طبعات أخرى لذا تجد اختلافاً بين إحالات المحقق وما أوردته من إحالات .

«وأنشد له العكبري في شرح المتنبي ٢/ ٢٢٢...»

– جاء البيت في موضعين من الكتاب هما ٢/ ٧٢، ٣/ ٢٢٢.

ص ٥٦ :

«وكتب إلي الأستاذ المستشرق كرنكو المتلقب بسالم الكرنكوي أنه وجد في سفر مخطوط من كتب جامع السلطان محمد الفاتح بالآستانة رقم ٥٣٠٣ مانصه: أنشد محمد بن المرزبان لبشار بن برد..»

– وإنما كان أولى بالمحقق أن يخرج تلك الأبيات في المحاسن والمساوئ ٢/ ٤٣– ٤٤ وفي المحاسن والأضداد ١٢٢ .

ص ٥٨– ٥٩ :

«وأثبت له العلوي في ص ٨٣ عن خزانة الأدب ص ٤٨ بيتاً هو قوله:

وجَدّت رقابَ الوصلِ أسيافُ هجرِنا وقدّت لرجلِ البينِ نعلينِ من خدّي

.. على أن هذا البيت لايوجد في خزانة الأدب للبغدادي ولا في ص ٤٨ وما يقاربها من خزانة ابن حجة.. »ا هـ .

– وما ذهب إليه المحقق ليس بصواب وإنما جاء البيت السابق في الموضع المذكور من خزانة الأدب لابن حجة الحموي كما ذكر العلوي – رحمه الله –

ص ٦٢ (ح ٢) :

«.. وكذلك في محاضرات الراغب غير منسوبة– أي الأبيات الأربعة »

– جاء البيتان الأولان منها يليهما بيت للمتنبي ثم البيت الثالث في ٣/ ٩٠ منه .

ص ٦٧ :

«وأنشد له فيه أيضاً- أي في البيان والتبيين- ١/ ٦٤..»

- جاء البيت في موضعين من البيان والتبيين (١/ ٢٤، ٦٨) لم يذكر منهما المحقق إلا الموضع الثاني .

ومثله أيضاً ماورد في ص ٢٠٣: «وأنشد له... والجاحظ في البيان ١/ ١٨٨»، وما ورد في ص ٢٤٠: «وأنشد له في البيان ٢/ ١٢٢..»

- جاء البيت الأول في ثلاثة مواضع من الكتاب (١/ ٢٧٧، ٢/ ١٥٥، ٤/ ٩٩) وجاء البيت الآخر في موضعين من الكتاب (٢/ ١٥٥، ٤/ ٩٩)

ص ٧٤ :

«وأنشد له في عيون الأخبار ٢/ ٢٣...»، ومثله أيضاً ماورد في ص ١٠١: «وأثبت له العلوي عن المحاضرات ٢/ ٤٦٠» وفي ص ٢٢٠: «.. وفي ديوان المعاني ١/ ١٨٤..» اهـ .

- وإنما الصواب ٢/ ٣٣، ٢/ ٤٦، ١/ ١٨٩- ١٩٠ .

ص ٨٠ :

«وزاد عليها في لسان العرب في مادة (برأ) بيتا بين هذين وهو..»

- وإنما الصواب قبل هذين البيتين .

ص ٨٩ (ح ٣) :

«.. ولا نعرف شعراً في مصلوب قبل شعر بشار إلا للأخطل وهو قوله..»

وإنما الصواب: الأخيطل، على هيئة التصغير. وهو محمد بن عبد الله ابن شُعيب. طبقات الشعراء ٤١١- ٤١٢، ومعجم الشعراء ٣٧٦ .

ص ١٠١ :

«وأثبت له عن الطبقات ؟ ص ٦»

– كذا وإنما أراد العلوي كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز كما هو بيّن في تعليقاته. (ديوانه– العلوي– ١٤٤ وطبقات الشعراء ٣١) .

ص ١١٥ :

«وأنشد له في أمالي المرتضى ٤/ ٥٠– أي الأبيات الثمانية– والأول والخامس في مختار المختار ٣١٤ مع زيادة البيت الثالث..»

– جاءت الأبيات الثمانية في أمالي المرتضى كما جاءت الأبيات ٣–٥ في المختار دون أن يتفرد أحد المصدرين بزيادة البيت الثالث.

ص ١١٨ :

«وأنشد له في المحاضرات ص ٤٤..» ومثله أيضاً ماجاء في ص ٢٠٩: «والبيت الأخير موجود في المحاضرات ص ١٤٤» اهـ .

– وإنما الصواب في الموضع الأول: ٢/ ٤٤ وفي الموضع الثاني: ٢/ ١٤٤ (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

ص ١٣٢ :

«والبيت الأول والثاني في البيان..»

– وإنما الصواب: والبيتان الأول والثالث في البيان والتبيين (٢/ ٢٥٩)

ص ١٤٥ :

«وأنشد له في كتاب النزهة ورقة ١٢٧...»

– وإنما كان أولى بالمحقق أن يخرج تلك الأبيات في كتاب الصداقة والصديق ٢٨٣– ٢٨٤ وهو من مصادره .

ص ١٥٠ :

«وأنشد له في الأغاني ٣/ ٣٩..»

– جاء البيتان في موضعين من الكتاب هما (٣/ ١٥٦، ١٨٠)

ص ١٦٣ (ح ١) :

«.. نسبه الراغب في المحاضرات إلى ابن الرومي ص ٢٥٩».

– جاء البيت في محاضرات الأدباء (٢/ ٥٧٣ بيروت) منسوبا إلى ابن الرومي– كما ذكر المحقق– ولكنه لم يرد في ديوانه .

ص ١٧٤ :

«وأنشد له في الأمالي– أي أمالي القالي– ٣/ ١٧...»

– قوله (الأمالي) سبق قلم من الأستاذ المحقق صوابه أمالي المرتضى (١/ ٥٥٤– ٥٥٥) . ومثله أيضاً ماجاء في ص ٢٢٤، ٢٤٤وإنما الصواب في الموضعين: أمالي المرتضى (١/ ٥١٠ و ٢/ ٦٣) .

ص ١٨٣ :

«وأنشد له في.. ولعله من أبيات القصيدة التي تقدمت هنا...»

– وما ذهب إليه المحقق صواب محض وموضعه بعد البيت ٢٣. انظر جمع الجواهر ٢٨٩ .

ص ١٨٣ :

«وأنشد له في الأغاني ٣/ ٢٥...»

– جاء البيتان في موضعين من الكتاب هما (٣/ ١٤٨، ٢٤/ ٤٧) ذكر منهما المحقق الموضع الأول.

ص ٢٠٢ :

أورد المحقق في الحاشية بيتين نسبهما إلى حميد بن ثور، وإنما هما لحميد الأرقط في كلمة له، جاء بعضها في الحماسة البصرية ٢/ ٢٧٢- ٢٧٣ وعيون الأخبار ٣/ ٢٤٢ وفرحة الأديب ٤٤ ونور القبس ١٤٦ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٧ واللسان (بقل).

ص ٢٠٢ :

«.. وأحمد بن هشام الذي عناه بشار لم أقف على ترجمته»

– جاء بعض أخبار أحمد بن هشام وأخيه علي في الأغاني ١٧/ ١١١- ١١٥ .

ص ٢٢٠ :

«وأنشد له – أي الأبيات الثلاثة–.. وابن جني في الخصائص ص ٢٩..»

– جاء البيتان الأولان منها في الخصائص ٣/ ٢٨١ وجاء البيت الأول في ١/ ٣١ .

ص ٢٣٥ :

«وأنشد له في البيان ٣/ ١٤٨، ٢٥٠ و ١/ ١٨٨...»

– جاء البيتان في الموضعين الأولين وجاء البيت الأول بمفرده في الموضع الثالث (١/ ٢٧٧) .

ص ٢٤٢ :

«وأنشد له في كتاب الآداب وفي كتاب الصديق وأربعة منها في كتاب النزهة غير معزوة...»

وإنما كان أولى بالمحقق أن يخرج الأبيات في معاهد التنصيص

١/ ٣٠٤- وهو من مراجعه- أو أن يكون أكثر دقة في تخريجها: جاء البيتان الأولان منها في كتاب الآداب ص ٨٩ (العلوي ص ٢٢٧) وجاءت الأبيات الأربعة الأولى في كتاب الصداقة والصديق ٩٢ بلا نسبة . ومثله أيضاً ماورد في ص ٢٤٦ : «وأثبت له- أي العلوي- عن حكاية أبي القاسم البغدادي...» اهـ .

وأنى لك أن تطلع على مثل هذا الكتاب، وإنما كان أولى به أن يخرجها أيضاً في الإمتاع والمؤانسة ٢/ ١٨١ .

ص ٢٤٥ :

وأثبت له- أي العلوي- في صدر أبيات (ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة) عن الطبقات قوله.. اهـ .

وإنما كان أولى به أن يضم تلك الأبيات إلى الأبيات الأخرى في ص ٢١٧- ٢١٩ .

ومثله أيضاً ماورد في الصفحة نفسها : «وأثبت له- أي العلوي- قبل بيت (كأنها روضة) الخ المذكور آنفا- ص ٢٤٤- قوله عن كتاب التشبيهات ..» اهـ .

- جاء البيتان معا في التشبيهات ٣٩٨- كما ذكر العلوي- وفي الرسالة الموضحة ١٩٢ أيضا، ولست أدري لم جعلها الأستاذ ابن عاشور في قطعتين مختلفتين .

ص ٢٥٠ :

«أنشد له- أي الأبيات السبعة- في الأغاني ٣/ ٣٥، ٦/ ٤٩...»

- جاءت الأبيات بتمامها في الموضع الأول كما جاءت الأبيات ١، ٣- ٧ منها في الموضع الثاني . الأغاني (٣/ ١٧٠- ١٧١، ٦/ ٢٤٥) .

* * *

– أورد الأستاذ ابن عاشور في الملحقات أبياتاً كثيرة، نسبت إلى بشار دون أن يتثبت من صحة نسبتها، كما أورد في تلك الملحقات بعض الأبيات التي جاءت في الأجزاء الأخرى، دون أن يتنبه إليها فمن ذلك مثلا الأبيات الأربعة التالية (ديوانه ٤/ ١٢):

وأُعرِضُ عن مطاعمَ قد أراها فأتركُها وفي بطني انطواءُ
فلا وأبيكَ مافي العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ مااستحيا بخيرٍ ويبقى العُودُ مابقي اللِّحاءُ
إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحيِ فاصنعْ ماتشاءُ

جاءت الأبيات الثلاثة الأولى منها منسوبة إلى جميل بن معلّى الفزاري في الحماسة البصرية ٢/ ١٠ كما جاء البيتان الأولان منها منسوبين إليه أيضاً في المؤتلف والمختلف ٩٧ . وجاءت الأبيات ٣ ، ٢، ٤ منها منسوبة إلى أبي تمام في ديوانه ٤/ ٢٩٦– ٢٩٧ في كلمة له في تسعة أبيات، وفي بهجة المجالس ١/ ٥٩٠– ٥٩١ بترتيب مختلف (٤، ٢، ٣) وفيه مصادر أخر .

– ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ١٣) :

كأنّ قرقرةَ الإبريقِ بينهمُ صوتُ المزاميرِ أو ترجيعُ فأفاءِ

وليس البيت لبشار وإنما هو لأبي نواس في ديوانه ٧٠١ وفي محاضرات الأدباء ٢/ ٧١٢ وفي قطب السرور ٥١٢ .

– أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ١٤) بيتين جاء في تخريجهما : «ومما هو منسوب إليه في كتب كثيرة يذكر خياطا اسمه عمرو» وهما :

خاطَ لي عمرو قَبا ليتَ عينيهِ سَوا

قلت شـعـــرا ليس يُرى أمـــديحٌ أم هِـجــــا

جاء البيتان منسوبين إلى بشار في معاهد التنصيص ٣/ ١٣٨ ولم أجد من نسبهما إلى بشار غيره، كما وردا في المنتخب من كنايات الأدباء ٧٠ منسوبين إلى سلم الخاسر وفي العقد الفريد ٥/ ٣٨٦- ٣٨٧ وفي بهجة المجالس ١/ ٥٢٩ بلا نسبة. وجاء البيت الأول منهما في جمع الجواهر ٣١٢ منسوبا إلى أبي الينبغي وفي محاضرات الأدباء ٤/ ٧١١ وفي خزانة الأدب ٧٩، ١٣٥ بلا نسبة. والرواية: قباء، سواء، هجاء.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٢٢) بيتاً على أنه مما لم يرد في الأصل المخطوط هو :

ورضِيتُ من طولِ العناء بيـأسِهِ واليأسُ أيسرُ من عِداتِ الكاذبِ

وإنما البيت في ديوانه ١/ ١٩٤ في كلمة أولها :

خَفِّض على عَقِبِ الزّمانِ العاقبِ ليسَ النجاحُ مع الحريصِ الناصِبِ

ومثله أيضاً البيت التالي (ديوانه ٤/ ٢٢) :

أُصـــيبَ بُنَيّ حين أورقَ غُـصـنُهُ وألقـى عليَّ الهـمَّ كلُّ قـــريبِ

فهو في ديوانه ١/ ٢٧٩ في أبيات في رثاء ابنه أولها :

أجـــارَتَنا لاتجـــزعي وأنيـــبي أتاني مـن الموتِ المُطلِّ نـصـيـــبي

- ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ٣٧) :

فيـا عَـجَباً زيّنتُ نفسي بحبّـهـا وزانت بهـجري نفسَـهـا وتحلّتِ

فبيني كما بانَ الشبابُ الذي مضى وكـــانت يدٌ منهُ عليّ فـــولّتِ

فهما في ديوانه ٢/ ٨ في كلمة مطلعها :

تَخَلّيتُ من صفـراءَ لابـل تَخَلّتِ وكنّا حليفي خُلّةٍ فاضـمحلّتِ

وبين البيتين أربعة أبيات .

- ومثله أيضاً (ديوانه ٤/ ٤٨) :

إن الوداعَ من الأحبابِ نافِلةً للظاعنينَ إذا ما يمّموا بلدا
ولست أدري إذا شطّ المزارُ بهم هل تجمع الدارُ أم لانلتقي أبدا

فالبيت الثاني منهما في ديوانه ٣/ ٦٩ في ثلاثة عشر بيتا .

- ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ٤٨) :

وعدتِني ثم لم تُوفي بموعِدَتي فكنتِ كالمزنِ لم يُمطرْ وقد رَعدا

فهو البيت التاسع من أبيات أولها :

تعجّبت جارتي مني وقد رَقدتْ عني العيونُ وبات الهمُّ محتشِدا

ديوانه ٢/ ١٣٩ .

- وقوله (ديوانه ٤/ ٥٦) :

إنّي وإن كان جمعُ المالِ يعجبني لايعدل المالُ عندي صِحّةَ الجَسَدِ
المالُ زينٌ وفي الأولادِ مكرُمةٌ والسّقم ينسيك ذِكرَ المالِ والولدِ

فهما في ديوانه ٣/ ١١٩ .

- ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ٦٠) :

أقولُ وقد راحَ الأوانسُ حُيّضاً بنفسي غزالاً لايحيضُ ولا يَلِدْ

فهو في ديوانه ٣/ ٩٩ في كلمة في هجاء حماد عجرد أولها :

لحا الله حمّادَ بن نِهيا فإنّهُ ذميمٌ إذا ماقام عِلجٌ إذا قَعَدْ

- وقوله (ديوانه ٤/ ٩٥) :

كنتُ إذا زُرتُ فتىً ماجداً تشقى بكَفّيهِ الدنانيرُ

فهو في ديوانه ٣/ ١٧٦ .

- وقوله أيضاً (ديوانه ٤/ ٩٥) :

وإذا أقَلَّ لي البخيلُ عذرتُهُ إنّ القليلَ من البخيلِ كثيرُ

فهو في ديوانه ٣/ ٢٦٥. فهذه كما ترى ١١ بيتاً جاءت في الملحقات سهواً من المحقق.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٢٤) بيتين أولهما:

تَوَدُّ عدوي ثم تزعَمُ أنني صديقُك إنّ الرأي منكَ لعازبُ

جاء البيتان منسوبين إلى بشار أيضاً في سمط اللآلي ١/ ٢٧١ وإلى النابغة الشيباني في الحماسة البصرية ٢/ ٤٣ (ملحقات ديوانه ٢٧٣ عن المصدر السابق) وإلى العتابي في بهجة المجالس ١/ ٦٨٧ وفي عيون الأخبار ٣/ ٦ وفي العقد الفريد ٢/ ٣٠٧ وإلى صالح بن عبد القدوس في حماسةالبحتري ١٧٦- ١٧٧. كما وردا في الأمالي ١/ ٨٣ بلا نسبة وجاء البيت الأول منهما في محاضرات الأدباء ٣/ ١٨ بلا نسبة وجاء البيت الثاني مع بيت آخر في الوحشيات ١٧٨ بلا نسبة أيضاً[١].

- ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ٢٧):

إنّي مدحتُكَ كاذباً فأثبتَنِي لَمّا مدحتُكَ مايُثابُ الكاذبُ

جاء البيت منسوباً إلى غتِمي السلمي في نوادر الهجري ٧٧٧.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٢٧- ٢٨) عن محاضرات الأدباء (١/ ٢٨ بيروت) بيتين أولهما:

وما كلُّ ذي رأيٍ بمؤتيكَ نصحَهُ ولا كُلُّ مؤتٍ نُصحَهُ بلبيبِ

إلا أنهما لم ينسبا إلى بشار في هذا الموضع وإنما وردا معطوفين على شعر له[٢]. ومثله أيضاً الأبيات الثلاثة وأولها (ديوانه ٤/ ٢٠١- ٢٠٢):

---

(١) ثمة مصادر أخرى أوردت البيتين تراها في سمط اللآلي والوحشيات والحماسة البصرية.

(٢) البيتان لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ٢٠٨ كما ذكر المحقق.

وصافيةٍ تعشي العيونَ رقيقةٍ رهينةِ عامٍ في الدِّنانِ وعامِ

فالبيت الثالث منها لم ينسب إلى بشار[1] وإنما ورد معطوفا على بعض شعره والصواب أنها لإسحق الموصلي كما في الأغاني ١٧/ ١١٣ و قطب السرور ٤١٥، ٦٩٠- ٦٩١ و المحب والمحبوب ٤/ ١٨٣ و الحماسة الشجرية ٨٦٧ و ثمار القلوب ٩٣٦ و معاهد التنصيص ١/ ٣٨٦ والمنصف ٧٥ .

– ومثله أيضاً قوله (ديوانه ٤/ ٢٤٥) :

إنّ المليحةَ من تُزيّن حَليَها لا مَنْ غَدَت بحلِيّها تتزيّنُ

فهو لم ينسب إلى بشار وإنما ورد معطوفا على بعض أبياته .

– وقوله (ديوانه ٤/ ٢٤٧) :

وكالسيفِ إن لاينتَهُ لانَ متنُهُ وحدّاه إن خاشنتَهُ خَشِنانِ

فهو لم ينسب كذلك إلى بشار وإنما جاء معطوفا على شعر له أيضا[2].

– أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٣٠) بيتين على الباء المكسورة رأيتهما في ديوان أبي حكيمة ص ٨٤ مع البيت الثاني من الأبيات البائية في ديون بشار ١/ ٣٨٨ .

– ومثله أيضا قوله في ثلاثة أبيات (ديوانه ٤/ ٣٠- ٣١) :

هم قعدوا فانتقوا لهم حَسَباً يدخلُ بعد العِشاءِ في العَرَبِ

(١) جاء في تعليق الأستاذ المحقق على هذه الأبيات مانصه: «وأنشد له في كتاب الصناعتين ٣١٨ بيتا ثم رأيت ذلك البيت في أبيات ثلاثة في كتاب البيان للجاحظ ١/ ٢٥٣ غير منسوبة لمعين فأثبت جميعها هنا» اهـ .

(٢) هو لأبي الشيص الخزاعي أو للراعي النميري. مجلة المجمع مج ٦٣ ج٤ ص ٦٨٨- ٦٨٩ .

جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى دعبل الخزاعي في الشعر والشعراء ٢/ ٨٥١ (شعر دعبل ٣٦٦- ٣٦٧ عن المصدر السابق) كما جاءت منسوبة إلى مخلد بن بكار الموصلي في جمع الجواهر ٣٦٢. وقوله في البيت الثالث:

والنّاسُ قد أصبحوا صيارفةً أعلم شيء بزائفِ الذّهبِ

سبق قلم من الأستاذ المحقق، وإنما الرواية: الحسب، كما في العقد الفريد (٦/ ١٣٧) وهو المصدر الذي نقل منه هذه الأبيات.

- وقوله (ديوانه ٤/ ٣١):

قل للأميرِ جزاك اللهُ صالحةً لايُجمَعُ الدّهرَ بين السَّخلِ والذيبِ

السّخلُ غِرٌّ وهَمّ الذئبِ غفلتُهُ والذئبُ يعلمُ مافي السَّخلِ مِن طيبِ

جاء البيتان منسوبين إلى أبي نواس في ديوانه ٢/ ٥٨ في هجاء قطرب النحوي، وإلى حماد عجرد في معاهد التنصيص ١/ ٣٠٠.

- وقوله أيضاً (ديوانه ٤/ ٣١):

وتأخذُهُ عندَ المكارمِ هزّةٌ كما اهتزّ تحتَ البارحِ الغُصُنُ الرّطبُ

جاء البيت في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٧٢ في ثلاثة أبيات وفي شرح التبريزي ١/ ٢٦٣- ٢٦٤ في أربعة أبيات. قال أبو رياش: هي لأبي الشغب العبسي، وقال أبو عبيدة هي للأقرع بن معاذ القشيري.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٣٣) بيتا هو:

وقضيتُ من ورقِ الشبابِ هجاً من كلّ أحوزَ راجعٍ قَصَبُهْ

وإنما الصواب: من كل أحور راجح قصبه. التكملة (هجأ).

- وأورد فيها أيضاً بيتين هما (ديوانه ٤/ ٤٢- ٤٣):

درّةٌ حيثما أُديرت أضاءت ومَشَمٌّ من حيثُما شُمّ فاحا
وجِنَانٌ قال الإلهُ لها كو ني فكانت رُوحا ورَوحا وراحا

جاء البيتان منسوبين أيضاً إلى بشار في جمع الجواهر ١٣٥ كما وردا في ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ص ١٤٢ (الطرائف الأدبية) في ثلاثة أبيات أولها :

صف مِراحاً إن كنتَ تهوى مراحا صفةً تُعقِبُ الحليمَ مُزاحا

وجاء البيت الأول منهما في قطب السرور ٥٥٧ بلا نسبة[١] يليه بيت آخر هو :

لونها كالعقيقِ وهي نسيمٌ ومدامٌ تحكي لنا التفاحا

– ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ٤٤) :

أشبَهكِ المسكُ وأشبهتِه قائمةً في لونهِ قاعدهْ
لاشكّ إذ لونُكُما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدهْ

وإنما هما لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني ٢٢/ ٤٩ وفي البصائر والذخائر ٣/ ١٨٨ كما وردا في نهاية الأرب ٢/ ٣٨ منسوبين إلى الزركشي في دنانير البرمكية وفي العقد الفريد ٣/ ٤٥٨ دون نسبة .

– أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٤٥– ٤٦) أربعة أبيات أولها:

أبكي الذينَ أذاقوني مودّتَهم حتّى إذا أيقظوني في الهوى رَقَدوا

وإنما هي للعباس بن الأحنف في ديوانه ٨٤– ٨٥ في كلمة له في ستة

(١) جاء البيتان في قطب السرور ٥٥٧ معطوفين على أبيات للصنوبري إلا أن المحقق نسبهما إلى الصنوبري في فهرس القوافي– كعادته– وتبعه في ذلك الدكتور احسان عباس فأثبتهما في ملحقات ديوان الصنوبري ٤٧٠ .

أبيات كما جاء بعض أبياتها منسوبا إلى ابن الأحنف أيضا في طبقات الشعراء ٢٤٥ (١، ٣، ٤) وفي عيون الأخبار ٤/ ١٤٠ (١، ٢) وفي بهجة المجالس ٢/ ٨٨- ٨٩ (١، ٣ مع بيتين آخرين) وفي الأغاني ٨/ ٣٦٥ وفي الشعر والشعراء ٢/ ٨٢٨ (البيت الأول) .

- ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ٤٩) :

والشمس في كبدِ السّماءِ كأنّها أعمى تَحَيَّرَ ماليديهِ قائدُ

وإنما البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ٨٢ في كلمة له وفي المختار من شعر بشار ١٦ وفي محاضرات الأدباء ٤/ ٥٤٢ وفيه «وذكروا أن بشارا كان يتعجب منه ويقول: لم يرض أن جعله أعمى حتى جعله بغير قائد» اهـ.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٥٠- ٥١) سبعة أبيات أولها:

فلما ودّعونا واستقلّوا على صُهْبٍ هوادِيهِنّ قُودُ

جاءت الأبيات الستة الأولى منها في المؤتلف والمختلف ١٤٦ منسوبة إلى أبي جنة الأسدي كما وردت الأبيات ٤- ٦ منها في ديوان المجنون ١٠٣ في ٨ أبيات وفي ديوان عروة بن أذينة ٤١٣- ٤١٥ في ١٢ بيتا .

- ومثله أيضا قوله في ستة أبيات (ديوانه ٤/ ٥٧- ٥٨) :

غَلِطَ الفتى في قولِهِ مَن لا يُرِدكَ فلا تُرِدهُ

جاءت الأبيات الأربعة الأولى في العقد الفريد ٢/ ٣٠٩ منسوبة إلى محمد بن بشار وجاء البيتان ٥، ٦ منها لابن بشار أيضاً في بهجة المجالس ١/ ٦١٢ . كما جاءت الأبيات ١- ٤، ٦ في الصداقة والصديق ١٩٩ بلا نسبة. وجاء البيتان الأولان في المحاسن والأضداد ٤٠ وفي المحاسن والمساوئ ٢/ ٢٠٥ بلا نسبة كذلك. كما وردت الأبيات ١، ٢، ٤، ٥ من أبيات ابن اليزيدي في العقد الفريد ٢/ ٣٠٩ بلا نسبة وجاء البيت الأول منها في

الصداقة والصديق ٢٩٧ بلا نسبة أيضا. وقوله في البيت الرابع :

كَم من أخٍ لكَ ياابن بشـ ـــار وأمك لم تَلِدْهُ

يدفع أن تكون الأبيات لبشار .

– ومثله أيضا الأبيات الأربعة الرائية وأولها (ديوانه ٤/ ٦٢) :

سَلَبت عظامي لحمَها فتركتِها عَواريَ في أجلادِها تتكسّرُ

جاء البيت الرابع منها في الإبانة عن سرقات المتنبي ١٥١ منسوبا إلى الجهمي. كما جاء أيضا في ديوان مجنون ليلى ١٣٣– ١٣٥ في ثلاث قطع مختلفة وفي شعر أبي حية النميري ١٤٧ .

– أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٧٤) ثلاثة أبيات جاء في تعليقه عليها: «وأنشد له في شرح المقامات.. ولم أر ذلك لغيره ورأيت البيتين الأولين منها منسوبين في بعض دواوين الأدب لعلي بن بسام (لعله البغدادي)» وأولها :

لا أظلِمُ الليلَ ولا أدّعي أنّ نجومَ الليلِ ليست تغورْ

جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى بشار أيضا في سمط اللآلي ١/ ٣١١ كما جاء البيتان الأولان منها منسوبين إلى ابن بسام في المختار من شعر بشار ٢٠ وفي الأمالي ١/ ١٠٠ وفي نهاية الأرب ١/ ١٣٥ وفي محاضرات الأدباء ٣/ ٩٦ وفي بهجة المجالس ٢/ ٩١ وفي زهر الآداب ٢/ ٧٤٩ وفي خزانة الأدب ٢/ ٣٢٢ وإلى محمد بن نصير في كتاب الزهرة ١/ ٦٣ وإلى علي بن هشام(١) في معاهد التنصيص ١/ ٢٦٦ .

– ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ٧٥) :

ماءُ الصّبابةِ نارُ الشوقِ تحدُرُهُ فهل سمعتُم بماءٍ فاضَ من نارِ

(١) كذا وإنما الصواب: ابن بسام كما في المصادر السابقة .

جاء البيت في بهجة المجالس ١/ ٨٢٣ منسوبا إلى علي بن الجهم وقبله بيت هو:

ياسائِلي ما الهوى اسمع إلى صِفتِي الحبُّ أعظمُ من وصفي ومقداري

كما جاء أيضا في كتاب الزهرة ١/ ٣٠٠ بلا نسبة وقبله بيت آخر هو:(١)

عجائبُ الحبِّ لاتفنى وأوّلها ممن تُحبُّ بتكذيبٍ وإنكارِ

- وقوله (ديوانه ٤/ ٧٥) :

كأنّ إبريقنا والقطرُ في فمهِ طيرٌ تناولَ ياقوتاً بمنقارِ

جاء البيت منسوبا إلى بشار أيضا في نهاية الأرب ٤/ ١٢٤، كما جاء منسوبا إلى ابن برد الأندلسي في غرائب التنبيهات ١٣٧ وإلى ابن المعتز في محاضرات الأدباء ٢/ ٧١١ ولكنه لم يرد في ديوانه. وإلى الحسين بن الضحاك في المحب والمحبوب ٤/ ١٤٦ولكنه لم يرد في شعره المجموع أيضا. وإلى الصفدي أو إلى صاعد اللغوي في حلبة الكميت ١٧٢ وإلى صاعد أيضا في مطالع البدور ١/ ١٣٦ وقبله كما في غرائب التنبيهات :

وقهوةٍ من فم الإبريق ساكبةٍ كدمعِ مفجوعةٍ بالإلفِ مِغيارِ

ويروى: ياطيبَها قهوةً حمراءَ صافيةً... (المحب والمحبوب) .

- وقوله (ديوانه ٤/ ٨٤) :

ياواحِدَ العربِ الذي أمسى وليس له نظيرُ
لو كان مثلَكَ آخرٌ ماكانَ في الدّنيا فقيرُ

جاء البيتان منسوبين إلى محمد بن عبد الله بن المولى في معجم

(١) لم ترد الأبيات السابقة في ديوان ابن الجهم أو في ملحقاته .

الشعراء ٣٤٢- ٣٤٣ وفي المستجاد من فعلات الأجواد ٢٢٢ وفي الحماسة البصرية ١/ ١٨٣- ١٨٤ وفي خزانة الأدب ٦/ ٢٩٤. كما وردا منسوبين إلى أعرابي في غرر الخصائص ٢٦٥ .

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٨٨- ٨٩) عن المختار من شعر بشار ١٦٧ قطعة أولها :

عن يميني وعن يساري وقُدّا مي وخلفي الهوى فكيف أفِرُّ

سقط منها قوله:

تركَتني وما أؤمِّلُ مِنها كالمُرَجّي سحابةً لا تدِرُّ

وموضعه بعد البيت الرابع .

- وأورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٩٠) عن زهر الآداب (٢/ ١٠٢٢ القاهرة ١٩٥٣) خمسة أبيات أولها :

لعمري لئن أصبحتَ فوق مُشَذَّبٍ طويلٍ تُعفّيك الرياحُ مع القَطرِ

ولكنها لم تنسب في هذا الموضع إلى بشار وإنما نسبت إلى العقيلي. كما جاءت الأبيات الخمسة منسوبة إلى العقيلي أيضا في المراثي ٢٨٣- ٢٨٤ بزيادة ثلاثة أبيات أخرى، وجاءت الأبيات الثلاثة الأولى منها في عيون الأخبار ٢/ ١٩٦ منسوبة إلى محمد بن أبي حمزة.

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ٩٨) بيتا هو :

ومُكلّلاتٌ بالعيو نِ طرقننا ورجعن مُلسا

وإنما الرواية :

ومُكَلَّلات بالعيو نِ طَرَقننا وخَرجن هَمسا
فأصَبنَ من طُرَفِ الحدي ثِ لَذاذةً ورَجعن مُلسا
حُورٌ يَرُقنَ إذا حَلِيـ ـن وإن عَطِلنَ خشينَ نَفسا

الرسالة الموضحة ١٢٤ ولم يرد البيت الأخير منها في الملحقات .

- وأورد فيها أيضا ثلاثة أبيات أولها (ديوانه ٤/ ٩٩) :

أثني عليكَ ولي حــالٌ تكذّبني فيما أقولُ فأستحيي من الناسِ

جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى بشار في المحاسن والأضداد ٢٧ وجاء البيتان الأولان منها لبشار أيضا في المحاسن والمساوئ ١/ ٩٣. كما جاء البيتان ١، ٣ في الأمالي ١/ ٢٤٣ وفي زهر الآداب ١/ ٣٢٥ منسوبين إلى أبي العتاهية (تكملة ديوانه ٥٦٨- ٥٦٩ عن المصدرين السابقين) بزيادة بيت في أول القطعة هو :

ياابن العلاءِ وياابن القرمِ مرداسِ إني امتدحتكَ في صحبي وجلاّسي

- جاء البيتان ٢، ٣ من الأبيات الأربعة السابقة منسوبين إلى أبي العتاهية في حماسة الظرفاء ٢/ ٢٢٣- ٢٢٤ وجاء البيتان ١، ٤ منها في الأغاني ٣/ ١٩٣ منسوبين إلى أبي العتاهية أيضا. كما جاءت الأبيات ١، ٢، ٤ في العقد الفريد ١/ ٣١٧ بلا نسبة .

- ومثله أيضا قوله في أبيات (ديوانه ٤/ ٩٩- ١٠٠) :

قومي اصبَحِينا فما صِيغَ الفتى حجراً لكن رهينة أجــداثٍ وأرمــاسِ

جاءت الأبيات ١، ٣، ٤ منسوبة إلى بشار أيضا في قطب السرور ٦٣١ كما جاءت الأبيات الأربعة منسوبة إلى ابن همام في المحب والمحبوب ٤/ ١٩٨- ١٩٩ والأكثر أنها لبشار.

- وقوله أيضا (ديوانه ٤/ ١٠١) :

عَــرّضن للذي تحب بحبٍّ ثم دعــهُ يروضُــهُ إبليسُ

وإنما البيت لأبي نواس في ديوانه ٣٥٥ في أربعة أبيات وبعده :

فلعلّ الزمــانَ يُدنيكَ منهُ إنّ خطبَ الهوى جليلٌ نفيسُ

كما جاءت الأبيات الأربعة في الأغاني ٢٢/ ٤٥- ٤٦ منسوبة إلى أبي حفص الشطرنجي.

- وقوله (ديوانه ٤/ ١٠١) :

وخريدةٍ سودٍ ذوائِبُها قد ضُمِّخت بالمسك والورسِ
أقبلنَ في رأدِ الضُّحاء بها فسترنَ عينَ الشمسِ بالشمسِ

جاء البيت الثاني منهما في ملحقات ديوان صريع الغواني ٣٢٥ .

- وقوله (ديوانه ٤/ ١٠٤- ١٠٥) :

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاءت لنا برقاً وأبطا رَشاشُها
فلا غيمها يُجلَى فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتي فيُروى عِطاشُها

جاء البيتان في المختار من شعر بشار ٦٦ منسوبين إلى بشار أيضا، وجاء البيت الثاني منهما في ص ٢٧ من المصدر السابق منسوبا إلى الرقاشي وقبله بيت آخر هو :

أخالدُ إنّ الريَّ قد أجحفت بنا وضاق علينا رحبُها ومَعاشُها

كما وردت الأبيات الثلاثة السابقة منسوبة إلى الرقاشي أيضا في عيون الأخبار ٣/ ١٤٥ وفي العقد الفريد ١/ ٢٨٦ .

- وقوله أيضا (ديوانه ٤/ ١١٨) :

لا أحمِلُ اللوم فيها والغرامَ بها ما كلّفَ اللهُ نفساً فوق ماتَسَعُ

وإنما هو لعلي بن جبلة في قطعة في ديوانه ٧٨، كما جاء أيضا في ديوان جميل بثينة ١١٩ وتخريجه ثمة .

- وقوله في أبيات (ديوانه ٤/ ١٢٤):

عندَ الملوكِ مضرّةٌ ومنافعٌ وأرى البرامكَ لاتضرُّ وتَنفعُ

وإنما هي لنصيب الأصغر: طبقات الشعراء ١٥٦ والأغاني ٥/ ٣٩٣، ٢٣/ ١٩- ٢٠- بزيادة بيت آخر في الموضع الأول- والوزراء والكتاب ٢٠٣ وبهجة المجالس ١/ ٦٥٥ وفيه البيتان ٢، ٣ .كما جاء البيتان ١، ٣ في كتاب الزهرة ٢/ ٢٢٩ بلا نسبة .

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ١٢٦) بيتين أولهما :

وإنّا ليجري بيننا حينَ نلتقي   حديثٌ له وشيٌ كوشيِ المطارفِ

جاء البيتان في المحب والمحبوب ١/ ١٥٠ منسوبين إلى ذي الرمة- ملحقات ديوانه ٣/ ١٨٩٠ وفيه مصادر أخر- كما ورد البيتان أيضا في الحماسة البصرية ٢/ ٨٦ وفيه: «قال آخر وتروى لذي الرمة» وفي الأشباه والنظائر ١/ ٢٠١ بلا نسبة .

- وأورد فيها عشرة أبيات أولها (ديوانه ٤/ ١٣٣) :

خليليّ إن العسرَ سوف يفيقُ   وإن يساراً في غدٍ لخليقُ

جاء البيتان ٢، ٣ منها منسوبين إلى بشار أيضاً في المحب والمحبوب ٤/ ١٩٨ وفيه مصادر أخر. كما وردا في الأشباه والنظائر ١/ ١٣ منسوبين إلى سويد بن أبي كاهل، والأكثر أنها لبشار .

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ١٤٠- ١٤١) بيتين هما :

وبهماءَ يستافُ الترابَ دليلُها   وليس له إلا اليمانيُّ مخلقُ
تجاوزتُها وحدي ولم أرهبِ الرّدى   دليليَ نجمٌ أو حُوارٌ محلقُ

وإنما الرواية: ويهماء.. مُحلِفُ/ مُخَلّفُ.[1] الرسالة الموضحة ١٣٩-

---

(١) في الرسالة الموضحة: مخلف. بالخاء. تطبيع. والمحلف: الحليف. واليهماء: الفلاة الملساء ليس بها نبت ولا ماء. وإنما أثبت شرح هذا البيت لأنني رأيت المحقق قد أجهد نفسه في تفسيره دون طائل.

بلا نسبة- كما جاء البيت الأول على الصحة في اللسان (يمن) بلا نسبة أيضا. والمعنى: أجهضت الإبل من شدة السير فيها، فألقت أجنتها، فصارت كالمنار لساكنها يستدل ويهتدي بها .

- وأورد فيها أيضا قطعة أولها (ديوانه ٤/ ١٤٣) :

ياقُرّةَ العينِ إني لأُسمّيكِ أكني بأخرى أُسمّيها وأعنيكِ

جاءت الأبيات ٣- ٥ منها في المنتخب من كنايات الأدباء ١١٠ بزيادة بيت بعد البيت الثالث هو:

كوني لنا جنّةً نرعى أطايبَها حتى نكونَ كماءِ المُزنِ نسقيكِ

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ١٤٥) أربعة أبيات أولها :

أراكَ اليومَ لي وغداً لغيري وبعد غدٍ لأقربَنا إليكا

جاءت الأبيات الأربعة منسوبة إلى بشار أيضا في الصداقة والصديق ٢٨٣- ٢٨٤ وجاءت في حماسة البحتري ٧٠ منسوبة إلى عبد الله بن عمرو القرشي .

- أورد الأستاذ المحقق خمسة أبيات أولها: (ديوانه ٤/ ١٤٦- ١٤٧)

عِنانُ يامُنيتي ويا سَكَني أما تَرَيني أجولُ في سِكَكِ

وآخرها :

ماذا تقولينَ لرب العُلا إذا تَخَلّيتِ به وحدَكِ

وإنما الرواية: سككك/ ومشابهاتها قافيةً في الأبيات الثلاثة التي تليها. بدائع البدائه ٣٩(١) [1]وهو المصدر الذي نقل منه الأستاذ المحقق هذه الأبيات. كما جاء البيت الأول منها منسوبا إلى أبي نواس في ديوانه ١/ ٨١

(١) جاء في بدائع البدائه مانصه: «قال علي بن ظافر: عنان لم يدركها بشار وإنما كان يشاغبها أبو نواس ولهما في مثل هذا أخبار كثيرة وهذه القافية مما يعايا بها» فهو كما ترى ينفي=

مع بيتين آخرين هما:

ملكتني اليـــومَ يامـــعـــذِّبتي فـصـيّـرِيني الغـداةَ من فِكَكِكْ
وعَـجّلي ذاكَ وارحــمي قَلقِي وأثبـتي لـي البَـراةَ في صِكَكِكْ

وجاء البيت الرابع في ديوانه ١/ ٨٢. أما البيت الخامس فهو من قطعة أخرى لبشار أولها:(١)

ياعـبـدَ باللهِ ارحـمي عـبـدكِ وعلّليـه بمُنى وعـدِكِ
يُصـبحُ مكروباً ويُمـسي به وليس يدري مـالـهُ عندكِ

الأغاني ٦/ ٢٤٩ وديوان بشار ٤/ ١٤٦ .

- ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ١٦٠) :

لما رأيتُ الحظّ حظّ الجـاهلِ
ولم أرَ المغبـونَ غيـرَ العـاقلِ
رحّلتُ عنساً من شَـرابِ بابلِ
فـبتُّ من عـقلي على مَـراحِلِ

جاءت الأبيات الأربعة منسوبة إلى ابن عائشة القرشي في طبقات الشعراء ٣٣٨ وفي عيون الأخبار ١/ ٢٦٠ وفي ديوان المعاني ١/ ٣٣١

= أن تكون هذه الأبيات لبشار. ونحوه أيضا ماجاء في ديوان المعاني ١/ ٣١١ «وأحسن الآخر وينسب إلى بشار». وما جاء في الأغاني ١٨/ ٢٩٩ «ويقال إن الشعر لبشار» فإن المحقق قد أثبت تلك الأبيات في الملحقات وكأنها من صحيح شعر بشار دون أن يشير إلى ذلك .

[(1) يحسن أن نشير هنا إلى أن البيت الأخير مختلف عن أبيات المقطوعة (التي أوردنا أولها) بحراً وقافية/ المجلة] .

(١) جاءت الأبيات الأربعة الأولى محرفة في مطبوعة العلوي أيضا (ص ١٧٥- ١٧٦) أما البيت الخامس فجاء على الصحة في القطعة التي أشرت إليها (ص ١٧٤- ١٧٥).

وإلى العطوي في المحب والمحبوب ٤/ ١٩٧- ١٩٨. كما وردت في العقد الفريد ٦/ ٣٤٦- ٣٤٧ وفي ثمار القلوب ٨٨٠- ٨٨١ وفي المنصف ٥٦٢ بلا نسبة .

- أورد الأستاذ المحقق في الملحقات (٤/ ١٧٥) بيتا عن بهجة المجالس ولكنني لم أجده في النسخة المطبوعة من الكتاب هو :

كفى حَزَناً أنّ الجوادَ مُقَتَّرٌ عليهِ ولا معروفَ عندَ بخيلِ

ثم رأيته بأخرة في المنتحل ١٠٩، ١٧٣ وفي قطب السرور ٦١١ منسوبا إلى أبي نواس ولكنه لم يرد في ديوانه .

- ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ١٧٧) :

إني لأكتمُ في الحشا حبّاً لها لو كان أصبح فوقها لأظلّها
ويبِيتُ بين جوانحي وجدٌ لها لو باتَ تحتَ فراشِها لأقلّها

جاء البيتان منسوبين إلى عروة بن أذينة في ديوانه ٣٦١- ٣٦٤ في تسعة أبيات وإلى المجنون في ديوانه ٢٢٦ في ستة أبيات وتخريجهما ثمة .

- وقوله (ديوانه ٤/ ٢١٢) :

أُنسٌ غرائرُ ما هممنَ بريبةٍ كظباءِ مكّةَ صيدُهُنّ حرامُ
يُحسبنَ من لينِ الحديثِ زوانياً ويَصُدّهنّ عنِ الخنا الإسلامُ

وإنما هما لعروة بن أذينة في ديوانه ٣٧٤- ٣٧٥ وفي الحماسة البصرية ٢/ ١١١ - ١١٢ كما وردا في حماسة الظرفاء ٢/ ٧٥ بلا نسبة .

- ومثله أيضا قوله (ديوانه ٤/ ٢١٢) :

يزدحِمُ النّاسُ على بابهِ والموردُ العذبُ كثيرُ الزِّحامْ

وإنما البيت لأبي علي البصير في المصون في الأدب ٧٧، كما ورد في المختار من شعر بشار ٩٥ وعيون الأخبار ١/ ٩٠ والكامل ١/ ١٤٩ ومعجم الأدباء ٦/ ٢٢٦ وبهجة المجالس ١/ ٢٦٨والمنصف ١٨٣ ومحاضرات

الأدباء ٢/ ٥٣٢ بلا نسبة .

- وقوله في ثلاثة أبيات (ديوانه ٤/ ٢٢٠) أولها :

ودَعجاءِ المحاجرِ من معدٍّ كأنّ حديثَها ثمرُ الجِنانِ

جاء البيتان الأولان منها في المحب والمحبوب ٣/ ٤١ كما وردا في حماسة الظرفاء ٢/ ٨٦ بلا نسبة يليهما بيتان آخران هما :

من السُّمرِ اللّدانِ إذا اسبكرّت وموتُ النفسِ في السّمرِ اللّدانِ
شبيهاتِ الرّماحِ قنا مُتونٍ ووخزاً في القلوبِ بلا سنانِ

كما جاء البيتان السابقان منسوبين إلى ابن الرومي في ديوانه ٢٤٧٩/٦ في قطعة أولها:

ولاحٍ في القيانِ فقلتُ مهلاً رُميتَ بنبلِ أوتارِ القيانِ

- أورد الأستاذ المحقق بيتين أولهما (ديوانه ٤/ ٢٣٤- ٢٣٥) :

قالوا العَمَى منظرٌ قبيحٌ قلنا بفقدي لكم يهونُ

جاء البيتان في غرر الخصائص ١٦١ منسوبين إلى أبي العيناء كما وردا في المنتخب من كنايات الأدباء ٦١- ٦٢ منسوبين إلى أبي العلاء المعري .

- ومثله أيضا قوله في أبيات (٤/ ٢٤٢- ٢٤٣) :

خيرُ إخوانكَ المشاركُ في المُرِّ (م) وأينَ الشريكُ في المرِّ أينا

جاءت الأبيات ١- ٦ منسوبة إلى بشار في معاهد التنصيص ١/ ٣٠٤ وجاءت الأبيات الخمسة الأولى منها منسوبة إلى كثير عزة في ديوانه ٤٩٢- عن الذهب المسبوك- كما جاءت الأبيات ١، ٢، ٤، ٥ منسوبة إلى كثير أيضا في بهجة المجالس ١/ ٧١٧ وجاء البيتان الأولان منها

في العقد الفريد ٢/ ٣٠٨ بلا نسبة .

– وقوله (ديوانه ٤/ ٢٤٦) :

قومٌ إذا ماأتى الأضيافُ منزلَهُم لم يُنزلوهم ودلُّوهم على الخانِ

جاء البيت منسوبا إلى أبي الشمقمق في البخلاء للبغدادي ١٨٥ وقبله بيت آخر هو :

ما إن رأيتُ خنازيراً معزّبةً إلا ذكرتُ بها ناساً بحلوانِ

كما جاء البيتان السابقان في معجم البدان (حلوان) بلا نسبة. وجاء البيت الثاني منهما وقبله بيت آخر في شرح المقامات ٢/ ٢٣٧ بلا نسبة أيضا وهو :[1]

ماكنتُ أحسبُ أنّ الخُبزَ فاكهةٌ حتّى نزلتُ على قومٍ بِمَيسانِ

– وقوله أيضا (ديوانه ٤/ ٢٥٣) :

هززتُكَ لا أنّي وجدتكَ ناسياً لأمري ولا أنّي أردتُ التقاضيا

ولكن رأيتُ السيفَ من بعدِ سَلّهِ إلى الهزِّ محتاجاً وإن كانَ ماضيا

جاء البيتان منسوبين إلى أبي العتاهية في تكملة ديوانه ٦٧٥ عن أحسن ماسمعت . كما وردا في المنتحل ٦٨ بلا نسبة .

* * *

– وثمة ملاحظات أخرى تتصل بما جاء في مطبوعة بيروت من أبيات نسبت إلى بشار فمن ذلك مثلا قوله (ص ٩٥) :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لاحياةَ لمن تُنادي

جاء البيت في ديوان عمرو بن معديكرب ص ٩٩ وفيه أنه يروى

(١) لم ترد الأبيات السابقة في أشعار أبي الشمقمق (شعراء عباسيون) .

أيضا لدريد بن الصمة وتخريجه ثمة .

- وقوله (ص ١٢٦) :

مـــاذا يُؤَرِّقني والنومُ يُعــجـبني   من صوتِ ذي رَعَثاتٍ ساكنٍ داري
كـأنّ حـمّـاضَـةً في رأسـهِ نَبَتتْ   من آخرِ الصيفِ قد هَمّت بإثمارِ

جاء البيت الأول منهما في الصحاح وأساس البلاغة واللسان والتاج (رعث) منسوبا إلى الأخطل. (ملحقات ديوانه ٣٨٥) .

- وقوله أيضاً (ص ١٢٧) :

لايرحلُ الشيبُ عن دارٍ يحلُّ بها   حتى يُرَحِّلَ عنها صاحبَ الدّارِ

وإنما هو لابن المعتز في ديوانه ٢/ ٤٠٢ وقبله :

ياخاضبَ الشيبِ بالحنّاءِ يستُرُهُ   سَلِ الجليلَ له ستراً من النّارِ

كما جاء أيضا في المختار من شعر بشار ٣٣٨ منسوبا إلى مسلم بن الوليد (ملحقات ديوانه ٣٢٣ عن المصدر السابق)[1] .

- أورد أحد أصدقاء دار الثقافة في ديوان بشار- بيروت- بعض الأبيات التي نسبت إلى بشار مما أغفلها العلوي، منها قوله (ص ٢٩١) :

وريحُـــهـا أطيبُ من طيبِـهـا   والطيبُ فيـه المِسكُ والعنبـرُ

وإنما هو لمطيع بن اياس في قطعة في ستة أبيات وقبله :

جـاريةٌ أحـسنُ من حَلْيِـهـا   والحليُ فـيـه الدُّرُّ والجـوهرُ

شعراء عباسيون ٥٤ وقطب السرور ٧٨ .

- وقوله (ص ٢٩٢) :

(١) كنت عرضت لهذا البيت وما نسب إلى مسلم بن الوليد من أبيات أخرى في مقال لي في مجلة المجمع مج ٥٣ ج١ ص ١٦٥ .

العبدُ يُقرعُ بالعصا والحُرُّ تكفيهِ الإشارهْ

وإنما البيت للصلتان الفهمي كما في البيان والتبيين ٣/ ٣٧ والمؤتلف والمختلف ٢١٥ كما جاء في الشعر والشعراء ١/ ٣٥٥ وفي بهجة المجالس ١/ ٧٨٩ بلا نسبة(١).

- وأورد في ص ٢٩١ قول بشار(٢):

أقولُ وقد راح الأوانسُ حيّضاً بنفسي غزالاً لايحيضُ ولا يَلِدْ

على أنه مما لم يرد في الديوان المطبوع، دون أن يتنبه إلى أنه قد ورد في ديوانه ٣/ ٩٩.

- ومثله أيضا قوله (ص ٢٩٢) :

كأنني يومَ لاتمسينَ راضيةً أمشي على جمرةٍ أو حدّ مسمارِ

فهو في ديوانه ٣/ ١٤٨ في أبيات أولها :

يارحمة اللهِ حُلّي في منازِلنا وجاوِرينا فدتكِ النفسُ من جارِ

- للبحث صلة -

---

(١) ومثله قول أبي دواد (ديوانه ٣٣٣) أو أبي الأسود (ديوانه ١٧١) :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالهْ

وقول مالك بن الريب (بهجة المجالس ١/ ٧٨٩) :

العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الوعيدْ

وقول يزيد بن مفرغ (شعره ٢١٥ وفيه مصادر أخر) :

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامهْ

(٢) جاء هذا البيت أيضا في ملحقات الأستاذ ابن عاشور ٤/ ٦٠ كما بينت آنفا .

أهم المصادر

الإبانة عن سرقات المتنبي	العميدي	القاهرة ١٩٦٣
أخبار أبي تمام	الصولي	القاهرة ١٩٣٧
الأشباه والنظائر	الخالديان	القاهرة ١٩٥٨
أشعار الحسين بن الضحاك		بيروت ١٩٦٠
الأغاني (دار الكتب)	(الأصفهاني)	القاهرة ١٩٢٧
أمالي القالي		القاهرة ١٩٢٦
أمالي المرتضى		القاهرة ١٩٥٤
الإمتاع والمؤانسة	التوحيدي	القاهرة ١٩٣٩
البخلاء	الخطيب البغدادي	بغداد ١٩٦٤
بدائع البدائه	ابن ظافر الأزدي	القاهرة ١٩٧٠
البصائر والذخائر	التوحيدي	دمشق ١٩٦٤
بهجة المجالس	ابن عبد البر	القاهرة ١٩٦٢
البيان والتبيين	الجاحظ	القاهرة ١٩٤٨
التبيان في شرح الديوان	العكبري	القاهرة ١٩٣٦
ثمار القلوب	الثعالبي	دمشق ١٩٩٤
جمع الجواهر	الحصري	القاهرة ١٩٥٣
حلبة الكميت	النواجي	القاهرة ١٢٩٩ هـ
حماسة البحتري		القاهرة ١٩٢٩
الحماسة البصرية	البصري	حيدر أباد ١٩٦٤
الحماسة الشجرية	ابن الشجري	دمشق ١٩٧٠
حماسة الظرفاء	الزوزني	بغداد ١٩٧٨
خزانة الأدب	البغدادي	القاهرة ١٩٦٧
خزانة الأدب	ابن حجة الحموي	القاهرة ١٣٠٤
الخصائص	ابن جني	القاهرة ١٩٥٢
ديوان إبراهيم بن العباس الصولي	(الطرائف الأدبية)	القاهرة ١٩٣٧
ديوان أبي الأسود الدؤلي		بغداد ١٩٥٤
ديوان بشار بن برد	ابن عاشور	تونس ١٩٧٦
ديوان بشار بن برد	العلوي	بيروت ١٩٦٥ ؟
ديوان أبي حكيمة		قبرص ١٩٩٣

الكتاب	المؤلف	المكان والتاريخ
ديوان أبي دواد (دراسات في الأدب العربي)		بيروت ١٩٥٩
ديوان ابن الرومي		القاهرة ١٩٧٣
ديوان صريع الغواني		القاهرة ١٩٥٨
ديوان الصنوبري		بيروت ١٩٧٠
ديوان العباس بن الأحنف		القاهرة ١٩٥٤
ديوان أبي العتاهية (أبو العتاهية أخباره وأشعاره)		دمشق ١٩٦٥
ديوان عروة بن أذينة		بغداد ١٩٧٠
ديوان علي بن الجهم		دمشق ١٩٤٩
ديوان كثير عزة		بيروت ١٩٧١
ديوان مجنون ليلى		القاهرة
ديوان المعاني	العسكري	القاهرة ١٣٥٢ هـ
ديوان النابغة الشيباني		دمشق ١٩٧٨
ديوان أبي نواس	حمزة الأصبهاني	القاهرة ١٩٥٨
ديوان أبي نواس		القاهرة ١٩٥٣
ديوان يزيد بن مفرغ		بيروت ١٩٧٥
الرسالة الموضحة	الحاتمي	بيروت ١٩٦٥
زهر الآداب	الحصري	القاهرة ١٩٥٣
الزهرة	الأصبهاني	بيروت ١٣٥١ هـ
سمط اللآلي	البكري	القاهرة ١٩٣٦
شعراء عباسيون		بيروت ١٩٥٩
شرح الحماسة	التبريزي	القاهرة ١٩٣٨
شرح الحماسة	المرزوقي	القاهرة ١٩٦٧
شرح ديوان أبي تمام	التبريزي	القاهرة ١٩٥١
شرح المقامات	الشريشي	القاهرة ١٣١٤ هـ
شعر الأخطل		بيروت ١٨٩١
شعر أبي حية النميري		دمشق ١٩٧٥
شعر دعبل الخزاعي		دمشق ١٩٨٣
شعر علي بن جبلة		القاهرة ١٩٧٢
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٧
الصبح المنبي عن حيثية المتنبي	البديعي	القاهرة ١٩٦٣

الصداقة والصديق	التوحيدي	دمشق ١٩٦٤
الصناعتين	العسكري	القاهرة ١٩٥٢
طبقات الشعراء	ابن المعتز	القاهرة ١٩٦٨
الظرف والظرفاء	الوشاء	القاهرة ١٩٥٣
العقد الفريد	ابن عبد ربه	القاهرة ١٩٤٠
عيون الأخبار	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٢٥
غرائب التنبيهات	ابن ظافر الأزدي	القاهرة ١٩٧١
غرر الخصائص	الوطواط	القاهرة ١٢٨٤ هـ
فرحة الأديب	الغندجاني	دمشق ١٩٨١
قطب السرور	الرقيق النديم	دمشق ١٩٦٩
الكامل	المبرد	القاهرة ١٩٣٦
المحاسن والأضداد	الجاحظ	القاهرة ١٣٢٤ هـ
المحاسن والمساوئ	البيهقي	القاهرة ١٩٠٦
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	بيروت ١٩٦١
المحب والمحبوب	السري الرفاء	دمشق ١٩٨٦
المختار من شعر بشار	التجيبي	القاهرة ١٩٣٤
المراثي	اليزيدي	دمشق ١٩٩١
المستجاد من فعلات الأجواد	التنوخي	دمشق ١٩٦٤
المصون في الأدب	العسكري	الكويت ١٩٦٠
مطالع البدور	الغزولي	القاهرة ١٢٩٩ هـ
معاهد التنصيص	العباسي	القاهرة ١٩٤٧
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	القاهرة ١٩٣٦
معجم الشعراء	المرزباني	القاهرة ١٩٦٠
المنتخب من كنايات الأدباء	الجرجاني	القاهرة ١٩٠٨
المنصف	ابن وكيع	دمشق ١٩٨٢
المؤتلف والمختلف	الآمدي	القاهرة ١٩٦١
نهاية الأرب	النويري	القاهرة ١٩٢٣
نوادر الهجري		الرياض ١٩٩٢
نور القبس	الحافظ اليغموري	بيروت ١٩٦٤
الوزراء والكتاب	الجهشياري	القاهرة ١٩٣٨

(آراء وأنباء)

رحيل الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٩٠٢ - ١٩٩٥

عيسى فتوح

فقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الخامس من كانون الأول ١٩٩٥ أحد أعمدته الشاهقة، الأستاذ الدكتور إبراهيم بيّومي مدكور الذي تسلَّم رئاسة المجمع عام ١٩٧٤ خلفاً لرئيسه السابق الدكتور طه حسين.

ولد الدكتور مدكور عام ١٩٠٢ في «أبي النمرس». بمحافظة الجيزة، وحصل على دبلوم دار العلوم عام ١٩٢٧، وحصل من جامعة باريس على الليسانس في الآداب عام ١٩٣١، وعلى الليسانس في الحقوق عام ١٩٣٣، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٣٤.

عُين عضواً في هيئة التدريس بكلية الآداب في جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول) عام ١٩٣٥ ثم انتدب للتدريس في بعض الكليات الأزهرية، واختير لعضوية مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٦، واشترك في عدد من لجان المجمع منها لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ولجنة المعجم الكبير.

اختير عضواً في مكتب المجمع، ثم أميناً للسر عام ١٩٥٩، ثم أميناً عاماً له عام ١٩٦١، وظل يشغل هذا المنصب حتى اختير رئيساً للمجمع عام ١٩٧٤، وكان عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية في بغداد.

* * *

يعد الدكتور إبراهيم مدكور واحداً من كبار رجال الفلسفة والفكر وعلماء اللغة في الوطن العربي، ومن أبرز قادة الإصلاح الاجتماعي والسياسي فيه، وقد كانت له مشاركته في الحركة الوطنية في مصر، اعتقل في فجر شبابه وسجن لدوره في ثورة ١٩١٩.

ألف عدداً من الكتب في اللغة والأدب والفكر والفلسفة، ونشر عشرات المقالات والبحوث في مجلات المجامع اللغوية العربية وغيرها، عالج فيها الكثير من القضايا اللغوية الكبرى مثل تطور اللغة والصلة بينها وبين الفكر، والقياس، والتعريب، والنحو العربي في نشأته وتطوره، ومنزلة اللغة العربية بين اللغات العالمية الكبرى.

كما عالج لغة العلم بوجه خاص، فعرض لخصائصها ومميزاتها، وجهود العلماء في وضعها وصياغتها وبيان تاريخها وما انتهت إليه اليوم في لغتنا العربية، ووقف في بحوثه مطولاً عند فن المعجمات، وبيّن تطورها، وما وصل إليه المعجم الحديث، وعند لون من التأليف المعجمي لم يُلحظ في ترتيبه وتبويبه إلا مجرد نطق الكلمة، وهو ما سمي بالمعجم الأبجدي، وله آراء سديدة في مشكلة تيسير الكتابة العربية...

لا نستطيع في هذه المقالة الوقوف عند أفكار العلامة الدكتور إبراهيم مدكور، وحسبنا أن نشير إلى أبرز الآراء والقضايا التي طرحها في كتبه ومقالاته ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الاشتقاق والتعريب ومدى حق العلماء في التصرف باللغة، ونشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام، والمصطلحات العلمية المعاصرة وغيرها

* * *

يرى الدكتور مدكور أنه لا حياة للغة بدون ابتكار ألفاظ جديدة تواجه الزمن ومستحدثات التطور، وأهم سبله الاشتقاق والقياس، ومن

أخص خصائص العربية أنها لغة اشتقاقية، وهذا الاشتقاق أكسبها مرونة ومناعة في آن واحد، فسمح لها. بخلق ألفاظ جديدة، وحافظ على ثروتها، وحماها من الزيغ والشطط.

وقد وُضعت للاشتقاق قيود تحدد ما يُشتق منه وما لا يُشتق منه، فكان الاشتقاق أداة طيعة في أيدي الأدباء والعلماء مكنهم من أن يجدوا الكلمات الملائمة لأداء ما يعن لهم من معان، وكلما نجحوا في الاشتقاق استغنوا عن العامي والأعجمي، وما دامت اللغة تسير، فلا بد من أن يسير القياس معها، منطلقاً في هذا الرأي من قول أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني «ما قيس على كلام العرب فهو منه»، ولنا أن نقيس كما قاس القدماء، وأن نشتق ونصرّف كما اشتقوا وصرّفوا، ذلك لأن العربية ليست ملكاً لأحد، وإنما هي مجرد لسان يتصرف به أهله في ضوء ظروفهم وحاجاتهم.

وكان يرى أن اللغة العربية لغة عالمية لما تتمتع به من خصائص ومقوّمات وغزارة في الألفاظ، وغنى في المفردات، يتخاطب بها ما يزيد على مئة مليون عربي. ويعوّل نحو ثلاث مئة مليون على كتابتها في تسجيل أعمالهم وبحوثهم وهي لغة قادرة على إغناء الفكر الإنساني، ومؤهلة للإسهام في الحضارة، ولكن كثيراً ما يختلط فيها المهمل بالمستعمل، والغريب بالمألوف، ولذلك يجب اختيار قدْر من ألفاظها ليلائم مطالب الحياة الحاضرة، ويُضمّن في معجمات خاصة، ولا شك في أن هذه المعجمات تيسر تعلّم العربية على الأجانب، وتساعد على نشرها في بيئات لا عهد لها بها.

ويقول في بحثه «لغة العلم». إن في العامية قدراً غير قليل يرجع إلى أصل فصيح، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه، وبذلك يُرد إلى الفصحى ما أخذ عنها، فإن لم تسدّ العامية والفصحى حاجته، فله أن يلجأ

إلى التعريب... غير أنه يجدر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة.

ويؤكد أن قيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية، أما أن يختلف من باحث إلى آخر، ومن قطر إلى قطر، فإنه يبقى عُملة غير متداولة، وكم من مصطلحات ولدت ثم لم تلبث أن ماتت... وتوحيد المصطلح العلمي ليس مما يلزم به قانون، أو تفرضه سلطة قاهرة، وسبيله الطبيعي إنما هو الكتابة والتأليف... وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل.

ويتطرق في بحثه «الأدب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف» الذي ألقاه في مؤتمر الأدب العربي المعاصر الذي عقد في روما عام ١٩٦١، إلى الصعاب التي أثيرت حول الكتابة العربية، وإلى الدعوة إلى الكتابة بالعامية، أو بالحروف اللاتينية.. وكان من أبرز دعاتها سعيد عقل في كتابه «يارا» الذي صدر في بيروت عام ١٩٦١، وعبد العزيز فهمي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فرد عليهما رداً علمياً مقنعاً، وبيّن أن دعوتهما تقطع كل صلة لنا بماضينا وتراثنا الغني العريق، ثم أن الحروف اللاتينية لا تتلاءم مع طبيعة العربية لغة الإعراب والصرف، ناهيك عن أن هذه الحروف أقل اختزالاً من الحروف العربية، وتشغل حيزاً أكبر، ونحن نعيش في عصر السرعة، وما صنعه الأتراك لا يُقاس عليه، لأن لغتهم أضيق مجالاً وأقل استعمالاً، وماضيها ليس شيئاً أمام ماضي اللغة العربية الزاخر، وليس لها كتابة خاصة بها تحاول العدول عنها.

ويؤكد أخيراً أن الأدباء واللغويين والعلماء مطالبون دائماً بأن يبتكروا ويجددوا وعليهم أن يملؤوا العربية حياة وقوة كي تصمد في الصراع

الحضاري واللغوي الذي نعيش فيه اليوم، وتستعيد مجدها بين اللغات العالمية الكبرى. وفي طبيعة العربية مايعينها على هذا الصراع، فهي لغة اشتقاقية، وفي الاشتقاق مايكسبها مرونة ومناعة في آن واحد. وعن طريقه يمكن أن نخلق ألفاظاً جديدة تنمي اللغة وتسد الحاجة، ومن الخير أن نتوسع به ماأمكن، فنفك بعض قيوده، ونشتق مما قيل إنه لايُشتق منه... وإن عز علينا أن نقيس أو أن نشتق، فلا بأس من أن نعرّب ونتبنى بعض الألفاظ الأجنبية، واللغات يأخذ بعضها عن بعض دائماً، أخذت قديماً ولاتزال تأخذ حديثاً، وماتأخذه ثروة مستحدثة تضاف إلى الثروة الموروثة، ولانظن أحداً يرفض التعريب اليوم مادامت تدعو إليه حاجة، وتقضي به ضرورة.

تلك هي بعض القضايا الكبرى التي عالجها الدكتور إبراهيم مدكور في كتبه ومقالاته وبحوثه ومحاضراته، وقد كان الهمّ اللغوي شغله الشاغل وهاجسه الدائم للنهوض باللغة العربية ووضعها في مصاف اللغات العالمية الحية والمتطورة والأكثر تداولاً وانتشاراً.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ١٩٩٦

أ - الكتب العربية

خير الله الشريف

– **الإتباع والمزاوجة/** تصنيف: ابن فارس؛ تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥– (سلسلة: إحياء التراث العربي ٩٧) .

– **أخلاقيات الصحافة/** تأليف: جون ل. هاتلنج؛ ترجمة: كمال عبد الرؤف – ط١– القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع،١٩٩٣.

– **الإدارة الحديثة/** تأليف: ثيودور ليفيت، ترجمة: د. نيفين غراب – ط ١ – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

– **الارتقاء إلى العالمية /** تأليف: ستيفن أمبروز؛ ترجمة: ناديا محمد الحسيني؛ مراجعة: د. ودودة عبد الرحمن بدران – ط ١ – القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٤.

– **الاستفادة من النفايات/** تأليف: جون إ. يونج؛ ترجمة: شويكار زكي – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **أسلافنا العرب**/تأليف: بوجن أولسومر؛ ترجمه وعلق عليه: د. محمد محفل - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥.

- **إعداد الممثل: في التجسيد الإبداعي**/تأليف: ستانيسلافسكي؛ ترجمة: د. شريف شاكر - دمشق: المعهد العالي للفنون المسرحية، ١٩٨٥- ج ٢.

- **أفول السيادة**/ تأليف: ولترب.رستون؛ ترجمة: سمير عزت نصار، جورج خوري؛ مراجعة: د. إبراهيم أبو عرقوب - عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **الالتزام واستراتيجية اتخاذ القرارات الإدارية**/تأليف: بنكاج جيماوات؛ ترجمة: سعاد الطنبولي؛ مراجعة: د. طارق حاتم - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **الأمريكيون: التجربة الديمقراطية**/ تأليف: دانيل جي. بورستن؛ تدقيق وتحرير: د. فاروق منصور - عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٣.

- **الأمريكيون: التجربة الوطنية**/ تأليف: دانيل جي.بورستن؛ تدقيق وتحرير: د. فاروق منصور- عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٣.

- **أنا معكم إلى الأبد : رواية**/ تأليف: فريد تشابل؛ ترجمة وتقديم: د. نهاد صليحة- ط١- القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤.

- **إنماء فعالية المدرسين**/ تأليف: لورين أندرسون؛ تعريب: د. أحمد شبشوب؛ مراجعة: د. محمد بن فاطمة - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، ١٩٩٤ - (سلسلة: مبادئ التخطيط التربوي ٣٩).

- **أوريليان/** تأليف: آراغون؛ ترجمة: صياح الجهيم - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥- (سلسلة: روايات عالمية ٥٢).

- **بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب/** إبراهيم بن مراد- ط١- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١.

- **البنيوية ومابعدها: من ليفي شتراوس إلى دريدا/** تحرير: جون ستروك؛ ترجمة: د. محمد عصفور - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦ - (سلسلة: عالم المعرفة ٢٠٦).

- **بيروت في المصنفات العربية/** رنا يوسف خوري - ط١- بيروت: مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، ١٩٩٥ .

- **التحليل السياسي الحديث/** تأليف: روبرت أ. دال؛ ترجمة: د. علا أبو زيد؛ مراجعة: د. علي الدين هلال - ط١ - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣.

- **تخطيط المدن: الأبعاد البيئية والإنسانية/** تأليف: مارسيا د. لاو؛ ترجمة: إيناس عفت - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **تراب الغرباء: رواية/** فيصل خرتش - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٥٨).

- **التركة: مسرحية في ثلاثة فصول/** محمود حسن - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٥ - (سلسلة: مسرحيات عربية ٣).

- **التغطية الإخبارية للتليفزيون/** تأليف: كارولين ديانا لويس؛ ترجمة: محمود شكري العدوي؛ مراجعة وتقديم: سعد لبيب -ط ١- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٣.

- **تقييم عن وضع العالم عام ١٩٩٢/** تأليف: لستر.ر.براون

وآخرين؛ ترجمة: د. سيد رمضان هدارة - ط ١- القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣.

- **تقييم عن وضع العالم عام ١٩٩١/** تأليف: لستر.ر. براون وآخرين؛ ترجمة: د. أنور عبد الواحد، د. إنجي زين العابدين - ط ٢ - القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٢.

- **الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي/** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس: ١٩٩٤.

- **جون فورد/** تأليف: جوزيف ماكبرايد، مايكل ولمنغتن؛ ترجمة: خالد حداد - دمشق: وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، ١٩٩٥ - (سلسلة: الفن السابع ١٣).

- **الحذف في المثل العربي/** د. عبد الفتاح أحمد الحموز - ط١ - عمان: دار عمار، ١٩٨٤.

- **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر/** نايف صياغة - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ - (سلسلة: دراسات اجتماعية ٢٣).

- **دراسات في الأدب الجزائري الحديث/** د. أبو القاسم سعد الله - تونس: الدار التونسية؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية، ١٩٨٥.

- **دراسات مكتبية/** حسن سليم نعيسة - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥.

- **الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيق/** تأليف: ج. ل. ستيان؛ ترجمة: محمد جمّول - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ - (سلسلة: دراسات نقدية عالمية ٢٨).

- **الدليل الشامل لإصدارات جامعة الملك سعود/** إعداد: محمد بن عبد الله الفريح، صلاح حسنين أبو الغيط؛ إشراف: د. سعد بن عبد الله الضبيعان.

- **دليل المربي المختص في مجال الإعاقة الذهنية/** إعداد: د. مصطفى النصراوي، يوسف القروي - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، ١٩٩٥.

- **دور الآباء في مساعدة أبنائهم على الشفاء من الإدمان/** تأليف: باربراكوتمان بكنل؛ ترجمة: د. زكريا عبد العزيز حليم، د. سعاد موسى؛ مراجعة: شويكار زكي - ط١- القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **الديمقراطية وقرار الجماهير/** تأليف: دانييل يانكلوفيتش؛ ترجمة: كمال عبد الرؤف - ط ١- القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣.

- **رهان على الإنسان: التفاؤل كتحد/** تأليف: روبير بانك؛ مراجعة: علي الخش؛ ترجمة: ندرة اليازجي - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ - (سلسلة: دراسات فلسفية وفكرية ١٨).

- **سر الطائر الجريح: رواية للأطفال/** تأليف: بيتسي بيارز؛ ترجمة: ريم جوزيف زحكا - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥.

- **السلوك الحضاري والمواطنة/** تحرير: إدواردسي. بانفيلد؛ ترجمة: سمير عزت نصار؛ مراجعة: د. أحمد يعقوب المجدوبة - عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **سياسات تقاسم القوى: الكونغرس والسلطة التنفيذية/** تأليف:

لويس فيشر؛ ترجمة: مازن حماد؛ مراجعة: د. سعد أبو دية – عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

– **السيطرة على الفساد/** تأليف: روبرت كليتجارد؛ ترجمة: د. علي حسين حجاج؛ مراجعة: فاروق جرار – عمان: دار البشير، ١٩٩٤.

– **السيناريو: فن كتابة السيناريو/** تأليف: جان بول توروك؛ ترجمة: د. قاسم المقداد – دمشق: وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، ١٩٩٥ – (سلسلة: الفن السابع ١٤).

– **شرق وغرب: حوار في الأزمة المعاصرة/** تأليف: رينيه هويغ، دايزاكو إيكيدا؛ ترجمة: عيسى عصفور – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥– (سلسلة: دراسات فلسفية وفكرية ١٩).

– **الشركات المتعددة الجنسيات: الاقتصاد السياسي للاستثمار المباشر الأجنبي/** تأليف: تيودور موران؛ ترجمة: جورج خوري؛ مراجعة: د. منير لطفي– ط ١ – عمان : دار الفارس للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

– **صحة المرأة في فترة الإنجاب: الخطر الكامن/** تأليف: جودي ل. جاكوبسون؛ ترجمة: د. أحمد عبد الله – ط١– القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣.

– **طاقة الرياح: نقطة تحول/** تأليف: كريستوفر فلافين؛ ترجمة: د. سيد رمضان هدارة– ط١ – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣ .

– **الطريق إلى العبودية/** تأليف: ف.ا. هايك؛ ترجمة: محمد مصطفى غنيم – ط ١ – القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤.

– **طفلة الغابات أو ريريت الغابات: رواية للشباب/** تأليف: ماريو

دونال؛ ترجمة: هاني لطفي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥.

– **طيارو آلاسكا: رواية لليافعين/** تأليف: كارل.أ. شوارتسكوف؛ ترجمة: حنين حاصباني – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥.

– **العالِم الصغير/** تأليف: بيير توبليبه؛ ترجمة: لطيفة ديب عرنوق – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة: العلوم ١٦).

– **العالم في رؤية شاملة أو الماكروسكوب/** تأليف: جويل دي روسني؛ ترجمة محمد وائل الأتاسي – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة: العلوم ٢٠).

– **عبقرية الحرية/** تأليف: جاك جوليار؛ ترجمة: علي باشا – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة: دراسات اجتماعية ٢١).

– **عبقرية الحياة/** تأليف: داڤيد فيشلوك،اليزابيت انتيبي؛ ترجمة: ميشيل خوري – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – ٢ج.

– **العقلانية واللاعقلانية في الاقتصاد/**تأليف: موريس غودولييه؛ ترجمة: عصام الخفاجي– دمشق: وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة: من الفكر الاقتصادي ٢٢).

– **العلم وسعادة الإنسان/** تأليف: لوبرانس رانغيه؛ ترجمة: جميل أنيس سعيد؛ مراجعة: د. أدهم السمان – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة: العلوم ٢١).

– **عملية السلام: الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧/** وليام.ب. كوانت – ط١– القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤.

– **فريتز لانغ/** تأليف: لولي بارزمان؛ ترجمة: عبد الله عويشق –

دمشق: وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، ١٩٩٥ - (سلسلة: الفن السابع ١٢).

- **الفكر السياسي: الأسئلة الأبدية/** تأليف: جلين تيندر؛ ترجمة: محمد مصطفى غنيم - ط١- القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣.

- **فن التفاوض/** تأليف: ويليام أوري؛ ترجمة: د. نيڤين غراب- ط١- القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

- **كتاب السيرة وأخبار الأئمة/** تأليف: أبي زكريا يحيى بن أبي بكر؛ تحقيق: عبد الرحمن أيوب - تونس: الدار التونسية، ١٩٨٥.

- **ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينيات ومابعدها/** تأليف: روبرت كارسون؛ ترجمة: د. دانيال رزق؛ مراجعة: د. أحمد سعيد دويدار- ط١- القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **ما وراء الأرقام: قراءات في السكان والاستهلاك والبيئة/** تحرير: لوري آن مازور؛ ترجمة: د. سيد رمضان هدارة، نادية حافظ خيري - ط١- القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٤.

- **متاحف الفنون الشعبية في الوطن العربي/** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة- تونس: ١٩٩٥.

- **محطات في الحياة: مجموعة محاضرات/**عبد السلام العجيلي - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ - (سلسلة: دراسات نقدية عربية١٣).

- **مدخل إلى الصحافة: جولة في قاعة التحرير/** تأليف: ليونارد راي تيل، رون تيلور؛ ترجمة: حمدي عباس - ط١ - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

- **المشاكل الهيكلية للتنمية/** د. سيدي محمود ولد سيدي محمد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥- (سلسلة: من الفكر الاقتصادي ٢٣).

- **من كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي/** اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها: محمد عزام - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ - (سلسلة: المختار من التراث العربي ٦٢).

- **موجز تاريخ الثقافة الأمريكية/** تأليف: روبرت.م. كروندن؛ ترجمة: مازن حماد؛ مراجعة: د. أحمد يعقوب المجدوبة - عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

- **نحو خطة قومية لثقافة الطفل العربي/** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس: ١٩٩٤.

- الواحة الأخيرة: **مواجهة ندرة المياه/** تأليف: ساندرا بوستل؛ ترجمة: د. علي حسين حجاج؛ مراجعة: د. موفق الصقار - عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٩٤ - (سلسلة: كتب الإنذار البيئي).

- **الوردية الثانية في حياة المرأة العاملة/** تأليف: أرلي هوكستشايد، آن ماشنج؛ ترجمة: عزة عبد الفتاح الجوهري؛ مراجعة: د. نيڤين غراب - ط١ - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

- **وسائل الإعلام والسياسة الخارجية/**تحرير: سيمون سيرفاتي؛ ترجمة: محمد مصطفى غنيم - ط١ - القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٥.

ب – المجلات العربية الهداة

سامر اليماني

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٨٤	١٩٩٥	سورية
الأسبوع الأدبي	٤٩٣، ٤٩٤	١٩٩٥	سورية
	من ٤٩٥- ٤٩٩، من ٥٠١ - ٥٠٥ من ٥٠٧- ٥١٠	١٩٩٦	
بناة الأجيال	١٨	١٩٩٦	سورية
التراث العربي	٦٢، ٦٣	١٩٩٦	سورية
التعريب	١٠	١٩٩٥	سورية
الحياة التشكيلية	٥٥-٥٦	١٩٩٤	سورية
الحياة المسرحية	٤٢	١٩٩٥	سورية
الحياة الموسيقية	١٠	١٩٩٥	سورية
دراسات تاريخية	٥٤-٥٥	١٩٩٥	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٦٦	١٩٩٦	سورية
صوت فلسطين	٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩	١٩٩٦	سورية
الضاد	٧-٨	١٩٩٥	سورية
عالم الذرة	٤٠ (١٩٩٥)، ٤١، ٤٢	١٩٩٦	سورية
مجلة باسل الأسد لعلوم الهندسة الزراعية	١	١٩٩٦	سورية
مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	١	١٩٩٤	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	٢٢ (١٩٩٢)، ٢٥، ٢٦ (١٩٩٤) إنسانية		سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	١٣ ((١٩٩١)، ١٤ (١٩٩٢)، ١٥، ١٦		
	(١٩٩٣) ١٧، ١٨ (١٩٩٤) أساسية		
	٢٤، ٢٥ (١٩٩٢)، ٢٨ (١٩٩٣)		
	٢٩، ٣٠ (١٩٩٤) طبية		
	١٦ (١٩٩٣)، ١٧ (١٩٩٤) اقتصادية		
	١٥، ١٦ (١٩٩٤) هنسية		
	٢٠ (١٩٩٣)، ٢١، ٢٢ (١٩٩٤) زراعية		
المجلة البطريركية	١٤٩، ١٥٠	١٩٩٥	سورية
	١٥١-١٥٢، ١٥٣-١٥٤-١٥٥	١٩٩٦	
مجلة جامعة دمشق	مج ٩ (٣٣، ٣٤) أساسية	١٩٩٣	سورية
	مج ٩ (٣٣، ٣٤) إنسانية	١٩٩٣	
المعلم العربي	٣ (١٩٩٥) ، ١ (١٩٩٦)		سورية
المعرفة	٣٨٧ (١٩٩٥) ، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١	١٩٩٦	سورية
آفاق الثقافة والتراث	١٠	١٩٩٥	الإمارات العربية
الأنباء	٦٠٧ (١٩٩٥)، ٦١٠ (١٩٩٦)		الأردن
حولية دائرة الآثار العامة	مج ٣٨	١٩٩٤	الأردن
دراسات	٦ (مج ٢٢/ أ) ، ٦ (مج ٢٢/ ب)	١٩٩٥	الأردن
اليرموك	٥٠	١٩٩٥	الأردن
الآداب	١	١٩٩٤	الجزائر
اللغة والأدب	٨	١٩٩٦	الجزائر
الدارة	٣ (١٤١٦ هـ)، ٤ (١٤١٦ هـ)		السعودية
عالم الكتب	١، ٢ (مجلد ١٧)	١٩٩٦	السعودية
مجلة البحوث الإسلامية	٤٣، ٤٤ (١٤١٥-١٤١٦ هـ)		السعودية
هذه سبيلي	٤	١٩٨٢	السعودية
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٨	١٩٩٥	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٣٩-٤٠	١٩٩٤	الكويت
الثقافة العالمية	٧٣	١٩٩٥	الكويت
حولية كلية الآداب	الحولية ١٦ (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠)	٩٥-١٩٩٦	الكويت

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
علوم وتكنولوجيا	٢٧ (١٩٩٥)، ٢٩ (١٩٩٦)		الكويت
الشراع	٧١٠ (١٩٩٥)، ٧١٢، من ٧١٤- ٧٢٠	١٩٩٦	لبنان
	من ٧٢٢- ٧٢٥	١٩٩٦	
الفكر العربي	٨٢	١٩٩٥	لبنان
أخبار الإدارة	١٣ (١٩٩٥)، ١٤ (١٩٩٦)		المنظمة العربية (مصر)
اللسان العربي	٣٨	١٩٩٤	المنظمة العربية (المغرب)
بيبليوغرافيا الغرب الإسلامي	٢٥- ٢٦ (١٩٩٥)، كشافات	٩٣- ١٩٩٤	المغرب
اندونيسيا	٦٦	١٩٩٦	اندونيسيا
الثقافة الإسلامية	٦٢	١٩٩٥	إيران
ألمانيا	٢	١٩٩٦	ألمانيا
الدراسات الإسلامية	١، ٣، ٤ (مجلد ٢٠)	١٩٨٥	باكستان
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية	٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١	١٩٩٥	كوريا
	٧٢	١٩٩٦	
الصحوة الإسلامية	٢٩	١٩٩٥	الهند

ج - الكتب والمجلات الأجنبية

سماء محاسني

1- Books :

- Annual Report of The Librarian of Congress , Washington , For The Fiscal year ending 30 sep. , 1994/ edited by Sara Day . _ Washington , 1995 . _ 9 6 p .

_ An Anthology of Moroccan short Stories/ translated by : Malcolm Williams & Gavin Watter _ son . _ Tangier : The King Fahd School of Translation , 1995 . _ 268 p .

_ Approche Psychosociale Des Traumatismes De Guerre Chez les Enfants Et Adolescents Palestiniens / par Abdelwahab Mahjoub . _ Tunis , 1995 . _ 236 p . _ (Recherches Sur Le Terrain ,) Universite Catholique De Louvain la Neuve (Belgique) .

_ Arab Education Yearbook , 1996 , The Annual Guide to Study Abroad / by Nexus Media Ltd . _ Kent (uk) , 1995 . _ 256 p . , Illustrated .

_ La Deesse Syrienne / par : Lucien De Samosate , traduction Nouvelle par : Mario Meunier , 1980 . _ 135 p .

_ Dictionnaire De La Civilisation Romaine / Par : Jeun _ Claude Fredouille . _ Paris : Librairie Larousse , 1985 . _ 255 p . , Illustrated .

_ Ethnogaphical Texts in Moroccan Berber (2) (Dialect Of

Anti _ Atlas)_ Studia Berberi (II)/ by Akio Nakano . _ Tokyo , 1995 . _ 99 p . _ (Studia Culturae Islamicae No . 54 , Publ. by : Institute For The Study of Languages and Cultures of Asia and Africa) .

_ Etruskologisches Glossar / von Ernst Strand . _ Bernau / Berlin , 1995 . _ 230 p .

_ Experimental phytochemistry , A Laboratory Manual / Selected by : Mahmoud M . El _ Olemy and others . _ Riyadh : King Saud University , 1994 . _ 143 p . , Illus .

_ les Hommes de l' Islam , Approche Des Mentialis / par : Louis Gardet . _ paris : Librairie Hachette , 1977 . _ 445 p .

_ Gli Otto Paradisi Di Amir Khusrau Da Delhi / by : Angelo Michele Piemontese . _ Roma , 1995 . _ (Published : Accademia Nazionale Dei Lincei . _ Memorie , Serie Ix . _ Vol . VI . Fascicola 2) .

_ le Grands Evenements Du xxe Siecle / Selection Du Readers Digest . _ paris _ Bruxelles _ Montereal _ Zurich . , 1986 _ 404 p , Illustrated .

_ les Grandes Dates De L, Histoire / par Colin Mcevedy . _ France : Solar , 1986 , 207 p . , Illus .

_ Harraps Mew Short and English Dictionary / by J . E . Mansion / By J . E . Mansion . _ London , 1992 _ (French _ English , English _ French , Complete in one vol .)

_ Impact of Domestic Waste Landfill site At Balad Ibrahim on the Surroundings Waters / by Homaid Al _ Madfa and others . _ Doha : Uniersity of Qatar , 1995 . _ V, 99 p .

(Prepared for Scientific & Applied Research Centre) .

_ The Islamic Concept of Belief in the 4 th / 10 th Century , Abu l _ Lait As _ Samarqandi's Commentary on Abu Hanifa (Died 150 / 767) Al _ Fiqh Al _ Absat / Introduction , text and Commentary by Hans Daiber . _ Tokyo , 1995 . _ 299 p . _ (Series : Studia Islamicae 52 , publ . Intitute For The Study of languages and Cultures of Asia and Africa) .

_ Pour un Manuel De Linguistique General / par : Antoine Meillet . _ Roma , 1995 . _ 245 p . _ (published by : Accademia Nazionale Del Lincei , Memorie , Serie Ix _ vol . vl _ fascicolo 1 .) .

_ State of Oil Pollution Along the Qatari Coastline / Dy Ossama Aboul Dahab . _ Doha : University of Qatar , 1995 . _ 70 p . , Illustrated . _ (prepared for Scientific & Applied Research Centre .

- Supplementum Academicum / by : Margherita Isnardi Parente . _ Roma , 1995 . _ (Published by : Accademia Nazionale Dei Lincei , Memorie , Serie Ix _ Vol . VI _ Fasc . 2) .

- Translation of the Meanings of The Holy Koran / Tr . by : Abdullah Joseph Ali . _ Riyad : The Islamic University of Al Imam Mohammad Ibn Saud . _ vols . : 1 , 2 .

- Webster's Seventh New Collegiate Dictionary / by Merriam _ Webster . _ U . S . A , 1996 . _ 1222 p . _ (English _ English Ditionary) .

- The Work of Who in The Eastern Mediterranian Region , Annual Report of The Regional Director , 1 Jan _ 31 Dec . , 1994 / Prepared by : Who . _ Alexandria , 1995 . _ 188 p .

_ World Directory of Social Science Institutions / Par Re Unesco . _ Belgium , 1990 . _ 1211 p .

The World of Learning , 1993 , 43 th . ed ./ published by : Europa Publications Ltd . _ London , 1993 . _ 2072 p .

2 _ Periodicals :

- Abstracts of Bulgarian Scientific Medical Literature / Prepared by : Medical and Public Health Scientific Information Centre / . _ Sofia , Vol . XXX III , 1990 .

_ The Arabist , Budapest Studies in Arabic 1 , Hungary , Nos . : 1 , 2 , 3 _ 4 , 5 . _ (No . 3 _ 4 Contains : Proceedings of The Colloquium On Arabic Grammar , Budapest , 1 _ 7 September, 1991, Edited by : Kinga Devenyi And Tamas Ivanyi).

_ Asie et Afrique aujourd 'hui , Moscou , URSS , No . 1 1991 .

_ Boletin De La Academia Argentina De Letras , Buenos Aires , 1995 , No.s . : (229 _ 230) 1993 , (231 _ 232) 1994 .

_ Dialog and Humanism , The Universalist Quarterly / Publ . by : Polish Academy of Sciences , Warsaw , Poland , No . : Spring , 1991 .

_ East Asian Review , Publ . by : The Institute for East Asian Studies , Seoul, Korea , Vol . VII , No . 4 , Winter , 1995 .

_ Ibla , Revue De L ' Institut Des Belles Lettres Arabes , Tunis , No . 176 , 1995 _ 2 .

_ Lettera dall' Italia , Publ . by : Instituto della Enciclopedia Italiana fondata da G . Treccani , Rome , No . 39 ,

Annox , Lugio _ Settembre , 1995 .

_ Melanges De L'université Saint _ Joseph / Beyrouth (Liban) , Tome LII , 1991 _ 1992 .

_ The Middle East Journal , Washington , Publ . by : Middle East Institute , No . 3 , Vol . 49 , Summer , 1995 .

_ Modern Medicine of The Middle East , The Joural of Clinical Medicine , Publ . by : Health Care Publications , Nicosia , Cyprus .

_ The Muslim World , Publ . by : The Duncan Macdonald Center at Hartford Seminary , U . S . A , No . (3 _ 4) , Vol . LXXXV , July _ October , 1995 .

_ Oriens , Moscow , No . 6 , 1995 .

_ Orient , Report of The Society for Near Eastern Studies in Japan , Tokyo , Vols . : XXVI , 1990 , XXV , 1989 .

_ Studia Islamica , Paris , No , 81 , 82 , 1995 , (The Magazine is Supported in part by grants from The CNRS in paris and The Program in Near Eastern Studies of Princeton University .

_ Turjumán , Revue de Traduction et d' Interprétation , Tanger , No . 2 , Vol . 4 , Octobre , 1995 . (Publ . by : Ecole Supérieure Roi Fahd de Traduction . _ Tanger) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٥

- ديوان الأبيوردي لأبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق، ج٢، تحقيق د. عمر الأسعد
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط
- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق رياض مراد
- أدب القضاء، لابن أبي الدم الحموي، تحقيق د. محمد الزحيلي
- تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي، تحقيق د. إبراهيم السلقيني
- عارف النكدي (حياته وآثاره)، د. عدنان الخطيب
- كتاب المتوارين، للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٦

- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال
- شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، ج١، تحقيق د. محمد علي سلطاني
- مزاعم بناء اللغة على التوهم، للأستاذ محمد بهجة الأثري
- الملمع، لحسين بن علي النمري، تحقيق د. وجيهة السطل
- التعازي والمراثي، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد الديباجي
- نضرة الأغريض في نصرة القريض، للمظفر بن الفضل العلوي، تحقيق د. نهى عارف الحسن
- تاريخ حكماء الإسلام، لظهير الدين البيهقي- تحقيق محمد كرد علي (ط٢)
- الدلائل في غريب الحديث، لأبي محمد قاسم بن ثابت السرقسطي، د. شاكر الفحام
- سؤالات الحافظ السلفي، لخميس الحوزي، تحقيق مطاع طرابيشي
- محمد بهجة البيطار (حياته وآثاره)، د. عدنان الخطيب

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

- فهارس مجلة المقتبس، وضع رياض عبد الحميد مراد.
- إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان.
- شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، (ج ٢)، تحقيق د. محمد علي سلطاني.
- معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور نور الدين العتر.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم- عائذ) تحقيق د. شكري فيصل.
- محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي ألقيت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده).
- نص مستدرك من كتاب العبر، تحقيق رياض مراد.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج١ ، وضع محمد رياض مراد.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبدالله بن عمران- عبدالله بن قيس)، طبعة مصورة عن مخطوطة.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

- تصنيف العلوم والمعارف، وضع الدكتور يوسف العش، مراجعة سماء المحاسني.
- تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد، تحقيق محمد مطيع الحافظ.
- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، لمحمد خليل المرادي،
تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد.
- محمد أسعد الحكيم، للدكتور عدنان الخطيب.
- قاموس الأطبا وناموس الألبا ج١، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري
(مصورة عن مخطوطة الظاهرية).

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

- فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة)، وضع مصطفى سعيد الصباغ.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٢، وضع محمد رياض المالح.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج١، وضع محمد مطيع الحافظ.
- قاموس الأطبا وناموس الألبا ج٢، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية).
- شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع.
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١- ٢)، تحقيق نعمة الله القوجاني.
- تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية)، تحقيق محمد بهجة الأثري.
- المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي، تعليق محمد المصري.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج١، تحقيق محمد أحمد دهمان.
- القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام، لعبد اللطيف الطيباوي.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢، وضع محمد مطيع الحافظ.
- شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول)، تحقيق د. محمد يوسف. مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ.
- شعر منصور النمري، جمع وتحقيق الطيب العشاش.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢، وضع صلاح الخيمي.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر- عبد الله بن زيد)، تحقيق د. شكري فيصل، شهابي، طرابيشي.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢، تحقيق محمد أحمد دهمان.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى- عبد الله بن ثوب)
تحقيق د. فيصل، نحاس، مراد.
- كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢)، تحقيق عبد المعين الملوحي.
- التاريخ المنصوري، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي
تحقيق د. أبو العيد دودو، مراجعة د. عدنان درويش.
- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق د. حنا حداد، مراجعة قدري الحكيم.
- كتاب الأفضليات، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي،
تحقيق د. وليد قصاب، د. عبد العزيز المانع.
- فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١، وضع رياض مراد وياسين السواس.
- زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢).

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان تحقيق د. محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج١ تحقيق محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢) صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢) لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي تحقيق د. نسيب النشاوي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا تحقيق د.محمد حسان طيان د. يحيى وميز علم
- نظرات في ديوان بشار بن برد للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي تحقيق إبراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣ وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢ وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات، تأليف الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١ وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١ وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة، ج٢، ٣ تحقيق محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣ وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١ تحقيق نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة- أحمد بن محمد) تحقيق عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) تحقيق سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

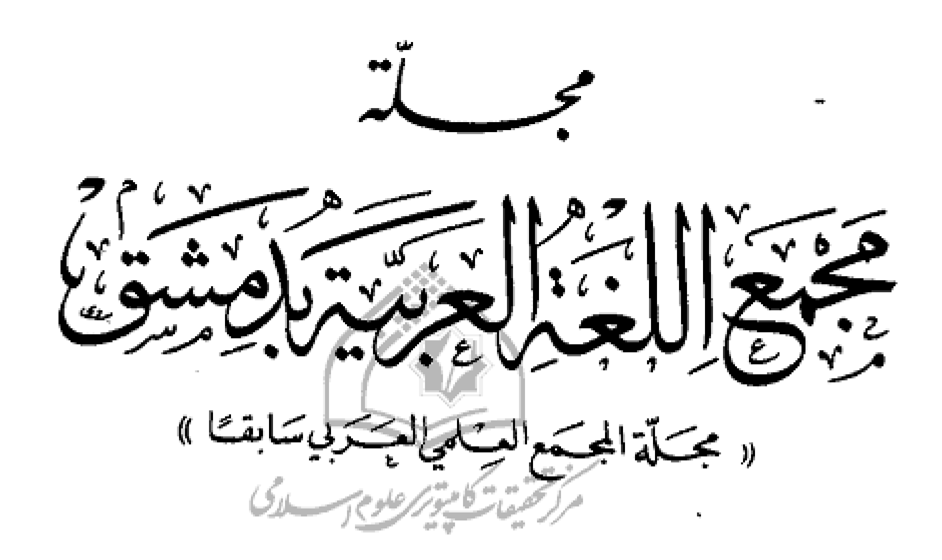
- شعر عمرو بن معدي كرب جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج١ تحقيق محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج٢ تحقيق حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ تحقيق عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٢٤ تحقيق مطاع الطرابيشي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٩ تحقيق سكينة الشهابي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٢ تحقيق غازي طليمات
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي تحقيق مصطفى الحدري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢ وضع ياسين السواس
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني تحقيق سبيع الحاكمي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣ تحقيق إبراهيم عبد الله
- المستدرك على فهرس (الشعر) إعداد رياض مراد
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش تحقيق إبراهيم صالح
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً للدكتور عدنان الخطب
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والسبعين







جمادى الأولى ١٤١٧ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٦م

شروط الحال وأحكامها وأقسامها
لابن برّي النّحوي المتوفَّى سنة ٥٨٢ هـ

تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن

المؤلف*

عبد الله بن أبي الوحش بَرِّي بن عبد الجبار بن بَرِّي، المقدسيّ أصلاً، المصريّ مولداً، الشافعيّ مذهباً. يُكنى بأبي محمد .

ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ، وطلب العلم منذ الخامسة عشرة من عمره، ونبغ في سنٍّ مبكرة، فلفت إليه الأنظار حتى اختير ليتولى التصفح في ديوان الإنشاء، وهو في الحادية والعشرين من عمره.

وقد ولي هذا العمل خلفاً لمحمد بن بركات السّعيدي المتوفَّى سنة ٥٢٠ هـ .

أصبح من أئمة عصره في اللغة والنحو والرواية، وكان شيخ العربية بمصر في زمانه إلى أنْ توفي، رحمه الله تعالى، سنة ٥٨٢ هـ(*)

(*) ينظر عن سيرته وشيوخه وتلاميذه المصادر الآتية، وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً :
معجم الأدباء ١٢/ ٥٦ ، انباه الرواة ٢/ ١١٠ ، التكملة لوفيات النقلة ١/ ٥٨ ،وفيات الأعيان ٣/ ١٠٨ ، اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ١٦١ ، سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٦، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٧/ ٢٤٥، الوافي بالوفيات ١٧/ ٨٠، مرآة الجنان ٣/ ٤٢٤، =

مؤلفاته :

المطبوعة :

- التنبية والايضاح عما وقع في الصحاح.
- جواب المسائل العشر .
- حاشية على تكملة اصلاح ماتغلط فيه العامة للجواليقي .
- حاشية على درة الغواص للحريري .
- حاشية على المعرّب للجواليقي .
- شرح شواهد الايضاح لأبي علي الفارسي .
- غلط الضعفاء من الفقهاء .
- اللباب في الردّ على ابن الخشاب .
- مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني .
- مسألة في أقسام إذا وجوابها والعامل فيها .
- مسألة في جمع حاجة : منشورة في كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي .
- مسألة في حدّ الكلام : منشورة في كتاب سفر السعادة لعلم الدين السخاوي .
- مسألة في الكلام على أم : منشورة في كتاب سفر السعادة أيضاً .

المخطوطة :

- رسالة في لو الامتناع : انتهينا من تحقيقها، وهي قيد الطبع .

= طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ١٢١، طبقات الشافعية للأسنوي ١/ ٢٦٧، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٠٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٥٩، النجوم الزاهرة ١٠٣/٦، بغية الوعاة ٢/ ٣٤، شذرات الذهب ٤/ ٢٧٣

- فصل في شروط الحال وأحكامها وأقسامها : وهو هذا الكتاب .
- مسائل سُئل عنها : انتهينا من تحقيقها .

المؤلفات التي لم نقف عليها :

الاختيار في اختلاف أئمة الأمصار .

- حاشية على المؤتلف والمختلف : نقل عنه البغدادي في خزانة الأدب.

شرح أدب الكاتب : ذكره البغدادي في خزانة الأدب .

الفروق : نقل عنه الزَّبيدي في تاج العروس .

قصيدتان نُسبتا اليه غلطاً .

١) القصيدة الحالية : نسبها إليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح نقلاً عن لسان العرب (حول) . وهذه النسبة غير قاطعة، فقد جاء في اللسان : قال ابن برّي : وهذه أبيات تجمع معاني الحال .

٢) القصيدة الخالية : نسبها اليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح . وهو وَهْمٌ، لأنّ هذه القصيدة رواها ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ، وهي في مراتب النحويين لأبي الطيّب اللغوي المتوفّى ٣٥١ هـ، والصناعتين لأبي هلال العسكري المتوفى بعد سة ٣٩٥ هـ .

الكتاب

تناول ابن برّي في هذا الكتاب موضوع الحال، والحال عنده تنقسم على سبعة أقسام هي : شروط الحال، وأحكامها، وأقسامها، وما تشبهه الحال، وما يعمل في الحال، وما العائد إلى صاحبها، وما يقع موقع الحال .

وكلّ قسم من هذه السبعة ينقسم عند ابن برّي على خمسة أقسام، فإذا ضربنا السبعة في الخمسة بلغت خمسة وثلاثين قسماً .

ولم أقف على مثل هذا التقسيم في كتب النحاة القدماء والمحدثين إلاّ

عند تلميذه مهلب بن حسن المهلبي المتوفّى سنة ٥٨٣ هـ في كتابه «نظم الفرائد وحصر الشرائد».

ومخطوطة الكتاب نسخة فريدة تقع ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠، تحتفظ به مكتبة شهيد علي بتركيا.

ويقع المجموع في ٥٦ ورقة، في كلّ ورقة صفحتان، وفي كلّ صفحة ١٥ سطراً، وشغل الكتاب الأوراق ٣٣ ب- ٣٦ أ.

وكتب المجموع بخط واضح مقروء، وتاريخ نسخة سنة ٧٠٠ هـ.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً، إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في شروط الحال وأحكامها وأقسامها وما
تشتبه به الحال وما يعمل في الحال وما
العامل في صاحبها وما يقع موقع الحال فهي سبع سؤالات
وكل سؤال والجواب عنه ينقسم إلى خمسة نذكرها
إن شاء الله تعالى شروط الحال أن تكون خمسة
أن تكون نكرة أو في حكم النكرة مشتقة أو في حكم المشتق
حالا لمعرفة أو منزلة منزلة المعرفة بعد كلام تام
أو في حكم التام منصوبة اللفظ أو الموضع مثال
ذلك جاء زيد راكبا ادخلوا الأول فالأول وجاء زيد
أسدا وهذا رجل ظريف قائما وضربني زيدا قائما
تضربه إذا [illegible] قائما وهذا زيد يضرب عمرا
وأحكامها خمسة أن لا تكون بالألوان الثابتة
والخلق اللازمة وأن تكون لها عامل وصاحب ورابط
وأن تكون جوابا لكيف وأقسامها خمسة منتقلة
ومؤكدة

/ ٣٣ ب / بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في شروط الحال، وأحكامها، وأقسامها، وما تشبهه الحال، وما يعمل في الحال، وما العائد إلى صاحبها، وما يقع موقع الحال .

فهي سبعة[١] سؤالات، وكلُّ سؤالٍ ينقسمُ[٢] إلى خمسةٍ، تُذكَرُ مُبَيَّنَةً، إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

شروطُ الحالِ : خمسةٌ[٣] :

أنْ تكونَ نكرةً أو في حُكْمِ النّكرةِ، مشتقّةً أو في حُكْمِ المشتقّ، حالاً لمعرفةٍ أو منزّلاً منزلةَ المعرفةِ، بعدَ كلامٍ تامٍّ أو في حُكْمِ التامِّ، منصوبةَ اللفظِ أو الموضعِ .

مثالُ ذلكَ :

جاءَ زيدٌ راكباً، ادخلوا الأوَّلَ فالأوَّلَ، وجاء زيدٌ أسداً، وهذا رجلٌ ظريفٌ قائماً، وضربي زيداً قائماً، تقديرُهُ : إذا كانَ قائماً، وهذا زيدٌ يضربُ عَمْراً .

وأحكامُها : خمسةٌ :

ألا تكونَ بالألوانِ الثّابتةِ والخلقِ اللازمةِ، وأنْ يكونَ لها عاملٌ، وصاحِبٌ، ورابِطٌ، وأنْ تكونَ جواباً لـ (كيف) .

وأقسامُها : خمسةٌ :

مُنْتَقِلَةٌ، / ٣٤ أ / ومؤكِّدَةٌ، ومُوَطِّئةٌ، ومُقَدَّرَةٌ، وَمحكِيَّةٌ .

---

(١) في الأصل : سبع .

(٢) مكررة في الأصل .

(٣) في الأصل : أن تكون خمسةً .

فالمُنتقِلَةُ : هذا زيدٌ راكباً .

والمؤكِّدةُ : هو زيدٌ معروفاً، وقوله تعالى : ﴿وهو الحَقُّ مُصَدِّقاً﴾(١)، «وهذا بَعْلي شَيْخاً»(٢).

والمُوَطِّئةُ : نحو قوله تعالى: ﴿وهذا كتابٌ مُصَدِّقٌ لساناً عربيّاً﴾(٣)، و ﴿إنّا أنزلناهُ قُرآناً عربيّاً﴾(٤) .

فقولُهُ : لساناً عربيّاً : هو المنصوبُ على الحالِ، وعربيّاً : صفةٌ له. والحالُ في الحقيقة : عربيّاً، ولساناً : توطِئة. فيكون الموصوفُ، وهو اللسانُ، أُتِيَ به، توطِئةً للصفةِ. فهذا معنى تسميتهم لها حالاً مُوَطِّئة، أيْ : مُوطِّئة للصفة التي تأتي بعدها. وذلكَ أنّ الحال لمّا كانتْ صفةً معنويةً شبيهةً بالصفةِ اللفظيةِ، وكانَ حُكْمُ الصّفةِ اللّفظيةِ أنْ يكونَ لها موصوف تجري عليه قبلَ ذلكَ، قُدِّمَ قبلها في بعضِ المواضعِ موصوفٌ في اللّفظِ، ليكونَ إشعاراً بأنّها صفةٌ في المعنى .

الرابع : وهي الحالُ المُقَدّرةُ المستقبلةُ، نحو قوله تعالى : ﴿لتَدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ مُحَلِّقِينَ رؤوسكُم﴾(٥)، وقوله تعالى : /٣٤ ب/ ﴿فتبسَّمَ ضاحِكاً من قولها﴾(٦)، أي : مُقَدِّراً الضّحكَ. وكقوله : ﴿فَخَرُّوا له سُجَّداً﴾(٧) ، أي : مريدينَ السّجودَ ومُقَدِّريه .

(١) البقرة ٩١ . وينظر: التبيان ٩٣، والدر المصون ١/ ٥١٥ .

(٢) هود ٧٢ . وينظر: مشكل اعراب القرآن ٣٧٠، والفريد في اعراب القرآن المجيد ٦٤٩/٢ .

(٣) الأحقاف ١٢ . وينظر: مشكل اعراب القرآن ٦٦٥، والتبيان ١١٥٥ .

(٤) يوسف ١٠٠ . وينظر: مشكل اعراب القرآن ٣٧٧، والدر المصون ٦/ ٤٢٩ .

(٥) الفتح ٢٧ . وينظر: التبيان ١١٦٨، والفريد ٤/ ٣٣١ .

(٦) النمل ١٩. وينظر : التبيان ١٠٠٦، والفريد ٣/ ٦٧٨.

(٧) يوسف ١٠٠ . وينظر : مشكل اعراب القرآن ٣٧٤، والتبيان ٧٤٥ .

الخامس: وهي الحالُ المَحْكِيّةُ الماضيةُ، وهي خلافُ الحالِ المقدَّرَة، نحو: مررتُ بزيدٍ أمسِ ضاحكاً.

وحقُّ الحالِ أنْ تكونَ مستصحبةً، لاماضيةً ولا مستقبلةً، ووَجْهُ جوازهما على أنَّهما نُزِّلا منزلةَ الحالِ المستصحبةِ.

فصل

الحالُ تشبهُ خمسةً:

المفعول، والظرف الزّماني، والتّمييز، والخبر، والصّفة.

فشبهُها بالمفعولِ لكونِها فَضْلَةً تأتي بعدَ تمامِ الكلامِ، وكونها لاتتقدّر بحرفِ الجَرِّ. ألا ترى أنَّهُ لايحسنُ في: جاءَ زيدٌ قائماً: جاءَ زيدٌ في قائمٍ. ولهذا لاتتقدّمُ على عاملها المعنويّ، ولهذا جاءتْ منصوبةً لفظاً أو موضعاً.

والمُشَبَّهُ بالمفعول خمسةٌ:

الحالُ، والتّمييزُ، وخبرُ كانَ، واسمُ إنّ، والاستثناءُ.

وشبهُها بالظّرفِ لكونِها مقدَّرةً بـ (في)، لأنّ قولَكَ: جاءَ زيدٌ راكباً، معناه: جاءَ زيدٌ في وقتِ ركوبِه. ولذا عملتْ فيها المعاني كما عملتْ في الظّروفِ، نحو: فيها زيدٌ قائماً. فأعملوا في الحالِ مافي (فيها) / ٣٥ أ / من معنى الاستقرار، كما أعملوه في الظّرف، نحو: فيها اليومَ زيدٌ.

ووَجْهُ شبهِها بالتّمييز أنّ الحالَ بيانٌ لكيفيّةِ الفعلِ، كما أنّ التّمييزَ بيانٌ لنوعِ المميّزِ، ولهذا وَجَبَ أنْ تكونَ نكرةً كالتّمييز.

ووَجْهُ شبهِها بالخبرِ لكونِها في المعنى خبراً، لأنَّهُ إذا قيلَ: جاءَ زَيْدٌ قائماً، فقد صارَ زيدٌ من حيثُ المعنى قَدْ أُخْبِرَ عنه بالقيامِ، حتى كأنَّهُ قد قالَ: زيدٌ قائمٌ في حالِ مجيئِه. ولهذا لَزِمَ أنْ يكونَ الحالُ في معرفةٍ، أو مُنَزَّل منزلةَ المعرفةِ، لأنّ حقيقةَ الخبرِ أنْ تكونَ عن معروفٍ، أو مايتنزّلُ منزلةَ

المعروف، إلاّ أنْ يكونَ الخبرُ عن اسمٍ لحقهُ نفيٌ، أو استفهامٌ، أو كانَ فيه معنى دُعاءٍ، أو[1] معنى فعلٍ، فإنَّهُ يجوزُ فيه الإخبارُ، وإنْ كانَ المُخْبَرُ عنه نكرةً، وذلكَ نحو : مارجلٌ قائمٌ، وهَلْ رجلٌ قائمٌ؟ وسلامٌ على زيدٍ، وأقائمٌ أخَواكَ؟ فقائم : مبتدأ، وأخواك : رفع بقائمٍ، على أنّه فاعلٌ بقائمٍ، وهو سادٌّ مسدَّ الخَبَرِ .

الخامس : وهو شبهُ الحالِ بالصّفةِ، وذلكَ أنّها صفةٌ معنويةٌ، لأنَّهُ إذا قيلَ : جاءَ زيدٌ ظريفاً، فقدْ وُصِفَ بالظّرفِ في ذلكَ الوقتِ، كأنَّهُ قالَ : جاء زيدٌ الظّريف في حالِ مجيئِهِ، / ٣٥ ب / ولهذا وجبَ أنْ تكونَ الحالُ مشتقّةً من فِعْلٍ، أو في تأويلِ المشتقّ، نحو : جاءَ زيدٌ قويّاً، وجاءَ زيدٌ أسَداً، أيْ : قويّاً .

فصل

والّذي يقعُ موقعَ الحالِ خمسةٌ :

المصدرُ، والاسمُ الجامدُ غيرُ المصدرِ، والجملةُ، والظّرفُ، والجارُ والمجرورُ .

فمثالُ المصدرِ : جاءَ زيدٌ ركْضاً، أيْ : راكضاً .

ومثالُ الاسمِ الجامدِ : جاءَ زيدٌ أسَداً، وهذه جُبّتُكَ خزّاً .

ومثالُ الجملةِ : جاءَ زيدٌ يضحكُ، وجاءَ وهو يضحكُ .

ومثالُ الظّرفِ : هذا زيدٌ عندكَ، أيْ : جالِساً عندكَ .

ومثالُ حرفِ الجَرّ : هذا زيدٌ في الدّارِ، أي : كائناً فيها .

فصل

والّذي يعملُ في الحالِ خمسةٌ :

---

(١) في الأصل : ومعنى .

الفعلُ : نحو : جاءَ زيدٌ راكباً .

والاسمُ المشتقُّ من الفعلِ : نحو قولك : زيدٌ مُكْرِمُكَ قائماً . أيْ : يُكْرِمُكَ في حالِ قيامِهِ .

واسمٌ فيه معنى الفِعْلِ ، وإنْ لم يكنْ مشتقاً منه : نحو : هذا زيدٌ قائماً. العامِلُ في الحالِ مافي (ذا) من معنى : أُشيرُ، ونحوه .

وما كانَ من الحروف فيه معنى الفِعْلِ : مثلُ قولِهِ[١] :

كأنَّهُ خارجاً من جَنْبِ صَفْحَتِهِ

ومعنى الجملةِ : نحو : هو زيدٌ معروفاً . أيْ : تحققه معروفاً فاعرفه . ومثلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿وهو الحقُّ مُصَدِّقاً﴾[٢]

/ ١٣٦/ فصل

العائد إلى صاحبِ الحالِ ينقسمُ الى خمسةٍ :

أحدها : أنْ يكونَ عائداً مِن صفةٍ هي له في المعنى، نحو : مررتُ بزيدٍ ضارِباً عَمْراً .

الثاني : أنْ يكونَ عائداً إليه مِن سَبَبِهِ ، نحو : مررتُ بزيدٍ ضارباً أبوهُ عَمْراً . فالفعلُ ليسَ له، وإنّما هو لسَبَبِهِ .

الثالث : أنْ يعودَ عليه ضميرٌ مِن حالِهِ، وليسَ الفِعْلُ لهُ، ولا لشيءٍ من سَبَبِهِ، نحو : مررتُ بزيدٍ ضاربَه عَمْرٌو .

الرّابع : أنْ يكونَ العائدُ الى ذي الحالِ مِن جهةِ المعنى دونَ اللّفظ، نحو : مررتُ بزيدٍ قائماً أبواه لاقاعدين . فقولُهُ : لاقاعدين حالٌ ثانيةٌ لزيدٍ،

(١) صدر بيت للنابغة الذبياني ديوانه ١١، وعجزه .

سفُّودُ شَرْبٍ نسُوهُ عند مُفْتَأَدِ

(٢) البقرة ٩١ .

وليسَ فيها ضميرٌ عائدٌ إلى زيدٍ من جهة اللّفظ، وإنّما هو من جهة المعنى، لأنّ المعنى : لاقاعِداً أبواهُ . فصارَ الضّميرُ في قاعدين يشتملُ على ضَمِيرَيْ الأبوين وضمير زيدٍ .

الخامس : أنْ يكونَ العائدُ مايسدُّ مسدَّ الضمير، وهو واوُ الحالِ، نحو : جاءَ زيدٌ وعَمْرٌو يضحكُ، وخرجتُ ومحمدٌ يركبُ .

ثَبَت المصادر

– المصحف الشريف .

– التبيان في اعراب القرآن : العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، ت ٦١٦ هـ ، تح . علي محمد البجاوي، البابي الحلبي بمصر .

– التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح : ابن بَرّي، تح . مصطفى حجازي وعبد العليم الطحاوي، مصر ١٩٨٠ – ١٩٨١ .

– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، ت ٧٥٦ هـ ، تح . د. أحمد محمد الخراط، دمشق ١٩٨٦ – ١٩٨٧ .

– ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكيت) : تح . د. شكري فيصل، بيروت ١٩٦٨ .

– الفريد في اعراب القرآن المجيد : المنتجب الهمداني، حسين بن أبي العز، ت ٦٤٣ هـ، تح . د. فهمي حسن النمرود . فؤاد علي مخيمر، قطر ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

– مشكل اعراب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي، ت ٤٣٧ هـ ، تح . د. حاتم صالح الضامن، بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة .

منع الصرف

بين الاستعمال والتعقيد النحوي

الدكتور فوزي حسن الشايب

العربية لغة فتية نسبيا، فهي – بحسب أقوال العلماء – تعد من أحدث اللغات السامية ظهوراً على مسرح التاريخ، فقد «جاء العرب إلى أرض الحضارة في آخر موجة من موجات هجرة الشعوب السامية، وورثت لغتهم كل اللغات السامية الأخرى تقريباً»[١] غير أنها برغم حداثة عهدها تبدو– إلى حد ما – ممثلا أميناً للسامية الأصلية، وذلك بسبب انعزالية موطنها التي حمتها – إلى حد بعيد– من التلوث باللغات غير السامية، هذا، إلى جانب عدم تعرضها للتغيرات العنيفة التي عصفت ببعض الساميات كالآشورية والعبرية[٢] قال وليم رايت Wright [٣] : «لقد حفظ العرب حتى القرن السادس أو السابع من تاريخنا الشكل والنمط القديمين للكلام السامي أكثر بكثير من أي فرع من بني جنسهم، فإن لم تكن العربية هي السنسكريتية[٤] Sanskrit فهي على الأقل اللتوانية Lethuanian بين الألسن

(١) فقه اللغات السامية ص ٢٨.

(٢) O, Leary . Comparative Grammar . P 17 .

(٣) Wright. W. Lectures On the Comparative Grammar P.27.

(٤) يعني بذلك أن العربية إن لم تكن بالنسبة إلى الساميات في منزلة السنسكريتية بالنسبة إلى اللغات الهندوأوربية فهي إلى الساميات بمنزلة اللتوانية إلى الهندوأوربية.

السامية».

ولعل أهم ماحتفظت به العربية هو الإعراب الذي يعد سمة أصيلة للغات السامية[٥]، ولكن هذه السمة البارزة أخذت- مع مرور الزمن- تختفي، حتى فقدت كلية من جميع الساميات باستثناء البابلية القديمة[٦]، والحبشية في بعض الأحيان[٧]، في حين احتفظ بها كاملة وعلى نحو رائع في العربية، بحيث أصبحت مزيّة لها، تعتز بها، وتباهي بها غيرها. قال ابن قتيبة[٨]: «ولها الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين...»، ولم تقف العربية عند حد الاحتفاظ بهذه السمة، وإنما عمدت إلى تطويرها أيضاً. ولغة التنزيل هي التي جعلت الإعراب سمة لازمة للعربية[٩]. وبالقرآن والإسلام أصبحت العربية لغة عالمية[١٠]، ولولاهما لاندثرت العربية الفصحى وأصبحت لغة أثرية كاللاتينية والسنسكريتية.

والإعراب في العربية على نوعين: الإعراب السامي القديم الموروث الذي تشترك فيه العربية مع بعض الساميات، وهو الإعراب الكامل، الذي

---

(٥) بالنسبة لأصل الإعراب، قال أنيس فريحة: «وأصل الإعراب غامض، لأنه يعود في نشأته إلى عصور سابقة للتاريخ، ولكن الإنسان شغوف بمعرفة أصول الأشياء، وكيف حصلت، ومن جملتها نشأة الإعراب، فقدمت اقتراحات كثيرة ونظريات متعددة، وجميعها تفتقر إلى الاثبات». انظر: نظريات في اللغة ص ١٣٣.

(٦) العربية ص ٣.

(٧) التطور النحوي للغة العربية ص ١١٦.

(٨) تأويل مشكل القرآن ص ١٤.

(٩) الفصحى لغة القرآن ص ٥٤.

(١٠) فصول في فقه العربية ص ١٠٩.

يتمثل في إلحاق النهايات الإعرابية الثلاث: أً : an ، ـٍ : in ، ـٌ : un . أو الحركات الثلاث كل في موضعها بدون التنوين كما في : الرجلَ والرجلِ والرجلُ. قال بروكلمان[١١]: «والأصل الأول لكل نهاية على حدة غامض، وعلى أية حال فقد كانت الحركات أصلا طويلة، غير أنها أصبحت في السامية الأولى جائزة التطويل والتقصير... وقد احتفظت العربية القديمة، بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة، غير أن الحركات قد قصّرت، ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحياناً».

والإعراب الآخر، خاص بالعربية وحدها،[١٢] إذ هو في حقيقة أمره تجربة عربية خالصة، وابتكار عربي صرف، وهو تطوير للإعراب الثلاثي الموروث، ويسمى الإعراب الناقص، ويجسده في العربية الممنوع من الصرف[١٣]، حيث لاتلحق بالاسم في هذه الحالة سوى نهايتين، هما: الضمة في حالة الرفع، والفتحة في حالتي النصب والجر.

ويرى يوشما نوف «أنه يتوجب اعتبار مايسمى بالأسماء الممنوعة من الصرف صيغا متبقية من النظام القواعدي القديم للأسماء الذي كان محروماً من مقولة الأداة»[١٤]. أما الدكتور عبد الرحمن أيوب فيرى أن جرّ الممنوع من الصرف بالفتحة قد حدث أولا في صيغة الاسم الذي يكون على وزن

(١١) فقه اللغات السامية ص ١٠٠.

(١٢) العربية الفصحى ص ٦٠.

(١٣) مع أن جمع المؤنث السالم لاتلحق به سوى نهايتين إعرابيتين هما الضمة في حالة الرفع، والكسرة في حالتي النصب والجر، فإنه لايدخل في هذه الفصيلة، وذلك لأن حلول الكسرة مكان الفتحة فيه راجع إلى علّة صوتية خالصة قوامها المخالفة بين الحركات المتماثلة، فتتحول النهاية: اتَ: ata إلى ati (بروكلمان، ١٩٧٧م، ص ١٠١).

والقوانين الصوتية لاتخص لغة دون أخرى

(١٤) نظرية أدوات التعريف والتنكير ص ٢١١.

الفعل مثل «أحمد» و «أكرم» ،« ولاتحاد مثل هذا الاسم مع الفعل في الوزن أخذ عنه التغيير الثنائي في الحركات؛ أي الضم أو الفتح، وذلك لأن الجرّ لايدخل في الأفعال. وقد عممت هذه الظاهرة في بقية أنواع الممنوع من الصرف تطبيقاً للقاعدة التطورية المسماة بمحاكاة النظير، (أو المحاكاة)»[١٥].

و «مالاينصرف» أحد الموضوعات النحوية التي حظيت برعاية خاصة واهتمام كبير من قبل النحاة، وليس أدلّ على ذلك من سعة المساحة التي تخصص لهذا الباب في كتب النحو عادة، فهو يشغل قرابة عشرين ومائة صفحة من كتاب سيبويه[١٦]، وثمانين صفحة من المقتضب[١٧]، ونفس هذا العدد من شرح الرضي على الكافية[١٨]. وأكثر من ذلك فان منهم من أفرد هذا الباب بكتاب مستقل، كالزجاج مثلا، الذي ألف فيه كتاب:«ماينصرف وما لاينصرف»[١٩]. كما ينسب إلى ثعلب أنه أفرده بكتاب مستقل أيضاً باسم «مايجرى وما لا يجرى»[٢٠].

---

(١٥) (البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية). المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد السابع ص ٦٩.

(١٦) انظر الكتاب ٣/١٩٣ - ٣٢٠.

(١٧) انظر المقتضب ٣/٣٠٩ - ٣٨٦.

(١٨) انظر شرح الكافية ١/١٠٠ - ١٨١.

(١٩) بتحقيق هدى محمود قراعة، القاهرة ١٩٧١م.

(٢٠) جاء في إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي (الطبعة الأولى)، بيروت ١٩٨٦) جـ ١ ص ١٨٦، بصدد مؤلفات ثعلب: «كتاب ماينصرف وما لاينصرف أو كتاب مايجري وما لايجري». وقد وقع تحريف وتصحيف في اسم هذا الكتاب في الفهرست لابن النديم (بيروت، دار المعرفة، د. ت) ص ١١١، حيث جاء فيه: كتاب «ماينصرف وما لاينصرف. كتاب مايجزي وما لايجزي» بالزاي، ثم جعل الكتاب الواحد كتابين، وقد تابعه على ذلك ياقوت فوقع في نفس الخطأ. انظر معجم الأدباء ٥/١٤٣.

والممنوع من الصرف من الموضوعات التي احتدم الخلاف بشأنها. ولا نغالي إذا قلنا انه لم تمن قضية نحوية بالنقد والتجريح والاختلاف المرير بمثل مامني به هذا الموضوع. فمن يرجع إلى أمهات كتب النحو ويقرأ هذا الباب فإنه لايكاد يتبيّن طريقه في خضم الآراء المتضاربة، ولايكاد يخرج بشيء محدد واضح عن مسائله وحيثياته، فالخلاف والتضارب في الآراء هما السمة البارزة التي مني بها هذا الباب شكلاً ومضموناً.

وأول ما يطالعنا من مظاهر الخلاف بين النحاة بشأنه، اختلافهم في اسم هذا الباب. فالبصريون يترجمون له بـ «ماينصرف وما لاينصرف»[٢١]، ويسميه الكوفيون «مايُجرى وما لايُجرى وغير المُجْرى»[٢٢]، فمن كلام ثعلب: (لم يُجر... فأجرى)[٢٣]، وبصيغة اسم المفعول، أي «المُجْرَى وغيرالمُجْرى»[٢٤]. وقال ابن يعيش[٢٥]: «والبغداديون يسمون باب مالاينصرف باب مالايجري. والصرف قريب من الإجراء؛ لأن صرف الاسم إجراؤه على ماله في الأصل من دخول الحركات الثلاث التي هي علامات الإعراب، ويدخله التنوين أيضا». ولكننا لانجد أثراً لهذا الذي قاله ابن يعيش عند أحد من أعلام المدرسة البغدادية، فالزجاج مثلاً سمى الكتاب الذي وضعه لهذا الباب «ماينصرف وما لاينصرف»، وابن السراج سمى هذا الباب «ماينصرف من الأسماء وما لاينصرف»[٢٦]، والزجاجي يترجم لهذا الباب

(٢١) انظر الكتاب ٣/١٩٣.
(٢٢) معاني القرآن/ الفراء ١/ ٢٥٤.
(٢٣) مجالس ثعلب ٢/ ٥٨٥.
(٢٤) الأشباه والنظائر ٣/٦٠.
(٢٥) شرح المفصل ١/٥٧.
(٢٦) الأصول في النحو ٢/٧٩.

في كتابه الجمل «باب ماينصرف وما لاينصرف»[٢٧]، والفارسي، يستعمل في كتابه: المسائل العسكريات، نفس هذا المصطلح[٢٨]، وكذلك فعل تلميذه ابن جني في الخصائص[٢٩] وفي كتبه الأخرى.

وقد يستعمل البصريون مصطلحات الكوفيين أحياناً، فقد استعمل الخليل بن أحمد مصطلح «لم يجر» و «جرى» بمعنى لم ينصرف وانصرف[٣٠]. وقد سمى المبرد هذا الباب بـ «باب مايجري وما لايجري»[٣١]. ويرجع اختلافهم في هذا إلى اختلافهم في تسمية المنصرف منصرفا «فالذي يقول: إنما سمي منصرفاً، لأن في آخره صريفاً، يجعل هذا منجرّا لامنصرفاً. والذي قال: انه إنما سمي منصرفاً، لأنه انصرف عن شبه الفعل، يجعل هذا منصرفاً»[٣٢]. قال ابن عصفور[٣٣]: «والأول هو الصحيح؛ لأنه ليس فيه صريف. لأنه لو كان المنصرف إنما سمي منصرفاً لانصرافه عن شبه الفعل لزم أن لايوجد اسم منصرف إلا وقد كان قبل ذلك قد أشبه الفعل، وذلك باطل، ألا ترى أن «زيدا» منصرف، ولم يشبه الفعل في موضع؟».

أما بشأن الأصل الاشتقاقي للمنصرف وغير المنصرف، فقد اختلفوا بشأنه كثيراً، فمنهم من قال انه مشتق من الصريف، أي الصوت. قال ابن

(٢٧) الجمل ص ٢١٨.
(٢٨) المسائل العسكريات ص ٢٧.
(٢٩) الخصائص ٢/ ٣٥٦.
(٣٠) الكتاب ٣/ ٢٠٣.
(٣١) المقتضب ٣/ ٣٠٩.
(٣٢) شرح الجمل ٢/ ٢٢١.
(٣٣) المرجع السابق في المكان نفسه.

الحاجب[٣٤]: «إنما خص باب مالاينصرف بهذه التسمية، لأن الصريف هو الصوت الرقيق الذي يسمع من البكرة. ولما كان التنوين مشبها له، سمي ماقام به منصرفاً، وسمي مافقد منه غير منصرف». ومنهم من قال: إنما سمي منصرفاً، لأنه انصرف عن شبه الفعل. ومنهم من قال: إنه مشتق من الصريف وهو اللبن الخالص، فكأن الاسم المنصرف قد تخلّص من شبه الفعل والحرف. وذهب بعضهم إلى أنه سمي منصرفاً لانقياده إلى مايصرفه من عدم تنوين إلى تنوين، ومن وجه من وجوه الإعراب إلى غيره. وقال بعضهم: المنصرف مأخوذ من الصرف وهو الفضل، لأن له فضلاً على غير المنصرف[٣٥]. وقد عد ابن عصفور الرأي الأول هو الأجود[٣٦]. وفي الحقيقة ان هذا الخلاف لايزيد على كونه نوعاً من الجدل النظري الذي ليس من ورائه كبير منفعة.

أما بالنسبة للمعنى الاصطلاحي للمنصرف فقد وضحه ابن السراج بقوله:[٣٧]«اعلم أن معنى قولهم: اسم منصرف، أنه يراد بذلك إعرابه بالحركات الثلاث والتنوين. والذي لاينصرف، لايدخله جرّ ولا تنوين، لأنه مضارع عندهم للفعل، والفعل لاجر فيه ولاتنوين».

أما المعنى الاصطلاحي للصرف نفسه، فكان موضع خلاف هو الآخر. وقد ضمنه العكبري كتابه الموسوم بـ «مسائل خلافية في النحو»[٣٨]،

(٣٤) الأمالي النحوية ٤/ ١٢١.
(٣٥) حاشية يس ٢/ ١٠٩.
(٣٦) شرح الجمل ٢/ ٢٠٩.
(٣٧) الأصول في النحو ٢/ ٧٩.
(٣٨) مسائل خلافية في النحو ص ٩٩- ١٠١.

وقد بيّن أن من النحاة من ذهب إلى أن الصرف هو التنوين وحده. وقد عدّ ابن يعيش هذا الرأي رأي المحققين[٣٩]. وقال صاحب البسيط: «الجمهور على أن الصرف عبارة عن التنوين وحده. وعلّة منع الصرف إنما أزالت التنوين خاصة. وليس الجرّ من الصرف، وإنما حذف مع التنوين كراهية أن يلتبس بالإضافة إلى ياء المتكلم، لأنه حكي حذف ياء المتكلم وإبقاء الكسرة في غير النداء. قال:

شرقت دموعِ بهنّ فهي سجوم

وكراهية أن يلتبس بالمبنيات على الكسر نحو حذامِ[٤٠]. وذلك لأن الكسرة لاتكون إعراباً الا مع التنوين أو الألف واللام أو الإضافة[٤١].

ومنهم من قال: الصرف هو التنوين والجر معاً. بناء على أن الصرف هو التصرف في جميع المجاري. قال أبو حيان:[٤٢] «وهذا الخلاف لاطائل تحته».

والتنوين مصدر نوّنت الحرف بمعنى ألحقت به نوناً، وقد صار علما على تنوين الصرف. قال أبو الحسين بن أبي الربيع:[٤٣]«متى أطلق التنوين فإنما يراد به تنوين الصرف، وإذا أريد به غيره من التنوينات قيّد، فقيل: تنوين التنكير، تنوين المقابلة، تنوين العوض».

وقد عرّف التنوين من قبل معظم النحاة بأنه نون صحيحة ساكنة[٤٤].

---

(٣٩) شرح المفصل ١/ ٥٨.
(٤٠) الأشباه والنظائر ٢/ ٣١٥.
(٤١) همع الهوامع ١/ ٧٦.
(٤٢) المرجع السابق في المكان نفسه.
(٤٣) الأشباه والنظائر ٣/ ٢٣٩.
(٤٤) الأصول في النحو ١/ ٤٦.

قال ابن جني:(٤٥) « وهذا التنوين هو نون في الحقيقة يكون ساكناً ويكون متحركاً، فالساكن نحو: زيدُنْ، زيدَنْ، زيدِنْ، فهذه حالة أبدا يكون ساكناً فيها، لأنه حرف جاء لمعنى في آخر الكلمة... ولم تقع أولاً فيلزم أن تحرك... ولا يحرك التنوين إلا في موضعين: أحدهما أن يحرك لالتقاء الساكنين... والآخر أن تلقى عليه حركة الهمزة المحذوفة للتخفيف، وذلك نحو قولك: هذا زيدُنَ بوك، ورأيت زيدَنَ باك، ومررت بزيدِنَ بيك ». فالتنوين وإن لم تكن له صورة في الخط، فهو من جملة حروف المعاني. قال ابن الخباز:(٤٦) «وجماعة من الجهال بالعربية لايعدونه حرف معنى ولا مبنى لأنهم لايجدون له صورة في الخط».

ووظيفة التنوين هي الدلالة على الصرف، أو على حد قول سيبويه هو علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم(٤٧). وقد ذهب المبرد إلى أنه في الأصل للأسماء كلها علامة فاصلة بينها وبين غيرها(٤٨)، أي الأفعال والحروف، وذهب الفراء إلى أنه فارق بين الأسماء والأفعال، وقال بعض الكوفيين: إنه فاصل بين المفرد والمضاف(٤٩). أما السهيلي فذهب إلى أن التنوين فائدته التفرقة بين المنفصل والمتصل(٥٠)، ومن ثم فلا يدخل في الاسم إلا علامة لانفصاله مما بعده.

وإذا كان معظم النحاة قد حدّ التنوين بأنه نون ساكنة، فإن السهيلي

(٤٥) سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩٠.
(٤٦) الأشباه والنظائر ٣/ ٢٩٣.
(٤٧) الكتاب ١/ ٢٢.
(٤٨) المقتضب ٣/ ٣٠٩.
(٤٩) الإيضاح في علل النحو ص ٩٧.
(٥٠) نتائج الفكر ص ٨٧.

قد اعترض على هذا التحديد، إذ التنوين «تفعيل»، مصدر، أي هو حدث، والنون ذات، فهما إذاً لايتطابقان، ومن ثم لايصدق أحدهما على الآخر، والصواب عنده أن يقال: التنوين: إلحاق الاسم نوناً ساكنة[٥١]. ولكن ابن يعيش قد صحّح تحديد جمهور النحاة وإن اختلفت طبيعتا الحدّ والمحدود، على أساس أنه علم بالغلبة، فهو مصدر غلب حتى صار اسماً لهذه النون[٥٢].

أما سر تسميتهم لنون الصرف تنويناً دون غيرها من النونات الملحقة بالكلم، فقد أجاب ابن السراج قائلاً:[٥٣] «وإنما خصها النحويون بهذا اللقب وسموها تنويناً ليفرقوا بينها وبين النّون الزائدة المتحركة التي تكون في التثنية والجمع» ، وقال ابن الخباز: [٥٤] «وإنما سمي تنويناً لأنه حادث بفعل المتكلم، والتفعيل من أبنية الأحداث».

والتنوين وإن كان حرف معنى، فإنه لم يحظ بوجود صورة خطية له، وذلك راجع على حسب ماقال ابن جني إلى أن التنوين ليس مبنياً في الكلمة، وإنما هو حرف جاء لمعنى في بعض الأسماء وهي المفردة المنصرفة[٥٥]. وقد علّل ذلك الرضي بقوله:[٥٦] «وإنما لم يجعل للتنوين في الكتابة في الرفع والجر صورة، لأن الكتابة مبنية على الوقف، والتنوين يسقط في الوقف رفعاً وجراً، فلذا كتب في حال النصب ألفاً، لأنه يقلب ألفاً فيه».

(٥١) المرجع السابق ص ٨٦.
(٥٢) شرح المفصل ٩/ ٢٩.
(٥٣) الأصول في النحو ١/ ٤٦.
(٥٤) الأشباه والنظائر ٣/ ٢٩٣.
(٥٥) سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٩١.
(٥٦) شرح الكافية ٤/ ٤٨٢.

أما لم كان التنوين دون غيره علامة للصرف فذلك راجع إلى خصائص النون الصوتية. قال الأنباري:[٥٧] «فإن قيل: لم جعلوا التنوين علامة للصرف دون غيره؟ قيل: لأن أولى مايزاد حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، إلا أنهم عدلوا عن زيادتها، ألا ترى أنهم لو جعلوا الواو علامة للصرف، لانقلبت ياء في الجر لانكسار ماقبلها، وكذلك حكم الياء والألف في الاعتلال، والانتقال من حال إلى حال. وكان التنوين أولى من غيره، لأنه خفيف يضارع حروف العلّة، ألا ترى أنه غنّة في الخيشوم، وأنه لامعتمد له في الحلق، فأشبه الألف إذ كان حرفاً هوائياً».

هذا، ولقد أدى اختلافهم في حقيقة الصرف، إلى اختلاف بشكل آلي فيما يحذف من الممنوع من الصرف. فالذين قالوا: إن الصرف هو التنوين وحده، قالوا: المحذوف هو التنوين، ثم سقط الكسر تبعاً للتنوين، بناء على أن الصرف هو مافي الاسم من الصوت، آخذاً من الصريف وهو الصوت الضعيف. جاء في الأشباه والنظائر:[٥٨] «والتنوين هو المقصود وحده بالإسقاط في باب مالا ينصرف. وإنما سقط الجرّ لأخوة ثبتت بينه وبين التنوين...»، أي «سقط الجر بشفاعة التنوين»[٥٩]. وذهب آخرون إلى أن المحذوف هو التنوين والجر معاً، بناء على أن الصرف هو التصرف في جميع المجاري. والذي عليه جمهور النحاة هو الأول[٦٠]. وقد احتجوا لذلك بأن التنوين خاصة للاسم، والجر خاصة له أيضاً، فتتبع الخاصة الخاصة، مستدلين على ذلك أيضاً بأن المرفوع والمنصوب لامدخل للجر فيه، وإنما يذهب منه

(٥٧) أسرار العربية ص ٣٥.
(٥٨) الأشباه والنظائر ٤/ ٢١٣.
(٥٩) المرجع السابق ٤/ ٢١٤.
(٦٠) شرح الكافية ١/ ١٠٢.

التنوين لاغير[٦١]. وقال الرضي:[٦٢]« والأول أقرب، أعني أن الكسر سقط تبعاً للتنوين، وذلك أنه لايعود في حالة الضرورة مع التنوين تابعاً له ، مع أنه لاحاجة داعية إلى إعادة الكسر، إذ الوزن يستقيم بالتنوين وحده، فلو كان الكسر حذف أيضاً لمنع الصرف كالتنوين لم يعد بلا ضرورة إليه، إذ مع الضرورة لايرتكب إلا قدر الحاجة» ثم أردف يقول:[٦٣]« وإنما تبعه الكسر في الحذف لأن التنوين يحذف لالمنع الصرف أيضاً كما في الوقف ومع اللام والإضافة والبناء. فأرادوا النص من أول الأمر على أنه لم يسقط إلا لمشابهة الفعل، لالالإضافة ولا للبناء ولا لشيء آخر، فحذفوا معه صورة الكسر التي لاتدخل على الفعل ». وهذه في الحقيقة تعليلات وتعلاّت مفتعلة، والتكلف فيها ظاهر، فالمهم في هذه المسألة أن الممنوع من الصرف لايدخل فيه تنوين ولا جر، فالنتيجة في النهاية واحدة، ونحن في غنى عن كل هذا الجدل الذي لايقدم ولا يؤخر، وهذا التكلف هو الذي دفع أبا حيان إلى أن يقول: « وهذا الخلاف لا طائل تحته[٦٤]».

أسماء بين بين :

الأسماء المعربة كما هو مقرر ومعروف، إما منصرفة وإما غير منصرفة. قال السيوطي[٦٥]: «ولا واسطة بينهما». وهذا القول مجمع عليه من قبل جميع النحاة باستثناء ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي من قبله، فقد ذهبا إلى أن هناك فئة ثالثة من الأسماء المعربة تقع في منزلة بين المنزلتين،

---

(٦١) شرح المفصل ١/ ٥٨.

(٦٢) شرح الكافية ١/ ١٠٢.

(٦٣) المرجع السابق في المكان نفسه.

(٦٤) همع الهوامع ١/ ٧٦.

(٦٥) المرجع السابق ١/ ١٢١.

فلا يحكم عليها بالصرف ولا بمنعه، أي هي «بين بين». قال أبو علي الفارسي[٦٦]: «ما دخله اللام أو الإضافة من باب مالا ينصرف لا أقول فيه بصرف ولا بعدمه...». وقال ابن جني في باب «في الحكم يقف بين الحكمين»:[٦٧] «وهذا فصل موجود في العربية لفظاً، وقد أعطته مقادا عليه وقياسا، وذلك نحو كسرة ماقبل ياء المتكلم في نحو: غلامي وصاحبي، فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء. ومن ذلك ماكانت فيه اللام أو الإضافة نحو: الرجل وغلامك وصاحب الرجل، فهذه الأسماء كلها وما كان نحوها لا منصرفة ولا غير منصرفة، وذلك أنها ليست بمنونة فتكون منصرفة، ولا مما يجوز للتنوين حلوله للصرف... وكذلك التثنية والجمع على حدها نحو: الزيدان والعمرين[٦٨] والمحمدون، ليس شيء من ذلك منصرفاً ولا غير منصرف، معرفة كان أو نكرة».

والقول بوجود فئة ثالثة راجع إلى اختلافهم في مفهوم المنصرف وغير المنصرف، فمن ذهب إلى أن المنصرف ماليس فيه علتان من العلل التسع المعروفة، وغير المنصرف ماوجدت فيه مثل هاتين العلتين، دخل في حكم المنصرف كل هذا الذي عده ابن جني بين بين. وأما من ذهب إلى أن المنصرف مادخله الحركات الثلاث والتنوين، وغير المنصرف مالم يدخله جر ولا تنوين كابن جني وشيخه الفارسي، فإن التثنية والجمع والمعرف باللام أو الإضافة تخرج عندهم عن الحصر، ولذا عدوها فئة ثالثة. وقد ذهب مذهب

(٦٦) الأشباه والنظائر ٢/ ٣٧٤.

(٦٧) الخصائص ٢/ ٣٥٦.

(٦٨) هكذا وردت الكلمة في الكتاب المطبوع. والسياق يقتضي أن تكون مرفوعة، أي العمران.

ابن جني ابن الحاجب أيضاً. جاء في الأشباه والنظائر[٦٩]: «وقال ابن الحاجب: «ظاهر كلام النحويين أن القسمة إلى المنصرف وغيره حاصرة. وتفسيرهم كل واحد من القسمين ينفي الحصر ». ومن ثم فقد حكم هو الآخر على «عرفات» من قوله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ بأنها لا توصف بصرف ولا بعدم صرف[٧٠].

منع الصرف والبناء

الممنوع من الصرف عند جمهور النحاة معرب، ولكنه معرب إعراباً ناقصاً، فليس له سوى مجريين، فلا ينصرف الا من الرفع إلى النصب. ولكن أبا حيان قد جعله في منزلة بين البناء والإعراب، وأنه إلى البناء أقرب منه إلى الإعراب[٧١].

وإذا كان أبو حيان قد وقف بشأنه موقفاً وسطاً تقريبياً، فإن من النحاة من خطا خطوات إلى الأمام، فعد الممنوع من الصرف مبنياً في حالة الجر، معرباً في حالتي الرفع والنصب. قال الزجاج[٧٢] «فالفتح فيه بناء إذ لم يمكن أن يدخله إعراب لايدخل في الفعل مثله، فأبدل من الكسر بناء الفتح، كما أن الأفعال حين ضارعت الأسماء أعطيت الإعراب، كذلك إذا ضارع الاسم الفعل منع مالا يدخل الفعل». ولم يكن الزجاج في قوله هذا بدعا من النحاة، فقد سبقه إلى ذلك كل واحد من الأخفش والمبرد. قال الرضي:[٧٣] «وقال الأخفش والمبرد والزجاج غير المنصرف في حالة الجر مبني على الفتح لخفته، وذلك لأن مشابهته للمبني أي الفعل ضعيفة، فحذفت علامة الإعراب

(٦٩) الأشباه والنظائر ٢/ ٣٧٥.

(٧٠) الأمالي النحوية ١/ ٥٢.

(٧١) تذكرة النحاة ص ١٠١.

(٧٢) ماينصرف وما لاينصرف ص ٢.

(٧٣) شرح الكافية ١/ ١٠٦.

مطلقاً، أي التنوين، وبني في حالة واحدة فقط، واختص بالبناء في حالة الجر ليكون كالفعل المشابه في التعري من الجر».

وقد أنكر أبو علي الفارسي القول ببناء الممنوع من الصرف في حالة الجر، على أساس أن البناء لايكون في شيء من الأسماء الا لمشابهة الحرف، ولا توجد في غير المنصرف أدنى مشابهة للحرف، فلا مسوّغ إذاً للقول ببنائه[٧٤]. ثم أردف يقول[٧٥]: «ويدلك على أن هذا الاسم معرب في هذه الحال غير مبني فيها أن هذه الحركة وجبت فيه بعامل، والحركات التي تجب بعوامل لاتكون حركات بناء، ولو جاز مع الجر بها بالعامل أن تكون بناء لجاز ذلك في سائر الحركات، فامتناع ذلك في غير هذا الموضع، دلالة على أن الحكم به ههنا فاسد».

منع الصرف

قال المبرد في باب «مايعرب من الأسماء وما يبنى»:[٧٦] «اعلم أن حق الأسماء أن تعرب جمع وتصرف». وقد علل ذلك ابن إياز قائلاً[٧٧]: «أصل الأسماء الصرف لعلتين: إحداهما: أن أصلها الإعراب، فينبغي أن تستوفى أنواعه. والثانية: أن امتناع الصرف لايحصل إلا بسبب زائد، وما حصل بغير سبب زائد أصل لما حصل بسبب زائد». وعليه فمنع الصرف عارض، وليس شيء يمتنع من الصرف لغير علّة، ويقرر النحاة أن العلّة التي يمنع لأجلها الاسم من الصرف هي مشابهته الفعل. قال سيبويه:[٧٨]«فجميع مايترك

(٧٤) المسائل العسكريات ص ١٥٠.

(٧٥) المرجع السابق ص ١٥١.

(٧٦) المقتضب ١/ ١٧١.

(٧٧) الأشباه والنظائر ٣/ ٦٢.

(٧٨) الكتاب ١/ ٢٣.

صرفه مضارع به الفعل؛ لأنه إنما فعل ذلك به لأنه ليس له تمكن غيره، كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم». والمقصود بشبه الفعل، هو أن يصبح الاسم ثانياً من جهتين مختلفتين. قال بدر الدين بن مالك:(٧٩) «واعلم أن المعتبر من شبه الفعل في منع الصرف: هو كون الاسم فيه: أما فرعيتان مختلفتان، مرجع احداهما إلى اللفظ، ومرجع الأخرى إلى المعنى، وأما فرعية، تقوم مقام الفرعيتين، وذلك لأن في الفعل فرعية على الاسم في اللفظ، وهي اشتقاقه من المصدر(٨٠). وفرعية في المعنى وهي احتياجه إلى الفاعل، ونسبته إليه. والفاعل لايكون إلا اسماً، فالاسم من هذا الوجه أصل للفعل، لاحتياجه إليه، فالفعل إذاً – من هذا الوجه – فرع عليه، فلا يكمل شبه الاسم بالفعل بحيث يحمل عليه في الحكم إلا إذاً كانت فيه الفرعية كما في الفعل». فوجه الشبه بينهما إذا هو اجتماع فرعيتين في كل. قال الزجاج:(٨١) «واعلم أن جميع مالاينصرف من الأسماء، فإنما امتنع من الصرف لشيئين من الفرع يدخلانه، فيخرجانه من أصل التمكن وأصول الأسماء». وقال بدر الدين بن مالك:(٨٢) «ان كل ممنوع من الصرف فلا بد أن يكون فيه فرعية في اللفظ وفرعية في المعنى، وشرطها أن تكون من غير جهة فرعية اللفظ، ليكمل بذلك الشبه بالفعل.

ويبدو أن أمر مشابهة الاسم للفعل قد أشكل على بعضهم فجعل يقول:(٨٣) «وهكذا نرى أن هذا التشابه مشوب بالإبعاد والغرابة لايكاد

---

(٧٩) شرح الألفية لابن الناظم ص ٦٣٣.

(٨٠) كون الفعل مشتقاً من المصدر هو مذهب البصريين، وعليه فإن هذه الجهة لاتتأتى على رأي الكوفيين المانعين اشتقاق الفعل من المصدر.

(٨١) ماينصرف وما لاينصرف ص ٢.

(٨٢) شرح الألفية لابن الناظم ص ٦٤٢.

(٨٣) نحو التيسير ص ١١٦ – ١١٧.

المتأمل يلحظه أو يلحظ توجيه النحاة إياه إلا بعسر ومشقة. ولو كان مطلق شبه الفعل سبباً للمنع من الصرف لوجب أن تمنع منه الأسماء المشتقة من الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول...». ثم أردف يقول:(٨٤) «والذي يبدو لمن يتأمل هذا الأمر أن هذه الأسماء التي تمنع من الصرف لايمكن أن يجمع بينها شبه الفعل...» وهذا الكلام مبني في الحقيقة على سوء فهم مقصد النحاة بشبه الاسم للفعل، هذا الشبه الذي لاعلاقة له باللفظ والمعنى والاستعمال، وإنما هو في التقائهما في كون كل واحد منهما فرعا من جهتين.

وأسباب منع الصرف عند جمهور النحاة تسعة من حيث العدد، وهي معروفة ومبسوطة في كتب النحو، وقد تفنن النحاة في نظمها، ولعل أيسرها وأحسنهاجميعهاقوله(٨٥).

عدل ووصف وتأنيث ومعرفة ... وعجمة ثم جمع ثم تركيب
والنون زائدة من قبلها ألف ... ووزن فعل وهذا القول تقريب

وبعض هذه العلل لفظي وبعضها معنوي، وعلى حسب رأي ابن جني فإن علّة واحدة فقط لفظية، وهي شبه الفعل لفظاً، أي وزن الفعل نحو: أحمد، يرمع... والباقية كلها معنوية(٨٦). أما من وجهة نظر غيره من النحويين، فإن هناك سبع علل لفظية، وعلتين معنويتين فقط هما: العلمية والوصفية(٨٧).

وفي الحقيقة أن العدد تسعة الذي حصرت فيه أسباب منع الصرف

(٨٤) المرجع السابق ص ١١٩.
(٨٥) الأشباه والنظائر ٣/ ٦١.
(٨٦) الخصائص ١/ ١٠٩.
(٨٧) شرح الأشموني ٣/ ١٧٢.

عند جمهور النحاة إنما يمثل المتوسط أو المعدل العام لعددها، ذلك أن منهم من حصرها في ثمانية، ومنهم من أوصلها إلى عشرة، فالذين عدوها ثمانية، قاموا بإسقاط الألف والنون في مثل «غضبان» و «سكران» من جملة أسباب منع الصرف، لأنهما إنما تؤثران لمشابهتهما ألف التأنيث الممدودة[٨٨]، وبفوات هذه المشابهة يسقط أثرهما، ومن ثم قال الجرجاني:[٨٩] «فهذا ليس بسبب على انفراده في الحقيقة، وإنما هو فرع على التأنيث، متابع له من حيث يضارع علامته. فالأسباب على الحقيقة ثمانية، وإنما جعلوها تسعة رغبة في التقريب، وذلك مذهب مستقيم». وفي مقابل ذلك ذهب كلٌّ واحد من الفارسي والجزولي إلى أن الأسباب عشرة لاتسعة، وذلك بإضافة ماسماه الفارسي «شبه العجمة»، وهو ماآثر الجزولي تسميته بـ « عدم النظير في الآحاد»[٩٠].

ومتى اجتمع في الاسم فرعيتان من هذه الفروع، أو واحدة تقوم مقام فرعيتين[٩١]، اكتمل شبهه بالفعل – على حد قولهم – ومن ثم يحرم من التنوين والجر شأنه في ذلك شأن الأفعال. قال سيبويه:[٩٢]«واعلم أن ماضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام، ووافقه في البناء، أجري

(٨٨) وجه الشبه بين الألف والنون في مثل «غضبان وسكران» وألف التأنيث الممدودة في مثل «حمراء» هو امتناع دخول تاء التأنيث عليهما معاً. وهناك أوجه شبه أخرى وذلك مثل تساوي الصدرين وزناً، فغضب من غضبان مثل «حمر» من «حمراء»، وكون الزائدين في نحو «غضبان» مختصين بالمذكر في مقابل اختصاص الزائدين في نحو «حمراء» بالمؤنث، وأن المؤنث في باب «غضبان» له صيغة أخرى مخالفة للمذكر، مثلما أن للمذكر في باب «حمراء صيغة أخرى مخالفة للمؤنث. (انظر شرح الرضي على الكافية ١٩٧٨، ١/ ١٥٧).

(٨٩) المقتصد شرح الإيضاح ٢/ ٩٦٥.

(٩٠) شرح الكافية ١/١٥٠.

(٩١) الفرعية التي تقوم مقام فرعيتين هي ألف التأنيث مطلقاً، وصيغة منتهى الجموع.

(٩٢) الكتاب ١/ ٢١.

لفظه مجرى مايستثقلون ومنعوه مايكون لما يستخفون وذلك نحو: أبيض وأسود». فلما حرم الممنوع من الصرف الجر، حمل جره على نصبه بالفتحة كما ينصب بها، وذلك لاجتماع النصب والجر في كونهما فضلتين مكملتين– بخلاف الرفع فإنه عمدة– بعد استكمال الجملة المتضمنة للفعل أو معنى الفعل بجزأيها اللذين هما الحدث والمحدث عنه.(٩٣) ويرى بروكلمان أن اشتراك حالتي الجر والنصب في النهاية الإعرابية « a » أي الفتحة، في بعض الأعلام والأبنية المشبهة للأفعال، من المرجح أن يكون قد انتقل إليها من الفعل المضارع، الذي لايفرق فيه إلا بين حالتين فقط من حالات الإعراب(٩٤).

والحد الأدنى لحصول منع الصرف، هو مابيناه غير مرة اجتماع فرعيتين، وليس هناك سقف أو حدّ من العلل يتوقف عنده منع الصرف، إلا عند المبرد، قال النحاس:(٩٥)«وقال أبو العباس محمد بن يزيد، حكاه لنا، علي بن سليمان عنه، ولا أعلمه في شيء من كتبه، قال: إذا اعتل الشيء من جهتين وهو اسم منع الصرف، فإذا اعتل من ثلاث جهات بني؛ لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء». ونحن نستغرب أن يصدر مثل هذا القول عن عالم كبير كالنحاس، وذلك لأن المبرد قد ذكر هذا في كتابيه؛ المقتضب، والكامل في اللغة. فبصدد تفسير بناء «فعالِ » قال:(٩٦): «ألا ترى أنك تقول للرجل: يافُسَق، يالُكَع، وللمرأة: يافَساقِ، يالَكاعِ ، فلما كان المذكر معدولا عما ينصرف عدل إلى مالاينصرف، ولما كان المؤنث معدولاً عما لاينصرف

(٩٣) المسائل العسكريات ص ١٥٣.

(٩٤) فقه اللغات السامية ص ١٠٠.

(٩٥) إعراب القرآن/ النحاس ٣/ ٣١٢.

(٩٦) المقتضب ٣/ ٣٧٤.

عدل إلى مالا يعرب، لأنه ليس بعدما لاينصرف إذ كان ناقصاً منه التنوين إلا ماينزع منه الإعراب». وقال في موضع آخر:[٩٧] «وفُعَل» معدول في حال المعرفة عن «فاعل»، وكان «فاعل» ينصرف، فلما عدل عنه «فُعَل» لم ينصرف. و «فَعالِ» معدول عن «فاعلة»، و «فاعلة» لاينصرف في المعرفة، فعدل إلى البناء، لأنه ليس بعد ما لاينصرف إلا المبني». ولقد أنكر النحاة على المبرد قوله هذا وألزموه أن يبني «فرعون» إذا سمي به إمرأة، للعلمية والعجمة والتأنيث، وهذا لايقول به أحد. قال الزجاج:[٩٨] «وهذا مذهب يفسده عندي أني أرى ما لاينصرف من الأسماء إذا زادت علته على اثنتين لم يبلغ به أكثر من ترك الصرف». وقال ابن جني:[٩٩] «فأما قول من قال إن الاسم إذا اجتمع فيه سببان من أسباب منع الصرف فمنعه، إذا انضم إلى ذلك ثالث امتنع من الإعراب أصلا ففاسد عندنا من أوجه: أحدها أن سبب البناء ليس طريقه طريق حدوث الصرف وترك الصرف، إنما سببه مشابهة الاسم للحرف لاغير... ومما يفسد قول من قال: إن الاسم إذا منعه السببان الصرف فإن اجتماع الثلاثة فيه ترفع عنه الإعراب، أنّا نجد في كلامهم من الأسماء مايجتمع فيه خمسة أسباب من موانع الصرف، وهو مع ذلك معرب غير مبني، وذلك كامرأة سميتها بأذربيجان فهذا الاسم قد اجتمعت فيه خمسة موانع وهي: التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والألف والنون. وكذلك إن عنيت بأذربيجان البلدة والمدينة، لأن البلد فيه الأسباب الخمسة، وهو مع ذلك معرب كما ترى».

فليس هناك إذاًحد أعلى لعلل منع الصرف، بيد أن هناك حدا أدنى

(٩٧) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٧٩.

(٩٨) ماينصرف وما لاينصرف ص ٧٦.

(٩٩) الخصائص ١/ ١٧٩– ١٨٠.

وهو كما ذكرنا وجود فرعيتين حقيقة أو حكما، وقد علل النحاة ذلك بقولهم: «لأن المشابهة بالفرعية مشابهة غير ظاهرة ولا قوية، إذ الفرعية ليست من خصائص الفعل الظاهرة، بل يحتاج في إثباتها فيه إلى تكلف... وكذا إثبات الفرعية في الأسماء بسبب هذه العلل غير ظاهر... فلم تكف واحدة منها إلا إذا قامت مقام اثنتين»[١٠٠]. أما ابن اياز فإنه قد أرجع ذلك إلى أمور ثلاثة هي:[١٠١].

١ - أن الأصل في الأسماء الصرف، والعلّة الواحدة أضعف من أن تستطيع إخراجه من هذا الأصل.

٢ - أن الأسماء التي تشبه الأفعال من وجه واحد كثيرة، ولو راعينا الوجه الواحد، وجعلنا له أثراً، كان أكثر الأسماء غير منصرف، وحينئذ تكثر مخالفة الأصل.

٣ - أن الفعل فرع عن الاسم في الإعراب، فلا ينبغي أن يجذب الأصل إلى حيز الفرع إلا بسبب قوي.

ويتساءل ابن الحاجب عن التفاوت بين عوامل بناء الاسم، ومنعه من الصرف من حيث العدد قائلاً:[١٠٢]« إن قيل: لم بني الاسم لشبه واحد، وامتنع من الصرف لشبهين، وكلاهما خروج عن أصله؟ فالجواب: أن الشبه الواحد بالحرف يبعده عن الاسمية، ويقربه مما ليس بينه وبينه مناسبة إلا في الجنس الأعم وهو كونه كلمة. وشبه الاسم بالفعل وإن كان نوعاً آخر إلا أنه ليس في البعد عن الاسم كالحرف، ألا ترى أنك إذا قسمت الكلمة خرج الحرف أولاً، لأنه أحد القسمين ثم يبقى الاسم والفعل مشتركين، فتفرق

---

(١٠٠) شرح الكافية ١٠٤/١.

(١٠١) الأشباه والنظائر ٦٢/٣.

(١٠٢) الأمالي النحوية ١٢٠/٤.

بينهما بوصف أخص من وصفهما بالنسبة إلى الحرف، فوزان الحرف من الاسم كالجماد بالنسبة إلى الآدمي، ووزان الفعل من الاسم كالحيوان من الآدمي. فشبه الآدمي بالجماد ليس كشبهه بالحيوان. فقد علمت بهذا أن المناسبة الواحدة بين الشيء وبين ماهو أبعد لاتقاوم مناسبات متعددة بينه وبين ماهو قريب منه».

ويرى النحاة أن حصر علل الصرف في تسع على ماهو مشهور عند جمهورهم راجع إلى التقصي والاستقراء، قال قائلهم:[١٠٣] « وإنما انحصرت فيها، لأن النحاة سبروا الأشياء التي يصير بها الاسم فرعا فوجدوها تسعا» ومعنى كلامه هذا أنه ليس ثمة فرعية متصورة خارج نطاق هذه الفروع التسعة. وهذا في الحقيقة حكم لايمكن التسليم به، فهناك فروع أخرى من الممكن إضافتها أيضاً، وقد ذكر الرضي بعضا منها فقال: «وههنا فروع أخر لم يعتبروها ككون الاسم مصغراً، أو منسوبا، أو شاذا، أو غير ذلك مما لايحصى. وذلك اختيار منهم بلا علّة مخصّصة»[١٠٤].

ونظراً إلى تخلّف هذه العلل عن العمل أحياناً، وعدم صدقها على الواقع اللغوي في حالات كثيرة، فقد منيت قضية منع الصرف بالنقد المرير والتجريح الشديد قديماً وحديثاً.

ولعل أقوى هجوم شن عليها كان ذاك الذي قام به الإمام السهيلي. فقد خصص لهذا الغرض فصلا كبيرا في أماليه بلغ عشرين صفحة[١٠٥]، تعقب فيها مسائل هذا الباب مسألة مسألة، مفندا أقوال النحاة، مبينا قصورها وكاشفا عن نقاط ضعفها. ونظراً إلى أهمية هذا الموضوع فقد جعله مستهل

(١٠٣) الأشباه والنظائر ٣/٦٠.

(١٠٤) شرح الكافية ١/١٠٦.

(١٠٥) أمالي السهيلي ص ١٩ – ٤٠.

أماليه، وابتدأ كلامه منكرا على النحاة وناعيا عليهم ضعف احتجاجهم قائلاً:[١٠٦] «وهذا الباب لو قصروه على السماع، ولم يعللوه بأكثر من النقل عن العرب لانتفع بنقلهم، ولم يكثر الحشو في كلامهم، ولما تضاحك أهل العلوم من فساد تعليلهم حتى ضربوا المثل بهم فقالوا: أضعف من حجة نحوي». ثم أردف يقول: «وتعليلهم هذا الباب يشتمل على ضروب من التحكم وأنواع من التناقض وفساد من العلل، لأن العلّة الصحيحة هي المطردة المنعكسة، التي يوجد الحكم بوجودها ويفقد بفقدها».

وللتدليل على عدم اطراد عللهم في هذا الباب، فقد أورد أمثلة كثيرة ومتنوعة، لأسماء كان ينبغي لها ألا تصرف لمشابهتها للأفعال، ولاجتماع غير واحد من الفروع فيها، وذلك كالأسماء المشتقة مثل: «ضارب»، «فإن فيه لفظ الفعل ومعناه، ويعمل عمله، وهو تال للاسم ووصف له، ثم لم يمنعوه الخفض والتنوين»[١٠٧] ومن ذلك الوصف المؤنث نحو: «ضاربة» و «مسلمة» وبابهما، فإن في كل واحدة منهما فرعيتين، هما: الوصف والتأنيث. ومع ذلك فهذا الباب مصروف كله[١٠٨].

ولقد أجاب النحاة عن مثل هذه الحالة وأمثالها إجابات غير مقنعة، فمن ذلك تعليل أبي علي الفارسي الذي جاء فيه:[١٠٩] «فإن كان السببان من هذه الأسباب إذا اجتمعا منعاه الصرف، فهلا لم تصرف نحو: «طويلة» و «قائمة» و «شديدة» في النكرة[١١٠] للتأنيث، والوصف اللذين اجتمعا فيها؟

(١٠٦) المرجع السابق ص ١٩.

(١٠٧) المرجع السابق ص ٢٠.

(١٠٨) المرجع السابق ص ٢١.

(١٠٩) المسائل العسكريات ص ١٤٤.

(١١٠) هكذا وردت الكلمة في الكتاب. والصواب هو «في النكرة» إذ لا معنى للكسرة ههنا.

فالقول في ذلك: أن أحد السببين لم يلزم الاعتداد به، وإذا لم يلزم، كان الذي يبقى سبباً واحداً، وهو لايزيل مااللاسم من التمكن فيخرج به إلى شبه الفعل. ويدلك على أن التاء لايلزم الاعتداد بها أنها غير لازمة للكلمة في حال تذكيرها». وواضح من كلام الفارسي أن مثل «طويلة» تجتمع فيها فرعيتان، هما التأنيث والوصف، ولكنها لم تمنع الصرف، وهذا كسر لقاعدة منع الصرف عندهم، ودليل قوي على عدم اطرادها، ولكن حفاظاً منهم على سلامة قواعد منع الصرف كان تعليلهم هذا الذي لايخفى ضعفه على أحد، وهوأن التاء في مثل: طويلة، زائدة عارضة في تقدير الانفصال، ومن ثم لايعتد بها، في حين أنها معتد بها في مثل: فاطمة وعائشة أعلاما.

ثم يتعرض السهيلي في معرض نقده لنظرية منع الصرف إلى قضية الثقل والخفة في الكلم التي نص عليها سيبويه بقوله:[١١١] «واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى وهي أشد تمكناً، فمن ثم لم يلحقها تنوين، ولحقها الجزم والسكون». ثم أردف يقول:[١١٢] «واعلم أن ماضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام، ووافقه في البناء، أجري لفظه مجرى مايستثقلون، ومنعوه مايكون لما يستخفون». وهنا يتساءل السهيلي ساخراً ومستنكراً في نفس الوقت: «فيقال لهم أثقل حسي هو أم ثقل عقلي؟ فإن أردتم ثقلا يدرك بالحس، إما بحاسة اللسان وإما بحاسة السمع، فلا شك أن فرزدقا، وشمردلا، ومسحنككا، وحلكوكا، واشهيبابا، أثقل على الحاستين من زينب وسعاد وحسناء. وإن عنيتم ثقلا عقليا يدرك بالقلب ويوجد في النفس فلا شك أن قولك: همّ وسخط وبلاء وجذام وبرص أثقل على النفس أن تسمعه من:

---

(١١١) الكتاب ١/٢٠.

(١١٢) المرجع السابق ١/٢١.

حسناء وكحلاء... فهذا الثقيل منصرف، وهذا الخفيف غير منصرف، ولا يتصور في الوجود ثقل خارج عن هذين النوعين: العقلي والحسي»[١١٣].

وأما بالنسبة لسمة التحكم فتتجلى عنده في عدم اعترافهم بكثير من الفروع، كالتصغير مقابل التكبير، والمعتل مقابل الصحيح، والمنسوب مقابل المنسوب إليه...

وبعد أن بين ضعف نظرية منع الصرف كما عرضها النحاة خلص السهيلي إلى عرض وجهة نظره في منع الصرف، التي تتلخص بكلمة واحدة هي «التعريف»، فالمانع من صرف الأسماء هو استغناؤها عن التنوين الذي هو علامة للانفصال،[١١٤] وإشعار بأن الاسم غير مضاف إلى مابعده، ولا متصل به، «ولذلك يكثر في النكرات لفرط احتياجها إلى التخصيص بالإضافة، فإذا لم تضف احتاجت إلى التنوين تنبيها على أنها غير مضافة. ولا تكاد المعارف تحتاج إلى ذلك إلا فيما قل من الكلام، لاستغنائها في أكثره عن زيادة تخصيص»[١١٥] . وإذا مااستغني عن التنوين، استغني عن الكسر أيضاً، أي أن الكسر يسقط تبعاً للتنوين، كي لايؤدي وجوده إلى إيهام أن الاسم مضاف إلى ضمير المتكلم[١١٦].

ويبدو أن السهيلي قد استلهم وجهة نظر الفراء في هذا الذي ذهب إليه. فبالنسبة لمنع صرف نحو: زينب ونوار قال الفراء:[١١٧] «كان الحكم أن يخفض، لأنه لايمنع بشبهه الفعل كل مايجب له من حق الأسماء، فكرهوا

(١١٣) أمالي السهيلي ص ٢٢ – ٢٣.
(١١٤) المرجع السابق ص ٢٤.
(١١٥) نتائج الفكر ص ٨٧.
(١١٦) أمالي السهيلي ص ٩.
(١١٧) المذكر والمؤنث/ الأنباري ص ١٢٤.

أن يخفضوه، فيقولوا: مررت بزينبِ ونوارِ فيشبه المضاف إلى ياء المتكلم، كقولك: مررت بغلامِ يارجل، ونظرت إلى دارِ يافتى». وهذا الذي ذهب إليه الفراء هو مذهب أبي جعفر الرؤاسي[١١٨].

ثم يعترض على نفسه بمثل: محمد وجعفر، ويجيب بأن التنوين في هذه الأعلام إنما كان للمح الأصل «لأنهم وإن نقلوه عما وضع له- ففي أنفسهم التفات لتلك المعاني- فالتفاتهم إلى موضوعها الأول أوجب بقاءها على ماكانت عليه من التنوين والخفض»[١١٩]. ولمح الأصل وارد في الأعلام. قال الرضي[١٢٠]: «والدليل على إمكان لمح الوصف مع العلمية قولهم: «إنما سميت هانئا لتهنأ»، وقول حسان :

وشق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد»

ولقد حذا حذو السهيلي في الثلث الأول من هذا القرن الأستاذ إبراهيم مصطفى، حيث خصص فصلا كبيرا لهذه القضية في كتابه «إحياء النحو»، بلغ نحوا من ثلاثين صفحة. ومن يقرأ ماقاله إبراهيم مصطفى بهذا الصدد، يجد أنه قد تبنى وجهة نظر السهيلي، ولم يخرج قيد شعرة عما رسمه وحدده. فالفكرة التي يلح عليها إبراهيم مصطفى، هي نفس الفكرة التي نادى بها السهيلي قبله بثمانية قرون. ألا وهي أن التنوين علامة التنكير، وأن العلم والمعارف عموماً مستغنية عن التنوين، أي أن منع الصرف مرتبط بالعلمية. قال إبراهيم مصطفى[١٢١]: «والأصل في العلم ألا ينون، ولك في كل علم ألاّ تنونه، وإنما يجوز أن تلحقه التنوين إذا كان فيه معنى التنكير،

---

(١١٨) المرجع السابق في المكان نفسه.

(١١٩) أمالي السهيلي ص ٢٨.

(١٢٠) شرح الكافية ١٤٨/١.

(١٢١) احياء النحو ص ١٧٩.

وأردت الإشارة إليه».

وإبراهيم مصطفى إنما يكرر في قوله هذا كلام السهيلي، ويبدو أن السهيلي، وإبراهيم مصطفى من بعده قد أساءا فهم كلام القدماء، فقديماً نص ابن جني على أن التنوين يدل على التنكير(١٢٢). ولكن ابن جني نفسه قد نصّ أيضاً على أن التنوين الدال على التنكير لايكون في معرفة البتة(١٢٣).
وقال ابن هشام:(١٢٤) «وأما تنوين «رجل» ونحوه من المعربات فتنوين تمكين، لاتنوين تنكير كما قد يتوهم بعض الطلبة، ولهذا لو سميت به رجلا بقي ذلك التنوين بعينه مع زوال التنكير».

وعليه، فإننا لانستطيع بحال قبول ماذهب إليه إبراهيم مصطفى بشأن التنوين فأي تنكير هذا الذي دخل في العلم«محمد» من قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم﴾؟ هل كان هناك احتمال في توجه الفكر إلى شخص آخر غير شخص الرسول الكريم؟ هذا مع العلم أن هذا الاسم لم يكن مشهوراً في الاستعمال عند العرب، إذ لم يسمّ به قبل النبي ﷺ سوى بضعة أشخاص(١٢٥)، ولم يدّع أحد النبوة قط ممن سموا بـ «محمد». وأي تنكير دخل في «زيد» من قوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾؟ وما وجه التنكير في مثل قولنا: نجح عليّ، وسافر خالد...؟ هل يقبل أحد في الوجود القول بأن التنوين دخل في هذه

(١٢٢) المنصف ٦٩/١.
(١٢٣) سر صناعة الإعراب ٤٩٤/٢.
(١٢٤) مغني اللبيب ص ٣٧٦. وانظر الأمالي النحوية ١٤٣/٤.
(١٢٥) هم: محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن بر بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومحمد بن خزاعي بن علقمة السلمي، ومحمد بن حمران بن مالك الجعفي، ومحمد بن عقبة بن أحيحة ابن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد ابن الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم. انظر المحبّر ص ١٣٠.

الأعلام لما فيها من التنكير؟

إن الأعلام قد يدخلها شيء من التنكير من قبل السامع أو المخاطب فقط، وذلك إذا لم يكن له عهد به من قبل، بسبب الاشتراك في اللفظ، وهنا، ومن باب الاحتراس يلجأ المتكلم إلى تبديد هذا الغموض أو الإبهام المحتمل من قبل المخاطب أو السامع بطريقة أو أخرى كالإضافة، وذلك كقوله:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض من ماء الحديد يمان(١٢٦)

فالإضافة حدّدت المسمّى، وأزالت كل مايمكن أن يعلق به من لبس أو غموض، وليست هذه هي الطريقة الوحيدة، فقد يتم ذلك عن طريق التكرير على جهة الإبدال أو التخصيص كقوله:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يلقينكم في سوءة عمر(١٢٧)

ومثله:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف(١٢٨)

فتيم قد تسمّت بها غير واحدة من القبائل، وكذلك هناك غير واحد ممن تسموا بـ «سعد» فأزيل الإبهام والغموض المحتمل حصولهما في ذهن السامع، ومن هذا القبيل التخصيص في أعرف المعارف، التي لايمكن أن يتطرق إليها التنكير، أعني بذلك الضمائر، وذلك كقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لانورث»، وكقولنا: «نحن العرب أقرى الناس للضيف». فنظراً إلى عموم دلالة الضمير «نحن» كان هذا الأسلوب لتحديد المقصود بالضمير

(١٢٦) سر صناعة الإعراب ٢/٤٥٢.

(١٢٧) الكتاب ١/٥٣.

(١٢٨) حاشية يس ٢/١٧١.

وتخصيصه، ذلك أن «نحن» ليست مجموع أنا + أنا + أنا وإنما هي مجموع أنا + أنت + أنت، أو مجموع أنا + أنت + هو أو هي. فضمير جماعة المتكلمين يدخل في مدلوله المتكلم والمخاطب والغائب، ومن ثم كان أعم دلالة من «أنتم» التي لايدخل في مضمونها سوى التكلم والغيبة في حين يقتصر مدلول «هم» على الغيبة فقط. ولهذا كان مجال الغموض فيه أكثرمنهما، ومن ثم كان أسلوب الاختصاص الذي يلتقي وظيفياً مع الأسلوبين السابقين من حيث إنها كلها– على الرغم من الأبواب النحوية المختلفة التي تنتمي إليها، وعلى الرغم أيضاً من اختلاف التسميات والمصطلحات– تؤدي وظيفة واحدة هي تحديد المقصود بالعلم والضمير تحديداً دقيقاً لالبس فيه. ولكن هذه حالات محدودة، فليس كل علم فيه شيء من التنكير دائماً وأبداً، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يفسر لحاق التنوين بالعلم؟ لقد وقف هنري فليش أمام هذه المشكلة الشائكة حائراً، لايجد مايقوله بشأنها، فقال معبراً عن حيرته ازاءها[١٢٩] : «وهذه اللواحق– أي التنوين في الحالات الإعرابية الثلاث– تتنافى مع كون الاسم علما، حيث ينشأ عن ذلك قضية عسيرة في الصرف العربي، هي: كيف نقرر أن علما من الأعلام الخاصة، معرفا على أتمّ الوجوه، تتصل به لاحقة هي من علامات التنكير؟ ». وقد حاول برجشتراسر أن يجد تفسيراً مقبولاً لهذه الظاهرة التي يشهد لسان حالها بأنها جمع بين متناقضين فقال: [١٣٠] «وحقيقة الأمر أن التنوين إن كان علامة للتنكير في كل مابقي من مستندات اللغة العربية فربما كان في الأصل علامة للتعريف. فقد ذكرنا أن أصل التنوين

---

(١٢٩) العربية الفصحى ص ٦٢.

(١٣٠) التطور النحوي للغة العربية ص ١١٨.

هو التميـيم[١٣١]، وإنّا نرى للتمييم آثاراً من معنى التعريف في الأكدية العتيقة». وقد أكد هذه الفكرة وليم رايت W. Wright قبله ببضعة عقود، ففي معرض حديثه عن التنوين في العربية قال:[١٣٢]«إذا بحثنا عن مظهر مماثل في اللغات السامية الأخرى، فإننا نجد نظيراً له في التمييم في الآشورية، ووفقاً لأقوال النحاة فإنه غير مقيد بالنكرات، ولكنه يستعمل على نحو غير مطرد أيضاً مع تلك التي هي معرّفة». فلعل التنوين الذي يدخل في الأعلام هو من رواسب الماضي البعيد لهذه اللاحقة.

وكيف تصرفت الحال، فإننا نستطيع أن نقول: إن كل ماجاء به إبراهيم مصطفى في إحيائه لايزيد على كونه تكريراً وترديداً لما قاله السهيلي، وأنه لم يأت بجديد، فهو حتى في أسلوب معالجته لهذه القضية

---

(١٣١) التمييم في غير العربية من الساميات يقابل التنوين في العربية. وعلى حسب مايرى علماء الساميات فإن التمييم أصل التنوين، أي أن التنوين في العربية متطور عن التمييم عن طريق ابدال النون من الميم. وقد بقيت بعض آثار التمييم في العربية ممثلة في كلمتي «فم» و «ابنم» (بروكلمان، ١٩٧٧ ص ٥١).

وقد ذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى أن من بقايا التمييم في العربية أيضاً شدقم= شدق+ م، و فسحم= فسح+ م. كما يرى أيضاً أنه ربما كانت الميم في الضمائر: أنتم وهم من بقايا التمييم.

انظر: البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية ص ٧١.

وفي الحقيقة ان الدكتور عبد الرحمن أيوب لم يزد على أن ردّد كلام ثعلب إمام الكوفيين، ولكن بأسلوب العصر الحديث، فقديماً ذهب ثعلب إلى زيادة الميم في ضمير المثنى والجمع؛ أنتما وهما، وأنتم وهم. وقد دلّل أصحابه على صحة ماذهب إليه بزيادة الميم في: ابنم وفسحم وستهم...

انظر مجالس العلماء ص ١٠٤.

(١٣٢) Wrigt. Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Lang. P. 144.

يتبع نفس أسلوب السهيلي حيث يبدأ بانتقاد نظرية منع الصرف كما حددها النحاة ويتهمها بالتحكم والقصور وعدم الاطراد[١٣٣]. ويعرض كما فعل السهيلي بعض الشواهد التي تبين عدم اطرادها، وعندما يتناول المركب المزجي يردد نفس عبارة السهيلي. يقول السهيلي:[١٣٤]« فامتناعه من التنوين للاستغناء عنه، لأنه قلما يضاف اسم مركب، فيقال: بعلبكّ زيد، فلما قل ذلك استغني عن التنوين، وما لاينون لايخفض أبدا، مع أنه غير منقول من شيء كان منوناً قبل التسمية». ويعلل إبراهيم مصطفى منع صرفه بقوله:[١٣٥]«فليس له من أصل كان منوناً قبل العلمية فيمكن أن ينون بعده». وبالنسبة للأعجمي يقول السهيلي:[١٣٦]«لأن الأعلام مستغنية عن التنوين، وأنها لم تنقل إلى العلمية من أصل كانت فيه منونة». ويقول الأستاذ إبراهيم مصطفى[١٣٧] «فإذا سميت إبراهيم، فإبراهيم ممنوع من الصرف، إذ لاأصل له في التنوين يمكن أن يلمح».ولو تتبعنا ماقاله إبراهيم مصطفى في المعدول، وصيغة منتهى الجموع لوجدناه يقتفي أثر السهيلي، يسير في ركابه وينسج على منواله.

وإذا كان السهيلي قد وصف قضية منع الصرف بالتحكم، فإنه لم يسلم هو الآخر من ذلك، حيث يحكم على تاء التأنيث بأن حكمها يختلف، وأن المعنى الذي كان فيها قبل العلمية معدوم في حال العلمية. بل أكثر من ذلك نجده أحياناً يطلق لخياله العنان فيحكم على الظواهر اللغوية

(١٣٣) إحياء النحو ص ١٦٩ - ١٧٠.
(١٣٤) أمالي السهيلي ص ٣٩.
(١٣٥) إحياء النحو ص ١٨١.
(١٣٦) أمالي السهيلي ص ٣٤.
(١٣٧) احياء النحو ص ١٨١.

بأمور بعيدة كل البعد عن اللغة، فبصدد حديثه عن العلم المؤنث وترك تنوينه يقول:[١٣٨]«على أن في الاسم العلم المؤنث خاصة تمنع من التنوين، وهي قولهم: حذامِ ورقاشِ وذلك أنهم يشيرون بهذه الأسماء إلى أنهن محبوبات. وكل محبوب مقرّب إلى النفس مضاف إليها، وترك التنوين يشعر بهذا المعنى». ثم يتخذ من هذا التفسير التأملي أساساً فيحكم بالتالي على ماجاء من صفات المؤنث على «فعال» نحو «رزان» و «حصان»... بأنها قد منعت من التنوين بما يسميه» رائحة الاضافة[١٣٩]! وتعليلات من هذا القبيل لايطمئن إلى مثلها البحث العلمي، لأن فيها خروجاً عن جادة البحث اللغوي. ورحم الله أستاذ أبي حيان حيث يقول:[١٤٠]«لكل علم حد ينتهي إليه، فإذا رأيت متكلماً في فن ما قد مزجه بغيره، فاعلم أن ذلك إما أن يكون من تخليطة ذهنه، وإما أن يكون من قلّة محصوله في ذلك، فتجده يستريح إلى غيره مما يعرفه».

وبعد هذا نقول: إننا إذا مارجعنا إلى كلام العرب، نجد العذر والمسوّغ لهذا الهجوم الذي شنه السهيلي وتابعه عليه إبراهيم مصطفى وغيره، مثل الدكتور عفيف دمشقية الذي استهلّ كلامه على قضية منع الصرف بتوجيه نقد شديد إليها قائلاً:[١٤١]« إننا نميل إلى الاعتقاد بأن الممنوع من الصرف من أكثر الأبحاث اعتباطية في الدراسات النحوية»، ولا نجده قد أبعد في اعتقاده، وذلك أننا نجد كثيراً من الأسماء التي تنطبق عليها أحكام منع الصرف، قد جاءت مصروفة، في الشعر والنثر على حد سواء، فمن ذلك

---

(١٣٨) أمالي السهيلي ص ٣٢.

(١٣٩) المرجع السابق ص ٣٣.

(١٤٠) تذكرة النحاة ص ٦٩١.

(١٤١) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ص ١٥٣.

عطشان، وغضبان. قال الشاعر:

قد ساغ فيه لها مشي النهار كما ساغ الشراب لعطشانٍ إذا شربا[١٤٢]

وقال ابن الدمينة:

أأذهب غضباناً وأرجع راضيا وأقسم ماأرضيتني بنوالك[١٤٣]

هذان مثالان من الصفات المزيدة بالألف والنون، ومن شواهد صرف صيغة منتهى الجموع. قول امرئ القيس:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائنٍ سؤالك نقبا بين حزمي شعبعب[١٤٤]

وقال الفضل بن العباس اللهبي:

ولنا أسام ماتليق بغيرنا ومشاهدٌ تهتلّ حين ترانا[١٤٥]

ومن هذا القبيل البيت المشهور (الزجاجي، ١٣٨٢هـ، ص ٨٣):

ما إن رأيت ولا أرى في مدتي كجواريٍ يلعبن بالصحراء[١٤٦]

ومن أمثلة صرف «أفعل» وصفا قوله:

قبحتم يا آل زيد نفرا ألأم قوم أصغرا وأكبرا[١٤٧]

وقال أبو نواس:

(١٤٢) مجالس ثعلب ٢/٤٠٧.

(١٤٣) أمالي الزجاجي ص ١٠٩.

(١٤٤) ديوان امرئ القيس ص ٦٥.

(١٤٥) مجالس ثعلب ٢/٥٣٣.

(١٤٦) أمالي الزجاجي ص ٨٣.

(١٤٧) المقتضب ٣/٢٤٧.

فقلت بكم رطل فقال بأصفرٍ فحزت دنانا وزرهن عظيم[١٤٨]

وقد نصّ النحاة على أن المؤنث إذا كان ثلاثيا متحرك الوسط، يمنع من الصرف، للتاء المقدرة، ولقيام حركة الوسط مقام الحرف الرابع القائم مقام التاء، باستثناء ابن الأنباري (٣٢٧ هـ) حيث جوز فيه الوجهين، نظراً إلى ضعف الساد مسد التاء[١٤٩]، ومع ذلك فقد قال النابغة الجعدي.

أضحت ينفرها الولدان من سبأٍ كأنهم تحت دفيها دحاريج[١٥٠]

ومن أمثلة صرف العلم المؤنث قوله:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينبٌ في نسوةٍ خفرات[١٥١]

ولا نريد أن نمضي في ذكر الشواهد على صرف ماهو في عرفهم ممنوع من الصرف، ذلك أن الشواهد في الشعر أكثر من أن تحصى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن النحاة أوصدت هذا الباب دوننا، فكل ما نأتي به من شواهد شعرية يعد جهداً ضائعاً، لايؤثر في سلامة قواعد منع الصرف من قريب أو بعيد، وذلك لأن من المسلم به عند جمهورهم أنه يجوز للشاعرأن يصرف في الشعر كل مالاينصرف، لأن الشعر موطن الضرورة. وضرورة الشعر تبيح كثيراً مما يحظره النثر، واستعمال مالايسوغ استعماله في حال الاختيار والسعة. قال سيبويه:[١٥٢] «اعلم أنه يجوز في الشعر ما لايجوز في الكلام من صرف مالاينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء كما أنها أسماء». وعليه «فجميع مالاينصرف

(١٤٨) أمالي الزجاجي ص ١٠٥.

(١٤٩) شرح الكافية ١/١٣٥.

(١٥٠) الكتاب ٣/٢٥٣.

(١٥١) مجالس ثعلب ١/٢٥٠.

(١٥٢) الكتاب ١/٢٦.

يجوز صرفه في الشعر لإتمام القافية وإقامة وزنها بزيادة التنوين، وهو من أحسن الضرورات، لأنه ردّ إلى الأصل، ولا خلاف في ذلك، إلا ما كان في آخره ألف التأنيث المقصورة، فإنه لايجوز صرفه للضرورة، لأنه لا ينتفع بصرفه، لأنه لايسد ثلمة في البيت من الشعر»[١٥٣]. وبالإضافة إلى ذلك فقد استثنى الكوفيون «أفعل من» فإنه لايجوز صرفه عندهم بحال من الأحوال[١٥٤].

وقد خرق الدماميني إجماع النحاة بشأن جواز صرف غير المنصرف في الشعر فذهب إلى أن مثل هذه الأسماء تكون في صورة المنصرف ولاتصبح منصرفة حقيقة، قال بهذا الخصوص:[١٥٥] «ينبغي أن يحمل التنوين في أمثال ذلك على أنه يجوز للمضطر أن يجعل غير المنصرف كالمنصرف في الصورة باعتبار ادخال التنوين عليه، ولا يكون هذا التنوين تنوين الصرف لمنافاته لوجود العلتين المحققتين وإنما يكون تنوين ضرورة».

هذا، وقد آثرنا أن نأتي بهذه الشواهد الشعرية، لأنه في مقابل جمهور النحاة الذين لايعتدون بصرف مالا ينصرف في الشعر، ومن ثم لايرون فيه حجة للنسج على منواله في الكلام، فإن هناك من قد أجاز في الكلام ماجاز في الشعر مطلقا على أساس أن الشعر أصل كلام العرب. قال الفراء:[١٥٦] «فأجروا مالايجري، وليس بخطأ، لأن العرب تجري مالايجري في الشعر، فلو كان خطأ ماأدخلوه في أشعارهم». وقال النحاس:[١٥٧]«ان بعض أهل

---

(١٥٣) شرح المفصل ٦٧/١.

(١٥٤) الأشباه والنظائر ٦٩/٣.

(١٥٥) الضرائر ص ١٣٤.

(١٥٦) معاني القرآن/ الفراء ٢١٨/٣.

(١٥٧) إعراب القرآن/ النحاس ٩٧/٥.

النظر يقول: كل مايجوز في الشعر فهو جائز في الكلام، لأن الشعر أصل كلام العرب، فكيف نتحكم في كلامها، ونجعل الشعر خارجا عنه؟».

وفي الحقيقة أن الضرورة الشعرية قد اتخذت مشجبا في كثير من الأحيان من قبل النحاة، يعلقون به كل مالا يتفق وقواعدهم وينذ عن أقيستهم، فكل مايتعارض وقواعدهم ولا يجدون له تفسيراً مقبولاً، يقولون: هو ضرورة شعرية! وهذا سببه -في رأيي- الاعتداد بالقواعد والتمسك بالقياس الذي كان له سلطان قوي عليهم. ولعل أفضل دليل على سلطان القياس ومكانته الرفيعة لديهم قول ابن جني:[١٥٨] «وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس. قال لي أبو علي رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين: أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس». والصحيح أن الواقع اللغوي هو الفيصل في الأمور اللغوية، قال ابن الحاجب:[١٥٩] «والأحكام اللغوية لاتثبت بقياس، وإنما تثبت بالنقل ثم تعلل، فالصواب أن ينظر إلى الواقع». ولهذا فإننا نرى أن الدكتور عفيف دمشقية قد أصاب كبد الحقيقة، ولم يعد الصواب حين قال:[١٦٠] «وما قضية الضرورة الشعرية في رأينا سوى بدعة من البدع التي أتى بها النحاة دعماً لما قعدوه من قواعد، وفرضوه على اللغة من أصول».

غير أنه إذا كان بالامكان غض الطرف عن الشواهد الشعرية السابقة، فإننا لا نجد مسوغا للقول بأن صرف «دنيا» في قوله:

إني مقسم ماملكت فجاعل   جزءاً لآخرتي ودنياً تنفع[١٦١]

---

(١٥٨) الخصائص ٢/٨٨.

(١٥٩) الأمالي النحوية ٣/١٥.

(١٦٠) أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ص ١٦٦.

(١٦١) إحياء النحو ص ١٧٢.

كان للضرورة فدنيا «فعلى» وهذه- كما نصوا هم على ذلك- لايجوز صرفها حتى في الضروة[١٦٢]، إذ لافائدة في صرفه «لأنه مستوٍ فيه الرفع والنصب والجر، ولأنه إذا زيد فيه التنوين سقطت الألف لالتقاء الساكنين، فينقص بقدر مايزيد»[١٦٣].

فصرف «دنيا» ههنا دليل على أن الضرورة الشعرية لامدخل لها هنا، وأنها ليست هي المسؤولة دائماً وأبداً عن صرف ما لايصرف. هذا وقد روى ابن الأعرابي «دنياً» بالصرف. قال ابن جني:[١٦٤] «وهذا نادر غريب ولا نعلم شيئاً مما في آخره ألف التأنيث مفرداً مصروفاً غير هذا الحرف. ولو قال قائل: إن «دنياً» هذه المصروفة تكون ملحقة في قول أبي الحسن بجُخْدَب لم أر به بأسا».

ومع ذلك فإنه إذا كان بإمكان النحاة ردّ مايوجّه إلى قواعدهم وأحكامهم من طعون من خلال الشعر متسلحين بسلاح الضرورة الشعرية، فإنه ليس لديهم طاقة، ولا بهم قدرة على ردّ تلك التي توجه إليهم من النثر، حيث لاضرورة. وفي القرآن الكريم قدر صالح من المفردات المصروفة، والمفروض أنها ممنوعة من الصرف، وذلك نحو «سلاسل» في قوله تعالى[١٦٥]: ﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً﴾ فقد قرئ مصروفا وغير مصروف، فطلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وأبو عمرو وحمزة قرؤوا «سلاسل» بمنع الصرف وقفا ووصلا، وقيل عن حمزة وأبي عمرو الوقف بالألف. وقرأ حفص وابن ذكوان بمنع الصرف أيضاً، واختلف

(١٦٢) شرح المفصّل ٦٧/١.

(١٦٣) همع الهوامع ١١٩/١.

(١٦٤) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ص ١٥٨.

(١٦٥) سورة الإنسان آية ٤.

عنهم في الوقف، وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلا ووقفا، وهي قراءة الأعمش أيضاً[١٦٦]. وكذلك قرئت «قوارير» من قوله تعالى:[١٦٧] ﴿وأكواب كانت قواريراً، قوارير من فضة قدروها تقديرا﴾، فقد قرأ قراء المدينة بالتنوين فيهما[١٦٨]. وكذلك قرأ الكسائي وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو عمرو وحفص بمنع صرفهما، وقرأ ابن كثير بصرف الأول ومنع صرف الثاني[١٦٩]. وقد كثر صرف صيغة منتهى الجموع في كلامهم، حتى أجاز بعضهم صرفه اختيارا، قال بعض الرجاز:

والصرف في الجمع أتى كثيراً حتى ادعى قوم به التخييرا

وقد علل الأخفش صرفه «بأن هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا: صواحبات يوسف، ونواكسي الأبصار، أشبه المفرد، فجرى فيه الصرف»[١٧٠].

ومن ذلك صرف «يغوث ويعوق» في قوله تعالى:[١٧١] ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾، فقد قرأ كل من الأعمش والأشهب العقيلي «ولا يغوثا ويعوقا» مع أنهما علمان وعلى وزن الفعل[١٧٢]. وقد جاءت «سبأ» مصروفة أيضاً مع أنهامؤنث[١٧٣]

(١٦٦) البحر المحيط ٣٩٤/٨.

(١٦٧) سورة الإنسان الآيتان ١٥، ١٦.

(١٦٨) إعراب القرآن/النحاس ١٠١/٥.

(١٦٩) البحر المحيط ٣٩٧/٨.

(١٧٠) المرجع السابق ٣٩٤/٨.

(١٧١) سورة نوح آية ٢٣.

(١٧٢) البحر المحيط ٣٤٢/٨.

(١٧٣) زعم الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو عن «سبأ» فقال: لست أدري ماهو. قال الفراء: وقد ذهب مذهبا إذ لم يدرماهو، لأن العرب إذا سمت بالاسم المجهول تركوا إجراءه. انظر معاني القرآن/ الفراء ٢٩٠/٢.

=

متحرك الوسط، فقد قرأ المدنيون والكوفيون «وجئتك من سبأٍ بنبأٍ»[١٧٤] وقرأ المكيون والبصريون «من سبأَ بنبأٍ»[١٧٥] وكذلك قرئت «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية»[١٧٦] بالصرف والتنوين، وقرأ أبو عمرو بمنع الصرف[١٧٧]. ومثل «سبأ» «هجر» فقد سمعت في كلامهم مصروفة وغير مصروفة، جاء في اللسان:[١٧٨] «قال سيبويه: سمعنا من العرب من يقول: كجالب التمر إلى هجرٍ[١٧٩] يافتى» وجاءت غير مصروفة أيضاً، ففي المثل: كمبضع التمر إلى هجر.

ومن ذلك «ثمود» فقد جاءت هي الأخرى بالصرف وبغيره، قال تعالى: ﴿وعاداً وثموداً وقد تبين لكم[١٨٠]﴾، وقال عز من قائل:[١٨١] ﴿ وآتينا ثمودَ الناقة﴾ وقوله جل ذكره[١٨٢] :﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً﴾. وقد

= ويروى عن فروة بن مسيك الغطفي أن أحدهم سأل النبي ﷺ عن سبأ أأرض هي أم امرأة؟ فقال:« ليست بأرض ولا امرأة. ولكن رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة».

وكان الحسن لايجري سبأ ويقول: اسم أرض.

انظر المذكر والمؤنث/ الأنباري ص ٥٤٣.

(١٧٤) سورة النحل آية ٢٢.

(١٧٥) إعراب القرآن/النحاس ٢٠٣/٣.

(١٧٦) سورة سبأ آية ١٥.

(١٧٧) إعراب القرآن/ النحاس ٣٣٨/٣.

(١٧٨) لسان العرب ١٠٧/٧.

(١٧٩) الكتاب ٢٤٤/٣.

(١٨٠) سورة العنكبوت آية ٣٨.

(١٨١) سورة الإسراء آية ٥٩.

(١٨٢) سورة هود آية ٦١.

صرفها الكسائي مجرورة في قوله تعالى: ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعدا لثمودٍ﴾. فسألوه عن ذلك فقال: قرئت في الخفض من المجرى، وقبيح أن يجتمع الحرف مرتين في موضعين ثم يختلف، فأجريته لقربه منه.[183] ومن هذا القبيل مصر أيضاً فقد جاءت ممنوعة من الصرف في قوله تعالى[184]: ﴿وقال ادخلوا مصرَ إن شاء الله آمنين﴾. وجاءت مصروفة في قوله تعالى[185]: ﴿اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم﴾. قال سيبويه[186]: «وبلغنا عن المفسرين أن قوله عز وجل: ﴿اهبطوا مصرا﴾ إنما أراد مصر بعينها»، يؤكد ذلك ماذكره الفرّاء في معاني القرآن بأن الأعمش قد قال عندما سئل عنها: «هي مصر التي عليها صالح بن علي[187]». هذا، وقد قرئت بمنع الصرف أيضاً، فقد قرأ الحسن وطلحة والأعمش، وأبان بن تغلب ﴿اهبطوا مصرَ﴾[188]. وقد حاول النحاة إيجاد قاعدة عامة تضبط صرف ومنع صرف أسماء القبائل والأماكن صاغوها على النحو الآتي: «فالصرف في القبائل بتأويل الأب، إن كان اسمه كثقيف، أو الحي. وفي الأماكن بتأويل المكان، والموضع، ونحوهما. وترك الصرف في القبائل بتأويل الأم إن كان في الأصل كخندف، أو القبيلة، وفي الأماكن بتأويل البقعة والبلدة ونحوهما[189]». وهذا يعني أن الصرف ومنعه مبنيان على المعنى. وعليه، فإذا ماوجدنا شيئاً من هذه الأسماء مصروفا وجب علينا أن نحمله على

---

(١٨٣) معاني القرآن/ الفراء ٢/٢٠.

(١٨٤) سورة يوسف آية ٩٩.

(١٨٥) سورة البقرة آية ٦١.

(١٨٦) الكتاب ٣/٢٤٢.

(١٨٧) معاني القرآن/ الفراء ١/٤٣.

(١٨٨) البحر المحيط ١/٢٣٤.

(١٨٩) شرح الكافية ١/١٣٩.

التذكير، وإن كان غير مصروف فعلى التأنيث. وإن أردنا أن نستعمله نحن، ولا نعرف طريقة العرب في استعماله فلنا في ذلك الوجهان، أي الصرف وعدمه[١٩٠].

وواضح تماماً أن النحاة قد وجدت العرب تصرف أسماء القبائل والأماكن تارة، وتمنعها من الصرف تارة أخرى، فكان أن جاؤوا بهذه القاعدة التي وصفها إبراهيم مصطفى بحق بأنها: «تمحّل من النحاة يدل على أنهم رووا هذه الأسماء مصروفة وغير مصروفة، فتكلفوا لها هذه العلة»[١٩١]. ومع ذلك فإن هذه القاعدة التي وضعوها لم تنقد لهم، ولم يطّرد حكمها، فقد جاء اسم القبيلة مقصوداً به التذكير ومع ذلك منع الصرف في قوله:

وهم قريشُ الأكرمون إذا انتموا طابوا فروعا في العلا وعروقا

وقد حاول الرضي تخريج منع الصرف ههنا بطريقة متكلفة، لايخفى ضعفها على أحد قائلاً:[١٩٢] «وربما جعلوا الأب مؤولا بالقبيلة فمنعوه الصرف».

ومن هذا القبيل صرف «سلسبيل» وهو اسم عين في الجنة، أي هو علم مؤنث، قال تعالى:[١٩٣] ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾. وتفاديا للقول بأنها من قبيل صرف مالاينصرف، ذهب بعضهم إلى أنها جملة محكية، مثل: «تأبط شرا» قال الجاحظ:[١٩٤] «وقال آخرون في قوله تعالى: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ قالوا: أخطأ من وصل بعض هذه الكلمة ببعض

(١٩٠) المرجع السابق في المكان نفسه.
(١٩١) احياء النحو ص ١٨٣.
(١٩٢) شرح الكافية ١/ ١٣٩.
(١٩٣) سورة الإنسان آية ١٨.
(١٩٤) الحيوان ١ / ١٨٨.

. قالوا: وإنما هي: سل سبيلا إليها يامحمد». ثم أردف يقول على وجه التعجب والاستنكار: «فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمى؟ وعلى أي شيء وقع قوله تسمى، فتسمى ماذا؟» ، قال أبو حيان:[١٩٥] « وقد نسبوا هذا القول إلى علي كرم الله وجهه، ويجب طرحه من كتب التفسير، وأعجب من ذلك توجيه الزمخشري له واشتغاله بحكايته، وبذكر نسبته إلى علي كرم الله وجهه ورضي عنه». ويرى الفراء أن «سلسبيل» صفة للماء. قال:[١٩٦] «ونرى أنه لو كان اسما للعين لكان ترك االإجراء فيه أكثر. ولم نر أحداً من القراء ترك إجراءها، وهو جائز في العربية».

هذا، ولقد ذكر السهيلي أنه قد وجد في الحديث «عناقا» اسم امرأة مصروفا[١٩٧]. ويروى أن رؤبة بن العجاج كان يقول: رأيت عُمَراً ورأيت يزيداً، بنون فيهما إذا وقف، ويمنعه الصرف وصلا فيقول: رأيت عمرَ قبل، ورأيت يزيدَ قبل[١٩٨]. وشبيه بهذا ماقيل ان حمزة وأبا عمرو بن العلاء قرأا «سلاسلا» أي بالألف وقفا، ولكن بدون تنوين[١٩٩].

وإذا كان رؤبة يصرف في حال ويمنع في حال أخرى، فقد ذكر النحاة أن من العرب من يصرف جميع مالاينصرف، وهذا نقض لكل أحكام منع الصرف، وهد م لها من أساسها. قال الكسائي:[٢٠٠] «يجوز أن تصرف «مصر» وهي معرفة، لأن العرب تصرف كل مالاينصرف في الكلام إلا

(١٩٥) البحر المحيط ٨ / ٣٩٨.

(١٩٦) معاني القرآن / الفراء ٣ / ٢١٧.

(١٩٧) أمالي السهيلي ص ٣٢.

(١٩٨) تذكرة النحاة ص ١٩.

(١٩٩) البحر المحيط ٨ / ٣٩٤.

(٢٠٠) إعراب القرآن / النحاس ١ / ٢٣٢.

«أفعل منك». وقال الأخفش:[٢٠١]«ان صرف مالاينصرف مطلقا أي في الشعر وغيره لغة الشعراء، وذلك أنهم كانوا يضطرون كثيرا لإقامة الوزن إلى صرف مالاينصرف، فتمرن على ذلك ألسنتهم، فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار أيضاً. وقال ابن جني:[٢٠٢] «من العرب من يصرف جميع مالاينصرف فيقول: ضربت أحمداً وكلّمت عُمَراً». وإذا كان هؤلاء النحاة لم يحددوا بالضبط من يصرف من العرب، فإن صاحب الإتحاف قد حددهم قائلاً[٢٠٣] «وهم بنو أسد».

وقد أحسّ النحاة أمام هذا كله بضعف أحكامهم، وقصورها الشديد والمحرج في نفس الوقت، فراحوا يعتذرون عن عدم اطرادها وعن افتقارها إلى عنصر الحسم بأن علل منع الصرف من العلل المجوزة لا الموجبة. قال الرضي:[٢٠٤] «واعلم أولاً أن قول النحاة: إن الشيء الفلاني علّة لكذا، لايريدون أنه موجب له، بل المعنى أنه إذا حصل الشيء، ينبغي أن يختار المتكلم ذلك الحكم،لمناسبة بين ذلك الشيء وذلك الحكم». وهذا يعني بوضوح تام أنه ليس ثمة تلازم بين منع الصرف وهذه العلل التي ذكروها، والدليل على ذلك عندهم أن «حكم غير المنصرف حكم قد يتخلف عن العلّة، بخلاف حكم المعرب... فإنه لايتخلّف عن علّة الاعراب»[٢٠٥] وهذا يعني أيضاً أن هناك تفاوتاً في القوة بين علّة الاعراب، وعلة منع الصرف، فالأولى قوية مطردة، والثانية ضعيفة غير مطردة، وقد أقرّ النحاة بهذه الحقيقة

(٢٠١) شرح الكافية ١ / ١٠٦.
(٢٠٢) سر صناعة الإعراب ٢ / ٤٧٥.
(٢٠٣) تحاف فضلاء البشر ص ٤٢٩.
(٢٠٤) شرح الكافية ١ / ١٠١.
(٢٠٥) المرجع السابق في المكان نفسه.

قائلين: «وأما منع الصرف فسببه ضعيف، إذ هو مشابهة غير ظاهرة بين الاسم والفعل»[٢٠٦].

وفي مقابل هذا كله، فهناك أسماء قد جاءت في كلامهم ممنوعة من الصرف بدون تحقق شروطه، مع أنهم قد نصوا على أنه « ليس شيء يمتنع من الصرف لغير علّة»[٢٠٧] وقالوا أيضاً:[٢٠٨]«ولا يمتنع شيء من الصرف عند البصريين الا بعلتين». وعلى كل، فقد كان ترك صرف المنصرف مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين ضمنها الأنباري كتابه الموسوم بـ «الانصاف في مسائل الخلاف»[٢٠٩]، فقد ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترك صرف المنصرف في ضرورة الشعر، وذهب مذهبهم من البصريين كل من: الأخفش وأبي علي الفارسي وأبي القاسم بن برهان من البصريين. في حين ذهب جمهور البصريين إلى أن ذلك لايجوز[٢١٠].

وقد انتصر الأنباري للكوفيين ومن ذهب مذهبهم، وهذه المسألة من المسائل القليلة جداً التي انتصر فيها للكوفيين، بسبب كثرة مجيء ذلك في كلام العرب، وقد مهّد لتقديم رأيه بتبيان المسوّغ وإبداء التأييد لموقف أولئك الذين ناصروا الكوفيين من البصريين قائلاً:[٢١١] «ولما صحت الرواية عند أبي الحسن الأخفش، وأبي علي الفارسي وأبي القاسم بن برهان من البصريين صاروا إلى جواز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر، واختاروا

(٢٠٦) المرجع السابق ١ / ١٥٣.

(٢٠٧) إعراب القرآن / النحاس ٢ / ٤٢.

(٢٠٨) المرجع السابق ١ / ٢٠٩.

(٢٠٩) المسألة رقم ٧٠ جـ ٢ ص ٢٦٢ – ٢٧٠.

(٢١٠) الانصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٢٦٢.

(٢١١) المرجع السابق ٢ / ٢٦٨.

مذهب الكوفيين على مذهب البصريين، وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين». ثم خلص بعد ذلك إلى تحديد موقفه فقال:[٢١٢]«والذي أذهب إليه في هذه المسألة مذهب الكوفيين لكثرة النقل الذي خرج عن حكم الشذوذ، لالقوته في القياس».

وإذا كان الأنباري قد جعل هذه المسألة يتوزعها رأيا البصرة والكوفة، فإن السيوطي قد ذكر أن هناك أربعة مذاهب في هذه المسألة هي[٢١٣]:

١ - الجواز مطلقاً حتى في الاختيار وعليه ثعلب.

٢ - المنع مطلقاً حتى في الشعر، وعلى ذلك أكثر البصريين وأبو موسى الحامض من الكوفيين. حجتهم في ذلك أنه خروج عن الأصل بخلاف صرف الممنوع من الصرف فإنه رجوع إلى الأصل. قال المبرد[٢١٤]: «... وإن اضطر إلى ترك صرف ماينصرف لم يجز له ذلك، وذلك لأن الضرورة لاتجوّز اللحن، وإنما يجوز فيها أن ترد الشيء إلى ماكان له قبل دخول العلّة».

٣ - الجواز في الشعر، والمنع في الاختيار، وعليه أكثر الكوفيين والأخفش من البصريين واختاره ابن مالك وصححه أبو حيان، وكذلك السيوطي قياسا على عكسه، ولورود السماع بذلك كثيراً.

٤ - يجوز في العلم خاصة، وهذا هو مذهب السهيلي[٢١٥].

ولا شك أن ماذهب إليه الكوفيون هو الصحيح، ذلك أن المعول عليه هو كلام العرب، وقد نصوا هم على ذلك، قال بدر الدين بن

---

(٢١٢) المرجع السابق في المكان نفسه.

(٢١٣) همع الهوامع ١ / ١٢٠ - ١٢١.

(٢١٤) المقتضب ٣ / ٣٥٤.

(٢١٥) خزانة الأدب ١ / ١٤٨.

مالك:[٢١٦] «والحاكم في ذلك: استعمال العرب». واذ قد ثبت ذلك في كلامهم، فلا بد من قبوله والاقرار به «فلا سبيل إلى رد ماثبت عن العرب»[٢١٧]، ولهذا لم يجد الأنباري بدا من الأخذ بقول الكوفيين؛ لأن كلام العرب يؤكد صدق دعواهم، فقد جاء ترك الصرف في النثر حيث لاضرورة، فقد قرأ السبعة باستثناء الكسائي وعاصم: ﴿وقالت اليهود عزيرُ ابن الله﴾[٢١٨]، و «ابن» هنا خبر لاصفة، «لأن الذي أنكر عليهم إنما هو نسبة البنوة إلى الله تعالى»[٢١٩] قال النحاس:[٢٢٠] «وقول من قال: لم يصرف «عزير» لأنه اسم أعجمي خطأ، لأنه عربي مشتق من عزّره». وقرأ ابن محيصن:[٢٢١] ﴿ عالِيَهمُ ثيابُ سندُسٍ خُضْرٌ وإستبرقَ ﴾ دون تنوين، مع أنه اسم جنس نكرة وقد غلّط الزجاج القارئ وخطأه[٢٢٢]، نظرا لكونه نكرة تدخله الألف واللام بقولنا: الإستبرق. وخطّأ منع صرفه الفارسي أيضاً، فقال:[٢٢٣] «فلو امتنع ممتنع من صرفه لكان مخطئاً، تاركا لمذهب العرب ولغتهم فيه». وقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة قائلاً:[٢٢٤]«ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفته العربية وقد أخذ عن أكابر العلماء، ويتطلب لقراءته وجه، وذلك أنه يجعل استفعل من البريق... فاستبرق فعل

---

(٢١٦) شرح الألفية لابن الناظم ص ٦٦١.

(٢١٧) تذكرة النحاة ص ٢٤٥.

(٢١٨) سورة براءة آية ٣٠.

(٢١٩) البحر المحيط ٥ / ٣١.

(٢٢٠) صناعة الكتاب ص ١٩٨.

(٢٢١) سورة الإنسان آية ٢١.

(٢٢٢) معاني القرآن وإعرابه / الزجاج ٥ / ٢٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥ / ١٠٤.

(٢٢٣) المسائل الحلبيات ص ٣٥٥.

(٢٢٤) البحر المحيط ٨ / ٤٠٠.

ماض والضمير فيه عائد على السندس أو على الاخضرار الدال عليه قوله: خضر. وهذا التخريج أولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة». فأبو حيان يجد تخريجا لقراءة ابن محيصن هذه يُخْرِجها ويُخْرِج صاحبها من دائرة اللحن، والخطأ حسب ماتقضي به قواعد اللغة، فما كان إلا أن جعلها فعلاً ماضياً لااسماً، وهذا هو ماقرره سيبويه قديماً بقوله:[٢٢٥] «وترك صرف استبرق يدلك على أنه استفعل». ولكن استبرق «لم تكن الوحيدة التي ترك صرفها، فقد حكى أبو الحسن الأخفش عنهم قولهم: سلامُ عليكم[٢٢٦]»، وعليه، فالنقل يعزز وجهة نظر الكوفيين. «وأما القياس، فانه لما جاز صرف مالاينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس، جاز العكس أيضاً، إذ لافرق بينهما»[٢٢٧].

فإذا ما انتقلنا إلى قطاع الشعر، فإننا نجد أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة، ويكفينا هنا أن نحيل القارئ على كتاب الإنصاف، فقد ذكر الأنباري أمثلة تزيد على العشرين بيتا، ولذا فإننا سنذكر هنا فقط ما وقفنا عليه من أمثلة خارج نطاق الإنصاف فمن ذلك مثلا: ترك صرف حباحب في قول الكميت:

يرى الراؤون بالشفرات منها وقود أبي حباحبَ والظبينا[٢٢٨]

ومن ترك صرف «مؤخر» في قوله:

مُؤَخَّرُ عن أنيابه جلد رأسه فهن كأشباه الزجاج خروج[٢٢٩]

---

(٢٢٥) الكتاب ٣ / ٤٣١.

(٢٢٦) سر صناعة الإعراب ٢ / ٥٤٧.

(٢٢٧) خزانة الأدب ١ / ١٤٩ .

(٢٢٨) شرح الألفية ص ٦٦١.

(٢٢٩) مجالس ثعلب ١ / ١٢٥.

ومن ذلك منع صرف «شعيث» في قول الأسود بن يعفر:

لعمرك ماأدري وان كنت داريا   شعيثُ ابن سهم أم شعيثُ ابن منقر[٢٣٠]

ومن ذلك عدم صرف «تبّع» في قوله:

لعمرك ماتفتا تذكّر خالدا   وقد غاله ماغال، تبّعَ من قبل[٢٣١]

ومنه منع صرف «أناس» في قول الآخر:

إلى ابن أم أناسَ أرحل ناقتي   عمرو لتنجح حاجتي أو تتلف[٢٣٢]

وقد ذكر السهيلي أربعة شواهد أخرى على ترك صرف: وحشيّ وطارق ومجديّ ومرحب[٢٣٣].

ولم يكتف البصريون بغض الطرف عن هذه الأمثلة والشواهد، بل راحوا يثبتون لهذه الأبيات روايات أخرى، كي تكون متفقة مع قواعدهم وأحكامهم، فمن ذلك مثلا: روايتهم لبيت العباس بن مرداس:

فما كان حصن ولا حابس   يفوقان مرداس في مجمع

فقد ذهب المبرد إلى أن الرواية: يفوقان شيخي[٢٣٤] قال ابن مالك يصف جرأة المبرد على ردّ الروايات المشهورة:[٢٣٥]«وللمبرد اقدام في ردّ مالم يرو، مع أن البيت بذكر «مرداس» ثابت بنقل العدل عن العدل في صحيح البخاري ومسلم وذكر (شيخي) لايعرف له سند صحيح ولا سبب يدنيه من

(٢٣٠) المقتضب ٣ / ٢٩٤.
(٢٣١) الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٧٠.
(٢٣٢) صناعة الكتاب ص ٦٩.
(٢٣٣) أمالي السهيلي ص ٢٦ – ٢٧
(٢٣٤) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٢٦٤.
(٢٣٥) خزانة الأدب ١ / ١٤٨.

التسوية، فكيف من الترجيح؟. ولو فرضنا أن الروايتين على نفس المستوى من التوثيق، فإنه لايجوز رد إحدى الروايتين بالأخرى، ذلك أن رواية الثقة لاترد. قال الرضي[٢٣٦]: «والانصاف أن الرواية لو ثبتت عن ثقة لم يجز ردّها، وإن ثبتت عندك رواية أخرى». هذا، ولقد كان المبرد يتهم بالوضع في اللغة، جاء في معجم الأدباء:[٢٣٧] «وقال المفجع البصري: كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها».

وقد فعل البصريون الشيء نفسه في بيت دوسر بن دهبل القريعي[٢٣٨]:

وقائلة مابال دوسرَ بعدنا ... ...

قالوا: الرواية: ماللقريعيّ بعدنا

وكذلك بالنسبة لقوله:

ومصعبُ حين جد الأمر ... ...

بقي أن نقول ان من يتابع أقوال النحاة بشأن الصرف ومنعه يجد تضارباً أحياناً بين أقوالهم، فتارة نجد معياراً واحداً يتخذ علّة لحالتين على طرفي نقيض، وتارة أخرى نجد معيارين على طرفي نقيض يتخذان علّة لحالة واحدة، وأعني بذلك: كثرة الاستعمال وقلتها. فبالنسبة لما حكاه الأخفش «سلامُ عليكم» خرّج ابن جني سقوط التنوين بسبب كثرة الاستعمال[٢٤٠].

(٢٣٦) شرح الكافية ١ / ١٠٧.
(٢٣٧) ١٩ / ١١٢.
(٢٣٨) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٢٦٤.
(٢٣٩) المرجع السابق في المكان نفسه.
(٢٤٠) سر صناعة الاعراب ٢ / ٥٤٧.

وقبله كان الكسائي قد اتخذ المعيار نفسه سبباً لمنع صرف «أشياء» من قوله تعالى: ﴿لاتسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تسؤكم﴾[٢٤١]، فأشياء عنده «أفعال» مثل: فرخ وأفراخ ولكنها منعت من الصرف لكثرة الاستعمال، وتشبيها لها بباب حمراء[٢٤٢]. وفي مقابل ذلك كانت كثرة الاستعمال علّة لصرف «يغوث ويعوق» عند الفراء. وقد أنكر عليه النحاس ذلك قائلاً[٢٤٣]: «وهذا مالايحصل، لأنه ليس إذا كثر الشيء صرف فيه ما لاينصرف». وإذا كانت كثرة الاستعمال قد منعت الصرف عند الكسائي وابن جني في بعض الكلم، فإنه قد نسب إلى الكوفيين أن قلّة الاستعمال كانت هي الأخرى سبباً لمنع الصرف، فبالنسبة لقوله تعالى: ﴿أليس لي مُلكُ مِصرَ﴾[٢٤٤] قالوا: كان حقها أن تصرف، الا أنها منعت من الصرف ههنا لقلتها في الكلام[٢٤٥].

بعد هذا الذي قدمناه عن منع الصرف وأسبابه وبالكيفية التي حددها النحاة، والتي أثبت كلام العرب ضعفها، وعدم صدقها على الواقع اللغوي، نقول: إن منع الصرف لايعود في الحقيقة إلى شيء من هذا الذي ذكروه. لقد جعل النحاة منع الصرف شيئاً ذاتياً، أي عاملا داخليا ينبع من طبيعة الكلم ذاتها، من صيغها ومن فصائلها. وهذا من وجهة نظرنا تصور بعيد، لأن منع الصرف إنما يعرض للكلم من خلال السياق، ذلك أننا لانتكلم كلمات مفردة أو منعزلة، وإنما نتكلم كلاما، أي جملا وفقرات، عبارة عن سلاسل من الوحدات اللغوية آخذا بعضها بحجز بعض مشكلة نسيجاً

---

(٢٤١) سورة المائدة آية ١٠١.

(٢٤٢) انظر لسان العرب ١ / ٩٨ - ٩٩.

(٢٤٣) إعراب القرآن / النحاس ٥ / ٤١.

(٢٤٤) سورة الزخرف آية ٥١.

(٢٤٥) إعراب القرآن / النحاس ٤ / ١١٣.

صوتياً متكاملاً، وكل وحدة من وحدات هذا النسيج يراعى فيها أن تكون منسجمة مع ماقبلها وما بعدها من وحدات، ومراعاة هذه الناحية هي المسؤولة في الواقع عن تقرير أمر الكلمة بالنسبة إلى منع الصرف، لاتلك الأسباب المعروفة تقليدياً بموانع الصرف. قال الدكتور السامرائي:[٢٤٦] «ويبدو لنا أن العلل التي وضعوها للمنع من الصرف لم تكن بالدليل القاطع». ولما لم تكن هذه العلل دليلاً قاطعاً وسبباً مقنعاً لمنع الصرف، أرجع الباحثون المحدثون منع الصرف إلى أسباب موسيقية صرفة[٢٤٧]. قال الدكتور السامرائي:[٢٤٨]« وعندي أن مسألة المنع من الصرف مسألة راجعة إلى صورة الكلمة والناحية الموسيقية فيها».

ولكن لما كانت الناحية الموسيقية في الكلم إنما يقررها وجود الكلمة في سياق معين فإننا نرجع منع الصرف إلى سبب أعم هو السياق، إن السياق هو سيّد الموقف. فهو في الحقيقة الذي يجعل الشاعر أو المتكلم يؤثر أحياناً منع صرف الكلمة على صرفها طلبا للخفة اللفظية، فلا شك في أن حذف التنوين خفة، والمجيء بالفتحة بدل الكسرة خفة أخرى، فالخفة اللفظية التي تتحقق بمنع الصرف إذاً خفة مزدوجة، وقد تكون الخفة اللفظية مطلوبة لذاتها، وقد تكون مطلوبة لتحقيق انسجام أو وقع موسيقي محبب إلى النفس.

ونود أن نوضّح بادئ ذي بدء أن منع الصرف لأجل الخفة اللفظية، أو خدمة الناحية الموسيقية قد يكون استحسانياً، أي شيئاً اختيارياً، بيد أنه قد يكون في بعض الأحيان إجبارياً، يمليه السياق إملاء، كما سنبين لاحقا. وأيا

(٢٤٦) فقه اللغة المقارن ص ١٣٣.

(٢٤٧) أثر القراءات القرآنية ص ١٦٦.

(٢٤٨) فقه اللغة المقارن ص ١٣٢.

كانت طبيعة منع الصرف؛ اختيارية أو إجبارية فإنه لايرجع إلى أمور تتعلق بشكل الكلمة أو فصيلتها، وإنما يعود إلى أمور خارجية، إلى السياق.

وعليه فلا يزيد منع الصرف بوصفه تطويراً للاعراب الثلاثي القديم الموروث، على كونه عملية زخرفة وتنميق، فهو من الكماليات من الناحية اللغوية، حديث العهد نسبيا .«ومما يدل على حداثته أن كل الأسماء غير المنصرفة يمكن انصرافها في الشعر، والشعر كثيراً مايحافظ على القديم بخلاف الحديث»[٢٤٩]. ولعل خير مايستأنس به في هذا المقام من كون منع الصرف تطويراً للاعراب الثلاثي غايته تحقيق الخفة اللفظية والانسجام والتجانس بين الكلم– اسقاط التنوين من العلم الموصوف بـ «ابن أو ابنة» فقد جاء في كتاب الهوامل والعوامل لابن فضّال المجاشعي أن مثل: جاء زيد ابن عمرو. فيه لغتان:[٢٥٠] فالتميميون يثبتون التنوين في الأول، ويثبتون ألف الوصل في كلمة «ابن أو ابنة» فيقولون: زيدٌ ابن عمرو، وعلى هذه اللغة جاء قول الأغلب العجلي:

جارية من قيسٍ[٢٥١] ابن ثعلبة

ومثله قول الحطيئة:

إلاّ يكن مال يثاب فإنه سيأتي ثنائي زيداً ابنَ مهلهل[٢٥٢]

---

(٢٤٩) التطور النحوي للغة العربية ص ١١٨.

(٢٥٠) تذكرة النحاة ص ٤٣١.

(٢٥١) قال الرضي في شرح الكافية (١٩٧٨، ١ / ٣٧٢) : «والعلم المتصف بابن وابنة الجامع للشرائط – يعني بذلك كون الأول علما موصوفا بابن أو ابنة، والوصف متصلا بالموصوف ومضافا إلى علم آخر– في غير النداء، يخفّف بحذف ألف «ابن» خطا. نحو: جاءني زيد بن عمرو. وقوله: جارية من قيس ابن ثعلبة. شاذ». وحكمه على هذا البيت بالشذوذ انما هو على أساس لهجة الحجازيين فقط.

(٢٥٢) الخصائص ٢ / ٢٩١.

والحجازيون يحذفون التنوين والألف فيقولون: زيدُ بنُ عمرو. ولاشك في أن لهجة الحجازيين بفضل ماتوافر لها من عناصر الاحتكاك الداخلي والخارجي تعد تطويراً للأصل الذي احتفظ به بنو تميم. ولو قلنا: «جاء زيد مسرعاً، لوجب التنوين عند الطرفين، ولكن مجيء «زيد» في سياق مثل: جاء زيد بن عمرو، هو الذي جعل الحجازيين يعمدون إلى حذف التنوين وهمزة الوصل طلبا للخفة اللفظية.

هذا، ولقد تقدم قول الأخفش: «ان صرف مالاينصرف مطلقاً أي في الشعر وغيره لغة الشعراء، وذلك أنهم كانوا يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف مالاينصرف، فتمرن على ذلك ألسنتهم، فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار أيضاً[٢٥٣]». ويظهر لنا أن العكس هو الصحيح، فالضرورات لاتبيح ماهو مباح، وإنما تبيح ماهو غير مباح، والصرف أصل في الأسماء، ومن ثم فليس «للسائل أن يسأل: لم انصرف الاسم؟ فإنما المسألة عن ما لم ينصرف: ماالمانع له من الصرف؟ وما الذي أزاله عن منهاج ماهو اسم مثله، إذ كانا في الاسمية سواء»[٢٥٤].

فالصرف في الأسماء هو الأصل، ولكن قد يستدعي السياق أحياناً الخروج عن هذا الأصل طلبا للخفة اللفظية، أو خدمة لناحية موسيقية. ونعتقد أن منع الصرف في معظم الكلم إنما كان في الأصل من مقتضيات الشعر، وزناً وإيقاعاً، فكان أن أكثر الشعراء منه حتى مرنت عليه ألسنتهم، فأخذوا يستعملونه في اختيار الكلام، ثم قلدهم الناس في ذلك، فالشعراء ملوك الكلام، يدعون فيه ويتصرفون، وللشعر من التأثير في الناس ماليس

---

(٢٥٣) شرح الكافية ١ / ١٠٦.

(٢٥٤) المقتضب ٣ / ٣٠٩.

للنثر، وذلك لأن انتشاره بين الناس أسرع، وهو إلى النفوس أقرب وبها أعلق. ومع تكرر لجوء الشعراء إلى منع صرف بعض المفردات، أصبح منع صرفها عادة لغوية، انتقلت عدواها من الشعر إلى النثر.

ومنع الصرف- كما بينا سابقاً- يكون جائزا وقد يكون واجباً أحياناً، فمن النوع الأول، أي الاختياري كل الآيات القرآنية الكريمة التي مثلنا بها سابقاً، فقد قرئت الكلمات المعنية فيها كلها بالصرف وبمنع الصرف. ولاشك في أن منع الصرف بإسقاط التنوين في النثر مبعثه طلب الخفة اللفظية حيثما وقع، فمما لايختلف فيه اثنان- على مانعتقد- أن اسقاط التنوين من «أحد» من قوله تعالى ﴿قل هو الله أحدُ الله الصمد﴾ في قراءة من قرأ بدون التنوين قد حقّق خفّة لفظية ملموسة، وهذه هي قراءة أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي اسحاق وغيرهم[٢٥٥]. ومن هذا القبيل أيضاً قراءة عمارة بن عقيل ﴿ولا الليل سابقُ النهارَ﴾ بإسقاط التنوين من «سابق» وإعماله. قال النحاس:[٢٥٦] «حدثنا محمد بن الوليد وعلي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال: سمعت عمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ ﴿ولا الليل سابقُ النهار﴾، فقلت: ماهذا؟ قال: أردت سابقٌ النهار «فحذفت التنوين لأنه أخف».

وقد أجاز النحاة قياساً على ذلك أن يقرأ «جامع» من قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامعُ الناسَ﴾ بحذف التنوين تخفيفا وبالنصب أي «جامعُ الناسَ[٢٥٧] »ويبدو أن إسقاط التنوين في مثل هذه الأمثلة مقيس عند عيسى

---

(٢٥٥) البحر المحيط ٨ / ٥٢٨.

(٢٥٦) اعراب القرآن / النحاس / ٣٩٥.

(٢٥٧) المرجع السابق ١ / ٢٥٨.

ابن عمر، قال الأخفش:[٢٥٨]« وزعموا أن عيسى بن عمر كان يجيز:

فألفيته غيرَ مُستعتبٍ ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليلا».

هذا، وان حذف التنوين أسهل في الحقيقة من حذف نون جمع المذكر السالم، وذلك كقراءة ابن أبي اسحاق والحسن وأبي عمرو في رواية: ﴿والمقيمي الصلاةَ﴾ بالنصب[٢٥٩] . وقد قرأ يحيى بن وثاب﴿انا كاشفو العذابَ[٢٦٠]﴾. قال النحاس[٢٦١]: « ومن يحذف النون لالتقاء الساكنين نصب العذاب»، وقد أجازوا ذلك أيضاً في كلمة «العذاب» من قوله تعالى ﴿انكم لذائقو العذابَ الأليم﴾ أي بنصب العذاب[٢٦٢] وقال الأخفش:[٢٦٣] «وزعموا أن بعض العرب قال: «واعلموا أنكم غير معجزي اللهَ» وهو أبو السمال، وكان فصيحاً».

ونظير ذلك في الشعر العربي قول عمرو بن امرئ القيس الخزرجي:

الحافظو عورةَ العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نطف[٢٦٤]

وقول الأعشى:

المطعمو اللّحمَ إذا ماشتوا والجاعلو القوتَ على الياسر[٢٦٥]

ففي هذه الأمثلة النثرية والشعرية حذفت النون جوازا للتخفيف.

---

(٢٥٨) معاني القرآن / الأخفش ١ / ٨٦.

(٢٥٩) البحر المحيط ٦ / ٣٦٩.

(٢٦٠) مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٧.

(٢٦١) اعراب القرآن / النحاس ٤ / ١٢٧.

(٢٦٢) المرجع السابق ٣ / ٤١٨.

(٢٦٣) معاني القرآن / الأخفش ١ / ٨٦.

(٢٦٤) الكتاب ١ / ١٨٦.

(٢٦٥) ديوان الأعشى ص ١٨١.

وحذف نون المثنى والجمع لغير إضافة جائز مطلقا عند الكوفيين، فقد جوز الكسائي ذلك في السعة، فيجوز عنده، قام الزيدا، بغير نون. قال أبو حيان:[٢٦٦] «ويشهد له ماسمع: بيضك ثنتا، وبيضي مائتا، أي ثنتان ومائتان». وقال الفراء:[٢٦٧] «وإنما جاز النصب مع حذف النون؛ لأن العرب لاتقول في الواحد إلاّ بالنصب، فيقولون: هو الآخذ حقَّه. فينصبون الحق». لايقولون الا ذلك والنون مفقودة، فبنوا الاثنين والجمع على الواحد، فنصبوا بحذف النون». وعليه، فإذا جاز هذا في النون، فأن يجوز ذلك في التنوين الذي هو علامة الصرف من باب أولى.

وعليه فإننا نعد كل ماورد في الشعر من أمثلة منع الصرف. من النوع الجائز في اللغة لأجل الخفة اللفظية، وذلك مثل قوله:

وهم قريشُ الأكرمون إذا انتموا طابوا فروعا في العلا وعروقا[٢٦٨]

وقوله:

ولسنا إذا عدّ الحصا بأقلّه وانّ معدَّ اليوم مودٍ ذليلها[٢٦٩]

وقوله:

وقائلة مابال دوسرَ بعدنا صحا قلبه عن آلَ ليلى وعن هند[٢٧٠]

وقوله:

---

(٢٦٦) همع الهوامع ١ / ١٦٩.

(٢٦٧) معاني القرآن / الفراء ٢ / ٢٢٦.

(٢٦٨) شرح الكافية ١ / ١٤٠.

(٢٦٩) الانصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٢٦٥.

(٢٧٠) المرجع السابق ٢ / ٢٦٤.

ومصعبُ حين جد الأمـ ـر أكثرها وأطيبها[٢٧١]

فهذه وأمثالها لايزيد منع الصرف فيها على كونه لأجل الخفة اللفظية. ولكن قد يعترض معترض: بأن التنوين في هذه الأسماء يؤدي إلى كسر في البيت، وعليه يكون المنع ههنا لأجل الضرورة الشعرية، وليس لطلب الخفة اللفظية كما زعمنا. ونرد على هذا بأن كل ماهو ضرورة شعرية لاينبغي أن يفهم منه أنه الإلجاء إلى الشيء، وأنه لامندوحة عنه، وإنما ينبغي حمله على أنه أسلوب جائز في الشعر فحسب. قال أبو حيان:[٢٧٢] «وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر المختصة به... ولا يعني النحويون بالضرورة: أنه لامندوحة عن النطق بهذا اللفظ، وإنما يعنون ماذكرناه، وإلاّ كان لاتوجد ضرورة، لأنه مامن لفظ إلاّ ويمكن الشاعر أن يغيره». والدليل على ذلك بيت الأعشى الذي مرّ ذكره، وهو:

المطعمو اللحمّ إذا ماشتوا ... ...

فإسقاط النون من اسم الفاعل واعماله ليس ضرورة بمعنى أنه لامندوحة عنه، وإنما ذلك جائز لأجل الخفة اللفظية، والدليل على ذلك اجتماع النون و «ال» في رواية أخرى للبيت هي:

المطعمون الضيفَ لّما شتوا والجاعلو القوتَ على الياسر[٢٧٣]

ولهذا فإننا نجد اللغويين والنحاة يسلكون منع الصرف الواقع في الشعر في النوع الجائز لأجل الخفة اللفظية، فبصدد اسقاط التنوين من «صالح» من قوله:

---

(٢٧١) المرجع السابق ٢ / ٢٦٤.

(٢٧٢) الاشباه والنظائر ٢ / ٢٠٠.

(٢٧٣) تذكرة النحاة ص ٦٢٩.

أيجعل صالحُ الغنويّ دوني   فذحلي دون ذحلك في الرجال

قال القزاز القيرواني:[٢٧٤] «فلم ينون صالحا وحقه أن يكون منوناً، وإنما حذفه لالتقاء الساكنين؛ وهما التنوين واللام من الغنوي». ثم هذا أبو حيان يجعل اسقاط التنوين من الأسماء في مثل هذه الحالة كاسقاطه منها في النثر، فبصدد اسقاط التنوين من «أحد» من قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحدُ الله الصمد﴾ عند من يسقطه من القراء، قال:[٢٧٥] «وهو موجود في كلام العرب، وأكثر مايوجد في الشعر نحو قوله: ولا ذاكرِ الله الا قليلا، ونحو قوله: عمرو الذي هشم الشريد لقومه». وقال ابن هشام:[٢٧٦] «ويحذف – أي التنوين– لالتقاء الساكنين قليلا كقوله:

فألفيته غير مستعتب   ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا».

فالضرورة الشعرية إذاً لاينبغي لنا أن ننظر إليها وكأنها قانون صوتي لامفرّ منه؛ لأن الصحيح «أن الضرورة الشعرية ماوقع في الشعر سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا»[٢٧٧]. فما يسمى بالضرورات الشعرية إذاً ماهي إلاّ خيارات يتيحها بناء اللغة، وقد تكون مظهراً من مظاهر فصاحة الشاعر وبلاغته، قال ابن جني:[٢٧٨] «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ماجشمه منه، وان دلّ من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله، وتخمطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره

(٢٧٤) ضرائر الشعر ص ١٦٥.

(٢٧٥) البحر المحيط ٨ / ٥٢٨.

(٢٧٦) مغني اللبيب ٢ / ٧١٦.

(٢٧٧) خزانة الأدب ١ / ٤٦.

(٢٧٨) الخصائص ٢ / ٣٩٢.

الوجه الناطق بفصاحته».

وإذا كانت كل حالات منع الصرف السابق ذكرها من النوع الجائز لأجل الخفة اللفظية، فإن هناك حالات من منع الصرف لا تخرج عن كونها تحقيقا للخفة اللفظية أيضاً، إلاّ أنها من النوع الذي يمليه السياق إملاء، أي هي من النوع الواجب لا الجائز، وسأمثل لذلك بمثالين اثنين:

الأول : منع صرف كلمة «أشياء» في قوله تعالى: ﴿لاتسألوا عن أشياءَ إن تبد لكم تسؤكم﴾. ولقد تكلمت على منع صرفها بشكل مستفيض في مكان آخر، فلينظر هناك[٢٧٩]. حيث بينت أن منع صرفها راجع إلى علّة صوتية صرفة لحمتها وسداها المخالفة بين المقاطع المتماثلة المتتابعة، ذلك أن جرّ «أشياء» سيؤدي إلى «أشياءِنْ إِنْ»، لأن الهمزة المنونة تنوين كسر هي صوتيا نفس «إنْ». فخولف بين صوامتهما بحذف التنوين من أشياء أولاً، ثم أعقب ذلك المخالفة بين الحركات باستبدال الفتحة بكسرة الهمزة في آخر أشياء. وأضيف إلى ماقلته بشأنها أن النحاة إنما تكلفوا ما تكلفوه بشأن تعليل منع

---

(٢٧٩) كنت قد ذهبت إلى هذا التفسير في رسالة الماجستير (الالحاق في اللغة العربية. القاهرة، جامعة عين شمس ١٩٧٨ رسالة لم تنشر ص ١٧١) وكنت أعتقد وقتها أني أول من تنبه إلى هذا التفسير. وبعد شهر من مناقشة الرسالة وقفت على كتاب الدكتور عفيف دمشقية (١٩٧٨ ص ١٥٤) فوجدته يقول بشأن «أشياء» نفس ماقلته تقريباً، في عام ١٩٨١م أهداني أستاذي الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب مستلّة لمقال له من كتاب الموسم الثقافي لجامعة الرياض، المجلد الثاني ١٩٧٤م بعنوان «التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس» فوجدته أيضاً يقول نفس ماقلته وما قاله الدكتور دمشقية.انظر المستلّة ص ١٩. وعليه يكون الدكتور رمضان عبد التواب هو- في مبلغ علمي- أول من تنبه إلى هذا التفسير، ولا أدري ما إذا كان الدكتور دمشقية قد اطلع على مقال الدكتور رمضان عبد التواب آنف الذكر أم لا. هذا ولقد تحدثت عن قضية منع صرف أشياء بشكل مستفيض في رسالتي للدكتوراه. انظر (الشايب ١٩٨٣، ص ٣١٩).

صرفها لأنهم وجدوها نكرة ممنوعة من الصرف، ومن المسلمات عندهم أنه ليس شيء يمتنع من الصرف لغير علّة. ولا يمتنع شيء من الصرف عند البصريين إلاّ بعلتين. قال ابن جني:[٢٨٠] «اعلم أنه إنما ذهب الخليل وأبو الحسن في «أشياء» إلى ماذهبا إليه، وتركا أن يحملاها على ظاهر لفظها فيقولا: إنها «أفعال»، لأنهما رأياها نكرة غير مصروفة». ومن ثم اضطروا إلى إيجاد سبب لمنع صرفها فتأولوا واختلفوا».

والذي نريد أن نوضحه هنا، أن هذا السياق الصوتي الذي ترفضه العربية لما يسببه من ثقل وإجهاد بسبب تكرير مقاطع متماثلة، والذي منعت لأجله كلمة «أشياء» من الصرف، ليس خاصاً بكلمة أشياء وحدها، بل ان أية كلمة مشابهة لأشياء، أي كل كلمة كانت على وزن «أفعال» ومهموزة اللام يجري عليها مايجري على أشياء، أعني بذلك أنه لو وقع مكان «أشياء» في سياق كهذا كلمة أخرى مشابهة مثل: أجزاء أو أنحاء أو أسماء... لوجب منع صرفها هي الأخرى للعلّة ذاتها التي منعت لأجلها «أشياء»، ألا وهي تتابع المقاطع المتماثلة. والدليل على ذلك، أي على أن «أشياء» إنما منعت من الصرف للعلّة الصوتية التي بيناها، أنها قد جاءت مصروفة في كلام العرب عندما لم تقع في مثل هذا السياق، فمن ذلك قول أخي صخر الغي؛ الأعلم حبيب بن عبد الله:

جزى الله حبشيا بما قال أبؤسا   بما رام أشياءً بنا لانرومها[٢٨١]

ومن ذلك قول بشار أيضاً:

أما الحياة فكل الناس يحفظها   وفي المعيشة أشياءٌ مناكير[٢٨٢]

---

(٢٨٠) المنصف ٢ / ٩٤.

(٢٨١) شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٢٧.

(٢٨٢) الحيوان ٧ / ٥٥١.

وقد ورد هذا البيت في ديوان بشار ضمن الأبيات الملحقة بالديوان. وروايته في الديوان هي:

أما الجياد فكل الناس يحفظها وفي المعيشة أشياءٌ مناكير[٢٨٣]

ويبدو أن «الجياد» محرفة عن الحياة، ذلك أنه لايوجد ارتباط أو وجه اتصال بين المصراع الثاني والأول[٢٨٤]،ومما يعزز ذلك أن هذا البيت قد ورد في ديوان آخر لجامع آخر لشعر بشار بـ «الحياة»مكان «الجياد» و «أبلاء» مكان أشياء، وذلك على النحو التالي:

أما الحياة فكل الناس يحفظها وفي المعيشة أبلاءٌ مناكير[٢٨٥]

وقد يعترض معترض بأن هذا البيت لايصلح أن يكون دليلاً على صرف «أشياء»؛ لاستقامة الوزن مع منع الصرف من جهة، ولمجيء «أبلاء» مكان أشياء من جهة أخرى، ولكن هذا الاعتراض يدفع بأن الأصل في التفعيلة إذا كان متأتياً مع صحة الوزن فهو أولى، ومنع صرف «أشياء» يؤدي إلى وجود زحاف الطي[٢٨٦]، وعدم وجود زحاف أولى، وفضلاً عن ذلك فإن كلمة «أشياء» أو بديلتها «أبلاء» قد جاءت كل واحدة منهما منونة ولم يشر أي مرجع من المراجع التي وردت فيه هذه الأبيات إلى أن هناك احتمالاً بكون الكلمة ممنوعة من الصرف. أما ورود «أبلاء» مكان «أشياء» فلا يقدح في صحة صرف «أشياء» لثبوت صرفها في الروايات الأخرى لهذا

---

(٢٨٣) ديوان بشار بن برد ٧٣/٤.

(٢٨٤) انظر المرجع السابق الهامش رقم ١.

(٢٨٥) ديوان بشار ص ١٠٨.

(٢٨٦) من زحافات البسيط حذف الرابع الساكن من مستفعلن فيبقى مستعلن الذي ينقل إلى «مفتعلن». ويسمى هذا زحاف الطي.

البيت. وأغلب الظن أن «أشياء» هي الرواية الصحيحة إذ قد وردت في مرجعين في حين لم ترد «أبلاء» إلا في مرجع واحد، ولعلها أبدلت عند بعض الرواة من «أشياء» استنكاراً منهم لمجيء «أشياء» مصروفة. وعلى كل فليس هذان هما الموطنين الوحيدين اللذين جاءت فيهما كلمة «أشياء» مصروفة، فقد جاءت مصروفة كذلك في قول أبي قيس بن الأسلت:

أرب الناس أشياءٌ[٢٨٧] أُلّت يلفّ الصعب منها بالذلول[٢٨٨]

وصرفت أيضاً في قول قيس بن الخطيم:[٢٨٩]

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية أشياءٍ جعلت ازاءها[٢٩٠]

ويبدو أنه عزّ على الرواة مجيء كلمة «أشياء» مصروفة في هذا البيت فكان أن أثبتوا له روايات أخرى لاتتعارض مع قواعد النحو ونواميسه، منها: «ولاية أشياخ» ، و «وصيّة أشياخ» ، و «وصيّة أقوام». وقد ذكرها جميعها محقق الديوان، وبين مظانها[٢٩١] (*).

ومعلوم أنه إذا ماتعددت الروايات للبيت الواحد من الشعر تكون رواية الديوان هي الرواية الوثقى، ومن ثم الجديرة بالقبول، ولا سيما أن محقق الديوان قد اعتمد في تحقيقه على أربع مخطوطات، بالاضافة إلى

---

(٢٨٧) ضبطت هذه الكلمة هكذا «أشياءُ» غير منونة، وعدم التنوين يؤدي إلى كسر واضح في البيت، والذي يبدو لي أن المحققين ضبطوها بهذا الشكل تحت تأثير أقوال النحاة، من أن هذه الكلمة ممنوعة من الصرف، فكان أن منعوها الصرف في مكان يجب صرفها فيه.

(٢٨٨) السيرة النبوية ١ / ٤٣٨.

(٢٨٩) ديوان قيس بن الخطيم ص ٥.

(٢٩٠) أنا مدين بهذا البيت لتلميذي النجيب: خلدون الهيجاوي.

(٢٩١) انظر ديوان قيس بن الخطيم ص ٥ هامش رقم ٣.

[(*) المعنى يقتضي إيثار رواية «أشياخ» على رواية «أشياء» ورواية «أشياء» تفسد المعنى./المجلة]

الطبعة الأوربية لهذا الديوان[٢٩٢]، ولم يذكر المحقق أنه قد ورد مكان «أشياء» كلمة أخرى في أي من هذه النسخ التي اعتمد عليها في تحقيقه. ومن ثم فإننا نميل إلى الاعتقاد، بل نكاد نجزم بأن رواية الديوان هي الصحيحة، وأن هذه الروايات المتعددة تنتظم مع رواية «أبلاء» مكان «أشياء» في بيت بشار بن برد، ورواية المبرد لبيت العباس بن مرداس: يفوقان شيخي... تنتظم كلها في سلك واحد، وتخرج من مشكاة واحدة، فالتغيير والتحريف في الروايات مبعثه واحد، هو إنكارهم مجيء بعض المفردات مناقضة في استعمالها لما تقضي به أحكام النحو ونواميسه، وليس أدلّ على ذلك من قول ابن مقبل:[٢٩٣] «إني لأرسل البيوت عوجا فتأتي الرواة بها قد أقامتها». فكيف إذا كان العوج– من وجهة نظرهم– نحويا؟ إن التغيير والتحريف في الروايات يعكس اعتدادهم بقواعدهم وتمسكهم الشديد بأحكامها ولو كان ذلك على حساب الواقع اللغوي. وهذا هو نفسه الذي حدا بمحققي السيرة النبوية إلى ضبط كلمة «أشياء» في بيت أبي قيس بن الأسلت بدون تنوين كما نوّهنا بذلك سابقاً[٢٩٤].

وعليه فأشياء مصروفة، ولكن قد يعرض لها مايمنع صرفها لعلة صوتية كما في الآية الكريمة، أو لإقامة الوزن، وذلك كقوله:

فما أشياءُ نشريها بمال فإن نفقت فأكسد ماتكون[٢٩٥]

فالبيت من الوافر، ولو نونت كلمة «أشياء» لانكسر البيت، لذا جاءت غير منونة.

---

(٢٩٢) انظر ديوان قيس بن الخطيم (الدراسة ص ١٥ – ٢٠).

(٢٩٣) مجالس ثعلب ٢ / ٤١٣.

(٢٩٤) انظر الهامش رقم ٢٨٧.

(٢٩٥) لسان العرب ١٢ / ٢٣٥.

الثاني : والموضع الثاني الذي يفرض فيه السياق منع الصرف فرضا هو «أفعل من».

ففي الوقت الذي أجاز فيه الكوفيون صرف مالا ينصرف للضرورة الشعرية مطلقا، نجدهم قد استثنوا من هذا الحكم «أفعل من»[٢٩٦]. فهذا مما لايجوز صرفه بحال من الأحوال. وقد خالفهم البصريون في ذلك، فأجازوا صرفه في الضرورة الشعرية، وعليه فقد كان صرف «أفعل من» من جملة مسائل الخلاف فيما بينهم، والتي ضمنها الأنباري كتابه المشهور: «الانصاف في مسائل الخلاف»[٢٩٧].

ان صرف كل مالاينصرف جائز في الضرورة الشعرية عند البصريين، وهو قضية مسلم بها ومقطوع بصحتها عندهم، فلا تحتاج إلى نقاش، ولقد بتّ بالحكم فيها سيبويه قائلا:[٢٩٨] «واعلم أنه يجوز في الشعر مالايجوز في الكلام من صرف مالاينصرف». ولقد حذا حذوه ابن السراج فقال هو الآخر:[٢٩٩] «وللشاعر إذا اضطر أن يصرف جميع مالاينصرف».

وقد احتج الكوفيون لوجهة نظرهم بلزوم «من». ومنهم من ذهب إلى أن «من» مع مجرورها تقوم مقام الاضافة، ولايجوز الجمع بين التنوين والاضافة، فكذلك بينه وبين مايقوم مقام الاضافة. أما البصريون فقد عوّلوا في تجويزهم صرف «أفعل من» في الضرورة على القياس، لاعلى النقل عن العرب، قائلين ان «أفعل من» اسم، والأصل في الأسماء كلها الصرف، وإنما يمنع بعضها من الصرف لأسباب عارضة، فإذا اضطر الشاعر، ردها إلى

(٢٩٦) شرح الكافية ١ / ١٠٧.
(٢٩٧) الانصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم ٦٩ ص ٢٥٩ - ٢٦٢.
(٢٩٨) الكتاب ١ / ٢٦.
(٢٩٩) الاصول في النحو ٢ / ٧٩.

الأصل، ثم ردّوا على الكوفيين قائلين:[٣٠٠] «إذا جاز عندكم في ضرورة الشعر ترك صرف ماأصله الصرف– وهو عدول عن الأصل إلى غير أصل– فكيف لايجوز صرف ماأصله الصرف، وهو رجوع عن غير أصل إلى أصل. وهل منع ذلك إلاّ رفض القياس، وبناء على غير أساس». وقد انتصر الأنباري في هذه المسألة للبصريين على جري عادته في معظم مسائل الخلاف.

ولاشك في أن وجهة نظر البصريين باطلة، وحجتهم داحضة. فالتعويل على القياس وحده لايجدي، وقد نص المحققون قائلين:[٣٠١] «والأحكام اللغوية لاتثبت بقياس، وإنما تثبت بالنقل ثم تعلل، فالصواب أن ينظر إلى الواقع». وقالوا أيضاً:[٣٠٢] «لايصح اثبات الأحكام اللغوية بمجرد المعاني المعقولات، لأنه يكون اثبات اللغة بالقياس، بل لابد من اثبات ذلك عن العرب». وقال أبو حيان:[٣٠٣] «وليس اللغة كلها تؤخذ بالقياس».

وإذا كانت وجهة نظر البصريين باطلة، ومن ثم مردودة، كانت وجهة نظر الكوفيين هي الصحيحة، وهو أن منع صرف «أفعل من» إنما كان لأجل «من» وإن لم يكن بنفس الطريقة التي وصفوها. أما اعتراض البصرين والمبرد[٣٠٤] من بينهم على وجه الخصوص من أنه «لو كانت «من» المانعة لصرفه لوجب أن لاتقول: مررت بخير منك وشر من عمرو»، فمردود، لأن الكلام على «أفعل من» وليس على «فعل من» هذا من ناحية، ومن ناحية

(٣٠٠) الانصاف في مسائل الخلاف ص ٢٥٩. وانظر همع الهوامع ١ / ١١٩.

(٣٠١) الأمالي النحوية ٣ / ١٥.

(٣٠٢) المرجع السابق ٣ / ٨١.

(٣٠٣) تذكرة النحاة ص ٤٥٨.

(٣٠٤) اعراب القرآن / النحاس ٤ / ٤٤.

ثانية، فإن ملازمة «من» لـ «أفعل» هي المشهورة في العرف والاستعمال وليس لـ «فَعْل». وإذا كانت كل من «خير» و «شر» قد صرفت في خير منك وشر من عمر، فهل يجيز البصريون أنفسهم صرف أخير منك وأشرّ من عمرو؟ وقد جاء هذا الأصل[٣٠٥] في كلام العرب.

ونقول ان منع صرف «أفعل من» إنما كان لأجل وجود «من» كما قال الكوفيون، ولكن ليس لأجل «من» في حد ذاتها كما وصفوا، وإنما المانع من ذلك هو السياق، فوجود «من» أدّى في بعض أمثلة «أفعل من» إلى سياق صوتي مرغوب عنه عربيا بسبب تتابع الأمثال، فلو أخذنا على سبيل المثال «أكرم من» أو «أرحم من»... أي «أفعل» الذي لامه «ميم»، وأدخلنا عليه حرف جرّ، لأصبح بالجر والتنوين بأكرمّن وبأرحمّن بادغام التنوين في الميم، أو بأكرمٍ مِنْ بدون ادغام، ففي الحالة الأولى، أي بالادغام سيتتابع صوتان متماثلان، قصير فطويل، وثلاثة أصوات متماثلة من ناحية وظيفية، وذلك لأن الصامت الطويل (المشدد) يقوم بوظيفة صامتين قصيرين، ولا يخفى مافي ذلك من الثقل، فالذي يحصل هنا هو اختزال الصامت الطويل (أي تقصيره)، ومن ثم يصبح السياق «بأكرمِ مِن» فيخالف بين الحركتين هذه المرة بسبب كراهة تتابع الأمثال عن طريق استبدال الفتحة بالكسرة الأولى فيصبح السياق في النهاية «بأكرمَ مِن».

أما بدون ادغام أي «أكرمن من» فالذي يحدث هنا شبيه تماما بما حدث لـ «أشياء» في قوله تعالى: ﴿لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ أي يتتابع مقطعان متماثلان في صوامتهما وحركاتهما. وهذا أيضاً سياق مكروه ومرفوض عربياً لثقله، فالذي يحصل أولاً هو مخالفة بين الصوامت بحذف التنوين، فيصبح السياق «بأكرمِ مِن» وبعد المخالفة بين الصوامت تحدث

(٣٠٥) انظر لسان العرب ٥ / ٣٤٩ (خير).

مخالفة بين الحركات المتماثلة باستبدال الفتحة بكسرة الميم الأولى، فنحصل في النهاية على «بأكرمَ مِن» فتتابع الأمثال، صوامت كانت أم حركات، مكروه عربياً، قال الدكتور تمام حسان:[٣٠٦] «من الواضح أن النظام اللغوي والاستعمال السياقي جميعا يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين، أو بعبارة أخرى يحرصان على التخالف وبكرهان التنافر والتماثل». وليس أدل على ذلك من حال كل من اسم الاستفهام «مَنْ» وحرف الجر «مِنْ»، فنونهما تبقى ساكنة إذا جاء بعدها متحرك مثل: مَنْ هناك؟ ومِنْ هناك. ولكن إذا جاء بعدها ساكن حرّكت نون الأولى بالكسر، ونون الثانية بالفتح هكذا مَنِ الرجل؟ ومِنَ الرجل. هذا إذا وليها «ال». أما إذا جاء بعد «من» ساكن غير «ال»، «فكسره قوم على القياس، وهي أكثر في كلامهم، وهي الجيدة، ولم يكسروا في ألف اللام، لأنها مع ألف اللام أكثر، لأن الألف واللام كثيرة في الكلام، تدخل في كل اسم، ففتحوا استخفافا، فصار «مِنِ الله» بمنزلة الشاذ، وذلك قولك: مِنِ ابنك، ومِنِ امرئ. وقد فتح قوم فصحاء، فقالوا: مِنَ ابنك، فأجروها مجرى مِنَ المسلمين»[٣٠٧].

ومثل نون «من» نون «عن» فإنها تحرك بالكسر دائما إذا وليها ساكن. غير أن الفرق بينهما ان نون «من» إذا كانت استفهاما حركت نونها بالكسر، وإذا كانت حرف جرّ حركت بالفتح كراهة لتتابع الحركات المتماثلة. قال الأخفش:[٣٠٨] وقالوا: مِنَ الرجل «ففتحوا لاجتماع الساكنين: ويقولون: هلِ الرجل، وبلِ الرجل. وليس بين هذين وبين «مِنَ الرجل» فرق، إلاّ أنهم قد فتحوا «مِنَ الرجل» لئلا تجتمع كسرتان».

---

(٣٠٦) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٦٤.

(٣٠٧) الكتاب ٤ / ١٥٤ - ١٥٥.

(٣٠٨) معاني القرآن / الأخفش ١ / ٢٢.

فمنع صرف «أفعل من» - في رأينا - إنما حصل أولا في «أفعل من» الذي لامه «ميم» ثم جاء القياس فعمّم هذا الحكم، أي منع الصرف على «أفعل من» مطلقا، أيا كانت لامه، طردا للباب على وتيرة واحدة، تماما كما حذفت الهمزة من «نكرم وتكرم ويكرم»، حملا على أكرم»، وكما حذفت الهمزة من «نرى وترى ويرى» حملا على «أرى»، فالانسان يتبع القياس دائما في كلامه. قال فندريس بهذا الخصوص[٣٠٩] «ولما كان التغير لاينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النطق نفسها فان جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق تتغير بنفس الصورة ». ولعلّ خير دليل على أثر القياس وسلطانه مانسمعه من بعض الخطباء والمذيعين أحياناً من منع صرف مثل: أجزاء وأنحاء وأرجاء قياسا على أشياء.

ثم ان منع الصرف انتقلت عدواه من «أفعل من» إلى «أفعل» اذ قد تحذف «من» أحياناً مع ارادة التفضيل. قال ابن يعيش:[٣١٠] «اعلم أنهم قد يحذفون «من» من «أفعل» إذا أريد به التفضيل ومعنى الفعل وهم يريدونها، فتكون كالمنطوق بها نحو: زيد أكرم وأفضل... ومنه قوله عز وجل: ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ وأخفى﴾، أي أخفى منه». ونظرا إلى الشبه اللفظي بين «؟أفعل» الذي للتفضيل وذاك الذي هو صفة فانه يمنع من الصرف هو الآخر من باب الحمل على أفعل التفضيل. قال سيبويه:[٣١١] «ومن كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء، وان لم يكن مثله في جميع الأشياء». وقال إبراهيم مصطفى:[٣١٢] « أما غير «أفعل» التفضيل مما جاء على وزن «أفعل» فإنه حمل عليه. وربما كان أصل كل «أفعل» هو التفضيل ثم

(٣٠٩) اللغة ص ٧٢.

(٣١٠) شرح المفصل ٦ / ٩٧.

(٣١١) الكتاب ٣ / ٢٧٨.

(٣١٢) احياء النحو ص ١٨٨.

كثر استعماله مع نسيان التفضيل وبقاء أصل الوصف». ولكن الفرق بين «أفعل من» و «أفعل» بدون «من» سواء أكان للتفضيل أم غيره أن «أفعل من» لايجوز صرفه البتة، في حين جاء «أفعل» مصروفا كما مثلنا سابقا.

وبناء على هذا الذي قد بيّنّاه بالنسبة إلى منع صرف «أفعل من» يتضح تماما أن ماذهب إليه الأستاذ إبراهيم مصطفى من أن منع صرفه يعود إلى ماوصفه بـ «نوع من التعريف» حصل لـ «أفعل» بسبب ملازمة «من» -مجانب للصواب .

المراجع

١- الآلوسي، محمود شكري، الضرائر أو مايسوغ للشاعر دون الناثر، بغداد، مكتبة دار البيان، بيروت، دار صعب، ١٣٢٠هـ.

٢- الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس. الكويت. (الطبعة الثانية) ١٩٨١.

٣- الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، بيروت، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، د. ت.

٤- الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد.

- أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دمشق. المجمع العلمي العربي، ١٩٥٧م.

- الانصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى (الطبعة الثانية) ، ١٩٥٥م.

٥ - الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي ط١، بغداد ١٩٧٨م.

٦- أيوب، عبد الرحمن. البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد السابع، المجلد٢- ١٩٨٢.

٧- بدر الدين، محمد بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد ومحمد عبد الحميد. بيروت، دار الجيل، د. ت.

٨- ابن برد، بشار.

- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.

- ديوان شعر بشار بن برد، جمع السيد محمد بدر الدين العلوي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣م.

٩- بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٧م.

١٠- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الطبعة الثانية)، ١٩٧٩م.

١١- البنّاء، أحمد بن عبد الغني، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، رواه وصححه

وعلق عليه: علي محمد الضباع، بيروت، دار الندوة، د. ت.

١٢- ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف (الطبعة الثانية) ١٩٦٠م.

١٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، بيروت، دار مكتبة الهلال (الطبعة الأولى)، ١٩٨٦م.

١٤- الجبوري، أحمد عبد الستار، نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

١٥- الجرجاني عبد القاهر، المقتصد في شرح الايضاح. تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢.

١٦- الجندي، أنور. الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.

١٧- ابن جني، أبو الفتح عثمان:

- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر (الطبعة الثانية)، د. ت.

- سر صناعة الاعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، (الطبعة الأولى) ١٩٨٥م.

- المنصف، تحقيق: ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (الطبعة الأولى)، ١٩٥٤م.

١٨- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر، الأمالي النحوية، تحقيق: هادي حسن حمودي، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية (الطبعة الأولى) ١٩٨٥م.

١٩- حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الطبعة الأولى)، ١٩٧٣م.

٢٠- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف:

- البحر المحيط، الرياض، مكتبة ومطابع النصر الحديثة. د. ت.

- تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، بيروت، مؤسسة الرسالة (الطعة الأولى) ١٩٨٦م.

٢١- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن عني بنشره برجشتراسر، دار الهجرة د.ت.

٢٢- ابن الخطيم، قيس، ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق ناصر الدين الأسد القاهرة، مكتبة دار العروبة (الطعة الأولى)، ١٩٦٢م.

٢٣- دمشقية، عفيف، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي. بيروت، معهد الانماء العربي (الطبعة الأولى)، ١٩٧٨م.
٢٤- الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، من عمل يوسف حسن عمر، بنغازي، جامعة بنغازي، ١٩٧٨م.
٢٥- الزجاج أبو اسحق ابراهيم بن السري، ماينصرف وما لاينصرف. تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٧١م.
٢٦- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق:
- أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع (الطبعة الأولى)، ١٣٨٢هـ.
- الايضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس (الطبعة الثالثة)، ١٩٧٩م.
- الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة (الطبعة الأولى)، ١٩٨٤م.
- مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢ مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٣.
٢٧- السامرائي، ابراهيم، فقه اللغة المقارن، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م.
٢٨- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.
٢٩- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د . ت.
٣٠- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله:
- أمالي السهيلي، تحقيق: محمد ابراهيم البنا، القاهرة، مطبعة السعادة (الطبعة الأولى)، ١٩٧٠م.
- نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد ابراهيم البنا، بنغازي، جامعة قار يونس ١٩٧٨م.
٣١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون (الجزء الأول) القاهرة، دار القلم، ١٩٦٦م، (الجزء الثالث) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
٣٢- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال:
- الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة (الطبعة الأولى)، ١٩٨٥م

- همع الهوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م.
٣٣- الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٣م.
٣٤ - عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠م.
٣٥- ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢م
٣٦- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، مسائل خلافية في النحو تحقيق: محمد خير الحلواني، دمشق، دار المأمون للتراث (الطبعة الثانية)، د. ت.
٣٧- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، المسائل العسكريات في النحو العربي، تحقيق: علي جابر المنصوري، بغداد، جامعة بغداد، (الطبعة الأولى)، ١٩٨١م.
٣٨- غابوتشان، غراتشيا، نظرية أدوات التعريف والتنكير، ترجمة جعفردك الباب، وزارة التعليم العالي، دمشق ١٩٨٠م.
٣٩- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار ويوسف نجاتي،بيروت، عالم الكتب (الطبعة الثانية)، ١٩٨٠م.
٤٠- فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨١م.
٤١- فك، يوهان، العربية، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥١م.
٤٢- فليش، الأب هنري، العربية الفصحى، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، المطبعة الكاثوليكية (الطبعة الأولى)، ١٩٦٦م.
٤٣- فندريس، جوزيف، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
٤٤- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية (الطبعة الثالثة) ١٩٨١م.
٤٥- القزاز، محمد بن جعفر، ضرائر الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٣م.
٤٦- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد:
أ - الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف، د . ت.
ب - المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، د . ت.
٤٧- محمد بن حبيب، المحبّر، رواية أبي سعيد السكري، تصحيح ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د . ت.
٤٨- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس. بيروت، دار صادر، د . ت.

٤٩- مصطفى، ابراهيم، احياء النحو، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.
٥٠- ابن منظور، محمد بن مكرّم، لسان العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
٥١- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية (الطبعة الثانية)، ١٩٨٥م.
٥٢- ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر (الطبعة الثانية) ١٩٦٩م.
٥٣- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (الطبعة الثانية)، ١٩٥٥م.
٥٤- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت، معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر (الطبعة الثالثة) ١٩٨٠م.
٥٥- يس، الشيخ يس بن زين الدين، حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د . ت.
٥٦- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبي، د . ت.
٥٧- O´ Leary, Delacy. Comparative grammar of the Semitic Languages. Amsterdam, philo press,1996 .
٥٨- Wright W. Lectures on the Comparative grammar of the Semitic Languages, Amsterdam, Apa- phillo press,1981.

الألغاز
والأحاجي والمعَمَّيات

الأستاذ خير الدين شمسي باشا

الألغاز جمع اللُّغْز بضمٍّ فسكون، واللَّغْز بفتح وسكون، واللَغَز بالتحريك، والأُلْغوزة، واللُّغَيزى، واللُّغَيزاء، كل هذا حفرة اليربوع (أو الضبّ، أو الفأر) في جحره تحت الأرض. سمي بذلك لأن هذه الدواب تحفر الجحر مستقيماً إلى أسفل، ثم تعدل عن يمينه وشماله عُروضاً تُعَميه ليخفى سلوكه.

يقال: لَغَزَ اليربوع في حفره لَغْزاً، وأَلْغَزَ فيه إلغازاً: أي حفر في جانب جحره طريقاً ملتوية، وفي الجانب الآخر طريقاً مثلها، وفي الجانب الثالث والرابع كذلك، لتُشْكل على داخلها، فإذا طلبه الصائد من جانب نفق من الجانب الآخر.

ومن المجاز قولهم: لَغَّزَ المرءُ كلامَه، وأَلْغَزَه، وأَلْغزَ فيه: أي عَمّاه ولم يبيِّنه، وأضمره على خلاف ما أظهره. ولغَّز في يمينه: دَلَّس فيها على المحلوف له، ومن هذا ما جاء عن عمر (رض) أنه مرَّ بعلقمة بن القعواء يبايع أعرابياً يُلْغِز له في اليمين، ويرى الأعرابي أنه قد حلف له، ويرى علقمة أنه لم يحلف له، فقال له عمر: ما هذه اليمين اللغيزاء؟

واللَّغْز، بالفتح، ميلك بالشيء عن وجهه وصرفه عنه، وقد استعمله الأدباء والشعراء في الإتيان بعبارة أو بيت يدل ظاهرهما على غير الموصوف بهما، ويدل باطنهما عليه، ويستخرج معناه بالحدس والحزر.

قال حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون ١/١٤٩): «علم الألغاز علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية، لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة، بل تستحسنها وتنشرح إليها، بشرط أن يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج، لأن المراد من الألفاظ اسم شيء من الإنسان وغيره. وهو فرع من علم البيان، لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة» (انتهى).

وقد عرف العرب اللغز منذ القديم، فاصطنعوه في أشعارهم وفي قصصهم، فقد روى علي بن ظافر الأزدي في كتابه (بدائع البدائه) الحوار الشعري المنسوب إلى امرئ القيس وعبيد بن الأبرص حين التقيا. قال عبيد: كيف معرفتك في الأوابد ؟ فقال: ألقِ ما أحببت. فقال عبيد:

ما حيّة ميتة أحيت بميتتها ... درداءَ ما أنبتت سناً وأضراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تُسْقى في سنابلها ... فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة ... لا يستطيع لهن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها ... رَوَّى بها من محول الأرض أيباسا

فقال عبيد:

ما مرتجاةٌ على هولٍ مراكبها ... يقطعن طول المدى سيراً وأمراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم إذا حانت مطالعها ... شبّهتها في سواد الليل أقباسا

فقال عبيد:

ما القاطعاتُ لأرضٍ لا أنيس بها ... تأتي سراعاً وما ترجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها ... كفى بأذيالها للترب كنّاسا

فقال عبيد:

ما الفاجعات جهاراً في علانية ... أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يبقين من أحد ... يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا

فقال عبيد:

ما السابقات سراع الطير في مهل ... لا تستكين ولو ألجمتها فاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا ... كانوا لهن غداة الروع أحلاسا

فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض الجو في طلق ... قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الأمانيّ تتركن الفتى مَلِكاً ... دون السماء ولم ترفع به راسا

فقال عبيد:

ما الحاكمون بلا سمعٍ ولا بصرٍ ... ولا لسانٍ فصيحٍ يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الموازين والرحمن أنزلها ... رب البرية بين الناس مقياسا

(انتهى).

وفي كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي المتوفى سنة ١٥٠ هـ [١] مايلي: «وقولهم: «جاء فلان بآبدة»، أي بفعلة أو كلمة منكرة وحشية ليست مما يعرف. أخذت من الأوابد والأُبَّد، وهي الوحش. ومن ذلك قولهم «الأمثال المؤبَّدات» أي الوحشيات اللواتي لا يهتدى لهن، ولا تُعرف معانيهن. يقال: قد أبَّد الشاعر في قصيدته، إذا أغلق معانيها. وأنشد مسعود ابن بشر:

إن كنت تدري ما المؤبدات

فما شداد الأسر محكمات؟

بيض البطون متقاربات

لهن منهن قلنسوات

يريد الأصابع» .(انتهى).

وروى أبو علي القالي في أماليه، قال: قرأت على أبي عمر المطرز، قال: حدثني أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، قال: أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب، فقدم أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء، فأعطيا لهم به عطية لم يرضوها. فقال أبوه [على مسمع من ابنه]: «لا والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم شيئاً».ثم انصرفا.فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كُلَيْمةً، لئن كان فيه خير لينجون. فما لبث أن نجا وأطرد قطعة من إبلهم.فكأنّ أباه لحن له أن الزم الفرقدين على جبل طيء، فإنهما طالعان عليه وهما لا يغيبان عنه.

(١) الفقرة ٣٩، ص ٨٣/تح د. رمضان عبد التواب. دار الكتاب بدمشق.

وروى السيوطي في كتاب (المزهر) عن أبي عبيدة في كتاب (أيام العرب) قال: أخبرنا فراس بن خندف قال: جمعت اللهازم لتغير على بني تميم وهم غارّون، فرأى ذلك ناشب الأعور بن بشامة العنبري، وهو أسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال لهم: أعطوني رسولاً أرسله إلى أهلي أوصيهم في بعض حاجتي، وكانوا اشتروه من بني أبي ربيعة، فقالت بنو سعد: ترسله ونحن حضور، وذلك مخافة أن ينذر قومه. فقال: نعم. فأرسلوا له غلاماً مولداً لهم، فقال لهم لما أتوه به: أتيتموني بأحمق. فقال الغلام: والله ما أنا بأحمق. فقال الأعور: إن لك لعيني أحمق، وما أراك مبلغاً عني. قال: بلى، لأبلغن عنك. فملأ الأعور كفه من الرمل، فقال: كم في كفي؟ قال: لا أدري، وإنه لكثير لا أحصيه. فأومأ إلى الشمس بيديه، فقال: ما تلك؟ قال: الشمس. قال: ما أراك إلا عاقلاً شريفاً. إذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية، وقل لهم: ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه، فإني عند قوم محسنين إليّ مكرمين لي، وقل لهم: فلْيعروا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي العيساء، وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأخبرهم أن العوسج قد أورق، وأن النساء قد اشتكت، وليعصوا همام بن بشامة، فإنه مشؤوم محدود، وليطيعوا هذيل بن الأخنس، فإنه حازم ميمون. فقال له بنو قيس: ومن بنو مالك هؤلاء؟ فقال: بنو أخي، وكره أن يعلم القوم. فلما أتاهم الرسول فأبلغهم، لم يدر عمرو بن تميم ما الذي أرسل به الأعور، وقالوا: ما نعرف هذا الكلام، ولقد جن الأعور بعدنا. فقال هذيل للرسول: اقتص علي أول قصته، فقص عليه أول ما تكلم به الأعور وما رجعه إليه، حتى أتى على

آخره. فقال هذيل: أبلغه التحية إذا أتيته، وأخبره أنا نستوصي بما أوصى به. فشخص الرسول. فنادى هذيل بالعنبر، فقال: قد بين لكم صاحبكم، أما الرمل الذي جعل في يده فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى، وأما الشمس التي قد أومأ إليها فإنه يقول: ذلك أوضح من الشمس، وأما جمله الأحمر فهو الصمّان، وأما ناقته العيساء فهي الدهناء يأمركم أن تتحرزوا فيها، وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم ماحذّركم وأن تمسكوا بحلف ما بينكم وما بينهم، وأما إيراق العوسج فإن القوم قد اكتسوا سلاحاً، وأما اشتكاء النساء، فإنه يخبركم أنهن قد عملن لهن عِجَلاً يغزون بها، والعِجَل الروايا الصغار. (انتهى).

فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه.

ومن ذلك مايروى عن شن بن أفصى، وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج إلا امرأة تلائمه. فصاحبه رجل في بعض أسفاره، فلما أخذ منهما السير، قال شن لصاحبه: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، هل يحمل الراكب راكباً؟ فأمسك عنه، ثم سارا حتى أتيا على زرع، فقال شن: أترى هذا الزرع قد أُكِلَ؟ فقال له: يا جاهل أما تراه في سنبله؟فأمسك عنه، ثم سارا فاستقبلتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحبها حياً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبر حياً؟

ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل، فسار به إلى بيته، وكانت له بنت، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه. فقالت: ما نطق إلا بالصواب، ولا استفهم إلا عما يُستفهم عن مثله. أما قوله: «أتحملني أم أحملك ؟»، فإنه أراد: أتحدثني

أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث. وأما قوله: «أترى هذا الزرع قد أكل؟»، فإنه أراد: هل استلف ربّه ثمنه أم لا؟ وأما استفهامه عن صاحب الجنازة، فإنه أراد: هل خلف له عقباً يحيا بذكره أم لا؟ فلما سمع الرجل كلام ابنته خرج إلى شن وحدثه بتأويلها. فخطبها، فزوجه إياها.

ويشبه هذه الحكاية ما يروى عن امرىء القيس وزوجته، عدة ألغاز، وهي قصّة مشهورة، تُلتَمس في ديوانه.

وفي العصور المتأخرة يروى عن أحد أمراء بني منقذ أصحاب قلعة شيزر، وقد استخلصها من أيدي الروم بالمكر والخديعة. وكان قبل في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب، وكان يلقب بسديد الملك، فحدثت له حادثة أوجبت أن يهرب إلى طرابلس في زمن بني عمار. فأرسل إليه ابن صالح يستعطفه ليعود إليه. فخافه ولم يعد. فأحضر ابن صالح رجلاً من أهل حلب صديقاً لابن منقذ، وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يوثقه ويطمئنه من جهة ابن صالح ليعود. فما وسعه إلا أن يستجيب إلى ذلك، وهو يعلم أنه متى عاد ابن منقذ هلك. فأداه فكره أن يكتب في آخر الكتاب إشارة لا تفهم، ليحذر بها ابن منقذ من العودة، فكتب في آخر الكتاب: «إنّ شاء الله تعالى»، وشدد (إنّ)، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح، فأرسله هذا إلى ابن منقذ، فلما قرأه قال: هذا كتاب صديقي وهو لا يغشني، ولو لا أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما غرّني وكتب إليّ. وعزم على العودة. وكان له ولد، فقرأ الكتاب، وكرر نظره فيه، وحار في كلمة (إنّ) المشددة، ثم فطن إليها وقال: «يا أبت مكانك ! فإن صديقك قد حذرك، وقال: لا تعد !» .

فقال أبوه: «وكيف؟» قال: «إنه كتب (إنّ شاء الله تعالى)، وشدد (إنّ) وكسرها وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدر مثله عن سهو، ومعنى ذلك أنه يقول: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) . وإن شككت في ذلك فأرسل إلى حلب، واستطلع الأمر». فكان كما قال.

تدل هذه القصص السالفة، وأشباهها كثير في كتب الأدب، على أن العرب كانت ، إذا أرادت التورية أو التعمية ، ترمز إلى الشخص وتلحن له في كلامها متعمدة، لتبلغه رسالتها وفحواها الباطن.

وقد جرى الإلغاز على ألسنتهم بالشعر والنثر،حتى صارمن فروع علم البلاغة، له قواعده وأصوله. ثم ولع به المتأخرون في القرن الخامس للهجرة ،حتى صارت الألغاز والأحاجي ترد من الثغور والأقطار على دواوين الإنشاء ، وكانوا يتداولونها في مجالسهم ومحادثاتهم، ويجرونها على طريقة الأقدمين، ثم أخذوا فيما بعد يزيدون فيها التصحيف والقلب والحذف والإبدال ومعادلة الحروف بالأرقام في حساب الجُمّل، وذلك إغراقاً في التعمية والإبهام، وتفننوا في ذلك، فأطلقوا على هذا الفن المستحدث أسماءً عديدة منها: الإشارة، والتعريض، والتمثيل، والتوجيه، والتورية، والرمز، والرمس ، والعويص، والكناية، والمحاجاة أو المداعاة، والمعاياة، والمعَمّى، والملاحن، وجميعها تتشابه في المدلول، لكنها تختلف في وجوه الاعتبار، فإذا اعتبرت أن المتكلم عرّض بكلامه، ولم يصرح به، فهو التعريض أو الكناية، وإذا مثل في كلامه بشيء يضمره فهو التمثيل، وإذا ذكر لفظاً وهو يريد به غير معناه الظاهر، فهو التورية ... وهكذا في بقية الأسماء الآنفة الذكر.

ودرج الشعراء على الإكثار من الألغاز والأحاجي والمعميات ،حتى إن بعضهم قد أفرد لها باباً خاصاً في ديوانه، كأبي الحسن الجياب (المتوفى ٧٤٩هـ) وهو رئيس كتاب الأندلس، وأستاذ لسان الدين بن الخطيب، وابن الفارض الشاعر المتصوف، الذي أفرد في ديوانه باباً خاصاً لألغازه، وكذلك ابن عنين الدمشقي.

كما أن كثيراً من الشعراء قد أتوا بأبيات يشكل فهم معناها، ولم يقصدوا بها الإلغاز، وتداولها الناس كالألغاز، فما كان الإشكال فيه من جهة المعنى دعوها أبيات المعاني. ولابن قتيبة مصنف كبير في هذا النوع، سماه (ديوان المعاني). أما ما كان الإشكال فيه من جهة اللفظ، فقد سموه لغزاً أو محاجاة. وكان الشعراء يتساجلون بالأشعار: يقول أحدهم أبياتاً يضمنها لغزاً مبهماً يوجهه إلى شاعر آخر، فيجيبه هذا عنه مفسراً اللغز بأبيات من البحر نفسه والقافية نفسها، وربما ألغز له في ثنايا الجواب لغزاً آخر، فيجيبه الأول عنه بأبيات أخرى.

وقد عني النحويون وعلماء اللغة بهذا الفن، فصنفوا فيه الكتب والرسائل، ومنهم ابن هشام، فقد ألف كتاب (ألغاز ابن هشام في النحو). ومن اللغويين الحريري صاحب (المقامات)، التي أتى فيها بالعجب العجاب في التلاعب بالألفاظ، وابن دريد اللغوي جمع ألفاظاً لكل منها معنيان ألغز فيها، وقد ذكر السيوطي في (المزهر) قسماً منها.

ويلحق بالألغاز المسائل الفقهية والفرائضية ، فقد تندر بها الفقهاء على طريقة المحاجاة والإلغاز .

ويلحق بالألغاز كذلك الأبيات ذوات القوافي المترادفة ،

وذات القوافي الحسية غير الملفوظة.

وللعامة ألغاز وأحاج يتداولونها في مجالسهم، يسمونها في مصر (فوازير)، وفي بلاد الشام (حزازير)، مفردها فزورة وحزورة.

ولابدّ لاستخراج الألغاز اللغوية والنحوية والفقهية من إتقان اللغة والنحو والفقه، كما لابد لاستخراج الألغاز والأحاجي والمُعَمَّيات من إتقان علم البلاغة بفروعه، فكثيراً ما تتداخل بعضها مع بعض، ويصعب التفريق بينها بحدٍ فاصل، ويلتبس الصواب فيها، وذلك لاشتراكها في الدلالة، كالكناية والتعريض، والرمز والإشارة والتمثيل، والمحاجاة والمداعاة والملاحن والأغاليط، والمُعَمّى والعويص ...إلخ

وفيما يلي نذكر لها تعريفات مختصرة تساعد من لم يتقن علم البلاغة في تشعباته وفروعه:

الإشارة هي أن يأتي المتكلم بشيء يمهد لما يريد دون أن يفصح عنه ، مشيراً في ثنايا كلامه بلفظة إلى قول قيل في الغرض الذي يريد، فيفطن إليه المخاطَب. من ذلك ما روي عن أحد التجار الموسرين في القاهرة أنه كان يملك عبداً يدعى (بَيْلَبَك)، فلما افتقر وأفلس قال له بيلبك: بِعْني ياسيدي وتفرج بثمني. فعمد إلى بيعه مرغماً. وتنقلتِ الحالُ بالمملوك حتى صار (خازندار) الديار المصرية، وسمي الأمير (بدر الدين بيلبك) . ثم اشتدت الفاقة بالتاجر فكتب إليه رقعة قال فيها:

كنا جميعين في بؤس نكابده والقلبّ والطرف في أذىً وقذى[1]

والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى، فلا تنسني، إن الكرام إذا

---

(١) هكذا في الأصل. ولعل الصواب: (والقلب والطرف كُلٌ في أذىً وقذى).

مشيراً إلى بيت إبراهيم الصولي:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن

والإشارة تتداخل مع الرمز وتختلط به، والحد الفاصل بينهما أن الرمز مقصود لإخفاء الغرض ،كما سيمر بنا عند ذكر رثاء الهر للعلاف، وهو يريد رثاء عبد الله بن المعتز، بخلاف الإشارة فإنها مقصودة لإظهار الغرض، كما سبق في الإشارة في بيت التاجر.

وتتداخل الإشارة مع التعريض، ومن ذلك مايروى أن رجلاً من أهل بغداد خرج يتفرج على الجسر، فمرت امرأة حسناء، وصادفها شاب، فقال معرضاً : «رحم الله عَليّ بن الجهم» فأجابته: «رحم الله أبا العلاء». ومضى كل منهما لوجهه. قال الرجل: فتبعت المرأة وسألتها عن شيء سمعته ولم أفهمه، فأجابت: أراد قول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت قول أبي العلاء:

فيا دارها بالحَزْن إن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

التعريض هو الإتيان باللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بدلالته الحقيقية ولا المجازية، وسمي تعريضاً لأن المعنى يُفهم من عُرضه، أي من جانبه. يقال: تَعَرَّضَ الجملُ في الجبل: أي أخذ في عُروضٍ منه، فجعل يأخذ يميناً وشمالاً لصعوبة الطريق. وعَرّض لي بالشيء، أي أراد معنى لم يبينه باللفظ ، وإنما يبين من سياق الكلام بالرمز أو الإشارة أو التمثيل. من ذلك قول المرأة لقيس بن عبادة: «أشكو إليك قلةَ الفأر في بيتي»، فقال: «ما

أحسن ما عبرت عن حاجتها، املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً». فشكواها من قلة الفأر في بيتها تعريض له بخلو بيتها من المؤونة.

ومن التعريض قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعثمان، حين دخل المسجد متأخراً وعمر يخطب يوم الجمعة: «أية ساعة هذه؟»، معرضاً له بالإنكار عليه تأخره عن الصلاة وترك السبق إليها. وكذلك قول الشميرد الحارثي:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

تعريض بقصده، فهو لم يرد الشعر، بل أراد هزيمتهم في الصحراء، كأنه يقول لهم: «لا تفخروا بعد الواقعة التي انتصرنا عليكم فيها». فاتخذ الشعر، الذي هو ميدان الفخر، تعريضاً.

ومن التعريض كذلك ما رواه صاحب ثمرات الأوراق (ص ٢٠٣) عن المرأة التي دخلت على الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين أقَرَّ الله عينك، وفرَّحك بما آتاك، وأتمَّ سعدك، لقد حكمت فقسطت . فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك، ممن قتلت من رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم. فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت المرأة؟ فقالوا: مانراها قالت إلا خيراً. قال: ما أظنكم فهمتم ذلك. أما قولها: «أقر الله عينك» فتعني: أسكنها الله عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت. وأما قولها: «وفرحك بما آتاك» فأخذته من قوله تعالى: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا

أخذناهم بغتة﴾ (٤٤/الأنعام). وأما قولها: «وأتم الله سعدك» فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمـــر بَـدا نـقـصـه ترقـبْ زوالاً إذا قيل: تم

وأما قولها: «لقد حكمت فقسطت»، فأخذته من قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ (١٥/الجن). فتعجبوا من ذلك.

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه. وهو: «أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول في إلحاقه بنظرائه من الخاصة، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته». فوقع المأمون في ظهر الكتاب: « قد عرفت تصريحك له، وتعريضك لنفسك، وقد أجبناك إليهما».

وقد يتداخل التعريض مع الكناية ويلتبس الوجه فيهما على من لم يدرك الحد الفاصل بينهما، كما في بيت امرئ القيس:

وصرنا إلى الحسنى ورَقّ كلامنا ورُضْتُ، فذَلَّتْ صعبةً أيَّ إذلال

فمن العلماء من ضربه مثلاً للكناية عن المباضعة، ومنهم من اعتبره تعريضاً لأن غرض الشاعر ذكر المباضعة غير أنه لم يذكرها بل ذكر كلاماً تفهم المباضعة من عُرضه. فالتعريض أخفى من الكناية لأن دلالته سياق الكلام بالتلميح والإشارة، ودلالة الكناية ـ كما سنرى عند الكلام عنها ـ لفظيّة مجازية. والمصير إلى الحسنى، ورقة الكلام لا يفهم منه قصد الشاعر لا في الحقيقة ولا في المجاز، وإنما فهم قصده من مفهوم الكلام وسياقه.

التمثيل هو إرادة الإشارة إلى معنى بوضع لفظ لمعنى آخر يكون مثالاً للمعنى المراد. كقولهم: «فلان رفيع العماد، كثير الرماد، طويل النجاد، طاهر الذيل»، أي أنه رفيع القدر، مضاربه واسعة، كريم يقري الضيوف ، طويل القامة، منزّه عن الفاحشة.

ويعد بعض العلماء التمثيل من أقسام الكناية الثلاثة، وهي التمثيل والإرداف والمجاورة. والإرداف: إرادة الإشارة إلى معنى بوضع لفظ لمعنى آخر، وذلك اللفظ إرداف للمعنى المشار إليه ولازم له، كما مر في قولهم «طويل النجاد» ، فطول النجاد مرادف لطول القامة ولازم له، بخلاف قولهم مثلاً «نقي الثوب» في الكناية عن النزاهة، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة. ومثل ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلٍ ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فبعد مهوى القرط ملازم لطول العنق.

والمجاورة هي إرادة ذكر الشيء ثم تركه إلى ما جاوره، كقول عنترة:

بزجاجة صفراء ذات أسرة ... قرنت بأزهر في الشمال مفدم

أراد بالزجاجة الخمر فذكر الزجاجة وكنى بها عنها لأنها مجاورة لها.

التوجيه هو توجيه المتكلم بعض كلامه إلى ألفاظ متلائمة اصطلاحاً توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني، من غير اشتراك حقيقي. ويتداخل التوجيه مع التورية، والحد الفاصل بينهما أن التورية تكون باللفظة الواحدة المشتركة، وأن التوجيه يكون بعدة ألفاظ متلائمة مصطلح عليها،وذلك كقول علاء الدين الوداعي:

مَن أمَّ بابَكَ لم تبرح جوارحُه تروي أحاديث ما أوليتَ من منن
فالعين عن قرة، والكف عن صِلَةٍ والقلب عن جابر والأذن عن حسن

فقوله: «عن قرة» هو قرة بن خالد السدوسي، وهو ثقة، روى عن الحسن وعن ابن سيرين، وليس من التابعين. وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوي، من كبارِ التابعين، وهو زوج معاذة العدوية، الراوية عن عائشة (رض)، وأما جابر فهو ابن عبد الله من صحابة النبي ﷺ. وأما الحسن فهو الحسن البصري التابعي.

ومن التوجيه قول الشاعر في الحسن بن سهل، حين زوج ابنته بوران من الخليفة المأمون، فهنأه بذلك، لكن الحسن أثاب جميع الشعراء، وحرمه. فكتب إليه «إن حرمتني عملت بيتاً لا تدري مدحتك فيه أم هجوتك». فقال الحسن: لا أعطيك حتى تقول. فقال:

بارك الله للحسن ولبوران في الخَتَنْ
يا إمام الهدى ظفِرتَ، ولكن ببنت من؟

فلما سمع الحسن ذلك قال له: أسمعتَ هذا المعنى أم ابتكرته؟ فقال: لا والله نقلته عن شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع، وقد فصَّل قباءً عند خياط أعور اسمه زيد. فقال له الخياط على سبيل العبث: سأخيطه لك فلا تدري أقباء هو أم دواج. فقال الشاعر: إن فعلت نظمت فيك بيتاً فلا تدري أدعوتُ عليك أم دعوتُ لك. ففعل الخياط ، فقال الشاعر:

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

فهل قصد التساوي بالعمى أم بالإبصار؟ وهل كان قول الشاعر للخليفة:

«ولكن ببنت مَن؟» للرفعة أم للحقارة؟

ويختلط التوجيه مع الإبهام، فهو يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، ويكون صالحاً للأمرين.

التورية التورية من الوراء أصلها. تقول: وَرّيت الشيءَ وواريته، أي أخفيته. وتوارى فلان، استتر. ووَرّيت الخبرَ، جعلته وراء ظهري فلا يظهر. وهي في الاصطلاح ذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خافية. فالسامع يفهم منه المعنى القريب الظاهر، والقائل يريد المعنى البعيد الخفي، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريّا سهيلاً عمرك اللهَ كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

فالسامع يفهم أن المراد ثريا السماء ونجم سهيل. والشاعر أراد الثريّا بنت علي ابن عبد الله بن الحارث، وكانت جميلة الشام، وسهيلَ بنَ عبد الرحمن ابن عوف، وكان يمنياً دميمَ الوجه، وَرَّى عنهما بسمييهما، وأراد بُعْدَهما، وتفاوت خلقتهما.

ومثل هذا قول الآخر:

ياسيداً حاز لطفاً له البرايا عبيد
أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيد

وقول ابن المكرم:

بالله إن جزت بوادي الأراك وقبلت عيدانه الخضر فاك
ابعث إلى المملوك من بعضه فإنني والله مالي سِواك

وقول المعري:

إذا خدمَ الجَدُّ ادعى العَمُّ للفتى مَكارمَ لا تُكري، وإن كذب الخال

[العم: العموم. والجَد: الحظ. لا تكري: لا تنقص. الخال: الظن]

ومثله قول الشيخ تقي الدين السروجي:

في الجانب الأيمن من خدّها نقطة مسك أشتهي شمَّها
حسبته لما بدا خالَها وجدته من حسنه عمَّها

ومثله أيضاً قول الشيخ عز الدين الموصلي:

لحظت من وجنتها شامةً فابتسمت تعجب من حالي
قالت: قفوا واستمعوا ما جرى قد هام عمّي الشيخ في خالي

وما أظرف ما قال السراج الوراق مورّياً:

كم قطع الجودُ مِن لسانٍ قلّد في نظمه النحورا
فها أنا شاعرٌ سراجٌ فاقطع لساني أزدْك نورا

وظريف أيضاً قول أبي الحسين الجزار:

ألا قل للذي يسـ أل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قوم كرام الفرع والأصل
ترجّيهم بنو كلب وتخشاهم بنو عِجل

وللشيخ الصلاح الصفدي كتاب في التورية، هو (فض الختام عن التورية والاستخدام)، ولابن حجة الحموي في خزانته باب في التورية، أورد فيه أمثلة كثيرة من أبيات التورية.

الرمز هو أن ترمز إلى المعنى الذي تريد بالإشارة إما باللفظ وإما باليد أو

بالعين أو بالإيماء. وهو أسلوب من التعبير بطريقة هي إلى الإبهام أقرب منها إلى التصريح، وإلى الشك حول حقيقة الدلالة المرتبطة بالتعبير، وقد لجأ بعض الحكماء إلى الرمز في حِكَمهم، خوف الجهلة أن لا يرعوها حقها، كالمضنون به على غير أهله، وكما قال الشاعر:

ومَن منح الجهال علماً أضاعه ومَن منع المستوجبين فقد ظلم

وممن أخفى مقاصده في كلامه كثير من الصوفية، فلهم تعابير وألفاظ لا تدركها عقول العامة، بل ربما خفيت على بعض العلماء الذين يأخذون بظاهر اللفظ. وكذا إخوان الصفا أيضاً رمزوا إلى أفكارهم بما جعلها مبهمة على من حمل كلامهم على ظاهره.

ونلاحظ أن الرمز يكثر في زمن الصراعات السياسية، وحين يتسلط الحكام المستبدون فتخشاهم الرعية. ويلجأ الناس إلى الرمز بالفكاهة الساخرة، والنكتة اللاذعة، تنفيساً عن تظلمهم وشكواهم، كما يلجأ الحكماء إلى الرمز عن آرائهم وأفكارهم بالحكاية على ألسنة الحيوان، كما فعل ابن المقفع في كتاب (كليلة ودمنة) الذي يُعد قمة الرمز وغاية الكمال في البيان. وكما فعل أبو بكر الحسن بن العلاف في قصيدته الطويلة التي رثى بها هراً له كان يألفه، وقد اختلف الناس في أمرها. فمنهم من زعم أنها رثاء لابن المعتز الذي قتله الخليفة المقتدر، ورمز عنه بالهر، خشية أن يُطلَب، وتقيّةً من ظلم الخليفة، ومنهم من زعم أن المرثي بها هو الوزير ابن الفرات، ومنهم من قال إن المرموز عنه هو غلام ابن العلاف نفسه، الذي هَوِيَتْهُ جارية لعلي بن عيسى، فقتله هذا معها، وأمر بسلخها وحشو جلدها تبناً.

ومنهم من قال: لم تكن إلا رثاء للهر نفسه، إذ كان يدخل أبراج الحمام عند جيران ابن العلاف ، ويأكل الفراخ، فأمسك به أصحابها وذبحوه ، فرثاه صاحبه بهذه القصيدة التي شغلت الناس. ومن أصحاب هذا الرأي الأخير الصلاح الصفدي ، الذي رواها في كتابه (نكت الهميان/١٣٩)، وقال: « وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رثى بها غير هر». وفي عصرنا الحاضر ذكر الدكتور عبد الكريم اليافي في (دراساته الفنية /٢٥١) الروايات المختلفة في تفسيرها، بعد أن قال في البداية: «على أن بعض الأشعار يصعب القطع في صفتها الرمزية، مثل قصيدة أبي بكر بن العلاف في الهر». ثم أردف بقوله: «لا يظهر فيها إلا أوصاف الهر». على أن بيتين في أواخر القصيدة يرجحان عندنا الظن بأن المرثي الحقيقي هو ابن المعتز، إذ إننا نجد فيهما عتاباً رفيقاً لابن المعتز عن طموحه للخلافة، وهو في قمة العزة والمجد متربعاً على عرش الشعر البعيد عن مزالق السياسة ومخاطرها. ومما يؤكد هذا الرجحان عندنا تلك العبر والحكم، التي أوردها قبل البيتين، ونذكر فيما يلي مطلع القصيدة، وبعض أبيات الحكم، مع البيتين المنوه عنهما:

ياهرُّ فارقتنا ولم تَعُدِ وكنت عندي بمنزل الولد

فكيف ننفكُّ عن هواك وقد كنت لنا عدة من العُدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا بالغيب، من حية ومن جرد

ثم يقول:

ألم تخف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الأسد

عـاقبـة البـغي لا تـنام وإن — تـأخـرت مـدة مـن المـدد
أردت أن تـأكـل الـفـراخ ولا — يـأكلك الدهر أكل مـضطهـد
لابـارك الله فـي الـطـعـام إذا — كـان هلاك النفـوس في المعـد
كـم أكلة خامـرت حشـا شرِهٍ — وأخـرجـت روحـه من الجسـد

وههنا العتاب الرفيق:

مـا كـان أغناك عـن تسورك الــ — ـبُـرجَ، ولـو كــان جنـة الخلد
قـد كـنت فـي نعـمـة وفـي رغـد — مـن العـزيـز المهـيمـن الـصـمـد

وقد لجأ بعض الشعراء إلى تضمين الحكم والأمثال حكايات منظومة على لسان الحيوان، رامزين به عن الإنسان، وذلك ترغيباً للأولاد بحفظها، كما فعل الشاعر أحمد شوقي في مقطعاته، التي قلد فيها الشاعر الإفرنسي (لافونتين). على أن الحكاية على لسان الحيوان، رمزاً به عن الإنسان، معروفة في الشعر العربي منذ القديم، وحكاية الحية الرمزية التي نظمها النابغة معروفة مشهورة.

ومن الرموز الحسنة ما حكاه الأصمعي، إذ قال: «اعتللت، فدخل عليَّ الرشيد، فقال: كيف بِتَّ؟ فقلت بليل النابغة. فقال: لعلك تعني قوله:

فَبِتُّ كأني ساورتني ضئيلة — من الرقش في أنيابها السم ناقع

فجاء بالذي في نفسي». (انتهى). (عن المنتخب من كنايات الأدباء/ ٧٩).

وحكى أبو عبيدة قال: «بينا أشراف الكوفة وقوف، إذ جاء أسماء ابن خارجة الفزاري فوقف، وأقبل ابن مكعبر الضبي، فوقف منتحياً عنه، فأخذ أسماء خاتماً في يده ـ وفصُّه فيروزج [أزرق] ـ فدفعه إلى غلامه، وقال له:

ادفعه إلى ذلك الرجل [يعني ابن مكعبر]، ففعل. فأخذ ابن مكعبر نسعاً، فربطه مع الخاتم، وردَّه مع الغلام. أراد أسماء قول الشاعر:

لقد زرقت عيناك يابن مكعبر كما كل ضَبِّيٍ من اللؤم أزرق

وأراد الضبي قول ابن دارة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

قال الجرجاني: واعلم أن هذا من الرموز أشد أنواعها استخراجاً وأصعبها استنباطاً لخلوه من النطق، والاقتصار على مجرد الفعل (المنتخب / ٧٩).

العويص العَوَص لغة ضد الإمكان واليسر. وعَوَّصَ الشاعر: إذا قال بيتاً يصعب استخراجه. قال الشاعر:

وأبني من الشعر شعراً عويصا ينسي الرواة الذي قدروا

ومنه قول ابن النقيب ملغزاً باسم (هاني) [خلاصة الأثر ٢/٣٩١].

حين بان الخليط وازداد وجدي قلتُ والدمع في الخدود يسيل

يارسولي إليه روحي خذها منجداً إثره بها يارسولُ

وقوله أيضاً ملغزاً في (سليمان) [المصدر نفسه]:

لقد سقاني الحبيب كأساً لم أروَ منها ورمت أخرى

فقال: خذ مابقي بكأسي سؤراً، وأحسن بذاك سُؤرا

فعندما جاءني بما في أواخر الكاس متُّ سكرا

وقوله أيضاً ملغزاً في (محمد) [المصدر نفسه]:

رب ظبي مقرطق قد تبدّى خلتُ بدراً من فوقه قد تلالا

لاح في الثغر جوهر من ثنايا هُ فأبدى في الخد خالاً بِلالا

وكقول القاضي صلاح الدين الكوراني ملغزاً في (أحمد) [خلاصة الأثر، ٢/٢٥٦]:

فؤادي محا عن لوح خاطره الهوى   فأثبته صدغ له قد تسلسلا

وقوله أيضاً ملغزاً في (عمر) [المصدر نفسه]:

تساقط در من سحاب مسيره   إلى تاج روض قل وما كان منقطع

وقوله أيضاً ملغزاً في (يوسف) [المصدرنفسه]:

إذا صح تقبيل على خال خده   أحاول شيئاً منه في داخل الشفه

لكنا نلاحظ في الألغاز السابقة إغراقاً في التعويص والتعمية، فكأن الشاعرين المذكورين إنما صنعاها لنفسيهما، وذلك قصد الإدلال بها على غيرهما من الأذكياء أرباب الألغاز وإفحامهم، فلم يستخرجها المحبي صاحب [خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر] ولم يفسرها في كتابه، وشرط الإلغاز في التعمية والتعويص عدم الإغراق فيهما.

ومن العويص ماوراه النويري في نهاية الأرب (جـ ١٧١/٣)، وهي عشر مسائل في النسب. أولها: امرأتان التقتا برجلين ، فقالتا لهما: «مرحباً بابنينا وزوجينا وابني زوجينا»، وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر، فهما ابناهما، وزوجاهما، وابنا زوجيهما.

ومن العويص أيضاً مارواه الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (تسهيل المجاز/ص١٢٠)، عن (لمح السحر)، قال:

اجتمع أبو الوليد الوقشي وعبد الملك بن سراج القرطبي، وكانا فريدي عصرهما، فسأل عبد الملك أبا الوليد عن لغز الشاعر بقوله:

وراكعةٍ في ظلِّ غصنٍ منوطةٍ   بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وحان وقت الصلاة، فصلّيا. وعقب التسليم قال أبو الوليد: «ألغز الشاعر باسم (أحمد): فالراكعة الحاء، والغصن الألف، واللؤلؤة الميم، والمنقار الدال». فقال عبد الملك: أفسد اللغز عليك الصلاة. فقال أبو الوليد: لقد استخرجتُه بين الإقامة وتكبيرة الإحرام.

الكناية الكناية لغة أن تتكلم بلفظ وتريد غيره، كنى عن الأمر بغيره كناية: إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه، نحو الرفث والغائط وغير ذلك. أنشد أبو زيد الكلابي:

وإني لأكني عن قذور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارح

وقال آخر:

وقد أرسلت في السر أن قد فضحتَني وقد بُحتَ باسمي في النسيب وماتكني

وهي في الاصطلاح: كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، وهي أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز، كقول الله تعالى في سورة الصافات (آية ٤٩): ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ فقد كنى بالبيض عن المرأة الحصان، إذ كان العرب لنخوتهم وغيرتهم على حرمهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض الذي لاينال. قال امرؤ القيس:

«وبيضة خدر لا يرام خباؤها»

يعني فتاةَ خدرٍ لا تُنال لعزّتها. وكقول نصر بن سيار، ينذر بني أمية مما يدبر لهم في الثغور:

أرى خلل الرماد وميضَ نارٍ ويوشك أن يكون لها ضرامُ

فهو يجوز حمله على الحقيقة، إذ أخبر أنه رأى وميض نار خلل الرماد، وأنها

ستضطرم، كما يجوز حمله على المجاز، وهو رؤيته ابتداء الشر الكامن، وهو يوشك أن يضطرم، فكنى عنه بوميض النار تحت الرماد.

والكناية تشمل اللفظة المفردة والجملة المعبرة، بخلاف التعريض، الذي لا يُفهم إلا من سياق الجملة المعبرة.

ومن لطيف الكناية قول النبي ﷺ لأنْجشة حين كان يحدو للجمال: «رويدك سوقك بالقوارير»، يريد بذلك النساء في هوادجهن على ظهور الجمال، كنى عنهن بالقوارير.

ومنها أيضاً قوله ﷺ: «إياكم وخضراءَ الدِمَن»، كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء. ومثله قولهم في المثل: «إياك وعقيلة الملح»، وهي اللؤلؤة في البحر المالح، كنوا بها عن المرأة الحسناء في منبت السوء.

ومن لطائف الكنايات مارواه ابن حجة الحموي في خوانته (ص ٤٤١)، وهو قول أحدهم:

ألا يا نخلة من ذات عرق ... عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني ... هناةً ذاك تكرهه الكرام

وليس بما أحلَّ الله بأس ... إذا هو لم يخالطه الحرام

كنى بالنخلة عن المرأة، أراد خطبتها فسأل عنها، فأُخْبِرَ بما لم يحمده الكرام من سلوكها، وهو الهناة ،كنى بها عن الرفث. وكانت العرب تكنّي عما لا يحسن التصريح به من الفحش بكلام يدل عليه، كقول الشريف الرضي:

أحن إلى ما تضمن الخمر والحلى ... وأصدف عما في ضمان المآزر

ومنها قول ابن الرومي:

صـدورٌ فـوقـهن حِـقـاقُ عـاجٍ وحـلـي زانـه حـسـن اتسـاق
يـقـول الـنـاظـرون إذا رأوهـا أهـذا الحـلـي من هـذي الحـقـاق

وقول ابن المعتز:

أشرنَ على خوف بأغصان فضة مـفـوَّفـةٍ أثـمـارهـن عـقـيق
سلاماً كإسقاط الندى تحت ليلةٍ سـرى حين لـم يعلـم لهن طريق
وشكوى لو انّ الدمع لم يُطفِ حرَّها تـولـد مـنـهـا بـيـنـهـن حـريق

وقول محمد بن حرب يصف الرمان:

ولما فضضت الختم عنهن لاح لي فصوصُ عقيقٍ في بيوت من التبر
ودرٌّ ولكن لم يدنسه غائص وماء ولكن في مخازن من جمر

وكان إمامُ العبد أسود البشرة، فرآه خليل مطران مع حسناء شقراء، فغمز بعينه غمز ارتياب، فقال إمام:

يا خليلي وأنت خير خليل لاتلم راهباً بغير دليل
أنا ليلٌ وكل حسناء شمس واقتراني بها من المستحيل

المحاجاة الحِجَا مقصور: العقل والفطنة. وكلمة محجية: مخالفة المعنى للفظ، وهي الأُحجِية والأحجوة. وحاجيته محاجاة وحِجاءً: فاطنته فحَجَوْته. وحُجَيَّاكَ ما كان كذا وكذا؟ والأُحْجِية والحُجَيّا: لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم، وهي من نحو قولهم: «أخرج ما في يدي ولك كذا». قالت ابنة الخس:

قـالـت قـالـةً أخـتـي وحـجـواهـا لـهـا عـقـل
تـرى الـفـتـيـان كـالـنـخـل ومـا يـدريـك مـا الـدخـل

وفلان يأتينا بالأحاجي: أي بالأغاليط. [وتسميها العامة حَزُّورة، وفي

مصرفزّورة].

وقد عرف العرب منذ الجاهلية نوعاً من الأحاجي كانوا يختبرون فيه سرعة البداهة وقوة العارضة، فكان أحدهم يلقي الكلمة المفردة، فيتمّم الآخر كلاماً يناسبها، ويستمر حتى يحتبس لسانه ويكل بيانه.

وكانت ابنة الخس تحاجي الرجال على هذه الطريقة، فمر بها رجل، فدعته للمحاجاة، فقال لها: كاد.فقالت: كاد العروس يكون أميراً.فقال: كاد. فقالت: كاد المنتعل يكون راكباً. فقال: كاد. فقالت: كاد البخيل يكون كلباً. ولما أراد الانصراف قالت له: أحاجيك. فقال: قولي. فقالت: عجبت. فقال: عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها.فقالت: عجبت. فقال: عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها.

وقد برع المتأخرون في المحاجاة، واصطنعوها في علومهم واختصاصاتهم، فللغويين أحاج، وللفقهاء مثلها، وكذا النحويون، وللشعراء مساجلات فيما بينهم يتحاجون فيها بالألغاز. فمن أحاجي اللغويين ماروواه السيوطي في كتابه (المزهر/٥٧٢) عن ابن دريد: تقول: «والله ما سألت فلاناً في حاجة قط». والحاجة ضرب من الشجر له شوك. و«ما رأيته»، أي ماضربت رئته. و «لا كلمته»، أي جرحته. و «ما بطنت فلاناً» ، أي ضربت بطنه. وتقول «ولا أعرف لفلان ليلاً ولا نهاراً»، فالليل ولد الكروان، والنهار ولد الحبارى.. إلى آخر بضع صفحات ملأها بمثل هذا.

ومن أحاجي اللغويين أيضاً أن يأتي السائل بلفظ مركب من كلمتين، وفي أحيان قليلة أكثر من كلمتين، ويطلب بَدلَه لفظاً مفرداً، لو جُزئ لأدّى معنى

ذلك اللفظ المركب، مثل أن يقول السائل: ما مثل قولي: «أُطلُبْ طريق»، فيجاب: «سَلْسَبيل». ومنه قول أبي الوفاء العرضي:

يامفرداً فيما جمع ... وكاملاً فيما ابتدع
بين لنا أحجيةً ... حاصلها: اسكُتْ رَجَعْ

جوابه: (صَهْباء)، فإنها تجزأ إلى جزأين: (صَهْ)، ومعناها اسكت، و (باءَ)، ومعناها رجع.

وقد عُنِيَ الحريري بإيراد الكثير من هذا النوع، ففي المقامة السادسة والثلاثين عشرون أحجية مثل هذا ، نحو قوله:

ياذا الذي فاق فضلاً ... ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ... ظَهْرٌ أصابته عين

جوابه (مطاعين) جمع مطعون. مَطَا بمعنى ظَهْر. وعِينَ: أصيب بالعين.وقوله:

يامَن له فتنة تجلت ... ورتبة في الذكاء جَلَّت
بَيِّنْ فما زلتَ ذا بيانٍ ... ما مثل قولي «الشقيق أفْلَتْ»

جوابه (أخطار)، جمع خَطَر، وهو مايؤدي إلى الهلاك. فإذا جزأت هذه الكلمة، كان (أخ) وهو الشقيق ، و (طار) بمعنى أفلت.وقوله:

يامَن يُشار إليه في الـ ... ـقلب الذكي وفي البراعه
أوْضِحْ لنا مثل قو ... لك للمحاجي: «دُسْ جماعه»

جوابه: (طافية)، تأنيث طافٍ، وهو مايطفو فوق الماء. (طَأْ) فعل أمر من وَطِئَ. و(فئة) جماعة. وهكذا يمضي على هذا النمط، ولعله من أبرع اللغويين فيه.

وقد أورد الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز) (ص ١٠٥) ألفاظاً مركبة بالعربية وبالتركية وبالفارسية، والجوابَ بالعربية لفظاً مفرداً، إذا جُزِّئَ إلى جزأين أدّى معنى اللفظ المركب، وأجراها على طريقة السؤال والجواب، نحو:

سؤال: اُنظرْ بابَه. جواب: (رَبابَه)، رَ: فعل أمر من رأى.

سؤال: عَلِّمْ علامَة. جواب: (سِمْسِمَة)، سِمْ: عَلِّمْ. سِمَة: علامة.

سؤال: انظر هيئته. جواب: (رَزِيَّه)، رَ: فعل أمر. زِيُّهُ: هيئته.

سؤال: اُسْخُ اسخُ: جواب: (جُدْ جُدْ) اسم طائر. وجُدْ: اسخُ

سؤال: مِثل مَنْ أتى. جواب: (كَمَنْجَا)، الكاف للتشبيه بمعنى مثل، مَن: اسم موصول، جا: أتى. والكمنجا: آلة موسيقية معروفة .

ومن أحاجي الفقهاء ماروواه السيوطي في المزهر (ص ٦٣٦) أن الشافعي سئل: هل تُسمعُ شهادة الخالق؟ قال: لا ، ولا روايته. [الخالق: الكاذب].

وقد أورد الحريري في المقامة الثانية والثلاثين قضايا فقهية عديدة على طريقة السؤال والجواب، والمسؤول هو فقيه العرب، وهو شخصية وهمية اخترعها للإفتاء في الأسئلة الفقهية.

ومن الأحاجي الفقهية قول السائل: «أيحل للصائم أن يأكل نهاراً؟».

الجواب: نعم [فالنهار في الظاهر ضد الليل، والمراد به هنا فرخ الحبارى].

ومنها قول السائل: أي وعاء متنجس يطهر بغير غسل؟ الجواب: هو الوعاء الذي فيه الخمر، يطهر، إذا انقلبت خلاً، بغير غسل.

ومنها قول السائل: هل يتصور أن يكون غلامان أحدهما عم الآخر

وخاله؟ الجواب: نعم وذلك إذا تزوج رجل امرأةً، وابنُه ابنتَها، وولد لكل واحد منهما ولد، فولد الأب عم ولد الابن وخاله. وتتصور إذا تزوج رجل ببنت رجل تزوج بأمه، وولد لكل منهما ولد، فابن البنت يقول لابن الأم عمي خالي.

ومن ألغاز النحويين قول أحدهم:

فمِن قبلُ صدقنا، وقد كان قومُنا يصلون للأوثان، قبلُ، محمدا

التقدير: صدقنا محمداً.

وقول الآخر:

أتانا عُبَيدِ الله في صحنِ دارِهِ وفارَقَنَا زيدِ، وفارقنا عمروُ

أتانا: مثنى أتان. وفارَ: مِن الفوران. (قنا) فاعل. (زيدِ) مضاف إليه.

وقول الآخر:

مِن بنات الكروم جاءت سلافاً لم يدسها برجله العَصَّارا

التقدير: جاءت العصارَ.

وفي ألغاز ابن هشام في النحو:

ألاَ طرقتنا مِن سعادَ الطوارق فأرَّقنَ منا مُستهامٌ وعاشقُ

الإشكال: رفع (مستهامٌ وعاشقُ) وحقهما النصب مفعول أرَّقنَ. الحل: رفع (مستهامٌ) على أنه مبتدأ، لانتهاء الكلام في (أرَّقنَ)، وعاشق معطوف عليه.

ومن المحاجاة الإجازة. وهي أن يقول الشاعر شطراً أو بيتاً، ويستغلق عليه، فيطلب من آخر إتمام ما أراد من المعنى. من ذلك مارواه الصفدي في الوافي بالوفيات (جـ ١٩٦/١)، قال: وكان الملك الكامل ليلة جالساً، فدخل عليه مظفر

الأعمى، فقال له: أجز يا مظفر، وأنشد:

قد بلغ الشوق منتهاه

فقال مظفر: ومادرى العاذلون ماهو

الملك: ولي حبيب رأى هواني

مظفر: وما تغيرت عن هواه

الملك: رياضة النفس في احتمالي

مظفر: وروضة النفس في حلاه

الملك: أسمر لَدْنُ القوام ألمى

مظفر: يعشقه كل مَن يراه

الملك: ريقته كلها مدام

مظفر: ختامها المسك مِن لَماه

الملك: ليلته كلها رقاد

مظفر: وليلتي كلها انتباه

الملك: وما يرى أن يهين عبداً

فسكت مظفر ساعة، فقام وقال: يعشقه كل من يراه

ومما يلحق بالأحاجي ماروي أن الصاحب بن عباد رأى بعض ندمائه متغير السحنة ، فقال له: ما الذي بك؟ قال: حَمَا. فقال له الصاحب: (قَهْ)، فقال له النديم (وَهْ)، فاستحسن الصاحب ذلك منه، وخلع عليه. وإنما قال له الصاحب: (قَه)، لأن النديم لحن، فلا يقال إلا (حُمَّيا) [أو حُمىّ]. فأضاف الصاحب إلى قول النديم القاف والهاء، لتصير (حماقه). فلطف النديم وظرف

في زيادة الواو والهاء، ليصير (قهوه). (الوافي ٩/١٢٥) .

ومن الأحاجي الأبيات ذوات القوافي الحسية، التي لا سبيل إلى تصوير لفظها بالحروف، فهو إلى الطبيعة أقرب، وهو في غاية الملاحة. كقول أحدهم:

ظفرت بمعشوق له الحسن حلة فقبلته شفعاً وقلت له...

فقال: أتهواني؟ فقلت له: نعم فقال: ومَن غيري؟ فقلت له...

قافية الأول: صوت القبلة مكرراً. وقافية الثاني: صوت النفي باللسان مكرراً.

وقال ابن رشيق في (العمدة): وقد جاء أبو نواس بإشارات لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعراً لا قافية له؟ قال: نعم. وصنع من فوره ارتجالاً:

ولقد قلت للمليحة قولي من بعيد لمن يحبك... (قبلة)

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي... (رفض)

فتنفست ساعة ثم إني قلت للبغل عند ذلك... (إمش)

والإشارات في هذه الأبيات إما أن تكون باليد، أو بحركات الشفة، وعلى ذلك تكون الإشارة للبغل كما يفعل المكارون، حين يستحثون الدابة، فيطبقون الفكين، ويقرعون بطرف اللسان على الثنايا السفلى. (انتهى).

ومثل هذا قول أحدهم:

متى يُذكَرْ بنادٍ ذكرُ آل الـ ـعلى طاب الشذا فيقال...

وإن تذكر صفات ذوي الدنايا به خبث الشذا فيقال...

قافية الأول: إشارة الشم بالأنف. وقافية الثاني: إشارة التقزز بالشفة.

ومن المحاجاة ما كان بالقافية. وذلك أن يقول المحاجي بيتاً بلا قافية، ويطلب من

الآخر تعيين قافية له ، كقول أحدهم في (مكحلة):

وبئر زجاج عمقها إن حزرته يعادل ميلاً أو يزيد لمن...

قواديسها عظم وإن شئت فضة على العين إن دارت لها يشخص...

وتنقل أحجار إلى الما لسقيه فوا عجباً تُسقى المياه من...

الأولى: حَزَر. الثانية : البصر. الثالثة: الحجر.

ومن المحاجاة مذاكرة الأنفس، وذلك أن يجتمع جماعة، فيقول الأول بيتاً على قافية الباء مثلاً، فيقول الثاني بيتاً أوّله باء وقافيته حرف آخر، فيتلوه الثالث ببيت يبتدئ بآخر حرف القافية، التي أتى بها الثاني، وهكذا ، على أن لا يكون البيت محبوكاً، أي يبتدئ بحرف كحرف قافيته، ومن يعجز، يخرج من اللعبة، فيفوز الأخير.

ويلحق بالأحاجي الألغاز الحسابية على طريقة السؤال والجواب ،كأن يسأل أحدهم:

س: رجل مات وترك ثلاثة بنين، وترك لهم خمس عشرة خابية. خمسٌ منها مملوءة خلاً، وخمس مملوءة لنصفها فقط، والخمس الأخيرة فارغة، فكيف يقتسمونها بالتساوي؟

ج: يأخذ الأول خابيتين مملوءتين، وخابيتين فارغتين، وخابية إلى نصفها. ويأخذ الثاني مثله، فيبقى خمس خواب ، إحداهما مملوءة، والثانية فارغة، والثلاثة الباقية مملوءة لنصفها، فيأخذ الجميع الثالث.

المداعاة وهي كالمحاجاة، يقال: بينهم أُدعِيّة أو أُدعُوَّة يتداعون بها، وأحجية أو أحجوة يتحاجون بها. قال الشاعر:

أداعيك مامستحقبات مع السرى حسانٌ وما آثارها بحسان

أي أحاجيك. وأراد بالمستحقبات السيوف.

المرموس أصل الرمس الستر والتغطية. يقال: رمس عليه الخبر رَمْساً: إذا لواه وكتمه. ومنه قول بعضهم:

قد سُقِيت آبالُهم بالنار والنار قد تشفي من الأوار

فكيف تُسقى الإبلُ بالنار؟ وكيف تروى العطاش بالنار؟ المعنى مرموس، وكشفه أن أصحاب الإبل ذوو رفعة وسؤدد، وإبلهم موسومة بوسم معروف، فإذا وردت الماء نَحَّوْا بقية الإبل، وقدموها لتشرب. والوسم يكون بالكي، لذلك ذكر النار.قالوا: إن هذا البيت غاية في البلاغة ، فقد أتى قائله بالشيء وضده.

المعاياة وهي أن تأتي بكلام لا يُهتدى له. يقال: عَيَّ بأمره، وعَيِيَ به: إذا لم يهتد لوجهه. قال عبيد بن الأبرص:

عَيّوا بأمرهم كما عَيَّت ببيضتها الحمامهْ

وقال النابغة: «عيت جواباً وما بالربع مِن أحد»

وتتداخل المعاياة مع العويص والمعمى والمرموس، والحد بينها يصعب تمييزه. من ذلك قول أحدهم في اسمي (سليم وعلي):

ورقاء قلبي قد أضحت مرفرفة على قوامك يامن طرفه عجمي
وأنها هبطت منه على غصن فغض طرفك وارسله إلى القدم

وقد أولع الحريري بهذا النوع، فمنه قوله:

ميمَ موسى من نونِ نصرٍ ففسر أيهذا الأديب ماذا عنيت

الجواب: مِيمَ موسى: أصابه الموم، وهو البرسام (أشد من الجدري). ونون نصر:

حُوتُه، وهو السمك. أكل موسى من سمك نصر، فأصابه الموم.ومنه قوله:

باء بكرٌ بلام ليلى فما ينـ ـفكُّ منها إلا بعين وها

باءَ: أقرَّ. واللام: الدرع. أي لما أقر بكر لليلى بدرعها ألزمته برده، فما ينفك منها إلا بالدرع بعينه، وبقول (ها)، أي خذي.

المعمى التعمية أن تُعَمِّيَ على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه، وهي كالأغاليط والأحاجي تحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن وكد الخاطر. وروى الجاحظ أن النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف مايكون من المعمى. وذكر الثعالبي في يتيمة الدهر في ترجمة أبي أحمد بن أبي بكر الكاتب أن أبا طلحة قسورة بن محمد كان من أولع الناس بالتصحيفات، فقال له أبو أحمد يوماً: إن أخرجت مُصَحَّفاً أسألك عنه، وصلتك بمئة دينار. قال: أرجو أن لا أقصر عن إخراجه، فقال أبو أحمد: في (قشور هينم جمد) فوقف قسورة حماره وتبلد طبعه، فقال: إن رأى الشيخ أن يمهلني يوماً فعل. فقال: أمهلك سنة. فحال الحول ولم يقطع شعرة . فقال له أبو أحمد: هو اسمك (قسورة ابن محمد) [مصحفاً]، فازداد خجله وأسفه.

وقال المحبي في (خلاصة الأثر في ترجمة ابن النقيب الدمشقي المعروف، ص ٣٩٢)، بعد أن ذكر له عدة معميات شعرية: ومن غريب ما وقع لي مع بعض أدباء الروم، وقد ذكر المعمى، فقال: أبناء العرب لايعرفون المعمى. فأوردت له أشياء منه بالعربية، فاعترف بأن المتأخرين مشوا على نهج الأعاجم والأروام فيه لكثرة اختلاطهم بهم، وأما المتقدمون فلا يعرفونه. فأخرجت له دفتراً من جمعياتي، نقلت فيه عن ابن قتيبة اللغوي، قال: إن هذه الأنواع الثلاثة، وهي

الأحاجي واللغز والمعميات، من خصائص العرب، وكل من نظم فيها من أبناء فارس وأبناء الروم إنما أخذ ذلك عنهم، وتطفل على موائدهم. وانظر إلى تسمية هذه الأمور الثلاثة، هل هي عربية أو فارسية؟ فالمعمى من التعمية وهي التغطية، والأحجية من الحجا وهو العقل كأنه يختبر فيها العقل، واللغز الإخفاء. (انتهى ماقاله). ولكن مع هذا فالحق أحق أن يتبع. إن تطفل الفرس والروم على العرب في هذه الأمور، وإن كان واقعاً، لكنهم لجودة أفكارهم تصرفوا فيه تصرف الملاك، فاستحقوا أن يوصفوا بالتفرد به. ولقد وقفت في الروم على رسالة للسيد الشريف في المعمى ذكر فيها أنه صنع بيتاً واحداً يخرج منه ألف اسم بطريق التعمية، مع التزام تعدد الإيهام في كل اسم. وهذه الأنواع، وإن انفرد كل منها بأسلوب يخصه، إلا أنها ترجع إلى أصل واحد، هو إبراز الكلام على خلاف مقتضى العبارة. فالأحجية أن يؤتى بلفظ مركب، ويطلب معناه من تحليل لفظ مفرد كقولك (هدهد) أي ارجع ارجع . وأما المعمى فهو قول يستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والإيماء، بحيث يقبله الذوق السليم. واللغز مثله إلا أنه يجيء على طريقة السؤال والجواب. والفرق بينه وبين المعمى أن الكلام إذا دل على ذات شيء من الأشياء، بذكر صفات له تميزه عما عداه ،كان ذلك لغزاً. وإذا دل على اسم خاص، بملاحظة كونه لفظاً بدلالة مرموزه، سمي ذلك معمى، فالكلام الدال على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إن مدلوله ذات من الذوات، لا بملاحظة أوصافها.فعلى هذا يكون قول القائل في اسم (كمون):

يا أيها العطار أعرب لنا ... عن اسم شيءٍ قلَّ في سومك
تنظره العين في يقظةٍ ... كما ترى بالقلب في نومك

صالحاً لأن يكون في اصطلاحهم معمى، باعتبار دلالته على اسم بطريق الرمز، ومثل ذلك كثير في أشعار العرب.

ثم قال: واعلم أن أرباب المعمى لم يشترطوا في استخراج الكلمة بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها، بل يكفي حصول حروف الكلمة من غير ملاحظة هيئتها الخاصة، فإن وقع التعرض للحركات والسكنات أيضاً كان ذلك من المحسنات ويسمون هذا عملاً تذييلياً. (انتهى).

ويعد شرف الدين علي اليزدي من رواد هذا الفن (توفي سنة ٨٣٠هـ)، وتبعه المولى نور الدين بن عبد الرحمن الجامي (توفي سنة ٨٩٧هـ)، ألف فيه عشر مسائل، ثم نبغ فيه المولى مير حسن النيسابوري (توفي سنة ٩١٢هـ).

وأول من ترجم طريقة المعمى عن الفارسية قطب الدين المكي في رسالته (كنز الأسما في كشف المعمى)، ثم خلفه تلميذه عبد المعين بن أحمد الشهير بابن البكاء البلخي، فألف رسالة (الطراز الأسمى على كنز الأسما).

وذكر جمال الدين بن نباتة المتوفى سنة ٧٦٨هـ في كتابه (سرح العيون) أن المعمى سمي في عصره (المترجم)، وأن الخليل واضع علم العروض هو أول من استخرجه ونظر فيه.

وللشيخ طاهر الجزائري كتاب (تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز)، طبع في مطبعة ولاية سورية الجليلة في رمضان المبارك سنة ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م، قال في مقدمته: «أحسن مايقال في تعريف المعمى أنه كلام يستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والإيماء ،بحيث يقبله الذوق السليم. ويشترط فيه أن يكون له في نفسه معنى وراء المعنى المقصود بالتعمية» .وقد تفنن فيه وأفرد له نصف

الكتاب، وقسمه إلى أنواع، وأتى بأمثال كثيرة لكل منها.

هذا في المعمى من الأحاجي والألغاز، أما التعمية في المكاتبات وإخفاء أسرارها، فنشير هنا إلى أن العرب عرفوا علم التعمية (الشفرة) منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، وأول من وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ)، وتبعه معاصره جابر بن حيان الكيميائي (ت ٢٠٠هـ)، فألف كتابه (حل الرموز ومفاتيح الكنوز). وفي القرن الثالث جاء فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥ ـ ٢٦٠هـ)، فاستوفى هذا العلم في رسالة (في استخراج المعمّى)، وعليها اعتمد أكثر من ألف بعده فيه ،كابن وحشية (ت ٢٩١ هـ)، وابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ)، وغيرهما.

وفي القرن السابع نبغ ابن دنينير (٥٨٣ ـ ٦٢٧ هـ)، ومعاصره ابن عدلان (٥٨٣ ـ ٦٦٦ هـ)، الذي عده المؤرخون من أذكياء البشر على مر الدهور، فألفا في هذا العلم، وتبعهما في القرن الثامن ابن الدريهم (٧١٢ ـ ٧٦٢)، فألف عدة كتب فيه، أشهرها (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز).

* * *

جاء في (ص ٤٧) من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب) الصادر عن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) مايلي، ترجمة عن كتاب المؤرخ الأمريكي (دافيد كهن) في كلامه عن التعمية:

«لم نجد في أي من الكتابات التي نقبنا عنها أي أثر واضح لعلم استخراج المعمى حتى الآن، وعلى الرغم من وجود بعض الحالات المعزولة العرضية: مثل الرجال الإيرلنديين الأربعة، أو دانييل أو أي مصريين يمكن أن يكونوا قد

استخرجوا بعض كتابات المقابر الهيروغليفية، فإنه لايوجد شيء في علم استخراج المعمى، وبالتالي فإن علم التعمية، الذي يشمل علمي التعمية واستخراج المعمى، لم يولد حتى هذا التاريخ (القرن السابع) في جميع الحضارات التي استعرضناها بما فيها الحضارة الغربية.

ولد علم التعمية بشقيه بين العرب، فقد كانوا أول من اكتشف طرق استخراج المعمى وكتبها ودونها. إن هذه الأمة التي انبثقت من الجزيرة العربية في الأعوام الستمئة (القرن السابع الميلادي)، والتي أشعت فوق مساحات شاسعة من العالم المعروف، أخرجت بسرعة واحدةً من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ حتى ذلك الوقت. لقد ازدهر العلم فأصبحت علوم الطب والرياضيات أفضل مافي العالم، ومن الرياضيات جاءت كلمة التعمية (في اللغات اللاتينية عامة، وهي كلمة CHIPHER)، كما ازدهر الفن التطبيقي وتطورت علوم الإدارة.

ولما كانت ديانة هذه الحضارة قد حرمت الرسم والنحت (للأحياء)، فقد حضت بالمقابل على التعمق في تفسير القرآن الكريم، مما أدى إلى أن تنصب الطاقات الخلاقة الكثيرة في متابعة الدراسات اللغوية، مثل كتاباتهم الأدبية في (ألف ليلة وليلة)، وفي الألغاز والأحاجي والرموز والتوريات والجناس وأمثالها من الرياضات الذهنية اللغوية. هذا وقد أصبح النحو علماً أساسياً. فأدى كل هذا إلى أن يتضمن الكتابة السرية (علوم التعمية) ». (انتهى).

* * *

وقد عقد القلقشندي في (صبح الأعشى/٩/٢٢٩) فصلاً (في إخفاء مافي الكتب من السر)، قال فيه:«وهو مما تمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض

من عدو ونحوه، يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه: من ملكين أو غيرهما، حيث لم تفد الملطفات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانبين».

وقسمه إلى نوعين: النوع الأول، مايتعلق بالكتابة. والنوع الثاني، الرموز والإشارات. قال: ومايتعلق بالكتابة ضربان، الأول: مايتعلق بالمكتوب به، وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلاً يكون مقرراً بين المتكاتبين، من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسحه بشيء، أو عرضه على النار، ونحو ذلك. وقد ذكروا لذلك طرقاً، منها أن يكتب في الورق بلبنٍ حليبٍ قد خلط به نَوْشادِر، فإنه لا تُرى فيه صورة الكتابة، فإذا قُرب من النار ظهرت الكتابة. ومنها أن يكتب في الورق أيضاً بماء البصل المعتصر منه، فلا تُرى الكتابة، فإذا قرب من النار أيضاً ظهرت الكتابة. ومنها أن يكتب في ماأراد من ورق أو غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاج، فلا تظهر الكتابة، فإذا مُسِحَ بماءٍ قد خلط فيه العفص المدقوق ظهرت الكتابة. ومنها أن يكتب في الورق غير المنشىّ بالشب المحلول بماء المطر، ثم يلقيه في الماء، أويمسحه به، فإنه إذا جف ظهرت فيه الكتابة. ومنها أن يكتب بمرارة السلحفاة، فإن الكتابة بها ترى في الليل، ولا ترى في النهار. ومنها أن تأخذ الليمون الأسود وعروق الحنظل المقلوة بزيت الزيتون، جزأين متساويين، وتسحقهما ناعماً، ثم تضيف إليهما دهن صفار البيض، وتكتب به على جَسَدِ من شئت، فإنه ينبت الشعر مكان الكتابة، وهو من الأسرار العجيبة. فإذا أريد إرسال شخص بكتاب إلى مكان بعيد، فُعِل به ذلك، فإنه إذا نبت الشعر، قرئت الكتابة.

والضرب الثاني مايتعلق بالخط المكتوب: بأن تكون الكتابة بقلم اصطلح عليه المرسل والمرسل إليه، لا يعرفه غيرهما ممن لعله يقف عليه، ويسمى التعمية. وهنا أفاض القلقشندي بالشرح، ناقلاً عن ابن الدريهم ماتوصل إليه في هذا العلمْ. ويلتمس ذلك، لمن يريد التوسع، في الصفحات (٢٣٠ - ٢٤٨)، ولمن أراد الزيادة والأصل فعليه بكتاب (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب) الآنف الذكر.

وقال في النوع الثاني (الرموز والإشارات، التي لا تعلق لها بالخط والكتابة)، وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالاستعارة بالكناية، وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة. ومن غريب ماوقع في ذلك ماحكاه العسكري في (الصناعتين) [وهي الحكاية التي رواها السيوطي في (المزهر)، والتي ذكرناها آنفاً، برواية أخرى].

ومن ضروب التعمية في الكتابة أن يصطلح المتكاتبان على إبدال حرف بحرف آخر، كجعل الميم كافاً وبالعكس، والواو ألفاً وبالعكس، والدال راءً وبالعكس. وقد نظم بعضهم البيت التالي، الذي ذكر فيه كل حرف تلو مايبدل به:

«كم أو حط صلا له درسع   في بزخش عض ثج تدفق»

وعلى هذا تكتب كلمة محمد هكذا (كطكر)، وكلمة خالد هكذا (شوصر)، وكلمة مسعود هكذا (كعسار)، وهكذا..

ومن التعمية عكس الكلمة، فتكتب محمد هكذا (دمحم)، وعليّ هكذا

(يتبع).

ومنها إبدال الحروف بمالها من أعداد بحساب الجمل وهي كما يلي:

ا	ب	جـ	د	هـ	و	ز
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

فتكتب كلمة محمد هكذا (٤٠، ٨، ٤٠، ٤).وقد يكتب عوضاً عن الأعداد حروفٌ تعادلها، وذلك زيادة في التعمية، فتكتب كلمة محمد هكذا (لي، بو، لي، أج)، فاللام والياء بأربعين، وهو عدد الميم، والباء والواو بثمانية، وهو عدد الحاء، والألف والجيم بأربعة، وهو عدد الدال. وللمتكاتبين أن يصطلحا على طريقة كهذه لا يعرفها غيرهما. ومنها أن يرمز المتكاتبان لكل حرف باسم رجل، أو اسم حيوان، أو اسم طائر، كما اصطلح على هذا المعتمد بن عباد وابن زيدون، فكانا يتساجلان القصائد المعماة بأسماء الطير، وكل منها يرمز إلى حرف من حروف الهجاء، كالجدول الآتي:

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هيق
د	صقر	ل	رأل	ل	رأل
ق	عنقاء	س	حبارى	ي	قبج
ل	رأل	م	سماني	ا	نسر
ن	فيّاد	هـ	شقراق	ل	رأل
ا	نسر	ت	بازي	ك	عقعق
ف	ديك	ظ	طاووس	ل	رأل
ا	نسر	ف	ديك	م	سماني
ل	رأل	ر	قمري	هـ	شقراق

فقد كتب ابن زيدون القصيدة المطيَّرة الآتية إلى المعتمد بن عباد:

أيها الظافر لا زِلْتَ مدى الدنيا مظفر

أنت أسنى ابنٍ لأسمى والدٍ في الدهر فافخر

إن ترد شرح مُعَمّىً هو في نظمي مضمر

فاسأل الشاهينَ والصقرين والعنقاءَ تُخبَر

ثم رألَ القفرِ والفَيَّادَ والنسرَ المعمَّر

ثم بعدَ الديكِ عُدْ للنسر والرأل المنفَّر

ثم عد للنسر والرأل، فكل قد تكرر

والحُبارى والسُّمانى والشّقراقِ المُحَبَّر[1]

ثم سائل بعدها البازيَ إن حلَّ فصَرْصَرْ[2]

---

(١) الشقراق: من فصيلة الغربان. المحبَّر: المرقش بالألوان.

(٢) صَرَّ وصَرْصَرَ: صاح بشدة.

مـعـه الطـاووس والـديـك إذا بـالـصـبـح بشـر
تِلْوُهُ الـقـمـري مـهـمـا ردد الـسـجـع فـقـرقـر[١]
ثـم نـادِ الـهَـيْـقَ والـرألَ لـعـل الـسـرَّ يـظـهـر
وتَعَيَّفْ مـالـدى القَبْـجَـيْنِ مِن خـافٍ سيظهـر[٢]
ثـم عـد لـلـنـسـر والـرأ ل هـمـا في الأمـر أكـثـر
وازجـر الـعـقـعـق حقَّ الـزجـرِ إن الـطـيـر تُزجـر
وَلْـيَـلِ الـرألَ سـمـانـى وشِـقـرّاقٌ تـأخـر
لَكَ ذهـن بـالذي في الشـعـر مـن خـبءٍ سَيَشْعُـر[٣]
فـتـأمَّلْ مـاانـبـرى فِكْـري لَـهُ، ثـم تـدبّر
واعـتـقـد أنـيَ في تَـمٌ كـمـن خَطَّ فـسَطّـر[٤]
وتـيـقـن أن مـايـنـفـك أمـرٌ سـوف يُقْـدَر

فاستخرج المعتمد البيت المعمى فيها، وهو بحسب الجدول السابق:

(صَـدَقْ لـنـا فـالَ الـسِّـمَـهْ تَـظْـفَـرْ عَـلِـيَّ الـكَـلِـمَـه)

وللتعمية ضروب كثيرة يتعارف عليها المرسِل والمرسَل إليه.

المغالطة هي ذكر لفظ ذي معنيين مختلفين، أحدهما قريب، والآخر بعيد، كما في التورية، إلا أن المعنى البعيد في المغالطة يكون ألطف من المعنى القريب،

(١) القرقرة والقرقار: صوت الحمام، وهدير البعير.
(٢) عاف الطيرَ: زجرها ليستدل منها على مايتفاءل أو يتشاءم به. وليس في المعجم (تَعَيَّف).
(٣) الخبء والخبيء: ماخُبّيء وغاب.
(٤) التمّ والتمام: الشيء التام. وفي رواية أخرى (في نمّ) بالنون، أي أودعت في كلامي ما ينم على المعمى، فكأنني أوضحته بالكتابة. وعلى الرواية الأولى (في تم) بالتاء: قد أوضحت رأيي، وأتممت كلامي، فعليك قدح زناد فكرك لاستخراج ما عميت.

وأنسب موافقة للمراد. كقول أحدهم في الخلخال:

ومضروب بلا جُرم مليح اللون معشوق
له قدٌّ الهلال على مليح القد ممشوق
وأكثر ما يُرى أبداً على الأمشاط في السوق

فالمغالطة في الأمشاط والسوق. فالمعنى القريب أنها أمشاط الشعر وسوق البيع والشراء. والمعنى البعيد أنها الأمشاط جمع مشط، وهو عظم الساق، وجمعها سوق، وعليها يُرى الخلخال. ووقع في الغلط أحد البسطاء، فقال: ذهبت إلى السوق أطلب من هذه الأمشاط الموصوفة، فضحك الناس مني.

ومن المغالطة التي تتداخل معها التورية قول أحدهم في (القلم):

وذي خضوع راكع ساجد ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لأوقاتها منقطع في خدمة الباري

وقد عُدَّ من المغالطة قول من سأل: «أيحل للصائم أن يأكل نهاراً؟»، فالمغالطة بلفظ النهار، ومعناه القريب الذي هو ضد الليل، ومعناه البعيد فرخ الحبارى، فهو هنا أنسب موقعاً ومطابقة للمراد، فليس معقولاً أن يحل للصائم الأكل نهاراً.

الملاحن لَحَنَ له يَلْحَن لحناً: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره، لأنه يمليه بالتورية عن الواضح المفهوم. قال الطرمّاح:

وأدت إليَّ القولَ عنهن زولة تلاحن أو ترنو لقول الملاحن

أي تكالم بما يخفى على الناس.

وألحنَه القولَ: أفهمه إياه، فلحِنَه ولَحَنَه بالكسر والفتح لحناً، فهو لَحِنٌ

فَطِن. قال تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ (٣٠/محمد)، أي في فحواه ومعناه. وفي الحديث: « إنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض [أي أفطن لها] فَمَن قضيت له بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار». وقال مالك بن أسماء بن خارجة:

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق رائع وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره، وتعرّض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها، وخير الحديث من مثلها ما كان لا يفطن إليه كل أحد.

واللحن كالتعريض، كما في قول النبي ﷺ وقد بعث قوماً ليخبروه خبر قريش : «الحنوا لي لحناً»، أي عرّضوا بما رأيتم ولا تفصحوا. أراد بذلك أن لا يقف جند المسلمين على بأس العدو وشدته، فيتخاذلوا.

وقد عقد السيوطي في كتابه المزهر (١/٥٦٧) فصلاً في الملاحن، أشار فيه إلى تأليف ابن دريد فيه تأليفاً لطيفاً، قال فيه:«وسميناه (كتاب الملاحن)[1] ، واشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة، التي لا يشوبها الكدر، ولايستولي عليها التكلف،لأن اللحن عند العرب الفطنة، ومنه قول النبي ﷺ: «لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»، أي أفطن لها وأغوص عليها، وذلك أن اللحن أن تريد شيئاً، فتوري عنه بقول آخر».

وذكر قصة العنبري، وقصة أبي عبيدة، (وقد ذكرنا قصة العنبري هذه آنفاً ، برواية أخرى). ثم ذكر ألفاظاً عديدة كل منها له معنيان، منها: ما

(١) صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان عام ١٩٩٢ .

سألت فلاناً في حاجة قط. والحاجة هنا ضرب من الشجر له شوك . ومنها: وما رأيته، أي ما ضربت رئته. ولا كلمته، أي ما جرحته...الخ. ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

إني رأيت عجيباً في دياركم شيخاً وجاريةً في بطن عصفور

أي: وَجَأَ رِئةً.

وفي نوادر ابن الأعرابي: كان عند امرأة رجلان يخطبانها، وكان أحدهما أعجب إليها من الآخر، فقال لهما أبوها: «أيكما كان أسرع فصلاً للذراع من العضد، زوّجته إياها. فقالت الجارية للذي تحب، ونظرت إليه: «وابطناه!»، أي اقلب العظم، فإن مفصله من قِبَل بطنه. فقال أبوها: «وابطنك، واهوانك» (انتهى). فقد لحنت له بالمراد بقولها: «وابطناه».

وبعد، فالألغاز إذاً فن من فنون الأدب ازدهر ردحاً من الزمن حين مال الأدباء والشعراء إلى المحسنات البديعية، واشتد ولعهم بها، وجعلوا همهم في التنافس بفصاحة الألفاظ دون بلاغة المعاني، فكانت مقامات بديع الزمان الهمذاني، فالحريري، ثم الوهراني في مناماته، وكثرت المساجلات في الأحاجي والمعميات، والتلاعب باصطناع الألغاز العويصة والمعاياة الخفية، التي يُحتاج لاستخراجها إلى سرعة البداهة، وكد الخاطر، وجهد القريحة، وقدح زناد الفكر، وتمكن من علوم البلاغة، وإتقان علوم اللغة، والتصرف بمفرداتها.

وقد عمد بعض العلماء إلى التأليف في هذا الفن، قديماً، كما ضمن بعض الشعراء دواوينهم كثيراً من الألغاز. وفيما يلي سجل ببعض المصادر:

مصادر الألغاز

١ ـ أبكار الأفكار ـ ابن شرف القيرواني.
٢ ـ الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية، رسالة للسيوطي في كتابه (الحاوي).
٣ ـ إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني.
٤ ـ ألغاز ابن الجياب. ديوانه/نفح الطيب.
٥ ـ ألغاز ابن الفارض ـ ديوانه.
٦ ـ ألغاز ابن هشام في النحو (مؤسسة الرسالة).
٧ ـ ألغاز شمس الدين الجزري (٨٣٣هـ).
٨ ـ الألفية في الألغاز الخفية ـ الإربلي، تتضمن ألف لغز في ألف اسم.
٩ ـ بدائع البدائه ـ عليّ بن ظافر.
١٠ ـ البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي.
١١ ـ تاريخ آداب العرب ـ مصطفى صادق الرافعي.
١٢ ـ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان.
١٣ ـ تحرير التحبير ـ ابن أبي الإصبع.
١٤ ـ تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز، الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ ـ ١٣٣٨).
١٥ ـ خريدة القصر للأصفهاني.
١٦ ـ خزانة الأدب ـ ابن حجة الحموي.
١٧ ـ خزانة الأدب ـ البغدادي.
١٨ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.
١٩ ـ دراسات فنية في الأدب العربي، الدكتور عبد الكريم اليافي.
٢٠ ـ دلائل الإعجاز في الأحاجي والمعمى والألغاز، أحمد بن عبد اللطيف الدمياطي (١١٦٠ ـ ١٢٢٦هـ).
٢١ ـ ديوان ابن عنين ـ تحقيق خليل مردم بك.
٢٢ ـ ديوان ابن الرومي.
٢٣ ـ ديوان أبي الفتح البستي.
٢٤ ـ ديوان ابن زيدون.
٢٥ ـ ديوان أسامة ابن منقذ.
٢٦ ـ ديوان امرئ القيس.

٢٧ ـ ديوان الشاب الظريف.
٢٨ ـ ديوان العلم السخاوي.
٢٩ ـ ديوان المعري ـ اللزوميات.
٣٠ ـ الذخائر الأشرفية في الألغاز الحنفية ـ ابن الشحنة.
٣١ ـ رسالة في أصول المعمى ـ الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٥٠).
٣٢ ـ رسالة في الألغاز للنواجي.
٣٣ ـ رسالة في عمل المعميات والألغاز ـ العاملي (٩٥٣ ـ ١٠٣١).
٣٤ ـ رسالة في المعمى ـ ابن البكاء.
٣٥ ـ رسالة في المعمى ـ محمد بن علي السويدي (م ١٢٤٦هـ).
٣٦ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (٦٣٠ ـ ٧٠٢هـ).
٣٧ ـ سرح العيون ـ ابن نباتة.
٣٨ ـ شرح الأبيات المشكلة الإعراب ـ للفارقي.
٣٩ ـ شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية ـ ابن هشام.
٤٠ ـ شرح الكافية البديعية ـ صفي الدين الحلي.
٤١ ـ شرح كنز الأسما ـ محمد بن قطب الدين (ت ١٠٤٠هـ).
٤٢ ـ شرح كنز من حاجى وعمى في الأحاجي والمعمى ـ ابن نباتة.
٤٣ ـ شرح معمى بهاء الدين العاملي (إبراهيم الحلبي).
٤٤ ـ شرح المعمى المنسوب إلى العاملي ـ علي القارصي.
٤٥ ـ الطراز الأسمى على كنز الأسما ـ عبد المعين بن البكاء.
٤٦ ـ عبد المعين البلخي ـ رسالة في المعمى (ذكرها الجزائري).
٤٧ ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني.
٤٨ ـ عقلة المجتاز في حل الألغاز ـ علي بن عدلان (٥٨٣ ـ ٦٦٦هـ).
٤٩ ـ الغيث المسجم ـ الصلاح الصفدي.
٥٠ ـ الفاضل الرموزي ـ كتاب في المعمى بالتركية، ذكره الجزائري في تسهيل المجاز (٩٥٠ معمى مع حلها).
٥١ ـ فوات الوفيات ـ الكتبي.
٥٢ ـ كتاب الأضداد ـ أبو دؤاد الإيادي.
٥٣ ـ كتاب الألغاز ـ سعد بن علي الوراق (٦٥٨ هـ).
٥٤ ـ كتاب الألغاز ـ تاج الدين السبكي (٧٧١هـ).

٥٥ ـ كتاب الألغاز ـ جمال الدين الأسنوي (٧٧٢هـ).

٥٦ ـ كتاب الألغاز ـ عز الدين حمزة (٨٧٤هـ).

٥٧ ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة.

٥٨ ـ الكشكول ـ بهاء الدين العاملي.

٥٩ ـ الكنز المدفون والفلك المشحون ـ محمد بن قاسم القاسمي الشهير بالحلاق، مخطوط بدار الكتب الظاهرية (٢٧ ورقة ـ رقم ٦٢٣١).

٦٠ ـ كنز الأسما في كشف المعمى ـ محمد بن قطب الدين النهرواني (ت ٩٨٨).

٦١ ـ كنز من حاجى وعمى في الأحاجي والمعمى، محمد بن إبراهيم الحنبلي الحلبي (٩٠٨/٩٧١)، وله شرحها (غمز العين إلى كنز العين).

٦٢ ـ اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة ـ القوصي.

٦٣ ـ لطف السمر وقطف الثمر ـ نجم الدين الغزي.

٦٤ ـ لمح السحر.

٦٥ ـ المثل السائر لضياء الدين الموصلي.

٦٦ ـ المحاجاة ـ الزمخشري، شرحه السخاوي (٦٤٣هـ)، وأعقب كل أحجيتين بلغزين من نظمه.

٦٧ ـ المزهر ـ جلال الدين السيوطي.

٦٨ ـ المستطرف ـ الأبشيهي.

٦٩ ـ المشاكهة ـ الأزدي.

٧٠ ـ مقامات الحريري.

٧١ ـ مقامات الهمذاني.

٧٢ ـ نتيجة الحجا والإلغاز في الأحاجي والمعمى والألغاز، قاسم بن محمد البكره جي. (١٠٩٤ ـ ١١٦٩هـ).

٧٣ ـ نفح الطيب ـ المقري.

٧٤ ـ نهاية الأرب ـ النويري.

٧٥ ـ نور مصباح الدياجي في المعمى والأحاجي، صلاح الدين بن أحمد الكوراني (م ١٠٤٩هـ).

٧٦ ـ الوافي بالوفيات ـ الصلاح الصفدي.

٧٧ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان.

٧٨ ـ يحيى النيسابوري ـ كتاب بالفارسية في المعمى، ذكره الجزائري (ص/٥٦)، وله شرح ـ تركية لمفضل سرور أفندي.

(التعريف والنقد)

الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت

نقد ورفد

الدكتور عمر الدقاق

« الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت » كتاب من جمع وتنسيق الأستاذ عبد المعين الملوحي. صدرسنة ١٩٩٢ عن دار الحضارة الجديدة في بيروت، ويقع في ١٣٦ صفحة. ويضم الكتاب قصائد ومقطعات لستة عشر شاعراً، معظمهم جاهلي أو مخضرم، مثل بِشْر بن أبي خازم، وطَرَفَة بن العبد، وهُدْبَة بن الخَشْرَم، ومالك بن الريب، بالإضافة إلى بعض الشعراء والمتصوفةالمتأخرين مثل الحلاج والطغرائي...وقد توسع الأستاذ الملوحي قليلاً، فذيّل كتابه بملحق وجيز، أورد فيه مقطعات لشعراء آخرين لم يشتهروا برثاء أنفسهم، وكانت لهم خطرات نفس بصدد الموت والمآل إلى القبر والفناء، جديرة بالاهتمام.

أ-التعريف والنقد :

من المقولات الذائعة بصدد الجود عند العرب بيت يقول:

يجود بالنفس إذ ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وإلى جانب الجود بالنفس بوسعنا القول أيضاً إن رثاء الذات أو بكاء النفس من الموضوعات التي عرفها الشعر العربي. وهذه المراثي القليلة التي خلفتها لنا قرائح الشعراء جديرة بأن تتربع على قمة أغراض الشعر وموضوعاته، لكونها

مفعمة بمشاعر الحزن الواري، ومتواشجة مع أسمى المشاعر الإنسانية، وأصدق معاني الحرقة على النفس، وأعمق النظرات في طبيعة الحياة وحقيقة المصير الذي يؤول إليه كل حي.

وهل يمكن أن يكون ثمة زيف أو رياء، أو يكون نفع أو رجاء، تجاه جبروت الموت، وفي مواجهة العالم الآخر، حين تستتم الحياة دورتها، فيستسلم المرء إلى قدره، ويمضي في نهاية المطاف إلى مصيره..؟

من هنا تبدو أهمية الموضوع الذي تناوله الأستاذ الملوحي، الذي يتمتع بذوق مرهف ونظر ثاقب، وهو الشاعر الأديب الناقد، فضلاً عن ثقافة تراثية وطيدة، وهو الباحث الدارس المؤلف.

ومع أن عدداً من المؤلفين قديماً كصاحب كتاب عيون الأخبار، وصاحب العقد الفريد، وصاحب الأغاني، سبق ان تناولوا هذا الموضوع على نحو ما، وتوقفوا ملياً عند هؤلاء الشعراء وأمثالهم، وأن عدداً آخر أيضاً منهم تناولوا الشعراء الذين قُتلوا أو اغتيلوا، أو الشعراء الذين أسروا وسجنوا... فإن كتاب «الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت» يعد طريفاً في اطار التليد الأصيل. والموضوع في حقيقته لقطة تنمّ على ذكاء لمّاح تجلت لدى الملوحي في تسليط الضوء على موضوع إنساني محدد المعالم، وسط خضم زاخر من الأدب الموروث الحافل.

وإذا كان بعض الكتب وليد المناسبة ككتاب الحماسة لأبي تمام، أو وليد المصادفة كرسالة الغفران لأبي العلاء، فإن لكتاب الملوحي وتأليفه قصة أيضاً تنطوي على قدر من الغرابة والطرافة.

فقد كُتب على عبد المعين الملوحي أن يشدَّ الرحال، في ما يشبه المغامرة السندبادية، منطلقاً من ربوع بردى والعاصي وبلاد منابت الزيتون، إلى بلاد يأجوج ومأجوج، مؤثراً العيش حيناً من الزمان بجوار سور الصين العظيم. أجل، مضى إلى الصين، لا طلباً للعلم، بل رغبة في التعليم، وهو المعلّم أولاً وأخيراً.

ويشاء القدر أن يمتحنه في غربته، ويبلوه بإصابة في بعض عروق دماغه، وشلل في شق جسده، فإذا هو أمام الموت الرهيب الذي يفغر فاه، ويحدد نحوه أنيابه. وإذ ذاك، وكما تذكّر أحمد شوقي وهو منفي في الأندلس سلفه البحتري، وكلاهما حزين مطرق خاشع أمام مآثر الأجداد وآثارهم، تذكّر الملوحي أيضاً سلفه مالك بن الريب، وكلاهما ناءٍ عن أهله، غريب عن وطنه، وقد دنا منه الموت، وكان عليه أن يودّع دنياه. لقد تفجرت قريحة الملوحي الشاعر عن قصيدة مفعمة بالأحاسيس، نابضة بالمشاعر تجاه ألم لاكسائر الآلام، ألم الغربة وألم المرض، وعلم الموت الفاحم يلوح بين عينيه. إنها تجربة مُرَّة أخرى في أعماق هذا الأديب الشاعر، بعد أن عرف من كثب ماهية الموت وقسوته وجبروته قبل سنين بعيدة، حين فجع بزوجه، شريكة حياته ورفيقة عمره، ففاضت نفسه بأرق الشعر وأشجاه، وخير الشعر ما كان وليد المعاناة..، ماأشبه الليلة بالبارحة.

تمنّيتَ يابن الريب لو بتَّ ليلةً (بجنب الغضا تزجي القلاص النواجيا)

وأمنيتي لو بتُّ في حمص ليلة فأسبحَ في العاصي وألقى لداتيا

ويشاء الله أن يمدَّ في أجل الملوحي، فتعود إليه بعد حين عافيته، ويكون أشبه بمن يخرج من فكّي سبعٍ ضارٍ. ولعل ماسبق أن قاله الأقدمون في سبب تأليف حماسة أبي تمام (رب ضارة نافعة)، حين حبسه الثلج الكثيف بخراسان عن العودة إلى وطنه، فقعد يقرأ ويصنّف، بوسعنا نحن في هذا العصر أن نردد العبارة نفسها، فقد خرج الشاعر المؤلف من تلك التجربة المحنة في الصين بقصيدة، وأيضاً بكتاب.

* * *

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، حين عارض الملوحي مالك بن الريب بقصيدة مشابهة، فإنه مما يلفت النظر أن في أشعار الأقدمين عدة قصائد في موضوع رثاء النفس، ذكر المؤلف بعضها، وفاته ذكر بعضها الآخر. وهي

جميعاً منسوجة على منوال واحد من حيث الوزن والقافية، فهي منظومة على البحر الطويل، ورويّها الياء المنصوبة. ولا ريب في أن أشهرها قصيدة مالك بن الريب، ومطلعها[1]:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

وللشاعر الجاهلي عبدِ يَغُوثَ بنِ صَلاءَةَ قصيدة أوردها المفضَّل الضبّي في مفضلياته، وفيها رثى نفسه. وقد اختلف الرواة وأصحاب الاختيارات في عدد أبياتها، وشكّوا في زيادات بعضها الآخر، ومنها قوله[2]:

أيا راكباً، إمّا عرضت فبلّغنْ ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

وللشاعر صُرَيْم بنِ مَعْشَرٍ الملقب بأُفنون التغلبي قصيدة لا تتجاوز سبعة أبيات بكى فيها نفسه قبل موته، وهو أيضاً من شعراء المفضليات، ومنها قوله[3]:

لعمرك مايدري امرؤ كيف يتّقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا

والقصيدة الأخرى من هذا القبيل للشاعر الأموي جعفر بن عُلْبَةَ، ومنها قوله[4]:

أحقاً ـ عبادَ الله ـ أن لست رائياً ... صحاريَ نجدٍ والرياحَ الذواريا

أما علقمة ابن سهل ـ وهو ممن فات المؤلفَ ذكرُهم ـ فقد كان له على هذا الصعيد دلو بين الدلاء، ومن أبياته التي يصف فيها ساعة دفنه[5]:

(١) أثبت القصيدة أبو علي القالي في أماليه ٣: ١٣٥، كما أوردها أبو الفرج في أغانيه ٢٢: ٢٨٥، ط دار الكتب، والجاحظ في البيان والتبيين، ٣: ٣٧، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، وابن عبد ربه في العقد الفريد...

(٢) الأغاني، أبو الفرج، ط دار الكتب، ١٦: ٣٢٨.

(٣) الشعر والشعراء، ابن قتيبة ١: ١٨٧، ٢، ٣٨٢.

(٤) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ط دار الكتب ١٣: ٤٥، وفي الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم ١: ١٣٣ أبيات لجعفر ليس بينها هذا البيت.

(٥) الحيوان، الجاحظ ١: ١٢١ تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٦٥. وقد أورد ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١: ٢٢١ أربعة أبيات أخرى لعلقمة بن سهل ليس بينها هذا البيت.

ودلّيتُ في زوراء، ثُمَّتَ أعنقوا لشأنهم، قد أفردوني لشانيا

هؤلاء الشعراء، الذين طاب أيضاً للملوحي أن يشاركهم في شجوهم ويجاريهم في شعرهم، يشتركون جميعاً في ظاهرة فنية لافتة للنظر، وهي تشاركهم في شكل القصيدة من حيث البحر والقافية. وكان منتظراً من مؤلف الكتاب أن يستوقفه هذا الأمر، وهو بصدد تناوله الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، مع أنه أورد العديد من هذه القصائد، وأشار إلى بعض التداخل بينها...

ومع أن قصيدة مالك بن الريب هي الأشهر بين هذه القصائد على الإطلاق إلا أنها ليست الأقدم، وناظمها ليس هو الرائد ولا السابق، بل هو التالي أو اللاحق. وبوسعنا أن نمايز بين هؤلاء الشعراء على صعيد أزمانهم وأعمارهم، وتعاقبهم على النظم، وذلك على نحو من الترجيح والظن، لا القطع والجزم. فيكون أسبقهم صُرَيْمُ بنُ مَعْشَرٍ فعبدُ يَغُوثَ، ونضع بعدهما علقمة بن سهل الذي أدرك الإسلام، ثم يليه مالك، وأخيراً جعفر بن عُلْبَةَ...

* * *

على أن مايمكن أن يؤخذ على الكتاب افتقاره إلى ثبت بالمصادر يكون عاماً شاملاً، على الرغم من أن المؤلف حرص على إيراد المصادر المحددة مع صفحاتها المطلوبة، وذلك لدى تناوله كل شاعر من شعراء المراثي.

وفي صدد المصادر أيضاً ثمة اختصارات مخلّة أحياناً، ولا يشفع لذلك قول قائل إنها معروفة للمثقف أو للمختص، فالمنهج العلمي السائد يقتضي ذكر اسم المؤلف ومكان الطباعة وزمانها، وطبعة الكتاب... فلا يكفي ان نقرأ مثلا: (الأوائل ٢ : ٢٢٦) دون ذكر صاحبه، ونظنه أبا هلال العسكري، ثم متى طبع الكتاب وأين و...

كذلك شأن عبارة (الجمهرة ١٤٢)، فالمتخصص يدرك بالقرينة وسياق الموضوع أن المقصود هو كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، على

الرغم من أن كتباً أخرى تحمل الاسم نفسه، أي الجمهرة، ومنها كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد اللغوي الشاعر. وقد يستهين بعض الناس بمثل هذه الملاحظات، ولكننا نقول، أي جدوى من هذه العبارة من الوجهة التوثيقية: (العقد الفريد ٣: ١٧٦)، مادامت هنالك طبعات عديدة للكتاب، أهمها اثنتان: واحدة لأحمد أمين ورفاقه، أي طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، والأخرى طبعة الاستقامة لمحمد سعيد العريان. والإشكال نفسه وارد بصدد كتاب (شرح المفضليات)، ومعلوم أن طبعاتها أيضاً متعددة. وهذا ينسحب على جميع الفهارس الواردة في تضاعيف الكتاب، مثل كتاب «الأعلام»، فبدلاً من ذكر الجزء والصفحة، وهما يتفاوتان باختلاف طبعاته، يمكن ذكر اسم العلم موضوع البحث، مثلا: قيس بن الحدادية...

والمصادر نفسها يبدو أنها لاتتوالى على نسق ما، بل ترد هكذا تباعاً: عيون الأخبار - الشعر والشعراء - طبقات الشعراء - الجمهرة..، دون مراعاة تسلسل حروف الهجاء، ولا التسلسل الزمني لصدورها...

وأكثر من ذلك أن تتوالى المصادر اعتباطاً دون اعتماد أسماء المؤلفين أو أسماء الكتب، بل خلطها جميعاً: المحبر - الآمدي - الزوزني - سمط اللآلي...

وفي صدد النصوص، ولاسيما القصائد، حرص المؤلف على ضبطها بالشكل، ولكن هذا الضبط يفتقر إلى الدقة، وبعضه يجانب الصواب، وذلك لكثرة الأخطاء المطبعية، ومن أمثلة ذلك، وهذا كثير، ماوقع في القصيدة الضادية لطرفة في المطلع، ثم في الأبيات ٥، ١١، ١٢، ١٣، ٣٠...، فضلاً عن الاضطراب في البيت الثلاثين، وكثيراً ماتنتقل حركة الحرف المراد إلى ماقبله أو مابعده، حتى إن القارئ ليؤثر أحياناً إهمال الضبط على هذا النحو وتركه غفلاً من الشكل. ومن الغريب أن يحدث هذا الإغفال في بعض النصوص، فلا يبدو فيها أي أثر للضبط، من مثل ماورد في الصفحتين ٤٥ و ٤٦ اللتين تتضمنان

أرجوزة قيس بن الحدادية قبل مقتله، ثم قصيدته العينية التي تلتها، والتي ذكرها أبو الفرج . وواضح أن المؤلف سها عن ذلك جملة...

ولعله كان من تمام فضل المصنّف أن يكلف نفسه مزيداً من العناء، فيعمد إلى صنع فهارس أخرى يذيل بها كتابه، مثل فهرس للأشعار وآخر للأعلام وما إلى ذلك، ففي هذا الجهد إغناء للعمل العلمي، وفيه تيسير على القارئ.

* * *

ب - الأشعار الرافدة (لـ «الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت»):

وهي جملة من النصوص استدركناها على الكتاب، بعد أن فات الأستاذ الملوحي ذكرها، أو سها عنها، ولا نشك في أن أكثرها معروف لمثله.

(١)

وعلقمة بن سهل عمد الى تصوير نهايته، فتخيل إيداعه في القبر، وإغارة الوارثين على ماله، وقد ترجم له ابن قتيبة وأورد له بعضاً من شعره[١] :

فلن يَعدَمَ الباقون قبراً لجثتي ... ولن يعدم الميراثَ مني المَواليا

حِراصٌ على ما كنت أجمع قبلهم ... هنيئاً لهم جمعي وما كنت واليا

ودُلّيتُ في زوراءَ[٢] ثمَّتَ أعنقوا[٣] ... لشأنهمُ قد أفردوني وشانيا

وقد اختلط بعض هذه الأبيات بقصيدة مالك بن الريب المشهورة، كما تداخلت أشطر من هذه في تلك، فهذا البيت الأول لعلقمة قريب من قول

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١: ٢٢١، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١ . والحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١: ١٢١، القاهرة ١٩٦١ . وبين المصدرين اختلاف في الرواية .

(٢) الزوراء: الأرض البعيدة.

(٣) أعنقوا: أسرعوا ومضوا.

مالك[1]:

ولـن يَعـدم الـوالـون بثاً يـصيبهم ... ولـن يَعدمَ الميـراثَ مـني المَـوالـيا

(٢)

لما أسنّ الشاعر المخضرم عَبْدَة بن الطبيب ورابه بصره، شعر بدنو أجله، ودعا بنيه، وراح يوصيهم بقوله[2]:

أبَنيّ، إني قـد كبـرتُ ورابـني ... بـصـري، وفـيَّ لمـصلحٍ مستمتَع

ثم يقول بعد أن يُلقي على مسامعهم جملة من النصائح:

ولـقد علمت بـأن قَصْري حفرة ... غـبراء يـحملـني إليـها شَرجَـع

فبكى بناتي شجوَهـن وزوجتي ... والأقـربـون إليّ ثـم تـصدعـوا

وتُـركـت في غبراء يُكره وِردُها ... تَسفي عـليّ الريـحُ حـين أودَّع

فإذا مـضيت إلـى سبيلي فابعثوا ... رجـلاً لـه قـلبٌ حديـدٌ أصمـع

إن الحـوادث يـخـترمـن، وإنمـا ... عمر الـفتى فـي أهلـه مستودَع

يـسعى ويـجمـع جـاهداً مـستهتراً ... جـداً، ولـيس بـآكـلٍ مـا يـجمـع

حتى إذا وافـى الحِمـام لـوقـتـه ... ولكـلّ جنب لامـحالة مـصـرع

نـبذوا إليـه بالـسلام فـلم يجـب ... أحـداً، وصُـمٌّ عن الـدعـاء الأسمـع

(٣)

وللشاعر عامر بن الطفيل رجز ارتجله وهو يشرف على الهلاك في إحدى

---

(١) كتاب الأمالي، أبو علي القالي ٣: ١٣٥، دار الكتب المصرية ١٩٥٣. والأغاني، دار الكتب، ٢٢/٨٥.

(٢) شرح المفضليات، المفضلية ٢٧، ٢: ٥٤١، التبريزي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧٧.

المعارك[١]:

يـا نــفسُ إلا تُــقـتـلي تمـوتــي

هـذا حِـمـام الموت قـد صليت

ومـا تمـنيـتِ فـقـد أُعـطيت

* * *

وعَدِيّ بن زيد واحد من الذين أحسوا بوطأة الموت، ولكنه لم يواجهه كما واجهه الشاعر الفارس عامر بن الطفيل، لقد تخيل نفسه وقد أدرج في كفنه...[٢]

...وحُـمَّت لميقاتي إلـيّ مـنيّتـي   وغـودرتُ إن وُسّدتُ أو لـم أوسَّد

ولـلـوارث الـباقي مـن المال فاتركي   عـتابي، فإنـي مـصلح غيرُ مفسد

(٤)

وقد عاش الشاعر لبيد بن ربيعة العامري عمراً مديداً، وحين حانت وفاته وهو على فراشه قال بين يدي ابنتيه[٣]:

تمنى ابنتـاي أن يـعيش أبـوهـمـا   وهـل أنـا إلا مـن ربـيعـة أو مضـرْ

ونـائـحـتـان تـنـدبـان بـعـاقـل   أخـا ثـقـةٍ لا عـينَ منه ولا أثـر

وفـي ابنَـيْ نـزارٍ أسوةٌ إن جزعتما   وإن تسـألاهـم تُـخبَرا فيـهـمُ الخَبرَ

وفيمن سواهـم مـن ملوك وسوقة   دعـائـم عـرشٍ خـانه الـدهـر فانقعر

وقـولا: هـو المرء الـذي لا خـليلَـه   أضـاع، ولا خـان الصديقَ ولا غَدَر

---

(١) العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين ورفاقه ٥: ١٦٠، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١: ٢٢٦، دار المعارف ١٩٦٦.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ٢١٤، تحقيق إحسان عباس، الكويت ١٩٨٤.

إلى الحَول ثُم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٥)

وروى المبرّد أن صاحباً له رأى رجلاً معتكفاً على قبر، فسأله: ياهذا، فرفع رأسه إليّ، وكأنما هب من رقدة فقال: ماتشاء. فقلت: أعلى ابنك تبكي؟ قال: لا. قلت: فعلى أبيك؟ قال: لا، ولا على نسيب ولا صديق، ولكن على من هو أخصّ منهما. قلت: أو يكون أحد أخصّ ممن ذكرت؟ قال: نعم.

وحين مر الصاحب بالقبر اغتبط، إذ لم يجده. غير أنه وجد بجوار القبر صخرة كتب عليها هذا البيت:

وما نحن إلا مثلُهم، غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

فعرف أن الرجل إنما كان يبكي على نفسه[1].

(٦)

وأبو فراس الحمداني الأمير الشاعر أصيب في معركة على مشارف حمص بجرح رغيب، وحين أيقن بانتهاء أجله قال بين يدي ابنته أبياته الذائعة يواسيها ويودع الحياة:

أبنيَّتي لاتجزعي كل الأنام إلى ذَهابِ
نوحي عليّ بحسرة من خلف سترك والحجابِ
قولي إذا ناديتني فعييتُ عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فرا س، لم يمتَّع بالشباب

(٧)

وسيرة ملك قرطبة في الأندلس المعتمد بن عباد مأساة مؤثرة، حين أنزل

(١) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، ٣: ١٤٦٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦.

عن عرشه، وقيّد بالسلاسل والأغلال، ثم سيق إلى سجنه ومنفاه في أغمات بالمغرب العربي. وقد فجرت التجربة القاسية في نفسه أشجى الأشعار، ومنها قوله يرثي نفسه وما آل إليه حاله:

قبرَ الغريب، سقاك الرائحُ الغادي — حقاً ظفرتَ بأشلاء ابن عباد
نعم، هو الحقّ وافاني به قَدَر — من السماء فوافاني لميعاد
كفاك، فارفق بما استودعتَ من كرم — روّاك كلُ قَطوب البرق رعّاد
يبكي أخاه الذي غيّبتَ وابلُه — تحت الصفيح بدمع رائح غاد
حتى يجودَك دمعُ العين منهمراً — من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد
ولا تزلْ صلوات الله دائمةً — على دفينكَ لا تُحصى بتعداد

نظرات في معجم لسان العرب

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

ليس من شك في أن كتاب لسان العرب من أتم المعاجم اللغوية، إذ جمع فيه ابن منظور بين الصحاح، وأمالي ابن بري، والمحكم، وتهذيب اللغة، والنهاية في غريب الحديث والأثر. وقد نشر هذا المعجم أول مرة في القاهرة ببولاق بين عامي ١٣٠٠ و ١٣٠٧هـ تلتها طبعة دار صادر في بيروت عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦، كما صدرت طبعات أخرى لاحقة أعاد فيها ناشروها ترتيب المواد اللغوية بحسب أوائل الكلمات، إلا أن هذه المطبوعات المختلفة على تعددها ترقى جميعاً إلى أصل واحد، هو مطبوعة بولاق، حيث تبع فيها الناشرون ما جاء في تلك المطبوعة من أخطاء وما ورد فيها من تصحيف.

وكان الأستاذ أحمد تيمور قد نشر عام ١٣٣٤ و عام ١٣٤٣هـ في جزئين صغيرين بعض التصحيحات لما وقع في مطبوعة بولاق من أخطاء، كما نشر الأستاذ عبد الستار أحمد فراج بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ عدداً من المقالات عرض فيها بعض الأخطاء الأخرى[1]، ثم نشر الأستاذ عبد السلام محمد هارون بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٧ بعض المقالات تناول فيها طائفة أخرى من الأخطاء التي وقعت في هذا الكتاب، كما أعاد طبع تلك المقالات في كتاب مستقل هو: تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب[2].

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ج ١٢ ص١٧١- ١٨٤، ج ١٣ ص ١٧٧ - ١٩١، ج١٥ ص٥٧ - ٦٤، ج٢٠ ص٣٣ - ٥٤، ج٢١ ص٣٧ - ٥٠، ج٢٢ص ٢٥ - ٢٩.

(٢) نشرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في بيروت عام ١٩٨٧ إلا أن الأستاذ محمد عبد السلام هارون لم يشر في مقدمة كتابه هذا إلى تصحيحات الأستاذ فراج أو ينوه بفضله.

كما أننا نجد في بعض هوامش مطبوعة بولاق تصحيحات لما ورد من أخطاء في بعض الأجزاء التي سبق طبعها إلا أنه لا يمكن الاستدلال على تلك التصحيحات بسهولة فمن ذلك مثلا ماجاء في مادة (نقض) (بولاق ١١١/٩، بيروت ٢٤٣/٧):

«قوله – ونَقّض الكمءُ – تقدم إنشاده في مادة (بصر): ونفَّض الكمءَ بالفاء ونصب الكمء تبعاً للأصل والصواب ما هنا». ومثله أيضاًماورد في مادة (عذق) (بولاق ١١٠/١٢، بيروت ٢٣٩/١٠):

«قوله – وامرأة عقذانة الخ – تقدم في مادة (عقذ) و (شقذ) نقل هذه العبارة بعينها وفيها عدوانة بدل عذقانة وهو تحريف والصواب ماهنا». ومثله أيضاً ماورد في مادة (عقل) (بولاق ٤٨٦/١٣، بيروت ٤٥٩/١١):

«قوله – وقال بقيلة – تقدم في ترجمة (أزر) رسمه بلفظ نفيلة بالنون والفاء والصواب ما هنا». ومثله أيضاً ماجاء في مادة (كتن) (بولاق ٢٣٤/١٧، بيروت ١٣/ ٣٥٥):

«قوله – في المَكْنان – بميم مفتوحة ونونين هذا هو الصواب وتقدم إنشاده في (ثجر) غير هذا والصحيح ما هنا».

أما مطبوعة دار صادر فقد أبقت هذه التصحيحات في مواضعها كما وردت في مطبوعة بولاق وإن كان أولى بها نقلها إلى موادها الأصلية.

إلا أنه بقيت في هذا المعجم أخطاء أخرى كثيرة، كما وجدتُ أن بعض هذه الأخطاء قد ورد أيضاً في نشرات أخرى حديثة لبعض المعاجم مثل تهذيب اللغة أو تاج العروس – مطبوعة الكويت – دون أن يُنبَّه عليها. ومن ثم رأيت أن أعرض في هذا المقال بعض ما وقع في الأجزاء الثلاثة الأولى من أخطاء، مما وقفت عليه – عرضا – دون عمد بعد أن أسقطت

منهـا ماورد في التـصحيحات التـي أشرت إليـها، دون أن أتعرض إلـى ما ورد في هذا الكتاب من نسبة الأبيات إلى غير قائلها، أو إلى ماورد من أبيات دون عزو. على أن أتابع بإذن الله في مقالات أخـرى ما ورد في بقية الأجزاء من أخطـاء. كما رأيت إتمـاماً للفـائدة أن أبين مـا كان قد وقع مـنها أيضـاً في كتاب تهذيب اللغة أو في تاج العروس – مطبوعة الكويت [1]– :

(جأجأ) (ق ١/٣٤)[2]:

ذكّـرَها الـوردَ يقـولُ جـئـجـا
فـأقـبَلَـت أعـناقُـهـا الفُـروجـا

وإنما الصواب: بقـولِ جيجا، بالباء وباليـاء المثناة التحتية. جـيجا: اسم لقـول المورد لإبله جِيَ جِيَ. العنق: الـقطعة مـن الإبل. الفـروج: أراد فروج الحوض. أي نواحـيه. تهـذيب اللغة ١١/ ٢٣٧ والـتكملة (جـيج). والبيـتان لمسعود بن حجل الفزاري. أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٧٠ ج٢ص٢٧٨.

(حشأ) (ق ١/٤٩):

يـنـفـضُ بـالمـشـافـرِ الـهـدالـقِ
نـفـضـكَ بـالَمحـاشِـئِ المَحـالـقِ .

وإنما هي: ينفضن، بالنون. الهدالق: المسترخية. المحاشئ: أكسية خشنة

(١) نشر العلامة الأستاذ حمد الجاسر تصحيحات لبعض ماورد من أخطاء في كتاب تاج العروس ـ مطبوعة الكويت ـ في مجلة العرب ثم أفردها في كتاب مستقل طبع عام ١٩٨٧ هو: نظرات في كتاب تاج العروس. وكان الأستاذ الدكتور محمد حموية قد عني أيضاً بتتبع ماورد في الجزء الأول من تاج العروس من أخطاء أخرى في مقال قيد النشر.

(٢) رأيت أن أكتفي بذكر المادة اللغوية فقط لمطبوعة دار صادر دون رقم الجزء والصفحة بخلاف مطبوعة بولاق التي رمزت لها بـ (ق).

تحلق الشعر من خشونتها. شبه ماتنفض الإبل من الماء عند شربها بالشعر المتناثر عند حلقه. اللسان (حلق) (هدلق) و التكملة (حلق). والبيتان لعمارة ابن طارق الضبي. أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج٢ ص٤٣١.

(درأ) (ق١ /٦٧):[1]

إذا ادّرؤوا منهم بقردٍ رميتُهُ   بموهيةٍ تُوهي عظامَ الحواجبِ

كذا ورد هذا البيت وإنما هو ملفق من بيتين لذي الرمة أولهما (ديوانه ٢٦٣/١):

إذا ادرؤوا منهم بقرد رميته   بموهية صُمَّ العظامِ العوارقِ

والآخر (ديوانه ١٩٧/١):

ورب امرئ ذي نخوة قد رميته   بفاطمة توهي عظام الحواجب

ادرؤوا: استتروا. الموهية: الداهية. توهي: تكسر صم العظام. العوارق: التي تعرُق العظمَ فلاتدع عليه لحما. بفاطمة: بخَصلة تفطِمه. أي تقطعه.

(طرأ) (ق ١ / ١٠٨):

إن تدنُ أو تناَ فلا نَسيُّ[2]
لما قضى الله ولا قَضِيُّ

وإنما الصواب: ولا قفي، بالفاء. القفي: المتتبع للأمور. ديوان العجاج ٤٩٣/١.

(كسأ) (ق ١/١٣٣):

كلّفتُ مجهولها نوقاً يمانيةً   إذا الحِداد على أكسائها حَفَدوا

(١) ومثله أيضاً ما ورد في تهذيب اللغة ١٤ / ١٥٧.

(٢) في اللسان (بولاق): .. تنأى..

وصوابه: إذا الحُداة على... أُكسائها: أواخرها. حفدوا: أسرعوا. تهذيب اللغة ١٠/٣١٠ والزاهر ١/١٦٤ وكتاب الإبل ١٢٣ وتهذيب الألفاظ ٦٨٠.

(هجأ) (ق ١/١٧٥):[1]

وقضيتُ من ورقِ الشبابِ هَجاً ... من كلّ أحوزَ راجحٍ قَصَبُهْ

صوابه: من كل أحور، بالراء. أي أبيض الجسد. الهجا والهجأ: كل ما كنت فيه فانقطع عنك. التكملة (هجأ).

(أوب) (ق ١/٢١٤):[2]

طوى شخصَهُ حتى إذا ما تودفّت ... على هيلةٍ من كلّ أوبٍ نِفالها

وإنما الرواية: إذا ما تودقت... تهالُها. طوى شخصه: أي الصائد. تودقت: دنت. أي الحمر. على هيلة: أي على فزع. تهالها: تفزعها. أي على فزع وهول لما مر بها من الصائد مرة بعد مرة. ديوان ذي الرمة ١/٥٤٠.

(بوب) (ق ١/٢١٦)[3]:

فأما قول القلاخ بن حُبابة وقيل لابن مقبل....

قوله: ابن حبابة، تحريف لامعنى له وإنما هو: ابن جَناب. المؤتلف والمختلف ٢٥٣ واللسان والصحاح والتكملة (قلخ). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م٥٩ ج٢ ص٣٨٩ .

(جوب) (ق ١/٢٧٩):[4]

(١) ومثله أيضاً ماورد في التاج ١/٥٠٣ .
(٢) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ١٥/٦١٠ .
(٣) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٢/٤٧ وفي ديوان ابن مقبل ٤٠٦ .
(٤) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٢/٢٠٢ .

قال أبو نخلة ....

وإنما هو: أبو نُخيلة، بالتصغير. طبقات الشعراء ٦٣ والأغاني ٢٠/٣٩٠ والمؤتلف والمختلف ٢٩٧ وغيرها.

(حبحب):[١]

قال النابغة:

فسافانِ فالحُرّانِ فالصِّنعُ فالرَّجا فجنبا حِمًى فالخانقانِ فحَبْحَبُ

وإنما هي: فساقان، بالقاف. اللسان (حرر) ومعجم مااستعجم (حبحب) والبيت للنابغة الجعدي. ديوانه ٥ .[٢]

(حوب) (ق ١/٣٢٨):[٣]

وصَرّحت عنه إذا تَحَوَّبا

وإنما الصواب: وسرحت، بالسين المهملة. أي فرجت. التحوب: الصياح. اللسان (سرح). وملحقات ديوان العجاج ٢/ ٢٧١

(خبب) (ق١/٣٣١):

.... لا أحسنُ قَتْوَ الملوكِ والخَبَبا

وإنما الصواب أن تأتي (لا) في الشطر الأول منه، وتمامه كما في

(١) جاء البيت في مطبوعة بولاق على الصحة كما ورد في مطبوعة التاج ٢/٢٣١ مانصه: «وليس في ديوانه». أي ليس في ديوان النابغة الذبياني.

(٢) جاء البيت في ملحقات ديوان النابغة الذبياني ٢٢٨ - محمد أبو الفضل إبراهيم - وكنت قد عرضت لهذا البيت وإلى ماجاء في ملحقات الديوان من أبيات أخر في مقال لي في مجلة المجمع م٥٥ ج٤ ص٨١٥ .

(٣) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٢/٣٢٥ .

اللسان (قتا) وأساس البلاغة (قتو):[١]

إني امــرؤٌ من بـنـي خــزيمـةَ لا أحـسـن قـتـو الملوك والخـبـبـا

القـتو: الخدمـة. الخبـب: الخداع والخبـث. وفي جمـهرة اللـغة ٢٧/٢ والحفدا. أراد الحفْد فحرك وهي الخفة في الخدمة والعمل.

(خشب (ق ١/٣٤١):

وفُـتـرةٍ من أثـلٍ مــاتَـخَـشَّـبـا

وصوابها: وقُـترة.... بالقاف. وهي بيـت الصائد. الأثل: شجر يـشبه الطَّرْفاء: تخشبا: أي مما أخذه خشباً لايَتَنَوّق فيه، يأخذه من ههنا وهنا.

(دبب) (ق ١/٣٥٨):

أو ضــربِ ذي جلاجـلٍ دَبـدابِ

والـصـواب: وضـربُ بـالرفـع ودَبدابْ، بـتـسـكين الـبـاء فـي آخـره. الدبداب: الطبل. ديوان رؤبة ٨ .

(دهلب) (ق ١/٣٦٣):

دَهلَب اسم شاعر معروف حكاه ابن جني وأنشد رجزا وهو قوله...

والصـواب: ... وأنـشـد له رجـزا.... وهو دهـلب الـقُـرَيعِـي. التـاج (ذهلب). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٩ ج٤ ص٧٩٠ .

(ربب) (ق ١/٣٨٨):[٢]

ربَّ بـأرضٍ لاتـخـطّاهـا الحُـمُـرْ

والرواية: الـغنمْ. تهـذيب اللغـة ٣٣٦/١٥ واللسـان (لبب) وتهـذيب الألفـاظ ٤٤٦ والأمالي ٢٠٠/٢ وسـمط اللآلي ٨١٨/٢ وشـعر ابن أحـمر

---

(١) جاء في حاشية اللسان مانصه: «هو عجز بيت صدره: اني امرؤ من بني فزارة».

(٢) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٤٦٢/٢ .

١٤١ . قال التبريزي: «وفي شعره: لاتخطاها الغنم» وتمامه:

وجـيـد أدمـاءَ وعـيـني جُـؤذَرٍ لَـبّ بـأرضٍ لم تـوطّأهـا الغَـنـمْ

وبعده :

وحـاجـبٍ كـالـنـونِ فـيـه بـسـطـةٌ أجـادَهُ الـكـاتـبُ خـطّـاً بـالـقـلـم

ربَّ بأرض: لزمها ومثله لب. سمط اللآلي.

(سبسب) (ق ١/٤٤٢):

راحت وراحَ كـعـصا الـسـبـسـابِ

وصوابه: السبسابْ، بتسكين الباء. وهو شجر يتخذ منه السهام. قال ابن منظور: يحتمل أن يكون السبساب لغة في السبسب ويحتمل أن يكون أراد السبسب فزاد الألف للقافية. ديوان رؤبة ٧ وفيه: .. كعصِيٍّ...[1]

(سبسب) (ق ١/٤٤٣):[2]

وقال:

طلـقٌ وعتـقٌ مـثلُ عـودِ السّيـسَب

والبيت كما ورد مضطرب لامعنى له وإنما الصواب: وقال طلق:

وعُنُقٍ مـثلِ عـمـودِ الـسّيـسـبِ

وهو طلق بن عدي. السيسب: شجر يؤتى به من بلاد الهند. اللسان والتكملة (عكم). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م٥٩ ع٢ ص٤٠٤ .

(سلب) (ق ١/٤٥٤):

يـراعُ سـيـرٍ كـالـيـراع لـلأسـلاب

والبيت مختل الوزن وإنما الصواب: .. كاليراعِ الأسلابْ. اليراع:

(١) جاء البيت كذلك – سهوا – في ملحقات ديوان رؤبة ١٦٨ .

(٢) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٣/٥٩ .

القصب. الأسلاب: التي قد قشرت. ديوان رؤبة ٦ وفيه: يراع سيل..[١]

(شعب) (ق١/٤٨٤):

قال قيس بن ذُرَيح...

وإنما هو: قيس بن ذَرِيح، بفتح أوله وكسر ثانيه. الشعر والشعراء ٦٢٨/٢ والمؤتلف والمختلف ١٧٤ وغيرها.

(شيب) (ق١/٤٩٥):

وقال عروة بن الورد:

كليلةِ شيباءَ التي لست ناسياً وليلتنا إذ منّ ما منّ قَرمَلُ
فكنت كليلةِ الشيباءِ همّت بمنع الشكرِ أتأمَها القبيلُ

كذا والصواب أن يُفصل بين البيتين السابقين. فالبيت الأول من الطويل أما البيت الآخر فهو من الوافر. كليلة شيباء: أي داهية كأنه وقع فيها فنجا على ظهر فرس يقال له قرمل. اللسان (قرمل) وتهذيب اللغة ٤٣٠/١١ وديوان عروة ١٢٣ . أما البيت الثاني فلم يرد في ديوانه وإنما جاء منسوباً إليه في الصحاح واللسان (تأم). قال الصغاني (التكملة: تأم) بعد أن أنشد البيت السابق: «وليس البيت لعروة ابن الورد».[٢]

(صقلب):[٣]

بين مقذّى رأسهِ الصّقلاب

صوابه: بين مَقذّي.. الصّقلابِ، المقذ: مابين الأذنين من خلف. الصقلاب : الأحمر. تهذيب اللغة ٣٨٨/٩ والتمكلة (صقلب).

---

(١) كذا.

(٢) كنت قد عرضت لهذا البيت أيضاً وإلى مانسب إلى عروة من أبيات أخر لم ترد في ديوانه في مقال لي في مجلة المجمع م ٥٣ ج٤ ص٨٩٢ .

(٣) جاء البيت على الصحة في مطبوعة بولاق.

(طرب) (ق٢/٤٦):

قال امرؤ القيس:

.... كمـا طرّبَ الطائرُ المُستَحِرْ

وإنما الرواية: إذا طرب.. اللسان (سحر، قطر) وديوانه ١٥٨ وقبله:

كأنّ المدامَ وصوبَ الغمام وريحَ الخزامى ونشرَ القطرْ
يُعَلّ بهِ بَردُ أنيابِها إذا طرب............

(عذب) (ق٢/٧٥):

قال ابن بري: ليس هذا كُثَيّر عزة، إنما هو كُثَيّر بن جابر المحاربي....

وإنما هو: كَثِير بن جابر، بفتح أوله وكسر ثانيه. اللسان (عذب، ذلغ، هلم، بنن، خذا).

(علب) (ق ٢/١٢١)[١]

وأفلَتَهُنَّ عِلباءٌ جريضاً ولو أدركتُه صَفِرَ الوِطابُ

صوابه: ولو أدركنَهُ، أي الخيل. علباء: ابن الحارث الكاهلي. الجريض: الذي يغص بريقه عند الموت. صفر الوطاب: أي هلك فخلا جسمه من روحه كما يخلو الوطاب من اللبن. اللسان (صفر، جرض) وديوان امرئ القيس ١٣٨ .

(غرب) (ق ٢/١٣٧)

.... وأنتم خفافٌ مثلُ أجنحةِ الغُرُبْ

وإنما هي: الغُرْبِ، وتمامه: فما لكمُ لم تدركوا رجلَ شَنفَرَى.. الأغاني ٢١/١٨٦ والبيت لظالم العامري.

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في اللسان (وطب) (ق ٢/٢٩٧) وتهذيب اللغة ١٤/٣٩ .

(قثب) (ق ٢/١٧٨):

لـولا حِـزامـاه ولـولا لَبَـبُـهْ
.... وهي الدُّكينُ.

قوله الدكين، بضم النون، تحريف لامعنى له وإنما الصواب: وهي لدكين. أي الأبيات السابقة. واللبب: مايُشَدّ على صدر الدابة.اللسان (شعب، قحم) ومصادر أخرى كثيرة.

(هذب) (ق٢/٢٨١):[1]

ديار عفـتـهـا بعـدنا كـلُّ ديمـةٍ دَرُورٍ وأخـرى تُهذِبُ المـاءَ ساجـرُ

والبيت مغير العجز وإنما هو من أبيات ميمية والرواية:

ديارٌ مَحَتـهـا بعـدنـا كـلُّ ذَبْلَـةٍ دَروجٍ وأحوى يهضِب الماءَ ساجمِ

تهذب: تسيل. الذبلة: الريح المذبلة. الدروج: السريعة المر. أحوى: سحاب أسود. يهضب: يصب. الساجم: المنصب.ديوان ذي الرمة ٢/٧٤٦

(سمت):[2]

وَمَـهـمـهـينِ قَـذَفينِ مـرَّتينْ

وإنما الصواب: مرتين، بتسكين الراء والرواية:

ومـهـمـهـين أغـبـريـن مـرتـينْ
مـشـتـبـهين قـذفين صـعـبـينْ

القذف: البعيد من الأرض. المرت: الأرض التي لاماء بها ولا نبات. والبيتان لخطام الريح المجاشعي. التكملة (مرت). أراجيز المقلين (مجلة المجمع)

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في اللسان (ذبل) (ق١٣/٢٧١) وتهذيب اللغة ٦/٢٦٦ والتاج ٤/٣٧٨ وفيه: «غير موجود في ديوانه ولا في ملحقاته» وملحقات ديوان ذي الرمة ٣/١٨٧٤ .

(٢) جاء البيت على الصحة في مطبوعة بولاق.

م٥٧ ج٤ ص ٦٣٣ .

(قتت) (ق٢/٣٧٥):

سوى أن ترى سوداءَ من غير خلقةٍ تخاطأها واقتَتَّ جاراتها النَغَلْ

وإنما الرواية: النقْلُ، وهو من أبيات مرفوعة الروي. السوداء: أراد بها الأثفية التي سوّدتها النار. تخاطأها: تجاوزها. اقتت: استأصل. أي حملوا أثفيتين وبقيت واحدة. ديوان ذي الرمة ١٦٠٩/٣ وفيه: وارتثّ...

(خوث) (ق ٢/٤٥٢):[1]

بها كلُّ خوثاءِ الحشى مَرَئيَّةٍ رَوادٍ يزيد القرطُ سوءَ قذالها

والبيت كما ورد مغير العجز وإنما الرواية: يزيد القرطَ سوءاً قذالُها. الخوثاء: المسترخية. مرئية منسوبة إلى بني امرئ القيس. الرواد: التي لاتستقر في موضع. القذال ماعن يمين الرأس وشمالها. ديوان ذي الرمة ٥٥٦/١ .

(لعث) (ق ٣/٤):

قال أبو وجرة السعدي:

وإنما هو: أبو وجزة، بالزاي. اللسان (وجز) والتكملة (لعث) ومصادر أخرى كثيرة.

(ثوج) (ق ٣/٤٦):

من الدنّى ذا طَبَقٍ أثايج

صوابه: من الدَّبى، بالفتح وبالباء الموحدة. الدبى: الجراد الذي لم تنبت أجنحته، واحدته: دباة. ذو طبق: يطبّق الأرض، أي يعمها. الثوج: لغة في الفوج. دعا على زرع بلد بالجراد. اللسان (غملج) وتهذيب اللغة ١١ / ١٧١، وكتاب النبات ٦٣ .

---

(١) ومثله أيضاً ماوقع في التاج ٢٤٤/٥ .

(حنبج) (ق ٣/٦٥):[1]

كـأنّهـا إذ سـاقـتِ العَـرافِجـا

صوابه: سافت العرافجا، بالفاء. أي شمت. العرافج: أماكن تنبت العرفج، وهو شجر طيب الريح أغبر إلى الخضرة.

(حندج) (ق ٣/٦٦):

مـن ثـائـرٍ ونـاقـرٍ ودارج

وإنما هي: وناقِزٍ، بالزاي. أي يقفز ويثب. تهذيب اللغة ٥/٣١١ وكتاب النبات ٦٣ .

(حوج) (ق٣/٦٨):[2]

على أنه قد حكى الرقاشي والسجستاني عن عبد الرحمن عن الأصمعي....

وإنما هو: الرِّياشي، بالياء. وهو أبو الفضل أو أبو الفرج. إمام نحوي لغوي راوية للأشعار كان يحفظ كتب الأصمعي وقرأها عليه. البلغة في تاريخ أئمة اللغة: ١٠٢-١٠٣ . أما الرقاشي فهو فضل بن عبد الصمد الرقاشي. شاعر عاصر أبا نواس، ورد ذكره في مواضع شتى من ديوانه.

(خرفج) (ق٣/٧٩):

بـين اباحـين الحـصادِ الـهائِجِ[3]

كذا وردت اباحين مهملة الإعجام وإنما الصواب: بين إنى حين الحصاد الهائج. بكسر الهمزة وبالنون مقصورا. الإنى: الحين وأضيف إلى

(١) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ٥/٣١٦ .

(٢) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٥/٤٩٨ .

(٣) ونحوه أيضاً ماورد في مادة غملج (ق ٣/١٦١): بين أناحين...

الحين لاختلاف اللفظين لأجل التوكيد. الهائج: الذي يبس واصفر. كتاب النبات ٦٣ وشرح الشواهد الكبرى ٣/٤٥٧ - ٤٥٨ .

(خلج) (ق٣/٨٠):

فإن يكن هذا الزمان خلجا

فقد لبسنا عيشه المخرفجا

وإنما الرواية: فقد لبسنا وشيه المبزجا. ويروى: المبرجا. المبزج: المُحسّن المُزيّن. المبرج: الذي فيه صور البروج. خلجا: خلج حالا وانتزعها وبدلها بغيرها. اللسان (برج، بزج) وديوان العجاج:٢/٤٢ وفيه المبزجا، بالزاي وبين البيتين ستة أبيات. أما قوله: المخرفجا، فهو في بيت آخر هو (ديوانه ٢/٣٩ واللسان: مأد)::

مأد الشباب عيشها المخرفجا

مأد الشباب: نعمته. العيش المخرفج: الواسع.

(خلج) (ق٣/٨٥):[١]

وأخلجَ نهّاماً إذا الخيلُ أوعنت جرى بسلاح الكهل والكهلُ أجرد

والبيت كما ورد مغير العجز وإنما الرواية: إذا الخيل أوعثت... والكهل أحردا، بالفتح. الأخلج: الطويل من الخيل. النهام: الذي يخرج من صدره صوتاً كالأنين. أوعثت: جرت في الوعث وهو اللين من التراب والرمل. ديوان ابن مقبل ٦٩ .

(خلج) (ق ٣/ ٩٠):[٢]

مُوعباتٌ لأخلجِ الشّدقِ سَلعا مِ مُمَرٌ مفتولةٍ عَضُدُهْ

---

(١) في اللسان (بولاق): أوعتت... أجردا.

(٢) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٥/٥٤٠ .

وإنما الصواب: مرغنات.... أخلج الشدق: واسع الفم. السلعام: العظيم الخلق. أي مصغيات لدعاء كلب أخلج الشدق واسعه. اللسان (سلعم، رغن). ديوان الطرماح ٢١٨ وفيه: مرعيات...

(دجج) (ق ٣/٩٠):[1]

إذا رداءُ ليلةٍ تدجدجا

وإنما الصواب: رداءُ ليلهِ تدجدجا. بالهاء على الإضافة. ديوان العجاج ٢/٤٣ - ٤٥ وقبله:

ومهمهٍ هالكِ مَن تعرّجا
هائلةٍ أهواله من أدلجا

(دحرج) (ق ٣/٩٠):[2]

أشداقُها كصدوحِ النبعِ في قُلَلٍ مثل الدّحاريجِ لم ينبُت لها زَغَبُ

صوابه: كصدوع النبع. أي كأن أشداق فراخ الظليم شقوق في خشب نبع. اللسان (قلل) وديوان ذي الرمة ١/١٣٤ .

(دهمج) (ق ٣/١٠١):

الكُداد فحل معروف من الحمير مثل الجديل وشذقم من الإبل..

وإنما هو: شَدَقَم، بالدال المهملة. اللسان (شدقم).

(رهج) (ق ٣/١٠٩):

وهي تَبُدُّ الربَعَ الرّهجيجا

وإنما هي: تبذ، بالذال المعجمة. أي تسبق. الربع: ماولد من الإبل في

(١) ومثله أيضاً ماجاء في تهذيب اللغة ١٠/٤٦٦ والتاج ٥/٥٤٨ .
(٢) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٥/٥٥٣ .

الربيع. الرهجيج: الضعيف من الفصلان. والبيت لمسعود بن جحل الفزاري. التكملة (رهج).أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٧٠ ج ٢ ص ٢٧٨

(زوج) (ق ٣/١١٦):

خرجن اثنتينِ واثنتينِ وفَردةً   ينادون تغليساً سِمال المداهِنِ

صوابه: يبادرن تغليسا سمال المداهن. السملة: بقية الماء في الحوض. المداهن نقر في رؤوس الجبال يستنقع فيها الماء. واحدها مُدْهُن. تهذيب اللغة ١١/١٥٣ وديوان الطرماح ٤٩٢ كما جاء عجزه في شعر ذي الرمة. ديوانه ٣/١٦٨٨ .

(سبج) (ق ٣/١١٩):

لو لقيَ الفيلُ بأرضٍ سابِجا
لدَقَّ منهُ العُنْقَ والدَّوارِجا

وإنما الصواب: لو لقي الفيلَ، بالفتح. أي لدق عنق الفيل ودوارجه. السابج: السند. جعل الفيل نفسه سابجا ظنا منه أن أرض السند أرض الفيلة. التكملة (سبج).

(سوج) (ق ٣/١٢٧):

غرّاءُ ليست بالسؤوجِ الجلنِخ

وإنما الرواية: الجلبح، بالباء وبالحاء المهملة، والبيت لعطاء الدبيري وقبله:

صادتكَ بالإنسِ والتمسُّح

التميح: حسن المشية. السؤوج: الكثيرة الذهاب والمجيء. الجلبح: الدميمة القميئة. تهذيب الألفاظ ٣٣٦ والتكملة (سوج).

(شرج) (ق ١٣٣/٣):

فَمِن طلَل تضمّنهُ أثالُ فشرجةُ فالمرانةُ فالجِبالُ

صوابه: لمن طللٌ.... فالخيال، وهو أول الأبيات. ديوان لبيد٢٦٧ واللسان (سرح، خيل) ومعجم البلدان (سرحة).

(ضرج) (ق ١٣٨/٣):

أوسعنَ من أنيابِهِ المضارج

وإنما الرواية: المضارجا، وقبله:

يسنُّ أنياباً لهُ لوامجا

المضارج: المشاق، وقوله أوسعن: أي أصبن منابت واسعة فنبتن فيها. التكملة (ضرج) وأمالي المرتضى ٢٦٦/٢ .

(ضمج) (ق ١٤٠/٣):

أبعتُ قَرْماً بالهديرِ عاجِجا

صوابه: أنعت قرما. جمهرة اللغة ٦٨/١ ، ٢٩٥/٣ والتكملة (ضرج).

(ضوج) (ق ١٤١/٣):

وخَوفاً من تراغُبِ الأضواج

كذا ورد ولا معنى له وإنما الرواية: خوقاء من .. الخوقاء: المفازة الوأسعة الجوف أو التي لاماء فيها. التراغب: من قولهم: تراغب المكان أي اتسع. الضوج: منعطف الوادي. ديوان رؤبة ٣١ .

(فضج) (ق ١٧٠/٣):

بعد وأما بدنُهُ تفضّجا[1]

(١) في اللسان (بولاق): بعد واما... بإهمال الإعجام.

وإنما الصـواب: تعـدو إذا مابُدنُـها تَفَـضّجـا. البدن: اللحم والسّمن. تفضج: سال عرقا. تهذيب اللغة ١٠/٥٥٨ وديوان العجاج ٢/٤٨ .

(فضج) (ق٣/١٧٠):[١]

ومُنْفَضِجـات بالحـميمِ كـأنّـما نُضِحَتْ لُبُود سُرُوجـها بذِنابِ

والبيت كـما ورد مـضطرب مـختل وإنما الـصواب: مُتـفـضّجـات بالحميم.. بإسقاط الواو من أوله. متفضجات بالحميم: تسيل به، وهو العرق الأسود. تهذيب اللغة ١٠/٥٥٩ وديوان ابن مقبل ٥ .

(نثج) (ق٣/١٩٧)[٢]

يـظلُّ يـدعـو نـيـبَـهُ الـضَّـماعِـجـا
بـصـفـنـةٍ تـز قِـي هـديـراً نـاثـجـا

وإنما الصواب: تـزفي هديرا ناثجا، بـالفاء. الضمعج: الضخمة المسنة من النوق. الناثج: المسترخي. التكملة (نثج).

(هزج) (ق ٣/٢١٤):

قال يزيد بن الأعور الشيبي...

وإنما هو: الشنّـي، نسبة إلى شنّ، حي مـن عبد القيس. اللسان (شنن) والشعر والشعراء ٢/٦٣٩ والمؤتلف والمختلف ٤٥ .

(يأجج) (ق ٣/٢٢٥):[٣]

فَـرّجَ عـنـهـا حَـلَـقَ الـرّتـائِـج

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٦/١٥٢، وقوله (بذناب) كذا في ديوانه أيضاً.

(٢) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ١١/٢٢ .

(٣) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ١١/٢٣٨ والتاج ٦/٢٩٠ .

تكَفُّحُ السّمائِمِ الأواجِج
وقيلُ ياج وأيا أياجِج
عاتٍ من الزجرِ وقيلُ جاهِج

كذا والأبيات الثلاثة الأول منها لجندل بن المثنى الطهوي في اللسان (هجج) وتهذيب اللغة ٥/٣٤٤ والتكملة (هيج). أما البيت الأخير فليس منها وإنما هو لهميان بن قحافة السعدي والرواية: عاتٍ عن الزجرِ وقيل جاه جا. ياج وأياجج وجاه جا زجر للإبل. التكملة (دربج).

(بجح) (ق ٣/٣١):

وأنشد بيت جبيها الأشجعي[1]...

وإنما هو: جبيهاء الأشجعي، بهمزة بعد الألف. اللسان (جبه) والأغاني ١٨/٩٤ والمؤتلف والمختلف ١٠٤ .

(بجح) (ق ٣/٢٢٨):

عليكَ سيبُ الخلفاءِ البُجَّح

وإنما الرواية: سيبَ الخلفاءِ البُجْح، بتسكين الجيم. وهو من قولهم رجل باجح: أي عظيم والجمع بُجَّح وبُجْح. اللسان (لحا) وملحقات ديوان رؤبة ١٧١ وقبله:

قالت ولم تلح وكانت تلْحِي

(بدح) (ق ٣/٢٣١):[2]

يَتبعنَ شَدوَ رَسْلَةٍ تَبَدُّحُ

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في اللسان (حفر) (ق ٥/٢٨٣)، (زنبر) (ق ٥/٤٢٠)، (شرر) (ق ٦/٧٠)، (قسر) (ق ٦/٤٠٢)، (دقق) (ق ١١/٣٩٠)، (رقق) (١١/٤١٥).

(٢) ومثله أيضاً ماورد في اللسان (ترح) (ق ٣/٢٤٠).

والصواب: سدو رسلة تبدح، بالسين المهملة. اللسان (سدا) والتكملة (ترح). السدو: اتساع خطو الناقة. الرسلة: السهلة السير. تبدح: تمد ضبعيها في السير.

(بدح) (ق ٣/٢٣١):[1]

حتى تُلاقي ذاتَ دَفٌ أبدح

بمُرهفِ النَّصل رغيبِ الجرحِ

صوابه: حتى تلافى... أي تداركَ. الأبدح: العريض الجنبين من الدواب. يصف نعامة طردها فارس. والبيتان يشبهان بعض أبيات طلق بن عدي - إن لم يكونا له - أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م٥٩ ج٢ ص٤٠٦ .

(برح) (ق ٣/٢٣٥):

تَبَلَّغَ بارحيٌّ كراه فيه ....

وإنما الرواية: بارحيُّ، بضم الياء، وتمامه: وآخرُ قبلَهُ فلهُ نئيمُ. تبلغ: أخذ فيه النوم كل مأخذ. بارحي كراه: أي كرا البارحة. النئيم: الأنين. ديوان ذي الرمة ٢/٦٨٠ .

(جلح) (ق ٣/٢٥٠):

عصافيرٌ وذِبّانٌ ودُودٌ وأجرِ من مُجَلّحَةِ الذئابِ

صوابه: وأجرأُ من.. المجلح: الجريء. اللسان (سحر) والتكملة (جلح) وديوان امرئ القيس ٩٧ .

(دوح) (ق ٣/٢٦١):

غداة وحولِيٌّ الثرى فوق متنِه مدبٌّ الأتيّ والأراكُ الدوائحُ

وإنما الصواب غداه وحوليٌّ الثرى... الثرى: الندى. المدب: موضع جري السيل. الأتي: السيل الذي لايُدرى من أين أتى. ديوان

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في التاج ٦/٣٠٣ .

الراعي ٤٦ وتهذيب اللغة ١٩٢/٥ والتكملة (دوح).

(رحح) (ق ٢٧٢/٣):

قال عوف بن عطية التميمي....

صوابه: التيمي، بميم واحدة، من تيم الرباب. التكملة (رحح). والأصمعيات ١٦٧ .

(ركح) (ق ٢٧٧/٣):[1]

كـأنّ فـاهُ واللـجـامُ شـاحِي

شـرجـا غَـبـيطٍ سَلِسٍ مِركـاحِ

والصواب: شرخا غبيط، بالخاء المعجمة. الشرخ: حرف القتب وجانبه. الغبيط: قتب الهودج. سلس: أي سلسَ من مساميره واتسع. المركاح: الذي يتأخر. وشحا اللجام فمَ الفرس: فتحه. أي كأن فاه من سعته قتب الهودج. اللسان (شرخ) وديوان العجاج ٤٤١ وبينهما بيت آخر.

(رمح) (ق ٢٧٩/٣):[2]

أواضع البيتِ في سوداءَ مظلمةٍ تقيّدُ العَيْرَ لا يسري بها الساري

صوابه: أو أضعُ البيتَ..... أي أنزل في أرض سوداء فأضع بيتي بها. وقوله: تقيد العير: أي تمنعه من المشي لصلابتها وصعوبتها. ديوان النابغة ٧٦

(سدح) (ق ٣٠٦/٣):

وقد أكثرَ الواشونَ بيني وبينَه كما لم يَغِب عن عَيٍّ ذبيانَ سادِحُ

والبيت مغير القافية وإنما الصواب: غي ذبيان داحس. أي قد حضر هؤلاء أمري كما حضر داحس غي ذبيان. المحكم ١٢٨/٣ وشرح أشعار الهذليين ٢١٧/١ .

(١) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ٩٧/٤ .

(٢) ومثله أيضاً ماجاء في اللسان (خرس) (ق ٧/ ٣٦٣) والتاج ١١/١٦ .

(سرح) (ق ٣/٣٠٨):[1]

وســـرّحــت عـنــهُ اذا تحــوّبــا

رواجِبُ الجوفِ الصهيلَ الصَّلَّبا

وإنما الصواب:.. السحيل الصلبا[1]، بالسين المهملة . السحيل: أشد النهيق. الرواجب: عروق مخارج صوته. الصلب: الشديد. يصف حماراً. اللسان (حوب). وملحقات ديوان العجاج ٢/٢٧١ .

(سرح) (ق ٣/٣١١) قال ابن مقبل:

مـن كلّ أهـوجَ سِـرياحٍ ومُـقـرَبـةٍ نفـات يـوم لكال الـوردِ في الغُمَـرِ

وتشرب في القَعب الصغير وإن قُدِ لمشفـرها يومـا إلى الماء تنـقـدِ

وفي الحاشية: يحرر هذا الشطر - أي الشطر الثاني من بيت ابن مقبل - والبيت الذي بعده فلم نقف عليهما. اهـ.

كذا ورد عجز البيت الأول محرفا لامعنى له وإنما الصواب: تقات يوم لكاك الورد في الغمر. لكاك الورد: ازدحامه. الغمر: القدح الصغير يروي شاربه. السرياح: السريع. الأهوج: الذي كأنّ به هوجا من سرعته. المقربة: الفرس التي ضمرت للركوب. تهذيب اللغة ٤/٣٠٠ وديوان ابن مقبل ٨٧ . أما الصواب في البيت الآخر فهو: تُقَدْ/ بمشفرها.. تَنْقَدِ[2]. أي هي سهلة الخطم عتيقته ليست بغليظة المشافر وهي سلسة ذلول طيبة النفس بالسير. تهذيب اللغة ٤/٣٠٠ وديوان الحطيئة ١٥٥ كما جاء هذا البيت أيضاً في ملحقات ديوان طرفة بن العبد ص ١٤٩ .

---

(١) في التاج ٢/٣٢٥ : السجيل... بالجيم. تصحيف.

(٢) وهو ماذهب إليه محققو طبعة بولاق دون الاعتماد على مصدر معين.

(سطح) (ق ٣/٣١٤):

....في جنبي مريٍّ ومِسطَح

وإنما هي: مدي، بالدال المهملة. وتمامه: أصابت نطافا وسط آثار أذؤب/ من الليل في جنبي.. المدي: الحوض الذي ليست له نصائب. المسطح: الصفاة يحاط عليها بالحجارة فيجتمع فيها الماء. النطاف: بقايا الماء. الأذؤب: الذئاب. تهذيب اللغة ٤/٢٧٩ وديوان الطرماح: ١٢٦ .[١]

(سنح) (ق ٣/٣٢١):

فكم جرى من سانح يَسنَحُ
وبارحات لم تحر تَبرَحُ
بطير تخبيب ولاتبرحُ

قال شمر: ورواه ابن الأعرابي: تَسنَحُ.

كذا وردت الأبيات مضطربة لامعنى لها وإنما الرواية:

فكم جرى من سانح بِسُنْح
وبارحاتٍ لم تَجُرْ بِبَرْح
بطير تخبيب ولابترح

وقوله: ورواه ابن الأعرابي: تسنح، تحريف أيضاً وإنما الصواب: بِسُنح، بضم السين أي باليمن والبركة. تهذيب اللغة ٤/٣٢٢ . التكملة (سنح) وفيها: وبارحات لم تجئ....

(١) جاء هذا البيت – سهوا – في ذيل ديوان الطرماح ٥٦٦ وكنت قد عرضت له وإلى مانسب إلى الطرماح من أبيات أخر لم ترد في ديوانه في مقال لي في مجلة المجمع م٥٥ ج١ ص ١٩٠ .

(سيح) (ق٣/٣٢٤):[١]

تَهاوى بيَ الظلماءَ حَرفٌ كأنّها   مُسيَّحُ أطرافِ العَجيزةِ أسحمُ

والبيت مغيّر القافية، وإنما هو من أبيات رائية والرواية: أصحر. المسيح: المخطط. الصحرة: حمرة تضرب إلى البياض. شبه ناقته بحمار وحشي. ديوان ذي الرمة ٢/٦٣٨ .

(صبح) (ق٣/٣٣٣):[٢]

وصبَّحهُ فَلجا فلا زال كعبُهُ   على كلّ من عادى من الناس عاليا

وإنما الرواية: ظاهرا. صبحه: أتاه صباحاً. الفلج: الظفر والغلبة على العدو. الكعب: الجد والذكر والشرف. ديوان النابغة الذبياني ٧١ والمثلث ٢/٣٣٦ .[٣]

(فتح) (ق ٣/٣٧١):[٤]

قال الأشعر الجعفي...

وإنما هو: الأسعر الجعفي، بالسين المهملة، سمي بذلك لقوله:

فلا تدعُني الأقوامُ من آلِ مالكٍ   إذا أنا لم أسعرَ عليهم وأثقبِ

اللسان (سعر) والمؤتلف والمختلف ٥٨ والأصمعيات ١٤٠ .

(فيح) (ق ٣/٣٨٥):

---

(١) ومثله أيضاً ماوقع في التكملة (سيح).

(٢) ومثله أيضاً ماوقع في تهذيب اللغة ٤/٢٦٥ وفيه: «ولم أقف عليه في ديوانه» والتكملة (صبح) والتاج ٦/٥١٧ .

(٣) جاء البيت أيضاً في ملحقات ديوان النابغة ص ٢٣٣ دون أن يتنبه محققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم – رحمه الله – إلى ماوقع في البيت من تحريف.

(٤) ومثله أيضاً ماورد في اللسان (عتد) (ق ٤/٢٧٠)، (قعد) (ق ٤/٣٦١)، (خصص) (ق ٨/٢٩١)، (عقق) (ق ١٢/١٣٢).

قال المفضل البكري

وإنما هو: النُّكْري، بالنون، نسبة إلى نُكْرة، بطن من العرب. اللسان (نكر) والأصمعيات ١٩٩ .

(وجح) (ق ٣/٤٧٠):

بكلِّ أمعزَ منها غيرِ ذي وَجَح وكلُّ دارةِ هَجْل ذاتِ أوجاح

وإنما الرواية: ذات أوحاج، والبيت لأبي وجزة السعدي وأولها:

يادارَ أسماء قد أقوت بأنشاج كالوشم أو كإمام الكاتبِ الهاجي

التكملة (وجح) [التاج (وجح)]

(ريخ) (ق ٣/٤٩٧):

والحسَبُ الأعلى وعزٌّ جُنيخُ

وإنما الصواب: وعزٌّ جُنبُخُ، بالباء الموحدة. الجنبخ: العظيم. ديوان العجاج ٢/١٧٦ وفيه: الأوفى.

(شبندخ) (ق ٣/٥٠٩):

وقال طالق بن عدي

وإنما هو: طلق بن عدي. التكملة واللسان (شرث، حقا) ومصادر أخرى كثيرة. أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٩ ج ٢ ص ٤٠٤ .

(صملخ) (ق ٤/٤):

سماوِيّةٌ زُغبٌ كأنّ شكيرها صماليخُ معهودِ النصِيِّ المُجَلَّخ

وإنما هي: المجلح، بالحاء المهملة. سماوية: منسوبة إلى السماوة، وهو موضع بالبادية لبني كلب. الشكير: الريش الصغير. الصملوخ: أصل النصي والصلّيان من الورق الرقيق إذا يبس. المعهود: الذي أصابه العهد وهو أول

المطر الموسمي. المجلح: الذي أكل حتى لم يترك منه شيء. تهذيب اللغة ٦٥٩/٧ والتكملة (صملخ) وديوان الطرماح ١٢٤ .

(فرخ) (ق ٤/١٢):

وما رأينا من معشرٍ يَنتَخوا
من شنا إلا فرّخوا

والبيتان كما وردا مختلا الوزن والمعنى وإنما الرواية:

ومارآنا معشرٌ فينتخُوا
من شنأِ الأقوامِ إلا فرّخوا

ينتخوا: من النخوة. فرخوا: ذلوا وسكنوا. الشناءة: البغض. التكملة (فرخ). ديوان العجاج ١٧٧/٢ وفيه: من سائر الأقوام..

(نسخ) (ق ٤/٢٩):

إذا الأعادي حسبُونا نخنخوا
بالحدر والقبض الذي لايُنسَخُ

وإنما الصواب: ... بخبخوا / بالجدّ والقِبص... بخبخوا: قالوا بخ بخ لما سمعوا من الكثرة والعدد. الجد: الحظ. القِبص: العدد. ينسخ: يحول. ديوان العجاج ١٧٦/٢ -١٧٧ .

(نقخ) (ق ٤/٣٢):[1]

حتى تلاقى دفٌّ إحدى الشُمَّخ
بالرمح من دونِ الظليم الأنقَخ

قوله: تلاقى دفّ، تحريف لامعنى له وإنما الصواب: حتى تلافى

(١) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ٣٥/٧ والتاج ٣٦٢/٧ .

دفٍّ... التكملة (نقخ). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٩ ج٢ ص ٤٠٦ .

ومثله قوله أيضاً (اللسان: شرث):

حتى تلافاها بمطرورٍ شَرِثْ

(وخخ) (ق ٤/٣٣):

ليس بوَخواخ ولا مُستَطِل

صوابه: ولا مُسنطَل، بالنون، وهو المتمايل الذي لايملك نفسه. الوخواخ: الكسل الثقيل. والبيت لمسعود بن وكيع السعدي. التكملة (سطل).

(جدد) (ق ٤/٨٢):

وخرقِ مهارقَ ذي لُهلُهٍ أجدَّ الأوامَ به مظؤهُ

وفي الحاشية: قوله مظؤه هكذا في نسخة الأصل ولم نجد هذه المادة في كتب اللغة التي بأيدينا ولعلها محرفة وأصلها مظه. يعني أن من تعاطى عسل المظ الذي في هذا الموضع اشتد به العطش. اهـ .

والبيت كما ورد مختل العجز وإنما الرواية:... به مظمؤهُ. وقوله: خرق مهارق: أراد به مثل المهارق، أي الصحائف البيضاء. اللهله: اتساع الصحراء. أجد: جدَّد. الأوام: شدة العطش. اللسان (ظمأ، هرق، لهله).

(حرد) (ق ٤/١٢٢):

وأنشد للأعرج المغني..

وإنما هو: المَعني، بالعين المهملة. معجم الشعراء ٨٥ .

(خلد) (ق ٤/١٤٤):

بالخالِدّي لاتُضاعُ حَجري

وإنما الرواية: .... لابصاع حَجْرِ. الخالدي: ضرب من المكايل. الصاع: مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد. حجر: قرية بحذاء المدينة. اللسان (هجر). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٧٠ ج ٢ ص ٢٦٥ .

(ذود) (ق ٤/١٤٧):[1]

سيأتيكمُ مني وإنْ كنتُ نائياً دخانُ العَلَندى دون بيتي ومِذودي

والبيت محرف القافية وإنما الرواية: بيتيَ مِذودُ. العلندى: جبل لم ير قط إلا والدخان يخرج من رأسه. مذود: أي يذود عني ويدفع عن عرضي. أراد هجوا يكون في الشهرة بمنزلة الدخان. اللسان (علد) وديوان عنترة ٢٨١ .

(ريد) (ق ٤/١٧٥):[2]

البيت لعلقمة التيمي ....

وإنما هو: عِلْقة التيمي، بإسقاط الميم. ديوان جرير ٢١٦ والتاج (علق) وغيرها. أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج ١ ص ١٦٣ .

(زغد) (ق ٤/١٧٨):

داري وقبقاب الهديرِ الزغادْ

صوابه: زأري وقبقابُ... وقبله بأبيات:

أسكتَ[3] أجراسَ القُرُومِ الألوادْ

القبقاب: الجمل الهدار. الزغاد: أن يهدر هديرا كأنه يعصره. الألود الذي لايميل إلى عدل ولاينقاد لأمر. ديوان رؤبة ٤١ .

---

(١) ومثله أيضاً ماورد في تهذيب اللغة ١٤٩/١٤ .

(٢) ومثله أيضاً ماورد في حاشية التاج ١٢٩/٨ .

(٣) في اللسان (لود) (ق٤/٤٠٠): أسكت... تحريف كذلك.

(زغد) (ق ٤/١٧٨):

قال أبو الصخر:

وإنما الصواب: قال أبو صَخْر، وهو أحد شعراء هذيل. التكملة (زغد) والأغاني ٢٤/١١٠ .

(شدد) (ق ٤/٢١٨):

وقد قيل في ذلك: ألا امرؤٌ يعقد خيط الجلجل.

وإنما الرواية: إلاّ امرأً .. والبيت لأبي النجم. اللسان (جلل) وديوانه ١٨٦ والطرائف الأدبية ٦١ .

(صرد) (ق ٤/٢٣٧):[1] [2]

كأنّ مواضعَ الصُّردان منها منـاراتٌ بُـدِين على خِمـارِ

والبيت محرف العجز وإنما الرواية: بُنِين على جِماد. الصَّرد: أن يخرج وبر أبيض في موضع الدَّبَرة إذا برأت. المنار: علم الطريق. جعل الدبر في أسنمة شبهها بالمنار. ديوان الراعي ٧٧ .

(صيد) (ق ٤/٢٤٩):[3]

أحَبُّ مااصطاد مكانُ تَخْلِيَه

صوابه: مكانٌ يخليهْ، بتسكين الياء. جعل المكان مصطادا كما يصطاد الوحش. والبيت لأبي محمد الفقعسي في كلمة له أولها:

قالت جهيمى إنني لا أبغيْه

(١) في تهذيب اللغة ١٢/ ١٤١: «كذا في نسخ الأصل والذي في التاج واللسان: بدين على خمار».

(٢) في التاج ٨/٢٧٢: .. بدئن على حمار . تحريف أيضاً.

(٣) ومثله أيضاً ماوقع في التاج ٨/٣٠٧ .

وبعده:

ذو ذَنَبــانٍ يسـتـظِـلُّ راعـيْـهْ

الذنبان: نبت يحمد في المرعى. الجيم ١/٢٧٨ واللسان (جلا).

(عفد) (ق ٤/٢٨٧):[1][2]

صـاح بـهـم على اعـتـفـادِ زمانْ

مـعـتـفـدٌ قطـاعُ بَينِ الأقـرانْ

كذا ورد البيتان على أنهما من مشطور الرجز وإنما هما بيت واحد من السريع.

والرواية: .. اعتفاد زمنٌ.. الاعتفاد: أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلايسأل أحدا حتى يموت جوعاً.التكملة (عفد) والاختيارين ٣٠٣ وبعده:

وقـد أراني فـي ملـمـاتِ الصـبـا أيام أظـعـانـي تـنـاغـي الأظـعـانْ

(عند) (ق ٤/٣٠٢):

وبـخ كــلَّ عـــانـدٍ نَــعُـــورِ

صوابه: وبج كلَّ، بالجيم المعجمة. بج: شق. أي شق كل عرق يعصي فلا يرقأ. يصف ثورا . اللسان (صفر، نعر، نوط) وديوان العجاج ١/٣٧١ .

(عهد) (ق ٤/٣٠٨):

قال ذو الرمة:

هل تـعـرف الـعـهـدَ المحيلَ رسـمُـه

---

(١) ومثله أيضاً ماوقع في تهذيب اللغة ٢/٢٢٦ والتاج ٨/٣٩٤ وفهارس تهذيب اللغة ٧٠١ .

(٢) جاء البيت في أصول التهذيب على الصحة إلا أن محققه أخذ برواية اللسان وماوقع فيه من تحريف. تهذيب اللغة ٢/٢٢٦ (الحاشية).

قوله: ذو الرمة، تحريف وإنما الصواب: قال رؤبة... أساس البلاغة (عهد) ومقاييس اللغة ٤/١٦٨، والبيت في ديوان رؤبة ١٤٩ والرواية: الربع .. أرسمُهْ.

(فرد) (ق ٤/٣٢٨):

إذا انتخَت بالشّمالِ بارحةً حالَ بَريحاً واستفردتهُ يَدُهْ

وإنما الصواب: إذا انتحت بالشمال.. جال بريحا.. انتحت بالشمال: أخذت القداح ناحية الشمال. جال بريحا: مال إلى اليمين . استفردته: أخرجته يد الضارب بالقداح فردا. أراد أنه إذا ترادت القداح فلم تخرج خالفها هذا القدح فخرج من بينها فائزا. ديوان الطرماح ٢٠٢ وفيه: سانحة.

(كبد) (ق ٤/٣٨٠):

وليلة من الليالي مرّتْ
بكابدٍ كابدتُها وجرّتْ

وإنما الصواب: مرّتِ، جرّتِ. بكابد: بأمر يكابدني، أو أنه موضع في شِقّ بني تميم. وكابدها: شاقّها. جرت: جرت كلكلها. ديوان العجاج ١/٤١٣ .

(مجد) (ق ٤/٤٠٢):[1][2]

وليست بماجدةٍ للطعام ولا الشرابِ

والبيت مختل الرواية وإنما هو:

... وليست بماجدةِ الطعام ولا الشرابِ

(١) في اللسان (بولاق): ولا للشرابِ.

(٢) جاء البيت في ديوان أبي حية النميري ١٢٣ – عن اللسان – على أنه من مجزوء المتقارب: وليست بماجدةٍ للطعام ولا للشرابِ

(مهد) (ق ٤/٤١٩):

وامتهدَ الغارِبُ فِعلُ الدُّمَّل

وإنما الرواية: وامتهد الغاربُ فعلَ الدُّمَّل. اللسان (دمل) وتهذيب اللغة ٢٢٩/٦ وديوان أبي النجم ١٨٠ والطرائف الأدبية ٥٩ .

(ميد) (ق ٤/٤٢١):

.... وصادفت نعيماً وميداناً من العيش أخضرا

وإنما الرواية:

أإن خضمت ريقَ الشبّابِ وصادفت ....أغيدا. بالدال المهملة. الميدان: الناعم. التكملة (ميد).

(هند) (ق٤/٤٥٠):[1]

وقول عدي بن الرقاع.......

قوله عدي بن الرقاع تحريف لامعنى له وإنما الصواب عدي بن زيد. اللسان (غور، قضم) وديوانه ١٠٠ .

(وتد) (ق ٤/٤٥٧):

وعَــزّ ودٌّ خــاذل وَدَّيْــنِ

والبيت كما ورد لامعنى له وإنما الرواية: وغيرُ ودٌّ جاذلٍ أو ودينْ. وهو لخطام الريح المجاشعي. أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج ٤ ص ٦٣٣ .

(وحد) (ق ٤/٤٦٧):[2]

---

(١) لم يعلق محقق التاج (٣٤٩/٩) الأستاذ عبد الستار أحمد فراج - رحمه الله - على نسبة البيت إلى ابن الرقاع بشيء.

(٢) في التاج ٢٧٣/٩: الوحدانُ، بالضم. تصحيف كذلك.

حتى إذا هبط الوحدانُ وانكشفت منه سلاسِلُ رمل بينها رُبَدُ

وإنما الصواب: الوحدانَ.. عنه.. بالفتح، وهو اسم أرض. عنه: أي عن الثور. الربدة: لون من السواد والغبرة. ديوان الراعي ٦٩ .

(وفد) (ق ٤/٤٨١):(١)

تراءت لنا يومَ السيارِ بفاحمٍ وسُنَّةِ ريم خاف سَمعاً فأوفَدا

قوله: السيار، تصحيف وإنما الصواب النِّسار. أوفد: رفع رأسه ونصب أذنيه . معجم مااستعجم ١٣٠٧ وديوان ابن مقبل ٦٥ .

(ومد) (ق ٤/٤٨٧):(٢)

كأنّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهُنَّ قيظا ليلة ومد

والبيت مضطرب العجز وإنما هو: إذا اجتلاهن قيظٌ ليلهُ وَمِدُ. الومد: شدة حر الليل. التكملة (ومد) وديوان الراعي ٥٥ .

(وكد) (ق ٤/٤٨٣):

ونُبِّئتُ أن القينَ زَنّى عجوزةً فَقيرة أم السوء أن لم يكد وكدي

وإنما الصواب: زنى عجوزه / قُفَيرة أم السوء... القين: الحداد. قفيرة: أم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق. لم يكد وكدي: لم يُغن غنائي. ديوان الطرماح ١٧٨ والنقائض ٧٦٧ وديوان جرير في مواضع كثيرة منه (انظر ص ١١٨٩).

(جرذ) (ق ٤/١٢):

كأنّ أوبَ ضَبعه المِلاّذِ

---

(١) ومثله أيضاً ماوقع في التاج ٩/٣١٤ .

(٢) ومثله أيضا ماورد في تهذيب اللغة ١٤/٢١٨ والتاج ٩/٣٣٠ .

يستهيعُ المراهق المحاذي(1)

وإنما الرواية:

كأن أوب ضبعِهِ الملاّذ
ذرعُ اليمانين سدى المِشواذ
يستهبِعُ المواهقَ المحاذي

الضبع: أن تهوي الإبل بأخفافها إلى العضد إذا سارت. الملاذ: السريع. المشواذ: العمامة. المواهق: المباري. وقوله: يستهبع المواهق: أي يسطره ذرعه فيحمله على أن يهبع أي يمشي مشيا بليدا. والأبيات لعمرو ابن حميل. التكملة (جرذ، شوذ) واللسان (هبع). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج ٣ ص ٤٣٨ .

(شبرذ) (ق ٤/٢٧):

قال مرداس الزبيري...

وإنما الصواب: الدُّبيري، بالدال المهملة. اللسان (خضل) والتكملة (شبرذ) وتهذيب الألفاظ ٤٣٥ .

(همذ) (ق ٤/٥٥):

يُربعُ شُذّاذا إلى شُذاذ
فيها همّاذيٌّ إلى هماذي

وإنما هي: يريغ، أي يطلب بكل طريق. الهماذي: تارات شداد تكون في المطر. وفي جمهرة اللغة ٧٨/١ : يضم شذاذا.. والبيتان لعمرو بن حميل أيضا. التكملة (لوذ). أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج ٣ ص ٤٣٧ .

(1) في اللسان (بولاق): .. صنعة.. وفي تهذيب اللغة ١٠/١١ : يستهيع.. بالياء. تصحيف كذلك .

(همذ) (ق ٤/٥٥):[١]

وأنشد لهمام أخي ذي الرمة:

قطعتُ ويومٌ ذي همـاذِيّ تلتـظى   به القـورُ من وهجِ الـلظى وفَـراهِنُهْ

وإنما هو: هشـام. اللسان (أبب، معر، أول) والأغاني ٣/١٨ ومعجم الشعراء ٢٨٤ . وقوله: فراهنه، تصحيف أيضاً وإنما هي: قراهبه. القرهب: المسن الضخم من الثيران. ذو همـاذي: شديد الحر. القور: واحدها: قارة، وهي الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال.

[للبحث صلة]

(١) ومثله أيضاً ماجاء في التاج ٥٠١/٩ .

(آراء وأنباء)

على هامش مؤتمر علمي

الدكتور عبد السلام العجيلي

خلال ثلاثة أيام، في نهاية شهر آب ومطلع شهر أيلول من عام ١٩٩٦، عقد اتحاد أطباء العرب في أوربا مؤتمره السنوي الثالث عشر في مدينة فرانكفورت في ألمانيا.

واتحاد أطباء العرب في أوربا منظمة علمية واجتماعية أعضاؤها أطباء ينتمون في جنسياتهم إلى مختلف البلدان العربية، ولكنهم يقيمون حالياً في أوربا ويمارسون عملهم في اختصاصاتهم الطبية في الدول المتباينة من هذه القارة. وقد جرت عادة الاتحاد أن يقيم مؤتمره السنوي كل عام في واحدة من مدن أوربا الكبيرة. وكان من حظي، أنا كاتب هذه السطور، أن حضرت اثنين من هذه المؤتمرات، أولهما المؤتمر السنوي الحادي عشر الذي أقيم في العاصمة الفرنسية باريس في صيف عام ١٩٩٤، والثاني المؤتمر الأخير وقد عقد، كما ذكرت، في مدينة فرنكفورت الألمانية بعد عامين من ذاك.

تصدرت برنامج الدعوة إلى هذا المؤتمر كلمة لرئيس لجنته العلمية، الدكتور عمر فيضي محمود، تضمنت فقرة رأيتها مهمة فيما تثيره وتدعو إليه. وهذا ماساقني إلى إنشاء هذا المقال لمجلة مجمع اللغة العربية. في هذه

الفقرة يقول كاتبها مايلي:

«إن الطب شأنه شأن العلوم الأخرى يتطور باستمرار ويغتني بنتائج البحوث والكشوف العلمية ولذا كان لزاماً متابعة مايجدّ فيه دون توقف .... وإننا نحرص على أن تكون لغتنا لغة العلم بشتى فروعه واختصاصاته. إن العلم سيبقى غريباً في ديارنا وسيبقى علماؤنا مقطوعي الصلة بشعبهم ووطنهم إذا نحن لم نجعل من اللغة العربية لغة المؤتمرات ولغة البحث والتأليف في أوساطنا العلمية».

وحقاً فقد نص برنامج الدعوة هذا على «أن لغة المؤتمر هي اللغة العربية، يستثنى من ذلك المحاضرون غير العرب».

هذا الحرص من أطباء وعلماء يتكلمون اللغات الأجنبية ويعملون في مواطن هذه اللغات، على أن تكون لغتهم العربية هي لغة البحث العلمي ولغة المحاضرة في مؤتمرهم، أمر جدير بالإعجاب. وهو كذلك جدير بالتقدير بصورة خاصة من قِبل المثقفين والمفكرين في البلاد العربية ممن يواجهون في مواطنهم حملات التشكيك بصلاح لغتنا لأن تكون أداة التعبير عن معطيات العلم الحديث، وحملات اتهامها بأنها عائق كبير دون تقدمنا الحضاري. وهذه وتلك حملات تصدر عن أعداء أمتنا ويستجيب لها، مع الأسف، نفر من أبناء الأمة ضعاف في همتهم وفي ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم.

وقد عالج المؤتمر في أيام انعقاده الثلاثة، وفي سبع جلسات متتالية، موضوعات طبية متفرقة حاضر فيها علماء عرب وغير عرب، كل في اختصاصه. كانت المحاضرات في غالبيتها الكبيرة تلقى باللغة العربية، وتدور المناقشات حولها بهذه اللغة أيضاً. كما أن واحدة من هذه المحاضرات، وقد ألقاها الأستاذ الدكتور منير البيطار العميد السابق لكلية الطب في جامعة

دمشق، دارت على تجربة التعريب في هذه الجامعة السورية، وهي الجامعة الرائدة في تعليم الطب وسائر العلوم باللغة العربية في مختلف كلياتها. وقد بين الأستاذ المحاضر كفاءة لغة الضاد في تدريس العلوم الحقيقية خلال عشرات السنين الفائته، مشيراً إلى الأجيال العديدة من خريجيها ممن أثبتوا قدراتهم وعلو مستوى ذخيرتهم العلمية في كل البلدان وفي كل الاختصاصات.

أما كاتب هذه السطور فقد افتتح قراءته للبحث العلمي الذي أعده للمؤتمر بكلمة عبر بها عن غبطته بأن شهد اعتزاز زملائه الأطباء العرب في أوربا بلغة آبائهم وأجدادهم، ودلائل إيمانهم بإمكانات هذه اللغة، على الرغم من أن كثيراً مما يحيط بهم في أمكنة مزاولتهم لمهنتهم في الحاضر يدعو إلى الاستهانة بهذه اللغة وبالأمة التي تتكلمها. استهانة مصدرها جهل بالحقائق أو تجاهل وتحامل مقصودان ومتعمدان. واستطردت في كلامي مشيراً إلى أن اللغة، أية لغة كانت، هي أداة للفعل وليست الفاعل نفسه. فإذا كان من تقصير فليس سببه الأداة بل السبب فيه يعود إلى المؤدي مستخدم الأداة. وضربت للمستمعين مثلاً طالما رددته على أسماع الذين يعددون الصعوبات في تعلم لغتنا قراءة وكتابة وفي التعبير بها، إذ أقول لهم تأملوا في اللغة اليابانية وتفكروا ... فمن المعروف أنه لكي يحسن المتعلم كتابة هذه اللغة يجب عليه أن يحفظ ثلاثة آلاف حرف من حروفها، وأن لكل اسم في مفرداتها صيغاً متعددة في كتابته لا تشبه إحداها الأخرى عدا ألوان أخرى من العسر في تعلمها لا تخطر لنا على بال. ومع ذلك لم تحل هذه الألوان من العسر بين اليابانيين، أصحاب هذه اللغة، وبين أن يبلغوا مابلغوه في عصرنا من التقدم العلمي والتكنيكي ومن القدرة والغنى.

لست، في هذه العجالة التي أردتها كلمة على هامش المؤتمر السنوي الثالث عشر لاتحاد الأطباء العرب في أوربا، في سبيل التطرق إلى مادار فيه من أبحاث، في جلساته المخصصة للأمراض الجراحية والهضمية والعصبية وجلسات اختصاصات الطب الأخرى. ما أردت قوله هو الإشادة بجهود إخواننا الأطباء والعلماء، ممن يعيشون أوربا ولا يتخلون عن الاعتزاز بالانتماء إلى أمتهم، أو عن إيمانهم بقدرة لغتها على أن تكون أداة كفؤاً لمتطلبات البحث العلمي، ولا عن سعيهم إلى أن يجعلوها كذلك. فلعل القائمين على إعداد المؤتمرات الطبية والعلمية التي تعقد كل يوم في مختلف أرجاء الوطن العربي، والتي كثيراً ما تستأثر اللغات الأجنبية فيها بالحصة الكبرى في المحاضرات والمناقشات، لعل أولئك القائمين يجدون في إيمان أعضاء اتحاد الأطباء العرب في أوربا وجهودهم درسا ويتخذون فعلهم قدوة في هذا المجال. وذلك لئلا «يبقى العلم غريباً في ديارنا ولئلا يبقى علماؤنا مقطوعي الصلة بشعبهم ووطنهم»، كما أشارت الكلمة التي أوردتها في مطلع مقالي عن مقدمة برنامج المؤتمر السنوي الثالث عشر لهذا الاتحاد.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربعين الثاني والثالث من عام ١٩٩٦

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **آخر النهار / محمود درويش** – ط ١ – دمشق : مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٨ .

– **أبحاث ندوة حلب واليابان : دراسات اقتصادية/** مجموعة من الدارسين – حلب : جامعة حلب ، ١٩٩٥ .

– **الاحتجاج /** أبو منصور الطبرسي، تعليقات : محمد باقر الموسوي– مشهد : المرتضى، ١٤٠٣ هـ – الجزء الأول والثاني .

– **الأدوية المفردة /** ابن وافد ؛ تحقيق وترجمة : ل. ف . أغيري دي كاثر – مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، ١٩٩٤ – (سلسلة : المصادر الأندلسية ١٨) .

– **الأرض في الميزان : الايكولوجيا وروح الإنسان /** تأليف: أل جور؛ ترجمة : د. عواطف عبد الجليل – ط ١ – مصر : مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤ .

– **أشعار المحبين : إلى يوسف عزّ الدين /** حماد السالمي – ط ١–

الطائف : دار الحارثي ؛ دار الإبداع العربي الحديث ، ١٩٩٣ .

– **أصول قديمة في شعر جديد /** نبيلة الرزاز اللجمي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : دراسات فكرية ٢١) .

– **أعلام الحضارة العربية الإسلامية /** زهير حميدان – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥– المجلد الأول .

– **الإمام جلال الدين السيوطي : الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته /** المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – الرباط : المنظمة ، ١٩٩٥ – الجزء الأول والثاني .

– **الإمام الشافعي : الاحتفاء بذكرى مرور اثني عشر قرناً على وفاته /** المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – الرباط : المنظمة، ١٩٩٤ .

– **الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته /** المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – الرباط : المنظمة ، ١٩٩٢ – الجزء الأول: فقيهاً ؛ الجزء الثاني : مفسراً .

– **إنجازات التعليم العالي في ظل الحركة التصحيحية /** وزارة التعليم العالي – دمشق : ١٩٩٥ .

– **انطباعات الأمريكيين العاملين في الكويت حول الغزو العراقي /** مركز البحوث والدراسات الكويتية – ط ١ – المنصورية : المركز ، ١٩٩٦.

– **أوربا: دروس ونماذج /** ويتر سنجهار ؛ ترجمة: ميشيل كيلو – دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٥– (سلسلة : دراسات اجتماعية ٢٢) .

– **بارانويا ؛ الأبواق الميتة : شعر /** درغام سفان – دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٥ .

– **البعثات اليسوعية : مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان /** د .

طلاس عتريسي – ط١ – بيروت : الوكالة العالمية للتوزيع ، ١٩٨٧ .

– **البيليوغرافيا في الماضي والحاضر /** د . محمد سلمان علي – دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٥ .

– **تاريخ مدينة دمشق /** ابن عساكر؛ تحقيق : سكينة الشهابي – ط١– بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦ – المجلد الرابع والخمسون .

– **تاريخ مدينة دمشق /** ابن عساكر ؛ تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٦ – المجلد الخامس والأربعون .

– **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب /** أبو حامد الأندلسي ؛ تحقيق : إسماعيل العربي – الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٩ .

– **تحفة الصفوة في أحكام الحبوة /** : عبد الله المامقاني ؛ راجعه: محي الدين المامقاني – ط٢ .

– **ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير /** ابن سعد ؛ تهذيب وتحقيق : عبد العزيز الطباطبائي – قم : مؤسسة آل البيت، ١٤١٦ هـ .

– **التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان /** عباس العزاوي – بغداد : شركة التجارة والطباعة ، ١٩٥٧ .

– **تهافت القراءة المعاصرة /** منير محمد طاهر الشواف – ط١ – ليماشول : الشواف للنشر والدراسات ، ١٩٩٣ .

– **جغرافية دار الإسلام البشرية /** اندريه ميكيل ؛ ترجمة : إبراهيم خوري – ط١ – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – الجزء الرابع : القسم الأول والثاني والثالث .

– **الحسناء والوحش : قصص للأطفال /** مدام لوبرنس دوبومون ؛

ترجمة : نبيل أبو صعب – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦ .

– **حقوق الإنسان والسياسة الدولية /** ترجمة : دافيد ب . فورسايث، محمد مصطفى غنيم – ط١ – القاهرة : الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ١٩٩٣ .

– **حكايات اسكندنافية /** روجر لاسلين غرين ؛ ترجمة : رزق الله بطرس – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **حماسة القرشي /** تحقيق : خير الدين محمود قبلاوي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : إحياء التراث العربي ٩٨) .

– **خبر الغدير /** الكراجكي ؛ تحقيق : علاء آل جعفر – قم : مؤسسة آل البيت، ١٤١٦هـ – (سلسلة : ذخائر تراثنا ٣) .

– **الختان بين الطب والشريعة /** عبد الرحمن القادري – ط١ – دمشق: دار ابن النفيس ، ١٩٩٦ .

– **الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي /** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس : المنظمة، ١٩٩٥ .

– **الديان العجوزان والثعلب الماكر /** فيصل الحجلي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة : قطعة منه /** المقريزي ؛ تحقيق : د. عدنان درويش ، محمد المصري – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – القسم الأول (سلسلة : إحياء التراث العربي ٩٥) .

– **دليل جامعة البعث /** إعداد : رجاء عدي – حمص : الجامعة، ١٩٩٥ .

– **دليل جامعة حلب : ١٩٩٤ – ١٩٩٦ /** حلب : الجامعة، ١٩٩٥ .

- **دليل الخبراء العرب في مجال الطاقات المتجددة /** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس : المنظمة، ١٩٩٥ .

- **دموع الذئب : قصص للأطفال /** فيصل الحجلي - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦ .

- **الديمقراطية وقرار الجماهير : كيف تنجح الديمقراطية في عالم أكثر تعقيداً /** دانييل يانكلوفيتش ؛ ترجمة : كمال عبد الرؤوف - القاهرة : الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ١٩٩٣ .

- **ذاكرة الإنسان : بنى وعمليات على ضوء منهجية علم النفس المعرفي /** روبرتا كلاتسكي ؛ ترجمة : د . جمال الدين الخضور - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ - (سلسلة : الدراسات النفسية ٣٤) .

- **الذكرى الخمسمئة لسقوط غرناطة /** إشراف : د. عبد الجليل التميمي - زغوان : مركز الدراسات والبحوث العثمانية، ١٩٩٣ - الجزء الأول .

- **روح الزمان : العصاب /** ادغار موران ؛ ترجمة : د . انطون حمصي - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ - الجزء الأول - (سلسلة : دراسات فلسفية وفكرية ٢٠) .

- **روح الزمان : النخر /** ادغارموران ؛ ترجمة : د . انطون حمصي- دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ - الجزء الثاني - (سلسلة : دراسات فلسفية وفكرية ٢٠) .

- **السلحفاة نسمة : قصص للأطفال /** لينا كيلاني - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

- **السلوك الحضاري والمواطنة /** ادوارد.سي . بانفيلد؛ مراجعة : د .

أحمد يعقوب المجدوبة؛ ترجمة : سمير عزت نصار– عمان: دار النسر للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤ .

– **سيرة البحث العلمي في ظل التصحيح المجيد /** وزارة التعليم العالي– دمشق : الوزارة، ١٩٩٥ .

– **شعر عبد الله غانم /** غالب غانم – بيروت : الجامعة اللبنانية ، ١٩٩٥ – (سلسلة : الدراسات الأدبية ٢١) .

– **الشفاء من الإدمان /** باربراكوتمان بكنل ؛ ترجمة : د . زكريا عبد العزيز حليم ، د . سعاد موسى– ط١ – القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤ .

– **شمعة في قاع النهر /** مهدي محمد علي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **شهادات من أقبية السجون العراقية : رسالة إلى ضمير الإنسانية /** مركز البحوث والدراسات الكويتية – ط١ – المنصورة : المركز ، ١٩٩٦ .

– **صفي الدين الحلي /** الصفدي؛ تحقيق: د. عدنان درويش – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ .

– **طبقات أعلام الشيعة في القرن الثالث بعد العشرة /** اغابزرك الطهراني – مشهد : دار المرتضى للنشر ، ١٢٠٢ هـ – القسم الأول من الجزء الثاني .

– **الطريق : قصص للشباب /** ضحى مهند – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **طرق التدريس وفق المناهج الحديثة /** مجموعة من المؤلفين – ط١– طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية ، ١٩٨٧ .

– **الطفل : بين الوراثة والتربية /** محمد تقي فلسفي ؛ تعريب : فاضل الحسيني الميلاني – مشهد : دار المرتضى للنشر .

– **العباءة السوداء : قصص وروايات /** قاسم حول – ط١ – بودابست : صحارى للصحافة والنشر ، ١٩٩٤ .

– **العرافة :شعر /** ريم هلال – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **علم الغريزة : فسيولوجيا /** د. أحمد منيف العائدي – دمشق : مطبعة الترقي، ١٩٢٤ – الجزء الثاني .

– **علم النفس الحديث ونتائجه الاجتماعية /** هـ . ج . إيزنك ؛ ترجمة: د . عبد المجيد نشواتي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦ – (سلسة الدراسات النفسية ٣٦).

– **على ضفاف الغدير : فهرس موضوعي لموسوعة الغدير /** إشراف : فاضل الحسيني الميلاني – مشهد : دار المرتضى ، ١٣٠٣ هـ .

– **عين الذئب : رواية /** خليل صويلح – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **الغراب غاق : قصص للأطفال /** لينا كيلاني – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **الفأس : رواية لليافعين /** غاري بولسن ؛ ترجمة : أديب الانكليزي– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **فتح الأندلس /** دراسة وتحقيق : لويس مولينا – مدريد :المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي ، ١٩٩٤ – (سلسلة : المصادر الأندلسية ١٨) .

– **الفرج بعد الشدة /** التنوخي ؛ اختار النصوص وقدم لها : د .عبد الإله

نبهان – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – السفر الثاني– (سلسلة : المختار من التراث العربي ٦٤) .

– **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي /** وفيق بركات – حلب : معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٩٥ .

فن الغرائز : فسيولوجيا / د . أحمد منيف العائدي – دمشق : الجامعة السورية ، ١٩٣٤ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٥ – الجزء الثاني والخامس .

– **في مدار الذاكرة : قصص قصيرة /** عيسى مصيوط – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : قصص وروايات عربية ٦٣) .

– **القربة إلى رب العالمين /** ابن بشكوال ؛ تحقيق : كريستينادي لابونبي – مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، ١٩٩٤ .

– **القرى الفلسطينية المدمرة : أبو كشك ومسكة /** د. شريف كناعنة، لبنى عبد الهادي – الرباط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٩٢ – (رقم ٩ ، ١٠) .

– **القرى الفلسطينية المدمرة : عين حوض ومجدل عسقلان /** د . شريف كناعنة، بسام الكعبي – الرباط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٨٨ – (رقم ١).

– **القرى الفلسطينية المدمرة: الفالوجة والكوفخة /** د . شريف كناعنة، رشاد المدني – الرباط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٩٢ – (رقم ٧) .

– **القرى الفلسطينية المدمرة : كفرسابا ولفتا /** د . شريف كناعنة ، بسام الكعبي – الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٢ –

(رقم ١١) .

– كتابات «عبد الحميد الزهراوي» / د . عبد الإله نبهان – ط١ – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – القسم الأول والثاني– (سلسلة: قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٠) .

– الكتب والمجلات والدوريات العربية والأجنبية : الربع الثاني / وزارة التعليم العالي – دمشق : الوزارة ، ١٩٩٦ .

– كوكب شجيرات رأس السنة : رواية للأطفال / ترجمة : جاني روداري، عياد عيد – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦ .

– لوحة الوفاء / المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين – دمشق : الاتحاد العام للفلاحين، ١٩٩٦ .

– مباحث في الغرائز المرضية والأمراض التجريبية / د . أحمد منيف العائدي – دمشق : الجامعة السورية ، ١٩٤٦ .

– المجربات / ابن زهر ؛ تحقيق : كرستينا البريث ميان – مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي ،١٩٩٤.

– محركات العقل أو تاريخ الكومبيوتر / جول شركن ؛ ترجمة : نافذ اسحق – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : علوم ١٩) .

– مختارات من الشعر التركي / مجموعة من المؤلفين ؛ ترجمة : فاضل جتكر – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : من الشعر العالمي الحديث) .

– المختار في مجاري البحار : دليل الملاحة التقليدية في الكويت / النوخذة عيسى عبد الله العثمان – ط١ – الكويت : مركز البحوث والدراسات الكويتية ، ١٩٩٦ .

– **مختصر لآلي العرب (ت – ح) /** سالم خليل رزق ؛ تحقيق : د. علي أبو زيد ، محمد المصري ، أشرف على التحقيق : د. عدنان درويش – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – الجزء الثاني– (سلسلة : إحياء التراث العربي ٨٨) .

– **مدخل إلى قراءة عبد الحميد الزهراوي : حياته، مؤلفاته ، أفكاره /** ناجي علوش – دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة : قضايا وحوارات النهضة العربية ٢١) .

– **مستدركات علم الرجال /** علي النمازي – ط١ – قم : شفق تهران ، ١٤١٢ هـ .

– **مستقبل الجمهور المتلقي /** د . رسل نيومان ؛ ترجمة : محمد جمّول – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : دراسات فلسفية وفكرية ٢٢) .

– **مستقبل العلم /** أكاديمية العلوم الفرنسية ؛ ترجمة : مكي الحسني الجزائري ؛ إشراف : جان همبرغر – ط١ – دمشق : المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا ، دار طلاس، ١٩٩٥ .

– **المسلمون في أمريكا /** ايفون يزبك حداد – ط١ – القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤ .

– **مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية : بحث ميداني بعدسة المؤلف /** د . قتيبة الشهابي – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥

– **المصطلحات العسكرية : مصطلحات التموين والنقل /** مجموعة من الباحثين – ط ٢ – الأردن : مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٩٥ .

– **المصطلحات العسكرية : مصطلحات المدفعية /** مجموعة من

الباحثين – ط٢ – الأردن : مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٩٥ .

– **المصطلحات العسكرية : مصطلحات المساحة /** مجموعة من الباحثين – ط٢ – الأردن : مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٩٥ .

– **المصطلحات العسكرية : مصطلحات اللاسلكي /** مجموعة من الباحثين– ط٢ – الأردن : مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٩٥ .

– **مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي /** محمد عزام – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : إحياء التراث العربي ٩٩) .

– **معالم إنسانية من المشرق العربي /** فايز سارة – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦ – (سلسلة : قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٤) .

– **معجم مقاييس اللغة /** ابن فارس ؛ تحقيق: عبد السلام هارون – قم: مكتب الإعلام الاسلامي ، ١٤٠٤ هـ – الجزء الأول .

– **المعجم الموحد «مصطلحات علم النبات» /** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –دمشق: وزارة التربية، ١٩٧٨.

– **مقالات الحضارة /** عبد الحميد الزهراوي ؛ جمعه وحققه : د. جودة الركابي ، د. جميل سلطان – ط٢ – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٦– (سلسلة : قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٠) .

– **المقنع في الغيبة /** الشريف المرتضى؛ تحقيق : محمد علي الحكيم – قم : مؤسسة آل البيت ، ١٤١٦هـ – (سلسلة : ذخائر تراثنا ٤) .

– **مكتبة العلامة الحلي /** عبد العزيز الطباطبائي – ط١ – قم : مؤسسة آل البيت، ١٩٩٦ .

– **ملاحم آسيا الوسطى الشفوية /** نوراك يشادويك ، فيكتور جير مونسكي ؛ ترجمة : رباب ناصيف – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **ملاك الجحيم «أبدون»** / أرنسقوساباتو ؛ ترجمها عن الإسبانية : عبد السلام عقيل – دمشق : وزارةالثقافة ، ١٩٩٦ .

– **ملامح من الأسطورة** / ميرسيا إيلياد ؛ ترجمة : حسيب كاسوحة– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : دراسات اجتماعية ٢٠) .

– **المؤتمر العربي الأول** / تحرير وتقديم : محمد كامل الخطيب – دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة : قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٢) .

– **الموت الفاسد : مجموعة قصصية** / يونس محمود يونس – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥ – (سلسلة : قصص وروايات ٦٢) .

– **الموجز في أمراض الأطفال** / د. أحمد منيف العائدي، د. شفيق البابا – دمشق : الجامعة السورية، ١٩٤١ – الجزء الأول والثاني .

– **الموجز في مبادئ التشريح والغرائز البشرية** / د. أحمد منيف العائدي – دمشق : الجامعة السورية ، ١٩٣٢ .

– **نداء الغابة : قصص للأطفال** / جاك لندن؛ ترجمة : لطيفة ديب – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **ندوة التفوق الدراسي** / مجموعة من الباحثين– دمشق : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٩٥ .

– **الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي في الجامعات العربية** / المركز العربي للتعريب – دمشق : المركز ، ١٩٩٥ .

– **نظرية الأدب** / تيري ايغلتون ؛ ترجمة : ثائر ديب – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : دراسات نقدية عالمية ٢٩) .

– **واقع التعليم الثانوي الصناعي وسبل تطويره في البلاد العربية : دراسة مقارنة** / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس : المنظمة، ١٩٩٥ .

– **الوسادة السوداء : مجموعة قصص** / غلوريا آلكورتا ؛ ترجمة : علي باشا – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ – (سلسلة : روايات عالمية ٥٥) .

– **الوصية أو صخرة الرجل الميت : قصص لليافعين** / آرثر كيلاركاتش ؛ ترجمة : موفق شقير – دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ .

– **الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة** / د. محمد حسن عبد العزيز– ط١ – القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٩٢ .

ب – المجلات العربية

سامر اليماني

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٨٥ – ٨٦	١٩٩٦	سورية
الأسبوع الأدبي	١١٥– ٥٢٠، ٥٢٢	١٩٩٦	سورية
التعريب	١١	١٩٩٦	سورية
الحوليات الأثرية السورية	مج ٤٢	١٩٩٦	سورية
صوت فلسطين	٣٣٧، ٣٤٠– ٣٤٢	١٩٩٦	سورية
عاديات	٦ – ٧	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	٤٣	١٩٩٦	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	٢٨ (١٩٩٥) انسانية		
	٢٢ (١٩٩١)، ٢٣ (١٩٩٢)طبية		
المجلة البطريركية	٥٦	١٩٩٦	سورية
مجلة طب الفم السورية	١، ٢	١٩٩٦	سورية
المجلة الطبية العربية	١٢٨، ١٢٩	١٩٩٥	سورية
المعرفة	٣٩٢ – ٣٩٤	١٩٩٦	سورية
الموقف الأدبي	٢٩٩ – ٣٠٢		
الأنباء	٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٢٩	١٩٩٦	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	مج ١٠ (٣، ٤) سلسلة أ	١٩٩٥	الأردن
	مج ١٠ (٢) سلسلة ب	١٩٩٥	
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٤٩	١٩٩٥	الأردن
اليرموك	٥١	١٩٩٦	الأردن
عالم الكتب	٣، ٤ (مج ١٧)	١٩٩٦	السعودية
العرب	٣– ٤، ٥– ٦	١٩٩٦	السعودية
القافلة	مج ٤٤ (١– ١٢)	١٤١٦ هـ	السعودية
الآداب	٤٠	١٩٩٥	العراق

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المؤرخ العربي	٥٢	١٩٩٥	العراق
علوم وتكنولوجيا	٣٠	١٩٩٦	الكويت
الأبحاث	٤٣	١٩٩٥	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٢٦	١٩٩٦	لبنان
الشراع	٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣١	١٩٩٦	لبنان
الفكر العربي	٨٣	١٩٩٦	لبنان
مجلة المعهد المصري للدراسات	مج ٢٤ (٨٧- ١٩٩٠)		مصر
الإسلامية في مدريد	مج ٢٥ (٩١- ١٩٩٢)		مصر
المجلة العربية للدراسات الاسبانية	٢ (١٩٩٢)، ٣ (١٩٩٤)		المغرب
ألمانيا	٢	١٩٩٦	ألمانيا
الدراسات الإسلامية	١، ٢ (مج ٣٢)	١٩٩٦	باكستان
النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث	٣٧، ٣٨ (١٩٩٥)		تركيا
للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية	٣٩ (١٩٩٦)		
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية	٧٣، ٧٤، ٧٥	١٩٩٦	كوريا
صوت الأمة	٥ (مج ٢٨)	١٩٩٦	الهند

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1- Books:

- Actas XVI Congresco UEAI / edited by: Miguel Angel Manzano Rodriguez . - Salmanca,1995, 508p .
-Aids, The Literary Response / by Emmanuel S . Nelson . - newyork , 1992 , 233 P .
- Armenians in Ottoman Documents (1915- 1920) / Prepared by: The Turkish Republic Ministry, General Directorate of Ottoman Archives.- Ankara, 1995, 641 P.- (series: Ottoman Archives , No. 25)
- Cassell's New Latin Dictionary / by Cassell's .- no date .- 883 p .
- Catalogue Des Manuscripts Araben En Bibliothéque National De France , Department Des Manuscrits , Part 2 (Manuscrits Arabes) / par Yvette Sauvan et Marie - Gene vieve Balty - Guesdon . - Paris , 1995 .- 933 P . (Tome v , Nos : 1465 - 1685) .
- Dictionnaire Arab- Francais/ par A. De Biberstein .- Beyrouth : Librarie Du Liban, No date , 1392- 1638 P. (In Two volumes) .
- Discrimination Against Women : The Canvention and The Committee/ Prepared by: Centre For Human Rights , U. N . Geneva , 1994- 72 P.

- An Enlightening Commentary Into The Light of The Holy Quran/ by a group of Muslim Scholars .- Isfahan (Iran): Imam Ali Library and Research Centre For Islamic and Sci entific Studies, 1996. (In Two Volumes).
- Environnement & Homme : Cones Torrentiels (D'Ablatin) Associes Aux Palesols, Croutes Calcaires Plages Fossille &Leurs Silex ... Depuis Le Neogene / Par Tanios Nammour.. Beyrouth, 1995.- 236 P. (Pubications de L'universite Lib anaise , Section des Etudes Geographiques , III) .
- Europa Y EL Mundo Arabe , Primos , Vecinos / Par Bichara Khader , Trad. de Rosa Isabel Martinez Lilio. - Madrid , 1995, 277 P.
- Fictions of Authority And Narrative Voice/ by Suzan Sniader Lanser .- Ithaca and London, 1992 . , 287 P.
- Hafez El- Asad , Le Parcours D'un Combattant / by Lucien Bitterlin .- France , 1986. , 285 . P. , Illustrated .
- Handworterbuch Der Neu - Arabischen Und Deutschen Sprache / von Adolf Wahrmund .- Beirut , 1980 . (In three volumes).
- The Holy Qura'n Text, Translation And Commentary / by Abdullah Yusuf Ali .- Qatar , 1946 .- 1862 P.
- L'Identite Nationale A Travers le Paysage Realiste Dans La Peinture Contemporaine De L' orient Arabe / Par Nizar Daher .- Lebanon , 1995 ., 25 P. + Illustrations . (Published by The Libanze University , sec . Des Beaux - Art 3).
- Intert De La Fluoruration Des Eaux Au Liban / Par Mounir A . Doumit .- Beyrouth, 1995.- 86 P. (Publ . De L'universite Liban, Section Des Etudes Naturelles , xx) .

- Kitab AL- Adwiya AL- Mufrada (Libro Los Medicamentos Simples) / Par Ibn Wafid (M640 / 1067) , edited and translated by luisa Fernada Aguirre De Carcer.- Madrid , 1995 ., 496 P .
- Language Variety & The Art of The Everyday / by Valerie Shephered . - london and Newyork , 1990 ., 202 P .
- Literature, Politics and National Identity Reformation to Renaissance / by Andrew Hadfield .- Cambridge, 1994 ., 265 P .
- El Magreb Tras La Crisis Del Golfo : Transformaciones Politicas Y Orden Internationl / edited by Bernabe Lopez Garcia Y Juan Montabes Pereira .- Spain : Universidad De Granada , 1994, 350 P.
- On Frost, The best from American literature/ edited by: Edwin H. Cady & Louis J. Budd.- Durham and London , 1991, 255 P.
- Paises Arabes Y Comunidad Europa Relaciones Institucio nales Y Comerciales/ Par Ana Melero Guilio .- Madrid, 1995, 298 P. (Ediciones Mund Arabe E Islam .
- The Quran Arabic Text , English Translation/ by . Muhammad Zafrulla Khan , 3rd . ed. Great Britain , 1981 .
- Research Report (21) , With Theses and publications , 1993- 1995 , 249 P.

2- Periodicals :

- رهمنون (مجلة فارسية)، طهران، ع شمارة أول، تابستان ١٣٧١ (تصدرها مدرسة علي شهيد مطهري – طهران)
- معارف (مجلة فارسية)، إيران، ع يولية، أغسطس ١٩٩٠، ع يولية، نوفمبر ١٩٩٥ (تصدرها أكاديمية دار المصنفين شبلي)

- Ars Orientalis , Vol . 25, 1995. (Publ. by : The Department of The History of Art , University of Michigan , U. S. A) . A special issue on Chinese Painting .
- Boletin De Le Asociacion Española de Orientalistas, No . (Año XXXI) 1995 . (Publ. by : Universidad Autonoma de Ma drid) .
- Beijing Review , a Chinese Weekly of News and views . Nos . : 49 , 50 , 51 , 52 (1995) , No . January , (1996) .
- le Courier De L'unesco , Paris . Nos . : Jan . 1991 , Avril , May , 1996 .
- East Asian Review , Korea , Nos . : Summer , 1991 , Spring, 1996 . (Publ. by : The Institute for East Asian Studies , Seoul , Korea .
- Ibla , Tunis . No 177 (1996- 1) . Publ . by : Institut des belles Lettres Arabes , Tunis .
- Islam , Istanbul . No . Feb , 1991 .
- Law and State , A biannual Collection of recent german Contributions To These Fields , Vol . 43 . (Edited by The Institute for Scientific Co - Operation , Tübingen , Germany .
- Lettera dall' Italia , No . 21 , gennaio - Marzo , 1991 , publ. by : Istituto della Enciclopedia Italiana .
- Mess , isveren Gazctesi , Turkey , No . 674 1996 .
- The Middle East Journal , No . 2 , spring , 1991 , (publ . by : Middle East Institute , U . S . A .
- Muslim Education quarterly , No . 4 , 1990 , No 4 , 1995 . (published by : The Islamic Academy , Cambridge . U . K .
- The Muslim World , A Journal devoted To The Study of

Islam and of Christian - Muslim relationship in past and Present. No . 3- 4 , 1990 , No . 1 ; 1996 . (Publ . by : The Duncan Black Macdonald Center at Hatfond Seminary , U . S . A)

- Orient , Report of The Society for Near Eastern Studies in Japan , Vol . XXVI , 1990 , Vol . XXV , 1989 .
  Publ. by : The Society for Near Eastern Studies in Japan , Tokyo .
- Our Planet , Vol . 6 , No . 5 (Pub . by : UNEP) .
- Review of Intrnational Affairs , Belgrade .
  Nos . : Fe b , March1996 .
- Samsung Newsletter , No . March - April , 1996 .
  Publ . in Korea .
- Science & Technology Now , The quarterly Journal of The Arab - British Chamber of Commerce , London . No . 6 , 1995.
- Self - Realization , A Magazine devoted to healing of Body, Mind and Soul , Los Angeles , U . S . A .
  No . 2 , spring 1996 .
- Sources Unesco , Paris .
  No . 66 , fev . 1996 .
- The Universal Message , Monthly Jounal of Islamic Re - search Academy , Karachi , Pakistan ,. No . October , 1994.



الفهارس العامة للمجلد الحادي والسبعين

أ – فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب - فهرس المقالات
منسوقة على حروف المعجم

(أ)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ق)

(ك)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١ وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة، ج٢، ٣ تحقيق محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣ وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١ تحقيق نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة- أحمد بن محمد) تحقيق عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) تحقيق سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج١ تحقيق محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج٢ تحقيق حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ تحقيق عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٢٤ تحقيق مطاع الطرابيشي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٩ تحقيق سكينة الشهابي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٢ تحقيق غازي طليمات
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي تحقيق مصطفى الحدري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢ وضع ياسين السواس
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني تحقيق سبيع الحاكمي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣ تحقيق إبراهيم عبد الله
- المستدرك على فهرس (الشعر) إعداد رياض مراد
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش تحقيق إبراهيم صالح
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً للدكتور عدنان الخطب
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والسبعين